

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

خبايا الزوايا

فِيما في الرِّجالِ مِنَ البَقايا

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي

(٩٧٧-١٠٦٩ / ١٥٦٩-١٦٥٩)

تحقيق ودراسة

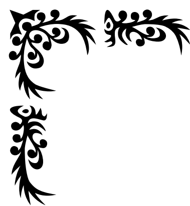
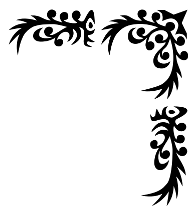
د. محمد مسعود أركين

اعتنى به

محمد أديب الجادر

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

خبايا الزوايا

مجمع اللغة العربية بدمشق

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م






مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

خبايا الزوايا

فِيما في الرِّجالِ مِنَ البَقايا

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي

(٩٧٧-١٠٦٩/ ١٥٦٩-١٦٥٩)

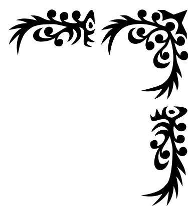
تحقيق ودراسة

د. محمد مسعود أركين

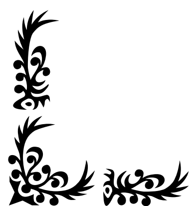
اعتنى به

محمد أديب الجادر

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

كتاب «خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا» لشهاب الدين أحمد بن محمد ابن عمر الخفاجي (٩٧٧-١٠٦٩/ ١٥٦٩-١٦٥٩) واحد من أمهات المصادر التي تُلقي الضوء على الأدب العربي وتاريخه في العصر العثماني.

لعل العصر لم يثر اهتمام الباحثين للإقبال على دراسته لكثرة ما قيل عنه بأنه عصر انحطاط سواء أكان جهلاً أو عمداً؛ فلم تجد الكنوز الدفينة في رفوف الخزائن من يرفع عنها الغبار ليكشفها ويخرجها من الظلمات إلى النور.

وانطلاقاً من هذا بحثت موضوعاً يتصل بتلك الحقبة فوجدت كتاب «خبايا الزوايا» للخفاجي لا يزال مخطوطاً في مكتبات مختلفة في العالم، فلم يحققه أحد من الدارسين - على ما توصلت إليه - مع أنه خليق بالتحقيق كونه يمثل جوانب كثيرة من الحياة الأدبية، والفكرية، والاجتماعية، والسياسية في العصر العثماني.

إن تحقيق «خبايا الزوايا» سيظهر مدى إسهام الخفاجي ومساعدته في الحركة الثقافية وإضاءة كثير من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية في العصر العثماني، كما سيُسهم في رفع الجور الذي ألحقه كثير من المفكرين المحدثين بهذا العصر ولو بشكل يسير.

وقد رسمت للتحقيق والدراسة أهدافاً أوجزها فيما يلي:

أولاً: الوقوف على حياة الخفاجي مع سرد مؤلفاته كل على حدة.

ثانياً: تحقيق الكتاب:

في التحقيق اعتمدت نسخة السليمانية متناً لقدمها، ثم قارنتها بنسخة الظاهرية. وضعت في التحقيق بعض الشروح اللغوية، والتعليقات المناسبة مع الابتعاد في ذلك عن الإسراف حتى لا يكون الشرح أو التعليق عبئاً أو إسهاباً في غير موقعه. كما قمت بتعريف الأعلام التي وردت فيها تعريفاً مختصراً عند ورودها أول مرة في التحقيق.

ألحق الأستاذ محمد أديب الجادر فهارس فنية متنوعة في آخر الكتاب كي يستفيد الباحث من خلالها للوصول إلى ما يتوخّاه من أقرب طريق. إضافة إلى قراءته النص المحقق، وتذييل بعض ملاحظاته.

وبعد؛ فإن من حق الوفاء علي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم لكل من أبي عبادة محمد زكي رمضان يوسف، ويمان الكيالي، والدكتور محمد تاسا، والدكتور جنكيز تومار على ما قدموه لي من مساعدة في المراحل المختلفة التي مر بها تحقيق هذا الكتاب.

وختاماً فإنني أقدم هذا الكتاب للقراء والباحثين متمنياً أن يكون قد وفق في إضاءة شيء من جوانب الأدب العربي في العصر العثماني، وإسهاماً لكشف شيء ولو يسير من خباياه قدر الطاقة.

دياربكر، ٣١ كانون الثاني ٢٠٠٨

د. محمد مسعود أركين

١ ـ المؤلف

أ- اسمه، ولقبه، ونسبته:

هو أحمد بن محمد بن عمر الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري نسبة إلى قبيلة خفاجة(١).

ب- مولده وأسرته:

جاءت في المصادر روايتان لتاريخ مولده وهما: عام ٩٧٧/ ١٥٦٩(٢)، و٩٧٩/ ١٥٧١(٣)

---

(١) المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، بلا تاريخ ، ١/ ٣٣١؛ ابن معصوم، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، مصر، ١٣٢٤، ص٤٢٠؛ المحبي، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٦٩، ٤/ ٣٩٥؛ شمس الدين الغزي، ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، ١٩٩٠، ٢/ ٢٢٨؛ عمر فروخ، معالم الأدب العربي في العصر الحديث، بيروت، ١٩٨٥، ٢/ ٦٢٩؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، ١٩٩٣، ١/ ٢٨٦؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، ١٩٩١، ١/ ٢٣٨؛ حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، بيروت، ١٩٨٦، ص١٠٣٥؛ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ٣/ ٣٠٠.

(٢) شهاب الدين الخفاجي، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مصر، ١٩٦٨، (مقدمة المحقق)، ١/ ٤؛ شهاب الدين الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تقديم: محمد كشاش، بيروت، ١٩٩٨، (مقدمة المحقق)، ص٧؛ نفحة الريحانة (دراسة المحقق)، ٤/ ٣٩٥؛ معالم الأدب العربي، ٢/ ٦٢٩؛ الأعلام ١/ ٢٣٨؛ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات مصر، القاهرة، ١٩٩٠، ص٤٥٩؛
A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, İstanbul, 1997, XV, 72.

(٣) الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص١٠٥٣؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٨٦؛
F. Krenkow, "Hafâcî", *İA*, MEB, İstanbul, 1967, V/1, 64; Bedrettin Aytaç, "Osmanlı Dönemi Mısır Edebiyatından Bir Yazar: Şihab al-Hafâcî", *AÜDTCFD*, XXXVII, 1-2, 1995, 59.

وقد أهملت بعض المصادر إيراد ذاك التاريخ[١]. على الأرجح أن الخفاجي ولد في سنة ٩٧٧/ ١٥٦٩، وذلك لذكر معظم المصادر ذاك التاريخ مولداً له.

أما مكان ولادته فهو قرية سَرْياقوس بالقرب من القاهرة[٢].

إن شهاب الدين الخفاجي من أسرة اشتهرت بالعلم والعرفان، فقد اشتهر والده محمد بن عمر الخفاجي المتوفى ١٠١١/ ١٦٠٢ بعلمه وأدبه، إذ كان «أحد أجلاء العلماء في عصره، كان من الفضل في المكانة السامية، والهضبة العالية، مفنناً بارعاً محققاً مدققاً، مشهور الصيت ذائع الذكر»[٣]. ويشير الخفاجي إلى مكانته العالية التي كان يتمتع بها والده بقوله: «ومقام والدي غني عن المدح، والوُرْق بأوكارها لا تعلم الصدح»[٤].

ج- نشأته ومراحل حياته:

نشأ شهاب الدين الخفاجي في مصر، ثم رحل مع والده إلى الحرمين الشريفين، وقد أفادته هذه الرحلة علماً تلقاه عن شيوخ مكة. ثم رحل إلى بلاد الروم[٥]، ولما

---

(١) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣١؛ ديوان الإسلام، ٢/ ٢٢٨؛ سلافة العصر، ص٤٢٠؛ كاتب الجلبي (حاجي خليفة) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، ١٩٨٢، ١/ ٦٩٩؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، بيروت، ١٩٨٢، ١/ ١٦٠؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠٠.

Brockelmann, C, *Geschichte Der Arabischen Litteratur*, Leiden, 1943, II, 368; Brockelmann, C, *Geschichte Der Arabischen Litteratur*, Supplementband, Leiden, 1937, II, 396.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠٠؛ تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات مصر، ص٤٥٩؛ الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص١٠٣٥؛ معالم الأدب العربي، ٢/ ٦٢٩؛ شفاء الغليل (مقدمة المحقق)، ص٧.

(٣) خلاصة الأثر، ٤/ ٧٦.

(٤) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٧.

(٥) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣.

وصل إلى الروم في رحلته الأولى ولي القضاء ببلاد روم إيلي حتى وصل إلى أعلى مناصبها في أسكوب وغيرها، ثم في زمن السلطان مراد الرابع توصل حتى اشتهر بالفضل الباهر، فولاه السلطان قضاء سلانيك، فحصّلَ بها مالاً كثيراً، ثم أُعطي بعدها قضاء مصر. وبعد ما عزل عنها بناء على بعض الشكاوى التي قامت ضده في القسطنطينية عاد إلى الروم، فمر على دمشق وأقام بها أياماً، ومدحه فضلاؤها بالقصائد واعتنى به أهلها وعلماؤها فأكرموا نُزُله[(١)].

بعد ذلك دخل حلب وهو في طريقه إلى القسطنطينية، ثم وصل إليها وكان إذ ذاك مفتيها المولى شيخ الإسلام يحيى بن زكريا فأعرض عنه لأجل أمور انتقدت عليه أيام قضائه في سلانيك ومصر من الجرأة وبعض الطمع[(٢)].

ذهب المحبي أن مقامته الرومية التي ذكرها في «ريحانة الألبا»، و«خبايا الزوايا»؛ التي تعرض فيها للمولى المذكور كانت سبباً لنفيه إلى مصر[(٣)]؛ بينما يرى عبد الفتاح محمد الحلو محقق «ريحانة الألبا» سبب نفيه خلافاً لِما سبق[(٤)] مستشهداً بما ذكره الشهاب الخفاجي في كتابه «ريحانة الألبا» في الفصل الذي خصَّه لذكر بيان حاله في خبر المبتدأ، وسبب عزله، ونفيه إلى مصر بعد أن تطرق إلى أساتذته الأجلاء إذ يقول[(٥)]: «ثم انقرضوا في مدة يسيرة، فلم يبق بها عين ولا أثر، وصار الدين ملعبة وسخرية، وآل الأمر إلى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء

(١) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣.

(٢) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٤.

(٣) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٤.

(٤) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ١١.

(٥) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٣٠.

وإهانتهم؛ ولما عدتُ إليها ثانياً بعدما توليتُ قضاء العساكر بمصر، رأيتُ تفاقم الأمر، وغلبة الجهل، فذكرت ذلك للوزير ظنًّا بأن النصح يفيد، فإذا هو كما قيل: [البسيط]

هُـــوَ الـوَزيرُ ولا أَزْرٌ يُـشَدُّ بِـهِ مِثْلُ العَرُوضِ له بَحْرٌ بِلا ماءِ

فكان ذلك سبباً لعزلي وأمري بالخروج من تلك المدينة، وإظهار العداوة ممن هو في زي العلماء، مع أنه لم يبق بها أحد يحسن قراءة الفاتحة».

وهذا يؤيد ما ذهب إليه عبد الفتاح محمد الحلو بأن سبب نفيه وعزله ليست المقامة الرومية، بل انتقاد الخفاجي ما صارت إليه عاصمة الخلافة من فساد اجتماعي، وجهل سائد، وعدم قبول الوزير نصحه، ورفضه إرشاده، فطرده من القسطنطينية، بعد إظهار العلماء العداوة له، ولاسيما شيخ الإسلام يحيى بن زكريا[(١)].

ثم عزل عن منصبه هناك فعاد إلى القاهرة.

وفي القاهرة عين بمنصب عادي في القضاء ليعيش من مُرَتبه فيه، وقد استقر في القاهرة، وهو يصنف ويدرس إلى أن توفي فيها[(٢)].

د- دراسته وثقافته:

تلقى شهاب الدين الخفاجي دراسته الأولى من أبيه، وبه تخرج في كثير من الفنون[(٣)]، واختلف إلى شيوخ الأزهر في زمنه[(٤)]، واستفاد كثيراً من علماء عصره الذين تميزوا بعلمهم، وفضلهم؛ فممن أخذ عنهم الخفاجي:

---

(١) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ١١.

(٢) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٤؛ معالم الأدب العربي، ٢/ ٦٣٠.

(٣) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ٥.

(٤) تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات مصر، ص٤٥٩.

أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين الشنواني(١)، وهو خاله، وقد تلقى منه النحو، وعلوم العربية، والمعاني والمنطق وبقية علوم الأدب الاثني عشر، مشيراً إلى ذلك بقوله(٢): «فقد كنت بعد سن التمييز في مَغْرس طيِّب النبات عزيز في حِجْر والدي ممتَّعاً بذخائر طريفي وتالدي، مربًى بغذاء علمي الظاهر والباطن في النعيم المقيم بأرفع المساكن... فلما درَجْتُ من عُشِّي قرأتُ على خالي، سيبويه زمانه علوم العربية فجَثَوْتُ بين يديه على الرُّكب، ونافستُ إخواني في الجد والطلب. ثم ترقّيتُ فقرأتُ المعاني والمنطق وبقية علوم الأدب الاثني عشر».

ومنهم: محمد الرَّملي(٣) الذي قرأ عليه شيئا من «مسلم»، وأجازه بذلك وبجميع مؤلفاته ومروياته، بروايته عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وعن والده؛ يشير الخفاجي إلى ذلك بقوله(٤): «ومن أجلّ من أخذتُ عنه شيخ الإسلام الشمس الرملي، حضرتُ دروسه الفرعية، وقرأتُ عليه شيئاً من «مسلم» فأجازني بذلك، وبجميع مؤلفاته ومروياته، بروايته عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري، وعن والده» الذي يعتبره الخفاجي تاريخ المعالي والهمم، وفهرست

---

(١) انظر ترجمته: تحت الرقم [١٤٢].

(٢) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٧؛ وخلاصة الأثر، ١/ ٣٣٢.

(٣) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملي المنوفي المصري الأنصاري (٩١٩-١٠٠٤ / ١٥١٣-١٥٩٦): فقيه الديار المصرية في عصره ومرجعها في الفتوى. وهو معروف بالشافعي الصغير، مفتي الشافعية في زمانه. ذهب جماعة من العلماء إلى أنه مجدد القرن العاشر. مولده ووفاته بالقاهرة. من مؤلفاته: «عمدة الرابح» شرح على «هدية الناصح» في فقه الشافعية، و«نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج». انظر مصادر ترجمته: خلاصة الأثر، ٣/ ٣٤٢؛ الأعلام، ٦/ ٧.

(٤) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٧-٣٢٨.

المكارم والنعم، وفذلكة دفتر محاسن الأمم، حيث يشيد به بقوله[(١)]: [الطويل]

فَـضائِلُهُ عَـدَّ الرِّمـالِ فَمَـنْ يُطِـقْ   لِيَحْصُرَ مِعْشارَ الذي فيه مِنْ فَضْلِ
فَقُــلْ لِغَبِــيٍّ رامَ إِحْـصاءَ مَجْـدِهِ   تَرِبْتَ اسْتَرِحْ مِنْ جُهْدِ عَدِّكَ لِلرَّمْلِ

ومنهم: **نور الدين علي بن يحيى الزَّيَّاديّ**[(٢)]، وقد حضر الخفاجي دروسه زمناً طويلاً[(٣)]، ويعتبره الخفاجي فضلاً لا يخفى حيث يقول[(٤)]: [الوافر]

لنورِ الدينِ فَضْلٌ ليسَ يَخْفَى   تُـضِيءُ بـه اللَّيـالي المُدْلَهِمَّـهْ
يُريــدُ الحاســدون لِيُطْفِئُــوهُ   ويــأْبَى الله إلا أنْ يُتِمَّــهْ

ومنهم: **علي بن غانم المقدسي الحنفي**[(٥)]. وقد حضر الخفاجي دروسه، وقرأ عليه الحديث، وأخذ الإجازة بخطه[(٦)].

ومنهم: **إبراهيم العلقمي**[(٧)]، إذ يقول الخفاجي[(٨)]: «قرأت عليه «الشفا» بتمامه، وأجازني به، وبغيره». ويقول في مكان آخر من هذا الكتاب[(٩)]: «وأما

(١) صفحة ٧٣٢.

(٢) هو نور الدين علي بن يحيى الزَّيَّاديّ المصري الشافعي (ت: ١٠٢٤/ ١٦١٥): رئيس العلماء بمصر، فقيه شافعي، انتهت إليه رياسة الشافعية بمصر. نسبته إلى محلة زياد بالبحيرة، أقام بالقاهرة، وتوفي بها. من مؤلفاته: «حاشية على شرح المنهج» لزكريا الأنصاري. انظر مصادر ترجمته: خلاصة الأثر، ٣/ ١٩٥؛ الأعلام، ٥/ ٣٢.

(٣) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٨.

(٤) صفحة ٧٣٣؛ وريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٨.

(٥) انظر ترجمته: تحت الرقم [١٠٣].

(٦) صفحة ٥٣١؛ وريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٨.

(٧) انظر ترجمته: تحت الرقم [١٣٣].

(٨) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٩.

(٩) صفحة ٦٠٧.

إبراهيم، وهو من جملة أشياخي في إبان الطلب، وممن اقتطفتُ منه ثمراتِ العلم الجنيَّةِ من كَثَبٍ، فتبرَّجَتْ لي عرائسُ معانيه، وتجلَّتْ عَلَيَّ منصة معاليه ...».

ومنهم: **أحمد العلقمي**(١). وقد أخذ عنه الخفاجي الأدب والشعر(٢).

ومنهم: **محمد الصالحي الشامي**(٣).

ومنهم: **أحمد العناياتي**(٤).

ومنهم: **محمد المغربي المعروف بركروك**(٥). وقد أخذ الخفاجي عنه العروض(٦).

ومنهم: **الشيخ داود البصير**(٧). وقد أخذ الخفاجي عنه الطب(٨).

ومنهم: **مفتي الحرمين الشريفين الشيخ علي بن جار الله**(٩)، وقد قرأ عليه الخفاجي في رحلته مع والده للحرمين الشريفين(١٠).

ومنهم: **علي بن صدر الدين العصامي**(١١).

وقد أخذ الخفاجي عن جماعة أجلاء في رحلته إلى القسطنطينية كما يتحدث لنا

(١) انظر ترجمته: تحت الرقم [١٣٢].

(٢) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٩.

(٣) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٩. انظر ترجمته: تحت الرقم [٢].

(٤) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٩. انظر ترجمته: تحت الرقم [١].

(٥) انظر ترجمته: تحت الرقم [١٥١].

(٦) صفحة، ٦٩١؛ وريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٩.

(٧) انظر ترجمته: تحت الرقم [٤٦].

(٨) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٩.

(٩) انظر ترجمته: تحت الرقم [٦٩].

(١٠) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٩.

(١١) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٩. انظر ترجمته: تحت الرقم [٥٩].

عنهم في قوله[١]: «ثم ارتحلت إلى القسطنطينية، فتشرفت بمن فيها من الفضلاء، والمصنفين، واستفدت منهم وتخرجت عليهم. وهي إذ ذاك مشحونة بالفضلاء الأذكياء كابن عبد الغني[٢]، ومصطفى بن عزمي[٣]، والحبر داود، وهو ممن أخذت عنه الرياضيات، وقرأت عليه إقليدس[٤] وغيره. وأَجَلُّهم إذ ذاك: أستاذي سعد الملة والدين ابن حسن جان[٥]».

وفي مكان آخر يتحدث عن مُلازمته أستاذه الحبر داود لقراءة كتاب إقليدس اليوناني المتوفى سنة ٢٧٥ ق. م، حين أتى مدينة سلانيك، مادحاً مكانته العلمية، إذ يقول[٦]: «كنت في ديباجة عمري أتيتُ مدينة سلانيك، وبها حبر اليهود خواجا داود، وإليه رحلة بني إسرائيل وعليه معولهم، فلم أر له في الرياضيات

---

(١) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) هو محمد بن عبد الغني بن مير بادشاه المعروف بغني زاده (ت: ١٠٣٦/ ١٦٢٦): قاضي العسكر، أشهر موالي الروم في الذكاء والفطنة والنظم والنثر. من مؤلفاته: «حاشية على تفسير البيضاوي». انظر ترجمته: خلاصة الأثر، ٤/ ٩.

(٣) هو مصطفى بن محمد المعروف بعزمي زاده (٩٧٧-١٠٤٠ / ١٥٦٩-١٦٣٠): قاضي العسكر وأشهر متأخري العلماء بالروم، وأغزرهم مادة في المنطوق والمفهوم، وله الشعر النضير في العربية والتركية. من مؤلفاته: «حاشية على الدرر والغرر» في الفقه. انظر ترجمته: خلاصة الأثر، ٤/ ٣٩٠.

(٤) إقليدس [Euclide] (٣٠٦-٣٨٣ق م): علَّم الهندسة في الإسكندرية على أيام بطليموس. وضع مبادئ علم الهندسة السطحية. له كتاب «الأصول»، شرحه نصير الدين الطوسي. انظر فرديناند توتل، المنجد في الأدب والعلوم معجم لأعلام الشرق والغرب، بيروت، ١٩٦٦، ص٢٩؛ عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٣، ص١٢٠، ١٥٣.

(٥) انظر ترجمته: تحت الرقم [١٥٧].

(٦) صفحة، ١٩١.

ثانياً، ولا في الفلكيات مدانياً، مع مشاركته في أكثر الفنون، وظفره بها تغلق له الزُّهون، وهو رفيقه في الرصد، وعليه في الوضعيات اعتمد، فلازَمْتُه سنةً لقراءة إقليدس وحل أشكاله».

وبالإضافة إلى هؤلاء يذكر عدداً من أساتذته في تأليفه هذا بقوله[1]: «وغيرهم ممن لم يقدم ذكره كشيخنا يحيى البلقيني، ومحمد الميموني، وحسن الطناني، والشريف الطحيحي».

نستطيع أن نتوصل من خلال هذه المعلومات المتصلة بتعليمه إلى أن الخفاجي وجد نفسه بين نخبة من العلماء والأدباء البارزين الذين كانوا يحيطون به، فاستفاد إلى حد كبير من جميع هؤلاء العلماء المتميزين في عصره ونلاحظ أنهم قد ساهموا في تنشئة الخفاجي العلمية والثقافية في شتى الميادين.

هـ - تلاميذه:

إن المكانة العلمية التي يتمتع بها الخفاجي جعلته مركز إقبال لطلاب العلم الذين كانوا يأتون إليه للاستفادة من علمه وثقافته الواسعة المتنوعة؛ وقد أخذ عنه كثير من الطلاب، أشهرهم:

عبد القادر البغدادي صاحب «خزانة الأدب»، والسيد **أحمد بن يحيى بن عمر الحموي العسكري، وفضل الله بن محب الله بن محمد المحبِّي** والد المحبِّي صاحب «خلاصة الأثر»[2].

---

(١) صفحة، ٧٣٢.

(٢) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٤؛ ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ٨؛

A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, XV, 72.

و- وفاته:

اتفقت المصادر على تاريخ وفاة الخفاجي، وهو يوم الثلاثاء لِثنتي عشرة خلت من شهر رمضان سنة ١٠٦٩/ ١٦٥٩[(١)] وقد أنافَ على التِّسعين.



(١) خلاصة الأثر، ١/٣٤٣؛ ديوان الإسلام، ٢/٢٢٨؛ معالم الأدب العربي، ٢/ ٦٣٠؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٨٦؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛ الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، ص١٠٣٥؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠٠.؛ شفاء الغليل (مقدمة المحقق)، ص١٧؛ نفحة الريحانة (دراسة المحقق)، ٤/ ٣٩٥؛ تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات مصر، ص٤٥٩؛ كشف الظنون، ١/ ٦٩٩؛ هدية العارفين، ١/ ١٦٠؛ محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في مصر: العصر المملوكي والعثماني، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٤، ص٢٤٢؛

GAL, II, 368; *GAS*, II, 396; F. Krenkow, "Hafâcî", *İA*, MEB, V/1,64; A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, XV, 72; Bedrettin Aytaç, "Osmanlı Dönemi Mısır Edebiyatından Bir Yazar: Şihab al-Hafâcî", *AÜDTCFD*, XXXVII, 1–2, 55.

٢- مؤلفاته

١- خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا.

وهو الكتاب الذي نقوم بتحقيقه، سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

٢- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا[١].

وهو كتاب مهم يتحدث عن أعلام القرن العاشر والحادي عشر الهجري، نحا الخفاجي في تأليفه منحى «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» للثعالبي، و«دمية القصر وعصرة أهل العصر» للباخرزي، من كتب التراجم.

وقد رتب الخفاجي كتابه هذا أربعة أقسام، هي:

١- في محاسن أهل الشام ونواحيها.

٢- في محاسن العصريين من أهل المغرب، وما والاها.

٣- في مصر وأحوالها، وسبب العود لرسومها وأطلالها.

٤- في ذكر الروم، وما اتفق له فيها، وذكر من لقيه بها من رؤسائها وعلمائها وبقية دهمائها.

وتعود أهمية «ريحانة الألبا» إلى جمع شاعرنا عدداً كبيراً من أعيان القرنين العاشر والحادي عشر الهجري من الأدباء والشعراء حيث يصل مجموع عددهم إلى ١٥٦ عَلَمٍ. وقد تحدث الخفاجي عنهم مشيراً إلى مكانتهم العلمية والأدبية. ونستطيع من خلاله أن نرى أدب تلك الحقبة، حيث قدم لنا نماذج كثيرة من

---

(١) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ سلافة العصر، ص٤٢٠؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠١؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛

GAL, II, 368; *GAS*, II, 396; F. Krenkow, “Hafâcî”, *İA*, MEB, V/1, 64; A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 72.

أشعار هؤلاء الأعلام، إذ يقودنا هذا إلى أن نعد كتابه مختارات في الشعر العربي لتلك الحقبة من تاريخ الأدب العربي.

وله ذيلان، الأول: «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة» للمحبي، و«سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر» لابن معصوم المدني.

ومن المآخذ التي تُؤخَذُ على الخفاجي في «ريحانة الألبا» هي: ميله إلى المبالغة في مدح الأعلام، ولجوؤه إلى زخرفة الأسلوب الذي يؤدي أحياناً إلى عدم الوضوح فيما يقصده، وضياع سلاسة جمله الطبيعية.

وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو في مصر سنة ١٩٦٧.

٣- ديوان شعرهِ.

تحدث شهاب الدين الخفاجي عنه، إذ يقول[١]: «ولي من النظم ما هو مسطور في ديواني فلا حاجة لذكره، وقد مرَّ منه كثير في هذا الكتاب». كما أشارت إليه المصادر والمراجع الأخرى[٢]. إن نسخ الديوان موجودة في مكتبات مختلفة من العالم[٣].

٤- ديوان الأدب في (ذكر) محاسن بلغاء (شعراء) العرب[٤].

اختلفت المصادر في اسم الكتاب. وقد جاءت ثلاث روايات:

---

(١) ريحانة الألبا، ٢/ ٢٤٠.

(٢) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٦؛ سلافة العصر، ص٤٢٢؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠١؛

GAL, II, 368; *GAS*, II, 396; F. Krenkow, “Hafâcî”, *İA*, MEB, V/1, 64; A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73.

(٣) انظر ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ١٤.

(٤) طبع في بيروت، ١٣١٦.

الأول: «ديوان الأدب في محاسن بلغاء العرب»[١].

والثاني: «ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب»[٢].

والثالث: «ديوان الأدب في محاسن شعراء العرب»[٣].

وقد ذكر الخفاجي فيه مشاهير الشعراء من العرب العرباء والمولدين[٤].

٥- طراز المجالس[٥].

وهو من مؤلفاته المتعلقة بالأدب واللغة[٦]، إذ يقول المحبي: «وهو مجموع حسن الوضع جم الفائدة رتبه على خمسين مجلساً ذكر فيه مباحث تفسيرية ونحوية وأصولية وغيرها»[٧]. وقد طبع الكتاب في المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٨٤، وبالمطبعة العامرة الشرفية بدون تاريخ.

---

(١) *GAS*, II, ٣٩٦

(٢) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، ١٩٨٢، ١/ ٤٨٨. الأعلام، ١/ ٢٣٨.

(٣) معالم الأدب العربي، ٢/ ٦٤٠.

(٤) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣.

(٥) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ سلافة العصر، ص٤٢٢؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠١؛
GAL, II, 369; *GAS*, II, 396; F. Krenkow, “Hafâcî”, *İA*, MEB, V/1, 64; A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73.

(٦) ريحانة الألبا (مقدمة المحقق)،١/ ٢١، و٢/ ٣٤٠؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ سلافة العصر، ص٤٢٢؛ إيضاح المكنون، ١/ ٢/ ٨٢؛ معالم الأدب العربي، ٢/ ٦٤١؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨.

(٧) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣.

٦- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل[١].

وقد ورد في بعض المصادر[٢] اسم الكتاب: «شفا العليل فيما في كلام العرب من الدخيل». جمع فيه الخفاجي ما ذكره العلماء قبله وزاد عليه. يبدأ بمقدمة في التعريب وشروطه، ثم يأتي بالألفاظ المعربة، التي رتبها على الحروف الهجائيَّة.

وقد طبع الكتاب خمس مرات:

الأولى: المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٢، بتصحيح نصر الهوريني ومشاركة مصطفى أفندي وهبي في ٢٤٥ صفحة.

الثانية: مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥، وعني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني في ٢١٦ صفحة.

الثالثة: المطبعة المنيرية سنة ١٩٥٢، بتصحيح وتعليق ومراجعة محمد عبد المنعم خفاجي في ٣٣٥ صفحة[٣].

الرابعة: عنوانه «معجم الألفاظ والتراكيب المولده في شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» بدار الشمال سنة ١٩٨٧ بتحقيق قصي الحسين في ٥٨٢ صفحة .

الخامسة: دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٨، ببيروت، بتقديم وتصحيح وتوثيق وشرح محمد كشاش في ٤١٦ صفحة.

---

(١) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ١٩؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠٠؛

GAL, II, 369; *GAS*, II, 396; F. Krenkow, “Hafâcî”, *İA*, MEB, V/1, 64; A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠٠؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛

F. Krenkow, “Hafâcî”, *İA*, MEB, V/1, 64

(٣) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ٢٠-٢١.

٧- شرح درة الغواص في أوهام الخواص[١].

شرح كتاب «درة الغواص في أوهام الخواص» لأبي محمد القاسم بن علي المعروف بالحريري المتوفى ٥١٦/ ١١٢٢.

ألف الخفاجي هذا الشرح باسم السلطان مراد الرابع، وأوضح في مقدمته جهده في التنقيب عن الدرة، وفتحه أبواب مقفلها، وردَّ على الحريري طعنه على السلف، وأضاف إليها درراً تصير عقداً[٢].

وقد طبع الكتاب بمطبعة الجوائب سنة ١٢٩٩ في ٢٥٧ صفحة.

٨- نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض[٣].

شرح على «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى ٥٤٤/ ١١٤٩.

وقد طبع الكتاب في إِستانبول سنة ١٢٦٧ في أربع مجلدات، ثم طبع فيها أيضاً مرتين بعد ذلك، إحداهما بتصحيح الحاج أحمد القنوي سنة ١٣١٢. التزم تصحيحه من نحو أربع نسخ، وطبع في القاهرة بالمطبعة الأزهرية في أربع مجلدات أيضا سنة ١٣٢٥[٤].

---

(١) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ هدية العارفين، ١/ ١٦١؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠٠؛
GAL, II, 369; F. Krenkow, “Hafâcî”, *İA*, MEB, V/1, 64; A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73.

(٢) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ١٨.

(٣) ريحانة الألبا، ١/ ٢٧؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ هدية العارفين، ١/ ١٦١؛ إيضاح المكنون، ٢/ ٦٤٦؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛
GAL, II, 369; F. Krenkow, “Hafâcî”, *İA*, MEB, V/1, 64; A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73.

(٤) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ٢٨.

٩- عناية القاضي وكفاية الراضي[١].

حاشية على تفسير القاضي أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥/ ١٢٨٦، والمسمى «أنوار التَّنْزيل وأسرار التأويل».

وقد طبع الكتاب في إِستانبول سنة ١٨٥٤ في ثماني مجلدات، وطبع أيضاً في بولاق سنة ١٢٨٣ في ثماني مجلدات أيضاً[٢].

١٠- حديقة السحر[٣].

١١- حواشي الرضي والجامي[٤].

١٢- حاشية على شرح الفرائض[٥].

١٣- ذات الأمثال = ريحانة الند[٦].

هي منظومة في الحكم، وهي موجودة في نهاية كتابه «خبايا الزوايا» الذي نحن بصدده.

---

(١) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ٢٢؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ هدية العارفين، ١/ ١٦١؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛

GAL, II, 369; F. Krenkow, “Hafâcî”, *İA*, MEB, V/1, 63; A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73.

(٢) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ٢٢-٢٣.

(٣) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠؛ إيضاح المكنون، ١/ ٣٩٨، ٢/ ٦٤٦؛

A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73.

(٤) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ سلافة العصر، ص٤٢٢؛

A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73.

(٥) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ سلافة العصر، ص٤٢٢؛

A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73.

(٦) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ١٥؛

GAS, II, 396; A. Şakir Ergin, “Hafâcî Şehabeddin”, *DİA*, XV, 73 .

١٤- الرحلة[١].

١٥- السوانح[٢].

١٦- الرسائل الأربعون[٣].

١٧- رسائل ومكاتيب لم يجمعها[٤].

ذكر منها الخفاجي «الفصول القصار»، و«المقامة الرومية» ضمن كتابيه «ريحانة الألبا»، و«خبايا الزوايا».

١٨- رسالة في متعلق البسملة[٥].

١٩- قصائد[٦].

٢٠- قصيدة في مدح النبي ﷺ[٧].

٢١- قلائد البحور في جواهر النحور[٨].

وهو كتاب في العروض.

---

(١) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ سلافة العصر، ص٤٢٢؛
A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, XV, 73.

(٢) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ سلافة العصر، ص٤٢٢؛ هدية العارفين، ١/ ١٦١؛ إيضاح المكنون، ٢/ ٣٠؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛
A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, XV, 73.

(٣) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٣؛ سلافة العصر، ص٤٢٢؛ هدية العارفين، ١/ ١٦١؛ إيضاح المكنون، ٢/ ٥٧١؛
A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, XV, 73.

(٤) ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٠.

(٥) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ١٦؛
GAS, II, 396; A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, XV, 73.

(٦) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ٢١؛
GAL, II, 368; A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, XV, 73.

(٧) *GAS*, II, 396.

(٨) خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٤؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛ معالم الأدب العربي في العصر الحديث، ٢/ ٦٤١.

٣ ـ كتاب:

«خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا»

أ- مضمون الكتاب و أهميته:

ورد ذكره في معظم المصادر[١] التي تناولت الحديث عن شهاب الدين الخفاجي. ألفه الخفاجي باسم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا بن بيرم[٢] على غرار «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» للثعالبي، و«دمية القصر وعصرة أهل العصر» للباخرزي، و«خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصبهاني.

يتحدث فيه المؤلف عن تراجم الأدباء والشعراء والعلماء لزمنه يزيد عددهم على مئة وخمسين من جميع الأقطار العربية وبلاد الروم في العصر العثماني.

وقد قسم الخفاجي كتابه هذا إلى خمسة أقسام:

القسم الأول : في محاسن أهل الشام ونواحيها.

---

(١) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ١٣؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٣٤؛ كشف الظنون، ١/ ٦٩٩؛ هدية العارفين، ١/ ١٦٠-١٦١؛ إيضاح المكنون، ٢/ ٣٠؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠١؛ الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص١٠٣٥؛ تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات مصر، ص٤٥٩؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛ معالم الأدب العربي في العصر الحديث، ٢/ ٦٤٠؛ رياض عبد الحميد مراد و ياسين محمد السواس، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية قسم الأدب، دمشق، ١٩٨٢، ص١٩٤؛

GAL, II, 368; *GAS*, II, 396; F. Krenkow, "Hafâcî", *İA*, MEB, V/1, 64; A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, XV, 72; Bedrettin Aytaç, "Osmanlı Dönemi Mısır Edebiyatından Bir Yazar: Şihab al-Hafâcî", *AÜDTCFD*, XXXVII, 1–2, 61.

(٢) ريحانة الألبا (دراسة المحقق)، ١/ ١٣؛

A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, XV, 72.

القسم الثاني : في أعيان مكة المشرفة ومن بحماها.

القسم الثالث : في أعيان الأدباء الفضلاء بمصر ونواحيها والقاطنين بها والواردين عليها.

القسم الرابع : في نُبَذٍ من محاسن أهل المغرب.

القسم الخامس: فيمن أدركه المؤلف أو رأى من رآه بديار الروم.

أضاف إلى ذلك ذكر «الفصول القصار»، و«المقامة الرومية»، و«رسالته السيفية»، وأرجوزته المسماة بـ«ذات الأمثال» التي سبق الحديث عنها عند ذكر مؤلفاته.

وتعود أهمية «خبايا الزوايا» إلى جمع شاعرنا عدداً كبيراً من أعيان القرنين العاشر والحادي عشر الهجريَّين من الأدباء والشعراء والعلماء. وقد تحدث الخفاجي عنهم مشيراً إلى مكانتهم العلمية والأدبية. نستطيع من خلاله إلقاء الضوء على أدب تلك الحقبة التي لا زلنا نجهل حذافيرها، حيث قدم لنا نماذج كثيرة من أشعار هؤلاء الأعلام، إذ يقودنا هذا إلى أن نعد كتابه مختارات في الشعر العربي لتلك الحقبة من تاريخ الأدب العربي.

ومن المآخذ التي تُؤخَذُ على الخفاجي في «خبايا الزوايا» كما رأينا في «ريحانته» هي، ميله إلى المبالغة في مدح الأعلام ولجوؤه إلى زخرفة الأسلوب الذي يؤدي أحيانا إلى عدم الوضوح فيما يقصده، وضياع سلاسة جمله الطبيعية.

ب- النسخ المعتمدة في التحقيق:

لقد اعتمدنا في التحقيق على النُّسختين اللتين استطعنا الحصول عليهما.

أ- النسخة الأولى:

نسخة مكتبة السليمانية قسم أسعد أفندي في استانبول، ورقمها (٢٥٦٩).

وعدد أوراقها ١٩٩ ورقة. ومسطرتها ١٤×٢٠سم. وعدد الأسطر في كل ورقة يتراوح بين ٢٢ - ٢٣ سطراً في المعدل العام. وهي بخطٍ نسخيٍّ جميل واضح. مكتوبة بخط ناسخ مجهول، انتهى من كتابتها يوم الاثنين لست مضين من صفر سنة ١٠٨١/ ١٦٧٠ كما نصَّ عليه الناسخ، إذ يقول في آخر ورقة منها: «تم كتاب خبايا الزوايا تأليف العالم العلامة إمام علماء الأدب، ومسك ختام البلغاء من العرب، قاضي الجماعة بالديار المصرية وافق[1] فقهاء الشافعية والحنفية شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، بلغه الله رجاه في الجنان، وفوق ما هو راجي. وذلك بتاريخ صبيحة نهار الاثنين المبارك لستٍّ مضين من صفر الخير سنة إحدى وثمانين وألف من الهجرة النبوية».

جاء في وجه الورقة الأولى: «حمداً لك اللَّهم يُطَوِّق جيدَ البلاغة نظمُ عقوده، ويَنْسِجُ بَنانُ البيانِ على منوال البراعةِ رقيقَ بروده، وشكراً تدفَّقَتْ مواردُه ومصادره وغرِقَتْ في سواحله من كل وارد فكرٍ خَواطره، على نِعَمِك التي لا تفنى من معدنِ الوجود جواهرُها، ولا تَذْوِي فى حدائق الجود أزاهرُها...».

وجاء في وجه الورقة السادسة عشرة عنوان النسخة ما نصه: «وسَمَّيْتُهَا: خَبايا الزَّوايا فِيما فِي الرِّجالِ مِنَ البَقايا».

سأعتمد هذه النسخة أصلا، وأرمز إليها بالرمز (س) لقدمها، وخطها الواضح، وكونها خالية من أَيَّة خروم.

ب- النسخة الثانية:

نسخة المكتبة الظاهرية (مكتبة الأسد) في دمشق، ورقمها (٧١٠٩). وعدد

(١) كذا الأصل، ولعلها: وأفقه فقهاء.

أوراقها ٢٢٨ ورقة. ومسطرتها ١٤×٢٠سم. وعدد الأسطر في كل ورقة ٢١ سطراً. وهي بخط نسخ مستعجل، وهي أقل وضوحاً من النسخة الأولى.

مكتوبة بخط رجب بن محمد سنة ١٠٨٣/ ١٦٧٢ كما نصَّ عليه الناسخ إذ يقول في الورقة قبل الأخيرة للنسخة: «تم نسخ كتاب خبايا الزوايا تأليف العالم العلامة، وخاتمة بلغاء العرب، وعمدة المحدثين المحققين المدققين شهاب الدين أحمد بن العلامة محمد قدس الله روحه، ونور ضريحه، وسقى روحه، ومتعه بقصور الجنان، وذلك يوم الاثنين سنة ثلاث وثمانين وألف على يد الفقير رجب بن محمد نزيل دمشق، غفر الله له ولوالديه والمسلمين...».

جاء في وجه الورقة الأولى: «حمداً لك اللَّهم يُطَوِّق جيدَ البلاغة نظمُ عقوده، ويَنْسِجُ بَنانُ البيانِ على منوال البراعةِ رقيق بروده، وشكراً تدفَّقَتْ مواردُه ومصادره، وغرِقَتْ في سواحله من كل وارد فكرٍ خَواطره، على نِعَمِك التي لا تفنى من معدنِ الوجود جواهرُها، ولا تَذْوِي فى حدائق الجود أزاهرُها...».

وجاء في وجه الورقة الخامسة عنوان النسخة ما نصه: «وسَمَّيْتُهَا: خَبَايَا الزَّوَايَا فِيمَا فِي الرِّجالِ مِنَ البَقايا».

وسأشير إليها بالرمز (ظ).

جـ- منهج التحقيق:

سيكون عملي وفقاً لما يلي:

١- اعتمدت نسخة السليمانية (س) في المتن، وقارنتها بنسخة الظاهرية (ظ).

٢- ذكرت الفروق بين النسختين في الحواشي.

٣- اعتمدت الرسم الإملائي الحديث، فأثبت الهمزات المهملة، وأعدت الألفات إلى أصلها دون الإشارة إلى ذلك في الحواشي.

٤- إذا وجدت تصحيفاً أو خطأً في إحداهما، وكان الوارد في الأخرى صحيحاً أخذت بالصحيح دون أن أشير إلى ذلك في الحواشي تجنباً للإطالة.

٥- خرَّجت الآيات القرآنية ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٦- قمت بتخريج الأحاديث النبوية مشيراً إلى مراجعها الأصليّة.

٧- قمت بتعريف الأعلام الذين وردت أسماؤهم في الكتاب، معتمداً على كتب التراجم، والكتب الأدبية، والتاريخية ما أمكن ذلك.

٨- قمت بشرح الكلمات التي اعتقدت أنها بحاجة إلى شرح، وذلك بشكل قصير متعلق بمعنى الكلمات في مواقعها على قدر الطاقة.

٩- قمت بذكر أصحاب الأشعار الواردة مجهولة القائل، وذلك اعتماداً على الدواوين الشعرية، والكتب الأدبية، وكتب التراجم قدر المستطاع.

١٠- قمت بتسمية بحر كل بيت شعر أو قصيدة.

١١- قمت بضبط النص قدر الإمكان، كما قمتُ بتشكيل الأبيات الشعرية كاملة.

١٢- أشرت إلى الروايات المختلفة للأبيات الشعرية، معتمداً على الدواوين الشعرية، وكتب التراجم، والكتب الأدبية.

١٣- قام الأستاذ محمد أديب الجادر بتذييل الكتاب بفهارس فنية متنوعة

في آخر الكتاب، ممّا يسهل على الباحث من خلالها الوصول إلى ما يتوخاه من أقرب طريق. تضم الفهارس ما يلي:

أ- فهرس الآيات القرآنية.

ب- فهرس الأحاديث النبوية.

ج- فهرس الأعلام.

د- فهرس الأمم والجماعات والفرق والشعوب والقبائل.

هـ- فهرس الأماكن والبلدان.

و- فهرس الكتب.

ز- فهرس الأمثال.

ح- فهرس الأيام والوقائع.

ط- فهرس الأشعار.

ي- فهرس المحتويات.

ك- قمت بسرد جريدة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في التحقيق.

١٤- وأثناء الفهرسة وجد الأستاذ الجادر ملاحظات آثرت أن تذكر باسمه حفظاً للحقوق، وامتناناً لقراءته، وقد جعلها مذيلة بحرف (ج) تمييزاً[١].

(١) أقول محمد أديب الجادر (ج): ولولا فضل الله أولاً وتضافر جهود الأساتذة الأستاذ الدكتور محقق النص محمد مسعود أركين مع إبراهيم صالح أبي سميح، وإبراهيم الزيبق أبي أويس وكاتبه أبي وائل ودأب المنضد عمار البخاري لما رأينا هذا العمل بهذه الصورة.

د- الرموز المستعملة في التحقيق:

﴿ ﴾ : القوسان المزَهَّران يحصران الآيات القرآنية.

« » : الهلالان الصغيران أو الفاصلات المزدوجة تحصر الأحاديث النبوية، أو أسماء الكتب الواردة أو بعض الأبيات الشعرية في النص.

[ ] : المعقوفتان تحصران الإضافات من خارج النص.

| | : الخطان العموديان يحصران كل زيادة تضاف من نسخة ثانية غير النسخة المعتمدة.

( ) : القوسان العاديان يحصران رموز المخطوطة.

هـ - نماذج من صور المخطوطات



الورقة الأولى من النسخة (س).

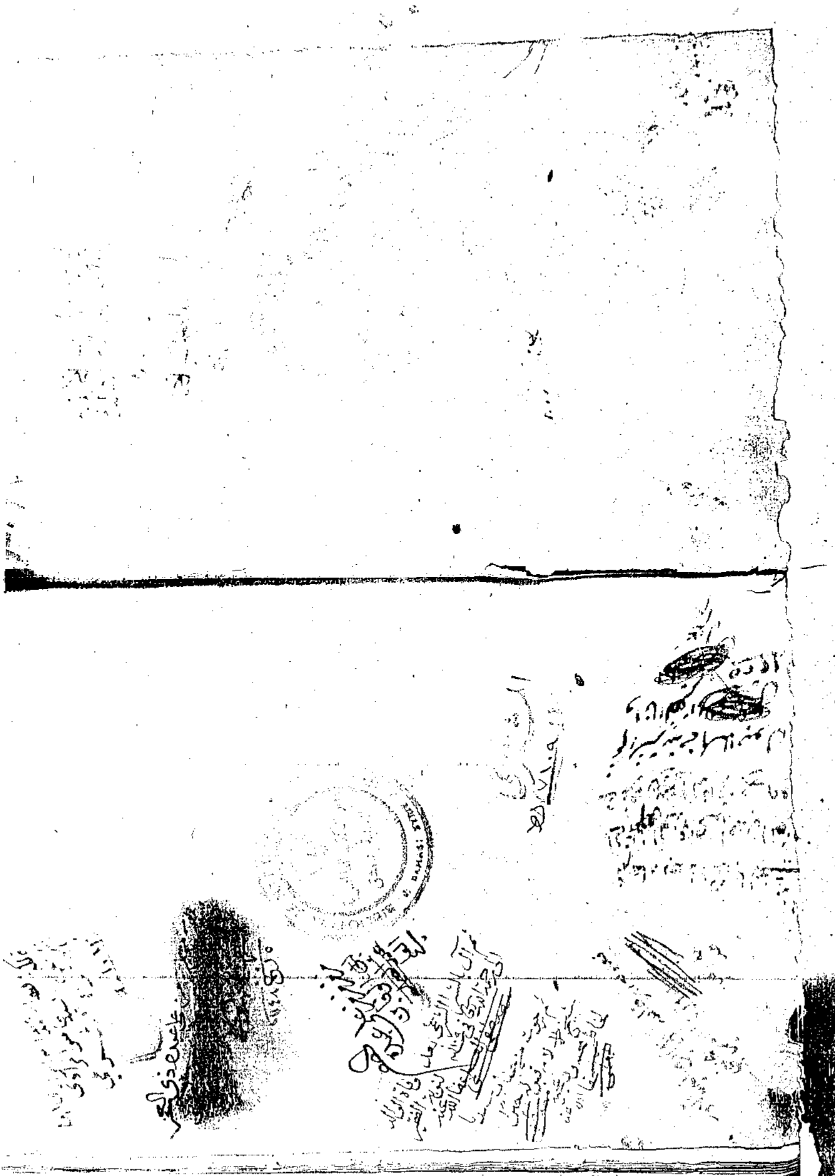
الورقة الثانية من النسخة (س).

الورقة السادسة عشرة من النسخة (س).

الورقة قبل الأخيرة من النسخة (س).

الورقة الأخيرة من النسخة (س).

الورقة الأولى من النسخة (ظ).



الورقة الثانية من النسخة (ظ).

الورقة الخامسة من النسخة (ظ).

الورقة قبل الأخيرة من النسخة (ظ).

الورقة الأخيرة من النسخة (ظ).

وافض علينا من نور العقل الفعال ما نطالع به بصايرنا
تواحيد الكاينات بالغدو والاصال فننشرح به
الصدور فنقول الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
ان ربنا لغفور واشرف الصلوة واكمل
السلام على واسطة عقد النبيين
والمرسلين الكرام سيدنا محمد
صلى الله عليه واله وصحبه
ما اشرق بدر التمام
وفاح مسك
الختام

٢٢٨

خَبايا الزَّوايا

فِيما في الرِّجالِ مِنَ البَقايا

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي

(٩٧٧-١٠٦٩ / ١٥٦٩-١٦٥٩)

[مقدمة المؤلف]

[١٣/أ]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبِهِ أَسْتَعِينُ

حمداً لك اللَّهم يُطَوِّق جيدَ البلاغة نظمُ عقوده، ويَنْسِجُ بَنانُ البيانِ على منوال البراعةِ رقيقَ بروده، وشكراً تدفَّقَتْ مواردُه ومصادره، وغرِقَتْ في سواحله من كل وارد فكرٍ خَواطره، على نِعَمِك التي لا تفنى من معدنِ الوجود جواهرُها، ولا تَذْوِي في حدائق الجود أزاهرُها.

وصِلات صَلاةٍ لناظم عقد الدين بعد نثره، المؤيّد بآياتٍ يتلوها لسانُ الدَّهْرِ حتى يطيرَ نَسْرُ السماءِ من وَكْرِه، كلَّتْ دونَها أَسِنَّةُ أَلْسِنَةِ(١) الطاعنين، وحُمِيَتْ حديقتُها بِشوْكِةِ الإعجاز فلم تَدْنُ منها يدُ أفكارِ المعارضين، فصار السابقون في ميدان البلاغة، المتميّزون بصناعةِ الصِّياغة، ما بين ساكتٍ أَلْفاً، ناطِقٍ خَلْفاً، ومُشَمِّرٍ ذَيْلَه، مُدَّرِعٍ لَيْلَه، مُسَرْبِلٍ سابغةَ دُجى، قَتِيرُها نجومُ ليلٍ سَجا، حتى اشْتَفَتِ الحياةُ من دائهم، وزال كلَبُ الكفرِ بما أُرِيقَ من دمائهم، فبيوتُهم خاويةٌ، وآثارُهم إثر بيوتِهم قافية.

---

(١) في (ظ): «ألسن».

وعلى آله الذين [١٣/ب] تَفتَّحَتْ لهم كمائِمُ المعاقل عن زهورِ النصر، وتتوَّج بتاجِ فخرهم رأسُ كلِّ عصر، لا زالَتْ سُحُبُ الرضوانِ المطَنَّبَةِ بالقطر مُخيِّمَة على مضاجِعهم، ولا برِحتْ تحايا المُزْنِ يتلوها لسانُ الرَّعْد على مسامعهم، ما سقى غديرُ المجرَّة رياضَ السماء، فزَها نرْجِسُ النجوم تحت بَنَفْسَج الظَّلْماء.

هذا، وإني كنتُ قبل أنْ تفرقَ مني الذَّوائب، وتُصْبِحَ أحشائي بلَظَى النَّوى والنَّوائِب ذَوائِب، والزَّمانُ كله ربيعٌ، ورَوْضُ الشَّبيبةِ مَرِيعٌ، أَعُدُّ الأدبَ عنوانَ صحائِفِ الشَّمائِل، وبَيْتَ القصيدِ في ديوانِ مآثرِ الأوائل، فأُنْفِقُ نقدَ عُمْري في سَلَم فوائده، وأُجْري حلبةَ الجِدِّ فى مراتعَ اقتناصِ أوَابده، وأَنْشُدُ ضالَّتَه فى المجامِع، وأملأُ بفرائده أصدافَ المسامع، وأَشِيمُ بَوارِقَ السَّحَر من آفاقه، وأَشْتَمُّ رِيحَ يوسفَ من أردانِه وأَطْواقه، فَأَرْتَشِفُ من مائه ما يَنِمُّ على ثَغْرِ الزُّجاجة، وأَشْتَفُّ ما أَسْأَرَتْهُ أنسابي من ذُؤابَةِ خفاجة: [الطويل]

صُبــــابَةُ مَجْــدٍ لم يُكَــدِّرْ جِمامَـــهُ وُرودُ الليـالي وَازْدِحـامُ الـشَّوائِبِ

وما زِلْتُ على هذا الحال، من لدن فارقَني الحال، فيا أيها الأدلّاء على ورْدِه العذْب[1] المصون، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]. لا دَأْبَ لي إلّا تلقي الرُّكبان لأَخْذِ تُحَفِ الأخبار، التي هي أَرَقُّ من دُمُوع الطَّلِّ في وجَناتِ الأَزْهارِ[2][3]: [الطويل]

ومَنْ يسْأَلِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غائِبٍ فـلا بُـــدَّ أنْ يَلْقَـى بَـشِيرًا وناعِيَـا

(١) ساقط من (ظ).

(٢) هذه الجملة ساقطة من (ظ).

(٣) البيت للشريف الرضي في ديوانه، ٢/ ٥٧١.

مما يشفي به الغليلُ، ويصِحُّ مِزاجُ النسيم العليل، وتَنْفَتِحُ منه في رياضِ المسامَرة، أجفانٌ وسنى من الأنوارِ الزاهرة، ويَحْسو فمُ السَّمْعِ ماءَ حياةٍ يُطِيل عمر المسرَّة، وتكْتَحِلُ عيونُ المآثر منه بما هو لِكُلِّ عينٍ قُرَّة، من كل فتى هو لربوع المجد باني، حتى كفلَ الثناءُ له بعمرٍ ثاني، يَشِيبُ بوجه السماء حاجبُ الهلالِ، ويشتعل رأسُ الشَّمسِ شيباً ولم تر له من مثال: [الطويل] [١٤/أ]

إذا ما رَوَى الإنسانُ أَخْبَارَ مَنْ مَضَى ... فتَحْسَبُه قدْ عاشَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ
وتَحْسَبُه قد عاشَ آخِرَ دَهْرِه ... إلى الحَشْرِ إن أَبْقَى الجميلَ[1] مِنَ الذِّكْرِ
فقد عاشَ كلَّ الدَّهْرِ مَنْ عاشَ عالِماً ... كريماً حَلِيماً فَاغْتَنِمْ أَطْوَلَ العُمْرِ[2]

وسِيَّانِ تَلفُّتُ المريض للطبيب، وفرحةُ الأديب بلقاء الأديب، لاسيما أهل العصر، الهاصري أغْصانَ المُنى أَلْطَفَ هَصْرٍ، القائلين فى رياضِها، الواردين نَمِيرَ حِياضِها، فقد سَرَتْ أَنفاسُهمْ مَسْرَى الأَرْواح في الأَجْساد، وأُثْنِيَ عليها ثناءَ النَّسيمِ على أيادِي العِهاد، وقد انتصر لكُلِّ عَصْرٍ مَنْ أحيا مَيْتَه، وعَمَرَ بَيْتَه، كصاحب «الذخيرة»، و«قلائد العِقْيان»، و«اليتيمة»، و«الدمية»، و«عُقود الجُمان»، وحَمِيَّةُ المرءِ لعصرِه، وقِيامُه على منابر نصره، من آيات الفُتُوَّةِ، التي هي على لسان المُروءة مَتْلُوَّة، وقد قالوا: ليس منا مَنْ لم يُفاخِرْ بأستاذه وإِسناده؛ إلا أن الأدب في هذه الأعصار، قد هبَّتْ عليه كلُّ سموم وإعصار، حتى جفتْ رياضُه وقلصَتْ ذيول ظلاله، وقام خطيب البلاغة[3] على منابر أطلاله، إذ عفا رَسْم الكرام، فعليه منَّا السلام، فرؤساؤه شعراء لا يشعرون، وما فيهم من صفاته إلا أنهم

(١) في (ظ): «جميلا».

(٢) الأبيات للقاضي الأرّجاني في ديوانه ٢/ ٦٧٢، والوافي بالوفيات ١/ ٥. (ج).

(٣) في (س): «البلا».

يقولون ما لا يفعلون، فإذا كَذَبَ مادِحُ أحدِهم اهْتَزَّ وطَرِبَ، وجازاه من سَرابِ وَعْدِه بكذبٍ على كَذِبْ. شعر: [البسيط]

فــلا تَلُومُـــوهُ في وَعْــدٍ يُـــرَدِّدُهُ في وَقْتِ مَدْحِي له عَلَّمْتُـهُ الكَذِبَا(١)

على أنهم كم هبَّتْ لهم أنفاسٌ تبسم لها ثغورُ الأقاح، مُزْرية بأنفاس الصَّبا في فم(٢) الصَّباح، يهُزُّ له الأدب هيفَ مَعاطِفِه، ويمدُّ لها النَّدى بِساطَ عواطفه، يتمسَّك نسيم اللُّطْفِ بأذيالها، ويتفيَّأ العُشَّاق في هجير الهجر ضافِي ظلالها، من كلِّ طارقٍ حديثٌ له وَشْيٌ يهزأ بوَشْي المَطارف، وتَزْهُو به الطُّرُوسُ على صفَحاتِ [١٤/ب] الخُدُودِ المحشاة بسطور السَّوالف، في كل ورقةٍ منها خمائل، تتدفق مياه فصاحتها بين الجداول: [الطويل]

تَكــادُ يَــدِي تَنْـدَى إذا مــا لَمَـسْتُها وَتَنْبُتُ في أطْرافِها الورقُ الخُضْرُ(٣)

من كلِّ لاحقٍ بالسابقين الأولين في تطبيق فخر معانيه، وإخراج مخدرات الخرائد من قصور مبانيه، وإن تأخّرَ عصرُه(٤) فلا بأس بتأخُّر(٥) النتيجة عن القياس، والأنوار والثمار عن الغراس، فالخدمُ تتقدم بين يدي السادة، والسنن تتقدم فروض العبادة، وتقدُّمُ رقم الآحاد، يزيد في مراتب الأعداد: [الكامل]

أَوَمـــا تَـــرى أنَّ النَّبِـــيَّ محمَّـــداً فــاقَ البَرِيَّـةَ وَهْـوَ آخِـرُ مُرْسَـلِ(٦)

---

(١) البيت لابن حكينا في معاهد التنصيص ١/ ١١٣. (ج).

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) للمجنون في ديوانه ١٣٠ أو لأبي صخر الهذلي ديوانه ٩٥ ضمن شعراء أمويون ج٤. (ج).

(٤) ساقط من (ظ).

(٥) في (ظ): «تأخر».

(٦) أقول (ج): جاء في يتيمة الدهر للثعالبي ١/ ٢٦:

وكــذاك قــد ســاد النبــي محمــد كــل الأنــام وكــان آخــر مرســل

فيا[١] من هم شامة مُحَيَّا الأيام، لقد كان لكم أسوة حسنة[٢] بسيد الأنام، ولا يضرُّ السِّنان، كونه في أطراف المُرَّان، على أنه قد تساوت الآصال[٣] والبُكَرُ، وتشابهت طُرَرُ العَشِيّاتِ والسَّحَرُ، وليس إلَّا للحسد رغبة الطباع، عن محاسن العصر وهي مِلْءُ الأفواه والأسماع: [الطويل]

وما شُكْرُهُمْ للمَيْتِ إلا لأنَّهُ ... بما حَلَّ في أَيْدِيهِمُ غَيْرُ طامِعِ

على أني أستغفر الله لمطايا طَلَبٍ قُيِّدت بالكلال، ورمَتْ في مشاعرِ الشعر جُمَّارَ الآمال، في دهرٍ وافيناه على الهرَم، وقَلَعْنا فيه ضِرْسَ النَّدم، شابَتْ بالصباح لَمَّةُ لياليه الدَّهْماء، ودبَّتْ[٤] نجومه خَرَفاً على عَصا الجوزاء، وأنا قد ذَبُلَ بالنوى عَيْشِي النَّضِرِ، ووَلِيْت مساحة الآفاق وخلافةَ الخَضِرِ[٥]: [البسيط]

كأَنَّكَ البَدْرُ والدُّنْيا مَنازِلُهُ ... فما تَلِيقُكَ[٦] إلَّا لَيْلَةً دارُ[٧]

تَتَهاداني التَّنائِفُ، وتَقْذِفُ بي في لهوات المخاوف، كأني سَغاةٌ بوجه نهر، أو قَذَاةٌ بعين الدهرِ، طَوْراً أُشَقِّقُ قلبَ الشَّرْقِ حتى كأني أُفَتِّشُ عن كافور[٨] فجْره، وتارةً أُمَزِّقُ فؤادَ الغرب حتى كأني أريد أن أُخْرِجَ منه دينارَ بدرِه، أُفَلِّي لُـمَّةَ ليلٍ

(١) في (ظ): «ويا».
(٢) ساقط من (ظ).
(٣) الآصال والأصائل: جمع أصيل، وهو وقت اصفرار الشمس قبل غروبها.
(٤) في (ظ): «ذبت».
(٥) البيت لأبي العلاء المعري في سقط الزند، ص١٨٨.
(٦) في سقط الزند: «تليقك».
(٧) البيت لأبي العلاء المعري في شرح سقط الزند ٥/ ٢٠٣٤. في (س): «دارا».
(٨) في (س): «كافورة».

دَجَا، شاب تحتها فَرْقُ ابنِ جَلا، وقد لاكَتْ أسنانُ السِّنين قواي، وارتحل مع الركب اليمانين هواي، يُخَيَّلُ لي أن البلادَ [١٥/أ] مَسامعُ صَبٍّ أنا فيها عذلٌ ومَلام، أو فكْرُ بَلِيدٍ أنا حوله معنىً دقَّ عن أن تَمَسَّه الأوهام، أو مُصْحَفٌ في بيتِ زِنْديقٍ، أو زاهدٌ في صَوْمَعَةِ بِطْرِيقٍ، أو بِكْرُ معنىً سار في مَثَل، أو قَصِيرُ عمرٍ جرى خلفه أجَلٌ، كما قيل: [البسيط]

كـــأنَّني خَـــبَرٌ لم يَـــرْوِه أحَـــدُ فلَـيْسَ يَعْرِفُـهُ في النـاسِ مِـن أَحَـدِ

كأن له على أهلِ عصره ثار، فكل من رآه منهم أمعن الفرار[١]: [الطويل]

كـأنَّ لــه دَيْنـاً عــلى كُــلِّ مَــشْرِقٍ مِنَ الأرض[٢] أو ثَأْراً لدى[٣] كُلِّ مَغْرِبِ

فأنا كمالٍ بِكَفِّ جَواد، أو حديثٍ موضوعٍ لدى حُفَّاظٍ ونُقَّاد، أَرِدُ مَوارد الحوبِ، مُكَدَّرَةً بقَذى الخُطُوبِ، فلا أَقِرُّ ببدْوٍ ولا حضارة، كأني من الشُّهُبِ السَّيَّارة، وقد قيل: إن الألقابَ تَنْزِلُ من السَّما، ولكلٍّ منِ اسمِهِ نصيبٌ انحَطَّ أو سما: [البسيط]

وَقَـلَّ مـا مُلِئَـتْ[٤] عَيْنَـاكَ مِـنْ رَجُـلٍ إلَّا وَمَعْنَـــاهُ إِنْ فَتَّـــشْتَ في لَقَبِـــهْ

فَالوَحْشُ[٥] أصحابي وأهلي، ووطني حيث حَطَّتِ العِيسُ رَحْلي، والدهر لي بين إبراقٍ وإرعادِ، والخواطر في مَهامِهِ الحيرة بين إِتْهَامٍ وإنجادِ، والزمان يُضْمِرُ سلْبَ ما أَوْلاهُ بُخْلاً وإن جاد[٦]، وأَعيانُهُ ألسنتهم عن الإجابة صُمَّتٌ، وآذانهم عن وفود

(١) البيت لأبي تمام في ديوانه، ١/ ١٣٠.

(٢) في الأصلين: «من الناس»، والمثبت من الديوان.

(٣) في (ظ): «لذي».

(٤) في (ظ): «قلبت».

(٥) في (س): «فلوحش».

(٦) هذه الجملة ساقطة من (ظ).

الشكاية صُمَّتْ، قد خلا من المكارمِ مَغْناها، وأصبح لا يُجاوبُ البومَ إلَّا صَداها، وكل حُرٍّ بها غريب، وكل من فيها رقيب، وليس فيها حبيب: [البسيط]

أَصْبَحْتُ فِيمَنْ لهُ دِينٌ بلا أَدَبٍ وَمَنْ لَهُ أدَبٌ عارٍ[1] مِنَ الدِّينِ
أَصْبَحْتُ[2] فِيهِمْ غَرِيبَ الشَّكْلِ مُنْفَرِداً كَبَيْتِ حَسَّانَ في دِيوَانِ سُحْنُونِ[3]

لكنَّني مع تَفاقُمِ أهوالِه، ودروس رَسْمِ السرور في أَطْلالِهِ، وإن توسَّدْتُ ذراع الهمِّ تحت برود دَياجِيه، وقطعتُ ظلام اليَأْسِ ببدور أمانيه، أتعلّلُ بأن السيفَ لا يقطع[4] في قِرابِه، والليثُ لا يفترس في غابه، ولولا مفارقة القوسِ ما أصابَ السَّهْم[5]، ولولا بُعْدُ الدُّرِّ عن الصَّدف ما فاز من الجِيْد بأَوْفَرِ سهم، [١٥/ب] فلذلك أضاحكُ مَباسِمَ الأماني، وأغازلُ عيونَ التَّهاني، وأُنَزِّه طَرْفي في رِياضِ الدَّفاترِ، وإن لم أَلْتَقِ مع السرور إلَّا في ظلِّ طائرٍ، فزمان مسرَّتي أقصرُ من عمر الكرام، وفؤادي لم يهتدِ إلى طُرقِ سُلْوَة المُدام، في أُوَيْقاتٍ أثقل من السؤالِ، وأطول من عمر الآمالِ، وأَشْأَمُ من وجه حَبَّاسٍ، وأثقل من غريم على إفلاسٍ، لا سَميرَ لي أُجالسُه، ولا نديمَ عندي أؤانِسُه، سوى أوراقِ كتُبٍ خَلَعْتُ عن

---

(١) في (ظ): «خال».

(٢) في (ظ): «وصِرْتُ».

(٣) هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي الملقب بسحنون (١٦٠-٢٤٠ / ٧٧٧-٨٥٤): فقيه، ولي القضاء بالقيروان، وارتحل، وحج. من مؤلفاته: «المدونة» في الفقه المالكي. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٣/ ١٨٠؛ معجم المؤلفين، ٢/ ١٤٦.

(٤) في (ظ): «بقطع».

(٥) في (ظ): «سهم».

مَنْكِبِ الإقبال بُرْدَها الخليع، وجعلتُها كَبَيْتِ العَروض معدّةً للتقطيع، فوجدتُ فيها نُبَذاً من محاسن العصر أَسَرَّها في خاطره، شاهدةً لقولِ خاتم الرسالة: «أُمَّتِي كالمَطر لا يُدْرى الخَيْرُ في أَوَّلِه أمْ في آخِرِه»(١)، ما بين ساكن مُخيَّم البِلى كَسِرٍّ في صدره، وباق على هامة الليالي، تعبق أنفاس الرواة بطيب نشره، ممن امتطيْتُ لرؤياه أيام عمري، أو نابتْ عنّي في مشاهدته عين عصري، فاجتلوتُ مُحَيَّاه، أو رأيتُ من رآه، حتى طَرِبْتُ على السماع، وعرفتُ أن الخبرَ طَيْفُ الاجتماع، وإذا الحِبُّ منوعٌ(٢)، والصبُّ قَنُوعٌ، يتعلّلُ ببارِقِ ثَنِيَّةٍ، ويكفيه إشارة أو تَحِيَّة، فجمعتُ منها ما هو لطرف الدهرِ حَوَرٌ، ولجيد الدهر(٣) عقد تبسم بثنايا الدُّرَر، ولكأسِه خِتام، ولدُرِّ حَبابِه نِظام، يُذكِّرُ عُهودَ المودة، ويفتح في رياض المذاكرة نَسْرِينَه ووَرْدَه، ويندب(٤) من ألقى إلى الغِنى قِيادَه، ويُلبِسُ عليه وجه الطِّرْسِ حِدادَه، وتسيلُ في عاتق المحاسن غَوالِيا، وتَرِقُّ فلا يُدرى اللفظُ هي أم دَمْع تَرَقْرَق جارِياً، وتسجُدُ الأقلامُ في طِرْسِها لأنه للمحاسن جامِعُ، ويودُّ كلُّ عُضوٍ إذا تُلِيَتْ آياتُها لو أنه مسامِعُ، وربما دخلها [١٦/أ] الشخص في خدمة سواهْ، وذكر فيها الشيء بشفاعة ما وافق معناهْ، وهي وإن كانت عِقداً انْتَثَرَ دُرُّه، وأُفقاً تبدَّدَتْ بيد الصباح زُهْرُهْ، ونوراً(٥) نثرَتْهُ يَمين الشمال، فانتظم سِمْطاً في ترائبِ

(١) حديث رواه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٠) عن أبي نجيد. والشهاب في مسنده (١٣٤٩) عن ابن عمر. (ج).

(٢) في (س): «ممنوع».

(٣) في (ظ): «الزمان».

(٤) في (ظ): «وتندب».

(٥) في (س): «ونور».

الماء السلسال[(١)]: [الكامل]

فَلَــرُبَّما نُثِــرَ الجُــمَانُ تعمُّــدًا   لِيَعُودَ[(٢)] أَحْسنَ في النِّظامِ وأَجْمَلَا

وسَمَّيْتُهَا:

«خَبايا الزَّوايا فِيما فِي الرِّجالِ مِنَ البَقايا»

ولما وشَّحْتُ صفحاتِ ترائبِها بعُقود المحامد، أردتُ أن أُذَهِّب فاتِحَتَها بسمتِ كريمٍ ماجدٍ، فلم أرَ لها أهلاً، يقول لضيف آدابها أهلا، غير مولى الموالي وصدر الصدور، من شرح الله بنسماتِ لُطْفه الصدور، فإذا عُدَّتْ للكرام المآثر، سجدتُ له في محاريب الأكُفِّ الخناصر: [الطويل]

ولَــمَّا انْثَنَــتْ مِنَّــا عَلَيْــهِ خَنَــاصِرٌ   جَعَلْنَــا حُــلَى تَخْتيمِنَــا لِلْخَنَــاصِرِ

مَنْ مكارمه جمال الكتب والسير، وقِرَى الأسماع والألباب في مأدُبَة السمر، وفضائله كلما دعت لبَّتِ اليَرَاعَة، وأجابت أبِيّاتُ الأَفهامِ سمعاً وطاعةً، وبوارقُ بشرِهِ، تقيم لِمَحْل الزمان عُذْراً، وتعلم أن الليالي وفَتْ به نذراً، علوُّ هِمَمه خلفها المعالي تسير، وإليها كف الثريا في السماء تشير، فرياض آدابه ناضرة، ولها عيون الأزهار في الرياض ناظرة، منثورها أحسن من منثور اللآلي، وأطيب من نثار

(١) البيت لابن خفاجة الأندلسي في ديوانه، ص٣٦١. وهو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي (٤٥٠-٥٣٣ / ١٠٥٨-١١٣٨): شاعر غَزِل، من الكتاب البلغاء، غلب على شعره وصف الرياض ومناظر الطبيعة. ولد بجزيرة شُقْر من أعمال بلنسية في شرقي الأندلس، وتوفي بها. لم يتعرض لاستماحة ملوك الطوائف مع تهافتهم على الأدب وأهله. وله «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ١/ ٥٦؛ الأعلام، ١/ ٥٧؛ معجم المؤلفين، ١/ ٥١.

(٢) في الديوان: «ليُعاد».

الأنوار بيد الشمال، ومنظومها يقطر منه ماء الفصاحة جماما، فيكذبُ أن العروضَ لهُ بحرٌ بلا ما، وفضائله على فَرْقِ الفرقدين تعلو، وجميل ذكره على مرِّ الدهور[١] كلما كرر شكره يحلو، وأيامه مواسم الإفضال، فلذا تُجلب لها من كل فجٍّ بضائعُ الآمال.

[١٦/ب] شيخ الإسلام، ابن[٢] شيخ الإسلام، من أعتق الله به رقاب الأماني من أسر اللئام[٣]، يحيى بن زكريا الذي رفَع الله به الفضائلَ مَكاناً عَلِيًّا، وأحلَّها بناديه ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]، فأصبح الزمان، يتلو مدحه بكل لسان: [الخفيف]

لـيسَ كـلُّ الثَّنـاءِ بـالنُّطْقِ[٤] يُـرْوَى   أَرَجُ المِسْكِ مِدْحَةُ الغِـزْلانِ

مدَّ الله حياته وأبقاه، ما قَصَّرَتْ أوصاف المادحين عما حواه، فإن عذبتْ لديه مواردها، فلينْظُمْ في سلك الدعاء فرائدها، وإن عثر فيها على كَبْوَهْ، فليمدّ كفّ الصَّفْح لها عَفْوَه[٥]: [الطويل]

عـلى أنَّنِـي رَاضٍ بـأَنْ أَحْمِـلَ الهَـوَى   وأَخْلُـصَ منـهُ لا عَـلَيَّ ولا لِيَـا

وها أنا ذا أُمتِّع النواظرَ والأسماع، بربيع ألمى الظلال أحوى التلاع، فإن عَنَّ لك ما لم تترنحْ أعطافه لهذا النسيم، فتمتَّعْ من شميم عرار نجد فما بعده شميم، فليس[٦]

(١) «على مر الدهور» ساقط من (ظ).

(٢) في (ظ): «بن».

(٣) هذه الجملة ساقطة من (ظ).

(٤) في (ظ): «النطق».

(٥) البيت للمجنون الديوان ٩٢.

(٦) في (ظ): فليس لي!.

من ليلي ولا سمره، ولا مما يُهدى لأندية الأدب باكورة ثمره، فكم من أشعار هي للمنع أعذار: [الكامل]

تــالله مــا بَخِــلَ الكِــرَامُ وإنَّــما لِـبُرُودَةِ الأشْـعَارِ قـد جَمُـدَ النَّـدَى

فما كلُّ مرتفعٍ نجد، ولا كلُّ وادٍ يُنْبِتُ البانَ والرند، وما كلُّ شجرةٍ تثمر بعد نمائها، ولا كلُّ بارقة تجود بمائها.

اللهم ببركة سيد الأنام، [عليه أشرف الصلاة والسلام][1]، كما يسَّرْتَ لنا الابتداءَ يَسِّرِ الاخْتِتامَ، صارفاً حبائل القضا، ناظراً إلينا بعين الرِّضا.



(١) هذه الجملة زيادة من (ظ).

القســم الأول

في محاسن الشام ونواحيها

ومَن نَبَغَ بِسُرَّة رُباها وبطن واديها، ممن تغذَّى بنسيمها وتربَّى في حُجور نَعيمها، وقال في ظلال رياضها المتعانقة هوىً ووُدًّا، وتعطَّرَ بأنفاسِ شمائلها التي صارتْ للنَّدِّ نِدًّا، [١٧/أ] وترَوَّى بمائها العذب، واجتنى من لؤلؤها الرَّطْب، فهو[1] ماء الحياة في جميع الصفات، إلا أنه أُخرج[2] من النور لا من الظلمات.

(١) في (ظ): «ما هو».

(٢) في (ظ): «خرج».

[١]
الشيخ أحمد العِنَايَاتِي الشامي(١)

خِدْنُ السَّدادِ والصلاح، شقيق النَّدَى وتِرْبُ السَّماح، روضُ بلاغته غَضٌّ ناضِر، يحارُ محاورهُ، حتى يقول: ما هذا شاعر بل ساحر؛ فكم خلب الأسماع بنفاثاته، ونسج على منوال البراعةِ حُلَلَ عِناياته.

وله حسبٌ تليد، وباعٌ في المكارم مديد، لم يُسَطَّرْ مثل حسناته في صحائف الزمان، ولم تُمَلَّأْ بأنفس من فرائده حِقَاقُ الآذان، فيا لها فرائد إذا حازها مفتقر للبيان أغناه ياقوتها وجوهرها، وخرائد تحلَّتْ ببدائع الحسن والإحسان، منظرها طَيِّبٌ ومَخْبَرُها، صدَحتْ على أغصانِ براعتها حمائِمُها، وفاحَتْ أنوار يَراعتها وقد فُضَّ عنها من الطُّروسِ كمائمها، وطلعتْ شمسُ الفصاحة من مطالعه، وتفجَّرَتْ عيون البلاغة من منابعه.

وهو الآن في جبهة الشام غُرَّة، وفي رياضها النضرة زهرة، وفي سماء معاليها

---

(١) أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم النابلسي العناياتي (٩٣٢-١٠١٤ / ١٥٢٥-١٦٠٥): شاعر، ولد بمكة، اشتهر بالعناياتي نسبة للقب أبيه. واستقر بدمشق وأقام مرة في جامع هشام بن عبد الملك جهة سوق جقمق، ثم سكن المدرسة البادرائية، فجاور بها في إحدى حجراتها حتى توفي. من مؤلفاته: «ديوان شعر» لا يزال مخطوطا، و«الدرر المضية في الأدب والأخلاق المرضية» وهو أيضا مخطوط. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٧؛ تراجم الأعيان، ١/ ٩٢؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٦٦؛ ديوان الإسلام، ٣/ ٣٠٧؛ لطف السمر، ١/ ٢٨٠؛ إيضاح المكنون، ١/ ٥٢٠؛ هدية العارفين، ٥/ ١٧٦؛ الأعلام، ١/ ٨٨؛ معجم المؤلفين، ١/ ٩٥؛ علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ١/ ١٥٦.

الزاهية زهرة المسرّة، وقد حَلَّى بحُلَلِ الزُّهْدِ كمَالَه، ورأى بعين البصيرة أَسْمَالَهُ أَسْمَى لَهْ، فلم يحتفلْ بأمر غدٍ، ولم يرَ أيَّ يوميه نَكِدٌ أم رَغد، عفُّ السريرةِ، طاهِرُ الأثواب، مَرْسلا سرح قناعته في خمائل الخمول الرحاب، لم يَشْرَقْ فم أمانيه بسؤال، ولم يتجرَّعْ على ظَمأ فقرِه ماء الآلْ، ولم يأْلَفْ سَكناً، ولم يتَّخِذْ له مَسْكَنا: [الرجز]

فمَـنْ رَأى مِـنْ قَبْـلِ هـذا شـاعِراً لَـيْسَ لـه في النـاسِ بَيْـتٌ يُعْـرَفُ

كما وصف زِيَّه، بقوله في قصيدته الزائية: [المتقارب]

إذا لم أَعِـــزَّ فمَـــنْ ذا يَعِـــزُّ وفَقْــرِي وقَنْعِــيَ كَنْــزٌ وحِــرْزُ
لَبِسْتُ مِنَ اليأْسِ في الناسِ بُرْداً عليـه مـن العَقْـلِ والفَـضْلِ طَـرْزُ [١٧/ب]
ولَــسْتُ أرَى الــذُّلَّ إلا إذا كـا نَ لِي[١] الحُبُّ والذلُّ في الحُبِّ عِزُّ
ومِــثْلِيَ حــرٌّ عبَــاه[٢] غِنــاهُ إذا اسْــتَعْبَدَ النَّــاسَ خَــزٌّ وبَــزُّ

وكان كثيراً ما يقول: العمر غنيمة فلا تُكَدِّرْ صفوَ اليوم بما لم تدر من نَكَدِ الغد. قلتُ مثلَه: إن أبا علي ابن سينا قال في بعض رسائله: لا يجتمع الإيمان وهَمُّ غدٍ في قلب امرئٍ أبدا، وقد كنتُ نظمتُ هذا فقلتُ: [السريع]

مَــنْ يَــتْرُكِ الــدُّنْيَا يَـسُدْ أَهْلَهَــا وَيَقْتَطِـــفْ زَهْرَتَهَـــا بِاليَـــدِ
لا تَــسْكُنُ التَّقْــوَى ولا حِكْمَــةٌ مَنْــزِلَ قَلْــبٍ فيــه هَــمُّ الغَــدِ

ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه: بقية عمر المؤمن ما لها ثمن، تدرك ما أفات، وتُحيي ما أمات[٣].

(١) في (ظ): «في».

(٢) في ريحانة الألبا: «عَباة»، ١/ ١٨.

(٣) انظر صفحة ٦٧، سيذكره من قول علي بن أبي طالب. (ج).

ونظمه البُسْتِي[١] فقال[٢]: [البسيط]

بَقِيَّـةُ العُمـرِ مـا عِنْـدِي لَهـا ثَمَـنٌ ... وإِنْ غَـدا خَـيْرَ مَحْبُـوبٍ مِـنَ الـثَّمَنِ

يَسْتَدْرِكُ المَرْءُ فيهـا مـا أَفَـاتَ ويُحْـ ... ـيِي ما أماتَ ويَمْحُو السُّوءَ بالحَسَنِ

ومن رباعيات سديد الدولة الأنباري[٣]: [الدوبيت]

الآنَ ومـاءُ رَوْضَـةِ العُمْـرِ نَـدِي ... لا تَخْلُ مِنَ الكُؤُوسِ والـرَّاحِ يـدِي

في بَـاقِي العُمْـرِ فُـزْ بِعَـيْشٍ رَغِـدِ ... إنَّ الـــدُّنْيا إذا مَـــضَتْ لم تَعُـــدِ

ومن شعر الشيخ أحمد العِنَايَاتِي، قوله: [البسيط]

قَلْبِـي عـلى قَـدِّكَ المَمْـشُوقِ بِـالهَيَفِ ... طَيْرٌ على الغُصْنِ أم هَمْزٌ عـلى الأَلِـفِ

وَهَـلْ سُـوَيْدَاهُ أَمْ خَـالٌ بِخَـدِّك أَمْ ... خُوَيْـدِمٌ أَسْـوَدٌ في الرَّوْضَـةِ الأُنُـفِ

وهَـــذِه غُـــرَّةٌ في طُـــرَّةٍ طَلَعَـــتْ ... أَمْ بَـدْرُ تِـمٍّ بَـدَا في ظُلْمَـةِ الـسُّدَفِ

تَخْفَى النُّجُـومُ بِنُـورِ البَـدْرِ وَهْـوَ بِنُـو ... رِ الشَّمْسِ وَهْيَ بنورٍ منكَ غَـيْرُ خَفِـي

---

(١) هو أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي (ت:٤٠٠/ ١٠١٠): شاعر، ولد في بست قرب سجستان وإليها ينسب، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين. وخدم ابنه يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين، ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريباً في بلدة أوزجند ببخارى. له «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٣/ ٣٧٦؛ ديوان أبي الفتح البستي (دراسة المحققَيْنِ)، ص٣؛ الأعلام، ٤/ ٣٢٦؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٤٩٧.

(٢) ديوانه، ص١٨٥.

(٣) هو محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن رفاعة الشيباني، المعروف بابن الأنباري سديد الدولة (ت: ٥٥٨/ ١١٦٣): من الكتاب والوزراء، أقام بديوان الإنشاء خمسين سنة، بينه وبين الحريري صاحب المقامات رسائل مدونة، وعاش نيفاً وثمانين سنة. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٠. وفي الأصل: سديد الدين.

يا بَدْرُ قَلْبِي وطَرْفِي منكَ مُنْتَصِفٌ ... بِالوَصْلِ منكَ وهذا غَيْرُ منْتَصِفِ
القَلْبُ واصَلْتَ فيه وَصْلَ مُمْتَزِجٍ ... والطَّرْفُ صَدَّيتَ(١) عنه صَدَّ مُنْحَرِفِ
ظَبْيٌ تألَّفْتُ منه غَيْرَ مُؤْتَلِفٍ(٢) ... غُصْنٌ تَعَطَّفْتُ منه غَيْرَ مُنْعَطِفِ
شِفاءُ حَرِّ غَلِيلي بَرْدُ رِيقَتِهِ ... والبُرْءُ مِنْ دَنَفِي في لَحْظِهِ الدَّنِفِ [١٨/أ]
وَيْلاهُ مِنْ وَرْدِ خَدٍّ غيرِ مُقْتَطَفٍ ... منه ومِنْ بَرْدِ رِيقٍ غيرِ مُرْتَشَفِ
عَذَلْتُ عاذِلَ عِشْقِي في مَحَبَّتِهِ ... فَاعْجَبْ لِذي شَغَفٍ يَلْحِي على الشَّغِفِ
يَظُنُّ أَنَّ سِوَاهُ منه لَهُ خَلَفٌ ... أساءَ في الظَّنِّ هل لِلرُّوحِ مِنْ خَلَفِ
عُذْرِيُّ عِشْقِيَ عُذْرِي فيه مُتَّضِحٌ ... كوَجْهِهِ وَهْوَ مِثْلُ الشَّمْسِ في الشَّرَفِ
فَنِيتُ سُقْماً بِخَصْرٍ منه مُخْتَصَرٍ ... وزِدْتُ وَجْداً بِرِدْفٍ فيه مُرْتَدِفِ
وباتَ دَمْعِي وخَدِّي جِدَّ مُتَّفِقٍ ... فيه وطَرْفِي ونَوْمِي(٣) جِدُّ مُخْتَلِفِ
يَطِيرُ قَلْبِي إلى أَلْحَاظِهِ شَغَفاً ... فَاعْجَبْ له كَيْفَ يَرْمِي السَّهْمَ بالهَدَفِ
يا أيُّها الرَّشَأُ الضَّارِي على مُهَجِ الـ ... ـآسادِ بالسَّيْفِ مِنْ جَفْنَيْهِ لم يَخِفِ
بِما بِحُسْنِكَ مِنْ تِيهٍ ومِنْ صَلَفٍ ... وما بِعِشْقِيَ مِنْ ذُلٍّ ومِنْ كَلَفِ
اللهَ في كَبِدٍ للوَجْدِ في كَمَدٍ ... إليكَ أَسْرَفَ فيها الشَّوْقُ في السَّرَفِ(٤)
ومُغْرَمٍ ما لَه مِنْ مُسْعِفٍ لَعِبَتْ ... به اللَّوَاعِجُ لِعْبَ الرِّيحِ بالسَّعَفِ
أَشْفَى مِحَاقُ الضَّنَى لَمَّا هَجَرْتَ به ... على التَّلافِ ولَوْ وَاصَلْتَهُ لَشُفِي
يا باخِلاً بلِقاهُ باذِلاً لِدَمِي ... فالوَعْدَ يُخْلِفُ منه والوَعِيدُ يَفِي
حُزْتَ الجمالَ أَلَا تُولِي الجَمِيلَ فقَدْ ... يُصادَفُ الحُسْنُ للإِحْسَانِ في الصَّدَفِ

---

(١) في (س): «وليت».
(٢) في (س): «ملتفت».
(٣) في (ظ): «ونومي وطرفي».
(٤) في (ظ): «بالسرف».

تذييل وتكميل

اعترض بعضُ أدباء الشام على مطلعه بأنه لا وجه لتشبيه القلب بالهمز، وَوُجِّهَ بأنه لما شبهه بطائر على غصن بنى على تنْزيله مَنْزلة المحقَّق تشبيهاً آخر لأن الطائر يشبه بالهمزة وعكسه، كما قال بعض المتأخرين[1] يصف قصيدة همزية: [الخفيف]

والقَوَافِي حَنَّتْ إليكَ حَنِينِي ... فتَأَمَّـــلْ فَهَمْزُهـــا وَرْقـــاءُ

وقوله «والبُرْءُ من دَنَفِي...» إلى آخره كقول ابن مطروح[2]: [الرمل]

أَشْـتَكِي سُـقْمِي إلى أَجْفَانِـهِ ... ومتـى يَـشْفَى سَـقامٌ بِـسَقَمْ

ولابن النَّبيه[3]: [الكامل] [١٨/ ب]

وَرَنـــا بِطَـــرْفٍ فـــاتِرٍ فَكأَنَّـــهُ ... أَهْدَى الـسَّقَامَ لِمُـدْنَفٍ مِـنْ مُـدْنَفِ

(١) في (ظ): «السراج الوراق» بدلا من «بعض المتاخرين».

(٢) هو يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين المصري جمال الدين أبو الحسن المعروف بابن مطروح (٥٩٢-٦٤٩ / ١١٩٦-١٢٥١): أديب شاعر، كاتب. ولد بأسيوط ونشأ بها. وتنقلت به الأحوال والخدم والولايات حتى اتصل بخدمة الملك الكامل بن العادل بن أيوب، وجعله ناظراً على الخزانة في مصر، ثم خدم الملك الصالح، ووزر له بدمشق، ثم عزله وتغير عليه. توفي بالقاهرة. له «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٦/ ٢٥٨؛ سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ٢٧٣؛ شذرات الذهب، ٧/ ٤٢٧؛ هدية العارفين، ١/ ٥٢٣؛ معجم المؤلفين، ٤/ ١٠٩؛ الأعلام، ٨/ ١٦٢. البيت في ديوانه، ص١٧٥، ص٣٧ (ط دار الكتب المصرية).

(٣) هو علي بن محمد بن الحسن بن يوسف أبو الحسن كمال الدين ابن النبيه (ت: ٦١٩/ ١٢٢٢): أديب، شاعر، كاتب، منشئ، من أهل مصر، مدح الأيوبيين، وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى، ورحل إلى نصيبين، فسكنها وتوفي بها. له «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٧/ ١٥١؛ الأعلام، ٤/ ٣٣١؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥٠٠. والبيت في ديوانه ١٩٩.

وهو كثير في الشعر[(١)] وأصله قول المتنبي[(٢)]: [البسيط]

أَعَــارَنِي سُــقْمَ عَيْنَيْــهِ وَحَمَّلَنِــي   مِـنَ الهَـوَى ثِقْـلَ مـا تَحْـوِي مَـآزِرُهُ

وقوله «فاعجبْ... إلخ» معنى لطيف إلا أنه من قول ابن لؤلؤ[(٣)] الذَّهَبِي[(٤)]: [المتقارب]

يَطِــيرُ فُــؤَادِي لأَلْحَاظِــهِ   غَرامـاً وشَـوْقاً وفيهـا التَّلَـفْ

فَيَـا مَــنْ رَأى قَبْلَهــا أَسْــهُماً   يَطـيرُ اشْـتِيَاقاً إليهـا الهَـدَفْ

ومنه أخذ ابن نُبَاتَة[(٥)] [المصري][(٦)] قوله[(٧)]: [الكامل]

صَـيَّرْتَ نَـوْمِي مِثْـلَ عِطْفِـكَ نـافِرَا   وتَرَكْـتَ عَزْمِـي مِثْـلَ جَفْنِـكَ فـاتِرَا

---

(١) «في الشعر» ساقط من (ظ).

(٢) ديوانه، ص١/ ٤٤٩.

(٣) «ابن لؤلؤ» زيادة من (ظ).

(٤) هو يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي، بدر الدين (٦٠٧-٦٨٠ / ١٢١٠-١٢٨١): من شعراء الدولة الناصرية بدمشق، كان كثير المقطعات اللطيفة، وكان أبوه «لؤلؤ» مملوكاً، أعتقه الأمير بدر الدين صاحب «تل باشر» في شمالي حلب. توفي بدمشق. وله «ديوان شعر».انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٤/ ٣٦٨؛ شذرات الذهب، ٧/ ٦٤٤؛ معجم المؤلفين، ٤/ ١٧٨. والبيتان ليسا في المجموع من ديوانه

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر جمال الدين المعروف بابن نباتة المصري (٦٨٦-٧٦٨ / ١٢٨٧-١٣٦٦): شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة. من مؤلفاته: «ديوان شعر»، و«سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون» كلاهما مطبوع، و«سجع المطوق» في التراجم وهو مخطوط. انظر مصادر ترجمته: البدر الطالع، ص٧٦٩؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٦٧٦؛ الأعلام، ٧/ ٣٨.

(٦) زيادة من (ظ).

(٧) ديوانه، ص١٨٩.

وسَـكَنْتَ قَلْبـاً طـارَ فِيـكَ مَـسَرَّةً أرَأَيْـتَ وَكْـراً قَـطُّ أَصْـبَحَ طـائِرَا

وقوله أيضاً: [الكامل]

يــا أَيُّهَــا المَــلاُّ المِــلاحُ افْتُــونِي مَــنْ ذا أَبَــاحَ لَكُــمْ دَمَ المَفْتُــونِ
مِــنْ كُــلِّ أَسْــمَرَ سَــنَّ قَتْــلَ مُحِبِّــهِ بِــسِنانِ أحْــوَرِ طَرْفِــهِ المَــسْنُونِ
قَمَــرٌ لَــهُ فِي القَلْــبِ أَشْرَفُ مَنْــزِلٍ إنَّ المَكــانَ مُــشَرَّفٌ بِمَكِــينِ
رَوْضٌ نَــضِيرٌ لم يَــرُدْهُ نــاظِرٌ إلَّا ورَدَّ عُيونَــهُ بِعُيُــونِ
يَحْمِــي بِنَرْجِــسهِ أَقَــاحِيَ ثَغْــرِهِ ويَــصُونُ وَرْدَ الخَــدِّ[1] بالمَرْسِــينِ[2]
وحَيَاتِــهِ وَهْــيَ اليَمِــينُ وإنَّهَــا وحَيَاتِــهِ عِنْــدِي أَبَــرُّ يَمِــينِ
مــا خُنْتُــهُ إنِّي وشَــخْصُ جَمالِــهِ حَيْــثُ اتَّجَهْــتُ عَــلَيَّ مِثْــلُ أَمِــينِ
قَــرَنَ الــوِدَادَ لــه فُــؤادِي بالأَسَــى أكــذا يُجــازَى وُدُّ كُــلِّ قَــرِينِ
فَاتْرُكْ حَدِيثَ شُجُونِ مَنْ قتَلَ الهوَى قَبْلِي وخُــذْ مِنِّــي حَدِيثَ شُــجُونِي
قَــسَماً لَــوَ انَّ العــامِرِيَّ مُعَمَّــرٌ مــا جُــنَّ إلا مُعْجَبــاً بِجُنُــونِي
والعَقْــلُ مَعْقُــولٌ بِثَغْــرٍ فيــه هــا تِيــكَ الثَّنَايــا مِثْــلُ مِــيمِ سِــينِ
يــا ذَا المَلَاحَــةِ والــذي بِجَبِينِــهِ في لَيْــلِ كُــلِّ مَلَامَــةٍ يَهْــدِينِي
لا يَطْـرُقَنَّ اللَّـوْمُ بـابَ مَـسَامِعِي وَعَلَيْـهِ مِـنْ صُـدْغَيْكَ كَـالزُّرْفِينِ[3]
[١٩/أ] يـا لائِمِـي لَـكَ فِي المَلامَـةِ دِينُـكَ الـ ـوَاهِي كَـما لِي فِي الـصَّبَابَةِ دِينِـي
لا يَخْطُـرُ الـسُّلْوَانُ عنـه بِخـاطِرِي إلَّا وَرُدَّ مِــنَ الجَــوَى بِكَمِــينِ
كَمْ خُضْتُ بحْرَ المَوْتِ دُونَ وِصالِهِ الـ ـــعَالِي وَلَمْ أَكُ قانِعــاً بِالــدُّونِ

(١) في (ظ) «منه الورد» بدلا من «ورد الخد»

(٢) المرسين بالفتح وكسر السين: شجرة الآس. القاموس (ج).

(٣) الزرفين بالضم والكسر: حلقة الباب. القاموس (ج).

وَشَفَيْتُ حَرَّ الوَجْدِ مِنْ بَرْدِ اللَّمَى ... عِلْماً بِأَنَّ الماءَ ما يَشْفِينِي
وَبِخَطِّ عارِضِهِ أساوِرُ أَرْقُماً ... مِنْهُ فَأَقْرَأُ مِنْهُ ما يَرْقِينِي
وَيَظُنُّنِي حاشاهُ أَسْلُو حُبَّهُ ... وَاللهُ مِنْ ظَنِّ الحَبِيبِ يَقِينِي

وقوله «أكذا يُجازَى وُدُّ كُلِّ قَرينٍ» من قصيدة صَرَّدُرَّ[1] المشهورة، وهي[2]: [الكامل]

أَكَذَا يُجازَى وُدُّ كُلِّ قَرينِ ... أم هَذِهِ شِيَمُ الظِّباءِ العِينِ
فَوْقَ الرِّكابِ ولا أُطِيلُ مُشَبِّهاً ... بَلْ ثَمَّ شَهْوَةُ أَنْفُسٍ وعُيُونِ
هُزَّتْ قُدُودُهمُ وقالَتْ لِلصَّبَا ... هُزْءاً: أَعِنْدَ البانِ مِثْلُ غُصُونِي
ووَراءَ ذَيَّاكَ المُقَبَّلِ مَوْرِدٌ ... حَصْباؤُهُ مِنْ لُؤْلُؤٍ مَكْنُونِ
ومُعَنِّفِي[3] في الوَجْدِ قُلْتُ لَهُ: اتَّئِدْ ... فَالدَّمْعُ دَمْعِي والحَنِينُ حَنِينِي
ما نافِعِي إِنْ[4] كانَ ليسَ بِنافِعِي ... جَاهُ الصِّبَا وشَفَاعَةُ العِشْرِينِ
لا تُطْرِقَنْ خَجَلاً لِلَوْمَةِ لائِمٍ ... ما أَنْتَ أَوَّلُ حازِمٍ مَفْتُونِ

---

(١) هو علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي أبو منصور الكاتب المعروف بصَرَّدُرَّ (ت:٤٦٥/ ١٠٧٣): شاعر مجيد، من الكتاب، كان يقال لأبيه «صَرَّبَعْر» لبخله، وانتقل إليه اللقب حتى قال له نظام الملك: «أنت صَرَّ دُرَّ لا صَرَّ بَعْر» فلزمته. مدح القائم العباسي ووزيره ابن المسلمة. قال الذهبي: لم يكن في المتأخرين أرق طبعاً منه، مع جزالة وبلاغة. تقنطر به فرسه، فهلك بقرب خراسان. له «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٣/ ٣٨٥؛ شذرات الذهب، ٥/ ٢٧٩؛ الأعلام، ٤/ ٢٧٢؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٤٢٥.

(٢) ديوانه، ص٥٣-٥٦.

(٣) في الديوان: «ومُعَنِّفٍ».

(٤) في الديوان: «إذ».

أَأَسُومُهُمْ وَهُمُ الأَجَانِبُ طاعَةً ... وهَوَايَ بَيْنَ جَوَانِحِي يَعْصِينِي[(١)]
دَيْنِي على ظَبْيَاتِهِمْ ما يَنْقَضِي ... فبِأَيِّ حُكْمٍ يَقْبِضُونَ[(٢)] رُهُونِي
وخَشِيتُ مِنْ قَلْبِي الفِرارَ إِلَيْهِمُ ... حتى لقَدْ طالَبْتُهُ بِضَمِينِ
كُلَّ النَّكالِ أُطِيقُ إِلَّا ذِلَّةً ... إِنَّ العَزِيزَ عَذابُهُ بِالهُونِ
يا عَيْنُ مِثْلُ قَذَاكِ[(٣)] رُؤْيَةُ مَعْشَرٍ ... عارٍ[(٤)] على دُنْياهُمُ والدِّينِ
لم يُشْبِهوا الإنسانَ إلا أنَّهم ... مُتكوِّنُونَ من الحَمَا[(٥)] المَسْنُونِ
نَجَسُ العُيونِ فإِنْ رَأَتْهُمْ مُقْلَتِي ... طَهَّرْتُها فنَزَحْتُ ماءَ عُيُونِي
أَنا إِنْ هُمُ حَسِبُوا الذَّخائِرَ دُونَهُمْ ... وهُمُ إذا عَدُّوا الفَضائِلَ دُونِي
لا يُشْمِتِ الحُسَّادَ أَنَّ مَطامِعي[(٦)] ... عادَتْ إِليَّ بِصَفْقَةِ المَغْبُونِ
[١٩/ب] لا يَسْتَدِيرُ البَدْرُ إِلَّا بَعْدَ ما ... أَبْصَرْتَهُ في الضُّمْرِ كالعُرْجُونِ

وهي من دُرَره ولوامع غُرَره.



(١) في الديوان: «يُصْبيني». يقول ناشر الديوان: «كتب بجانب هذه الكلمة على الهامش: «أصل هذه القافية لم يكن ظاهرا». وهذا يدل على أن الناسخ أثبت هذه الكلمة من عنده، ونحن نرجح أن تكون «يعصيني» لمطابقتها لكلمة «طاعة» في الشطر الأول» ص٥٤ من الديوان.

(٢) في الديوان: «يقتضون».

(٣) في الأصل: «فداك».

(٤) كذا في الأصل. وفي الديوان عارٌ بالضم، على تقدير: هم عارٌ. (ج).

(٥) الحمأ: الطين.

(٦) في الديوان: «مطالبي».

[٢]

محمَّد الصَّالِحِيّ الهِلالِيّ[(١)]

هُمامٌ بعيدُ الهِمَّة، قريب منال مِياه الجمَّة، له بدائع شيم هي غُرَّة لدهم الليالي، وبَناتُ أفكارٍ لم ترْتَضِع غير دَرِّ المعالي، فلا أقسم بربِّ المشارق والمغاربِ، إنها شُموسُ مجدٍ طالعةٌ[(٢)] في سماءِ المناقبِ، وهو الآن شامةُ وجه الشام، ودوحة مقالٍ تفتَّحتْ أنوارُها في رياض الأيام، الزهد بعض خِلاله، والمدح يقصر عن شامخ جلاله، وله عزمٌ هو أبو العَجب، لو قُدِحَ زَنْدُه لهَبَّ له لَهَب، وخطٌّ تُسَرُّ به النُّفوس، وتُوَشَّى بدِيباجِه الطُّرُوس. [مجزوء الكامل]

راقَ العُيُـــونَ مَلاحَـــةً   وَالرَّوْضُ يُنْبِتُهُ السَّحَابْ

وشعر أزْهَى من الرياض، المُطَّرِدة الحِياض، استخرج الجواهر من بحوره،

---

(١) محمد بن نجم الدين بن محمد الصالحي الهلالي (٩٥٦-١٠١٢ / ١٥٤٩-١٦٠٣): شاعر، من الكتاب، ولد بدمشق، وقرأ بها القرآن الكريم، ورحل إلى مكة فقرأ على علمائها، وعاد إلى دمشق بعد وفاة والده. وكان من خلقه حب العزلة. برع في الفقه، والتفسير، والأدب. توفي بدمشق ودفن بمقبرة الفراديس، ولم يتزوج مدة حياته. من مؤلفاته: ديوان شعر مطبوع في المدائح النبوية، سماه: «سجع الحمام في مدح خير الأنام»، و«سفينة الصالحي» وهي مجموعة في الآداب والمحاضرات والتراجم، و«سوانح الأفكار والقرائح في غرر الأشعار والمدائح»، كلاهما مخطوط. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٧؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٢٣٩؛ لطف السمر، ١/ ١٦٢؛ علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ١/ ١٤٢؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٣٥٧؛ الأعلام، ٧/ ١٢٣.

(٢) ساقط من (ظ).

ووشَّح صدور الطروس |بقلائد سطوره|[١]، ما بين مدح كريم، وغزلٍ في مليحٍ كريم، وقد وقف في ميدانٍ لا يصل إليه الكُمَيْت، وبرز إلى غاية بَعُدت عن «لَوٍّ» و«ليت».

فهو في عصره الإمام المقتدى به، والبليغ الذي لا تثمر أغصانُ الأقلام إلا في رياضِ آدابه؛ ولما قدِم القاهرة أفاض عليَّ حُللَ مودَّةٍ لم تَبْلَ عُهودُها:

ألا حبَّذَا أَخْلاقُها وجديدها[٢]

ووَرَقُ الدنيا خَضِرٌ، وعودُ الشباب غَضٌّ نَضِر، فكان لنا خيرَ أستاذٍ وملاذ، يمدُّ لنا من موائد فوائده أنواع الملاذ، ويُتْحِفُنا بغضِّ ثِمارِه، ويُنَزِّه أَحداقَ أفكارِنا في حدائق آثاره، ونحن نسكر بسُلافة معانيه، إذ يُديرها علينا بفيه، عملاً بقول أبي عُبادة [البحتري][٣]: [الكامل]

وَاسْـمَعْهُ مِمَّـنْ قالَـهُ[٤] تَـزْدَدْ بِـهِ عُجْباً فَحُسْنُ[٥] الـوَرْدِ في أَغْـصَانِهِ

وكان من سُنَّته الاعتزال عن الناس، وتقديم الوحشة على الإيناس، [٢٠/أ] عاملاً في أواخر عمره بقول علي رضي الله عنه: «بقية عمر المؤمن لا ثمن لها، يدرك بها ما فات، ويُحيي بها ما أمات»[٦]، وقد عقَده أبو الفتح البُسْتي بقوله[٧]: [البسيط]

بَقيَّـةُ العُمْـرِ مـا عِنـدِي لَهـا ثَمَـنٌ وإِنْ غَـدَا خَـيْرَ مَحْبُـوبٍ مِـنَ الـثَّمَنِ

---

(١) زيادة من (ظ).

(٢) عجز بيت للعوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى. وصدره: وهل بليتْ أترابُها بعد جدَّة. معجم الشعراء للمرزباني ١٦٣. (ج).

(٣) ديوانه، ٢/ ٣٤٢.

(٤) في الديوان: «مِن قَوّالِهِ».

(٥) في الديوان: «وطيب».

(٦) انظر صفحة ٥٨ حاشية (٤).

(٧) ديوانه، ص١٨٥.

يَسْتَدْرِكُ المَرْءُ فيها ما أَفَاتَ ويُحْـ ... ـيِي ما أَمَاتَ ويَمْحُو السُّوءَ بِالحَسَنِ

وقد قلتُ أنا أيضا في معناه، فإنه من أهمِّ النَّصائح: [الرجز]

بَقِيَّـــةُ الأَعْـــمارِ أَغْـــلَى قِيمَـــةً ... فَـدَعْ بِها الخَلْقَ وَعُـذْ بِمَـنْ خَلَـقْ

وَاسْـــعَ إِلَى نَيْـــلِ المَعـــالِي إِنَّـــهُ ... فِي آخِـرِ الـشَّوْطِ يَبِـينُ مَـنْ سَـبَقْ

ومن شعر العلامة الزَّمَخْشَري الذي رويناه قوله في هذه البقية[١]: [الكامل]

خَرَّبْـتُ هٰـذَا العُمْـرَ غَـيْرَ بَقِيَّـةٍ ... وَلَعَلَّنِـي لَـكِ يـا بَقِيَّـةُ عَـامِرُ

وله «ديوان» في مدح المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام سمَّاه «صدح الحَمام، في مدحِ خيرِ الأنام»، قال في فصل صدَّره[٢]: «إنَّني لَمَّا نَشأْتُ بمكَّةَ المشرَّفة، والأماكنَ التي هي بالجَوْزاء مُمَنْطَقَة وبالثُّريا مُشَنَّفَة، كَساني الزمانُ قَشِيبَ بُرُودِه، وطَفِقْتُ أَرْفُلَ ما بين الحِمى وزَرودِه، وغصن الصِّبا بأيام السَّعادة مُورِق، وبدار الشَّباب في سماءِ الكمال[٣] مُشْرِق، لا دَأْبَ لي إلَّا توسُّم وفودِ العُلوم في سوق عُكاظِها، ولا شُغْلَ لي إلَّا اسْتِكْشاف وسائِم وجوهِ المعاني المُخَبَّأَةِ تحْتَ بَراقع ألفاظِها، ثم لما بطلت حركة الدَّوْرِ، وتنقَّل الزمان من طُورٍ إلى طُور، أعمَلْنا حروفَ النَّجائِب تَنُصُّ بنا البَيْداءَ في سُراها، ولطَمْنَا خَدَّ الأرض بأَخْفافِها إلى أن بَراها السُّرَى في بُراها[٤]، فكم جاوزْنَا جِبالاً شوامِخَ زاحَمَتْ بِمَناكِبها أكناف[٥] السحائب، وذرعنا بأذرع الناجيات شقة قَفْر لم تُطْوَ إلا بأيدي الرَّكائب».

(١) الديوان ٢٢٦، ط دار صادر ٢٠٠٨. (ج).

(٢) في الديوان ص٣-٤.

(٣) في الديوان «الكمالات» ص٣.

(٤) البُرى: حلقة توضع في أنف البعير.

(٥) في الديوان: «أكتاف»، ص٤.

ومنه: فكَمْ مَنْ راسَلْتُه وراسَلَنِي برائقِ شعره وسجْعه، وأدارَ وأدَرْتُ كؤوسَ [٢٠/ب] القوافي على سمعه، وزففْتُ إليه عرائسَ أفكاري استجلاباً لوِداده، وتلَوْتُ عليه غَرائبَ أسمارِي استقداحاً لزناده: [الطويل]

وهُـنَّ عَـذارَى مهْرُهَـا الـوُدُّ لا النَّـدَى ... وما كُلُّ مَنْ يُعْزَى إلى الشِّعْرِ يُسْتَجْدَى

وقد كنتُ لما مدحته فنوَّه باسمي، وجرى من الكرم على رسمه فوق رسمي، كتبت إليه فصلاً، منه قولي: سيدي وأنت أنت، وأنا إن أصبت الغرض فبِباعك استعنت، وكيف لا يعلو شهابٌ تنوِّه بذكره، وتشرق بأنوارك السنية سما قدره، وحقّ لشعرٍ أنت له راوِيَه، أن يُبنى[١] لكل بيت منه في كل قلب زاوِيَه، ويطأ بأخمصه هامة النجوم، ويرفرف طائر[٢] يُمْنِهِ على نسر السماء ويحوم، كما قال شيخ المعرّة[٣]: [الكامل]

والنَّحْـلُ يَجْنِـي الْمُـرَّ مِـنْ نَـوْرِ الرُّبَـى ... فيَــصِيرُ شُــهْداً في طَرِيــقِ رُضــابِهِ

أو كما قال قاضي تُسْتَرَ[٤]، والشيء بالشيء يذكر[٥]: [البسيط]

---

(١) في (ظ): «بيتي».

(٢) في (س): «طائره».

(٣) سقط الزند، ص١٢٥.

(٤) هو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرَّجاني القاضي (٤٦٠-٥٤٤ / ١٠٦٨-١١٤٩). شاعر، ولد في أرَّجان، وطلب العلم بأصبهان، وكرمان، وقد ولي القضاء في تستر، وتولى منصب نائب قاضي قضاة خوزستان، ثم ولي القضاء بأرَّجان مولده. وكان يدرس في المدرسة النظامية في بغداد. وتوفي في تُستَر عن أربع وثمانين سنة. ومعظم شعره حول المديح، والوصف، والشكوى، والحكم، والأمثال، والفخر. له «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ١/ ١٥١؛ ديوانه (مقدمة المحقق)، ص٦؛ الأعلام، ١/ ٢١٥؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٦٠.

(٥) ديوانه، ٣/ ١٥٧٧.

شِعْرِي وَأَنْتَ لَهُ الرّاوِي لِرِفْعَتِهِ الشْـ ـشِعْرَى[(١)] وشِعْرِيَ شِعْرَى حَيْثُما رُوِيَا
وَالبَحْـرُ يَلْفِـظُ دُرًّا كـانَ واقِعُـهُ فِي أُذْنِ أَصْـنافِهِ قَطْـراً إذا وُعِيَـا

أو كما قال [الأرَّجاني] أيضا[(٢)]: [البسيط]

أَخَـذْتَ قَـوْلِيَ[(٣)] مُعْوَجًّـا وتَعْرِضُـهُ عَلَى الـوَرَى مُسْتَقِيماً حَيْثُما اجْتُلِيَا
كَالشَّمْعِ يَقْبَلُ نَقْشَ الفَصِّ مُنْعَكِساً مَكْتُوبُـهُ لِيُرِيـهِ النَّـاسَ مُسْتَوِيَا

فنسأل الله أن يَمُنَّ علينا بلقائك، ويمتعنا بطول بقائك، والسلام.

وكتبتُ له تائيةً من شعر الصبا تنبَّه بها[(٤)] في صباح العمر نسيم الصَّبا، وهو كما قال الباخَرْزي[(٥)]: هو التَّمْرُ باللِّبَأ، [وهي[(٦)]: [البسيط]

في لَحْظِـكَ الفـاتِرِ الفَتَّـانِ فَـتْراتُ يـا مَـنْ لـه بعِـذارُ الخَـطِّ آيـاتُ
يا ظَبيُ مَـنْ خَـدُّهُ الباهِي وعارِضُـهُ مَـضَتْ[(٧)] لنـا منـه أَيَّـامٌ ولَـيْلاتُ

---

(١) في الديوان: «شعرى».

(٢) ديوانه، ٣/ ١٥٧٧.

(٣) في الديوان: «عذري».

(٤) ساقط من (ظ).

(٥) هو علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي أبو الحسن (ت: ٤٦٧/ ١٠٧٥): أديب من الشعراء الكتاب، من أهل باخرز من نواحي نيسابور. تعلم بها وبنيسابور، وقام برحلة واسعة في بلاد فارس والعراق. وقتل في مجلس أنس بباخرز ودفن بها. كان من كتاب الرسائل وله علم بالفقه والحديث. من مؤلفاته: «دمية القصر وعصرة أهل العصر» وهو ذيل «ليتيمة الدهر» للثعالبي، و«ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٥/ ٢٨٨؛ الأعلام، ٤/ ٢٧٣؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٤٢٤.

(٦) هذه القصيدة في ديوان الصالحي، ص٨٥-٨٦.

(٧) في الديوان: «مضى».

ومَـنْ لَوَاحِظُـهُ الـسُّودُ المـراضُ لنـا وثَغْـرُهُ العَـذْبُ غَبْقَـاتٌ وصَـبْحَاتُ
مَعْ كُلِّ بَـدْرٍ إذا مـا مـاسَ مِـنْ هَيَفٍ فغُـصْنُ بـانٍ لـه في القلـبِ خطـراتُ
حـاوِي الجمال لـه بالـصُّدْغِ عَقْرَبَـةٌ ومِـنْ ذَوائبـه(١) للنـاسِ حَيَّـاتُ
مُمَنَّعُ الوَصْلِ حُلْوُ الثَّغْرِ كَـمْ فُقِئَتْ في حُبِّـهِ مِـنْ مُحِبِّيـهِ مَـراراتُ
إنْ رامَ إرسـالَ نَبْـلٍ مـن لَواحِظـهِ فلي مـن العـارِضِ اللَّامِـيِّ لامـاتُ
أو رُمْـتُ ضَـمًّا لقَـدٍّ منـه مُرْتَفِـعٍ بـدَتْ لأخْـذِ فُـؤادِي منـه نَـصْباتُ
يَجُـرُّ أذيالَـهُ تِيهـاً ونـاصِرُهُ من جَفْنِه ساحِرٍ(٢) الألبابِ كَسْراتُ
قد غارَ غصنُ النَّقا مِن حُسْنِ قامَتِه ففـي فـؤادِ الرُّبَـى مـن ذاك قامـاتُ
لـه حَرِيـريٌّ خـدٍّ راقَ منظـرُهُ لـه بقَلْـبِ مُحِبِّيـهِ مَقامـاتُ
دِينـارُ خَدَّيْـهِ لا نَقْـصٌ أراهُ بـه فكَـمْ عليـه مِـنَ الخِـيْلانِ حَبَّـاتُ
لقـد أذابَ فـؤادَ الـصَّبِّ مِـنْ كَمَـدٍ بـدرٌ لـه مـن سماءِ الـصُّدْغِ هـالاتُ
إنْ عُذِّبَ القلبُ والطَّرْفُ القَريحُ فَقُلْ(٣) هـي المَنـازِلُ لي فيهـا عَلامـاتُ
لا سَـهْمَ لي منـه إلَّا سَـهْمُ نـاظِرِه فـذاك سَـهْمٌ لـه الأحْـشَا كِنانـاتُ
يا بَـدْرُ رِقَّ لِـصَبٍّ فيه قـد حَكَمَـتْ مِـنَ القُـدُودِ رِمـاحٌ سَـمْهَرِيَّاتُ
فقَـدْ تَجَمَّـعَ فيـكَ الحُـسْنُ أجْمَعُـهُ كـما تَجَمَّـعَ في الـشمسِ الكَـمالاتُ
العـالِمُ العامِـلُ الحِـبْرُ الـذي نُـشِرَتْ منـه لجمـعِ بَنـي الآدابِ رايـاتُ
ألفاظُه مـن عُقـودِ الـدُّرِّ قـد نُظِمَـتْ لهـا معـانٍ صِـحاحٌ جوهريّـاتُ
جَوامِعُ القولِ فيهـا قـد غَـدَتْ فَلَهـا من كُلِّ شِعْرٍ بَدا في الطِّرْسِ سَجْداتُ

---

(١) في الديوان: «ذؤابة».

(٢) في الديوان: «الساحر».

(٣) في الديوان: «يقل».

إنْ مِلْتُ من لفظِهِ سُكْرًا فلا عَجَبٌ فــإنَّ أبياتَــهُ الغَــرَّاء حانــاتُ
حِــبْرٌ إذا أمَّــهُ وَفْــدٌ لِنَيْــلِ نَــدًى هَــدَتْهُمُ منــه نَفْحــاتٌ ذَكِيَّــاتُ[1]
كُلُّ الكمالاتِ[2] إن كانتْ لغَيْرِكَ قد بــدَتْ فتلــك عَــوارٍ مــستردّاتُ
يـا أيُّهـا الحَبْرُ مَنْ سادَ الأنـامَ ومَنْ لـه بِـضِمْنِ العِبـاراتِ[3] البَراعـاتُ
إني أُحاجِيـكَ يـا بحـرَ الأفاضـلِ في اسْمٍ ثُلاثيٍّ[4] فيـه ضـاعَ نفْحـاتُ[5]
وذاك حَــرْفٌ إذا أســقَطْتَ آخِــرَهُ وَاسْــمٌ وفِعْــلٌ لـه بـالعُودِ عـاداتُ[6]
وأصـلُه صـار في طَـيِّ الريـاضِ لـه نَـشْرٌ ذَكِـيٌّ[7] بـه تَحْلُـو الخَلاعـاتُ
قُـــدُودهُ أَلِـــفٌ والزَّهْـــرُ هَمْزتُهـــا إنْ هَبَّتِ الريحُ مالَـتْ وَهْـيَ دالاتُ
كأنــه عنــدما فيــه الــصَّبا عبثَــتْ مُتَــيَّمٌ عبَثَــتْ فيــه الــصَّباباتُ[8]
لِثُلْثِــهِ ثُلْثُــهُ نِــصْفٌ وغايَتُــهُ مـن الفَـصاحةِ صـارَتْ فيـه غايـاتُ
بالعَصْرِيفرَقُ[9] منماءِالدُّموعِوفيالصْـ ـصَباحِ تَبْـدُو لنـا منـه المـسرّاتُ
صَــحِّفْهُ تَلْقــاهُ ذا لَهْــوٍ وذا طَــرَبٍ لــه لــدى الــدَّمْعِ لَــذَّاتٌ ونَــشْآتُ
فَجُــدْ بــرَدِّ جــوابٍ كــي أُسَرَّ بــه فــلا تُــؤَخِّرْ فللتَّــأْخِيرِ آفــاتُ
لا زِلْتَ تَجْمَعُ شملَ الفضلِ ما تُلِيَتْ علـى الغـصونِ مـن الـرِّيحِ التَّحيّـاتُ

---

(١) في (ظ، س): «زكيات».
(٢) في الديوان: «الفضائل».
(٣) في الديوان: «غرا عباراته فيها».
(٤) الأُحجية في «بان».
(٥) في الديوان: «إني أحاجيك يا كهف الأفاضل في اسم ثلاثي وضع فيه نفحات».
(٦) في الديوان: «عودات».
(٧) في (ظ، س): «زكي».
(٨) صدر بيت لابن نباتة المصري في ديوانه ٦٧، وعجزه: مُتَيَّمٌ عبثت فيه الصبابات. (ج).
(٩) في الديوان: «يغرق».

وأنشدَ الصَّبُّ يَشْكُو ما أَلَمَّ بهِ قضَى وما قُضِيَتْ منكم لُبانَاتُ

وكتبت: وعذار، فإنَّ قَصْدَ زابرِ الرقوم، الاهتداءُ من سماء فضلك بالنجوم، وإلَّا فهل تُهدى إلى البحر الدُّرَر، أو يُحمل التَّمر إلى هجر؟ سيما من حوت عباراته البراعات، وأنشد لسانُ حالها: كم أتى محمد بمعجزات(١): [الكامل]

ما إنْ مَدَحْتُ محمَّدًا بِمَقالَتِي لكِنْ مَدَحْتُ مَقالَتِي بِمُحَمَّدِ

من كلِّ بيتٍ يحقُّ للثريا أنها به تتمنطق، وللجوزاء من سماء البلاغة بأذياله تتعلّق(٢): [الرجز]

كالدُّرِّ إلَّا أنهُ لا يُشْتَرَى والشَّمْسِ إلا أنهُ لا يُكْسَفُ

فكم ظهر لنا من رياض تلك السطور حديقة، وألفاظ لا يسام عندها حر الكلام وهي رقيقة(٣): [الطويل]

رياضُ سُطورٍ أيْنعَتْ في طُروسِها وزَهْرٌ لمعنًى صارَ كالأنجُمِ الزُّهْرِ
مُلَفَّفَةٌ بالنَّشْرِ في طَيِّ طِرْسِها فقَدْ بَهرَتْ بالطَّيِّ واللَّفِّ والنَّشْرِ

فيا لها من روضة فكرٍ فائقة، وحديقة لفظ بأزهار المعاني رائقة، ألفاتها الأغصان والهمز اللطيف حمامها، والزهر معناها |وفي اللفظ الرقيق كمامها|(٤).

فشرَّفني عنها بالجواب بقوله(٥): [البسيط]

طالَتْ وَقَدْ قَصُرَتْ عَنْها العِبارَاتُ وَحازَتِ الحُسْنَ هاتِيكَ البَراعَاتُ

---

(١) ديوان الصالحي، ص٨٦.

(٢) ديوان الصالحي، ص٨٦.

(٣) ديوان الصالحي، ص٨٧.

(٤) هذه الجملة ساقطة من (ظ).

(٥) هذه القصيدة كلها وما يليها زيادة من (ظ).

غَــرَّاءُ فائِقَـــةٌ بِـــاللُّطْفِ رائِقَـــةٌ ... تَحْلُـو الخَلاعـاتُ فِيهـا وَالـصَّبابَاتُ
أُخْــتُ الغَزالَــةِ إِشْراقــاً وَمُلْتَفَتــاً ... لَهـا لَـدَى الـسَّمْعِ لَـذَّاتٌ وَنَـشْآتُ
نَــسِيبُها أَطْــرَبَ الأَسْــماعَ مَوْقِعُــهُ ... وَمَـدْحُها مـا لَـهُ فِي الحُسْنِ غايَـاتُ
[٢١/أ] كَـــأَنَّ حُـــرَّ مَعانِيهـــا وَرِقَّتَهـــا ... فِي لَفْظِـهِ الخَمْرُ تَجْلُـوهُ الزُّجاجَـاتُ
يَحْلُـو المُكَـرَّرُ مِـنْ أَلْفاظِهـا وَلَكَـمْ ... مُـــلَّ المُكَـــرَّرُ طَبْعـــاً وَالمُعـــادَاتُ
أَتَــتْ إِلَيَّ وَبَـدْرُ الفِكْـرِ مُنْخَـسِفٌ ... وَمالَــهُ فِي سَـــما الإِدْراكِ هـــالَاتُ
وَلِلْهُمُـــومِ طِـــرادٌ فِي الفُـــؤادِ كَـــما ... ضَمَّتْ عِتاقَ المَذَاكِي الجُرْدِ حَلْبـاتُ
أُسامِرُ النَّجْمَ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ وَلا ... أَغْفُـو وَكَـمْ لِعُيُـونِ النَّجْمِ غَفْـوَاتُ
فَقُمْتُ فِي الحالِ إِجْلالاً لَها وَسَرَتْ ... عَنِّـي الهُمُـومُ وَزارَتْنِـي المَـسَرَّاتُ
وَظَلْـتُ مُنْتَـصِباً لَمَّـا ارْتفَعْـتُ بِهـا ... وَكانَ عِنْدِي بِذُلِّ النَّفْسِ كَسْرَاتُ
قَبَّلْتُهـا أَلْـفَ أَلْـفٍ ثُـمَّ زِدْتُ فَلَـمْ ... أَحْسِبْ فَكَـمْ لِكَثِيرِ العَـدِّ غَلْطَـاتُ
وَكــانَ أُفْــقُ زَمــانِي مُظْلِــماً فَبَـدَا ... فِيـــهِ شِـــهابٌ لَهـــا مِنْـــهُ إِنـــارَاتُ
شِــهابُ عِلْــمٍ وَلٰكِــنْ نُــورُهُ أَبَــداً ... بِالذَّاتِ ما عَرَضَتْ فِيهِ الإِضاءَاتُ
غُــذِّي بِـدَرِّ لِبـانِ الفَـضْلِ مُـذْ زَمَـنٍ ... فَـشَبَّ كَالنّـارِ لا يَعْـرُوهُ فَـتْرَاتُ
شَيخُ العُلُومِ وَمِفْتاحُ الهُمُومِ وَغَـلَّا م ... بُ الخُـصُومِ إِذا عَنَّـتْ مُلاحَـاةُ
تاهَتْ بِهِ أَرْضُ مِصْرٍ وَازْدَهَتْ فَلِـذَا ... قَدْ كادَ أَنْ تَحْسِدَ[1] الأَرْضَ السَّماوَاتُ
قَدْ شادَ بَيْتَ العُلا فَوْقَ السُّها وَلَـهُ ... مِـنْ فَـوْقِ ذاكَ مَقامـاتٌ عَلِيَّـاتُ
تَـسْتَنُّ أَقْلامُهُ فِي الطِّرْسِ مِنْ مَرَحٍ ... كَأَنَّهـا عِنْـدَ نَفْـثِ الـسُّمِّ حَيَّـاتُ
فِيها النَّقِيضانِ مِنْ نَفْعٍ وَمِنْ ضَرَرٍ ... ذاكَ الأَمـــانِيُّ إِذْ ذاكَ المَنِيَّـــاتُ
مَهْـما اغْتَـدَتْ طَـوْعَ بارِيهـا مُلازِمَـةً ... لِلْخَمْسِ تَغْدُو[2] لَها فِي الطِّرْسِ سَجْداتُ

---

(١) في (ظ): «تحسد».

(٢) في (ظ): «يغد».

أَشْعارُهُ الغُـرُّ مِثْلُ الـدُّرِّ قَـدْ نُظِمَـتْ ... مِنْهـا عُقُـودٌ وَلٰـكِنْ لُؤْلُئِيَّـاتُ
ما إِنْ حَسا كَأْسَ سَمْعِي مِنْ سُلافَتِها ... إِلَّا اعْتَرَتْنِي لِفَرْطِ السُّكْرِ نَشْواتُ
لله أُحْجِيَـةٌ مِنْـهُ أَتَـتْ فَـسَرَتْ ... مِنْ عُودِها الرَّطْبِ نَفْحاتٌ ذَكِيَّاتُ
وأَذْكَرَتْنِـي بَـأَنَّ القَـدَّ مِـن سَـكَنِي ... وَبـانَ بِالبـانِ مِـنْ شَـكْوايَ مَـيْلَاتُ
وَالـوُرْقُ رَقَّـتْ لِمَـا أَلْقَـاهُ سـاجِعَةً ... كَأَنَّهـا فَـوْقَ غُـصْنِ البـانِ قَيْنَـاتُ
وَأَنْتَ يا أَفْضَلَ العَصْرِ الَّذِي اجْتَمَعَتْ ... فِيـهِ العُلُـومُ وَفِي الـدَّهْماءِ أَشْـتَاتُ
[٢١/ب] سامِحْ إِذا هَفْوَةٌ لِلذِّهْنِ قَدْ عَرَضَتْ ... فَكَـمْ لِمِـثْلِيَ فِي التَّقْـصِيرِ هَفَـوَاتُ
فَـإِنَّ صـارِمَ فِكْـرِي صـارَ ذا صَـدَإٍ ... وَكَـمْ لَـهُ عِنْـدَما أَرْجُـوهُ نَبْـوَاتُ
وَالجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالقَلْبُ فِي وَطَنٍ ... لَمْ تُدْنِـهِ مِنْـهُ أَيَّـامٌ وَلَـيْلاتُ
وَالنَّفْسُ فِي مِحَنٍ وَالقَلْبُ فِي شَجَنٍ ... يَعْتـادُهُ لِفِـراقِ الإِلْـفِ زَفْـرَاتُ
فَأَيُّ شَخْصٍ بِهٰذا الوَصْفِ مُتَّصِفٍ ... تُطِيعُـهُ مِـنْ قَـوافِي الـشِّعْرِ أَبْيَـاتُ
بَقِيـتَ مُفْـرَدَ عِلْـمٍ لِلْهُـدَى عَلَـماً ... يُجْلَى بِـهِ الجَهْـلُ عَنَّـا وَالـضَّلالَاتُ
وَدُمْتَ طَوْدَ حِجًى فِي الجُودِ بحْرَ نَدًى ... تَـأْتِي إِلَيْـهِ المَعَـالِي وَالكَـمالَاتُ
مـا لاحَ نَجْـمٌ عَـلَى الخَـضْراءِ مُتَّقِـدٌ ... وَمـا رَعَتْـهُ الجِيـادُ الأَعْوَجِيَّـاتُ

تذييل

في حسن الختام من البديع الاستخدام كما في قوله: «أخت الغزالة.. إلخ» إلَّا أن هنا فائدة ينبغي التنبيه عليها؛ وهو أن المذكور في البديع هو الاستخدام بالضمير، وهو معروف، وهو لا ينحصر فيه، فيكون باسم الإشارة وهو ظاهر، وقد يكون بالتمييز، كقوله: «إشراقاً وملتفتاً» وهو من مصدر لا ضمير فيه، وقد أغرب

العارف بالله [البهاء زهير][(١)] إذ استخدم بالاستثناء في قوله[(٢)]: [مجزوء الكامل]

أَبَـداً حَـدِيثِي لَـيْسَ بِالـ ـمَنْـسُوخِ إلَّا بِالـدَّفاتِرْ

ومن مختار ديوانه قوله في قصيدة: [الكامل]

وَتَجَـرَّدَتْ بِـيْضُ الـصِّفاحِ وَأُلْبِـسَتْ عِلَـقَ النَّجِيـعِ كَحُلَّـةٍ حَمْـرَاءِ
وَالسُّمْرُ مُذْ سَقَتِ الدِّماءَ زِجاجُها[(٣)] أَضْـحَتْ ثِـماراً أَرْؤُسُ الأَعْـدَاءِ

وقوله من أخرى: [البسيط]

كَـأَنَّما الخَيْـلُ فِي المَيْـدانِ أَرْجُلُهـا صَوَالِجٌ وَرُؤُوسُ القَوْمِ كَالأُكَرِ

وهو تشبيه بلا شبيه، وقد توارد فيه مع ابن عبد الظاهر[(٤)] في قوله في بعض رسائله: «أصبح الأعداء كأنما جُزر جُثَثهم جزائر، أحاط بها من الدِّماء سيل، ورؤوسهم أُكَرٌ تلعبُ بها صوالجة الأيدي والأرجلِ من الخيل».

وقوله من أخرى: [الطويل] [٢٢/ أ]

سَقَى طَلَلاً حَيْثُ الأَجارِعُ والسِّقْطُ وَحَيْثُ الظِّباءُ العُفْرُ مـا بَيْنَنَـا تَعْطُـو

---

(١) زيادة من (ظ). وهو زهير بن محمد بن علي المهلبي العَتَكي بهاء الدين (٥٨١-٦٥٦/ ١١٨٥- ١٢٥٨): شاعر من الكتاب، ولد بمكة ونشأ بقوص، واتصل بالملك الصالح أيوب بمصر، فقرّبه وجعله من خواص كتّابه وظلَّ حظياً عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير في داره إلى أن توفي بمصر. وله «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٢/ ٣٣٢؛ شذرات الذهب، ٧/ ٤٧٦؛ الأعلام، ٣/ ٥٢؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٣٧.

(٢) البيت للبهاء زهير في ديوانه، ص١٢٤ (ط دار المعارف القاهرة).

(٣) الزِّجاج: جمع زُجٍّ وهو مُقدّمة الرّمح. (ج).

(٤) هو محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي المصري (٦٢٠-٦٩٢/ ١٢٢٣-١٢٩٣): قاض أديب مؤرخ. من أهل مصر مولدا ووفاة. كان كاتب الإنشاء في الديار المصرية. له مؤلفات عديدة، منها: «الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية في القاهرة»، و«سيرة الظاهر بيبرس»، و«ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: بغية الوعاة، ٢/ ٩٣؛ الأعلام، ٤/ ٩٨.

هَـزِيمٌ هَمُـولُ الـوَدْقِ مُرْتَجِـزٌ لَـهُ   بِأَفْنائِـهِ فِي كُـلِّ ناحِيَـةٍ سَـقْطُ
وَلَـوْ أَنَّ لِي دَمْعـاً يُـرَوِّي رِحابَـهُ   لَمَا كُنْتُ أَرْضَى عارِضاً جُودُهُ نَقْطُ[1]
وَلٰـكِنَّ دَمْعِـي صـارَ أَكْثَـرُهُ دَمـاً   فَـأَنَّى يُرَجَّـى أَنْ يُـرَوَّى بِـهِ قَحْـطُ
كَأَنَّ انْسِيابَ الرُّمْحِ فِي الدِّرْعِ سابِحٌ   مِنَ الرُّقْشِ فِي وَسْطِ الغَدِيرِ لَـهُ غَـطُّ

وهذا كقول مهيار[2]: [الطويل]

بَكَيْتُ عَلَى الـوادِي فَحَرَّمْتُ ماءَهُ   وكَيْـفَ يَحِـلُّ المـاءُ أَكْثَـرُهُ دَمُ

وقول الأَبِيوَرْدِي[3]: [الطويل]

سَقى اللهُ لَيْلَ الخَيْفِ دَمْعِيَ وَ[4]الحَيَا   أُرِيـدُ الحَيَـا فَالـدَّمْعُ أَكْثَـرُهُ دَمُ

---

(١) في (ظ): «فقط».

(٢) هو مهيار بن مَرْزَوَيه، أبو الحسين الديلمي (ت: ٤٢٨/ ١٠٣٧): الكاتب الفارسي الديلمي، الشاعر المشهور؛ كان مجوسياً فأسلم على يد الشريف الرضي. في أسلوبه قوة وفي معانيه ابتكار، من أهل بغداد، كان منزله فيها بدرب رباح، من الكرخ، وبها وفاته. وتشيع وغلا في تشيعه وسب بعض الصحابة في شعره، حتى قال له أبو القاسم ابن برهان: يا مهيار، انتقلت من زاوية في النار إلى أخرى فيها. له «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٥/ ٣٥٩؛ الأعلام، ٧/ ٣١٧؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٩٢٧. والبيت في ديوانه، ص٣/ ٣٥٧.

(٣) هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن إسحاق بن أبي العباس الإمام محمد بن إسحاق الأَبِيوَرْدِي (ت: ٥٠٧/ ١١١٣): شاعر عالي الطبقة، ولد في أَبِيوَرْد بخراسان، وكان إماماً في اللغة والنحو والنسب والأخبار، ويده باسطة في البلاغة والإنشاء. وقد كانَ حسن السيرة جميل الأمر. عاش حياة حافلة بالأحداث، والفتن، والتقلبات، وقد دخل بغداد، وترحل في بلاد خراسان ومدح الملوك، والخلفاء. ماتَ الأبيوردي مسموماً بأَصفهان. من مؤلفاته: «تاريخ أَبِيوَرْد»، و«المختلف والمؤتلف»، و«ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٤/ ٤٤٤؛ شذرات الذهب، ٦/ ٣٠؛ الأعلام، ٥/ ٣١٦؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٩٥. والبيت في ديوانه، ٢/ ١٧٤.

(٤) في الديوان: «أو».

وقول المعَرِّي(١): [الوافر]

تَـوَهَّمَ كُـلَّ سـابِغَةٍ غَـديراً فَرَنَّقَ يَشْرَبُ الحَلَقَ الـدِّخالا(٢)

وقوله من أخرى: [الكامل]

مَـا لاحَ فِي أُفْـقِ المَحاسِـنِ أَوْ سَرَى إِلَّا حَمَـدْتُ بِلَيْـلِ طُرَّتِـهِ الـسُّرَى
عَقَـدَ الإِزارَ عَـلَى كَثِيـبٍ في نَقَـا فَغَدا اضْطِرابِي مِنْهُ مَحْلُولَ العُرَى
لا تَـذْكُرِ الغِـزْلانَ عِنْـدَ كِناسِـهِ مَعَـهُ فَـإِنَّ الـصَّيْدَ في جَـوْفِ الفَـرَا

وله من أخرى: [الطويل]

إِلَى كَمْ أُمَنِّي القَلْبَ وَالقَلْبُ مُولَعُ وَأَزْجُرُ طَرْفَ العَيْنِ وَالطَّرْفُ يَدْمَعُ
وَحَتَّـى مَتَـى أَشْـكُو فِـراقَ أَحِبَّـةٍ عَفـا بِـالنَّوَى مِنْهُمْ مَصِيفٌ وَمَرْبَعُ
وَأَسْتَعْرِضُ الرُّكْبانَ عَنْهُمْ مُسائِلاً عَسَى خَبَرٌ عَنْهُمْ بِهِ الرَّكْبُ يَرْجِعُ
تَـصَبَّرْتُ عَـنْهُمْ وَانْثَنَيْـتُ إِلَـيْهِمُ وَلَمْ يَبْـقَ فِي قَـوْسِ التَّـصَبُّرِ مَنْـزَعُ
أُراعِـي نُجُـومَ اللَّيْـلِ أَرْقُـبُ طَيْفَهُمْ وَكَيْفَ يَزُورُ الطَّيْفُ مَنْ لَيْسَ يَهْجَعُ
وَمـا زِلْـتُ أَبْكِـي لُؤْلُـؤاً بَعْـدَ بَيْنِهِمْ إِلَى أَنْ بَـدا مَرْجـانُ دَمْعِـيَ يَهْمَـعُ
فَـلا حـاجِرٌ بَعْـدَ الأَحِبَّـةِ حـاجِرٌ وَلا لَعْلَـعٌ مُـذْ فـارَقُوا الحَـيَّ لَعْلَـعُ
[٢٢/ب] غَـرَبْنَ شُمُوسـاً فِي بُـرُوجِ أَكِلَّـةٍ وَلَـيْسَ لَهَـا إِلَّا مِـنَ الخِـدْرِ مَطْلَـعُ
وَشـابَهْنَ غِـزْلانَ النَّقـا فِي نِفارِهـا وَلٰكِنَّهَـا بَـيْنَ التَّرائِـبِ تَرْتَـعُ
لَهُـمْ مِـنْ مَهـاةِ الرَّمْـلِ عَـيْنٌ مَرِيـضَةٌ وَجِيـدٌ كَجِيـدِ الظَّبْـيِ أَغْيَـدُ أَتْلَـعُ
وَمِنْ قُضُبِ البانِ الرِّطابِ مَعـاطِفٌ تكـادُ عَلَيـهِ الـوُرْقُ تَـشْدُو وتَـسْجَعُ

---

(١) سقط الزند، ص٥٤.

(٢) في (س، ط): «فريق يَشْرَبُ الحلو الدّخَالَا».

أَحادِيثُ يَرْوِيها الصَّبا عَنْ قُدُودِهِمْ تَمِيلُ لَهَا سُمْرُ الرِّماحِ وَتَخْضَعُ
وَتَغْدُو سُيُوفُ الهِنْدِ لَـمَّا تَشابَهَتْ بِأَلْحاظِها في الدِّرْعِ تَفْرِي وَتَقْطَعُ
ذَكَرْتُهُمُ وَالهَمُّ بِالقَلْبِ طافِحٌ لِبَيْنِهِمُ وَالبَحْرُ كَاللَّيْلِ أَسْفَعُ
وَما تَنْفَعُ الذِّكْرَى لِمَنْ صَدُّهُمْ قِلًى وَوَصْلُهُمُ قَطْعٌ وَمِنْهُمْ تَمَنُّعُ
وَلا عَجَبٌ فَالبُخْلُ في الغِيدِ وَالدُّمَى طَبِيعَةُ نَفْسٍ لَيْسَ فِيها تَطَبُّعُ
كَما لِعَلِيٍّ كُلُّ جُودٍ وَسُؤْدَدٍ سَجِيَّةُ ذاتٍ لَيْسَ فِيها تَصَنُّعُ

وقال يمدح العِمادي[1] وقد قدِم من الحج: [الكامل]

أَذَكَرْتَ عَهْداً مِنْ أُمَيْمَةَ أَقْفَرَا وَأَسَلْتَ دَمْعاً ذا شُعاعٍ أَحْمَرَا
أَمْ شاقَكَ الغادُونَ عَنْكَ سُحَيْرَةً لَـمَّا سَرَوْا وَتَيَمَّمُوا أُمَّ القُرَى
زَمُّوا المَطِيَّ وَأَعْنَقُوا في سَيْرِهِمْ للهِ دَمْعِي خَلْفَهُمْ يا ما[2] جَرَى
ما قُطِّرَتْ لِلسَّيْرِ أَجْمالٌ لَهُمْ إِلَّا وَدَمْعِي في الرِّكابِ تَقَطَّرَا
فَكَأَنَّ ظَهْرَ البِيدِ بَطْنُ صَحِيفَةٍ وَقِطارُها فِيهِ يُحاكِي أَسْطُرَا
وَكَأَنَّها بِهَوادِجٍ قَدْ رُفِّعَتْ سُفُنٌ وَلَمْعُ الآلِ يَحْكِي الأَبْحُرَا
شَكَتِ الرَّكائِبُ مِنْ حَثِيثِ مَسِيرِها وَوَنَيْنَ[3] مِنْ جَذْبِ الأَزِمَّةَ وَالبُرَى
رَحَلُوا وَما عاجُوا عَلَى مُضْناهُمُ وَاهاً لِحَظِّي كَيْفَ كُنْتُ مُؤَخَّرَا
إِنْ كانَ جِسْمِي في الدِّيارِ مُخَلَّفاً فَالقَلْبُ مَعْهُمْ حَيْثُ قالُوا هَجَّرَا
لَمْ يَأْلُ جُهْداً في المَسِيرِ لَعَلَّهُ يَحْظَى بِقُرْبٍ أَوْ يَمُوتُ فَيُعْذَرا

---

(١) ستأتي ترجمته تحت الرقم [١٥].

(٢) في (ظ): «بعدهم ما قد» بدلا من «خلفهم يا ما».

(٣) في (ظ): «ووثبن».

أَظْهَـرْتُ صَـبْرِي عَـنْهُمُ مُتَجَلِّـداً وَكَتَمْتُـهُ وَحْـدِي بِـهِ مُتَـسَتِّرَا

وَغَدا العَذُولُ يَقُولُ لِي مِنْ بَعْدِهِمْ «بادٍ هَـواكَ صَـبَرْتَ أَمْ لَمْ تَـصْبِرَا»[1]

[٢٣/أ] أَقْـسَمْتُ إِنْ جـادَ الزَّمـانُ بِقُـرْبِهِمْ وَأَتَـى رَسُـولِي بِالوِصـالِ مُبَـشِّرَا

وَشَـهِدْتُ بَـدْرَ الحَـيِّ بَعْـدَ أُفُولِـهِ قَـدْ لاحَ فِي أُفُـقِ الـسِّيادَةِ مُقْمِـرَا

وَرَأَيْـتُ مَغْنَى الفَضْلِ يَزْهُو رَبْعُـهُ بِعِــمادِ دِيــنٍ لِلْمَعــالِي عُمِّــرَا

فَلأَغْفِــرَنَّ ذُنُــوبَ دَهْــرِي كُلَّهــا وَلأُعْطِيَنْ رُوحِـي لِمَـنْ بـكَ بَـشَّرَا

للهِ يـا مَـوْلايَ حَجُّـكَ قاصِـدَ الـ ـبَيْتِ الحَـرامِ مُهَلِّـلاً وَمُكَـبِّرَا

حَتَّـى قَـضَيْتَ مِـنَ المَناسِـكِ مَأْرَبـاً فَقَـضَيْتَ فَرْضـاً فِي الكِتـابِ مُسَطَّرَا

وَرَجَعْـتَ عَـوْداً بَعْـدَ بَـدْءٍ زائِـراً سِرَّ الوُجُـودِ وَخَـيْرَ خَلْـقٍ صُـوِّرَا

صَـلَى عَلَيْـهِ اللهُ مـا رَكْـبٌ سَرَى نَحْـوَ الحِجـازِ قاصِـداً خَـيرَ الـوَرَى

وَأَتَيْتَ تَطْوِي البِيدَ مُقْتَسِمَ السُّرَى[2] مـا بَـيْنَ أَدْهَـمَ لِلْـوَرَى أَوْ أَشْـقَرَا

أَوْ بــازِلٍ يَفْــرِي الفَــلاةَ بِمَنْـسِمٍ تَلْقَـى جَنيـبَ الـرِّيحِ عَنْـهُ مُقَـصِّرَا

طَـوْراً عَـلَى أَكَـماتِ نَجْـدٍ صـاعِداً وَتَــرَاهُ طَــوْراً هابِطــاً وَمُغَــوِّرَا

فَقَـدِمْتَ مِثْـلَ هِـلالِ أُفْـقٍ قاصِـداً نَيْـلَ الكَـمالِ وَعُـدْتَ بَـدْراً نَـيِّرَا

فَالْبَسْ ثِيابَ القُرْبِ مِنْ حُلَلِ السُّرَى فَلَقَـدْ نَبَـذْتَ عَظِـيمَ ذَنْبِـكَ بِـالعَرَا

يــا نَفْــسُ قَــرِّي أَعْيُنــاً بِقُدُومِــهِ فَلَقَـدْ أَمِنْـتِ مِـنَ الزَّمـانِ المُنْكَـرَا

هٰــذا إِمــامٌ عَرْفُــهُ فِينــا حَكَــى عَـرْفَ الرِّيـاضِ إذا سَرَى مُتَعَطِّـرَا

ذُو هِمَّــةٍ تَــسْمُو عَــلَى نَــسْرِ الــسَّما فَيَـسِفُّ عَنْهـا هاوِيـاً نَحْـوَ الثَّـرَى

وَمَهابَــةٍ يَهْتَــزُّ مِنْهــا مُرْهَــفٌ خَوْفاً وَيَحْتَطِمُ الوَشِيجَ الأسمرا[3]

(١) صدر بيت للمتنبي في الديوان ٢/ ٢٦٤. عجزه: وبكاك إن لم يجرِ دمعك أو جرى. (ج).

(٢) السُّرَى: سير اللَّيل.

(٣) في (س): «مسمرا».

وَسَــكِينَةٍ تَلْقــاهُ فِيهــا مُفْــرَداً ... وَوَقــارُهُ يُبْـدِي لِطَرْفِـكَ عَـسْكَرَا
وَقَرِيحَــــةٍ وَقَّــــادَةٍ مُنْقــــادَةٍ ... شَـبَّتْ كَنـارٍ ثُـمَّ سـالَتْ أَنْهُـرَا
كَـمْ حَلْبَـةٍ لِلْبَحْـثِ أَظْلَـمَ قَفْرُهـا[1] ... يَمْشِي جَـوادُ الفِكْـرِ فِيهـا القَهْقَرَى
وَجِيـادُ فِكْـرِكَ كَالرِّيـاحِ لَواعِـبٌ ... وَسَـنا سَـنابِكِ نَقْعِهـا قَـدْ نَـوَّرَا
أَفْحَمْـتَ أَهْـلَ الفَـضْلِ لَـمَّا جِئْتَهُمْ ... مُتَحَـدِّياً بِمَفـاخِرٍ لَـنْ تُحْـصَرَا
آياتُ فَضْلِكَ مِثْلُ مَجْدِكَ أُحْكِمَتْ ... فَتَـشابَهَا فِي الحُكْـمِ لَـمَّا فُـسِّرَا
[٢٣/ب] فَحَـدِيثُ مَجْـدِكَ بِالفِعـالِ مُـصَدَّقٌ ... مَـا كـانَ بِالتَّـالِي حَـدِيثاً يُفْـتَرَى
يـا رائِـداً لِلْمَجْـدِ يُجْهِـدُ نَفْـسَهُ ... مُتَعَـسِّفاً فِي سَـيْرِهِ مُتَحَـيِّرَا
هٰـذِي[2] المَعـالِي إِنْ أَرَدْتَ وُرُودَهـا ... مـا كُـلُّ وِرْدٍ لِلْمَعـالِي كَـوْثَرَا
يَمِّـمْ حِمَـى هٰـذا الإمـامِ المُرْتَجَـى ... وَاسْـأَلْ أَنامِلَـهُ الغَـمامَ المُمْطِـرَا
لا تَنْـصِبَنْ أَشْراكَ قَـصْدِكَ لِلْـوَرَى ... جَهْلاً فَكُلُّ الـصَّيْدِ فِي جَـوْفِ الفَرَا

ومنها: [الوافر]

لا تَحْـسَبَنَّ المَجْـدَ شَـيْئاً هَيِّنـاً ... مَـنْ لَمْ يَـذُقْ طَعْـمَ الـصَّبابَةِ مـا دَرَى
يـا بْـنَ الكِـرامِ الـضارِبِينَ قِبـابَهُمْ ... مِنْ حَيْثُ يَهْوِي النَّجْمُ مَحْلُولَ العُـرَا
أَنْـتَ العِـمادُ إذا المَعـالِي قُوِّضَـتْ ... وَالبَـدْرُ أَنْـتَ إذا سَـناها غُـوِّرَا
خُـذْها إِلَيْـكَ تَجُـرُّ مِـنْ خُيَلائِهـا ... بُـرْداً عَـلَى هـامِ الـسِّماكِ مُحَـبَّرَا
وَاسْـلَمْ وَدُمْ فِي ظِـلِّ عَـيْشٍ وارِفٍ ... ما اهْتَزَّ غُصْنٌ فِي الرِّيـاضِ وَ أَثْمَـرَا

ومن أخرى في خِتان: [البسيط]

حَكَـتْ بَلابِـلُ أَشْـواقٍ أُعايِنُهـا ... بَلابِـلاً بِـالحِمَى راقَـتْ أَغانِيهـا

---

(١) في (ظ): «نقعها».

(٢) في (ظ): «هذه».

أَبْدَتْ عَلَى العُودِ بِالأَلْحانِ مُعْرِبَةً ... ما خَبَّرَ العُودُ لَمَّا راحَ يُجْلِيها
ناحَتْ لذِي(١) شَجَنٍ لٰكِنْ بِلا حَزَنٍ ... تَهْفُو عَلَى فَنَنٍ يثني(٢) فَيَثْنِيها(٣)
تُمْلِي عَلَى الوُرْقِ مِنْ أَوْراقِها نَبَأً ... راحَتْ مُكَرِّرَةً في الدَّرْسِ تُنْبِيها
فَيا لَهُ نَبَأٌ شاعَتْ بَشائِرُهُ ... حَتَّى غَدا ساجِعُ الأَغْصانِ يَرْوِيها
بَشائِرٌ قَدْ غَدَتْ أَفْراحُها مَثَلاً ... يَحْدِي بِها العِيْسَ في البَيْداء حادِيها

ومنها في المدح أيضاً:

مَوْلىً تَرَدَّى رِداءَ الحَمْدِ مُؤْتَزِراً ... بِالجِدِّ أَيْدِيهِ قَدْ جَلَّتْ أيادِيها
ما البَدْرُ في بَلَجٍ وَالبَحْرُ في لُجَجٍ ... وَالأُسْدُ في رَهَجٍ سالَتْ عَوالِيها
أَبْهَى مُحَيَّا وَأَنْدَى في السَّماحِ يَداً ... مِنْهُ وَأَثْبَتَ في الأَبْحاثِ يُبْدِيها

وختامها:

عَلَى ضَوامِرَ مِنْ عَزْمٍ وَمِنْ هِمَمٍ ... جازَتْ مَداها بِلا أَيْنٍ هَوادِيهَا
[٢٤/أ] فَلا بَرِحْتَ قَرِيرَ العَيْنِ فِي دَعَةٍ ... وفي رَفاهِيَةٍ رَقَّتْ حَواشِيهَا

ومن أخرى له يرثيه بها: [الكامل]

لَمْ أَقْضِ مِنْ يَوْمِ الفِراقِ شُؤُونِي ... فَقَضَيْتُ إِنْ لَمْ أُجْرِ(٤) ماءَ شُؤُونِي
أَأَجُودُ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ فِيهِمُ ... وَأَشُحُّ في شَجَنِي بِدَمْعِ عُيُونِي
ما لِلْفُؤادِ يُطِيعُنِي شَغَفاً بِهِمْ ... وَعَنِ التَّصَبُّرِ عَنْهُمُ يَعْصِينِي

ومنها:

وَأَدَرْتُ طَرْفَ العَيْنِ نَحْوَ دِيارِهِمْ ... فَقَضَتْ عَلَيَّ بِأَنَّةٍ وَحَنِينِ

(١) في (ظ): «كذي».
(٢) في (س): «تنبي».
(٣) في (ظ): «فتثنيها».
(٤) في (ظ): «أقض».

وَتَنكَّـرَتْ بَعْـدَ التَّعَـرُّفِ وَاغْتَـدَتْ كَمِثـالِ شَـكٍّ لاحَ بَعْـدَ يَقِـينِ
فَـالعَيْنُ تُنْكِرُهـا لِفَـرْطِ عَفائِهـا وَالقَلْـبُ يَعْرِفُهـا مَحَـلَّ العِـيْنِ
وَسَـأَلْتُها عَـنْ جِـيرَةٍ كـانُوا بِهَـا زَمَنـاً ثَـوَوْا فِي رَبْعِهـا المَسْكُونِ
فَاسْتَعْجَمَتْ وَأَجـابَ عَنْهـا حالُهـا وَلَـرُبَّ حـالٍ لِلْجَـوابِ مُبِـينِ
غَرَبَـتْ بُـدُورُ مَنـازِلِي مِـنْ أُفْقِهـا وَغَـدَتْ وَراءَ الـتُّرْبِ ذاتَ كَمِـينِ
وَتَقَوَّضَـتْ مِنِّـي قِبـابُ فَـضائِلِي لَمَّـا وَهَـى مِنْهـا عِـمادُ الـدِّينِ
رَبُّ المَعـارِفِ وَالعَـوارِفِ تِلْـكَ لِلْـ ـبَاغِي العُلُـومَ وَتِلْـكَ لِلْمِـسْكِينِ
بَحْـرٌ تَـدَفَّقَ بِـالعُلُومِ إذا طَمَـتْ أَمْواجُـهُ أَغْـرَقْنَ كُـلَّ سَـفِينِ
أَدَبٌ كَمِثْـلِ الـرَّوْضِ رَفَّ نَباتُـهُ غِـبَّ الحَيـا مِـنْ وَقْـعِ كُـلِّ هَتُـونِ

ومنها:

أَسَـفِي عَـلَى مَـنْ فُـضَّ عِقْـدُ نِظامِـهِ فَنَثَـرْتُ مِـنْ عَيْنَـيَّ دُرَّ جُفُـونِي
عَبَثَـتْ بِـهِ أَيْـدِي المَنُـونِ فَقَطَّعَـتْ أَسْـلاكَ ذاكَ اللُّؤْلُـؤِ المَكْنُـونِ
قَـدْ كُنْـتُ أَحْـسَبُ أَنَّـهُ مَلَـكٌ نَـشَا مِـنْ خَـالِصِ الأَنْـوارِ فِي التَّكْـوِينِ
حَتَّى ثَـوَى فِي الـتُّرْبِ تَحْـتَ صَـفائِحٍ فَعَلِمْـتُ حَقًّـا أَنَّـهُ مِـنْ طِـينِ

ومنها:

بَكَـرَتْ عَـلَى جَـدَثٍ لَـهُ وَسْـمِيَّةٌ ذاتُ ارْتِجـاسٍ بِالحَيـا وَرُجُـونِ(١)
يُزْجِـي رَكائِبَهـا حُـداةُ جَنائِـبٍ بِـسِياطِ بَـرْقٍ مَـعْ رُعُـودِ لَجُـونِ
تَـسْقِي أُصُـولَ مَكـارِمٍ تَحْـتَ الثَّـرَى بَـسَقَتْ لَنـا زَمَنـاً فُـرُوعُ غُـصُونِ

وكان له نديمٌ أحْدَب يعدُّهُ كَرِشه وعَيبته، ويتَّخِذه جهينته [٢٤/ ب] وحصينته،

(١) ارتجست السماء: رعدت، وتمخضت للمطر. التاج، والرُّجون: الإقامة. (ج).

يدير عليه شَمُول ودادِه، ويجني له في كل حينٍ ثمرةَ فؤادِه، ومخبآت جِنانه، يقول على لسانه: [الكامل]

وَلَقَدْ خُلِقْتُ[1] عَلَى مَحَبَّةِ وُدِّهِ ... ما الحُبُّ إلَّا لِلإِمامِ الصَّالِحِي

وعليه إخوانه يُعَوِّلون، ومن كلِّ حدَبٍ إليه ينسلون، لِخِفَّة روحه ألقتِ البدنَ خلفه ظِهْرياً، واتخذت ما سِواه شيئاً فرياً، فكأنه خاف الخُطوب، فاستجمع للوُثوب: [الطويل]

وَما الدَّهْرُ فِي حالِ السُّكوُنِ بِساكِنٍ ... وَلٰكنَّهُ مُسْتَجْمِعٌ لِوُثُوبِ

وله بِهِ عِزٌّ أقْعَس، في رَبْوَةِ المعالي يُغْرَس، وطبعُه في الظَّرْفِ أَخْصَب، وفي المثَل «أَظْرَفُ[2] مِن أَحْدَب»، كأنما عناه ابن المُنَجِّم[3] بقوله: [الخفيف]

يَا أَخِي كَيْفَ غَيَّرَتْنا اللَّيَالِي ... وَأَطالَتْ ما بَيْنَنا بِالمِحَالِ
حَاشَ لله أَنْ أُصافِيَ خِلاًّ ... فَيَرانِي فِي وُدِّهِ ذا اخْتِلالِ
زَعَمُوا أَنَّنِي نَظَمْتُ هِجاءً ... مُعْرِباً فِيكَ عَنْ شَنِيعِ المَقالِ
كَذَبُوا إِنَّما وَصَفْتُ الَّذِي حُزْ ... تَ مِنَ الفَضْلِ وَالبَها وَالكَمالِ
لا تَظُنَّنَّ حَدْبَةَ الظَّهْرِ عَيْباً ... فَهْيَ فِي الحُسْنِ مِنْ صِفاتِ الهِلالِ
وَكَذاكَ القِسِيُّ مُحْدَوْدِباتٌ ... وَهْيَ أَنْكَى مِنَ الظُّبا وَالعَوالِي
وَإذا ما عَلا السَّنَامُ فَفِيهِ ... لِقُرُومِ الجِمالِ أَيُّ جَمَالِ

---

(١) في (ظ): «جبلت».

(٢) في (س): «أطرف».

(٣) كذا قال المؤلف، والقصيدة في كتاب الروضتين لأبي شامة ٣/ ١٠١ لابن الذّروي الصعيدي، شاعر مشهور زمن صلاح الدين، توفي سنة ٥٧٧هـ. وانظر وفيات الأعيان ٤/ ١٤٥. وأُتيَ المؤلف من اتّحاد الاسمين، فكلاهما علي بن يحيى. (ج).

وَأرَى الانْحِنـاءَ في مِنْسَرِ البا زي وَلَمْ يَعْدُ مِخْلَبَ الرِّئْبَالِ
كَوَّنَ اللهُ فِيكَ حَدْبَةً إِنْ شِئْـ ـتَ مِنَ الفَضْلِ أَوْ مِنَ الإِفْضَالِ
فَأَتَتْ رَبْوَةً عَلَى طَوْدِ حِلْمٍ وَأَتَتْ مَوْجَةً بِبَحْرِ نَوالِ
ما رَأتْها النِّساءُ إلَّا تَمَنَّتْ لَوْ غَدَتْ حِلْيَةً لِكُلِّ الرِّجالِ
وَأَبُو الفَضْلِ أَنْتَ لا شَكَّ فِيهِ وَهْوَ رَبُّ القَوام والاِعْتِدالِ
عُدْ إِلَى وُدِّنا القَدِيم وَلا تُصْـ ـغِ لِقِيلٍ مِنَ الوُشاةِ وَقَالِ(1)
وَتَذَكَّرْ لَيالِياً حِينَ وَلَّتْ أَوْدَعَتْ حُسْنَها عُقُودَ اللآلِي
أَتُرَى بِالدُّعاءِ يُجْمَعُ شَمْلِي أَمْ رَجائِي مُخَيَّبٌ وَابْتِهالِي [٢٥/أ]
وَإذا لَمْ يَكُنْ مِنَ الهَجْرِ بُدٌّ فَعَسَى أَنْ تَزُورَنا فِي الخَيَالِ

فيه إيهامٌ ظاهر، ومثله قول ابن دانْيَال(2) في أحْدَب اسمه حسام: [الكامل]

قَسَماً بِحُسْنِ قَوامِكَ الفَتَّانِ يا أَوْحَدَ الأُمَراءِ فِي الحُدْبانِ
أَنْتَ الحُسامُ زَها بِرَوْنَقِ حَدْبَةٍ فَزَها عَلَى الخَطِّيَّةِ الْمُرَّانِ
يَا مُخْجِلاً شَكْلَ الهِلالِ بِقَدِّهِ حَاشاكَ أَنْ تُعْزَى إِلَى نُقْصَانِ
وَمُماثِلاً قَدَّ القَضِيبِ إذا مَشَى مِنْ حَدْبَتَيْهِ يَمِيسُ بِالرُّمَّانِ
مَا عابَ قامَتَكَ الحَسُودُ جَهالَةً إِلَّا أَجَبْتُ مَقالَهُ بِبَيانِ
هَلْ يَحْسُنُ الجُوكَانُ(3) إِلَّا أن يُرَى مَعْ أُكْرَةٍ فِي حَلْبَةِ المَيْدانِ
أَوْ هَلْ يَرُوقُ المَتْنَ إلا رِدْفُهُ حُسْناً فكيف بِمَنْ له رِدْفانِ

---

(١) في (ظ): «وقالي».
(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي الكحَّال (٦٤٧-٧١٠ / ١٢٥٠-١٣١٠): طبيب رمدي (كحال) من الشعراء. ولد في الموصل وتربى بها. اتخذ حرفة الكحالة التي لقب بها. توفي في القاهرة. له «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٨/ ٥٠؛ الأعلام، ٦/ ١٢٠؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٢٨٣.
(٣) الجوكان: عصا لها طرف مستدير، يستعمل للعب الكرة.

وَالعُودُ أحْدَبُ وَهْوَ أَشْهَى مُطْرِبٍ وَلَقَدْ سَمِعْتَ بِنَغْمَةِ العِيدَانِ
وَكَذا سَفِينُ البَحْرِ لَوْلا حَدْبَةٌ فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقْوَ لِلْطُّوفانِ
وَإذا اكْتَسَى الإِنْسانُ قِيلَ تَمَثُّلاً فِي المَدْحِ قامَتْ حَدْبَةُ الإِنْسانِ
وَمُدَبِّرُ الإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحْدَباً فِي عِلْمِهِ لِلْقِسْطِ فِي المِيزانِ[(١)]
يَفْدِيكَ فِي الحُدْبانِ كُلُّ مُكَرْبَجٍ يَمْشِي الهُوَيْنَى مِشْيَةَ السَّرَطانِ
مُتَجَمِّعُ الكَتِفَيْنِ أقْبَضُ قَدْ بَدَا فِي هَيْئَةِ الْمُتَجَمِّعِ الصَّفْعَانِ

وهو من قول ابن النَّطَّاح في أحدب[(٢)]: [الكامل]

قَصُرَتْ أَخادِعُهُ وَغاضَ قَذالُهُ فَكَأَنَّهُ مُتَوَقِّعٌ أَنْ يُصْفَعَا
وَكَأَنَّهُ قَدْ ذاقَ أَوَّلَ صَفْعَةٍ وَأَحَسَّ ثانِيَةً لَهَا فَتَجَمَّعَا

ومن بدائع ابن خَفاجة |الأندلسي|[(٣)] قوله في ساقٍ أحْدَب أسوَد[(٤)]: [السريع]

وَكَأْسِ أُنْسٍ قَدْ جَلَتْها الْمُنَى فَباتَتِ النَّفْسُ بِها مُعْرِسَهْ
طافَ بِها أَسْوَدُ مُحْدَوْدِبٌ يُطْرِبُ مَنْ يَلْهُو[(٥)] بِهِ مَجْلِسَهْ
فَخِلْتُهُ مِنْ سَبَجٍ رَبْوَةً قَدْ أَنْبَتَتْ مِنْ ذَهَبٍ نَرْجِسَهْ

[٢٥/ب] وقد جَرَرْنا أذيالَ المقال |على الحدبان|[(٦)] وفاء[(٧)] بحق الأدب.

(١) في (ظ): «بالميزان».
(٢) هذان البيتان في معاهد التنصيص لعبد الله بن النطاح، ٢/ ١٠٦.
(٣) زيادة من (ظ).
(٤) ديوانه، ص٢١٠.
(٥) في الديوان: «مِن لهو».
(٦) زيادة من (ظ).
(٧) في الأصل: «وفاة».

[٣]
الشيخ حَسَن بن محمَّد البُورِينِي الشَّامِيّ[١]

ديباجةُ الدنيا، ومكرُمة الدَّهْر، ونكتةُ عُطارِد التي افتخَرَ بها الفَخْر، وحسنة الزمان التي اعتذر بها عما جَنى، ودَوْحَةُ المجدِ المُثْمِرَةِ بأعذبِ جنى، أنبتَها الله في رياضِ الشام نَباتاً حَسَناً، وطلَع بدْرُه في سمائها سِراجاً وَهَّاجاً، وهَدى السالكين في طرُقِ الأدب، وأبانَ لهم منه مِنْهاجاً، ولم تزلْ قَوافلُ المحاوَرَة، تَحْمِل هدايا أخبارِه، ونسِيمُ المحاضرة، يهُبُّ مُعَطَّراً بِنَفحاتِ آثارِه، وأنا أُؤَمِّلُ اجتلاءَ بدرِه المنير، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]. |فمن معطر نفحاته|[٢] وغُرَر لَمَحَاتِه قوله[٣]: [الطويل]

---

(١) الحسن بن محمد بن محمد بن حسن الصفوري البوريني، بدر الدين (٩٦٣-١٠٢٤ / ١٥٥٦-١٦١٠): مؤرخ، من العلماء بالأدب، والحديث، والفقه، والرياضيات، والمنطق. ولد في صفورية الواقعة في شمالي فلسطين. نسبته إلى بورين من بلاد نابلس ولد بها أبوه فلزمته النسبة. وانتقل صغيراً مع والده إلى دمشق، فنشأ وتربى فيها. وكان يجيد الفارسية والتركية. وتوفي في دمشق ودفن في مقبرة الفراديس. من مؤلفاته: «تراجم الأعيان من أبناء الزمان»، و«شرح ديوان ابن الفارض»، و«الرحلة الحلبية»، و«السبع السيارة»، و«ديوان شعر» حققه رسالة دكتوراه مشهور عبد الرحمن حسين الحبازي في جامعة القديس يوسف عام ١٩٩٨. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٢؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٥١؛ لطف السمر، ١/ ٣٥٥؛ ديوان الإسلام، ١/ ٣١٨؛ معالم الأدب العربي، ٢/ ٣١٠؛ علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ١/ ٣٠٢؛ معجم المؤلفين، ١/ ٥٨٩، الأعلام، ٢/ ٢١٩.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) ديوانه، ٢/ ٢١٩-٢٢٠.

يَقُولُـونَ فِي الـصُّبْحِ الـدُّعاءُ مُـؤَثِّرٌ فَقُلْتُ: نَعَـمْ لَـوْ كـانَ لَـيْلِي لَـهُ صُـبْحُ
فَيَـــا عَجَبـــاً مِنِّـــي أَرُومُ لِقـــاءَهُ وَفِي جَفْنِـه سَـيْفٌ وَمِـنْ قَـدِّه رُمْـحُ
وَإِنْسانُ عَيْنِي كَيفَ يَنْجُو وَقَـدْ غَـدا يَطُـولُ لَـهُ فِي لُـجِّ مَدْمَعِــهِ سَـبْحُ
وَإِنْ كانَ يَـوْمُ البَيْنِ[1] يَـسْوَدُّ فَحْمُـهُ فَمِنْ مُهْجَتِي نـارٌ وَمِـنْ نَفَسِي قَـدْحُ
وَلَـــيْسَ عَجِيبـــاً أَنَّ دَمْعِـــيَ أَحْمَـــرٌ وَفِي مُهْجَتِي جُرْحٌ وَفِي مُقْلَتِي رَشْحُ

وما فيه معنى حسن ترجمه من بيت فارسي، وقد سبق له بهاء الدين زهير[2]: [الكامل]

جَعَـلَ الرُّقـادَ لِكَـيْ يُواصِـلَ مَوعِـدا مِـــنْ أَيـــنَ لي في حُبِّـــهِ أَن أَرْقُـــدا

وقول الباخَرْزِي في قصيدة له[3]: [الكامل]

قالَـتْ وَقَـدْ فَتَّـشْتُ عَنْهـا كُـلَّ مَـنْ لاقَيْتُـــهُ مِـــنْ حـــاضِرٍ أَوْ بَـــادِ[4]
أَنَـا فِي فُـؤادِكَ فَـارْمِ طَرْفَـكَ نَحْـوَه تَـرَنِي فَقُلْـتُ لَهـا: وَأَيْـنَ فُـؤَادِي

والأدَباءُ يستَحْسِنونه، وهو من قولِ عُرْوَةَ بنِ أُذَيْنَةَ[5]: [البسيط]

---

(١) في الديوان: «البعد».

(٢) ديوانه، ص٨٤.

(٣) ديوانه، ص٩١.

(٤) في الأصول: «بادِي»، وأثبت ما في الديوان.

(٥) هو عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث الليثي، الملقب بأذينة (ت: ١٣٠/ ٧٤٧): شاعر غزل مقدم، من أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضاً، ولكن الشعر أغلب عليه. وله «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: سمط اللآلي، ١٣٦؛ وفيات الأعيان، ٢/ ٣٩٤؛ الأعلام، ٤/ ٢٢٧. والبيتان في ديوانه، ص٣٣؛ وفي وفيات الأعيان، ٢/ ٣٩٥؛ وفي سمط اللآلي، ص١٣٦.

قالَتْ وأبْدَيْتُها سِرِّي فبُحْتُ بِهِ[١] قد كُنْتَ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاسْتَتِرِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لها غَطَّى هَواكِ وَما أَلْقَى عَلَى بَصَرِي

عَوداً لِما نحن فيه، فمن شعره قوله[٢]: [الطويل] [٢٦/أ]

وَكُنّا كَغُصْنَيْ بانَةٍ قَدْ تَأَلَّفَا عَلَى دَوْحَةٍ حَتَّى اسْتَطَالَا وَأَيْنَعَا
يُغَنِّيهِما صَدْحُ الحَمامِ مُرَجِّعاً وَيَسْقِيهِما كَأسَ السَّحائِبِ مُتْرَعَا
سَليمَيْنِ مِنْ خَطْبِ الزَّمانِ إذا سَطَا خَلِيَّيْنِ مِنْ قَوْلِ الحَسُودِ إذا سَعَى
فَفارَقَنِي مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَيْتُهُ وَأَبْقَى بِقَلْبِي حُرْقَةً[٣] وَتوَجُّعَا
عَفا اللهُ عَنْهُ ما جَناهُ فَإنَّنِي حَفِظْتُ لَهُ العَهْدَ القَدِيمَ وَضَيَّعَا

وقوله[٤]: [الطويل]

أُحَوِّلُ وَجْهِي حِينَ يُقْبِلُ عامِداً مَخافَةَ واشٍ بَيْنَنا وَرَقِيبِ
وَفِي باطِنِي وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْيُنٌ تُلاحِظُهُ فِي أَضْلُعٍ وَقُلُوبِ

وانظر هذا مع قولي: [الطويل]

تَنازَعَ فِيهِ الشَّوْقَ قَلْبِي وَناظِرِي فَأَثَّرَ فِيهِ الطَّرْفُ وَالقَلْبُ نَاصِبُ
وَتَنْظُرُهُ مِنْ قَلبِيَ الصَّبِّ أعْيُنٌ عَلَيْها لِمُنْحَنِيِّ الضُّلُوعِ حَوَاجِبُ

ولأبي تمام من قصيدة[٥]: [الكامل]

---

(١) صدر البيت في الديوان، وفي وفيات الأعيان: «قالتْ وأبثَثْتُها سِرِّي فبُحْتُ به»؛ وفي سمط اللآلي: «قالَت وَأَبثَثْتُها وَجدي فَبُحتُ بِهِ».

(٢) ديوانه، ٢/ ٨٥-٨٦.

(٣) الحرقة: ما يجده الإنسان من لذعة حب أو حزن، ما تجد في القلب من الوجع.

(٤) ديوانه، ٢/ ٤٤١-٤٤٢.

(٥) ديوانه، ٢/ ١٦٩. ورد عجزه في الديوان هكذا: «صِدقٌ وَفي بَعضِ القُلوبِ عُيونُ».

وَلِـذاكَ قِيـلَ مِـنَ الظُّنُـونِ جَلِيَّـةٌ عِلْـمٌ وَفِي بَعْـضِ القُلُـوبِ ظُنُـونُ

ولأبي عُبادة [البحتري][(١)]: [الكامل]

أَحْنُـو عَلَيـكِ وَفِي فُـؤادِي لَوْعَـةٌ وَأَصُـدُّ عَنْـكِ وَوَجْـهُ وُدِّي مُقْبِـلُ

ومما أنشدتُ له عفا الله عنه في معنى ترجمة من الفارسية أيضا: [الكامل]

وَرَقُ الغُـصُونِ إذا نَظَـرْتَ دَفـاتِرٌ مَـشْحُونَةٌ بِأدِلَّـةِ التَّوْحِيـدِ

وله أيضاً[(٢)]: [الكامل]

النَّـاسُ نَحْـوَ مَعـادِهِمْ ومَعاشِـهِمْ يَـسْعَوْنَ في الإِصْـباحِ وَالإمْـسَاءِ

وَأَنَـا الَّـذِي أَسْـعَى لِلَـذَّةِ نَظْـرَةٍ مِـنْ وَجْهِـكَ الُمزْرِي بِبَـدْرِ سَـمَاءِ

وَالنّـاسُ يَخْـشَوْنَ الـصُّدُودَ وَإِنَّـما أَخْـشَى سَـلِمْتَ شَـماتَةَ الأَعْـدَاءِ

وقوله أيضاً[(٣)]: [المتقارب]

إلـٰهِي أَدِمْ حـاكِمَ الحُـبِّ فِينـا مُطاعـاً وَكُـلَّ البَرايـا أُسـارَى

[٢٦/ب] إلـٰهِي وَزِدْ ذٰلِـكَ القَـدَّ لِينـاً وَأَشْرِبْ سَـقِيمَ الجُفُـونِ الخُـمَارَا[(٤)]

إلـٰهِي عَـلَى ضَـعْفِ أَهْـلِ الهَـوَى[(٥)] أَنِـلْ لَحْظَـةً فِي القُلُـوبِ[(٦)] اقْتِـدارَا

إلـٰهِي جُنُـودَ الهَـوَى أَعْطِهـا عَـلَى قُـوَّةِ الـصّابِرِينَ انْتِـصارَا

إلـٰهِي عَـلَى الحُـبِّ أَلْفَيْـتُ[(٧)] صَـبْراً وَعَـنْ حُـسْنِهِ مـا أَطَقْـتُ اصْـطِبارَا

---

(١) ديوانه،١/ ٣٠.

(٢) ديوانه، ٢/ ٤٣٩.

(٣) ديوانه، ٢/ ٤١٠-٤١١.

(٤) في (ظ): «العقارى».

(٥) في الديوان: «ضعف أجسامنا».

(٦) في الديوان: «أنل ذلك اللحظ فينا».

(٧) في الديوان: «ألقيتَ».

إلـــٰهي أَجَبْــتُ رَسُــولَ الهَــوَى وَلَمْ أَلْــقَ مُنْــذُ[١] دَعــانِي اخْتِيــارَا
إلـــٰهي رَضِــيتُ بِــما تَرْتَــضِي[٢] بِــسِرِّي وَسَــلَّمْتُ أمْــرِي جِهــارَا
إلـــٰهي لِيَ الجَـــبْرُ فِـــيما تَـــرَى وَإنْ ظَنَّــهُ العــاذِلُونَ[٣] انْكِــسارَا
إلـــٰهي أَعِــدْ لَيْــلَ هِجْرانِــهِ[٤] بِـصُبْحِ الـرِّضَى[٥] والتَّلاقِـي نَهـارَا

وهذا أسلوب بديع من النقل لاستعماله في الغزل الدعاء، كقول ابن الوكيل[٦]: [الكامل]

يــا رَبِّ جَفْنِــي قَــدْ جَفــاهُ هُجُوعُــهُ وَالوَجْــدُ يَعْــصِي مُهْجَتِــي وَيُطِيعُــهُ
يــا رَبِّ قَلْبِــي قَــدْ تَــصَدَّعَ بِــالنَّوَى فَــإِلَى مَتَــى هٰــذا البِعــادُ يَرُوعُــهُ
يا رَبِّ بَدرُ الحَيِّ غـابَ عـن الحِمـى فَمَتَـــى أرَاهُ في القِبـــابِ طُلُوعُـــهُ
يــا رَبِّ في الأظْعــانِ ســارَ فُــؤادُهُ يــا لَيْتَــهُ لَــوْ كــانَ ســارَ جَمِيعُــهُ
يـــا رَبِّ لا أَدَعُ البُكـــا فِي حُـــبِّهِمْ مِــن بَعْــدِهِمْ جُهْــدُ المُقِــلِّ دُمُوعُــهُ

(١) في الديوان: «مذ».
(٢) في (ظ): «ترض لي».
(٣) في (ظ): «الشامتون».
(٤) في الديوان: «إلهي وصيِّر ليالي الجفا».
(٥) في الديوان: «الوفا».
(٦) هو محمد بن عمر بن مكين أبو عبد الله صدر الدين ابن المرحل المعروف بابن الوكيل (٦٦٥-٧١٦ / ١٢٦٧-١٣١٧): شاعر، من العلماء بالفقه. ولد بدمياط، وانتقل مع أبيه إلى دمشق، فنشأ فيها. وأقام مدة في حلب، وتوفي بالقاهرة. من مؤلفاته: «الأشباه والنظائر»، وله شعر وموشحات رقيقة جمعها في ديوان سماه: «طراز الدار». انظر مصادر ترجمته: الدارس في تاريخ المدارس، ١/ ٢٧؛ شذرات الذهب، ٨/ ٧٤؛ البدر الطالع، ص٧٥١؛ الأعلام، ٦/ ٣١٤؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٥٦٧.

يـا رَبِّ عَـذِّبْ بِـالنَّوَى مَـنْ قـالَ لِي ... يَوْمَ النَّـوَى: أَحْلَى الهَـوَى مَمْنُوعُـهُ[١]

يـــا رَبِّ هٰـــذا بَيْنُـــهُ وَبِعــــادُهُ ... فَمَتَـــى يَكُـــونُ إِيابُـــهُ وَرُجُوعُـــهُ

ومثل استعمال الغزل على طرز الأوامر السلطانية كقول الشاب الظريف[٢]:

[الوافر]

أَعـــــزَّ اللهُ أَنْـــــصارَ العُيُـــــونِ ... وَخَلَّـــدَ مُلْـــكَ هَاتِيـــكَ الجُفُـــونِ

وَضــاعَفَ بــالفُتُورِ لَهَــا اقْتِــداراً ... وإنْ تَـكُ أَضْعَفْتَ عَقْلِي ودِينِـي[٣]

وَأَبْقـــى دَوْلَـــة الأَعْطَـــافِ فِينَـــا ... وَإِنْ جَـارَتْ عـلى قَلْبِـي الطَّعِـينِ[٤]

وَأَسْـبغَ ظِـلَّ ذَاكَ الـشَّعْرِ دَوْمـاً[٥] ... عَـــلَى قَـــدٍّ بِـــهِ هَيَـــفُ الغُـــصُونِ

|وصَـــانَ حِجـــابَ هاتِيـــكَ الثَّنايَـــا ... وإنْ ثَنَـتِ الفُـؤادَ إلى الـشُّجُونِ|[٦]

وقوله: [الوافر]

(١) أقول (ج): هو من قول عرقلة الكلبي فوات الوفيات ١/ ٣١٤:

يـا لائمـي فـيمن تمنّـعَ وصـله ... عـن بغيتـي أحـلى الهـوى ممنوعـه

(٢) هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، شمس الدين، الشاب الظريف (٦٦١-٦٨٨/ ١٢٦٣-١٢٨٩): ويقال له ابن العفيف نسبة إلى أبيه الذي عِرف «بعفيف الدين التلمساني». كان شاعراً مترققاً، ظريفاً معاشراً. وشعره في غاية الحسن. ولد بالقاهرة، وكان أبوه صوفياً فيها بخانقاه سعيد السعداء. وولي عمالة الخزانة بدمشق، وتوفي بها. من مؤلفاته: «ديوان شعر» مطبوع، و«مقامات العشاق» رسالة في ورقتين. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٧/ ٧٠٨؛ كشف الظنون، ٧٦٧؛ إيضاح المكنون، ١/ ٤٨٦؛ هدية العارفين، ٢/ ١٣٦؛ الأعلام، ٦/ ١٥٠؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٣٣٤. والأبيات في ديوانه، ص٣٣٥-٣٣٦.

(٣) هذا الشطر في الديوان: «وَجَدَّد نِعْمَةَ الحُسْنِ المَصُونِ».

(٤) هذان البيتان زيادة من (ظ).

(٥) في الديوان: «مِنْه». وفي (ظ): «دهرا».

(٦) زيادة من (ظ).

أَعـــــزَّ اللهُ أَيَّـــــامَ الوِصَـــــالِ وَخَلَّـــدَ مُلْـــكَ هَاتِيـــكَ اللَّيَـــالِي

وممَّا أنشدت له قوله[١]: [الوافر] [٢٧/ أ]

أَلَا سَـــامِحْ أَخَـــاكَ إذا تَعَـــدَّى وَأَلْـقِ إِلَيْـهِ فِي الحَـرْبِ الـسِّلَاحَا
فَمَـنْ يَعْتِـبْ عَـلَى الخِـلَّانِ يَتْعَـبْ وَمَـــنْ لَـــزِمَ المُـــسامَحَةَ اسْـــتَراحَا

وقوله[٢]: [الخفيف]

صَـــاحِبِي مَـــنْ يَـــوَدُّنِي بِـــالفُؤَادِ لا قَرِيبِـــي[٣] بِحُلَّتِـــي وَبِـــلَادِي
لَيْـتَ شِـعْرِي إذا تَنـاءَتْ قُلُـوبٌ أَيُّ نَفْـــعٍ لِـــصُحْبَةِ الأَجْـــسَادِ

وقوله[٤]: [المجتث]

وَلا تُـــشاوِرْ حَكِـــيماً فَخالِقُ الحُكْمِ[٥] أَحْكَمْ

وقوله[٦]: [الطويل]

خَبَأْتُكَ[٧] فِي عَيْنِي لِتَخْفَى عَنِ الوَرَى لِذٰلِكَ قَالُوا:[٨] إِنَّ فِي العَيْنِ إِنْسَانَا

وهو معنى حسن، وأحسن منه قولي: [المتقارب]

خَبَأْتُـكَ فِي العَـيْنِ خَـوْفَ الوُشـاةِ وَكَـــمْ شَرَّفَ الـــدَّارَ سُـــكَّانُهَا

---

(١) ديوانه، ٢/ ٢٩١-٢٩٢.
(٢) ديوانه، ٢/ ٩٨.
(٣) في الديوان: «قريني».
(٤) ديوانه، ٢/ ٩٩.
(٥) في الديوان: «الخَلق».
(٦) ديوانه، ٢/ ٢٧٠.
(٧) في الديوان: «جعلتك».
(٨) في الديوان: «وما كنت أدري».

وَمِــنْ غِــيرَةٍ خِفْـتُ أَنْ يَفْطَنُـوا إذا قِيــلَ: فِي العَــيْنِ إِنْــسانُهَا

ومن شعره أيضا قوله(١): [الطويل]

لَهـا فِي رُبَـى قَلْـبِ المُحِـبِّ مَقِيـلُ وَظِـلٌّ بِأَحْنَـاءِ(٢) الـضُّلُوعِ ظَلِيـلُ
وإن ظَمِئَـتْ فَـالوِرْدُ مِـنْ مـاءِ دَمْعِـهِ يُبَــلُّ بِـهِ يـومَ(٣) الهَجِـيرِ غَلِيـلُ
فَلِـمْ أَلِفَـتْ هٰـذا النِّفـارَ كَـأَنَّمَا فُــؤادُ المُعَنَّــى بِالـسَّقامِ مُحِيـلُ
أَجَـلْ إِنْ عَفـا مِـنْ بَعْـدِهِمْ فَكَـأَنَّما تُجَــرُّ عَلَيْــهِ لِلْجَنُــوبِ ذُيُــولُ
مَنـازِلُ هٰـذا القَلْـبِ كُـنَّ أَوَاهِـلاً(٤) وَهـا(٥) هِـيَ مِـنْ بَعْـدِ الفِـراقِ طُلُـولُ
لَـكَ اللهُ يَـا بْـنَ الأَكْـرَمِينَ أَيَـشْتَفِي فُــؤادٌ لِبَــيْنِ الظّــاعِنِينَ عَلِيــلُ
وَيـا ظَبْـيُ هَـلْ بَعْـدَ النِّفـارِ تَـأَنُّسٌ وَيـا بَـدْرُ هَـلْ بَعْـدَ الأُفُـولِ قُفُـولُ
وَيـا مَنْـزِلَ الأَحْبَـابِ أَيْـنَ تَرَحَّلُـوا وَهُـمْ فِي فُـؤادِي مـا حَيِيـتُ نُـزُولُ
يَمِيلُــونَ عَنِّــي لِلْوُشــاةِ وَإِنَّنِــي إِلَـيْهِمْ وَإِنْ طـالَ الـصُّدُودُ أَمِيـلُ
أَيَجْمُـلُ مِـنْ أَحْبَـابِ قَلْبِـيَ غَـدْرُهُمْ بِغَـدْرِي(٦) وَمـا غَـدْرُ المُحِـبِّ جَمِيـلُ
عَـلَيَّ لَهُـمْ حِفْـظُ الـوِدَادِ وَإِنْ جَفَـوا(٧) وَلَـيْسَ إِلَى بَعْـضِ الـصُّدُودِ(٨) سَـبِيلُ
[٢٧/ ب] وَظَبْــيٍ أرادَ العــاذِلُونَ سُــلُوَّهُ وَأَبْعَــدُ شَيْءٍ مــا أرادَ عَــذُولُ

(١) ديوانه، ٢/ ٤٨٤-٤٨٦.
(٢) أحناء: جمع الحِنو، وهو كل شيء فيه اعوجاج.
(٣) في الأصول: «نار» وأثبت ما في الديوان.
(٤) أواهل: جمع آهل، منزل آهل: به أهله.
(٥) في الديوان: «فها».
(٦) في الديوان: «بعهدي».
(٧) في الديوان: «جنوا».
(٨) في الديوان: «نقض العهود».

وَقَـدْ ضـاعَ قَلْبِـي مُـذْ رَأَيْـتُ جَمَالَـهُ فَهَــلْ لِي عَلَيْــهِ فِي الأَنَــامِ دَلِيــلُ
وَما هـاجَنِي إِلَّا ابْـنُ وَرْقـاءَ سُـحْرَةً[(١)] لَـهُ فَـوْقَ أَفْنَـانِ الرِّيـاضِ هَـدِيلُ
يُـرَدِّدُ فِي صُـحْفِ الرِّيـاضِ قَـصائِداً مِــنَ الــشَّوْقِ يُمْلِيهــا لَنَـا وَيَمِيــلُ
يُخَيِّــلُ أَنَّ البَــيْنَ هَــدَّ اصْــطِبارَهُ[(٢)] وَكَيْــفَ وَلَــمَّا يَنْــأَ عَنْــهُ خَلِيــلُ
وَلَمْ تَحْــتَكِمْ فِيــهِ اللَّيَــالِي وَلَمْ يَــبِنْ عَلِيـــهِ لِبَـــيْنٍ رِقَّـــةٌ وَنُحُـــولُ
أَمَا وَالهَوَى لَوْ ذُقْتَ[(٣)] ما ذُقْتُ في الهَوَى لَمَـا ازْدَانَ بِـالأَطْواقِ مِنْـك[(٤)] تَلِيـلُ
عَـلَى أَنَّـهُ مـا فـارَقَ الإلْـفَ دَهْـرَهُ وَمـالِي إِلَى وَصْـلِ الحَبِيـبِ وُصُـولُ
تَـسَنَّمَ غُـصْناً في رِيـاضٍ أَرِيـضَةٍ تَهُــبُّ عَلَيْهــا[(٥)] شَــمْأَلٌ وَقَبُــولُ
يُـــصَفِّقُ جَـــذْلانَ الفُـــؤَادِ كَـــأَنَّما تُـدَارُ عَلَيْــهِ في الكُـؤُوسِ شَـمُولُ

وأنشدوا له[(٦)]: [الدوبيت]

يــا قَلْــبُ إلى مَتَــى عَــداكَ النُّـصْحُ كَـمْ تَمْـزَحُ كَـمْ جَنَـى عَلَيْـكَ المَـزْحُ
مــا جارِحَــةٌ عَــدَا عَلَيْهــا الجُـرْحُ مــا تَــشْعُرُ بِـالخُمارِ حَتَّــى تَـصْحُو

وليس له، وهو من رباعيات القاضي أبي محمد الشَّهْرَزُورِي[(٧)].

---

(١) في الديوان: «وقد هاجني صدح ابن ورقاء هاتفا».

(٢) في الديوان: «آذى فؤاده».

(٣) في الديوان: «ذاق».

(٤) وفي (س): «منه»، والتَّليل: العنق.

(٥) في الديوان وفي (ظ): «عليه».

(٦) ديوانه، ٢/ ٤٥٦.

(٧) قال في ريحانة الألبا ١/ ٤٩: قلت: ليست هذه له، فإنها في «ديوان محمد بن علي» كما ذكرناه في ديوان الأدب. (ج).

وسُئل عن قوله في الهمزيَّة[(١)]: [الخفيف]

أَنَّــهُ الــشَّمْسُ رِفْعَــةً وَالــضِّياءُ[(٢)] شَــمْسُ فَــضْلٍ تَحَقَّــقَ الظَّــنُّ فِيــهِ

فَــإِذَا مَــا ضَــحَا مَحَــا نُــورُهُ الظْــ ــظِلَّ وقَـدْ أَثْبَـتَ الظِّـلالَ الـضِّياءُ[(٣)]

فَكَـــأَنَّ الغَمامَـــةَ اسْـــتَوْدَعَتْهُ مَــنْ أَظَلَّــتْ مِــنْ ظِلِّــهِ الــدَّفَفَاءُ

فخالف الشُّراحَ في ضَبْطه وزَعَمَ أنه هكذا ما «أَضَلَّتْ من ظله الدَّففاءُ»، وقال يعني «بالدَّففاء» جماعات الناس والجيوش و(أضلته) من الضلال بمعنى الإضاعة، وذكر شيئاً لا مُحَصِّلَ له؛ بل لا معنى له، وقد تحرَّف عليه كما تحرَّف على شُرَّاحه، وإنما هو هكذا: [الخفيف]

فَكَـــأَنَّ الغَمامَـــةَ اسْـــتُودِعَتْهُ مُــذْ أُظِلَّــتْ مِــنْ ظِلِّــهِ الــدَّقْعَاءُ

و«اسْتُودِعَتْهُ» بصيغة المجهول و«مذ» بذال معجمة لا بنون، [٢٨/أ] و«أُظِلَّتْ»[(٤)] مجهول أيضاً، ونائب فاعله «الدَّقْعَاءُ» بدال مهملة مفتوحة، وقاف ساكنة بعدها عين مهملة، وهي الأرض والتراب، والمعنى؛ أن الغمامة أعطيت ظله ليكون عندها، وديعة مصونة عندها لئلا يقع على الأرض ويمسّ التراب، وهو معنى بديع لا يشك فيه من له طبع وتطبع بالشعر.

وفي معناه ما قلته في رباعياتي التي مدحتُ بها النبي ﷺ: [الدوبيت]

مَــا جُــرَّ لِظِــلِّ أَحْمَــدَ أَذْيــالُ في الأَرْضِ كَرامَــةً كَــما قَــدْ قَــالُوا

هٰـذا عَجَـبٌ وَكَـمْ لَـهُ مِـنْ عَجَـبٍ والنَّــاسُ بظِلِّــهِ جَمِيعــاً قَــالُوا[(٥)]

---

(١) الأبيات للبوصيري في ديوانه، ص١٠.

(٢) في (ظ): «والنساء».

(٣) في الديوان: «الضَّحَاءُ».

(٤) في (ظ): «أضلت».

(٥) و«قالوا» في البيت الأول من القول، وفي الثاني من القيلولة.

وقوله في الهمزية «شمس فضلٍ.. » إلخ يعني أن الشمس تضيء بالذات، وما هو كذلك لا ظل له، فإن الظل يكون من حيلولة الجسم الكثيف بين الأرض والمضيء، ولذا قال ابن العميد[(١)]: [الكامل]

قَامَتْ[(٢)] تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ   نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي[(٣)]
قامَتْ تُظَلِّلُنِي[(٤)] وَمِنْ عَجَبٍ   شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

وتَبِعه ابن نُباتة [المصري] فقال[(٥)]: [الطويل]

عَلَيَّ دُيُونٌ مِنْ ثَنًا لَمْ أَقُمْ بِهَا   وَيا عَجَباً لِي فِي ازْدِيادِي[(٦)] مِنَ الفَضْلِ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّكَ الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ   وَهَا أَنَا مِنْها حَيْثُما كُنْتُ في ظِلِّ

ومما يحسن إيراده هنا قول ابن المُنَيِّر[(٧)]: [الخفيف]

---

(١) ساقط من (ظ). هو أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد (ت: ٣٦٠/ ٩٧٠): وزير من أئمة الكتاب. كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم. ولقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله. عاش نيفا وستين سنة، ومات بهمذان. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٥/ ١٠٣؛ يتيمة الدهر، ٣/ ١٨٣؛ معاهد التنصيص، ٢/ ١١٥؛ الأعلام، ٦/ ٩٨. والبيتان في يتيمة الدهر، ٣/ ٢٠٩-٢١٠، وفي وفيات الأعيان، ٥/ ١٠٩.

(٢) في يتيمة الدهر: «ظلت»، وفي وفيات الأعيان: «كانت».

(٣) هذا البيت ساقط من (ظ).

(٤) في يتيمة الدهر: «فأقول وا عجبا»، وفي وفيات الأعيان: «يا عجبا».

(٥) ديوانه، ص٤٢٢.

(٦) في الديوان: «ازدِيادٍ».

(٧) هو ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، المعروف بابن المُنَيِّر الجذامي الجروي الإسكندري (٦٢٠-٦٨٣ / ١٢٢٣-١٢٨٤): قاضي الإسكندرية. عالم فاضل، برع في الفقه والأصول والنظر والعربية والبلاغة. انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ١/ ١٤٩؛ شذرات الذهب، ٧/ ٦٦٦. البيتان في فوات الوفيات، ١/ ١٥٠.

لَيْسَ شَمْسُ الضُّحَى كَشَمْسِ مَقالٍ عَمَّنا نَفْعُ نُورِها إذْ تَجَلَّى[١]
تِلْكَ مَهْمَا عَلَتْ محَلًّا ثَنَتْ فُلْـ ـكاً[٢] وَهٰذا مَهْمَا عَلا مَدَّ ظِلَّا[٣]

واعلم أن كون النبي ﷺ لا ظلَّ له من معجزاته، لأنَّه محضُ نور، وقد صرَّح به القاضي عياض[٤] في «الشفا» وتفصيله في شروحه، والرافضة تزعم أنَّ الإمام المنتظر كذلك، وهو من غلوّهم في الكذب، وقد تطرف أبو بكر الخَوارزمي[٥] في قوله لما سمع قول المفجع فيه[٦]: [السريع][٢٨/ ب]

---

(١) في فوات الوفيات: «ليس شمس الضحى كأوصاف شمس الـ ـدين قاضي القضاة حاشا وكلا».

(٢) في (ظ): «تناقصت الظل» بدلا من «محلا ثنت فلكا».

(٣) في فوات الوفيات: «تلك مهما علت محلًّا ثنت ظلاً وهذا مهما علا زاد ظلَّا».

(٤) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، المعروف بالقاضي عياض (٤٧٦-٥٤٤ / ١٠٨٣-١١٤٩): ناقد، مفسر، فقيه، أصولي، عالم بالنحو، واللغة، وكلام العرب، وأيامهم، وأنسابهم. شاعر خطيب. أصله من الأندلس. ولد بسبتة. وتولى القضاء بغرناطة، وتوفي بمراكش. من مؤلفاته: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك»، و«مشارق الأنوار» في الحديث. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان ٣/ ٤٨٣؛ الأعلام ٥/ ٩٩؛ معجم المؤلفين ٢/ ٥٨٨.

أقول (ج): والخبر في الشفا ٤٦٢ (فصل: الآيات التي ظهرت عند مولده) وحديث لا ظلّ لشخصه في شمس ولا في قمر. رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٦٨) وفيه عبد الرحمن ابن قيس وضاع كذاب. اهـ.

(٥) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، ويقال له «الطَّبرخزي» أيضا (٣٢٣-٣٨٣ / ٩٣٥-٩٩٣): من أئمة الكتاب، وأحد الشعراء العلماء. كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب. ولد ونشأ في خوارزم، وتوفي بنيسابور. من مؤلفاته: «الرسائل»، و«ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ١٦/ ٥٢٦؛ وفيات الأعيان، ٤/ ٤٠٠؛ الأعلام، ٦/ ١٨٣.

(٦) الأبيات لابن لَنْكَك البصري، وهو محمد بن محمد بن جعفر بن لنكك، أبو الحسين البصري (ت: ٣٦٠/ ٩٧٠): شاعر، وصفه الثعالبي بفرد البصرة وصدر أدبائها، وقال: أكثر شعره ملح =

لَنــــا سِراجٌ نُــــورُهُ ظُلْمَــــةٌ لَــيْسَ لَــهُ ظِــلٌّ عَــلَى الأَرْضِ
كَأَنَّــهُ شَــخْصُ الإمــامِ الَّــذِي يَبْغِي الهُدَى مِنْهُ أُولُو الرَّفْضِ

[الكامل]

إنَّ الْمُفَجَّــعَ فــالعنوه بِزَيْــتِ يَغْلِي يدين بِبُغْضِ أَهْلِ البَيْتِ
يَهْـوَى العَلُـوقَ وَإِنَّـما يَلْقـاهُمُ بِمُـؤَخَّرٍ حَـيٍّ وقُبْـلٍ مَيْـتِ[1]

ومثل هذا التحريف في هذه القصيدة ما أورده في «المواهب اللدنية» في قصة الغار[2]: [الخفيف]

أَخْرَجُــوهُ مِنْهــا وَآوَاهُ غــارُ وَحَمَتْــهُ حَمامَــةٌ وَرْقــاءُ
وكَفَتْــهُ بِنَــسْجِهَا عَنْكَبُــوتٌ مـا كَفَتْـهُ الحَمامَـةُ الحَـصْدَاءُ[3]

فظنَّه (الحمامة) واحدة الحمام، وقال (الحصداء) شجرة كثيرة الورق، واستعاره للحمامة لكثرة ريشها، وليس كما توهمَّه؛ وإنما هو (الجنَّانة) بالجيم، ونون مشددة أي الحافظة والجنة، والمراد بها الدرع، و(الحصداء) الدرع أيضا كما

= وطرف، جلها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره. وهو صاحب البيت المعروف:

«نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان إذاً هجانا»

له «ديوان شعر» اطلع عليه الثعالبي وأورد منه مختارات، ورآه الصاحب بن عباد وقرَّظه ببيتين كتبهما على جزء منه، وكان معاصراً للمتنبي وهجاه. انظر مصادر ترجمته: يتيمة الدهر، ٢/ ٤٠٧؛ معجم الأدباء، ٦/ ٢٦١٩؛ بغية الوعاة، ١/ ٢٠٧؛ الأعلام، ٧/ ٢٠. والبيتان في يتيمة الدهر، ٢/ ٤٢٧. والبيتان في الديوان ٥١ ط منشورات الجمل ألمانيا ٢٠٠٥.

(١) ليسا في ديوان الخوارزمي تحقيق د.حامد صدقي ط طهران ١٩٩٧م.

(٢) الأبيات للبوصيري في ديوانه، ص٥.

(٣) الحصداء: كثيرة الريش.

ذكره أهل اللغة وهذا كقوله في البردة[١]: [البسيط]

وِقايــةُ اللهِ أَغْنَــتْ عَــنْ مُــضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ[٢]

ولله در ابن النقيب[٣] في قوله[٤]: [الوافر]

وَدُودُ القَـزِّ إِنْ نَـسَجَتْ حَرِيـراً يُجَمِّــلُ لُبْــسُهُ في كُــلِّ حَــيِّ

فَــإِنَّ العَنْكَبُــوتَ أَجَــلُّ مِنْهــا بِــما نَــسَجَتْ عَــلَى رَأْسِ النَّبِــيِّ

وإنما أطلنا في هذا لأنه وقع في هذه القصيدة تحريفٌ كثيرٌ للشرَّاح، وسببه أن أكثرهم لم يعتنِ بالأدب، وناظمها كان ساكن الريح في عصره لم يرو عنه شعره، ومن طالع «ديوانه» عرف علو كعبه في هذه الصناعة.

---

(١) ديوان البوصيري، ص١٩٥.

(٢) الأطم: الحصون.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد الحسيني، ابن النقيب (١٠٤٨-١٠٨١ / ١٦٣٨-١٦٧٠): أديب دمشق في عصره. ولد بدمشق وتوفي بها. له الشعر الحسن والأخبار المستعذبة. كان من فضلاء البلاد. وله «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: نفحة الريحانة، ٢/ ٣٤؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٣٩؛ تاريخ الأدب العربي العصر العثماني، ٢٣٠.

(٤) لم يرد البيتان في الديوان.

[٤]
أبو المعالي دَرْوِيش محمَّد الطَّالُوِي الشامِي[(١)]

وحيدٌ له المجدُ قرينٌ، وماجدٌ ما له في الجود رَهينٌ، وريقُ أغصان المروَّة، وفاتحُ حصون المغلَقاتِ عَنْوَةً، سليلُ المعالي والكرم، رقيقُ حواشي الطبع والشِّيَم، فكم في علاه مسرح للمقال، وكم في حِماه مجال للآمال: [المتقارب]

|إذا أَعْجَبَتْـكَ خِـصالُ امْـرِئٍ فَكُنْ مِثْلَـهُ مِثْلَ ما يُعْجِبُكْ|(٢)

[٢٩/أ] وَلَيْسَ عَلَى المَجْدِ مِنْ حاجِبٍ إذا جِئْتَـــهُ زائِـــراً يَحْجُبُـــكْ

وهو حسَّانُ عصرِه، وأبو عبادة دهرِه، له في المجدِ زَنْدٌ ورِيٌّ، وفي موارِده العذبة شربٌ ورَوِيٌّ، ونور بشره في ظلمة الخطوب هادي، وصيّب كرمه لركائب الآمال حادي، سابح في بحر فكر سريع، سارَ في روضِ أدبٍ أبهى وأبهج من وشْيِ الربيع، إذا حَلّى أجيادَ الغصون بعقود دررِ الغمائم، وألبس

---

(١) درويش محمد بن أحمد الطالوي الأرتقي أبو المعالي (٩٥٠-١٠١٤ / ١٥٤٣-١٦٠٥): أديب له شعر وترسل. من أهل دمشق مولداً ووفاةً. وهو من أب رومي، وأم من أسرة لآل طالو. ولزم في أول أمره صنعة السروج، ثم حبَّب إليه الشهابُ الغزي طلب العلم، فترك حرفته. وقد ارتحل إلى الروم، ونابلس، ومصر. واشتغل بالتدريس، والقضاء. كان ماهرا في كل فن من الفنون، مفرط الذكاء، فصيح العبارة، منشئاً بليغاً، حسن التصرف في النظم والنثر. وجمع أشعاره، وترسلاته في كتاب سماه: «سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٥٣؛ تراجم الأعيان، ١/ ٢٠١؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٤٩؛ ديوان الإسلام، ٣/ ٢٣٠؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٦٥؛ الأعلام، ٢/ ٣٣٨؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٠٤.

(٢) زيادة من (ظ).

هاماتِ الرُّبى من النَّبْت مخضرَّ العمائم[(١)]: [البسيط]

كَــأَنَّ سِــحْرَ بَيَــانٍ في كِتابَتِــهِ أَعْدَى بِهِ كُلَّ طَرْفٍ أَحْوَرٍ سَحَرَا

بطبعٍ تُجلى عليه المعاني صورة فصورة، وتُتْلى عليه آياتُ الفضل سورةً فسورةً، إذا كاتب بألفاظه الرقيقة، ودَّ السحرُ لو كان رفيقة، وقد سرَّحتُ طرفي في رياض إنشائه المنثور، فجنى منه إنسانه بيد الفكر غضَّ الزهور، ورأيته فاح نشره في ليل حِبْره، ولا بدع للمنثور إذا ظهر في عنبر الظَّلماء عبير نشره، فحلَّيتُ المسامعَ بعقوده الدُّرِّيَّة، واجتليت في فلك المسامرة كواكبها الدُّرِّيَّة، ورأيت سَبَجَ[(٢)] سطورها في يد المجد، وخيلان نَقْطها يزيّن من وجه الطرس صفحة الخد، فسبحت تعجباً من درٍّ لونُه السواد، ومن أرضِ كافور ينبت فيها مسك المداد[(٣)]: [الكامل]

فَكَـأَنَّ أَسْـطُرَهُ غُـصُونُ أَراكَـةٍ وَمِـنَ القَـوَافِي فَـوْقَهُنَّ حَمَـامُ

وهو فرع من شجرة آل طالُوا، الذين فرَّعوا رُتَب الغر وطالوا، فهم في ربى الجياد غصونٌ مورقةٌ بالسلاح، باسقةُ الفروعِ من بيض الصِّفاح وسمر الرماح،

---

(١) البيت للأرَّجاني في ديوانه، ٢/ ٧٨١.

(٢) السَّبَج: حجر أسود صقيل، له استعمالات متعددة. الجواهر للبيروتي ٣٢٠. (ج).

(٣) البيت لابن عمار، وهو أبو بكر محمد بن عمار المَهْرِي الأندلسي الشِّلبي أبو بكر المعروف بابن عمار (٤٢٢-٤٧٧ / ١٠٣١-١٠٨٤): وزير، أديب شاعر هجاء، يلقب بذي الوزارتين. كان من الشعراء المجيدين. كان هو وابن زيدون كفرسي رِهان، وكان ابن عمار قد اشتمل عليه المعتمد وبلغ الغاية إلى أن استوزره، ثم جعله نائبا على مُرْسِيَة، فخرج عليه، ثم ظفر به المعتمد فقتله. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: نفح الطيب، ١/ ٦٥٢؛ قلائد العقيان، ١/ ٢٥٣؛ وفيات الأعيان، ٤/ ٤٢٥؛ شذرات الذهب، ٥/ ٣٣٤؛ هدية العارفين، ٢/ ٧٤؛ الأعلام، ٦/ ٣١٠؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٥٥٦. والبيت في قلائد العقيان، ١/ ٢٨٠.

أكفهم للمكارم معادن، وأبوابهم للسعادة مواطن، فكم راكب عجل استوقفته فوقف، وأهدى إليَّ من تُحفه ظَرْفَ طُرَفٍ، حتى ورد الروم فقَرَّ به نَظري، ولم تسمع أذني بأحسن مما قد رآى بصري، فجلوت عليه [٢٩/ب] خُرَّدَ ثنائي، وحام على ورده طائر رَجائي، وليس هو[١] رجاء منح، فإني أعتقتُ رقاب الشعر من رِبْقَة المدح، فأنقذني من شرك العناء، وأنا في الغربة ميت التصبر حي المنى، أقيل في ظل الوحدة، وأسامر الفكر وحده، فدار بيني وبينه كؤوس محاورات تُسكِر الأذهان، وتُنعش الفكر الراقد من خُمار الزمان، يغضّ لها عيون الزهر، ويوسم بها غفل الدهر[٢].

فمما كتبتُ إليه أستَمْطِرُ سحائِبَه الغُرّ[٣]، وأسْتَجدِي كرماً من رقيق خُلْقِه الحُرّ، وأسْتَمْرِي أخلافه على غُلَّة[٤]، وأستقي ما لو وقع منه قَطرة في بحور الأشعار لم تكن به عِلّة، فقلتُ[٥]: [الكامل]

قَبَّلْتُ مُصْطَبِحاً شِفاهَ الأَكْؤُسِ ... وَالصُّبْحُ يَبْسِمُ لي بِثَغْرٍ أَلْعَسِ[٦]
حَتَّى غَدَتْ مِنْهُ الغَزالَةُ وَاخْتَفَى ... مِسْكُ الدُّجَى عِنْدَ الجَوارِي الكُنَّسِ
وَالنَّهْرُ سَيْفٌ بِالشَّمائِلِ صَقْلُهُ ... وَلَهُ حَمائِلُ مِنْ خَمائِلِ سُنْدُسِ

(١) ساقط من (ظ).
(٢) هذه الجملة ساقطة من (ظ).
(٣) هذه الجملة كلها ساقطة من (ظ).
(٤) أي أحلب ضروعه على عطش.
(٥) القصيدة في سانحات دمى القصر، ١/ ٣٠٢-٣٠٤؛ وريحانة الألبا، ١/ ٥٥؛ ومطلعها في خلاصة الأثر، ٢/ ١٥٣.
(٦) في (ظ): «الغنس».

أَوْ صَدْرُ أَغْيَدَ فاتِحٍ أَطْواقَهُ ... وَالنُّورُ أَزْرارٌ بِحُلَّةِ أَطْلَسِ

وَالطَّيْرُ تَشْدُو وَالغُصُونُ رَواقِصٌ ... بِمَخارِقٍ بِيَدِ الرَّبِيعِ السُّنْدُسِيّ

وَعَلَى الخَلاعَةِ لَيْسَ جِيدِي عاطِلاً ... مِنْ حِلْيَةِ المَجْدِ العَزِيزِ الأَنْفَسِ

وَلَواحِظٍ مَرْضَى بِها اعْتَلَّ الصَّبَا ... وَالصَّبُّ بِالسُّقْمِ المُبَرِّحِ مُكْتَسِي

فُتِنَتْ بِأَنْفُسِها فَفِيها عِلَّةٌ ... مِنْ وَجْدِها وَفُتُورُ مَهْجُورٍ نُسِي

فَلَكَمْ قَطَفْتُ ثِمارَ لَهْوٍ أَيْنَعَتْ ... وَغَفِلْتُ عَمّا قَدْ جَنَى الزَّمَنُ المُسِي

وَطَرَدْتُ آمالِي بِراحَةِ عِفَّتِي ... إِنَّ التَّمَنِّي رَأْسُ مالِ المُفْلِسِ

شانَ التَّلَمُّسُ وَجْهَ شِعْرِي بُرْهَةً ... فَطَرَحْتُ مِنْهُ صَحِيفَةَ المُتَلَمِّسِ

وَكَحَلْتُ طَرْفِي بِالسُّهادِ صَبابَةً ... وَوَهَبْتُ نَوْمِي لِلْعُيُونِ النُّعَّسِ

وَنَظَرْتُ خَدَّ الوَرْدِ لَمّا احْمَرَّ مِنْ ... خَجَلٍ وَقَدْ بُهِتَتْ عُيُونُ النَّرْجِسِ

وَأَظُنُّ خَجْلَتَهُ لِخَدِّ الطِّرْسِ إِذْ ... أَمْسَى بِوَشْيِ عِذارِ شَعْرِكِ يَكْتَسِي

[٣٠/أ] يا عَقْدَ جِيدِ الدَّهْرِ غُرَّةَ مَجْدِهِ ... وَطِرازَ ما حاكَ العُلا مِنْ مَلْبَسِ

بَلْ كَعْبَةً حَجَّتْ لَها آمالُنا ... فَدَنَتْ إِلَى حَرَمِ الكَمالِ الأَقْدَسِ

مِنْ آلِ طالُو فِتْيَةٌ طالُوا الوَرَى ... بِذُرَى أَشَمَّ مِنَ المَعالِي أَقْعَسِ

بِمَناقِبٍ تُلِيَتْ لَنا آياتُها ... عَنْها يَكادُ يَبِينُ نُطْقُ الأَخْرَسِ

وَرِياضِ طَبْعٍ بِالفَضائِلِ أَثْمَرَتْ ... أَبَداً تُحَدِّثُنا بِطِيبِ المَغْرِسِ

أَسْكَرْتَنا بِسُلافِ شِعْرٍ لَفْظُهُ ... كَأْسٌ لَهُ فِكْرِي بِسَمْعِي مُحْتَسِي

وَسَرَتْ لَها نَسَماتُ سِحْرٍ راقِصٍ ... طَرَباً لَها عَقْلُ اللَّبِيبِ الأَكْيَسِ

فَاعْجَبْ لَها مِنْ أَكْؤُسٍ ما أُبْرِزَتْ ... إِلّا رَآها الذَّوْقُ نُقْلَ المَجْلِسِ

وَسِهامُ أَقْلامٍ لَهُ تُصْمِي العِدى ... وَتَظَلُّ بَيْنَ مُسَدَّدٍ وَمُقَرْطَسِ

ناجَيْتُهُ وَظَلامُ فِكْرِي قَدْ دَجا ... وَصَباحُ صَفْوِي عَنْهُ لَمْ يَتَنَفَّسِ

فَجَـلا المَـسَرَّةَ لِي بِـصُبْحٍ باسِـمٍ ... طَلْـقِ الجَبِـينِ بِوَجْـهِ يَـوْمٍ مُـشْمِسِ
فَإِلَيْكَهـا مِنِّـي قَـوافٍ رَوْضُـها ... زاهٍ بِغَـيْرِ يَـدِ النُّهَـى لَمْ تُمْـسَسِ[1]
بِكْـرٌ إِلَى كُـفْءٍ تُـزَفُّ وَمَهْرُهـا ... نَقْـدُ الجَـوابِ بِراحَـةِ المُـسْتَأْنِسِ
لا زِلْـتَ في حُلَـلِ المَـسَرَّةِ رافِـلاً ... مـا حَـدَّقَتْ لَـيْلاً عُيُـونُ النَّـرْجِسِ

فأجاب وأجاد رحمه الله تعالى[2]: [الكامل]

خَـدٌّ تَـوَرَّدَ مِـنْ لَهِيـبِ تَـنَفُّسِ ... أَمْ ثَغْـرُ مَعْـسُولِ المَراشِـفِ أَلْعَـسِ
مِـنْ رِيـمِ رامَـةَ أَمْ جَـآذِرِ جاسِـمٍ ... لَبِسَ الشَّبابَ الرَّوْضُ[3] أَحْسَنَ مَلْبَسِ
مُتَوَشِّـحاً خَطِّـيَّ قامَتِـهِ فَـإِنْ ... ماسَـتْ فَيـا خَجَـلَ الغُـصُونِ المُـيَّسِ
فَـإِذا رَنـا فَـاللَّحْظُ مِنْـهُ بابِـلٌ ... هـارُوتُ فِيـهِ نُطْقُـهُ كَـالأَخْرَسِ
أَمْ عِقْـدُ غانِيَـةِ الحِـسانِ زَهَـتْ بِـهِ ... تِيهـاً عَـلَى زُهْـرِ الجَـوارِي الكُـنَّسِ
أَمْ لُؤْلُـؤٌ رَطْـبٌ تُـؤامٌ زانَـهُ ... حُـسْنُ النِّظـامِ بِجِيـدِ ظَبْيَـةِ مَكْـنَسِ
أَمْ رَوْضَـةٌ غَنَّـاءُ غَنَّـتْ في ذُرَى ... أَغْـصانِها وُرْقٌ بِلَحْـنٍ مُـؤْنِسِ
حاكَـتْ لَهـا أَيْـدِي الجَنُـوبِ مَطارِفـاً ... وَكَـسَتْ مَعاطِفَهـا غَلائِـلُ سُـنْدُسِ
مـا بَـيْنَ أَصْـفَرَ فـاقِعٍ أَوْ أَحْمَـرٍ ... قـانٍ وَأَبْـيَضَ ناصِـعٍ وَمُـوَرَّسِ [٣٠/ب]
أَمْ غـادَةٌ هَيْفـاءُ أَذْكَـرَتِ الـصِّبا ... صَـبًّا تَناسَـى العَهْـدَ مِنْـهُ وَمـا نَـسِي
وافَـتْ وَأَفْـراسُ الـصِّبا قَـدْ عُرِّيَـتْ ... وَالقَلْـبُ أَقْـصَرَ عَـنْ هَـواهُ وَمـا أَسِي
وافَـتْ وَفِيَّ بَقِيَّـةٌ أَلْهُـو بِهـا ... مِـنْ شَرْخِـيَ المـاضِي تَعِلَّـةَ مُفْلِـسِ

(١) في (ظ): «تمس».
(٢) هذه الجملة ساقطة من (ظ). القصيدة في سانحات دمى القصر، ٢/ ٣٠٤-٣٠٦؛ وريحانة الألبا، ١/ ٥٧؛ ومطلعها في خلاصة الأثر، ٢/ ١٥٣.
(٣) في (ظ): «الروق».

مِنْ ماجِدٍ وَشِهابِ فَضْلٍ ثاقِبٍ حُلْوِ الشَّمائِلِ بِالفَضائِلِ مُكْتَسِي
فَظَنَنْتُ رَيْعانَ الشَّبابِ أُعِيدَ لِي حَيَّ الوِصالِ مِنَ الحَبِيبِ المُؤنِسِ
فَطَفِقْتُ أَهْصِرُ بانَةً مِنْ قَدِّها وَالقَلْبُ بَيْنَ تَوَجُّسٍ وَتَهَجُّسِ
حَتَّى اطْمَأَنَّتْ فَاجْتَلَيْتُ بِوَجْهِها قَمَرَ السَّماءِ بِلَيْلِ شَعْرٍ حِنْدِسِ
إِمَّا[1] بَدا خَفِيَتْ لَهُ شَمْسُ الضُّحَى في ثَوْبِ غَيْمٍ تَرْتَدِيهِ وَتَكْتَسِي
نَطَقَتْ مَناطِقُها فَأُخْرِسَ دُونَها نُطْقُ الفَصِيحِ وَحارَ فِكْرُ الكَيِّسِ
لِمَ لا وَناظِمُها الشِّهابُ مَنِ اعْتَلَى شُهْبَ العُلَى بِكَمالِ فَضْلٍ أَقْعَسِ
فَرْعٌ نَماهُ إِلَى خَفاجَةَ مَحْتِدٌ وَالفَرْعُ يُنْبِي عَنْهُ طِيبُ المَغْرِسِ
وافَتْ لَنا مِنْهُ حَدِيقَةُ رَوْضَةٍ خَجِلَتْ لِبَهْجَتِها عُيُونُ النَّرْجِسِ
طِرْسٌ بِهِ زُهْرُ النُّجُومِ كَأَنَّهُ صُبْحٌ وَهُنَّ بِهِ بَقايا الحِنْدِسِ
لَثَمَتْ شِفاهُ الغِيدِ قِدْماً نِقْسَهُ فَغَدا لَهُ فِيهِ حَياةَ الأَنْفُسِ
إِنِّي لأَعْجَبُ مِنْ شِهابٍ قَدْ سَما وَتَبَوَّأَ العَلْياءَ أَرْفَعَ مَجْلِسِ
وَالشُّهْبُ تَطْلُعُ في السَّماءِ وحَدُّها فَلَكُ الثَّوابِتِ وَهْوَ فَوْقَ الأَطْلَسِ
لا زِلْتَ في حُلَلِ الفَضائِلِ رافِلاً مُتَوَشِّحاً بُرْدَ الشَّبابِ الأَنْفَسِ
خُذْها وَإِنْ كانَتْ مُقَصِّرَةً فَمِنْ شَأْنِ الكِرامِ قَبُولُ عُذْرٍ مِنْ مُسِي
شامِيَّةً يَعْنُو لِباهِرِ حُسْنِها وَجْهُ الغَزالَةِ وَالغَزالِ الأَلْعَسِ
وَانْعَمْ بِها لا زِلْتَ تُرْشِفُ سَمْعَنا مِنْ راحِ نَظْمِكَ مُتْرَعاتِ الأَكْؤُسِ

ومن قصيدة أنشدنيها: [الطويل]

---

(١) في (ظ): «لما».

يَراعُكَ أَمْضَى مِنْ شِفارِ الصَّوَارِمِ ... وَرَأْيُكَ أَجْلَى مِنْ بُرُوقِ المَبَاسِمِ
مُضاءٌ يَقُدُّ المُرْهَفاتِ وَعزْمَةٌ ... لَهَا في ضِرامِ الخَطْبِ فِعْلُ الضَّرَاغِمِ [٣١/أ]
|حَمَيْتَ بها الإسلامَ والمُلْكَ فاغْتَدَى ... وكلُّ رَفيعِ القدرِ عالي الدَّعائِمِ
ومِنْ دُونِ مَرْماهُ ضَرَبْتَ سُرادِقاً ... مُخَيِّمة فوقَ السُّهَا والنَّعائمِ
وقُمْتَ لِدينِ الله بالحقِّ ناصِرًا ... وقد كَثُرَتْ في الخَلْقِ طُرْقُ المَظالمِ
وكنتَ له سَدًّا لِيَأْجُوجِ فِتْنَةٍ ... تَراءَتْ لنا كالعارِضِ المُتَراكمِ
ثَنَيْتَ لها عِطْفَ اليَراعَةِ فَانْثَنَتْ ... ووَلَّتْ على أدْبارِها فعلَ واجمِ
وكانَتْ لعَمْرِي مثلَ طامٍ عُبابُهُ ... يَلظُّ على تيارِهِ المُتَلاطمِ
وشَتَّتَّ شملَ الملحدينَ فَفُرِّقَتْ ... جُموعُهُمُ أيدِي سَبَا في العَوَالِمِ
ولَـمَّا رَأوْا أَنْ لا نجاةَ ولا وَفاً ... ولا وَزَرٌ يومَ الفِرارِ لِعاصِمِ
أَنابُوا فكانَتْ تَوْبةً قبلَ أخْذِهِمْ ... وكنتَ لهم بالعَفْوِ أعْدَلَ حاكمِ
وصُنْتَ حِمَى مُلْكِ الخليفَةِ شاهِرًا ... ظُبَاةَ سُيوفِ الله في كلِّ عالَمِ
فَقِيهٌ له طَبْعُ الأدِيبِ لَطافَةً ... وفي الله لم تأخُذْهُ لَوْمَةُ لائِمِ|(١)

منها:

بِسَيَّارَةٍ مِثْلِ النُّجُومِ طَوَالِعِ ... قَوافٍ لَعَمْرِي أَفْحَمَتْ كُلَّ ناظِمِ
تَساقَطَ في الأَسْماعِ لُؤْلُؤُ لَفْظِها ... تَساقُطَ طَلٍّ فَوْقَ زَهْرِ الكَمائِمِ

منها:

بَقِيتَ لِهٰذا المُلْكِ تَحْمِي ذِمارَهُ ... بِسُمْرِ يَراعِ الخَطِّ لا بِالصَّوَارِمِ
جَنابُكَ مَحْرُوسٌ وَبابُكَ كَعْبَةٌ ... فَبَطْحاؤها حَجِّي وَفِيها مَوَاسِمِي

(١) الأبيات كلها اعتبارا من «حميت» زيادة من (ظ).

وكتب إليه بعض أحبابه قصيدة هزَّ النسيم العتابَ بها من معاطف آدابه، أولها: «مولاي يا كعبة المعروف والكرم»، فأجابه بقوله: [البسيط]

تَوَشَّحَتْ كَالنُّجُومِ الزُّهْرِ في الظُّلَمِ سِمْطَيْنِ مِنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ وَمِنْ كَلِمِ
وَقَلَّدَتْ جِيدَ آرامِ النَّقا دُرَراً بَزَّتْ بِهِنَّ دَرارِي الأُفْقِ بِالقِيَمِ
وَأَقْبَلَتْ في مُرُوطِ الزَّهْوِ رافِلَةً تَجُرُّ تِيهاً فُضُولَ الرَّيْطِ مِنْ أَمَمِ
جَيْداءُ مُصْلَتَةُ القِرْطَيْنِ مائِسَةُ الـ ـعِطْفَيْنِ مَخْضُوبَةُ الأَطْرافِ بِالعَنَمِ
كَأَنَّها حِيْنَ وافَتْ وَالفُؤادُ بِها صَبٌّ صَبابَةُ شَرْخٍ مَرَّ كَالحُلُمِ
فَما الرِّياضُ بَكَاها الطَّرْفُ لَيْلَتَهُ بُكاءَ طَرْفٍ قَرِيحٍ باتَ لَمْ يَنَمِ
شَوْقاً لِطَيْفِ خَيالٍ باتَ يَرْقُبُهُ مِنْ ناقِضِ العَهْدِ وَالمِيثاقِ والذِّمَمِ
يُضاحِكُ المُزْنُ فِيهِ الأُقْحُوانَ ضُحًى عَنْ ثَغْرِ مُبْتَسِمٍ بِالدُّرِّ مُنْتَظِمِ
فَالوُرْقُ صادِحَةٌ وَالوَدْقُ ضاحِكَةٌ ثُغُورُهُ بَيْنَ مُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ
تُجاذِبُ الرِّيحُ أَطْرافَ الغُصُونِ بِها فَتَنْثَنِي وَالهَوَى ضَرْبٌ مِنَ اللَّمَمِ
يَوْماً بِأَحْسَنَ مَرْأًى مِنْ شَمائِلِها وَقَدْ أَتَتْ بِعِتابٍ مِنْ أَخِي كَرَمِ
مُهَذَّبِ القَولِ إِلَّا أَنَّهُ أُذُنٌ تُصْغِي إِلَى قَوْلِ واشٍ بِالنِّفاقِ سُمِي
لا يَعْرِفُ الوُدَّ إِلَّا مَذْقَ ساعَتِهِ وَالشّاهِدُ العَدْلُ ما يَتْلُوهُ مِنْ قَسَمِ
هَيْهاتَ ما الوُدُّ مِمَّنْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ[١] باقٍ وَقَدْ حالَ عَنْ عَهْدِي وَلَمْ يَدُمِ
فَيا لَهُ مِنْ عِتابٍ لَمْ يَفُهْ أَبَداً بِمِثْلِهِ أَحَدٌ في سالِفِ الأُمَمِ
سِوَى امْرِئٍ ساءَ ظَنًّا في صَنائِعِهِ فَساءَ ظَنًّا بِخِلٍّ غَيْرِ مُتَّهَمِ
[٣١/ب] وَشاتِمُ العِرْضِ فِيما قِيلَ، كُنْ فَطِناً مَنْ بَلَّغَ القَوْلَ لا مَنْ عِنْدَ ذاكَ نُمِي

(١) في (ظ): «أعهد».

لا تَعْـزُ مَـنْ قـالَ لِلإحْـسانِ وَالـنِّعَمِ ... بَـلْ ذاكَ يُعْـزَى لِـبُهْمِ القـاعِ وَالـنَّعَمِ
كَـمْ مِـنْ أَخٍ صـارِمٍ وُدِّي صَـبَرْتُ لَـهُ ... حَتَّـى ارْعَـوَى وَوِدادِي غَـيْرُ مُنْصَرِمِ
يـا مَـنْ تُعَمِّـرُ مِنْـهُ بَيْـتَ باطِنِـهِ ... وَظـاهِرُ الأَمْـرِ أَنَّ البَيْـتَ لَمْ يَـرِمِ
أَصِخْ إلى القَوْلِ وَاسْمَعْ ما أَقُولُ فَلِي ... صَـبْرٌ لَـهُ رُكْـنُ رَضْـوى غِـيْرُ مُنْهَـدِمِ
قَدْ كُنْتَ رَيْحانَةَ العَيْشِ الَّتِي بَسَقَتْ ... أَغْـصانُها في حِمَـى المَعْـرُوفِ وَالكَـرَمِ
فَصَوَّحَتْ وَذَوَى الغُصْنُ الرَّطِيبُ فَلَا ... دارٌ بِحَـزْوَى وَلا رَبْـعٌ بِـذِي سَـلَمِ
وَلا مَعـاجٌ عَـلَى سِـقْطِ اللِّـوَى وَبِـهِ ... جَـآذِرٌ قَـدْ كَحَلْـنَ الـوُدَّ بِالـسَّقَمِ
وَلا عَـلَى طَلَـلٍ دَمْـعٌ يُـراقُ وَلا ... يُـؤَرِّقُ الجَفْـنَ ذِكْـرُ البـانِ وَالعَلَـمِ
خُـذْها عَقِيلَـةَ فِكْـرٍ بِنْـتَ لَيْلَتِهـا ... وِشـاحُها الـنَّجْمُ عِقْـدٌ غَـيْرُ مُنْفَـصِمِ
وَاسْـلَمْ عَـلَى حـالَتَيْ وُدٍّ وَصَـدٍّ قِـلىً ... مـا زانَ عِقْـدَ نِظـامٍ جَـوْهَرُ الكَلِـمِ

وكان له غلامٌ يهزأ بالبدر التمام، عُصِرتْ من شمائله سلافةُ اللطافة، وعمته خفة النشاط إلا أردافه، أحلى من ظفر عاني، وألذّ من أحاديث الأماني(١): [السريع]

لَوْ قِيلَ لِلْحُسْنِ تَـمَنَّ المُنَى ... إِذَنْ تَـمَـنَّى أَنَّـهُ مِثْلُـهُ

فحَسدَتْه الأيامُ، وبدَّدتْ منه عقد النظام، والدهر أبو البدع، لا تَسد ما يخرّقه الرُّقع، فكتب إلى الشريف أمير الشام يقسم عليه بآبائه، ويستعديه على أعدائه بقوله: [مجزوء الكامل]

بِـاللهِ يـا نَـشْرَ العَبِيـ ... ـرِ سَرَى بِرَوْضاتِ الغَرِيِّ
طَـافَ المَـشاهِدَ وَانْثَنَـى ... نَـشْوانَ مِـنْ كَـأْسٍ رَوِيِّ
وَأَقـامَ بِـالزَّوْراءِ مِنْـ ... ـها في رِيـاضِ الخَـابِرِيِّ

(١) البيت لأبي تمام في ديوانه، ٢/ ٤٥٠.

مُتَنَــــزَّلِ الآيِ الكَرِيــــــ ـــمِ وَمَهْبِطِ الـوَحْيِ النَّبِـيّْ
إِنْ جِئْـتَ رَبْـعَ الـشّامِ فَاقْـ ـصِدْ ساحَةَ الشَّرَفِ العَلِيّْ
أَعْنِي الشَّرِيفَ ابْـنَ الـشَّرِيـ ـفِ ابْنِ الشَّرِيفِ المُوْسَوِيّْ
[٣٢/أ] مُـــتَحَمِّلاً مِنِّـــي الـــسّلا مَ كَمِسْكِ دَارِيـنَ الـذَّكِيّْ
لِجَنَــابِ مَوْلانــا الوَزِيـــ ـــرِ وَلِيِّ مَوْلانــا عَــلِيّْ
ثُـمَّ اشْرَحَـنْ مِـنْ حالِ مَوْ لاهُ المُحِـــبِّ الطَّـــالُوِيّْ
مــاذا لَقِــي مِــنْ ثَغْـرِ صَيْـ ـــدا مِــنْ دُرُوزِيٍّ غَـــوِيّْ
دِيــــنُ التَّناسُـــخِ دِينُـــهُ لا بَـلْ يَـدِينُ بِكُـلِّ غَـيّْ
وَيَـــرَى الطَّبــائِعَ أَنَّهـــا فَعَّالَـــــةٌ فِي كُـــــلِّ شَيّْ
وَافَى بِمَكْتُـــوبِ الـــشَّرِيـ ـفِ إِلَيْـهِ مِـنْ بَلَـدٍ قَـصِيّْ
يُوصِـــيهِ فِيـــهِ كَـــأَنَّمَا أَوْصَـاهُ فِي أَخْـذِ الـصَّبِيّْ
فَـــسَقاهُ يَــــوْمَ فِراقِـــهِ لا كــانَ بِالكَـأْسِ الـرَّوِيّْ
وَغَــدا الحَـشَا مِـنْ بَعْـدِهِ يَبْكِـــي بِـــدَمْعٍ عَنْـــدَمِيّْ
فِي غُرْبَـــةٍ لا يُـــشْتَكَى فِيهـــا إِلَى خِـــلٍّ وَفِيّْ
لا جـــارَ يَحْمِيـــهِ وَلا يَــأْوِي إِلَى رُكْــنٍ قَــوِيّْ
إِلَّا إِلَى رُكْـــنِ الـــشَّرِيـ ـفِ الطّـاهِرِ الشِّيَمِ الزَّكِـيّْ
حـامِي حِمَـى الـشّامِ الـشَّرِيـ ـفِ بِكُـلِّ أَبْـيَضَ مِخْـذَمِيّْ
مَـــوْلايَ سَـــمْعاً إِنَّ لِي حَقًّــا لَـــدَيْكَ يَغَـــيْرُلَيّْ
بِـــوُلاةِ حَيْـــدَرَةَ الـــوَصِيِّ أَخِـــي النَّبِـــيِّ الهاشِـــمِيّْ
لا تُهْمِلَــنْ مِــنْ أَخْـذِ ثَـأْ رِي مِــنْ كَفُــورٍ بِــالنَّبِيّْ

وَابْعَثْ إِلَيْهِ مَقانِباً ... فِيها الكَمِيُّ عَلَى الكَمِيّْ
لَوْ حارَبَتْ جُنْدَ القَضا ... ءِ ثَنَتْ سُراهُ عَنْ المُضِيّْ
جَرَّافَةً لَمْ تُبْقِ في ... أَطْلالِهِ غَيْرَ النُّؤِيّْ
وَأُشَيْعِثٍ ينْعِي[1] الدِّيا ... رَ مَعَ ابْنِ دأيَةَ فِي النَّعِيّْ

والدُّروزيَّة طائفة معروفة تُنْسَب إلى أبي شحمة[2] الدرزي صاحب دعوة الحاكم بأمر الله الفاطمي، وهم يقولون بمذهب [٣٢/ب] الإسماعيلية من أهل الحلول، والتناسخ، وحل الفروج، وخالفوهم في بعض الأمور، والناس تقول لهم الدروزية، وكان الذي أخذ غلامه منهم، وإليه أشار بقوله[3]: «ماذا ألقى.. إلخ»، و«النُّؤِيّ» جمع نُؤى، وهو الحفير حول الخيام. و«أُشَيْعِث» مُصَغَّر: الوَتِد، شج رأسه.

ومن شعره أيضا قوله: [مجزوء الكامل]

أَنُسَيْمَةَ الرَّوْضِ المَطِيرِ ... بِالعَهْدِ فِي زَمَنِ السُّرُورِ
وَأَنِيقَ أَيَّامِ الشَّبا ... بِ وَعَيْشِهِ الغَضِّ النَّضِيرِ
وَوَثِيقَ أَيّامِ التَّصا ... بِي ما[4] لِعَهْدِها الخَطِيرِ
وَمَعاهِدٍ كانَ الشَّبا ... بُ وَشَرْخُهُ فِيها سَمِيرِي
هَوَّمْتُ فِيهِ فَصاحَ بِي ... داعِي الصَّباحِ المُسْتَنِيرِ
فَطَفِقْتُ أَنْظُرُ مِنْهُ فِي ... أَعْقابِ بَرْقٍ مُسْتَطِيرِ

(١) في (س): «تنعي». وابن دَأْيَةَ: الغراب.

(٢) في (ظ): «ابن سحمة».

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) في (ظ): «يا».

قَــدْ كــانَ حُــسَّانُ المَــرا بِــعِ فِيــهِ حُــسَّانَ البُــدُورِ
أَيَّـــامَ غُـــصْنِ شَـــبِيبَتِي رَيَّــانَ مِــنْ مــاءِ الغُــرُورِ
وَذُؤابَتـــــي شَرَكُ المَهـــــا وَحُبالَــةُ الظَّبْــيِ الغَرِيــرِ
حَيْـــثُ الـــشَّبِيبَةُ رَوْضَـــةٌ غَنَّـــاءُ صـــافِيَةُ الغَـــدِيرِ
قَنَّـــاءُ رائِـــدُها المَهـــا ةُ الـرُّودُ مِـنْ رِيـمِ الخُـدُورِ
مِــنْ كُــلِّ مُخْطَفَــةِ الحَــشا كَأَخِي الرَّشا أُخْتِ الفَرِيرِ
طَلَعَــتْ بِلَيْــلِ ذَوائِــبٍ أَبْهَــى مِــنَ القَمَــرِ المُنِــيرِ
بَيْــضاءَ وَشَّــحَتِ الــتَّرا ئِـبَ وَالنُّحُـورَ مِـنَ الثُّغُـورِ
وَكَــسَا مَعاطِفَهــا الــشَّبا بُ الـرَّوْقُ حُـسَّانَ الحَبِـيرِ
تَمْــشِي أَنــاةَ الخَطْــوِ فِيــ ــها رَوْعَـةُ الظَّبْـيِ النَّفُـورِ
قَوِيَــتْ عَــلَى قَــتْلِي وَفِي أَلْحاظِهــا ضَــعْفُ الفُتُــورِ
وَبِـما جَـرَى يَـوْمَ النَّـوَى مِــنْ دُرِّ مَــدْمَعِها النَّثِــيرِ
كَالعِقْــدِ أَسْــلَمَهُ النِّظــا مُ مِــنَ التَّرائِــبِ وَالنُّحُــورِ [٣٣/أ]
وَبِوَقْفَــةِ التَّوْدِيــعِ وَالـــ ــأَنْفَاسُ تَـصْعَدُ بِـالزَّفِيرِ
وَيَــدُ الفِــراقِ تَـشُبُّ فِي الــ ـأَحْــشَاءِ نِــيرانَ الــسَّعِيرِ
أَلَّا سَرَيْــتِ مَــعَ الــصَّبا يـا نَـسْمَةَ الـرَّوْضِ المَطِـيرِ
فَـاجْتَزْتِ مِـنْ أَرْضِ العِـرا قِ عَـلَى الخَوَرْنَـقِ وَالـسَّدِيرِ
وَوَقَفْــتِ بِــالزَّوْراءِ وِقْــ ــفَةَ زائِــرٍ أَوْفَى مَــزُورِ
وَحَمَلْــتِ لِلْكَــرْخِ التَّحِيَّــ ــةَ مِـنْ أَخِـي شَـجَنٍ أَسِـيرِ
وَنَزَلْــتِ مِــنْ نَهْــرِ الأُبُلَّــ ــةِ وَالـصَّراةِ عَــلَى شَــفِيرِ
وَأَقَمْــتِ فِي شَــطِّ الفُــرا تِ بِمُلْتَقَـى العَـذْبِ النَّمِـيرِ

وَسَـــمِعْتِ هَيْنَمَـــةَ الرِّيــا ... ضِ وَصَوْتَ جائِشَةِ الخَرِيـرِ
وَلَثَمْـتِ خَـدَّ الـرَّوْضِ فِيــ ... ـــهِ عِــذارُ رَيْحَــانٍ طَرِيـــرِ
وَثَنَيْــتِ عِطْفَــكِ وَالــصَّبا ... حُ يَكــادُ يُــؤْذِنُ بِالــسُّفُورِ
وَأَتَيْــتِ بابِــلَ فَاصْطَبَحْــ ... ــتِ بِمِثْـلِ مِـصْباحٍ مُنِـيرِ
يُغْنِيـــكِ مُتْهِمَـــةً ومُنْـــ ... ــجِدَةً سَـناها عَــنْ خَفِـيرِ
ثُـمَّ انْبَرَيْــتِ عَــنِ الجَنُــو ... بِ وَحُدْتِ عَنْ مَسْرَى الدَّبُورِ
حَتَّــى نَزَلْــتِ عَــلَى الأَرا ... كَـةِ أَوْ رَسَـيْتِ عَـلَى ثَبِــيرِ
فَـسَقَطْتِ مِـنْ أَرْضِ الخُـزا ... مَـى وَالبَـشامِ عَـلَى الخَبِـيرِ
وَطَلَعْـتِ نَجْـداً وَالـدُّجَى ... يُـسْتَلُّ مِــنْ أَثْــوابِ قِــيرِ
وَمَــشَيْتِ فَــوْقَ عَــرَارِهِ ... مـا بَـيْنَ حَـوذَانٍ وَخِـيْرِي
وَهَبَطْـــتِ غَــوْرَ تِهَامَـــةٍ ... وَالـشُّهْبُ مالَــتْ لِلْغُــؤُورِ
وَنَزَلْـــتِ في سَـــفْحِ الأَرَا ... كِ رَعَيْـتِ(١) زاهِيَـةَ البَرِيــرِ
وَسَـلَكْتِ مِـنْ وادِي العَقِيـ ... ـقِ مَنَابِـتَ العَمَـمِ الـشَّكِيرِ
وَأَمَلْــتِ فِيــهِ ذَوائِــبَ الـ ... أَغْـصَانِ مِـنْ طَلْـحٍ نَـضِيرِ
وَهَــصَرْتِ بانَــاتِ النَّقــا ... هَـصْرَ الـرَّوَادِفِ لِلْخُـصُورِ [٣٣/ ب]
فَحَمَلْـتِ مِنْــهُ مِــنْ غَــوَا ... لِي المِـسْكِ فاغِيَـةَ الزُّهُــورِ
وَعَــبَرْتِ دَارِيــنَ العُطَــا ... رِ وَسِــمْتِ غالِيَــةَ العَبِــيرِ
وَازْدَدْتِ مِــنْ أَرَجِ الكِبَــا ... ءِ وَرَنْــدِهِ عِنْــدَ المَــسِيرِ
وَجَزَعْـتِ وادِي الـشِّحْرِ لَيْـ ... ــلاً وَانْثَنَيْـتِ مَـعَ البُكُـورِ
وَالـصُّبْحُ يَخْطِـرُ في الـدُّجَى ... كَـالوَحْيِ يَخْطُـرُ في الـضَّمِيرِ

(١) في (ظ): «ورعيت». وفي (س): وسعيت. والواو زائدة.

وَالنَّــــسْرُ فِيــــهِ واقِـــعٌ خَوْفَ الصَّباحِ لَدَى الوُكُورِ
وَكَوَاكِـــبُ الجَــوْزَاءِ مُمْــــ ـــسِكَةُ الأَعِنَّـةِ عَـنْ مَـسِيرِ
خافَـتْ سُـهَيْلاً فانْتَـضَتْ سَيْفاً مِـنَ الـشِّعْرَى العَبُـورِ
وَالــنَّجْمُ يَهْــوِي لِلْغُــرُو بِ كَأَنَّــهُ كَــفُّ المُــشِيرِ
فَهَبَطْــتِ رَبْــعَ الــشّامِ دا رَ اللَّهْـوِ بَـلْ مَغْنَـى الـسُّرُورِ
وَنَزَلْــتِ بِــالوَادِي المُقَــدَّ سِ شــاطِئاً غَــيْرَ الــشَّطِيرِ
وَخَطَـرْتِ مِـنْ بَطْحَــاءِ وا دِي النَّيْرَبَـيْنِ عَـلَى الـصُّخُورِ
وَوَقَفْــتِ فِي تِلْــكَ الرُّبَــى مــا بَــيْنَ رَوْضٍ أَوْ غَــدِيرِ
وَقَــرَأْتِ سُــكَّانَ القُــصُو رِ بِهـا الـسَّلاَمَ بِـلا قُـصُورِ
لا سِــيَّما شَــيْخِ العُلُــو مِ مُفِيـدِ أَرْبـابِ الـصُّدُورِ
عَجَبــاً لَــهُ سَــبَقَ الأَوا ئِـلُ وَهْـوَ فِي الـزَّمَنِ الأَخِـيرِ
ذَكَــرَتْهُمُ الأَنْــواءُ ذِكْـــ ـــرِي بِالعَـشِيِّ وَبِــالبُكُورِ
وَكَــساهُمُ خِلَــعَ الــشَّبا بِ الـرَّوْقِ مُقْتَبِـلَ الـدُّهُورِ

|قوله|[١]: «حُسَّان» بضمٍّ فتشديد صيغة مبالغة ككُبَّارٍ، و«الفَرِير» بالفاء ولد الظَّبْيَةِ، و«مُمْسِكَةُ الأعنَّةِ» من الكواكب معروف.

وهي قصيدة في غاية الرقة نسجها على منوال قصيدة المُنَخَّل[٢]، وقد عارضها كثير من الشعراء كالشريف الرضي في قوله[٣]: [مجزوء الكامل] [٣٤/ أ]

(١) زيادة من (ظ).

(٢) المنخَّل اليشكري من شعراء هذيل، وقصيدته منها:

وإذا الريـــاح تكمـــشت بجوانـب البيـت القـصير

في الأغاني ٢١/ ١٠ ثقافة، والأصمعيات ٥٨ (١٤). (ج).

(٣) ديوانه، ١/ ٤٢٧-٤٣١.

نَطَقَ اللِّسانُ عَنِ الضَّمِيرِ وَالبِشْرُ عُنْوانُ السُّرُورِ[١]

|منها|[٢]:

آثارُ شُكْرِكَ في فَمِي وَسِماتُ وُدِّكَ في ضَمِيرِي

ومنها[٣]:

وقَصِيدَةٍ عَذْراءَ مِثْلِ تَأَلُّقِ الرَّوْضِ النَّضِيرِ

فَرِحَتْ بِمالِكِ رِقِّها فَرَحَ الخَمِيلَةِ بِالغَدِيرِ

فَكَأَنَّها مِنْ[٤] رَصْفِها جارُ الفَرَزْدَقِ أَوْ جَرِيرِ

وَكَأَنَّهُ مِنْ[٥] حُسْنِها بَيْنَ الخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ

ولأبي بكر الخوارزمي قصيدة[٦] في عروضها، منها[٧]: [مجزوء الكامل]

إِنَّ الأُولَى خَلْفَ الخُدُورِ هُمُ في الضَّمائِرِ وَالصُّدُورِ[٨]

وَقَعَ الغُبَارُ عَلَيْهِمُ فغَدَا يَتِيهُ على العَبِيرِ

وَأَعَرْتُهُمْ نَظَرِي فَمَا رُدَّ المُعَارُ على المُعِيرِ

لَمَّا مَشَيْنَ على الثَّرَى تَاهَ التُّرابُ على الأَثِيرِ[٩]

---

(١) في الديوان: «البشير».

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) في الديوان: «في».

(٥) في الديوان: «في».

(٦) ساقط من (ظ).

(٧) ديوانه، ص٣٥٠-٣٥١.

(٨) في الديوان: «هُمُ الضَّمائرُ في الصُّدُورِ».

(٩) هذا البيت لم يرد في الديوان.

فَغَـدَوْتُ فِي حـالِ الأَسِـيرِ ورُحْتُ في حالِ الكَسِيرِ(١)

ومنها(٢):

وكَـذَاكَ مَـنْ عَـشِقَ النُّجُـو مَ وَرَامَ صَـيْدًا لِلْبُـدُورِ

يَـا سَـائِلِي مَـا في الهَـوَا دِجِ وَالبَرَاقِـعِ وَالـسُّتُورِ(٣)

فِيهَـا الرَّضَـاعُ مِـنَ المَنِيَّــ ـةِ وَالفِطَامُ على(٤) السُّرُورِ

وأنشدني(٥) قصيدةً منها: [الكامل]

ذَكَـرَ العَقِيـقَ فَـسالَ مِـنْ أَجْفَانِـهِ وَاشْـتَفَّهُ وَجْـداً إِلَى سُـكَّانِهِ

وَاشْـتَمَّ مِـنْ رِيـحِ الـصَّبا أَرَجَ الـصِّبا فَـصَبَا حَلِيـفَ جَـوًى إِلَى أَوْطَانِـهِ

وَشَـجَاهُ مَـسْجُورَ الفُـؤادِ إِلَى الحِمَـى وُرْقٌ سَـواجِعُهُنَّ(٦) مِـنْ أَشْـجَانِهِ

تُمْـلِي مِـنَ الـوُرْقِ الغَـرامَ وَطالَمَـا دُرِسَـتْ فُنُـونُ العِـشْقِ في أَفْنَانِـهِ

فِـيهِنَّ سـالِمَةُ الحَـشا مِـنْ لَوْعَـةٍ لَمْ تَـدْرِ طَعْـمَ الوَصْـلِ مِـنْ هِجْرَانِـهِ

تُمْـسِي وَتُـصْبِحُ في أَرائِـكِ أَيْكِهـا مَـعْ إِلْفِهـا وَالعُمْـرُ في رَيْعَانِـهِ

تَرْتـادُ رَوْضَ الـشَّامِ أَخْـصَبَ مَنْـزِلٍ حَيْـثُ العَـرَارُ صَـغا إِلَى حَوْذَانِـهِ

[٣٤/ب] في ظِـلِّ مُنْـبَجِسِ اللُّجَـيْنِ جَـرَى بِـهِ ذَهَـبُ الأَصِـيلِ يَـسِيلُ مِـنْ عِقْيَانِـهِ

أَحْـوَى الظِّـلالِ كَـأَنَّ سُـمْرَتَهُ لَمًـى عـذْبُ المَرَاشِـفِ نَـدَّ عَـنْ غِزْلانِـهِ

(١) في الديوان: «الحسِيرِ».

(٢) ديوانه، ص٣٥١.

(٣) ورد البيت في الديوان: «يا سائلي ما في البَرا قعِ والهَوادِجِ والسُّتُورِ».

(٤) في الديوان: «مِن».

(٥) في (ظ): «وأنشدت».

(٦) في (ظ): «سواجع هن».

بَيْنــا نُــرَدِّدُ فِيــهِ مِــنْ عَــذْبٍ إلى عَـذْبٍ يَفُـوقُ عَـلَى العُـذَيبِ وَبانِـهِ
مَــعْ صَــفْوِ عَــيْشٍ إذْ رَمَتْهـا نِيَّــةٌ لِلْـرّومِ فَاجَتْهَـا بِـسُودِ رِعَانِـهِ
هَبَطَـتْ بِهـا الأقْـدَارُ أَرْضـاً لَمْ يَكُـنْ فِيهـا نُـزُولُ[1] الـوَحْيِ مَـعْ فُرْقَانِـهِ
سَـوْدَاءُ مُظْلِمَـةُ الرِّحَـابِ كَأَنَّهـا قَلْـبُ الحَـسُودِ عَلَتْـهُ ظُلْمَـةُ رَانِـهِ
فَغَـدَتْ تَنُـوحُ عَـلَى الـبِلادِ[2] بِمَـدْمَعٍ سَـحٍّ يُبَـارِي الغَيْـثَ في تَهْتَانِـهِ
مَأْسُـورَةَ القَلْـبِ المُعَنَّـى مِـنْ جَـوًى مَـسْجُورَةَ الأَحْـشَاءِ مِـنْ نِيرانِـهِ
تَبْكِـي إذا ذُكِـرَ الحِمَـى حَيْـثُ الحِمَـى رَوْضٌ تُغَـرِّدُ في ذُرَى أغْـصَانِهِ
تَنْفَـكُّ تَنْثُـرُ لُؤْلُـؤاً مِـنْ مَـدْمَعٍ كالـدُّرِّ يُـنْظَمُ في سُـمُوطِ جُمانِـهِ
حَتَّـى تَـرَى رَوْضَ الحِمَـى أَوْ مُجْـتَلَى رَوْضِ ابْـنِ بُـسْتانٍ إمـامَ زَمانِـهِ
ذُو رُتْبَـةٍ في المَجْـدِ رامَ بُلُوغَهـا الـ ـفَلَكُ المُحِـيطُ فَلَـجَّ في دَوَرَانِـهِ
سَـبَقَتْهُ فَاسْـتَعْدَى عَلَيْنـا طاوِيـاً لِـصَحَائِفِ الأَعْـمارِ في سُرْعَانِـهِ

وأنشدني من أخرى له: [البسيط]

لِي فِـيكُمُ كَـدَرارِي الأُفْـقِ سـائِرَةٌ هِـيَ الَّـلآلِئُ إِلَّا أَنَّهَـا كَلِـمُ
مِـنْ كُـلِّ شـامِخَةِ العِـرْنِينِ تَحْـسَبُها في الـشِّعْرِ لَيْثاً لهـا مِـنْ نَفْـسِها أَجَـمُ
تَبْقَـى عَـلَى صَـفَحَاتِ الـدَّهْرِ خالِـدَةً كـالأَنْجُمِ الزُّهْـرِ عِقْـدًا لـيْسَ يَنْفَـصِمُ
أَوْ غـادَةً حُـسْنُها قَيْـدُ النَّـوَاظِرِ في أَلْحاظِهَـا سَـقَمٌ في أَنْفِهَـا شَـمَمُ

ومن أخرى له أيضاً: [الطويل]

حِمَى الشَّامِ جادَ الغَيْثُ ما حَلَّ تُرْبَـهُ مَغَـانِي الهَـوَى فِيهـا مَغَـانِي أَحِبَّتِـي

(١) في (ظ): «وصول».
(٢) في (ظ): «الديار».

وَباتَـتْ بِـأَعْلَى النَّيْرَبَـيْنِ مَـعَ الـصَّبا تُطارِحُهـا ذِكْـرَى عُهُـودٍ بِرَبْـوَةِ
عَلَى نَهَرٍ حَصْباؤُهُ الشُّهْبُ قَدْ جَرَى خِـلالَ سَـمَا رَوْضـاتِهَا كَالـمَجَرَّةِ
يُجـاوِبُ تَـسْجَاعَ الحَـمَامِ خَرِيـرُهُ فَتُصْغِي لَـهُ الوَرْقـاءُ مِنْ فَـوْقِ أَيْكَـةِ

[٣٥/ أ] ولله دَرُّ أبي الحكم(١) في قوله في هذا المعنى(٢): [الكامل]

وَتَحَـدَّثَ المـاءُ الـزُّلالُ مَـعَ الـصَّفَا(٣) فَجَرَى النَّسِيمُ عَلَيْهِ يَسْمَعُ ما جَرَى

وله من أخرى: [البسيط]

بَيَاضُ طِرْسٍ جَرَى ذَوْبُ النُّضَارِ عَلَى لُجَيْنِـهِ بِـلاَلٍ حَـيَّرَتْ فِكَـرِي
كَـاللُّؤْلُؤِ الرَّطْـبِ إِلَّا أَنَّهَـا فِقَـرٌ غَـيْرُ الأَدِيـبِ إِلَيْهـا غَـيْرُ مُفْتَقِـرِ

ومنها يَصِفُ السُّفن: [البسيط]

رَكائِـبٌ لَـيْسَ تَـرْضَى بِالجَـدِيلِ أَبـاً لٰكِنَّهـا مِـنْ بَنـاتِ المَـاءِ وَالـشَّجَرِ
شُـمُّ العَـرَانِينِ دُهْـمٌ مـا بِهـا وَضَـحٌ إِلَّا نُجُـومُ اللَّيـالِي مَوْضِـعَ الغُـرَرِ
ما زِلْـتُ أَقْـذِفُ طُوفـانَ الخُطُوبِ بِهـا وَأَتَّقِـي حـادِثَ الأَيَّـامِ وَالـضَّرَرِ

ومنها: [البسيط]

خُـذْها فَـدَتْكَ نُفُـوسُ الـشِّعْرِ قاطِبَـةً وَقَـدْ عَلَـتْ بِمَـدِيحٍ فِيـكَ مُبْتَكَـرِ
طائِيَّـةَ الأَصْـلِ إِلَّا أَنَّهـا نَـشَأَتْ بِرَبْـوَةِ الـشَّامِ فِي رَوْضٍ عَـلَى نَهَـرِ

(١) هو أبو الحكم عبيد الله بن علي بن غَلِنْدُه (٤٨٤-٥٨١ / ١٠٩١-١١٨٥): طبيب، من الشعراء. من أهل سرقسطة. كان مع علمه بالأدب والطب أبرع الناس خطاً وأحسنهم ضبطاً. توفي بمراكش. انظر مصادر ترجمته: معجم الأدباء، ٣/ ١١٩٤؛ الأعلام، ٤/ ١٩٥.
(٢) البيت في نفح الطيب، ٣/ ٦٠١
(٣) في نفح الطيب: «الحصى».

ورأى نَيْلَوْفَرَة صارَتْ صدفَ لآلِىءِ السَّحاب، وحُقَّة(١) دُرِّ النَّدى المُذاب، كأنها بَوْتَقَةٌ أذابَ فيها الجوُّ نُضَارَه، أو كأسٌ في يدِ مصطَبِحٍ يُداوي خُمارَه، أو مُقْلَةُ صَبٍّ كَئيبٍ، وقد فاجَأه على غُرَّتِه الرَّقيب، وقد مَلأَها بالدَّمْعِ الهوى، فترَدَّدَ فيها من حَيْرَةِ النَّوَى، وطَفَا عليها الماءُ الزُّلالُ فبلغ حافاتِها، وما سال، بل تشَبَّثَ بأَوْرَاقِها مِن خَشْيَةِ فِراقها، فقال: [الوافر]

وَنَــوْفَرَةٍ كَعَــيْنِ الــصَّبِّ شَــكْرَى ... تَجُـــمُّ المـــاءَ خَـــشْيَةَ أَنْ يُرَاقَـــا
ذَكَـرْتُ لهـا النَّـوَى يَوْمـاً فَفاضَـتْ ... وَصَـــارَتْ كُلُّهَـــا لِلـــدَّمْعِ ماقَـــا

قلتُ ضمن قول المتنبي(٢): [الوافر]

نَظَــرْتُ إِلَــيْهِمُ وَالعَــيْنُ شَــكْرَى ... وصَـــارَتْ كُلُّهَـــا لِلـــدَّمْعِ ماقَـــا

و«شكرى» بشين معجمة بمعنى ممتَلِئة و«نَوْفَرَة» معرب «نَيْلَوْفَرَة»، ومعناها أزرق الريش أو الجناح. وأنشدني له من أخرى: [الرمل] [٣٥/ب]

شَـامَ بَـرْقَ الـشّامِ بِـالرُّومِ جَزُوعَـا(٣) ... فَـانْبَرَتْ أَجْفانُـهُ تَـذْرِي الـدُّمُوعَا
هَـــبَّ مِـــنْ عَلْيـــا دِمَـــشْقٍ مَوْهِنـــاً ... هَبَّـــةَ المِـــصْباحِ فِي اللَّيْـــلِ ذَرِيعَـــا
جَـــــزَّعَ الآفـــــاقَ فِي هَبَّتِـــــهِ ... وَأَتَـــى الـــرُّومَ سُرَى الأَيْـــمِ جَزُوعَـــا
خَفَقَـــــتْ راياتُـــــهُ فِي أُفْقِـــــهِ ... خَفَقـانَ القَلْـبِ قَـدْ أَمْـسَى مَرُوعَـا
وَقَعَـــتْ شُـــعْلَتُهُ وَسْـــطَ الحَـــشا ... وَسَـــناهُ طَـــالَ فِي الجَـــوِّ رَفِيعَـــا
لَـــيْسَ يَـــدْرِي وَقْعَهـــا غَـــيرُ شَـــجٍ ... فـــارَقَ الأَوْطـــانَ مِـــثْلِي وَالرُّبُوعَـــا
أَوْ مُعَنًّـــــى بِهَـــــوًى تَيَّمَـــــهُ ... مِـــنْ غَـــزالٍ راحَ لِلْوَصْـــلِ مَنُوعَـــا

(١) حقة: وعاء صغير من خشب أو عاجٍ.
(٢) ديوانه، ص٢/ ٣١.
(٣) في (ظ): «خدوعا».

يُخْجِلُ الشَّمْسَ سَناءً وَسَناً وَمَهاةَ الرِّيمِ جِيداً وَتَلِيعَا
أَسْهَرَ الجَفْنَ خَلِيًّا عَنْ كَرًى مُقْلَةٌ لَمْ تَطْعَمِ النَّوْمَ هُجُوعَا
كَيْفَ يَكْرَى نَاظِرٌ فارَقَهُ ناضِرُ[1] العَيْشِ مِنَ اللَّيْلِ هَزِيعَا
وَشَبابٌ شَرْخُهُ مُقْتَبَلٌ كانَ في الصَّبِّ لَدَى الغِيدِ شَفِيعَا
لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَحُلْمٍ وَانْقَضَى أَوْ خَيالٍ في الكَرَى مَرَّ سَرِيعَا
أَزْمَعَتْ حَسْرَتُهُ لا تَنْقَضِي آهِ ما أَعْجَلَ ما وَلَّى زَمِيعَا
لَسْتُ أَرْضَى مِنْهُ بالسُّقْيا لَهُ وَسَحابُ الجَفْنِ يَسْقِيهِ النَّجِيعَا[2]
وَالَّذِي هاجَ الجَوَى قُمْرِيَّةٌ بالضُّحَى تَهْتِفُ بِالأَيْكِ سُجُوعَا
كُلَّما ناحَتْ عَلَى أَفْنانِها هاجَتِ الصَّبَّ غَراماً وَوُلُوعَا
وَإِذا غَنَّتْ لَهُ عَنَّتْ لَهُ ذِكَرٌ لِلشّامِ زادَتْهُ نُزُوعَا
يا سَقَى اللهُ حِماها وَابِلاً[3] مُسْبَلَ الطَّرْفِ مِنَ الغَيْثِ هَمُوعَا
حَيْثُ رَبْعُ اللَّهْوِ مِنْهُ آهِلٌ وَالغَوانِي في مَغانِيها جَمِيعَا
كُلُّ رَوْدٍ لَبِسَتْ شَرْخَ الصِّبا وَهَوًى إِنْ تَدْعُهُ لَبَّى مُطِيعَا
كَم لَنا فِيهِنَّ مِن بَهْنانَةٍ وَلِعَ القَلْبُ بِها خوداً سَموعا[4]

البهنانة: الناعمة، والسموع[5]: اللعوب.

لَسْتُ أَنْسَى ساعَةَ التَّوْدِيعِ إِذْ وَقَفَتْ في مَوْقِفِ البَيْنِ خُضُوعَا
وَهْيَ تَذْرِي لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ فَوْقَ وَرْدٍ كادَ طِيباً أَنْ يَضُوعَا

(١) في (س): «ناظر».
(٢) في (س): «الربيعا».
(٣) في (ظ): «وابل».
(٤) في (ظ): «شموعا».
(٥) في (ظ): «والشموع».

[٣٦/أ] عَلِقَتْ ذَيْلِي وَخانَتْها القُوَى ... فَانْثَنَتْ مِنْ وَقْعَةِ البَيْنِ صَرِيعَا
وَأَفاقَتْ وَبِها رَسُّ الجَوَى ... ثُمَّ قالَتْ وَشَكَتْ دَهْراً خَدُوعَا
لا رَعَى اللهُ المَعالِي مَطْلَباً ... كَمْ تَرَى مُغْرًى بِها صَبًّا وَلُوعَا
كُنْتَ لي بَدْراً مُنِيراً فَاخْتَفَى ... في سِرارٍ بَعْدَ ما سَرَّ طُلُوعَا
وَشَباباً لاحَ بَرْقاً عِنْدَما ... أَشْعَلَ الرَّأْسَ سَنًا رَاحَ مُرِيعَا
أَيُّها الظّاعِنُ وَالقَلْبُ عَلَى ... إِثْرِهِ مُذْ سارَ ما زالَ هَلُوعَا
لا تَكُنْ لِلْعَهْدِ بَعْدِي ناسِياً ... يا حَياتِي وَاعْطِفَنْ نَحْوِي رُجُوعَا
وَإِذا لَمْ تَرْعَ عَهْدِي فَاذْكُرَنْ ... عَهْدَ مَنْ خَلَّفْتَ وَالطِّفْلَ الرَّضِيعَا
كَيْفَ تَنْسَى زَيْنَباً أَوْ أُخْتَها ... كُلَّما قالَتْ أَبِي أَذْرَتْ دُمُوعَا[1]
وَشَفِيعُ الدَّمْعِ يَجْرِي دُرَراً ... مِثْلَ دُرٍّ وَقْعُهُ يَحْكِي الصَّقِيعَا
قُلْتُ هَيْهاتَ شَفِيعٌ أو أَرى ... فَضْلَ سَعْدِ الدِّينِ فِيهِنَّ شَفِيعَا



(١) سقط هذا البيت من (ظ).

[٥]
محمَّد بن قاسِم الحلَبِيّ(١)

يتيمة الدهر، وبيضة البلد، سيَّارةُ محاسنِه نزلتْ بين العلياء والسَّند، وهو أخٌ لي إذا قَسا الدهر شفيق، حُرّ العِرْض على أنه عبد الصديق، فكم له من يدٍ بيضاء حكتْ خُضر الهضاب، المنسوجة من بيض خيوط السَّحاب: [الطويل]

يَمُـدُّ عَلَى الآفاقِ بِيضَ خُيُوطِهِ فَيَنْسِجُ مِنْها لِلثَّرَى حُلَّةً خَضْرَا

وآثاره زَها في جِيد الزمانِ عِقْدُها، وعَذُبَ على لسان الفَصاحةِ وِرْدُها، وفضله حلا في فم الركبان(٢) ثناؤه، وأضاء في دُجى المشكلات سَناه(٣) وسناؤُه: [البسيط]

عَلَى(٤) صَحائِفِ أَخْلاقٍ مُهَذَّبَةٍ مِنْها العُلا وَالحِجَا وَالظَّرْفُ يُنْتَسَجُ

وكانت أخباره إذا وفَدتْ على مسامعي، تشوَّقَتْ لِلُقْياه عيونُ مطامعي، حتى اهتزَّتْ بقُرْبه أعطافُ المسرَّة، ونِلْتُ منه ما هو للروح قُوتٌ، وللقلب قوَّةٌ،

---

(١) محمد بن أحمد بن قاسم، المعروف بالقاسم الحلبي (ت: ١٠٥٤/ ١٦٤٥): شاعر من أهل حلب. كان غزير الفضل لطيف الطبع. فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر. ولد ونشأ في حلب. وانتقل إلى بلاد الروم، فتولى التدريس. وصار بها من كبار المدرسين، ثم عمي فتقاعد برزقٍ عُيّن له من قبل السلطان، فانزوى في بيته. وتوفي في الآستانة ودفن بها. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٧٨؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٣٧٦؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٩؛ الأعلام، ٦/ ١٠؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٩١.

(٢) في (ظ): «الزمان».

(٣) في (ظ): «سناؤه».

(٤) في (ظ): «له».

وللعَيْنِ قُرَّة، وعُود الزمان فَيْنان مختال في غلائله، [٣٦/ب] فرأيتُ منه ما سَرَقَ الحسنُ من بعض شمائله، طبعٌ أرقُّ من بَرْدِ الشمال، وأصفى من صَفْوِ المُدامة صفَقَها العذب الزُّلال، فدارتْ بيننا شمول أدبٍ ظلَّ لها[1] ثغر الحباب باسماً، وانْتَظمَتْ بجيد المحاورة عقودٌ كان لها كفُّ المودَّة ناظما. تمّ.

محاسنُ أيامٍ تُحبُّ وتُعشق[2]

فممَّا دار بيننا من سُلافة الأدب، ما كتبت له[3] لمّا قَدِمَ من حلب: [مجزوء الكامل]

حَتَّامَ يَغْزُونِي صُدُودُهْ ... وَالصَّبْرُ قَدْ كُسِرَتْ جُنُودُهْ
سَكْرَانُ مِنْ أَلْحَاظِهِ ... قامَتْ عَلَى قَلْبِي حُدُودُهْ
وسَقِيمُ طَرْفٍ لَمْ تَزَلْ ... أَبَدًا لَواحِظُنَا تَعُودُهْ
بَرَقَتْ بَوارِقُ وَصْلِهِ ... وَالهَجْرُ قَدْ خَرِسَتْ رُعُودُهْ
غُصْنٌ تَمِيلُ بِهِ الصَّبَا ... في كُثْبِ أَرْدافٍ تَؤُودُهْ
لَمْ أَدْرِ فاتِرُ جَفْنِهِ ... وَالخَصْرُ أَسْقَمُ أَمْ عُهُودُهْ
نَشْوانُ يَعْبَثُ بي كَما ... عَبَثَتْ بِآمالِي وُعُودُهْ
لولا مِياهُ الحُسْنِ جا ... لَتْ فِيهِ لَاحْتَرَقَتْ خُدُودُهْ
كَالصَّبِّ لولا دَمْعُهُ ... يَهْمِي لَأَحْرَقَهُ وَقُودُهْ
يُخْفِي الهَوَى وَعُيُونُهُ ... بغَرامِهِ الْمُضْنَى شُهُودُهْ
بِشَهادَةٍ لَيْسَتْ تُرَدُّ ... فَلَيْسَ يَنْفَعُهُ جُحُودُهْ
فَسَقَى رِياضَ الحُسْنِ مِنْ ... دَمْعِي حَياً يَهْمِي مَدِيدُهْ

---

(١) في (ظ): «له».

(٢) عجز بيت للبحتري، الديوان ١٤٩٢، صدره: على دمنة فيها لأُدمانة النقا. (ج).

(٣) في (س): «كتبته لما قدم».

زَمَــنٌ بِجِيــدِ اللَّهْــوِ قَــدْ نُظِمَـتْ عَـلَى نَـسَقٍ عُقُـودُهْ
إذْ دَوْحُ أُنْـــسِي يــــانِعٌ بِكُؤُوسِـنا انْفَتَحَـتْ وُرُودُهْ
وَالكـــاسُ نَجْـــمٌ لاحَ في فَلَــكِ المَـسَرَّةِ لِي سُـعُودُهْ
يَـصْفُو فَيَحْكِـي ذِكْـرَ مَـنْ قَـدْ زَيَّـنَ الـدُّنْيا وُجُـودُهْ
ذاكَ ابْـــنُ قاسِـــمٍ الَّـــذِي مــا زالَ في تَعَـبٍ حَـسُودُهْ
رُقِمَــتْ بِــهِ حُلَــلُ العُــلا وَزَهَــتْ بِطَلْعَتِــه بُــرُودُهْ
مــا زالَ يُـسْقَى مِــنْ مِيَـا هِ الفَضْلِ حَتَّى اخْضَرَّ عُودُهْ [٣٧/أ]
فَيَكـــادُ يُــورِقُ بِالـــسَّعَا دَةِ مُثْمِــراً مِنْهـــا وُفُـــودُهْ
قَــدْ كــانَ دَهْــرِي عــاطِلاً حَتــىَّ تَحَــلَّى مِنْــهُ جِيــدُهْ
مَجْــدٌ طَرِيــفٌ يُغْــرِقُ الـــ ـــأَفْكَارَ إذْ يَبْـــدُو تَلِيـــدُهْ
يـــا مالِكـــاً رِقَّ القُلُـــو بِ فَكُلُّهـــا حُبَّــا عَبِيـــدُهْ
بَـــلْ جَنَّـــةٌ فِيهـــا يَطِيــــ ـــبُ ثَناؤُنـا أَبَـداً خُلُـودُهْ
فِي الـــشِّعْرِ لَـــيْسَ بِبَـــالِغٍ أَدْنَـــى بَدِيهَتِـــهِ وَلِيـــدُهْ
قَــدْ كــانَ شِـعْرِي صـائِماً حَتىَّ طَلَعْتَ وَأَنْتَ عِيدُهْ
فإِلَيْكَهـــا عِقْـــداً لِجيــــ ـــدِ الــدَّهْرِ زَيَّنَــهُ نَـضِيدُهْ
بِكْــــرٌ وَمَهْـــرُ جَوابِهَـــا راقَـتْ لَـدَى لُـبٍّ نُقُـودُهْ[١]
وَلَــئِنْ تَكُــنْ قَيْــدَ النُّهَــى فَالحُــبُّ تُـسْتَحْلَى قُيُــودُهْ
فَـــالْبَسْ لِبـــاسَ مَـــسَرَّةٍ فِي الـدَّهْرِ لا يَـبْلَى جَدِيـدُهْ

فأجاب بقوله وأجاد[٢]: [مجزوء الكامل]

(١) سقط هذا البيت من (ظ).
(٢) سقطت هذه الجملة من (ظ).

لِلظَّبْـــيِ مُقْلَتُـــهُ وَجِيـــدُهْ وَالـوَرْدِ مـا أَبْـدَتْ خُـدُودُهْ
وَالـــدُّرُّ يَزْهُـــو بِالَّـــذِي فِي ثَغْــرِهِ مِنْــهُ نَــضِيدُهْ
وَبِوَجْهِـــهِ شَرَكُ العُقُـــو لِ فَــأَيُّ عَقْــلٍ لا يَــصِيدُهْ
فِي كُـــلِّ يَـــوْمٍ لِلْهَـــوَى مِــنْ حُـسْنِهِ مَعْنًـى يَزِيـدُهْ
رَوْضٌ سَـــــقاهُ اللهُ مــــا ءَ الحُـسْنِ فَـاحْمَرَّتْ وُرُودُهْ
يَــسْتَوْقِفُ الأَلْحَــاظَ حَتْـــ ـتَى لا يَـسُوغَ لهـا وُرُودُهْ
مَلِـــكٌ تَحَكَّـــمَ فِي الجَــما لِ فَنَـالَ مِنْـهُ مـا يُرِيـدُهْ
وجَــرَى بِــأَسْرارِ الهَــوَى لِلنّـاسِ مِـنْ دَمْعِـي بَرِيـدُهْ
مــا زالَ يَــسْطُو بِــالوَرَى مِـنْ فتـك[1] مُقلَتِـهِ جُنُـودُهْ
حَتـــــيَّ ظَنَّنَـــا أَنَّـــهُ بِــالأَجْرِ آثَــرَهُ شَـــهِيدُهْ
يُبْــدِي الــصُّدُودَ وَكُلَّــما صَــانَعْتُهُ عَنْــهُ يُعِيـــدُهْ
أَتَــراهُ يَجْحَــدُ مــا لَقِيـــ ـتُ بِهِ وَهَـلْ يُغْنِي جُحُـودُهْ
وَهُـــوَ النَّهـــارُ إذا بَـــدَا مِـنْ نَفْـسِهِ قامَـتْ شُـهُودُهْ
كَـــضِياءِ مَوْلانـــا الـــشِّها بِ الفَضْلِ إِذْ طَلَعَتْ سُعُودُهْ
مــا زالَ يَــسْمُو فِي سَــما ءِ الفَـضْلِ زَيَّنَهـا وُجُـودُهْ
حَتـــيَّ تَقَطَّعَـــتِ المَطَـــا مِعُ عَنْهُ وَاسْتَعْفَى حَسُودُهْ
وَقَّـــادُ فِكْـــرٍ أَيُّ خَطْـــ ـبٍ لَـيْسَ يُطْفِئُـهُ وَقُـودُهْ
كَرُمَــــتْ لَـــهُ هِمَـــمٌ إلى غَـيْرِ العُـلا لَيْـسَتْ تَقُـودُهْ
يَزْهُـو عَـلَى جِيـدِ الزَّمـا نِ بِـــما يُنَمِّقُـــهُ فَرِيـــدُهْ
مِـنْ كُـلِّ سَـجْعٍ مِـنْ مَـزا يا الحُسْنِ قَدْ نُظِمَتْ عُقُودُهْ

[٣٧/ ب]

(١) في (س): «فعل».

وإذا ذَكَـرْتَ الـشِّعْرَ فَهْـ ـوَ كـما سـمِعْتَ بِـهِ لَبِيـدُهْ
قَـدْ كُنْـتُ أَجْهَـدُ فِي ابْتِغـا ءِ لِقَـاءِ أَيَّـامٍ تُفِيـدُهْ
حَتـىَّ وَفَـتْ لِي بِالَّـذِي قَـدْ كـانَ فِي أَمَـلِي وُعُـودُهْ
فَلَقِيتُـهُ البَحْـرَ الخِـضَمْـ ـمَ يَفِيـضُ لِلْعـافِينَ جُـودُهْ
مُتَـدَفِّقاً بِالفَـضْلِ تَخْـ ـشَى أَنْ يُفَرِّقَهَـا وُفُـودُهْ
مَـوْلايَ عُـذْرًا إِنَّهـا مِنْ خاطِرٍ قَدْ جَفَّ عُـودُهْ
بَعُـدَتْ بِقَـوْلِ الـشِّعْرِ فِي عَهْـدِ الـصِّبا حِيناً عُهُـودُهْ
لَبَّـى دُعـاكَ وَأَيُّ مَـوْ لىً لا تُلَبِّيـهِ عَبِيـدُهْ
مـا ضَرَّهُ عِيـدٌ نَـأَى مـا دامَ مِـنْ لُقْيـاكَ عِيـدُهْ

وأنشدني له، قوله(١): [الدوبيت]

مُتِّعْنَـا يَوْمَنَـا بِـصَحْوٍ لَيْسَ عَلَى الشَّمْسِ مِنْهُ سِتْرُ
كَـأَنَّ فِي الجَـوِّ مِنْـهُ كَنْـزٌ سـالَ عَـلَى الأَرْضِ مِنْهُ تِـبْرُ

وله في مليح مُصْفرِّ العِذار، كأنَّما قيّدتِ الأبصار منه بسلاسل [٣٨/ أ] النُّضار(٢)، سلطان حُسْنٍ بلّغه الله كماله، فمدَّ لِشُكاةِ الهوى سلسلة العَدالة: [مجزوء الكامل]

لَـمَّا الْتَحَـى تَمَّـتْ مَحَـا سِنُ وَجْهِهِ وصَفَتْ طِبَاعُـهْ
وغَـدَا بِلُطْـفِ عِـذَارِه قَمَـراً أحـاطَ بِـهِ شُـعَاعُهْ

وهو كقول الحظيري(٣): [المنسرح]

---

(١) زيادة من (ظ).

(٢) النُّضار: الخالص من كل شيء، والذهب.

(٣) هو سعد بن علي بن القاسم الأنصاري، الخزرجي، الوراق الحظيري البغدادي، أبو المعالي، المعروف بالوراق، وبدَلاَّل الكُتُب (ت: ٥٦٨): أديب، كانت لديه معارف، وله نظم جيد. من أهل بغداد، نسبته إلى «حظيرة» من قراها. كان وراقاً يبيع الكتب. توفي ببغداد. من مؤلفاته: «زينة الدهر وعصرة أهل العصر في ذكر لطائف شعراء العصر» ذيل لدمية القصر للباخرزي، =

وَأَشْقَرِ الشَّعْرِ مِنْ لَطافَتِهِ ... يَجْرَحُ لَحْظُ العُيُونِ خَدَّيْهِ
فَإِنْ بَدَا مَنْ يَشُكُّ فِيهِ فَلِي ... شَاهِدُ عَدْلٍ مِنْ لَوْنِ صُدْغَيْهِ

وقوله: [المنسرح]

كَأَنَّ صُدْغَيْهِ في احْمِرارِهِمَا ... قَدْ صُبِغَا مِنْ مُدَامِ وَجْنَتِهِ

وله: [البسيط]

ما احْمَرَّ شَعْرُ حَبِيبِي أَنَّ وَجْنَتَهُ ... سَقَتْهُ مِنْ صِبْغِهَا خَمْراً وَلَا خَجَلاَ
وإِنَّمَا لَفَحَتْ خَدَّيْهِ مِنْ كَبِدِي ... نَارٌ فَدَبَّتْ إِلى خَدَّيْهِ فَاشْتَعَلاَ

ومما أنشدني قصيدةً له منها: [الخفيف]

قَدْ دَعاهُ الهَوَى وَدَاعِي التَّصَابِي ... لادِّكَارِ الأَوْطانِ والأَحْبابِ
فَأَتَتْ دُونَ صَبْرِهِ مِنْ أَلِيمِ الـ ... ـوَجْدِ نارٌ شَدِيدَةُ الِالْتِهابِ
فَذَوَى غُصْنُهُ الرَّطِيبُ وَجَفَّتْ ... مِنْ رِياضِ الصِّبَا مِياهُ الشَّبابِ

منها:

شَعَرُ المَرْءِ نُسْخَةُ العُمْرِ وَالأَيْـ ... ـيَامُ فِيها مِنْ أَصْدَقِ الكُتَّابِ
فَإِذا تَمَّ مِنْهُ ما كَتَبَتْهُ ... تَرَّبَتْهُ مِنْ شَيْبَةٍ بِتُرَابِ
لَسْتُ آسَى عَلَى الصِّبا إِنَّما أَذْ ... كُرُ حَقًّا لأَقْدَمِ الأَصْحَابِ
قَدْ سَقَتْنِي عُهُودُهُ العيشَ صَفْواً ... وَكَسَتْنِيهِ مُونِقَ الجِلْبَابِ

ومنها في المدح:

بَحْرُ فَضْلٍ لَوْ قِيسَ بِالبَحْرِ كانَ الـ ... ـبَحْرُ في جَنْبِهِ كَلَمْعِ السَّرَابِ

= و«لمح الملح»، و«الإعجاز في الأحاجي والألغاز»، و«ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٧٧٧؛ معجم الأدباء، ٣/ ١٣٤٩؛ وفيات الأعيان، ٢/ ٣٦٦؛ هدية العارفين، ١/ ٣٨٤؛ الأعلام، ٣/ ٨٦؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٥٧.

وَإِذاقِيلَ خُلْقُهُ الرَّوْضُ أَضْحَى الرْ رَوْضُ طَلْقاً بِذٰلِكَ الِانْتِسَابِ
مَزَجَ الفَضْلَ بِالسَّخَاءِ كَمَا مَا زَجَ ماءُ الغَمَامِ صَفْوَ الشَّرَابِ
ما عَسَى أَنْ أَعُدَّ مِنْ مَكْرُماتٍ ضَبْطُها قَدْ أَعْيَا عَلَى الحُسَّابِ
وَإِذا ما الأَفْكَارُ أُمْعِنَ فِيها غَرِقَتْ مِنْ بِحَارِها في عُبَابِ [٣٨/ب]
أَنْتَ مِنْ ناظِرِ الزَّمانِ سَوَادُ الـ ـعَيْنِ وَالنَّاسُ مِنْهُ كَالأَهْدَابِ

وفي قوله: «شَعَرُ المَرْءِ»، معنى لطيف؛ وقد اتَّفق لي نحوه في قولي: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ خَطَّ المَشِيبُ بِمَفْرِقِي رَسائِلَ تَدْعُو كُلَّ حيٍّ إلَى البِلَى
أَرَى نُسْخَةً لِلْعُمْرِ سَوَّدَها الصِّبا وَما بُيِّضَتْ بِالشَّيْبِ إِلَّا لِتُنْقَلاَ

وأما التَّتْريب فمن قول ابن المعتز[1]: [الكامل]

صدَّتْ سُعادُ وأَزْمَعَتْ هَجْرِي وَصَغَتْ ضَمائِرُها إِلى الغَدْرِ
قالَتْ كَبِرْتَ وَشِبْتَ قُلْتُ لَها هَذا غُبَارُ وَقائِعِ الدَّهْرِ

وللأَرَّجانيّ[2]: [البسيط]

وقد عَلَتْ غُبْرَةُ الشَّيْبِ الشَّبِيبَةَ لي فَبِتُّ لِلأَجَلِ المَكْتُوبِ مُكْتَلِيَا[3]
كِتَابُ عُمْرِي اللَّيالي تَرَّبَتْهُ وما أَدْنَى المُتَرَّبَ أَنْ تَلْقَاهُ مُنْطَوِيَا

وقول محمد القيسراني[4]: [الكامل]

(١) الديوان ٣/ ١٥٤ برواية: صدَّت سُرَيْرُ.
(٢) ديوانه، ٣/ ١٥٧٥.
(٣) من اكْتَلأَ: حذر واحترس.
(٤) هو محمد بن نصر بن صغير المخزومي الخالدي، شرف الدين ابن القيسراني (٤٧٨-٥٤٨هـ) شاعر مجيد، أصله من حلب، ومولده بعكا، ووفاته بدمشق، تولّى إدارة الساعات التي على باب الجامع الأموي، ثم تولّى خزانة الكتب بحلب. ترجمته في وفيات الأعيان ٤/ ٤٥٨، معجم الأدباء لياقوت ٦/ ٢٦٥٤، الأعلام ٨/ ١٢٥. (ج).

لا تُنْكِرِي وَضَحاً لَبِسْتُ قَشِيبَهُ رَكْضُ الزَّمانِ أَثارَ هٰذَا العِثْيَرا

وقول الأمير العاصمي: [مخلع البسيط]

تَعَجَّبَتْ حِينَ راعَ سُعْدَى(١) مِنْ بَعْدِ نَضْوِي الخِضابَ حَالِي
قالَتْ أَهٰذا الَّذِي أَرَاهُ غُبَارُ طاحُونَةٍ بَدَا لِي
فَقُلْتُ لا تَعْجَبِي فَهٰذا غُبَارُ طاحُونَةِ اللَّيَالِي

ولولا مشاكلة الطاحون السابقة ودوره معها قبحتْ هذه الاستعارة جدًّا.

وقال إبراهيم الغزي(٢): [الخفيف]

مَسَحَتْ عَارِضِي وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا ظَنَّتِ المَشِيبَ غُبَارَا

وقال العماد الكاتب: تشبيه الشيب بالغبار حسن، وكنت أظنُّ أني ابتكرته في قولي: [المجتث]

لَيْلُ الشَّبابِ تَوَلَّى وَالشَّيْبُ صُبْحٌ تَأَلَّقْ
مَا الشَّيْبُ إِلَّا غُبارٌ مِنْ رَكْضِ عُمْرِي تَعَلَّقْ

وقولي وقد شبهته بالتَّتْريب(٣): [الخفيف]

أَصُدُوداً ولَمْ يَصُدَّ التَّصابِي ونِفَاراً ولم يَرُعْكَ المَشِيبُ
وكِتابُ الشَّبابِ لم يَطْوِهِ الشْـ ـشَوْقُ(٤) ولا مَسَّ نِقْسه تَتْرِيبُ(٥)

[٣٩/أ] وتطَفَّل عليه الصَّفَدِي كما هو دأبه: [الوافر]

---

(١) في (ظ): «سلمى».

(٢) ديوانه ٢٩٧، في (س): «وللغزي» بدلا من «وقال إبراهيم الغزي». انظر ترجمته ص١٣٢/ ح٦.

(٣) البيتان لعماد الدين الأصبهاني في ديوانه، ص. ٧٦-٧٧.

(٤) في الديوان وفي (ظ): «الشيب».

(٥) في الديوان: «التشريب».

إذا كَتَبَ الشَّبابُ سُطُورَ مِسْكٍ وتَـــرَّبَهُنَّ كـــافُورُ المَـــشِيبِ
فَيـا أَسَفِي وَمـا أَسَفِي وَحُـزْنِي سِوَى طَيِّ الصَّحِيفَةِ مِنْ قَرِيبِ

وعلى ذكر التَّتْرِيب، فما أحسن قول الطُّغْرائي[(١)] يَصِفُ كتيبة في قصيدة له[(٢)]: [الطويل]

عَلَيْها سُطُورُ الضَّرْبِ تُعْجِمُها القَنَا صَحَائِفُ يَغْشَاها مِنَ النَّقْعِ تَتْرِيبُ

وقول المهذَّب المَوْصِليّ[(٣)]: [الكامل]

تُرْدِي الكَتائِبَ كُتْبُهُ فَإِذا غَـدَتْ لَمْ تَـدْرِ أَنْفَـذَ أَسْـطُراً أَمْ عَـسْكَرَا
لَمْ يَحْسُنِ الإِتْرَابُ فَوْقَ سُطُورِها إِلَّا لِأَنَّ الجَـيْشَ يَعْقِـدُ عِثْـيَرَا

ومن إنشاء ابن الأثير[(٤)]: أُصْدِرُ هذا الكتاب والفتحُ غَضٌّ طَرِيٌّ لم تنصل

---

(١) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد أبو إسماعيل مؤيد الدين الأصبهاني، المعروف بالطغرائي (٤٥٥-٥١٣ / ١٠٦٣-١١٢٠): شاعر، من الوزراء الكتاب، ولد بأصبهان، اتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي صاحب الموصل، فولاه وزارته. ثم أخذ الطغرائي أسيراً، وقتل بين يدي الملك محمود، وقد نيَّف على الستين. ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء. وللمؤرخين ثناء عليه كثير. له «ديوان شعر» مطبوع، وأشهر شعره «لامية العجم». انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ١٤٩٨/١؛ شذرات الذهب، ٦٨/٦؛ وفيات الأعيان، ٢/ ١٨٥؛ الأعلام، ٢/ ٢٤٦؛ معجم المؤلفين، ١/ ٦٢٨.

(٢) ديوانه، ص. ٩٤.

(٣) هو أبو الفرج عبد الله بن أسعد بن علي المعروف بابن الدهان المنعوت بالمهذب الموصلي، كان فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً، لطيف الشعر، مليح السبك، توفي سنة ٥٨٢هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٥٧، الخريدة (قسم الشام) ٢/ ٢٧٩، طبقات السبكي ٤/ ٢٣٣، تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٢٩٢. والبيتان في خريدة القصر، قسم الشام، ٢/ ٢٨٦. (ج).

(٤) هو نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير =

حُمْرَةُ يومه، ولا غمدَتْ سيوفُ قومه، فسطوره تُتْرَبُ بمُثار عَجاجه، ممثَّلَة بخَطِّ ضربه، وإعجامِ زِجاجه.

وله من قصيدة في تهنئة ختان، منها(١): [المتقارب]

أَعَلَّامَـةَ العَـصْرِ مَـوْلَى المَـوَالي ... وَقُـرَّةَ عَـيْنِ العُـلا وَالكَـمالِ
تَبَـوَّأْ مِـنَ المَجْـدِ أَعْـلَى مَقـامٍ ... وَضَعْ نَعْلَ مَمْشاكَ(٢) فَوْقَ الهِلالِ
فَقَـدْ أَيْقَـنَ المَجْـدُ أَنَّ المَجِـيءَ ... بِمِثْلِـكَ لِلـدَّهْرِ عَـيْنُ المُحَـالِ
فَبُـشْرَى لَكُـمْ بِالخِتـانِ الَّـذِي ... بِـهِ لَـبِسَ الـدَّهْرُ ثَـوْبَ الجَـمالِ
هُـوَ الـشَّمْعُ إِنْ قُـطَّ لا غَـرْوَ أَنْ ... أَنـارَتْ بِـهِ حالِكـاتُ اللَّيَـالِي
وَظُفْـرٌ بتَقْلِيمِـهِ لا تَـزالُ ... أَكُـفُّ المَكـارِمِ مِنْـهُ حَـوَالِي
وتَـشْمِيرُ ذَيْـلٍ لَـدَى الاِسْـتِباقِ ... لِنَيْـلِ الأَمـانِي وَكَـسْبِ المَعـالِي
وَمـا لِلْـيَراعِ إذا لَمْ يُقَـطَّ ... فَـضْلٌ يُعَـدُّ عَـلَى كُـلِّ حَـالِ
وَمِن بَعْدِ بَرْيِ الغُصُونِ ازْدَهَتْ ... عَلَيْهـا الأَسِـنَّةُ سُـمْرُ العَـوَالِي
فَـلا بَرِحَـتْ بِمَزَايـاكُمُ ... لجِيـدِ الزَّمـانِ عُقُـودُ الَّـلآلِي

= (٥٥٨-٦٣٧هـ) الكاتب وزير من العلماء الكتاب المترسلين، ولد في جزيرة ابن عمر وتعلم بالموصل حيث نشأ أخواه: المؤرخ علي، والمحدث المبارك، واتصل بخدمة صلاح الدين، وولي الوزارة للملك الأفضل بدمشق، ولم تحمد سياسته، فخرج منها، ثم انتقل لخدمة الملك الظاهر صاحب حلب، ثم تحول إلى الموصل فكتب الإنشاء لصاحبها، بعثه رسولاً إلى الخليفة ببغداد، فمات فيها. له «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» و«كفاية الطالب». ترجمته في وفيات الأعيان ٢/ ١٥٨، شذرات الذهب ٥/ ١٨٧. (ج).

(١) ساقط من (ظ).

(٢) في (ظ): «مسعاك».

وفي معناه قول القاضي الفاضل: الحمد لله الذي أَطْلعَه ببيِّناتِ الكمال، وبلَّغَه غاياتِ الجمال، ويسَّرَه لدرجاتِ الجلال، ونقله [٣٩/ب] تَنقُّلَ الهلال، وشذَّبَ منه[١] تشْذيبَ الأغصان، وهذَّبه تَهْذيبَ الشُّجْعان، وأجرى فيه سُنَّةً سَنَّ لها الحديدَ فنَقَصَه للزِّيادة، واستَخلَصه للسيادة، ودرَّبه للاصطبار، وأدَّبه للانتصار، وألقى عنه فضلةً في اطِّراحِها الفضيلة، وقطَعَ عنه علَقَةً حَقُّ مثلِها ألّا تكونَ به[٢] موصولة، فلم يزل التَّقْلِيمُ مُنَوِّهاً بالأغصان، ومُنَبِّهاً للثَّمَر الوَسْنانِ، ومُبَشِّراً بالنَّماءِ، ومُيَسِّراً للنَّشْوِ والانْتِشاء. ولابن فضل الله[٣] |في ختان|[٤]: [الخفيف]

لَمْ يُـرَوِّعْ لَـهُ الخِتـانُ جَنانـاً　　　قَدْ أَصابَ الحَدِيدُ مِنْهُ حَدِيدَا
مِثْلَ ما يُنْقَصُ المَصابِيحُ بِالقَطْـ　　　ـطِ فَتَـزْدادُ في الـضِّياءِ وَقُـودَا

وأصله من قولِ |إبراهيم|[٥] الغَزِّي[٦]: [الطويل]

(١) في (ظ): «شذبه».

(٢) في (ظ): «بمثله».

(٣) هو عبد الوهاب بن فضل الله القاضي شرف الدين (٦٢٣/ ١٢٢٦-٧١٧/ ١٣١٧): كان كاتب السر بمصر، ثم بدمشق. خدم الملك الأشرف، والملك الناصر، وسيف الدين تنكز، توفي بدمشق. انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٢/ ٤٢١؛ شذرات الذهب، ٨/ ٨٣؛ الأعلام، ٤/ ١٨٥. والبيتان في فوات الوفيات، ٢/ ٤٢٤.

(٤) زيادة من (ظ).

(٥) زيادة من (ظ).

(٦) هو أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي الغزي (٤٤١-٥٢٤ / ١٠٤٩-١١٣٠): شاعر خراسان، ولد بغزة، وتوفي ما بين مرو وبلخ من بلاد خراسان. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ١/ ٧١٤؛ وفيات الأعيان، ١/ ٥٧؛ معجم المؤلفين، ١/ ٨١. والبيت في الديوان ٦٢٠.

نَـما لَـكَ وُدِّي حِـينَ قَلَّمْـتُ رَأْسَـهُ قِياساً عَلَى الأَقْلامِ وَالـشَّمْعِ وَالظُّفْرِ

ولابن مطروح[(١)]: [الوافر]

لَقَـدْ سَرَتِ البَـشَائِرُ وَالتَّهَـانِي إِلَى الثَّقَلَـيْنِ مِـنْ إِنْـسٍ وَجَـانِ
وَيَـصْغُرُ كُـلُّ مُبْـتَهجٍ إذا مـا نَـسَبْناهُ[(٢)] إلى هٰـذا الخِتَـانِ
تَـوَدُّ الزَّهْـرَةُ الزَّهْـراءُ فِيهـا لَـوِ اتُّخِـذَتْ لَـهُ إِحْـدَى القِيَـانِ
وَأَنَّ البَـدْرَ طَـارٌ في يَـدَيْها وَأَنَّ مُراسِـلَيْها الفَرْقَـدَانِ
وَتَـسْتَلِمِي مِـنَ الأَفْـلاكِ لَحْنـاً فَـما قَـدْرُ المَثالِـثِ وَالمَثَـانِي
وَتُـسْقَى بِالثُّرَيَّـا فِيـهِ كَأْسـاً وَلا أَرْضَى لَهَـا بِنْـتَ الـدِّنانِ
وَلٰكِـنْ مِـنْ رَحِيـقٍ سَلْـسَبِيلٍ بِأَيْـدِي عَبْقَرِيَّـاتٍ حِـسَانِ
وَيَـصْغُرُ خادِمـاً بَهْـرامُ فِيـهِ عَلَى ما فِيـهِ مِـنْ بَـأْسِ الجَنَـانِ
فَلَـوْلاَ أَنَّـهُ فَـرْضٌ عَلَيْنـا لَمَـا مُـدَّتْ لِخاتِنِـهِ[(٣)] يَـدَانِ
وَقَـطُّ الـشَّمْعِ يُكْـسِبُهُ ضِـياءً وقَـطُّ الظُّفْـرِ زَيْـنٌ[(٤)] لِلْبَنَـانِ

وللصَّنَوْبَرِيّ[(٥)] فيه[(٦)]: [الوافر] [٤٠/أ]

---

(١) ديوانه، ص. ١٨٠-١٨١.

(٢) في الديوان: «نسبناها».

(٣) في الديوان: «لختنه».

(٤) في الديوان: «أفخر».

(٥) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرَّار الضَّبِّي، الحلبي الأنطاكي المعروف بالصنوبري، المكنى بأبي بكر.(ت: ٣٣٤/ ٩٤٥): شاعر، اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار. وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة. تنقل بين حلب ودمشق. وله «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٤/ ١٨٥؛ إعلام النبلاء، ٤/ ٢٧؛ الأعلام، ١/ ٢٠٧؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٥٨.

(٦) ديوانه، ص. ٤٣٧.

أَرَى طُهْــراً سَــيُثْمِرُ بَعْــدُ عُرْســاً[١] كَــما قَــدْ يُثْمِــرُ الطَّــرَبَ المُدامَــهْ
وَمــا قَلَــمٌ بِمُغْــنٍ عَنْــكَ إلَّا إذا مــا أُلْقِيَــتْ عَنْــهُ القُلامَــهْ

و«الطُّهْرُ» بالضم، كالطُّهور، والتطهير كناية عن الخِتان، حسنه بمولده وذكره الثعالبي في كتاب «الكناية»، وغيره.

ومما رويته ما رأيته في ديوان العلامة أبي القاسم الزَّمَخْشَرِي في قصيدة يهنئ بها بعض الرؤساء بختان بنيه، فمنها قوله[٢]: [الكامل]

فِي عَـصْرِنا لِبَنِيـكَ فَـضْلٌ بـاهِرٌ مــا نــالَ أَيْــسَرَهُ بَنُــو أَيّامِــهِ
طَهَّــرْتَهُمْ فَرْعــاً كَــما طَهَّــرْتَهُمْ أَصْــلاً فَحــازُوا طُهْـرَهُمْ بِتَمامِـهِ
وَأَخُــو الكِتابَــةِ لا يُجَــوِّدُ خَطَّــهُ حَتَّـى يَنـالَ القَـطُّ[٣] مِـنْ أَقْلامِـهِ
وَالكَرْمُ لَيْسَ يَبِينُ[٤] حُسْنُ نُمُوِّهِ إلَّا عَــلَى التَّفْتِــيحِ مِــنْ كَرَّامِــهِ
وَالـوَرْدُ لَـيْسَ يَفُـوحُ طَيِّبُ رِيحِـهِ إلَّا إذا انْفَــصَمَتْ عُــرَى أَكْمامِــهِ
وَكِتابُـكَ المَخْتُـومُ لَـيْسَ بِواضِـحٍ مَعْنــاهُ إلَّا بَعْــدَ فَــضِّ خِتَامِــهِ
وَأَخُـو اللِّطـامِ عَـنِ الـذِّراعِ مُـشَمِّرٌ فَــالكُمُّ يَــشْغَلُهُ أَوَانَ لِطامِــهِ
وَفَتَى[٥] الوَغَى ما لَمْ يَسُلَّ حُسامَهُ عَــنْ غِمْــدِهِ لَمْ يَنْتَفِــعْ بِحُــسَامِهِ
قَـدْ جـاءَهُ مُوسَـى الكَلُـومُ فَـزادَ فِي أَقْـصَى تَفَرْعُنِـهِ وَفَـرْطِ عُرامِـهِ[٦]

(١) في الديوان: «عرسٍ».
(٢) ديوانه، ص. ٤١٧.
(٣) القط: القطع.
(٤) في الديوان: «يخال».
(٥) في الديوان: «وابن».
(٦) في (س): «غرامه».

كَلَمُوهُ وَهْوَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْ ... شَيْءٍ بَرِيءٍ مِنْ قِصاصِ كِلامِهِ

ومما كتبته له وقد مرض فلم أعُدْهُ لعارضٍ تشكَّيْته، فظنَّ أني تعمَّدْتُ تركَه:

سيدي ومولاي، يعلم أنَّ حصونَ المودّة وهي القلوبُ لا تُفْتَحُ عَنْوَةً، والدهرُ لم يُبْقِ للصلح موضعاً تتمسّك منه يد الأمل بعُرْوَة: [الخفيف]

وَوِدَادِي كَمَا عَرَفْتَ وِدَادِي ... وَفُؤَادِي كَمَا عَهِدْتَ فُؤَادِي

وصاحب البيت أَدْرَى بالذي فيه، وأنَّ للبيت رَبًّا يحيمه، وقد عرض لي من السَّقَمِ ما عاق عن العيادة، وأقعدني عن القيام بحقِّها(١) وهو عبادة، وكيف يَصِحُّ بدَنٌ روحه سقيمة، فلذا أنشد لسان المودة السليمة: [الوافر][٤٠/ ب]

رَأَيْتُ الفَضْلَ في الدُّنْيا غَرِيباً ... ضَعِيفاً في مَعالِمِها نَحِيفَا

فَلَمَّا أَنْ سَأَلْتُ الدَّهْرَ عَنْهُ ... أَجابَ مُلاحِظاً مَعْنًى لَطِيفَا

وَقالَ لِيَ ابْنُ قاسِمٍ المُفَدَّى ... وَعَيْنُ الفَضْلِ قَدْ أَمْسَى ضَعِيفَا

فَقُلْتُ لَهُ حَمَى اللهُ المَعالِي ... بِصِحَّتِهِ وَآمَنَهُ المَخُوفَا

فأجاب: [الوافر]

أَتَتْنِي رُقْعَةٌ مِنْ ذِي وَلاءٍ ... وَفَى فَشَفَى امْرَأً دَنِفاً ضَعِيفَا

أَبانَتْ مِنْهُ مَعْذِرةً بِسُقْمٍ ... أَلَمَّ بِهِ وَصارَ لَهُ حَلِيفَا

وَشاطَرَنِي السَّقامَ وَلَمْ يَزَلْ بِي ... عَلَى طُولِ المَدَى بَرًّا رَؤُوفَا

تَقِيهِ السُّوءَ نَفْسِي فَهْوَ مَنْ لَمْ ... يَزَلْ يُكْسَى بِهِ الفَضْلُ الشُّفُوفَا

شِهَابٌ ثاقِبٌ محَتِ اللَّيالِي ... بِطَلْعَتِهِ مِنَ الدَّهْرِ الصُّرُوفَا

مولاي: فكر العليل عليل، والاستقصاءُ في مجاراة سيدي ما إليه سبيل،

---

(١) في (ظ): «بحقه».

وسلامتكم غايةُ السُّول، والعذر عندكم إن شاء الله مقبول.

وكلام الشيء بالشيء يذكر، والمحافلُ بطيب الآداب تتعطّر، فممّا كتبته لبعض الإخوان وقد توعك: [الوافر]

كَفَـاكَ اللهُ مـا تَخْـشَى وَغَطَّـى عَلَيْـكَ بِظِـلِّ نِعْمَتِـهِ الظَّلِـيلاَ

أعزَّ الله أنصارَ فيَّاض الكرم والحسب، وحَمى بعزَّته مَعالم العلوم والأدب، وأبقاه محروساً من هجوم الخطوب، محفوفاً بسورٍ مَنيع من إحاطة القلوب، وأصوات حرس الدعاء مرفوعة، وسدته بحجاب الصنائع ممنوعة، وله من عطر الثناء نشرٌ انتشر، فلا يملُّ حتّى يملَّ الرياضُ نسيمَ السحر، والدهر وإن كان ذا غِير، ومن تفكّر اعتبر، فكيف يتسلّط عليه بآلامه، وهو لا[1] يتسلّط على أيادي إكرامه، فإن هَمَّ ونَعمُهُ مُتتابعةٌ عليه، صدَّقَ قولَه: اتَّقِ شرَّ مَن تُحْسِنُ إليه: [الطويل]

أَتُهْـدِي لَـهُ الأَيَّـامُ سُـقْماً وَإِنَّـما مَـساعِيهِ في أَعْنـاقِهِنَّ قَلائِـدُ

[٤١/أ] على أنه إن اعْتَلَّ [اعتلَّ] المعالي والكمال، وإن مرِضَ فقد مرضتِ الأماني والآمالُ، بل القلوبُ والأرواح، فإذا دعَوْنا له دعونا لأنفسنا بالصلاح، ورُبَّ مريض لا يُعاد، وإن كان لا يحرم الأجر مريض الفؤاد، كما قيل[2]: [البسيط]

يـا لَيْـتَ عِلَّتَـهُ بي غَـيْرَ أنَّ لَـهُ أَجْـرَ العَلِيـلِ وأَنِّي غَـيْرُ مَـأْجُورِ

ولا كما قيل: [الطويل]

وَقَيْنَاكَ لـو نُعْطـى الهَـوَى فِيـكَ والْمُنَـى لكانَتْ بنا الشَّكْوَى وكانَ لكَ[3] الأَجْرُ

---

(١) ساقط من (ظ).

(٢) البيت لصريع الغواني، شرح ديوان صريع الغواني: ص. ٣٢٣.

(٣) في (س): «بك».

وقد سمعتُ بفَصْدِه لِلْبَاسَلِيق(١)، وأنه قد بكا دماً عِرْقُه العَرِيق: [المتقارب]

فَبَـاتَ اعْتلالُـكَ يَبْكِـي دَمـاً وتَـضْحَكُ في جِسْمِكَ العافِيَـهْ

وكان قيل: عِرقُ الصِّحَّةِ، له في كل مَنْبِت شَعْرَةٍ عينٌ باكية، تبكي بمدامع العِرْق على فراق العافية. والآن ببكاء عرق الصحة أضحك الله ثغور مسرّته، كما ضحكت تباشير الهناء بصحته. وهنأ الله الوجود، بسلامة الكرم والجود. فلا زال كوكب سَعْده طالِعاً في سماء الإقبال، فإنَّ لكلِّ زمانٍ غرَّةٌ وهلال، والسلام.

ولأبي تمام(٢): [مجزوء الكامل]

إنِّي لِعِلَّــــــةِ أَحْمَـــــدٍ وَلِعِلَّتِــي قَلِــقُ الفُــؤَادْ
مَـــنْ ذا يَقُـــومُ بِعِلَّتَيْـــنِ مُقِيمَتَـيْنِ عَـلَى فُـؤَادْ
فَـارْحَمْ عِبـادَكَ أَجْمَعِيــنَ بِرَحْمَـةِ ابْـنِ أَبِي دُؤَادْ
قَالُوا اعْتَلَلْتَ فَقُلْتُ كَلَّا إِنَّـــما اعْتَـــلَّ الفُـــؤَادْ
وَالــدِّينُ وَالــدُّنْيا لِعِلْــلَتِهِ وَأَظْلَمَــتِ الـبِلادْ
قَــالُوا يُعــادُ فَقُلْــتُ ذَاكَ إِلَى سَـــلامَتِهِ يُعَـــادْ

ولله دَرُّ الفضل بن سهل في قوله وقد مرِض: إنَّ في العلل لنعماً ينبغي للعقلاء أن يعرفوها، تمحِّصُ الذنوب، وتعرّض لثواب الصبر، وتوقظ من الغفلة، وتذكّر نعمة الصحة، وتحضُّ على الصدقة، وفي قضاء الله وقدره الخيار. [٤١/ب]

(١) البَاسَلِيق: عرق في الذراع. انظر شفاء الغليل، ص. ٨٨؛ وفقه اللغة، ص. ١١٥-١١٦.

(٢) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه.

[٦]

الأمير أبو بَكْر الحلبي[١]

المعروف بابن[٢] حلالا[٣]، أمير سمح الشيم، بعيد شَأوَى الهمم، يغترفُ من جوده الدَّأْماء[٤] والدِّيَم، وقد عانى الشعر واقتصر عليه، وجُعل جلُّ متاعه في يديه، والأدب روضةٌ ذات أفنان، لا تزهو إلا بتنوُّع ما فيها من الثمار والألوان، فلذا لم تقطر من شعره ماء النضارة، ولم يحلله ورق الغضاضة والغضارة، ومع كثرته لم أر له في جريدتي غير قوله[٥]: [الوافر]

أَيـا بَحْـراً غَـدَوْنا مِـنْ نَـداهُ ... نُقَـدِّمُ بَعْـضَ أَنْعُمِـهِ لَدَيْـهِ
كَذَاكَ البَحْرُ يُنْشَأُ مِنْهُ سُحْبٌ[٦] ... وَصَيِّبُ قَطْرِها[٧] يُهْدَى إِلَيْهِ

وهو معنى مطروق، ولذا لم أقل: إنه مسروق، والمشهور فيه قول البديع[٨]:

---

(١) لم ترد ترجمته بشكل تفصيلي في ديوان الإسلام، وكلُّ ما ورد فيه اسمه فقط. انظر مصادر ترجمته: ديوان الإسلام، ٢/ ٢٠٤؛ ريحانة الألبا، ١/ ٩٥.

(٢) في (ظ): «ابن».

(٣) ورد في خلاصة الأثر: «ابن جلالا»، ٣/ ٨٨.

(٤) الدأماء: البحر.

(٥) البيتان في:ريحانة الألبا، ١/ ٩٥؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٨٨.

(٦) في خلاصة الأثر: «غيث».

(٧) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر: «وبعض سحابه».

(٨) هو هبة الله بن الحسين بن يوسف الأَسْطُرْلابِي البغدادي، المعروف بالبديع (ت: ٥٣٤/ ١١٤٠): من أهل بغداد. فيلسوف من علماء الأطباء، ومن كبار علماء الفلك. وكان =

[الكامل]

أُهْــدِي لِمَجْلِـسِكَ الــشَّرِيفِ وَإِنَّــما أُهْــدِي لَــهُ مــا حُــزْتُ مِــنْ نَعْمَائِــهِ
كَـالبَحْرِ يُمْطِـرُهُ الـسَّحابُ وَمـا[1] لَـهُ مَــــنٌّ عَلَيْــــهِ لِأَنَّــــهُ مِــــنْ مَائِــــهِ

ونظائره كثيرة، ولعل النوبة تفضى إلى استيفائها، وممّا يقاربها ما كتبته لبعض الأحباب مع سمك أرسلته له: [مجزوء الكامل]

أَهْـدَيْتُ حُوتـاً نَحْـوَ مَـنْ تَعْلُــو عَزِيمَتُــهُ الــسِّمَاكْ
فَاقْبَـلْ بِحَقِّـكَ عُـذْرَ مَـنْ أَهْـدَى إِلَى البَحْـرِ الـسِّمَاكْ

= أديبا شاعراً، يميل إلى المجون والفكاهة. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٠٥٥؛ وفيات الأعيان، ٦/ ٥٠؛ الأعلام، ٨/ ٧١؛ معجم المؤلفين، ٤/ ٥٥. والبيتان في وفيات الاعيان، ٦/ ٥١؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٨٨؛ وريحانة الألبا، ١/ ٩٦؛ وسلافة العصر، ص. ١٢٣.

(١) في (س): «ولا».

[٧]

أبو الطَّيِّب بن بَدْر الدِّين الغَزِّي(١)

نزيل الشام، من ذوي البيوت الشامخة الرتب، المزاحمة للنَّيِّرات في منازلها بالرُّكب، وله أدبٌ غضّ، نَقْده نضٌّ، وشعرٌ يتساقط في أندية الكرام، تساقط الدرِّ أسلمه النظام، ألطفُ من شمائل الشمال، وأحبُّ من دلائل الدلال، وأرقّ من دموع السحاب، وأصفى من ماء المزن والشباب، وبينما هو رحيب الصدر، صليب قناة الصبر، لم يعقد حُبَى رايةٍ بغير يد الحزم، ولم تَحُلَّ الأيام عقدة روائِهِ إلَّا براحة العزم، إذ غلبتْ عليه السوداء، [٤٢/أ] فأعجز داؤه الدواء، فبدلت جنون الفنون، بفنون الجنون، وفتحت مغلق قفله، وحلت عُقلة عَقله، فظهر تشتت باله، ونادى لسان حاله: [المتقارب]

تَقَـضَّى زَمـانٌ لَعِبْنـا بِـهِ　　　وَهٰـذا زَمـانٌ بِنـا يَلْعَـبُ

---

(١) أبو الطيب محمد بن محمد بن محمدبن مفرج بن بدر بن عامر بن لؤي بن غالب العامري الغزي الدمشقي (ت: ١٠٤٢/ ١٦٣٢): أديب، شاعر. ولد بدمشق، وقرأ في أول أمره كثيراً وضبط وبرع. وكان معظم انتفاعه بالأدب على القاضي محب الدين، وقد عرف به، وعليه تخرج، وتفقه بالشهاب العيثاوي. رحل إلى مصر، وأخذ عن علمائها، ثم عاد، فاستقر بدمشق، ودرَّس بالمدرسة القُضاعية الشافعية. ثم تفرغ عنها، وعرض له عارض سوداوي، اختلت معه أحواله. توفي بدمشق، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٥٧؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٣٥؛ نفحة الريحانة، ١/ ٨٥؛ تراجم الأعيان، ١/ ٢٦٦؛ سلافة العصر، ص. ٣٨٨؛ ديوان الإسلام، ٣/ ٣٨٦؛ علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ١/ ٤٦٢.

فممَّا رويتُه من شعره، وقطفته من نضير زهره، قوله[١]: [الكامل]

صَـــادَفْتُهُ وَالحُـــسْنُ حِلْيَتُـــهُ كـــالرِّيمِ لا رُعْثـــاً[٢] ولا قُلْبـــا[٣]

مُتَحَلِّيـــاً وَالعِيـــدُ أَبْـــرَزَهُ[٤] والبَـــدْرُ أَقْـــرَبُ[٥] منـــه لي قُرْبـــا

فـــدَنَا[٦] لِتَهْنِئَتِـــي ومَـــدَّ يَـــداً وَفْـــقَ المُنَـــى[٧] فَتَنَـــاوَلَ القَلْبَـــا

وقوله من قصيدة[٨] أولها: [المنسرح]

مُـــؤَنِّبِي لا بَرِحْـــتَ في عَـــذَلِي[٩] وحَبَّـــذَا[١٠] حُبُّـــهُ عَـــلِيَّ وَلِي

منها:

وذِي[١١] دَلالٍ أغَـــرَّ، طَلْعَتُـــهُ شَمْسُ الضُّحَى فَوْقَ ناعِمٍ خَضِلِ

يَجُـــولُ في عِطْفِـــهِ النَّـــشَاطُ[١٢] إذا يَحُـــلُّ[١٣] حِقْوَيْـــهِ[١٤] فَـــتْرَةُ الكَـــسَلِ

---

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٥٧؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٣٦؛ تراجم الأعيان، ١/ ٢٧٠.

(٢) الرُّعث: جمع الجمع للرُّعْثة، وهي القرط.

(٣) القُلْب: من الأسورة، سوار المرأة.

(٤) في خلاصة الأثر، وتراجم الأعيان: «والعيد للألحاظ أبرزه»

(٥) في خلاصة الأثر: «أيسر».

(٦) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر، وتراجم الأعيان: «أهوى».

(٧) في خلاصة الأثر، وتراجم الأعيان: «وفق الهوى».

(٨) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٥٨؛ وخلاصة الأثر، ١/ ١٣٥-١٣٦.

(٩) في تراجم الأعيان: «عذلٍ».

(١٠) في تراجم الأعيان، وخلاصة الأثر: «فحبذا».

(١١) في تراجم الأعيان، وخلاصة الأثر: «غصن».

(١٢) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر: «الدَّلال».

(١٣) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر: «تحمِل».

(١٤) في (ط): «نقويه».

رَقَّمْـتُ في طِـرْسِ خَـدِّه قُـبَلاً فظَـلَّ يَمْحُـو بَنانُـهُ قُـبَلِي
وأَخْجَـلَ الـوَرْدَ في نَـضَارَتِهِ نَبـاتُ[1] خَـدٍّ في وَرْدَتَيْ خَجَـلِ

وقوله من أخرى[2]: [مجزوء الوافر]

تَرامَـتْ نَحْوَهـا الإِبِـلُ وَشـامَتْ بَرْقَهـا الْمُقَـلُ
فَتـاةٌ مِـنْ بَنِـي مُـضَرٍ يُجـاذِبُ خَـصْرَها الكَفَـلُ
فَـما الخَطَّـارُ إِنْ خَطَـرَتْ وَمـا المَيَّالَـةُ الـذُّبُلُ
تكَنَّفَهـا لُيُـوثُ وَغًـى يُحَـاذِرُ بأْسَـها الأَجَـلُ[3]
لَـئِنْ شَـطَّ المَـزارُ بِهـا وَأَقْفَـرَ دُونَهَـا الطَّلَـلُ
يُمثِّلُهـا الفُـؤادُ بِـهِ وَيُـدْنِيها لَـهُ الأَمَـلُ
وَكَـمْ لِي يَـوْمَ كاظِمَـةٍ فُـؤادٌ خـافِقٌ وَجِـلُ
وَطَـرْفِي[4] بَعْـدَ بُعْـدِهِمُ بِمِيـلِ السُّهْدِ مُكتَحِـلُ
عَلِقْـتُ بِهـا غَـداةَ غَـدَتْ مَـواطِئَ نَعْلِهـا الْمُقَـلُ
فَـإِنْ سـارَتْ بِأَخْمَـصِها تَـداعَى الوابِـلُ الهَطِـلُ [٤٢/ب]
وَإِنْ قَـرَّتْ تَقَـرُّ العَيْـنُ فِينـا[5] يُضْرَبُ المَثَـلُ

---

(١) في خلاصة الأثر، وريحانة الألبا: «شقيق».
(٢) في خلاصة الأثر، ١/ ١٣٨؛ ريحانة الألبا، ١/ ٢٥٩.
(٣) في خلاصة الأثر: «الأسل».
(٤) في (ظ): «وطرف».
(٥) في خلاصة الأثر: «ففينا».

[٨ - ٩]

محمَّد[1]، وإبراهيم[2] ابنا أحمد[3] الحلَبِيّ، المعروف بابن المُلَّا

هما في مغرس المجد صِنْوان، بل رَوْضان نبتهما مرجان، ولا أقول نهران فهما

(١) محمد بن أحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الحصكفي العباسي الشافعي، المعروف بابن الملا (٩٦٧-١٥٥٩ / ١٠١٠-١٦٠١): مؤرخ، كان من أدباء عصره. ولد بحلب، نشأ في حجر أبيه، وكان كريم الخلق، حسن العبادة. وكان صاحب شعر حسن. وله «نهاية الأرب من ذكر ولاة حلب». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٩٧؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٣٤٨؛ إعلام النبلاء، ٦/ ١٦٣؛ الأعلام، ٦/ ٨.

(٢) إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الحصكفي العباسي الشافعي، المعروف بابن الملا (توفي بعد ١٠٣٠/ ١٦٢٠): عالم بالتفسير، وأصول الفقه، والمنطق، والأدب، والمعاني، والنحو، والصرف، وغير ذلك. ولد بحلب، ولزم المطالعة والكتابة وتلاوة القرآن. كان يغلب على طبعه الأدب. وكان له حسن محاضرة. وله شعر قليل منقح. من مؤلفاته: «ملح البيان في تفسير القرآن» حاشية على شرح تلخيص المفتاح، و«كشف النقاب عن غنية الإعراب». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٩٧؛ خلاصة الأثر، ١/ ١١؛ معادن الذهب، ص، ٢١٦؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٠٠؛ معجم المؤلفين، ١/ ١٠.

(٣) أحمد بن محمد بن علي الحصكفي الشافعي، المعروف بابن الملا (٩٣٧-١٥٣٠ / ١٠٠٣-١٥٩٤): فاضل، أديب، شاعر. أصله من حصن كيفا، ونسبته إليه. ولد في حلب ونشأ فيها. رحل إلى دمشق مرتين، ثم قام برحلة إلى القسطنطينية، ثم عاد إلى حلب. فاشتغل بالتدريس والتأليف. وتعاطى صناعة النظم والنثر فأحسن فيهما إلى الغاية. قتله الفلاحون في قرية باريشا من عمل معرة مصرين ظلما وعدوانا، ودفن بالجبيل. من مؤلفاته: «شرح مغني اللبيب»، و«اختصار تاريخ الذهبي»، و«مختصر الدر المنتخب». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٩٧ (حاشية)؛ خلاصة الأثر، ١/ ٢٧٧؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦٥٠؛ الكواكب السائرة، ٣/ ١٠٩؛ لطف السمر، ١/ ٢٨٩؛ در الحبب، ١/ ١/ ٢٣٩؛ تراجم الأعيان، ١/ ١٨٠؛ إعلام النبلاء، ٦/ ١٣٥؛ نفحة الريحانة، ٢/ ٦٥٥؛ هدية العارفين، ٦/ ٢٦٤؛ الأعلام، ١/ ٢٣٥.

بحران، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، كل منهما جواد تفرغ الخزائن بجوده، وتملأ بنار الحقد قلب حسوده، طويل الباع، عذب الورد إذا[1] ظمئت الأسماع، مرهف فكره صقيل بالطبع، وبحره متموِّج بهبوب نسيم ذلك الطبع، رقيق حواشي المجد، أرق من عبرة أسالتها[2] يدُ الوجد، وضاح المحيّا، تحمر خجلاً منه[3] خدود الحميّا، صنَّفا وألَّفَا، ولاحا كَغُصْنِ بانَةٍ قد تألَّفا، ونَشَأَا في حِجْر الفضل والأدب، وبَسَقا في ربيع النجدة والأدب، وقد شمِتَ الجهل بالفضل، ورَقَى رُبَى العزّ كل قدم نَدل.

فهُما نجمان بأيِّهما اقتديتَ لسُبُلِ المجد اهتديت، وهما في روض الكمال غضان، وثمراتهما صنوان وغير صنوان، بل رَوْضا محامد، يُسقى بماء واحد، ووالدهما في الفضل عالي الإسناد، قد عذُبَ موارد إفادته للورَّاد، شرح «مُغْني اللبيب» فطرَّز بتحريره حواشِيَه، ودخل جنته من أيِّ بابٍ شاءَ من أبوابه الثمانية.

فمما أنشدته لمحمد رباعية ترجمها من الفارسية وهي[4]: [الدوبيت]

فِي اللَّيْـلِ وَفِي النَّهـارِ حَـرَّى كَبِـدِي ... مَقْتُـولُ ضَـنًى بِجـائِرٍ لَـيْسَ يَـدِي
تَـرْشِي عَيْنِـي جَـواهِرَ الـدَّمْعِ عَـلَى ... لُقْيـاهُ تَظُـنُّ أَنَّهـا طَـوْعُ يَـدِي

ومثله لصاحبنا القاسمي[5]: [الدوبيت]

لُقْيـاكَ سُرُورُ قَلْبِـيَ المَحْـزُونِ ... وَالوَحْشَةُ مِنْ نَـداكَ لا تَعْـدُونِي

---

(١) في (س): «إذ».
(٢) في (س): «مدَّتها».
(٣) في (ظ): «منه خجلا».
(٤) في ريحانة الألبا، ١/ ٩٨.
(٥) وقد سبقت ترجمته تحت الرقم [٥].

[٤٣/أ]

يا وَيْحَ عُيُونِي حَسِبَتْ شَقْوتَها ... مِنِّي فأَتَتْ بِدُرِّها تَرْشِينِي

وقريب منه قول ابن الرومي(١): [مجزوء الكامل]

وَهَبَتْ لَهُ عَيْنِي الهُجُوعَا ... فَأَثابَها مِنْهُ الدُّمُوعَا

وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنَّنِي ... عُلِّقْتُ مَمْنُوعاً مَنُوعَا

وللأَرَّجاني(٢): [البسيط]

لَوْلاَ طُرُوقُ خَيالٍ مِنْكَ مُنْتَظَرِ ... يُلِمُّ بِي راقِداً ما ساءَنِي سَهَرِي

كَأَنَّ جَفْنِيَ إِكْراماً لِزائِرِهِ ... أَمْسَى عَلَى قَدَمَيْهِ ناثِرَ الدُّرَرِ

ومما أنشدْتُه لإبراهيم في جواب بعض الأدباء(٣): [الطويل]

أَطِرْسُكَ هٰذا أَمْ لُجَيْنٌ مُذَهَّبُ ... وَنَظْمُكَ أَمْ خَمْرٌ لِهَمِّيَ مُذْهِبُ

وَتِلْكَ سُطُورٌ أَمْ عُقُودُ جَواهِرٍ ... وَزُهْرُ سَماءٍ أَمْ هُوَ الرَّوْضُ مُخْصِبُ

وَتِلْكَ مَعانٍ أَمْ غَوانٍ تَرُوقُ لِلْـ ... ـعُيُونِ وَبِاللَّحْنِ المَسامِعَ تُطْرِبُ

فَيا حَبَّذا هٰذِي القَوافِي الَّتِي بِمَنْ ... يُعارِضُها ظُفْرُ المَنِيَّةِ يَنْشَبُ

فَقَدْ أَحْكَمَتْها فِكْرَةٌ أَلْمَعِيَّةٌ ... فَكِدْتُ لَها مِنْ رِقَّةِ النَّظْمِ أَشْرَبُ(٤)

فمِنْ(٥) غَزَلٍ كَمْ هزَّ ذَا سَلْوَةٍ(٦) إلى التْـ ... ـتَصابِي وأَضْحَى بِالغَرَامِ يُشَبِّبُ(٧)

---

(١) ديوانه، ٢/ ٥١٤.

(٢) ديوانه، ٢/ ٥٥٥-٥٥٦.

(٣) في خلاصة الأثر، ١/ ١١؛ وريحانة الألبا، ١/ ٩٩-١٠٠؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٢٠٢-٢٠٣. اتفقت هذه المصادر على أنها لابن المنلا إبراهيم، قرظ بها شعراً ليوسف بن عمران الحلبي.

(٤) سقط هذا البيت من (ظ).

(٥) في إعلام النبلاء: «فكم».

(٦) في خلاصة الأثر: «صبوة».

(٧) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر، وإعلام النبلاء: «بالغزال يُشَبِّبُ».

فَيـا بَحْـرَ فَـضْلٍ قـابِضٍ بِلآلِـئٍ[(١)] لهـا فِكْـرِيَ[(٢)] الوَقَّـادُ مـا زَالَ يَثْقُـبُ
ظَنَنْـتَ بِـأَنِّي لِلْخِطـابِ[(٣)] مُؤَهَّـلٌ فَأَرْسَلْتَ[(٤)] لي شِعْراً لِنَظْمِيَ يَخْطُـبُ
فعُـذْراً فَـإِنَّ الفِكْـرَ مِنِّـي[(٥)] مُـشَتَّتٌ وعَقْلِي بأَيْدِي حادِثِ الدَّهْرِ يُنْهَبُ

وكتب العماد الشامي لوالده يداعبه ويستفتيه عن رأي أهل الموصل: [الخفيف]

مَـا تَقُولُـونَ يـا ذَوِي الأَفْضَالِ وَأُولِي العِلْـمِ وَالحِجَـا وَالكَـمَالِ
فِي أُناسٍ يَرَوْنَ فِي حَلَبَ الـشَّهْـ ـباءِ رَأْيَ الهَوَى وَحُكْمَ الجَمَالِ
قَـدْ تَحَـيَّرْتُ في هَـواهُمْ زَمانـاً فَاكْشِفُوا لِي عَنْ شُبْهَتِي وَسُؤَالِي
أَيُّ ذَنْـبٍ لِلأَمْرَدِ النّـاعِمِ الخَـدْ دِ الَّـذِي فـاقَ رَبَّـةَ الخَلْخَـالِ
بِمُحَيّـا مِثْـلِ الغَزالَـةِ حُـسْناً وَلِحـاظٍ أَزْرَتْ بِلَحْـظِ الغَـزَالِ
وَبِمَـصْقُولِ وَجْنَـةٍ قَـدْ تَـسامَتْ بِـصَفاءٍ عَـلَى يَتِـيمِ الَّـلآلِي [٤٣/ب]
فَلِـماذا عَوَّضْـتُمُ عَـنْ هَـواهُ بِلِحًـى عُلِّقَـتْ عَلَـيْهِمْ مَخَـالِي
مِـنْ نَتِيـفٍ مُخَفَّـفٍ ذي اعْـتِلالٍ ناقِصِ الحُسْنِ مَصْدَرِ الأَفْعَـالِ
أَفَـلا تَنْظُـرُونَ فِي كُـلِّ وَجْـهٍ كـانَ بَـدْراً مُكَمَّـلاً بِالـدَّلالِ
خَرَجَـتْ ذَقْنُـهُ فَأَمْسَى ظَلامـاً خارِجـاً عَـنْ مَناهِجِ الاعْتِـدَالِ
فَـأَبِينُوا عَـنْ شُـبْهَتِي، أَيُّ داعٍ لِصُدُودِ الهُدَى وَوَصْلِ الضَّلاَلِ

فأجابه بقوله: [الخفيف]

(١) في (ظ): «بجواهر».
(٢) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر، وإعلام النبلاء: «فكرك».
(٣) في خلاصة الأثر: «للخطوب».
(٤) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر، وإعلام النبلاء: «فأرسلته».
(٥) في خلاصة الأثر: «فيّ».

يَـا إماماً حَـوَى فُنُـونَ المَعَـالِي ... وَهُمامـاً سَـما بُـرُوجَ الكَـمالِ
وَأَدِيبـاً أَتَـى بِكُـلِّ بَـدِيعٍ ... مِـنْ نِظَـامٍ يُـزْرِي بِعِقْـدِ الَّـلآلِي
وَعَـلَى أَصْـلِهِ المَكَـارِمُ جـاءَتْ ... بِثَنـاءٍ يَفُـوقُ رِيـحَ الغَـوَالِي(١)
وَلَعَمْـرِي إنَّ العِـمادَ إمـامٌ ... فـاقَ أَقْرانَـهُ بِحُسْنِ الخِصَالِ
يـا لَـهُ فاضِـلٌ وَأَحْسِنْ بِمَـوْلًى ... فِي صَحِيحِ الهَوَى خَلا عَنْ مِثَالِ
هَذَّبَتْـهُ أَيْـدِي الغَـرامِ إلَى أَنْ ... رَقَّ طَبْعـاً فَفـاقَ صَـفْوَ الـزُّلالِ
فَـأَتَى مِنْـهُ لِي لَطِيـفُ سُـؤَالٍ(٢) ... بِبَـدِيعِ الفُنُـونِ أَصْـبَحَ حَـالِي
نَمَّقَتْـهُ أَيْـدِي القَرِيحَـةِ حَتَّـى ... تَـمَّ(٣) لُطْفـاً وَحـازَ كُلَّ اعْتِـدَالِ
وَأتانـا فِي طَيِّـهِ نَـشْرُ مَعْنًـى ... رَقَّ عَـنْ ذَوْقِـهِ فُهُـومُ الرِّجَـالِ
سائِلاً عَنْ مَعاشِرٍ مِنْ بَنِي الحُبِّ ... بِـشَهْبائِنا رَضُـوا بِالمُحَـالِ
عَدَلُوا عَنْ هَوَى صَقِيلِ المُحَيَّا ... مَـنْ بِخَدَّيْـهِ جـالَ مـاءُ الجَمَالِ
بَهْجَـةُ النّـاظِرِينَ وَرْدِيُّ خَـدٍّ ... ذُو لِحـاظٍ تُـرْوَى عَـنِ الغَـزَّالِي
نـاعِمُ الـوَجْنَتَيْنِ مَعْـسُولُ ثَغْـرٍ ... وَيْـحَ قَلْبِـي مِـنْ قَـدِّهِ العَـسَّالِ
كَيْفَ حَتىَّ تَعَوَّضُـوا عَـنْ هَـواهُ ... بِـذُقُونٍ كَـأَنَّهُنَّ المَخَـالِي
تـارَةً يَنْتَحُـونَ حُـبَّ نَتِيـفٍ ... ناقِصٍ أَجْوفِ الحَشا ذِي اعْتِلاَلِ
وَإذا الأَمْـرَدُ الجَمِيـلُ المُحَيَّـا ... لاحَ لَمْ يَنْظُـرُوا إلَيْـهِ بِحَـالِ
وَطَلَبْـتُمْ مِنـيِّ الجَـوابَ وَمـالِي ... بَعْدَ بُعْدِي عَنِ الهَوَى مِنْ مَجَالِ [٤٤/أ]
كَيْـفَ وَالفِكْـرُ فِي جُمُـودٍ وَكَـدٍّ ... وَالحَـشا فِي تَحَـرُّقٍ وَاشْـتِعَالِ

---

(١) في (ظ): «طيب». وفي البيت كناية، فالغوالي طيب معروف، والغوالي أيضاً الأحباب والأهل.

(٢) هذا الشطر في (ظ): «قد أتى منه لي لطيف سؤال».

(٣) في (ظ): «رق».

ثُـــمَّ إنِّي أَقُــولُ قَــوْلاً وَجِيــزاً وَعَــلَى اللهِ فِي القَبُــولِ اتِّكَــالِي
إنَّنِـــي مُغْـــرَمٌ بِكُـــلِّ جَمِيـــلٍ حَسَنِ الوَصْفِ وَالثَّنا وَالفِعالِ
أَمْـرَدُ الخَـدِّ كـانَ أَوْ ذُو عِـذارٍ فاقَ فِي الحُسْنِ رَبَّةَ الخَلْخَالِ[1]
زَرَدُ المِسْكِ فَـوْقَ خَدَّيْـهِ لَـمَّا رامَ أَنْ لا يُـــصِيبَهُ بِنِبَـــالِ
قَـدْ تَجَـلَّى فِي هالَـةٍ مِـنْ عِـذارٍ وَجْهُـهُ البَـدْرُ فِي سَـماءِ الجَـمالِ
ذا غَرامِي وَمَذْهَبِي وَاعْتِقـادِي إنَّـهُ مَـذْهَبٌ مِـنْ القَـدْحِ خَـالِي
إذْ رَأَيْنـا مِمَّـــنْ تَقَـــدَّمَ قَوْمـــاً قَدْ رَقَـوْا فِي العُـلا ذُرَى الآمَـالِ
سَلَكُوا فِي هَوَى الفَرِيقَيْنِ سِلْماً وَأَتَـوا بِالبَـدِيعِ مِـنْ كُـلِّ قَـالِ
وَطِبـاعُ الـوَرَى تَخـالَفُ فَالنَّـا زِلُ فِـيهِمْ وَفِـيهِمُ كُـلُّ عَـالِي
ذا جَـوابِي وَلَـسْتُ أَزْعُـمُ أَنِّي ذا صَوابٍ فارَقْتُ نَهْجَ الضَّلالِ
فَعَلَى الفاضِلِ الأَدِيبِ مَلِيكِ الـ ـفضلِ مَنْ جاءَنـا بِهٰـذا الـسُّؤَالِ
اَلإمـامِ العِـمادِ نَـشْرُ اعْتِـذارِي وَقَبُـولٌ بِـزُورٍ مـنْ غَـيْرِ قَـالِ
دامَ فِي رِفْعَـــةٍ وَأَرْغَـــدِ عَـــيْشٍ وَنَعـــيمٍ وَبَهْجَـــةٍ وَاقْتِبَـــالِ
ما الْتَحَى المُرْدُ وَالمُعَـذَّرُ صَـبٌّ عَـادِمُ الـصَّبْرِ واجِـدُ البَلْبَـالِ

(١) سقط هذا البيت من (ظ).

[١٠]

يوسف بن عِمْران الحلبي(١)

أديبٌ نظَمَ ونَثرَ، حتى صار جمالَ الكُتب والسِّيَر، إلا أنه لعبتْ به أيدي النَّوى ما بين رحلةٍ ونقلةٍ، فجعل الآمال على كؤوس الآداب نقلة، ففاض عليه من سحاب الثناء سكوب، مرَته رياح الشكر بعدما حدته الصَّبا والجَنوب، وحاله غير محتاج لدليل أبي ولا أمي، فإنه كما عرفتُ الشاعر الأمي كما قيل(٢): [السريع]

أَصْبَحْتُ في العَالَمِ(٣) أُعْجُوبَةً ... بَيْنَ ذَوِي المَعْقُولِ وَالفَهْمِ

جَدِّيَ حَمْوِيْ(٤) وَانْظُرُوا فَاعْجَبُوا(٥) ... عَمِّيَ خَالِي وَأَبِي أُمِّي [٤٤/ب]

وفي أواخر عمره داسته أقدام النُّوَب، وأدركته حرفة الأدب، فصبر على الأيام المكدرة إلى أن صفت، وعلى الليالي الجائرة فما أنصفت، وهو لعمري أديب، ما له في ضروب الأدب ضريب. إينشد من رآه شرح كلماته في رياض الآداب، وجلاها

---

(١) يوسف بن عمران الحلبي (ت: ١٠٧٤/ ١٦٦٣): أديب، شاعر. كانت له تجارة ومال. وقد خالط الأدباء ونسج على منوالهم. فطاف بلاد الشام يتكسب بالشعر، ودخل القاهرة، والقسطنطينية، وامتدح الأكابر. وكان مغرماً بابتكار المعاني، ذا شعر جيد. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٠٤؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٥٠٦؛ نفحة الريحانة، (حاشية) ١/ ١٧٧؛ هدية العارفين، ٢/ ٥٦٦؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٣١٨؛ الأعلام، ٨/ ٢٤٤؛ معجم المؤلفين، ٤/ ١٧٤.

(٢) البيتان في خلاصة الأثر، ٤/ ٥٠٦؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣١٨.

(٣) في خلاصة الأثر، وإعلام النبلاء: «بين الناس».

(٤) في (س): «حموي جدي فانظروا واعجبوا».

(٥) في خلاصة الأثر، وإعلام النبلاء: «فاعجبوا وانظروا».

من الجآذرُ في زِيِّ الأعاريب[١]

وتخيل للسمع إذا طرب بها واجتلاها

قميص يوسف في أجفان يعقوب[٢]|[٣]

[البسيط]

ذُو مَنْطِقٍ سَحَرَ الأَلْبابَ وَا عَجَباً[٤] لِلسِّحْرِ يُنْشِئُهُ وَهْوَ ابْنُ عِمْرَانَا

إلا أنه من خزائن الآداب، نَهّابٌ وهّابٌ، وإن رجح بأوزانه، فرُبما أطرب بألحانه؛ مما أنشدنيه له قوله من قصيدة[٥]: [الطويل]

أَثارَ بِأَحْشائِي البَنانُ المُطَرَّفُ رَسِيسَ هَوًى يَقْوَى وَصَبْرِيَ[٦] يَضْعُفُ

وَثَغْرٌ إذا ما افْتَرَّ يُبْدِي ابْتِسامُهُ بَرِيقاً[٧] بِهِ أَبْصارُنا تُتَخَطَّفُ

وَخَدٌّ سَقَى ماءُ الشَّبابِ رِياضَهُ وَأَلْحاظُنا[٨] مِنْهُ جَنَى الوَرْدِ تَقْطِفُ[٩]

وَدِينارُ خَدٍّ كامِلُ الوَزْنِ حُسْنُهُ عَلَى حُبِّهِ رُوحِي النَّفِيسَةُ تُصْرَفُ

وَجِسْمٌ صَفا حُسْناً يَكادُ أَدِيمُهُ الـ ـمُنَعَّمُ مِنْ فَرْطِ اللَّطافَةِ[١٠] يُرْشَفُ

---

(١) صدر بيت للمتنبي الديوان ١/ ١٥٩. عجزه: حمرُ الحُلى والمطايا والجلابيب.

(٢) عجز بيت للمتنبي الديوان ١/ ١٧٢: صدره: كأن كل سؤال في مسامعه.

(٣) زيادة من (ظ). والبيت في خلاصة الأثر، ٤/ ٥٠٦؛ وريحانة الألبا، ١/ ١٠٤؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣١٩.

(٤) في خلاصة الأثر، وريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «ذو منطق ساحر مُطْر وذا عجب».

(٥) ريحانة الألبا،١/ ١٠٥؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢٠.

(٦) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «إذا الصبر».

(٧) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «بروقا».

(٨) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «بألحاظنا».

(٩) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «يقطف».

(١٠)في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «الطراوة».

وله من أخرى[1]: [الطويل]

حَذارِ تَرُومَ الوَصْلَ مِنْ فاتِنِ[2] الجَفْنِ فَكَمْ مَشْرَفِيٍّ دُونَهُ سُلَّ مِنْ جَفْنِ
وَإِيَّاكَ مِنْ خَطِّيِّ عامِلِ قَدِّهِ فَكَمْ أَثْخَنَ الأَحْشاءَ طَعْناً عَلَى طَعْنِ
أَلاَ أَيُّها الرِّيمُ الَّذِي باتَ يَرْتَعِي حُشاشَةَ قَلْبِ[3] الصَّبِّ لا رَوْضَةَ الحَزْنِ
بِخَدَّيْكَ ما في مُهْجَتِي مِنْ لَظاهُما بِجِسْمِي المُعَنَّى ما بِخَصْرِكَ مِنْ وَهْنِ

منها[4]: [الطويل]

لثَمْتُ له جِيْداً[5] طُلا[6] الظَّبْيِ دُونَهُ وثَغْراً[7] لَماهُ العَذْبُ أَحْلَى مِنَ المَنِّ[8]
وَأَلْصَقْتُهُ[9] بِالصَّدْرِ عِنْدَ عِناقِهِ كَما ضَمَّتِ الأَحْلامُ جَفْناً إلى جَفْنِ

وهذا كقول |القاضي|[10] الفاضل: [الوافر]

فَيا جَفْنَيَّ فَاعْتَنِقا انْطِباقا وَيَا نَوْمِي قَدِمْتَ عَلَى السَّلامَهْ

وله من قصيدة[11]: [الطويل]

---

(١) الأبيات في ريحانة الألبا ١/ ١٠٥، وإعلام النبلاء: ٦/ ٣٤١.
(٢) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «ساحر».
(٣) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «نفس».
(٤) في (ظ): «ومنها». والأبيات في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٥؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٣٢١.
(٥) في الأصل: ليناً، والمثبت من الريحانة.
(٦) الطلا: ولد الظبي ساعة يولد. طلا: عنق.
(٧) في الأصل: وثغرٌ.
(٨) المنّ: كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو وينعقد عسلاً، ويجف جفاف الصمغ.
(٩) في (ظ): «وألثمته».
(١٠) زيادة من (ظ).
(١١) البيت في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٦؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢١.

كـأَنَّ زُهُـورَ الـدَّوْحِ(١)حـينَ تَـساقَطَتْ ... لِتَقْبِيـــلِ أَقْـــدَامِ الأَحِبَّـــةِ أَفْـــوَاهُ

[٤٥/أ] ومن أخرى له(٢): [البسيط]

رَبِيـــعُ عَـــدْلٍ بِـــهِ أَيَّامُـــهُ اعْتَـــدَلَتْ ... فَالــشَّاةُ وَالــذِّئْبُ في أَيَّامِــهِ اتَّفَقَــا

لا تَخْتَشِي الطَّيْرُ مَنْ يُلْقِي(٣) الشِّبَاكَ لَهَا ... وَلَــوْ إِلَيْهــا بِــأَلفَيْ مُقْلَــةٍ رَمَقَــا

وله في الرمد(٤): [الكامل]

مـا إِنْ عَـصَبْتُ العَـيْنَ بَعْـدَهُمُ سُـدًى ... إِلَّا لأَمْـــرٍ طـــالَ مِنْـــهُ سُـــهَادِي

لَـــمَّا قَــضَى نَــوْمِي بِأَجْفَــانِي أَسًـــى ... لَبِـسَتْ عَلَيْـهِ العَـيْنُ ثَـوْبَ حِـدَادِ

وعلى ذكر الحداد فما أحسن ما قيل في الاكتحال بعاشوراء: [مخلع البسيط]

وَقائِـــلٍ لِمْ كَحَلْـــتَ عَيْنـــاً ... يَـوْمَ اسْـتَبَاحُوا دَمَ الحُـسَيْنِ

فقُلْـــتُ كفُّـــوا أَحَـــقُّ شَيْءٍ ... يَلْـبِسُ فيـه الـسَّوادَ عَيْنِـي

ولما أنشدني ما ذكر أنشدته قطعا لي في الرَّمد وهي(٥): [الكامل]

لا تُنْكِـرُوا رَمَـدي وَقَـدْ أَبْـصَرْتُ مَـنْ ... أَهْـوَى وَمَـنْ هُـوَ شَـمْسُ حُـسْنٍ بَـاهِرِ

فَالـشَّمْسُ مَهْـما إِنْ أَطَلْـتَ لِنَحْوِهـا ... نَظَـراً تُـؤَثِّرُ ضَـعْفَ طَـرْفِ النَّــاظِرِ

وَلَقَــدْ أَطَلْــتُ إِلَى احْمِــرارِ خُــدُودِهِ ... نَظَــرِي فَعَكْــسُ خَيالِهــا فِي نــاظِرِي

ومنها(٦): [الكامل]

رَمِـدَتْ جُفُـونِي عِنْـدَما فارَقْـتُ مَـنْ ... قَــدْ كــانَ كُحْــلاً فِي نَــواظِرِ عَبْــدِهِ

---

(١) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «الروض».

(٢) البيتان في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٦؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢١.

(٣) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «ملقي».

(٤) البيتان في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٦؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢١.

(٥) الأبيات في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٦؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣١٩.

(٦) البيتان في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٧؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢١.

وَسَرَقْتُ حُمْرَةَ نَاظِرِي وَسَقامَهُ   يَوْمَ[1] النَّوَى مِنْ مُقْلَتَيْهِ وَخَدِّهِ

ومنها[2]: [الخفيف]

حِينَ خُبِّرْتُ أَنَّ فِي الطَّرْفِ مِنْهُ   رَمَداً[3] زَادَ فِي ذُبُولِ المَحَاجِرْ
رُحْتُ[4] كَيْما أَزُورَ مِنْ وَجْهِ بَدْرِي   كَعْبَةَ الحُسْنِ تَحْتَ سُودِ السَّتَائِرْ

ومنها[5]: [السريع]

ما احْمَرَّ طَرْفُ العَيْنِ ضَعْفاً وَلا   نَرْجِسُهُ بُدِّلَ مِنْهُ الشَّقِيقْ
لٰكِنَّهُ مِنْ حُمْرَةِ الخَدِّ قَدْ   أَصْبَحَ سَكْرانَ[6] فَلا يَسْتَفِيقْ

ومنها[7]: [السريع] [٤٥/ ب]

أُنْظُرْ إِلَى أَجْفانِهِ الرُّمْدِ   تُبَدِّلُ النَّرْجِسَ بِالوَرْدِ
تَحْمَرُّ لا مِنْ عِلَّةٍ إِنَّما   تَأَثَّرَتْ مِنْ حُمْرَةِ الخَدِّ

والمشهور فيه قول ابن المعتز[8]: [السريع]

قَالُوا اشْتَكَتْ نَرْجِسَتا طَرْفِه   قُلْتُ عَداهُ السُّقْمُ ما كَانَا
حُمْرَةُ وَرْدِ الخَدِّ أَعْدَتْهُمَا   وَالصِّبْغُ قَدْ يَنْفُضُ أَحْيَانَا

ومما أنشدَني من شعره قوله في بَخيل[9]: [الوافر]

(١) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «عند».
(٢) البيتان في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٧؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢١.
(٣) في الأصلين: «منه رمدٌ».
(٤) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «جئت».
(٥) البيتان في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٧؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢١.
(٦) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «سكراناً».
(٧) البيتان في خلاصة الأثر، ٤/ ٥٠٧؛ ريحانة الألبا، ١/ ١٠٧؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢٠.
(٨) الديوان ٣/ ٣٥٧.
(٩) الأبيات في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٨؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢٢.

بَخِيلٌ لَوْ رَأَى في النَّوْمِ[1] جادَتْ ... أَنامِلُهُ لَقَطَّعَها نَدامَهْ[2]
وَلَوْ في النّارِ أُلْقِيَ أَلْفَ عامٍ ... لَما عَرِقَتْ لَهُ يَوْماً سُلامَهْ
وَلَوْ صارَتْ بِسُفْرَتِهِ رَغِيفاً ... ذُكاءٌ لَمْ تَلُحْ[3] حَتىَّ القِيَامَهْ

وقوله |رحمه الله|[4]: [البسيط]

أَفْدِي حَبِيباً تَفُوقُ البَدْرَ طَلْعَتُهُ ... لأنَّها لِغَرِيبِ الحُسْنِ قَدْ جَمَعَتْ
حاكَ الجَمالُ عِذاراً فَوْقَ وَجْنَتِهِ ... غَزالَةُ الصُّبْحِ فِي أَشْراكِهِ وَقَعَتْ

ولما أنشدني هذا، أنشدته قولي في معناه: [الطويل]

ظَنَنْتُ الصَّبا لَمَّا عَلَى النَّهْرِ قَدْ مَشَتْ ... وَعَكْسُ ذُكاءٍ لاحَ فِيهِ لِمُرْتَقِبْ
شِباكٌ بِها اصْطادَ النَّسِيمُ غَزالَةً ... أَلَسْتَ تَرَاهَا دائِماً فِيهِ تَضْطَرِبْ

وقولي أيضا: [المنسرح]

لِلهِ نَهْرٌ صَفا فَأَبْصَرَ مَنْ ... يَقُومُ فِي جَنْبِ شَطِّهِ سَمَكَهْ
يَمُدُّ كَفًّا لَهُ لِيَأْخُذَهُ ... إذْ ظَنَّ نَسْجَ الصَّبَا لَهُ شَبَكَهْ

فاهتزَّ طرباً واتخذ سبيله في البحر عجباً، فقلت هذا يشبه قول الآخر: [الوافر]

غَدَوْتُ مُفَكِّراً فِي أَمْرِ أُفْقٍ ... أَرانا العِلْمَ مَنْ بَعْدِ الجَهَالَهْ
فَما طُوِيَتْ لَهُ شَبَكُ الدَّرارِي ... إلى أَنْ أَظْفَرَتْهُ بِالغَزَالَهْ

وللشهاب محمود[5] في عُقاب: [المتقارب]

---

(١) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «لو بثوم منه».

(٢) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «أنامله لغالته الندامه».

(٣) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «ذكاء لما بدت».

(٤) زيادة من (ظ). والبيتان في ريحانة الألبا، ١/ ١٠٨؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٣٢٢.

(٥) هو محمود بن سلمان (في بعض المصادر سليمان) بن فهد بن محمود الحنبلي الدمشقي المعروف =

تَــرَى الطَّــيْرَ وَالــوَحْشَ فِي كَفِّهــا وَمِنْقارِهـــا ذَا عِظـــامٍ مُزَالَـــهْ
[٤٦/أ] فَلَــوْ أَمْكَــنَ الــشَّمْسُ مِــنْ خَوْفِهــا إذا طَلَعَـــتْ مـــا تَـــسَمَّتْ غَزَالَـــهْ

وكانت بيني وبينه في عنفوان الشباب، ورداؤه عبّاسيٌّ، مكاتباتٌ ومداعبات على مذهب النُّواسيِّ، فمنها أنه وعدني بإرسال حوت، ثم نسي أو تناسى فكتبتُ إليه رُقعةً منها:

مولايَ، أعزَّك الله وأسماك، وعدتَ أمس إرسالَ طريٍّ من الأسماك، فتخلّفتِ العدة، إذ ذاكَ ليأس ذات اليد من الجدة، كلا فإنك لو رمت حوت البروج لاصطدته(١) بشباك المجرة، وأهديت الشمس مِقلاة له لتتم المسرَّة، ولو رمتَ الحوتَ الذي يحمل الأرض وأثقالها، لأخرجته ولو زلزلت الأرض زلزالها، وإنَّما خفتَ أن يلتقم وعده الحوت إذ ذهب غضباً، وشككت في أنه حوت موسى اتخذ سبيله في البحر عجباً. ومُمالحتُك قرّةُ العين، وطبعُكَ إذا ذُكر النظم والنثر مجمع البحرين، والسلام(٢). فأجاب بما لم يحضرني الآن.

= بالشهاب محمود (٦٤٤-٧٢٥/ ١٢٤٧-١٣٢٥): أديب كبير. ولد بحلب. استمر في دواوين الإنشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاماً. توفي بدمشق. من مؤلفاته: «ذيل على الكامل لابن الأثير»، و«أهنى المنائح في أسنى المدائح»، و«مقامة العشاق». انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٤/ ٨٢؛ شذرات الذهب، ٨/ ١٢٤؛ الأعلام، ٧/ ١٧٢.

(١) في (ظ): «لصدته».

(٢) سقطت الجملة اعتبارا «ومما لحتك..» في (ظ).

[١١]

أبو بكر تقي الدين بن الجوهري الشامي(١)

هو ممن زَهتْ زهرةُ حياته برياض الشام، فلمح من أفقه بَوارق الفصاحة وشامَ، وعرائس أفكاره متورِّدة الخدود، وبدائع كلماته جوهرية العقود، وقد دارت من شمائله كؤوس الشَّمول، وتنَزَّهتْ في رياض محاسنه عيون العقول، فمن زهرات جِنانه، التي هي أصفى من عِرق الطَّلِّ في عوارض ريحانه، قوله: [مجزوء الكامل]

هٰـــذِي المَنَـــازِلُ قبْلَنـــا كَـمْ ذا تَـداولَهَا أنَـاسِي(٢)

كَـــمْ مُـــدَّعٍ مُلْكـــاً وَكَـــمْ مِنْ مُدَّعٍ وَضْعَ الأَسَاسِ(٣)

غَرَسُـوا وَغَـيْرُهُمُ اجْتَنَـىَ مِنْ بَعْـدِهِمْ ثَمَـرَ الغِـرَاسِ

دُوَلٌ تَـــــمُرُّ كَأَنَّهـــــا أَضْـغاثُ حُلْـمٍ فِي نُعَـاسِ

---

(١) أبو بكر تقي الدين بن أحمد بن علاء الدين بن محمد الجوهري البهرام آبادي الدمشقي (٩٦٨-١٠٣١ / ١٥٦٠-١٦٢٢): ولد بدمشق. ونشأ بها. انصرف إلى الاشتغال بالعلوم، وقرأ على مشايخ عصره كالحسن البوريني. ثم تردد إلى مصر كثيراً للتجارة، فقرأ على علمائها، وكتب الكثير بخطه، وحفظ وروى. وله نظم كثير. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٢٦؛ تراجم الأعيان، ١/ ١١٢؛ خلاصة الأثر، ١/ ٦٨؛ سلافة العصر، ص. ٣٩٥؛ معجم المؤلفين، ١/ ٤٣٤؛ علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ١/ ٣٥٤. وانظر الترجمة (٢٢) ص٢٠٠.

(٢) عجز البيت في (ظ): «كم قد تناولها أناس».

(٣) في (ظ): «الأساسي».

وهو من قول أبي تمام[١]: [الكامل]

أَعْـوامُ وَصْـلٍ كـانَ يُنْسِي طِيبُها ذِكْـرَ النَّـوَى فَكَأَنَّهـا أَيَّـامُ

ثُـمَّ انْـبَرَتْ أَيّـامُ هَجْـرٍ أَعْقَبَـتْ[٢] نَحْـوِي[٣] أَسًـى فَكَأَنَّهـا أَعْـوَامُ [٤٦/ب]

ثُمَّ انْقَـضَتْ تِلْـكَ السِّنُونُ وَأَهْلُها فَكَأَنَّهـا وَكَـأَنَّهُمْ أَحْـلامُ

(١) ديوانه، ٢/ ٧٥.

(٢) في الديوان: «أردَفَتْ».

(٣) في الديوان: «بِجَوًى».

[١٢]
سُرُور بن سِنين الحلبي(١)

شاعرٌ هبَّتْ صَبا الأسمار بنفحاته، واحْتَشَتْ أفواه الأسماع بسُلافة كلماته، فلاح منها نَوْرٌ يبسم في أكمامه، ونُور يُمَزِّقُ جلباب ظلامه، هي عندي ألذُّ من نظر المعشوق [المُسْتَهام]، في وجه عاشق بابتسام.

وبينا هو الآن بحلب، يدير على خلطائه كؤوس الأدب، من سلاف كان مزاجها في الطروس كافوراً، وتخلع على الأحداق والأسماع من حلل محاسنه سروراً، استردَّ منه الدهر بُرد شبابه المُعار، فهجر قرارة الأكدار مرتحلاً لأكرم جار.

فمن بديع نظامه ونور أكمامه، قوله |من|(٢) قصيدة قرظ(٣) بها شعر ابن عمران(٤): [الطويل]

حَمَلْتَ إلَيْنا يا بْنَ عِمْرانَ رَوْضَةً ... مِنَ النَّظْمِ يَسْقِيها الحِجَا صَوْبَ وَكْفِهِ

(١) سرور بن الحسين بن سنين الحلبي (ت: نحو ١٠٢٠/ ١٦١١): شاعر من أهل حلب. رحل إلى طرابلس الشام، ومدح أمراءها بني سيفا، ارتفعت منزلته لدى الأمير محمد. والأمير محمد بينهم إذ ذاك مقصد كل شاعر، وممدوح كل ناطق، أكرم مثواه وأحسن قراه. فأَبغضه شعراء الأمير الموجودون عنده والمقربون إليه، وركبوا كل صعب وذلول في سبه. توفي في طرابلس الشام. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١١٠؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٢٠٤؛ إعلام النبلاء، ٦/ ١٨١؛ الأعلام، ٣/ ٨١.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) في (س): «قرض».

(٤) هو يوسف بن عمران الحلبي. والأبيات في ريحانة الألبا، ١/ ١١١-١١٢؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ١٨٦.

خَمِيلَةُ شِعْرٍ يَزْدَهِي[1] البَدْرَ نَوْرُها ... وَيَنْأَى عَنِ الشِّعْرَى العَبورِ بِعِطْفِهِ
كَأَنَّ غُصُوناً أُوْدِعَتْ في سُطُورِها ... لَهُ ثَمَرٌ يَلْتَذُّ سَمْعِي بِقَطْفِهِ
إذا ما غَشَى اللَّيْلُ الحِدَادَ بِطِرْسِها[2] ... نَهاراً زَهَتْ فِيهِ كَواكِبُ وَصْفِهِ
فَكانَتْ كَما زارَتْ مُعَطَّرَةَ اللَّمَى ... مُبَرِّدَةً مِنْ حَرِّ قَلْبِي وَلَهْفِهِ
وَوافَى إلَى الصَّبِّ الكَئِيبِ شُوَيْدِنٌ ... لِوَجْرَةَ[3] أَحْوَى فاحِمِ الشَّعْرِ وَحْفِهِ
فَأَحْبِبْ بِهِ عَبْلَ الرَّوادِفِ خَصْرُهُ ... يَجُوعُ إذا غَصَّ الإزارُ بِرِدْفِهِ

ومن أخرى له[4]: [الطويل]

وَلَيْلٍ هَدَتْنا فِيهِ غُرُّ الفَرَاقِدِ ... لِحاجاتِ نَفْسٍ هُنَّ أَسْنَى المَقَاصِدِ
وَقَدْ صُرِفَتْ زُهْرُ الدَّياجِي دَراهِماً ... تَمُدُّ الثُّرَيّا نَحْوَها كَفَّ نَاقِدِ
وَباتَتْ تُناجِينِي ضَمائِرُ خاطِرِي ... تُقَرِّبُ نَيْلَ المَطْلَبِ المُتَباعِدِ
لَحَى اللهُ طَرْفِي ما لَهُ الدَّهْرَ ساهِراً ... لِمُكْتَحِلِ الأَجْفانِ بِاللَّيْلِ[5] راقِدِ
[٤٧/أ] حَبِيبٌ كَأَنَّ البُعْدَ يَهْوَى وِصالَهُ ... مَعِي فَهْوَ لا يَنْفَكُّ فِيهِ مُعانِدِي
أَخَذْتُ الهَوَى عَنْ ثَغْرِهِ وَلِحاظِهِ[6] ... بِما قالَهُ الضَّحَّاكُ لِي عَنْ مُجَاهِدِ

وهو من قول أبي الطيب [المتنبي][7]: [الوافر]

---

(١) في (ظ): «يزدهر».
(٢) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «إذا ما مشى ليل المداد بطرسها».
(٣) وَجْرَة: اسم لعدّة أماكن.
(٤) في (ظ): «وله من أخرى». والأبيات في ريحانة الألبا، ١/ ١١١؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ١٨٥.
(٥) في ريحانة الألبا؛ وإعلام النبلاء: «بالنوم».
(٦) في ريحانة الألبا؛ وإعلام النبلاء: «أخذت الهوى من لحظه وابتسامه».
(٧) ديوانه، ٢/ ٢٤١.

كَـــأنَّ الحُـــزْنَ مَـــشْغُوفٌ بِقَلْبِـــي فــساعَةَ هَجْــرِهِ(١) يَجِــدُ الوِصَـــالاَ

ومنه أخذ المعرِّيُّ قوله(٢): [الوافر]

لـئِنْ(٣) عَـشِقَتْ صَـوَارِمُهُ(٤) الهَـوَادِي فَلَـمْ تَعْـدَمْ(٥) بِمَـنْ تَهْـوَى اتِّـصَالاَ

وقد كنت قلتُ في قصيدة لي متابعاً له: [الطويل]

لَــكَ اللهُ مِــنْ دَمْــعٍ كَــشَمْلِي مُبَــدَّدِ وَطَــرْفٍ لِنَعْــسَانِ الجُفُــونِ مُــسَهَّدِ

لَـئِنْ عَـشِقَ التَّـسْهِيدُ أَجْفَـانَ مُقْلَتِـي لِهَجْــرِكَ فَلْيَــنْعَمْ بِوَصْــلٍ مُخَلَّــدِ

(١) في الديوان: «هجرها».

(٢) سقط الزند، ص. ٥٣.

(٣) في سقط الزند: «فإن».

(٤) في سقط الزند: «صوارمك».

(٥) في سقط الزند: «فلا عَدِمَتْ».

[١٣]
حسين بن أحمد بن حسين الحلبي الجزري[١]

ذكي مأمون الأثر، بليغ مرزوق الظفر، له طبعٌ[٢] حديد، وشعر غضٌّ جديد، وفكرٌ فاتق راتق، مقوَّم مثقَّف [رائق][٣]، وله في الآداب صفقة ضرار له[٤] لا تُغبن، ومتاع راج منه كلُّ نفيس[٥] مُثَمَّنٌ، وكان أَلَمَّ بي في عنفوان شبابه، جارًّا رداء فضله وآدابه، فرأيته سلك طريقةً غير مطروقة، بهمّةٍ غيرِ همَّة وخليقة غير خليقة[٦]، وللدهر فيه عدات يرجى إنجازها، وهو يميس في حلل من المعارف ينسج طرازها، فأُنجز باليأس منه ميعاد الرَّجا، وقد مَزَّقَتْ تلك الحللَ يدُ الرَّدى،

(١) في (ظ): «الجزري الحلبي». هو حسين بن أحمد بن حسين الحلبي، المعروف بابن الجزري (٩٩٧-١٠٣٣ / ١٥٨٩-١٦٢٤): شاعر من أهل حلب، أصله من جزيرة ابن عمر، ونسبته إليها. تنقل بين الشام، والعراق، والروم. مدح بني سيفا، واستقر في حلب. ثم رحل إلى حماة، فتوفي فيها. له «ديوان شعر»، طبع الديوان ضمن «العقود الدرية في الدواوين الحلبية» من قبل محمد راغب الطباخ. حققته فيما بعد فريال عاقل رسالة ماجستير تحت إشراف عبد اللطيف عمران في جامعة دمشق عام ١٩٩٨. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١١٣؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٨١؛ سلافة العصر، ص٣٩٣؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٠٣؛ معادن الذهب، ص٣١٧؛ الأعلام، ٢/ ٢٣٢.

(٢) في (ظ): «نظر».

(٣) ما بين معقوفين لتمام السجعة. (ج).

(٤) ساقط من (ظ).

(٥) في (س): «نفس».

(٦) في (س): «حليقة».

فاغتالته يدُ المحن، وبدلَّ سروره بالحزن، فمما أنشده لنا بقسطنطينة قوله في سرور السابق ذكره[(١)]: [الوافر]

وَحَقِّكَ[(٢)] ما تَرَكْتُكَ عَنْ مَلالٍ ... وَبُغْضٍ[(٣)] أَيُّها المَوْلَى الأَمِيرُ

وَلٰكِنْ مُذْ أَلِفْتُ الحُزْنَ قِدْماً[(٤)] ... أَنِفْتُ مَواضِعاً[(٥)] فِيها سُرُورُ

وهو مع حسنه من قول المتنبي[(٦)]: [الطويل]

خُلِقْتُ أَلُوفاً لو رجَعْتُ[(٧)] إلى الصِّبَا ... لَفارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ القَلْبِ باكِيَا

[٤٧/ ب] وتابعه البهاء[(٨)] زهير فقال[(٩)]: [الخفيف]

وَأَلُوفاً[(١٠)] فَلَوْ أُفارِقُ بُؤْسِي[(١١)] ... لَتَوالَتْ لِفَقْدِهِ حَسَراتِي

وأحسن من قال في متابعته: [الطويل]

أَلِفْتُ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ فَلَوَ انَّهُ ... يَزُولُ إذا عُدْتُمْ حَنَنْتُ إِلَيْهِ

وَصارَ البُكا لِي مُؤْنِساً فَلَوَ انَّهُ ... تَغَيَّبَ عَنْ عَيْنِي بَكَيْتُ عَلَيْهِ

---

(١) ديوانه، ص. ١٠٠.

(٢) في الديوان: «وعيشك».

(٣) في الديوان: «وصدٍّ».

(٤) في الديوان: «طبعا».

(٥) في الديوان: «مواطنا».

(٦) ديوانه، ٢/ ٥٨١.

(٧) في الديوان: «رحلتُ».

(٨) في (ظ): «بهاء الدين».

(٩) ديوانه، ص. ٥٤.

(١٠) في الديوان: «ألوفٌ».

(١١) في الديوان: «بؤسا».

ومما قلته في متابعته: [الرمل]

مُذْ هَجَرْتُمْ هَجَرَ الطَّيْفُ وَلِي ... ناظِرٌ لَمْ يَدْرِ ما طَعْمُ الوَسَنْ
فِي هَواكُمْ أَلِفَ الحُزْنَ فَلَوْ ... لَمْ يَجِدْهُ ماتَ مِنْ فَرْطِ الحَزَنْ

وقد دوَّن شعره وأهداه لي بعض الأحباب فاخترتُ منه قوله من قصيدة له[1]: [الكامل]

وَحُنُوِّ أَيَّامِي وَلِينِ طِباعِها ... وَبِها الشَّبابُ مُساعِدِي وَنَصِيرِي

منها[2]:

لا تَلْحَنُ الأَقْدارُ فِي إِعْرَابِها ... قَدْ تُرْفَعُ الأَسْماءُ بِالتَّقْدِيرِ

منها[3]:

مَكْسُورَةٌ قَدْ حاوَلَتْ إِكْسِيرَها ... مِنْ جابِرٍ وَالجَبْرُ لِلْمَكْسُورِ

ومن أخرى[4]: [الطويل]

وَلَيْلٍ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِيهِ مَآرِبٌ ... نُؤَمِّلُ أَنْ تُقْضَى وَخِلٌّ نُصادِقُهْ

ومن أخرى[5]: [مجزوء البسيط]

نَأْسُوا بِرُؤْياكَ ما أَسا بِنا ... لا يُصْلِحُ القَرْحَ غَيْرُ مَرْهَمِهْ
فَإِنَّ هٰذا الزَّمانَ مُحْسِنُهُ ... كَفَّارَةٌ عَنْ ذُنُوبِ مُجْرِمِهْ[6]

---

(١) ديوانه، ص. ٢١.

(٢) ديوانه، ص. ٢٣.

(٣) ديوانه، ص. ٢٣.

(٤) ديوانه، ص. ٧.

(٥) ديوانه، ص. ١٥٨.

(٦) في الديوان: «محرمه».

ومن أخرى[١]: [البسيط]

وَبِي[٢] مَضاضَةُ عَيْشٍ مَسَّنِي لَغَبٌ ... مِنْها وَساوَرَنِي فِي سُؤْرِها سَغَبُ
حَتىَّ تَصَوَّرَ لِي مِنْها عَلَى ظَمَأٍ ... أَنَّ المَنِيَّةَ فِي ثَغْرِ المُنَى شَنَبُ

ومن أخرى[٣]: [الطويل]

عَسَى شَمْسُ هٰذَا الدَّهْرِ[٤] تَأْتِي بِوَفْقِ ما ... نُرَجِّي وَسَعْدُ الوَفْقِ فِي شَرَفِ الشَّمْسِ[٥]

الشيء بالشيء يذكر، تذكرت بما قاله قولي: [الطويل] [٤٨/ أ]

لَعَلَّ افْتِراقاً مِنْكَ يا غايَةَ المُنَى ... يَكُونُ لِجَمْعِ الشَّمْلِ مِنْهُ لَنا طُرْقُ
كَما افْتَرَقَتْ لِلاسْمِ فِي الخَطِّ أَحْرُفٌ ... فَصَحّ بِلا كَسْرٍ لهَا البَسْطُ وَالوَفْقُ

وهو معنى بديع كقول ابن خَفاجة الأندلسي[٦]: [الكامل]

وَعَسَى اللَّيالِي أَنْ تَمُنَّ بِنَظْمِنَا ... عِقْداً كَما كُنَّا عَلَيْهِ وَأَكْمَلاَ[٧]
فَلَرُبَّمَا نُثِرَ الجُمانُ تَعَمُّداً ... لِيَكُونَ[٨] أَحْسَنَ فِي النِّظَامِ وَأَجْمَلاَ

وقد تابع فيه المتنبي بقوله[٩]: [الوافر]

---

(١) ديوانه، ص. ١٦٨.

(٢) في الديوان: «ذي».

(٣) ديوانه، ص. ١٧٠.

(٤) في (ظ): «الدين».

(٥) في الديوان: «عسى شمس دين الله يسعدنا فقد ... كتبنا بهذا الوفق في شرف الشمس».

(٦) ديوانه، ص. ٣٦١.

(٧) في الديوان: «وأفضلا».

(٨) في الديوان: «ليُعاد».

(٩) ديوانه، ١/ ٩٢.

لَعَــــلَّ اللهَ يَجْعَلُــــهُ رَحِــــيلاً يُعِــينُ عَــلى الإِقامَــةِ في ذَرَاكَــا[١]

وهو من قول عروة بن الورد[٢]: [الطويل]

تَقـولُ سُـلَيْمى لَـو أَقَمْـتَ بأَرْضِـنَا[٣] وَلَمْ تَـــدْرِ أَنِّي لِلْمُقَـــامِ أُطَـــوِّفُ

ومن أخرى طلب بها فرساً[٤]: [الطويل]

فَجُـدْ لِي بِـها أَرْجُـوهُ إِنْ شِـئْتَ مُلْجَـماً وَإِنْ شِـئْتَ تَعْجِيـلَ العَطـا فَبِجُلِّـهِ

ومن أخرى[٥]: [الطويل]

تَغافَلْـتُ عَـنْ أَشْـياءَ مِنْـهُ وَرُبَّـما يَـسُرُّكَ فِي بَعْـضِ الأُمُـورِ التَّغافُـلُ

ومن أخرى[٦]: [الطويل]

وَلا عَيْـبَ فِـيهِمْ غَـيْرَ أَنَّ صِـلاتِهِمْ تُغَـرِّقُ آمـالَ العُفـاةِ بُحُورُهَـا
وَأَنَّ سُـيُوفَ الهِنْـدِ فِي كُـلِّ مَعْـرَكٍ بِـأَيْمانِهِمْ حاضَـتْ دِمـاءً ذُكُورُهَـا

ومن أخرى[٧]: [الطويل]

يُلَبِّيـكَ مِـنْ قَبْـلِ الـسُّؤالِ نَوالُـهُ وَيَأْتِيـكَ دُونَ الاِنْتِظـارِ نُـضَارُهُ

ومن أخرى[٨]: [الطويل]

---

(١) في (ظ): «دراكا».
(٢) ديوانه، ص. ١٠٧.
(٣) في الديوان: «لسَرَّنا».
(٤) ديوانه، ص. ٣٩.
(٥) ديوانه، ص. ٤٧.
(٦) ديوانه، ص. ١٧٦.
(٧) ديوانه، ص. ٥٦.
(٨) ديوانه، ص. ٨٩.

وَغَيْرِي طُفَيْلِيُّ القَوَافِي وَأَشْعَبُ[١] الـ ـمَعانِي لَـهُ فِي كُـلِّ مـا عَـنَّ مَطْمَـعُ[٢]

ومن أخرى[٣]: [الطويل]

وَإِنَّ[٤] الفَتَـى كَالغُـصْنِ مـا دامَ نابِتـاً فَآوِنَــةً يُكْــسَى وَآوِنَــةً يَعْــرَى

وله؛ وهو معنى مطروق[٥]: [الكامل] [٤٨/ ب]

إِنْ خَـصَّنِي بِـالبُؤْسِ دَهْـرِي دَائِـماً دُونَ الـوَرَى فَأَنَـا بِـذٰلِكَ أَفْـضَلُ

هٰـذِي عَقَـاقِيرُ العِطَـارَةِ كُلُّهـا لَمْ يَحْـتَرِقْ مِـنْهُنَّ إِلَّا المَنْـدَلُ

وله[٦]: [الوافر]

إِذَا[٧] مَـا كُنْـتَ مُـصْطَنِعاً جَمِـيلاً فَحَـاوِلْ مَـنْ يَرُوقُـكَ بِالـصَّنِيعِ

وَلا تَقْـصِدْ[٨] بِـهِ إِلَّا كَـرِيماً رَمَـاهُ الـدَّهْرُ عَـنْ مَجْـدٍ رَفِيـعِ[٩]

وَلَمْ[١٠] أَرَ نِعْمَـةً تُـسْدَى فَتُـزْرِي على المُسْدِي[١١] سِوَى رَفْعِ الوَضِيعِ

---

(١) أشعب: رجل يضرب به المثل في الطمع، فيقال: «أطمع من أشعب».

(٢) في الديوان: «مطلع».

(٣) ديوانه، ص. ١٩٢.

(٤) في الديوان: «فإنَّ».

(٥) سقطت هذه الجملة اعتبارا من (ظ). والبيتان في ديوانه، ص. ١٩١.

(٦) ديوانه، ص. ١٩٤.

(٧) في الديوان: «وإذا».

(٨) في الديوان: «ولا تكرم».

(٩) سقط هذان البيتان من (ظ).

(١٠) في الديوان: فلم أر.

(١١) في الديوان: «بمُسديها».

وله(١): [الخفيف]

|غَـــيْرُ بِـــدْعٍ إِذَا ظُلِمْـــتَ بِـــدَهْرٍ رُزِقَ الغَمْــرُ فِيــهِ حَظًّــا عَظِـيمَا|(٢)
الهَــواءُ(٣) الــصَّحِيحُ يُــدْعَى عَلِـيلاً وَاللَّــدِيغُ المُــصَابُ يُــسْمَى سَــلِيمَا

وله(٤): [الخفيف]

وثَــرَاءُ(٥) اللَّئِــيمِ أَقْــبَحُ فِي العَيْـــ ـــنَيْنِ مَــرْأًى مِــنِ افْتِقَــارِ الكَــرِيمِ

وله(٦): [الطويل]

إذا مــا اسْــتَرَدَّ الــدَّهْرُ مِنَّــا هِباتِــهِ فَــسِيَّانِ إِنْ أَعْطَــى كَثِـيراً أَو أُحْرَمَــا

وله(٧): [الطويل]

أَراكِ وَلٰكِــنْ لا سَــبِيلَ إِلَى اللِّقَــا(٨) وَكُـــلُّ يَـــسِيرٍ لا يُنـــالُ، عَــسِيرُ

وله(٩): [مجزوء الرمل]

سَـــقِّنِي قَهْـــوَةَ بُـــنٍّ وَامْــزُجِ القَهْــوةَ عُــودَا
فَهْــيَ لِلــصَّفْراءِ وَالبَلْـــ ـغَمِ تَمْحُـو وَهْـيَ سُـوْدَا

---

(١) ديوانه، ص. ١٩٤.

(٢) سقط هذا البيت من (ظ).

(٣) في الديوان: «فالهوى»؛ وفي (ظ): «فالهواء».

(٤) ديوانه، ص. ١٩٤.

(٥) في الديوان: «فثراء».

(٦) ديوانه، ص. ١٩٥.

(٧) ديوانه، ص. ٢٠٠.

(٨) في الديوان: «لقا».

(٩) ديوانه، ص. ٢٠١.

|وله[١]:[السريع]

كـــأنَّما دُخَـــانُ غَلْيُونِــــهِ لَـمَّا بَـدَا مِـنْ ثَغْـرِهِ الـدُّرِّ[٢]

غَـيْمٌ نَـشَا مِـنْ شَـفَقٍ أَحْمَـرٍ مُرْتَفِعـاً غـشّى سَـنَا البَـدْرِ|[٣]

وله[٤]: [السريع]

وَأَغْيَــدٍ أَوْرَثَنِــي صَـــدُّهُ ثَوْبَ الضَّنَا فِيهِ وَحَلِيَ[٥] السَّقَامْ

رَثَــى لِيَ العَــاذِلُ فِي حُبِّــهِ حَتــىَّ إذا خَــطَّ عِذارَيْــهِ لاَمْ

وله[٦]: [الوافر]

أَنَــمُّ مِــنَ الــسُّؤالِ عَــلَى عَــدِيمٍ وَمِنْ شَعَثِ[٧] السِّفَارِ عَلَى غَرِيـبِ

وله في صفة الصيف[٨]: [السريع]

مُبْتَـدِعٌ[٩] يـسْلُبُ أَثْوَابَنَـا وَيُخْرِجُ المَالِكَ مِنْ دارِهِ

|وله في الشتاء[١٠]: [الرمل]

وَكَــفَ البَيْــتُ[١١] عَلَيْنَــا لَيْلَــةً وَأَنَــا مَــا بَــيْنَ إِخْــوَانِ الــصَّفَا

---

(١) ديوانه (ضمن العقود الدرية)، ص. ٨٧.

(٢) في الديوان: «الدري».

(٣) سقط هذان البيتان من (ظ).

(٤) ديوانه، ص. ٢٠٢.

(٥) في الديوان: «وفرط».

(٦) ديوانه، ص. ٢١٨.

(٧) في الديوان: «ومن درنٍ».

(٨) ديوانه، ص. ٢٠٨.

(٩) في الديوان: «مبتدعا».

(١٠) ديوانه (ضمن العقود الدرية)، ص. ١٢٠.

(١١) وكف البيت: قطر سقفه.

قِيلَ لِي مَا قَدْ[١] جَرَى قُلْتُ لَهُمْ　　حَسْبُنَا اللهُ تَعَالَى وَكَفَى

وله[٢]: [الوافر]

وَمُعْتَرِفٌ بِعِزَّتِهِ وَذُلِّي　　لَدَيْهِ قَائِلٌ [لِي] مَا اعْتِرَافُكْ

فَإِنِّي مِنْ أُولِي حَسَبٍ كَرِيمٍ　　فَقُلْتُ أَجَلْ وِلِلتَّشْبِيهِ كَافُكْ

وله[٣]: [الطويل]

سَقَى اللهُ رَبْعاً أَنْتَ فِيهِ بِوابِلٍ　　وَحَيَّا مَغَانِيهِ السَّحابُ الْمُخَيِّمُ

وَلَسْتُ بِدَمْعِي[٤] بَاخِلاً غَيْرَ أَنَّنِي　　لأَكْرَهُ سُقْيَا الدَّمْعِ أَكْثَرُهُ دَمُ|[٥]

ومن أخرى[٦]: [الخفيف] [٤٩/أ]

فَابْقَ تُحْيِي القَرِيضَ دَهْراً فَقَدْ مَا　　تَ وَهٰذِي طُرُوسُهُ الأَكْفَانُ

ومن أخرى[٧]: [البسيط]

|لا أَشْتَكِي الحُبَّ تُضْنِينِي مَصَائِبُهُ　　وَلِي عَنِ اللَّوْمِ فِيهِ أُذْنُ أُطْرُوشِ[٨]

فلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَاهُ نَاظِرُهُ　　فِي صَبْوَةٍ شَوَّشَتْهُ أَيَّ تَشْوِيشِ|[٩]

---

(١) في الديوان: «ذا».

(٢) ديوانه (ضمن العقود الدرية)، ص. ١٤٨.

(٣) ديوانه، ص. ٢١٩.

(٤) في الديوان: «بمدمعي».

(٥) سقطت هذه الأبيات الست من (ظ).

(٦) ديوانه، ص. ٢٢٨.

(٧) في (ظ): بدلا من تلك العبارة «وله». والأبيات في ديوانه، ص. ٢١١.

(٨) في الديوان: «طروش».

(٩) سقط هذان البيتان من (ظ).

كَالنَّــسْرِ أَرْدَاهُ سَــهْمٌ فَاسْــتَعَدَّ لَــهُ عُـذْراً وَقَـالَ رَمَـى قَلْبِـي بِـهِ رِيْـشِي

ولقد أجاد في متابعته قول «الحماسيّ»[١]: [الكامل]

قَــوْمِي[٢] هُــمُ قَتَلُــوا أُمَــيْمَ أَخِــي فَــإذا رَمَيْــتُ يُــصِيبُنِي سَــهْمِي

وهو من قول الأرَّجاني[٣]: [الكامل]

مِــنْ كُــلِّ أَزْرَقَ ذِي جَنــاحٍ طــائِرٍ غَرْثــانَ عَــنْ حَــبِّ القُلُــوبِ يُنَقِّــرُ

يُطْعِمْــنَ قَتْلاهــا النُّــسُورَ جَــوائِزاً[٤] إِنْ كُــنَّ طِــرْنَ بِــما كَــسَتْهُ الأَنْــسُرُ

وقد أجاد الأرَّجاني أيضاً في متابعته الحماسي بقوله[٥]: [الكامل]

يَرْمِــي فُــؤادِيَ وَهْــوَ فِي سَــوْدَائِهِ أَتُــراهُ لا يَخْــشَى عَــلَى حَوْبَائِــهِ

وَمِــنَ البَلِيَّــةِ وَهْــوَ يَرْمِــي نَفْــسَهُ[٦] أَنْ يَطْمَــعَ[٧] العُــشّاقُ فِي إبْقَائِــهِ

ومن قصيدة أيضاً[٨] له[٩]: [مخلع البسيط]

إِنَّ الهَــوَى داؤُهُ عَيَــاءُ يَعْجَـزُ عَـنْ بُرْئِـهِ المَسِيحُ

---

(١) في (س): «الحماسة». والبيت للحارث بن وعلة الذُّهْلِيّ في ديوان الحماسة لأبي تمام (بشرح الخطيب التبريزي)، ١/ ١٥٣.

(٢) في (ظ): «قوم».

(٣) ديوانه، ٢/ ٦٦١.

(٤) في الديوان: «جوازيا».

(٥) ديوانه، ١/ ٣.

(٦) في الديوان: «ومن الجهالة وهو يرشُقُ نفسه».

(٧) في الديوان: «أن تطمع».

(٨) ساقط من (ظ).

(٩) ديوانه، ص. ١٢٠.

وله من أخرى[1]: [الكامل]

قَـدْ كـانَ لَيْـلُ ذَوائِبِـي لِي شـافِعاً وَالآنَ صُـبْحُ الـشَّيْبِ[2] مِـنْ رُقَبَـائي

منها[3]:

وَتَجَنُّبِـي[4] عَـنْ لَـمْسِ لَـيِّنِ[5] عِطْفِـهِ فَالعَـضْبُ يَـصْدَأُ مَتْنُـهُ بِالـماءِ

منها[6]:

وَقَطَعْـتُ بِاليَـأْسِ الرَّجـاءَ لَـدَيْهِمُ وَاليَـأْسُ يَجْـدَعُ[7] أَنْـفَ كُـلِّ رَجَـاءِ

وهذا[8] أحسن من قول بعض المتأخرين: [الطويل]

إذا انْصَبَّ ماءُ اليَأسِ فِي مُقْلَةِ الرَّجا فَلَيْسَ لهَا عِنْدَ الحَكِيمِ سِوَى القَدْحِ

(١) ديوانه، ص. ١٦٤.

(٢) في الديوان: «المشيب».

(٣) ديوانه، ص. ١٦٤.

(٤) في (ظ): «وتجنبن».

(٥) في الديوان: «وتجنب من لين ملمس».

(٦) ديوانه، ص. ١٦٤.

(٧) في (ظ): «يخدع».

(٨) في (ظ): «وهو».

[١٤]
شمس الدين محمد بن المِنْقار الشامِيّ(١)

صدرٌ من صدور قُطره، مخلِّط مُزيِّلٌ سابقٌ في حلْبة عصره، رقَّتْ غلائل شمائله، وتجاذبت الأخبار أذيال فضائله، وتزيَّنَتْ بتاجه هامة الأيام، وتاهت به على غير بقاع الشام، [٤٩/ب] وصدحت ورق فصاحِهِ في ناديها، وسارت محاسنه مع الركبان رائحها وغاديها، وأثمرت أقلام الفتوى بشمس إِفادته بعد ما ارتفعت، فيا لها من أغصان أثمرت بعد ما قطعت، ونور فضله بادي، لكل حاضر وبادي، ولم يزل ثاوياً في فلك السعادة، حتى كسفت شمسه فلبس الدجى حداده، وشعره شعر العلماء، ونثره نثر الفقهاء، كقوله(٢): [الكامل]

مِـنْ يَـوْمِ بَيْنِـكَ كُـلُّ طَـرْفٍ دامِـي ... لَمْ تَكْتَحِـــلْ أَجْفانُـــهُ بِمَنَـــامِ
لَـــمَّا رَحَلْــتَ مُمَتَّعـــاً بِــسَلامَةٍ ... وَمُـــصاحِباً لِلـــسَّعْدِ وَالإِكْـــرَامِ

---

(١) محمد بن القاسم الملقب شمس الدين بن المنقار الحلبي الدمشقي الحنفي (٩٣١-١٠٠٥ / ١٥٢٤-١٥٩٦): كان مفتي الشام، ومن أعيان العلماء في عصره. ولد بحلب ونشأ بها. ولازم الرضي بن الحنبلي وغيره. ثم قدم دمشق، وأقام بها. درَّس بعدة مدارس، وأخذ عنه جمع كثير، مثل الحسن البوريني، وعبد الرحمن العمادي. وله أشعار كثيرة. توفي بدمشق ودفن بغربي تربة الباب الصغير. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٢٨؛ خلاصة الأثر، ٤/ ١١٥؛ لطف السمر، ١/ ١٤٣؛ در الحبب، ٢/ ٤١٨؛ عرف البشام، ص٤٠؛ ٣١٧؛ إعلام النبلاء، ٦/ ١٤٨؛ علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ١/ ٥٩.

(٢) الأبيات في ريحانة الألبا، ١/ ١٢٩-١٣٠؛ إعلام النبلاء، ٦/ ١٥٣.

خَلَّفْتَ بَعْدَكَ كُلَّ خِلٍّ هائِماً يُجْرِي الدُّمُوعَ حَلِيفَ فَرْطِ سَقَامِ
سَكْرانَ مِنْ كَأْسِ الفِراقِ مُعَذَّباً يا صاحِ بِالهِجْرانِ وَالْآلامِ
يَشْدُو بِذِكْرِكَ مِنْ نَواكَ إذا رَأى الـ ـعُشَّاقَ في رَكْبٍ بكلِّ مَقَامِ
مَوْلايَ بَعْدَكَ قَدْ تَفَرَّقَ شَمْلُنا وَضِياءُ نادِينا انْمَحَى بِظَلامِ
قَدْ كُنْتَ واسِطَةً لِعِقْدِ نِظامِنا حَتَّى انْفَرَدْتَ فَحُلَّ عِقْدُ نِظَامِ
هٰذا وَعَبْدُكَ ضاعَ بَعْدَكَ صَبْرُهُ فَاسْلَمْ وَدُمْ فِي السَّعْدِ[1] وَالإنْعَامِ
وَعَلَى حِماكَ مِنَ الُمحِبِّ تَحِيَّةٌ لا تَنْتَهِي وَعَلَيْكَ أَلْفُ سَلامِ
وَسَقَى الإلٰهُ دِيارَ مِصْرَ وَأَهْلَها أَنْواءَ سُحْبٍ مِنْ يَدَيْكَ سِجامِ[2]
لَمَّا حَلَلْتَ بِها تَضاحَكَ نَوْرُها فَرَحاً وَبُدِّلَ نَقْصُها بِتَمامِ
لا زِلْتَ تَرْفُلُ فِي ثِيابِ سِيادَةٍ وَتَجُرُّ ذَيْلَ العِزِّ فَوْقَ الهَامِ
ما نَمَّقَ الُمشْتاقُ طِرْسَ رِسالَةٍ بِحَدِيثِ أَشْواقٍ وَبَثِّ غَرَامِ

(١) في (ظ): «العز».
(٢) في (س): «عظام».

[١٥]

عِمادُ الدين الحنفي الشامي[(١)]

ماجد طويل النِّجاد، [له] بيت كريم رفيع العماد[(٢)]، وهو من غير قَدْحٍ فيه واري الزِّناد، مرفوع فوق هامة الجوزاء مِهادُهُ، فإذا ذكرت بيت الشعر وربع الأدب فهو عمادُهُ، كأنّما نشر [٥٠/أ] ربيع مجده على البقاع وشائع، فأصبح لِواؤه منها وهو منشور وشائع، وجواد طبعه ملآن العنان، سبَّاق إلى مَغارس قَصَبِ الرِّهان، ثابت الأعراق عذب الأخلاق، فما ريحُ الشمال وما راح الشَّمُول، وما وَجَنات الورد خَمَشَتْها راحةُ القبول.

فشَمائله يسعى اللطف لينظر إليها، ومحاسنه يقف الكمال متحيّراً عليها[(٣)]، فهي ألذُّ من إغفاءَةِ الصباح، وأحلى بمذاق الظَّفَر وثمرة النجاح.

وأنا، وإن لم يقعْ لي عليه عين، فالسَّماع إحدى الرِّوايتين، وقد نشأتْ دوحتُه

---

(١) عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد العمادي الحنفي الشامي (١٠٠٤-١٠٦٨ / ١٥٩٠-١٦٥٣): كان مفتي الحنفية في دمشق، وابن مفتيها. قرأ على والده مفتي الشام، وعلى الحسن البوريني، وتاج الدين القرعوي وغيرهم. درَّس أولا بالمدرسة الشبلية بعد فراغها من والده له. بقي مفتيا ثماني عشرة سنة، وكانت فتاواه بأيدي الناس متداولة مقبولة. توفي بدمشق ودفن بمقبرة الباب الصغير. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٣٣؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٢٠٣؛ عرف البشام، ص٧٤؛ علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ٢/ ١١.

(٢) في الأصلين: النجاد، بيت عن رفيع العماد. والمثبت من الريحانة ١/ ١٣٣. (ج).

(٣) في (ظ): «لديها».

بالشام في روضة على نهر، وسرت منه السرائر بطيب الخُبر والخَبر، وتنبهت فضائله تنبه عيون النور رشَّ عليه المطر، ولم يزل قلباً بصدر كلِّ نادٍ رفيع العماد، حتى وهَى عماده وتهدم بنيانه المشاد، وأي عمادٍ لا ينقض؟ وأي بناء لا ينفض؟!: [السريع]

وَزَهْـــرَةُ الـــدُّنْيا وَإِنْ أَيْنَعَـــتْ فَإِنَّهـــا تُـــسْقَى بِـــماءِ الـــزَّوَالِ

ولما كتَب الطالُوِيُّ يمدحه بقوله: [البسيط]

عَهْدَ السُّرُورِ وَرَيْعانَ الهَوَى النَّضِرِ سَقاكَ عَهْدُ الحَيا رَقْراقَ مُنْحَدِرِ(١)

وَجـادَ رَبْعَـكَ وَسْـمِيٌّ تُكَـرِّرُهُ رِيحُ الصَّبا بَـيْنَ مُنْهَـلٍّ وَمُنْهَمِـرِ

وَغَـرَّدَتْ بِرُبـاكَ الـوُرْقُ سـاجِعةً بِلَحْنِ مَعْبَدَ(٢) تَتْلُو(٣) أَطْيَبَ الخَبَرِ

وَلا بَرِحْـتَ مَغـاني لِلْحِسانِ وَلا عَدَتْ مَغانِيكَ أَخْلافٌ(٤) مِنَ المَطَرِ

كَـمْ لِيَ بِها وَشَبابِي الغَضُّ مُقْتَبِلٌ مِنْ مَنْزِلٍ آهِلٍ بِالشَّوْقِ وَالذِّكَرِ

كَـمِ اجْتَلَيْتُ بُـدُوراً مِـنْ مَطالِعِها كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَناءٍ مِنْ سَنَى قَمَرِي(٥)

مِـنْ كُـلِّ رُعْبُوبَـةٍ تَهْفُو بِمُصْطَبِرٍ قَدْ زانَها الحُسْنُ بَيْنَ الدَّلِّ وَالحَوَرِ(٦)

رُودٌ كَسَتْها يَدُ الأَيَّامِ ثَوْبَ صِباً وَصَيَّرَتْها اللَّيـالِي فِتْنَـةَ البَشَرِ

هَيْفاءُ صَبَّ الصِّبا ماءَ الشَّبابِ عَلَى أَعْطافِها وَكَساها حُلَّـةَ الخَفَرِ

[٥٠/ب] كانَتْ(٧) تُعانِقُنِي عِنْدَ الوَداعِ وَقَدْ قَلَّدْتُها مِنْ دُمُوعِي رائِقَ الدُّرَرِ

---

(١) في (ظ): «منجدر».

(٢) معبد: المغني المعروف.

(٣) في (ظ): «يتلو».

(٤) في (س): «أخلافاً».

(٥) في (ظ): «قمر».

(٦) في (ظ): «الدل والخفر».

(٧) في (ظ): «قامت».

تَقُـــولُ وَالبَـــيْنُ يَغْـــشاها رَكائِبُـــهُ بِمَــدْمَعٍ فَــوْقَ رَوْضِ الخَــدِّ مُنْحَــدِرِ
لا تَعْتِـبِ الـدَّهْرَ إِنْ حالَـتْ خَلائِقُـهُ فَـصَفْوُ رَوْنَقِـهِ لَمْ يَخْـلُ مِـنْ كَـدَرِ
وَإِنْ تُـرِدْ تَتَّقِـي مِـنْ صَرْفِـهِ نُوَبـاً فَالجَـأْ لِظِـلِّ عِـمادِ الـدِّينِ تَـسْتَتِرِ
مَـوْلًى غَـدَا رَبْعُـهُ أَمْـنَ المَخُـوفِ كَـذا جَنابُـهُ ظَـلَّ مَـأْوَى الخـائِفِ الحَـذِرِ
لا زالَ يَـسْمُو إلى العَلْيـاءِ مُرْتَقِيـاً بِـسُؤْدَدٍ مَجْـدُهُ عـالٍ عَـلَى الزُّهُـرِ
حَتَّى امْتَطَى صَهَواتِ المَجْدِ سامِيَةً تَخْتـالُ فِي حُلَـلِ الأَوْضـاعِ وَالغُـرَرِ
بِهِمَّـــةٍ تُجْـــتَلَى كَاللَّيْـــثِ ذِي أَشَرٍ وَعَزْمَـةٍ كَمَـضاءِ الـصَّارِمِ الـذَّكَرِ
مـا فاضِـلٌ قَـطُّ جـاراهُ إِلَى أَمَـدٍ فِي البَحْثِ إِلَّا انْثَنَى بِالعِيِّ وَالحَصَرِ
أَقْلامُـهُ الـسُّمْرُ في بِيضِ الطُّرُوسِ إذا شِيمَتْ أَرَتْكَ فِعَالَ البِيضِ وَالسُّمُرِ
لَهُ سَجَايَا كَزَهْرِ الرَّوْضِ غِبَّ نَدًى وَقَـدْ تَوَشَّـحَ بِالأَنْهـارِ وَالغُـدُرِ
يَلْقـاكَ طَلْـقَ المُحَيَّـا وَهْـوَ مُبْتَسِمٌ بِمَنْطِـقٍ وِرْدُهُ أَحْـلَى مِـنَ الـصَّدَرِ
ما الرَّوْضُ جادَتْ لَهُ الأَنْواءُ بِالبُكَرِ فَكَلَّلَـتْ دَوْحَـهُ المُخْـضَلَّ بِـالزَّهَرِ
جـادَ الغَـمامُ لَـهُ سَـحًّا بِوابِلِـهِ زُهْـرُ المَجَـرَّةِ صِينَتْ عَـنْ يَـدِ الغِـيَرِ
يَـشْدُو الحَـمامُ عَـلَى أَغْـصانِهِ سَـحَراً فَيَبْعَـثُ الـشَّوْقَ في أَحْـشَاءِ مُـسْتَعِرِ
يـا فَاضِـلاً كَـمْ جَلَـتْ أَبْكـارُ فِكْرَتِـهِ عَـنِ المَعـانِي بِهـا فِي أَحْسَنِ الـصُّوَرِ
يـا بْـنَ الكِـرامِ وَمَـنْ شَـادُوا بِعِـزِّهِمُ رُكْـنَ العُـلاَ سامِياً فِي سَالِفِ العُـصُرِ
وَيـا عِـماداً لِبَيْـتِ الفَـضْلِ يَرْفَعُـهُ وَكـانَ مِـنْ ضَـعْفِهِ يُلْفَـى عَـلَى خَطَـرِ

ومنها:

إِلَى ذُرَاكَ انْتَمَـتْ فَاقْبَـلْ عَـلَى دَخَـلٍ نَـسِيجَها يـا رَئِـيسَ البَـدْوِ وَالحَـضَرِ
لا زِلْـتَ في نِعْمَـةٍ تَـسْمُو بِـسُؤْدَدِها هـامَ الـسِّماكَيْنِ حَيْـثُ النَّـسْرُ لَمْ يَطِـرِ

مـا نـاحَ بِالأَيْـكِ قُمْـرِيٌّ وَمـا سَـجَعَتْ وُرْقُ الحَمائِـــمِ بِالآصـــالِ وَالبُكَـــرِ

فأجاب رحمه الله يقول: [البسيط]

أَحَــلْيُ حَــوْراءَ أَمْ عِقْــدٌ مِــنَ الــدُّرَرِ أَمْ زاهِــرُ الزُّهْــرِ أَمْ زاهٍ مِــنَ الزَّهَــرِ

[٥١/أ] أَمِ الحُبــــابُ عَــــلَى راحٍ مُرَوَّقـــةٍ أَمْ نَفْثَـةُ السِّحْرِ ذِي أَمْ نَـسْمَةُ السَّحَرِ

أَمْ نَظْــمُ دُرٍّ زَهَــتْ آيــاتُ مَنْطِقِــهِ فَــأَعْجَزَتْ كُــلَّ مَنْظُــومٍ وَمُنْتَثِــرِ

يـا نافِـثَ الـسِّحْرِ مِـنْ فِيـهِ بِمُعْجِـزَةٍ عَقَـدْتَ أَلْـسُنَ أَهْـلِ البَـدْوِ وَالحَـضَرِ

وَيـا مُـدِيرَ سُـلافٍ[1] مِـنْ بَلاغَتِـهِ هَــلَّا تَرَفَّقْــتَ بِالأَلْبــابِ وَالفِكَــرِ

وَيـا بْـنَ طـالُو وَإِنْ طـالَ الزَّمـانُ فَـما لَنـا البُلُـوغُ[2] إلى عَلْيـاكَ فَاقْتَـصِرِ

أَخَـذْتَ فَـصَّ المَعـالِي مِـنْ مَعادِنِـهِ وَغُــصْتَ فِي أَبْحُــرِ الآدابِ لِلــدُّرَرِ

وَحُـزْتَ جَمْـعَ المَزايـا وَانْفَـرَدْتَ بِهـا وَلَمْ تَــدَعْ لِلــسِّوَى شَــأْواً وَلَمْ تَــذَرِ

وَجِئْـتَ مِـنْ كُـلِّ مَعْنًـى رائِـقٍ حَـسَنٍ بِكُـلِّ مـا قَـدْ حَـلا فِي الـذَّوْقِ وَالنَّظَـرِ

كَأَنَّــهُ ضَرَبٌ قَــدٌّ زانَــهُ[3] شَــنَبٌ أَوْ عــاتِقٌ عــابِقٌ مِــنْ رِيحِــهِ العَطِـرِ

وَقَـدْ شَـهِدْتُ بِـما أُوتِيـتَ مُعْجِـزَةً جَمْـعَ الفَـضائِلِ فِي فَـرْدٍ مِـنَ البَـشَرِ

أَهْـدَيْتَ لِي غــادَةً جَلَّــتْ محَاسِــنُها وَقَـدْ تَجَلَّـتْ لَنـا فِي أَحْـسَنِ الـصُّوَرِ

رُعْبُوبَةً مِـنْ بَنـاتِ البَـدْوِ مُـذْ خَطَـرَتْ قَلْبِي بِهـا صـارَ مِـنْ وَجْـدٍ عَـلَى خَطَـرِ

حَيَّـــتْ فَأَحْيَـــتْ بِأَلْفــاظٍ مُنَمَّقَــةٍ وَغازَلَتْنَــا بِلُطْــفِ الــدَّلِّ وَالخَفَــرِ

وَأَسْـفَرَتْ عَـنْ سَـنا بَـرْقٍ وَعَـنْ شَـفَقٍ وَعَـنْ ضِـياءٍ وَعَـنْ شَـمْسٍ وَعَـنْ قَمَـرِ

(١) في (ظ): «سلافا».

(٢) في (ظ): «بلوغ».

(٣) في (س): «شابه».

زَارَتْ عَـلَى حِـينِ إشْراقٍ لِبَهْجَتِهـا وَمتَّعَتْنَـا بِـذاكَ المَنْظَـرِ النَّـضِرِ
وَضـاعَ عَـرْفُ شَـذَاها عِنْـدَما بَـرَزَتْ مِـسْكاً وعَطَّـرَتِ الأَقْطـارَ بـالقُطُرِ
سَـأَلْتُها قُبْلَـةً أَطْفِـي بِهـا حُرَقـاً شَـبَّتْ بِقَلْـبٍ شـديدِ الوَجْـدِ مُسْتَعِرِ
فأوْمَـأتْ بـشَنِيبٍ زانَـهُ شَـنَبٌ وأنْعَمَـتْ بِنَعِـيمِ الـوِرْدِ والـصَّدَرِ
ونـادَمَتْنِي بِلَيْـلٍ قَـدْ سَـهِرْتُ بِـهِ لكنَّـهُ سـاءَنِي وَاللهِ بِالقِـصَرِ
وبِـتُّ أُنْـشِدُ مَـدْحاً في مَحَاسِـنِها مـا قَالَـهُ شـاعِرٌ في سَـالِفِ العُـصُرِ
يـا نُزْهَـةَ الـنَّفْسِ يـا مَـنْ فَـاقَ مَنْطِقُهـا قُسَّ بْـنَ ساعِدَةَ[1] المَشْهُورَ في السِّيَرِ
خُـذْهَا إليـكَ وإنْ كانَـتْ مُقَـصِّرَةً فـشَأْنُ مِثْلِـكَ سَـتْرُ العَيْـبِ بِالـسُّتُرِ
[٥١/ب] وَإِنْ تَكُنْ أَوْجَزَتْ في المَدْحِ وَاخْتَصَرَتْ فَالعَـذْبُ يُهْجَـرُ للإِفـرَاطِ في الخَـصَرِ
وَإِنْ تكُـنْ مِـنْ بَـدِيعِ القَـوْلِ عَاطِلَـةً فَقَـدْ تَحَلَّـتْ بِعِقْـدٍ مِـنْ مَـدِيحٍ سَرِي
وَاعْـذُرْ فَـإِنِّي تَرَكْـتُ الـشِّعْرَ مُـذْ زَمَـنٍ لِـشَاغِلٍ عَنْـهُ أَغْـشَى مُقْلَـةَ الفِكَـرِ
لا زِلْـتَ تَـسْمُو عـلى الأقـرانِ مُرْتَـدِياً ثَـوْبَ البَلاغَـةِ في أَمْـنٍ مِـنَ الحَـصَرِ
مَـا طَـرَّزَ الطِّـرْسَ تَنْمِيـقُ الـيَرَاعِ بِـمَا يَزْهُـو عـلى الـرَّوْضِ وَشَّـتْهُ يَـدُ المَطَـرِ
وَشَـبَّبَ المـادِحُ المُطْـرِي بِمَـدْحِكَ في بَيْـتٍ مِـنَ الـشِّعْرِ في رَوْضٍ عـلى نَهَـرِ

(١) في ريحانة الألبا ١/ ١٣٧: زان منطقَها قسٌّ... (ج).

[١٦-١٧]

شيخُ الإسلام رَضِيُّ الدين الغَزِّي(١) وابْنُهُ بَدْرُ الدين(٢)

أما الرَّضي فابنُ عباسِ زمانِه، وعَرابةُ راية المجد في ميدانه(٣)، وسلمان بيته، وحسان قصيدته وبيته، وجامع سفيان الفنون، وصيّب إفادته السح الهتون، وديباجة الكتب والسير، وعين أهل الحديث والأثر، حازت به نواحي غزَّة، كل شرف شامخ وعِزَّة.

---

(١) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري، أبو الفضل، رضي الدين الغزي (٨٦٢-٩٣٥ / ١٤٥٨-١٥٢٩): باحث من علماء الشافعية. ولي القضاء. أصله من غزة، مولده ووفاته بدمشق. من مؤلفاته: «جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة» في الزراعة، و«الجوهر الفريد» ألفية في التصوف شرحها حفيده النجم الغزي، «الدرر اللوامع نظم جمع الجوامع» في الأصول. انظر مصادر ترجمته: الكواكب السائرة، ٢/ ٣؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٢٩٢؛ ديوان الإسلام، ٣/ ٣٨٢؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٣٣؛ إيضاح المكنون، ١/ ٢٠٣؛ الأعلام، ٧/ ٥٦.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن أَحمد بن عبد الله، أبو البركات، بدر الدين بن القاضي رضي الدين الغزي العامري الدمشقي (٩٠٤-٩٨٤ / ١٤٩٩-١٥٧٧): فقيه شافعي، عالم بالأصول، والتفسير، والحديث، والنحو. ولد بدمشق وتوفي بها. وأخذ على مشايخ عصره، ثم رحل إلى القاهرة مع والده، ثم عاد فتصدر للتدريس والإفادة. وتولى الوظائف الدينية كمشيخة القراء بالجامع الأموي، وإمامة المقصورة، ودرَّس بالعادلية، ثم بالفارسية، وغير ذلك. وله شعر جيد. أما مؤلفاته فبلغت مئة وبضعة عشر مؤلفاً، من أشهرها التفاسير الثلاثة المشهورة «المنثور»، و«المنظومان». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٣٨؛ الكواكب السائرة، ٣/ ٣؛ سلافة العصر، ص. ٣٨٨؛ تراجم الأعيان، ٢/ ٩٣؛ ديوان الإسلام، ٣/ ٣٨٣؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٥٤؛ إيضاح المكنون، ١/ ٥؛ منتخبات التواريخ لدمشق، ٢/ ٥٨٩؛ الأعلام، ٧/ ٥٩.

(٣) أقول (ج): إشارة إلى بيت الشمّاخ بن ضرار المري في عَرابة بن أوس الأنصاري، من سادات المدينة:

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ   تلقّاها عَرابةُ باليمين

وابنه شبل الأسد، وبدر حلَّ في برج[1] الأسد، وهما كَرُكْبَتَي البعير وكلٌّ يُمنى في المكارم، أو كالحلقة المفرغة أو كغِراري صارم صارم، طلع هلاله من أفق الكمال مبتدراً، وكرَع من بحر والده البَرّ ماء الحياة قبل أن يبدوَ عارضه خضراً، وتحيط بمشرق أنواره، هالة عِذاره، حتى أحيا النفوس، واستمدَّتْ من بدره الشموس، فتكلَّفَ البدرُ إذ حكاه، وضاهى سناءه وسناه، ولا عَجَب للبدر أن يتكلَّفا، ولم يزل مشرقاً بمنازل بدره حتى ألمَّ به سرار عمره.

وله شعرٌ تُطرَّزُ به حللُ كماله، وتُرصَّعُ به مناطق أفضاله، كقوله: [الطويل]

إذا كـانَ حَمْـدُ العَبْـدِ مَـوْلاهُ دائِـماً ... يَكُـونُ بِإلْهـامٍ مِـنَ اللهِ لِلعَبْـدِ
وَذٰلِـكَ مِمَّـا يُوجِـبُ الحَمْـدَ دائِـماً ... فَلا حَمْدَ حَقًّا مِنْ سِوَى مُلْهِمِ الحَمْدِ

وله[2]: [البسيط]

لَنـا أَمِـيرٌ فَرِيـدٌ فِي خَلائِقِـهِ ... كَـمْ مِـنْ كَـرائِمِ أَمْـوالٍ لَدَيْـهِ حَـوَى
لَـهُ الْتِفـاتٌ لِـرِزْقِ النَّـاسِ مُعْتَنِيـاً ... يَـرَى الفَقِـيرَ لَدَيْـهِ وَالغَنِـيَّ سَـوَا

وله[3]: [السريع] [٥٢/أ]

مَـنْ رَامَ أَنْ يَبْلُـغَ أَقْـصَى المُنَـى ... فِي الحَـشْرِ مـع تَقْـصِيرِه فِي القُـرَبْ
فَلْـيُخْلِصِ الحُـبَّ لِمَـوْلَى الـوَرَى ... وَالمُـصْطَفَى فَـالمَرْءُ مَـعْ مَـنْ أَحَـبْ

وهو كقول والده: [الخفيف]

إِنْ تَكُـنْ عَـنْ حـالِ الَّـذِينَ اجْتَبَـاهُمْ ... رَبُّهُـمْ عـاجِزاً وتَطْلُـبُ قُرْبَـا

(١) في (س): «برح».
(٢) في (ظ): «وقوله».
(٣) في (ظ): «وقوله».

حِــبَّ مَــوْلاكَ وَالَّــذِينَ اصْــطَفاهُمْ   تَبْــقَ مَعْهُــمْ فَــالمَرْءُ مَــعْ مَــنْ أَحَبَّــا

وأحسن منه قول ابن حَجَر العَسْقَلاني: [السريع]

وَقائِـــلٍ هَـــلْ عَمَـــلٌ صـــالِحٌ   أَعْدَدْتَـــهُ يَنْفَـــعُ عِنْـــدَ الكُـــرَبْ

فَقُلْــتُ حَــسْبِي خِدْمَــةُ المُــصْطَفَى   وَحُبُّــهُ فَــالمَرْءُ مَــعْ مَــنْ أَحَــبْ

ومما قلته في إبّان الحداثة: [الوافر]

وَحَــقِّ المُــصْطَفَى لِي فِيــهِ حُــبٌّ   إذا مَــرِضَ الفُــؤادُ يَكُــونُ طِبَّــا

وَلا أَرْضَى سِــوَى الفِــرْدَوْسِ مَــأْوًى   إذا كــانَ الفَتَــى مَــعْ مَــنْ أَحَبَّــا

ومن شعر بدر الدين قوله: [مخلع البسيط]

بِــالحَظِّ وَالجــاهِ لا بِفَــضْلٍ   في عَــصْرِنا المَــالُ يُــسْتَفَادُ

كَــمْ مِــنْ جَــوادٍ بِــلا حِمــارٍ   وَكَــمْ حِمــارٍ لَــهُ جَــوَادُ

وله أيضاً[1]: [السريع]

يُقَبِّلُ الأَرْضَ حَماهـا الَّـذِي   أَلْثَمَهـا أَفْـوَاهَ أَهْـلِ العُـلاَ

عَبْـــدٌ إذا كاتَبْتَـــهُ ثانِيـــاً   يَـــزْدَادُ رِقًّـــا لَكُـــمْ أَوْ وَلاَ

وقوله: [مجزوء الرمل]

إِنَّ أَلْطـــافَ إِلـــٰهِي   لِيَ قالَــتْ خَــلِّ عَنْكَــا

لا تُـــدَبِّرْ لَـــكَ أَمْـــراً   أَنَــا أَوْلَى بِــكَ مِنْكَــا

وقوله[2]: [السريع]

مَـنْ أَطْلَـعَ الأَحْمَـقَ فَـوْقَ الـسُّهَا   يُنْزِلُـــهُ لِلْمَنْـــزِلِ الـــسَّافِلِ

(١) البيتان في ريحانة الألبا، ١/ ١٤٠؛ ونفحة الريحانة، ١/ ٤٢٣.

(٢) في (ظ): «وله».

وَغَـــيْرُ بِـــدْعٍ فِعْلُــهُ حَيْــثُما   يُقابَـــلُ الباطِـــلُ بِالباطِـــلِ

[٥٢/ ب] ولرضي الدين: [مجزوء الرمل]

إنَّ خِـــلًّا مَـــلَّ مِنَّـــا   خَلِّنَـــا بِـــاللهِ مِنْـــهُ

هُـــوَ لا يَـــسْأَلُ عَنَّـــا   مـــا لَنـــا نَـــسْأَلُ عَنْـــهُ

ومثله قول التقي السبكي[1]: [الدوبيت]

يـا قَلْـبُ مِـنَ الغَـرامِ قَـدْ زِدْتَ وَلَـهْ   مَـنْ خانَـكَ خُنْـهُ أَوْ تُعَـوِّضْ بَدَلَـهْ

فَـالنَّفْسُ عَزِيـزَةٌ عَـلَى مَـنْ هِـيَ لَـهْ   لا يَـصْلُحُ لِي مَـنْ كُنْـتُ لا أَصْلُحُ لَـهْ

ولابن الوردي[2] في معناه أيضاً: [مجزوء الرجز]

وَإِنْ جَفــاكَ صــاحِبٌ   فَكُـــنْ بِـــهِ مُـــسْتَبْدِلاَ

وَإِنْ كَرِهْـــتَ مَنْـــزِلاً   فَــــدُونَكَ التَّحَـــوُّلاَ

فَمَـــنْ أَتَـــى فَمَرْحَبـــاً   وَمَـــنْ تَـــوَلَّى فَـــإِلَى[3]

وله بنتٌ تُسمى زينب، قرأت عليه طرفاً من العلوم، ورأيت لها نظماً ونثراً ومكاتبات مع أخيها، لم أر منها شيئاً يليق إيراده هنا، لأنه محلول.

---

(١) هو أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري (٦٨٣-٧٥٦ / ١٢٨٤-١٣٥٥): شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. وهو والد التاج السبكي صاحب «الطبقات». ولد في سبك وتوفي بالقاهرة. من مؤلفاته: «الدر النظيم» في التفسير، «مختصر طبقات الفقهاء». انظر مصادر ترجمته: الدرر الكامنة، ٣/ ٦٣؛ طبقات الشافعية الكبرى، ١٠/ ١٣٩؛ شذرات الذهب، ٨/ ٣٠٩؛ الأعلام، ٤/ ٣٠٢.

(٢) هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين بن الوردي المعري الكندي (٦٩١-٧٤٩ / ١٢٩٢-١٣٤٩): شاعر أديب مؤرخ، ولد في معرة النعمان، وولي القضاء بمنبج، وتوفي بحلب. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ديوانه (دراسة المحقق)، ص. ٥؛ شذرات الذهب، ٨/ ٢٧٥؛ فوات الوفيات، ٣/ ١٥٧؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥٨٠. والأبيات في الديوان ٣١٠.

(٣) أي إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم. انظر معلقة زهير بن أبي سلمى. (ج).

[١٨]

أبو الصَّفاء مصطفى بن العَجَمِيّ الحلَبِيّ[١]

روضٌ وريق أغصان المروَّة، وصحيفةُ مجدٍ خُطَّ عليها عنوان الفتوَّة، فهو فارس الشهباء نبلاً وأدباً، وطبعه أخو ابنة العنب لطفاً وطرباً، ما زال يختال فيها بأردان حسبٍ مُذَهَّبَة، ويجلو كأس أدب للقلوب مُحَبَّبة، وله عقود ألفاظ كسد لديها نظيم الجوهر، وخُيِّل أنها[٢] لرقَّتها من خدود الغيد تعصر، قد أقبلت عليه الفصاحةُ بوجهٍ جميل، وقصّر عنها لطف النسيم فهو عليل، فهو يهزو بمحيّا الروض الوسيم، فينفخ جيب الدهر نشراً، ويعبث بالنَّوْر سكراً[٣]: [الخفيف]

ثَمِــلٌ مِــنْ سُــلافَةِ الطَّــلِّ فِي الزَّهْــ ـــرِ وَناهِيــكَ طِيبُهــا مِــنْ كَــاسِ

ولم يزل يسحب ذيل صفوه على عين[٤] أثره، حتى ورد من موارد المنية ما بدَّلَ صفوه بكدره[٥]، وأيُّ صفاً لا يكدِّره الدهر، فقطفت زهرةَ شبابه، وقد

---

(١) مصطفى بن محمد العجمي الحلبي ثم الدمشقي الشافعي (ت: ٩٩٥/١٥٨٦): كانت له معرفة بالفرائض والحساب، ومشاركة في عدة فنون. وله شعر لطيف. توفي في دمشق، ودفن بباب الفراديس. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٤٥ الكواكب السائرة، ٣/ ٢٠٧؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦٤١.

(٢) في (س): «أنه».

(٣) في (س): «سكر».

(٤) ساقط من (ظ).

(٥) في (ظ): «يكدره».

جادها صيِّبٌ من دموع أحبابه.

فمن أوراق ورده المنثور على عذب ورده قوله من قصيدة: [البسيط]

مـا اجْتـازَ بـارِقُ ذاكَ الثَّغْـرِ مُبْتَسِمَا وَلا النَّسِيمُ بِأَخْبـارِ الحِمَـى نَسَمَا
إِلَّا وَعـاوَدَهُ مِـنْ وَجْـدِهِ طَـرَبٌ حَتـى كَـأَنَّ بِـهِ مـا يُشْبِهُ اللَّمَـمَا [٥٣/أ]
مُتَـيَّمٌ لَعِبَـتْ أَيْـدِي الغَـرامِ بِـهِ فَغادَرَتْـهُ كَأَنْفـاسِ الـصَّبَا سَقَمَا
يَبِيتُ مِنْهُ عَلَى الأَحْشاءِ كَفُّ شَجٍ تَضُمُّ صَدْراً خَفُوقَ القَلْبِ مُضْطَرِمَا
أَيَـا خَلِـيلَيَّ لا زالَـتْ مُجَلَّلَـةٌ مِـنَ البَـوَارِقِ تَهْمِـي فِي عِراصِكُمَا
حَتـى تَظَـلَّ لَهَـا الأَرْجـاءُ باسِـمَةً تَبُـثُّ مِـنْ سِرِّهَـا مـا كـانَ مُكْتَتَمَا
أَمـا وَمَبْـسَمِهِ الزَّاهِـي بِمُتَّـسِقٍ يُـزْرِي مُفَلَّجُـهُ بِالـدُّرِّ مُنْـتَظِمَا
وَلَفْتَـةٍ تَـذَرُ الأَلْبـابَ شـارِدَةً أَيْـدِي سَـبَا وَتَـرُدُّ الفِكْـرَ مُقْتَسِمَا
لا حُلْتُ عَنْ حُبِّهِ الأَشْهَى إِلَى كَبِدِي مِنَ الزُّلالِ وَقَدْ كادَتْ تَذُوبُ ظَمَا
وَلا تَبَـدَّلْتُ إِنْـساناً سِـوَاهُ وَلَـوْ أَضْحَى وُجُودِي كَصَبْرِي فِي الهوَى عَدَمَا

منها:

لله مـا أَنْـتَ فِي الآفَـاقِ تَنْثُـرُهُ وَهْـيَ الَّـلآلِئُ ظَنَّتْهَـا الـوَرَى كَلِمَا
مِـنْ كُـلِّ زاهِيَـةِ الأَلْفـاظِ زاهِـرةٍ(١) لا تَرْتَضِي الشِّعْرَ أَنْ يُعْزَى لَهَا شَمَمَا

وله من قصيدة رَثَى بها العماد: [الطويل]

عَظِـيمُ مُـصابٍ مُقْعِـدٌ وَمُقِـيمُ لَـهُ كَمَـدٌ بَـيْنَ الـضُّلُوعِ مُقِـيمُ
وَفادِحُ خَطْبٍ حارَبَ الصَّبْرَ وَالكَرَى فَأَصْـبَحَ كُـلٌّ وَهْـوَ عَنْـهُ هَـزِيمُ

---

(١) في (س): «زاهره».

وَحُكْـمٌ أذَلَّ الفَـضْلَ بعـدَ[١] اعْتِـزازِهِ وَأَوْهَـى عِـمادَ الـدِّينِ وَهْـوَ قَـوِيمُ

منها:

ألاَ إنَّــما عَــيْنُ المَعــالِي غَضِيــضَةٌ وَإنَّ فُــؤادَ المَكْرُمــاتِ كَلِــيمُ

أَقامَـتْ عَـلَى قَـبْرٍ لَـهُ عـاطِرِ الثَّـرَى سَــحَابٌ وَرِضْــوَانٌ فَلَـيْسَ تَـرِيمُ

إلَى أَنْ يَعُـودَ القَـبْرُ أَنْـضَرَ رَوْضَـةٍ بِهــا النَّبْــتُ شَــتَّى يَـانِعٌ وجَمِـيمُ

وكان له بجِلِّق ندامى تسكر بشمائلهم الرَّاح، وتهتز طرباً لذكرهم معاطف الأريحية والسماح، يخفق على هامات مجدهم ألوية الحمد، وتضيء في سماء معاليهم كواكب السعد، من كل مصطبح بكأس المسرة مغتبق، [مجزوء الرجز]

لَـوْلاَ نَـدَاهُ كـادَ مِـنْ فَـرْطِ الـذَّكا يَحْـتَرِقُ

فلمَّا ارتحل عنهم لوطنه تنازعته أيدي شجونه وشجنه، [٥٣/ ب] فكتب إليهم يذكر غرامه ويندب هيامه بهذه القصيدة: [البسيط]

يُقَبِّـلُ الأَرْضَ صَـبٌّ مُغْـرَمٌ عَلِقَـا بِكُـمْ وَذٰلِـك مِـنْ تَكْوِينِـهِ عَلَقَـا

حِلْـفُ الـصَّبابَةِ أَمَّـا قَلْبُـهُ فَـشَجٍ مِـنَ الفِـراقِ وَأَمَّـا جِـسْمُه فَلَقَـا

يَــشْتاقُكُمْ كُلَّــما هَبَّــتْ يَمانِيَــةٌ وَلا مُحالَــةَ أَنْ يَـشْتاقَ مَـنْ عَـشِقَا

بِـهِ مِـنَ البَـيْنِ مـا لَـوْ حَـلَّ أَهْوَنُـهُ يَوْماً بِمُعْظَمِ[٢] رَضْوَى هُدَّ أَوْ طَفِقَا

يـا هَـلْ تَعُـودُ أُوَيْقـاتٌ بِكُـمْ لِفَتًـى دُمُوعُــهُ خَــدَّدَتْ في خَــدِّهِ طُرُقَـا

اللهُ يَعْلَــمُ مــا إنْ عَــنَّ ذِكْــرُكُمُ إلَّا تَنــاثَرَ دُرُّ الــدَّمْعِ وَاسْــتَبَقَا

وَلا تَغَنَّــتْ عَــلَى غُــصْنٍ مُطَوَّقَــةٌ إلَّا أهاجَــتْ لِيَ الأشْــجانَ وَالأَرَقَـا

(١) في (س): «عند».

(٢) في (ظ): «بأركان».

يـا لَيْـتَ شِـعْرِيَ وَالأَيَّـامُ مُطْمِعَـةٌ وَالدَّهْرُ في عَكْسِ ما يَهْوَى الفَتَى خُلِقَا
هَلْ لِي إِلَى عَوْدِ أَوْقاتٍ بِكُمْ سَلَفَتْ رَجًـا فَـأَظْفَرُ بِاسْـتِرْجاعِ مـا افْتَرَقَـا
للهِ أَيَّامُنَــا وَالــشَّمْلُ مُجْتَمِــعٌ أَيَّــامَ لا فُرْقَــةً أَخْــشَى وَلا فَرَقَــا
وَإِذْ بِكُـمْ كـانَ عَيْشِي أَخْضَرًا نَضِرًا وأَسْـوَدُ[١] الليلِ منكُمْ أَبْيضاً يَقَقَا[٢]
يـا صـاحِبَيَّ فَـلا رُوِّعْـتُما بِنَـوًى وَعَـنْكُما ظَـلَّ جَفْـنُ الـدَّهْرِ مُنْطَبِقَـا
إِنْ جِئْـتُما الجـامِعَ الزَّاهِـي بِرَوْنَقِـهِ سَقاهُ مِنْ غادِياتِ السُّحْبِ ما غَدَقَا
مُيَمِّمَـيْنِ لَـهُ عُوجـا كَـذا كَرَمـاً لِنَحْـوِ قُبَّتِـهِ الـشَّمَّاءِ وَانْطَلِقَـا
فَبَلِّغَـا لِي سَـلاماً مَـنْ مَحَبَّتُـهُ لَمْ تُبْقِ[٣] لي مُنْذُ حَلَّتْ مُهْجَتِي رَمَقَا
وَخَـبِّرَاهُ بِـما أَلْقَـى بِعَيْـشِكُمَا مِنْ فَرْطِ لاعِجِ أَشْواقٍ أَتَتْ نَسَقَا
إِنِّي إِلَى ذٰلِكَ المَغْنَى المَشُوقُ كما أَشْتَاقُ صَحْبِيَ إِخوانَ الصَّفَا خُلُقَا
لا سِيَّما الأَرْوَعَ المَحْمُودَ سَيِّدَنا الـ ـمُسْكِتَ اللَّسِنَ المُطْرَى إذا نَطَقَا
طَوْراً تَرَاهُ بِكَأْسِ الحَمْدِ مُصْطَبِحاً وَتـارَةً مِـنْ سُـلافِ المَجْـدِ مُغْتَبِقَـا
يـا غَـائِبِينَ فَـلاَ عَهْـدِي بِمُنْتَقِضٍ مِنْكُمْ وَلا حَبْلُ وُدِّي وَاهِناً خَلَقَا
عَلَيْكُمُ مِنْ سَلامِي الجَمِّ أَعْطَرُهُ ما حَنَّ ناءٍ مَشُوقٌ قَلْبُهُ قَلِقَا
يَحْدُوهُ رِيحُ الصَّبَا وَهْناً لأَرْضِكُمُ يُزْرِي شَذاهُ بِرَيَّا المِسْكِ قَدْ عَبِقَا[٤]

[٥٤/أ] فأجابه أبو المعالي الطَّالُوِيّ كما سمعتُه منه يقول: [البسيط]

---

(١) في (ظ): «وسود».

(٢) أبيض يقق: شديد البياض.

(٣) في (ظ): «يبق».

(٤) سقط هذا البيت من (ظ).

وَافَـتْ فأَرَّجَـتِ الأَرْجـاءَ وَالأُفُقَـا أُمْنِيَّـةٌ مِـنْ شَـذَاها قُطْرُنَـا عَبِقَـا
وافَـتْ كَـأَنَّ الـصَّبَا باتَـتْ تُعَلِّلُهـا بِالـشِّحْرِ بَـيْنَ رِيـاضٍ طَلْعُهـا بَـسَقَا
أَمْ نَفْحَـةٌ مِـنْ رُبَـى دَارِيـنَ عـاطِرَةٌ أَهْـدَتْ لَنـا أَرَجاً جُنْحَ الـدُّجَى عَبِقَا
هَيْفـاءُ تَزْهُـو بِقَـدٍّ زانَـهُ هَيَـفٌ كَخُـوطِ بـانٍ غَـضِيضٍ مُثْمِـرٍ نَبَـقَا
تَرْنُـو إِلَيَّ بِطَـرْفٍ كُلُّـهُ حَـوَرٌ مَهْـمَا انْـبَرَتْ لِفُـؤادٍ هـامَ أَوْ عَـشِقَا
لَوْ شاهَدَ ابْنُ عُنَيْنٍ[1] حُسْنَ طَلْعَتِها لأَذْكَرَتْـهُ زَمانـاً يَبْعَـثُ الحَرَقَـا
أَوِ انْـبَرَتْ لِحَبِيـبٍ[2] وَهْـوَ ذُو لَـسَنٍ أَزْرَتْ بِـهِ وَكَـذا سَـحْبانُ[3] إِنْ نَطَقَـا
يـا حُـسْنَها حِـينَ زارَتْنـا مُحَـبَّرَةً قَـدْ نُظِّـمَ الـدُّرُّ فِي لَبَّاتِهـا نَـسَقَا
أَهْـدَتْ تَحِيَّـةَ وُدٍّ مِـنْ أَخِـي ثِقَـةٍ يُزْرِي شَذَاها بِرَيَّا المِسْكِ إِنْ عَبِقَا[4]
لا غَـرْوَ أَنِّي مَـشُوقٌ فِي الأَنـامِ لَـهُ فَـالحُرُّ يَـشْتَاقُ إِخْـوَانَ الـصَّفا خُلُقَـا
أَشْـتَاقُ رُؤْيَتَـهُ[5] الغَـرَّاءَ مـا طَلَعَـتْ شَـمْسُ النَّهـارِ وَأَبْـدَى صُبْحُهُ شَـفَقَا
وَكُلَّـمَا سَـحَراً هَبَّـتْ شَـآمِيَةٌ بِـسَفْحِ جِلِّـقَ أَوْ بَـرْقُ الحِمَـى خَفَقَـا

---

(١) هو محمد بن نصر الله بن مكارم ابن عنين الدمشقي (٥٤٩-٦٣٠) أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته في دمشق، كان هجاءً. ولكن ذا حرمة عند الملوك. (ج).

(٢) هو حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام الشاعر. (ج).

(٣) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي (ت: ٥٤/ ٦٧٤): خطيب فصيح يضرب به المثل، في البيان يقال: «أخطب من سحبان»، و«أفصح من سحبان». أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به. وأقام في دمشق أيام معاوية. وله شعر قليل وأخبار. انظر ترجمته: ثمار القلوب، ١/ ١٩٥؛ الأعلام، ٣/ ٧٩.

(٤) في (ظ): «فتقا».

(٥) في (ظ): «طلعته».

أَحْبَابَنَــا وَالَّـــذِي أَرْجُـــوهُ مُبْـــتَهِلاً بِـــأَنْ يُمَـــنَّ عَـــلَى مُـــضْنَاكُمُ بِلِقَـــا
مـــا إِنْ تَـــذَكَّرْتُ مَعْنًـــى راقَ لِي بِكُـــمُ إِلَّا وَرُحْـــتُ بِـــدَمْعِي جازِعـــاً شَرِقَـــا
وَلا شَدَتْ بِغِيَاضِ الغُـوطَتَيْنِ ضُـحًى وَرْقـــاءُ تَنْـــدُبُ إِلْفـــاً نازِحـــاً شَـــفَقَا
إِلَّا وَغاضَ اصْطِبارِي أَوْ وَهَى جَلَـدِي فَفـاضَ مِـنْ مُقْلَتَـيَّ الـدَّمْعُ وَانْطَلَقَـا
إِذْ جانِـبُ العَـيْشِ طَلْـقٌ رائِـقٌ بَهِـجٌ وَالدَّهْرُ قَدْ غَضَّ عَنَّا الجَفْنَ وَانْطَبَقَا
نَلْهُـو بِكُـلِّ كَحِيـلِ الطَّـرْفِ سـاحِرِهِ يُـــزْرِي بِغِـــزْلانِ عُـــسْفانٍ إِذَا رَمَقَـــا
لا سِـيَّما إِنْ غَـدَا بِالكَـأسِ مُـصْطَبِحاً أَوْ راحَ مِـــنْ وَلَـــهٍ بِالطَّـــاسِ مُغْتَبِقَـــا
لَيْتَ الزَّمـانَ الَّـذِي فِينا غَـدَاةَ قَـضَى[1] بِـشَتٍّ مَلْمُومِنَـا في الـدَّهْرِ مـا خُلِقَـا
يـا هَـلْ أُوَيْقاتُنَـا الـلَّاتِي بِكُـمْ سَـلَفَتْ تَعُـــودُ يَوْمـــاً فَـــأَحْيَى مِـــنْكُمُ بِلِقَـــا
عَلَيْـكَ مِنِّـي سَـلامُ اللهِ مـا بَقِيَـتْ صَـــبابَةٌ تَبْعَـــثُ الأَشْـــجَانَ وَالأَرَقَـــا
[٥٤/ب] تُهْدِيـهِ رِيـحُ النُّعَـامَى نَحْـوَ أَرْضِـكُمُ كَمِـسْكِ دَارِيـنَ يَـذْكُو كُلَّـمَا نُـشِقَا

---

(١) في (ظ): «مضى».

[١٩]
تَقِيُّ الدِّين بن مَعْرُوف[1]

سماءُ فضلٍ معروف، وغيثُ كرم ومعروف، رياضُ علمه أريضة، وساحة مجده عريضة، إذا لمس اليراع سجد في محراب طرسه شكراً، وماد بمدام مداده سكراً، فكم بليل حبره المسكي الأنفاس، يد بيضاء بيَّض الله بها وجه القرطاس، تُخَبِّرُ أنَّ المانَويَّة تكذِبُ. وله في علم النجوم مرتبة دونها الثريّا، إذا رامها سواه قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٨]. فلا زال ينمو[2] بأسرار السما، إذ صعِدها بخطوات أفكاره وسما، حتّى كأنّه اتّخذ جَداوِلَها له[3] سُلَّما، كما قيل[4]: [المنسرح]

أَعْلاكُمُ في السَّماءِ مَجْدُكُمُ ... فَلَسْتُمُ تَجْهَلُونَ ما جُهِلاَ

---

(١) محمد بن معروف الأسدي الرصَّاد تقي الدين (٩٣٢-٩٩٣ / ١٥٢٥-١٥٨٥): فلكي عالم بالحساب. من القضاة. ولد بدمشق وولي القضاء بنابلس، وتوفي بآستانة. له مؤلفات كثيرة. منها: «الدر النظيم في تسهيل التقويم»، و«ريحانة الروح في رسم الساعات على مستوى السطوح»، «الطرق السنية في الآلات الروحانية». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٥١؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٥٧؛ كشف الظنون، ص. ١/ ٣٥٣، ٢/ ١١١١؛ الأعلام، ٧/ ١٠٥؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٢٨٩.

(٢) في (ظ): «ينم».

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) البيتان لابن الرومي في ديوانه، ٣/ ١١١.

شَـافَهْتُمُ البَـدْرَ بِالـسُّؤَالِ عَـنِ الـ ـــأَمْرِ إلى أَنْ بَلَغْـتُمُ زُحَـلاَ(١)

ولما قدم الروم وجدّد الرصد لم يدر الفلك على مراده، وسعى به بما أدّى إلى خروجه عن دائرة سعده وإسعاده، فوَلِيَ القضا، وتقلّب منه بين سخط ورضا، إلى أن دارت عليه دوائر كان الفناء مركز مدارها، فحلَّ زاوية قبرٍ منفرجة له في أقطارها، وهكذا الدنيا بين يأسٍ وإطماع، بينا هي في شكلِ العروسِ بدتْ بشكل قطاع، وآثاره الفلكية، وتحريراته الهندسية، تدلُّ على علُوِّ كعبِه فيها، وترقّيه لسماء معاليها، وله منظوم ومنثور هو من خير الأمور، كقوله من قصيدة مدح بها أستاذه أبا الفتح [المالكي](٢): [الرجز]

يَـا كَعْبَـةً يَؤُمُّهَـا أُولُـو النُّهَـى وَسِـدْرَةَ الفَـضْلِ إِلَيْهَـا الْمُنْتَهَـى
لأَنْـتَ فِي العَـالَمِ فَـرْدٌ عَلَـمٌ بَـلْ أَنْـتَ كُـلُّ الخَلْـقِ عِلْـماً وَهُـدَى
وَالفَـضْلُ لَـمَّا قـالَ إنَّ مـالِكِي بِالـشَّامِ كُـلٌّ قَـدْ أَقَـرَّ بِـالوَلاَ
رُفِعْـتَ قَـدْراً وعَلَـوْتَ رُتْبَـةً وَفُـزْتَ بِالتَّقْـدِيمِ حـالَ الاِبْتِـدَا
وَفُقْـتَ أَهْـلَ الأَرْضِ بِـالعِلْمِ الَّـذِي أُوْتِيتَـهُ مَـوْلايَ مِـنْ رَبِّ الـسَّمَا [٥٥/أ]
يُـصْرَفُ لُـبُّ المَـرءِ تَحْـتَ لَفْظِـهِ إذْ يُعْـرَبُ الفَـضْلُ عَـلَى هٰـذَا البِنَـا

وقوله من أخرى: [الطويل]

صَبَاحُ الأَمـانِي فِي صَبَاحِ الثَّنَـا الفَـرْدِ تَجَلَّـتْ عَـلَى عَـرْشِ الجَلالَـةِ وَالحَمْـدِ
مَطَـالِعُ مَـا زَالَـتْ طَوَالِـعَ بِالـسَّنَا تُعَمِّـمُ آفَـاقَ المَكَـارِمِ بِالـسَّعْدِ

---

(١) زحل: أعظم الكواكب السيارة وأبعدها.

(٢) ستأتي ترجمته تحت الرقم [٢٤].

قلتُ: كنت في ديباجة عمري أتيتُ مدينة سلانيك، وبها حبر اليهود خواجا داود، وإليه رحلة بني إسرائيل وعليه معوّلهم، فلم أر له في الرياضيات ثانياً، ولا في الفلكيات مدانياً، مع مشاركته في أكثرالفنون، وظفره بما تُغلق له الرُّهون، وهو رفيقه في الرصد، وعليه في الوضعيات اعتمد، فلازَمْتُه سنةً لقراءة إقليدس وحلّ إشكاله.

وهو العلم الفرد[١] الذي لم يسمح الدهر بأضرابه وأشكاله، فكان يقول لي: تقي الدين لم يحلَّ المِجِسطي[٢]، وعلمه مغشوش فهو يصيب |عليه|[٣] طوراً، وطوراً يخطي، وبه وبالفاضل عبد الوهاب المعروف بـ: قوله لو[٤] زاده ذهبت آثار تلك العلوم من بلاد الروم.

---

(١) «العلم الفرد» ساقط من (ظ).

(٢) المِجِسطي: كلمة يونانية بمعنى الترتيب. أصله ماجستوس بمعنى البناء الأكبر. وهو أشرف ما صنف في الهيئة، بل هو الأم. ومنه يستخرج سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن. وهو كتاب لبطلميوس الفلوزي الحكيم يذكر فيه القواعد التي يتوصل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية. انظر كشف الظنون، ٢/ ١٥٩٤.

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) ساقط من (ظ).

[٢٠]
محمد بن الرُّومِيّ المعروف بِمَامَاي[1]

نزيل الشام وأحد أجنادها، وهو شاعر متوقّد جمرات الأفكار، متورّدُ وجنات الأزهار، متبسم ثغور الأنوار، وللهوى والبقاع، تأثير في الطباع، فهو وإن لم يغذ بلبان العربية، ولم يتفكّه بثمرةٍ لها غضّة جنية، لمجاورة أهل الشام اخضرَّ عُوده، وإن كان من بني الأصفر جدوده، فلذا صقل منه مرهف الطبع، على ما فيه من صدى العجم بالطبع، فأتى بما تستعذِبُهُ الأسماع، وتطرب به الأفكار بالسماع، وجيّدُهُ وإن قلَّ، فإن لم يكن ﴿وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، |يتحيَّرُ فيه التمثيل والتشبيه، ويذكر محاسن ابن الرومي طبعه النبيه|[2]. وأبو الفتح ناظم

---

(١) في (ظ): «محمد المعروف بماماي الرومي». هو محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بمامِيَّة الرومي (٩٣٠-٩٨٧ / ١٥٢٤-١٥٧٩): أصله من الروم. ولد في إسطنبول، وقدم دمشق وهو صغير، فلمَّا التحى صار إنكشارياً، وكان في تلك الحال يميل إلى الأدب، ونظم الشعر، ثم عزل عن الإنكشارية، فتولى الترجمة في بعض المحاكم، وصحب الشيخ أبا الفتح المالكي وبه تخرج بالأدب. اشتهر بموشحات وأزجال كان إليه المنتهى فيها. توفي بدمشق. وله ديوان شعر سماه «روضة المشتاق وبهجة العشاق». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٥٨؛ الكواكب السائرة، ٣/ ٥٠؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٥٥؛ إيضاح المكنون، ١/ ٤٩١؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦٠٦؛ ديوان الإسلام، ٤/ ١٤٢؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٢٧٥؛ الأعلام، ٦/ ٧؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٧٥.

(٢) زيادة من (ظ).

قلائده وماشطة [٥٥/ب] شعث[1] خرائده، وقد طالعتُ «ديوانه» مع ما فيه من الفتور، وفي بيوته الخالية من القصور، فمنه قوله: [الطويل]

سَمِعْتُ لِسانَ الحالِ مِنْ قَهْوَةِ الطِّلاَ ... تَقُولُ هَلُمُّوا وَاسْمَعُوا نَصَّ أَخْبَارِي
فَباسْمِي تَسَمَّتْ قَهْوَةُ البُنِّ فِي المَلاَ ... وَلٰكنَّها لَمْ تَحْكِ فَضْلِي وَأَخْمَارِي
فَمِنْ كِذْبِها قَدْ سَوَّدَ اللهُ وَجْهَها ... وَعَذَّبَها بَعْدَ الإهانَةِ بِالنَّارِ

أراد بالخمار نشوة الخمر؛ وقوله: [الكامل]

جُلِيَتْ عَرُوساً فِي عُقُودِ حَبَابِهَا ... فَفَدَيْتُ ظَبْياً بِالسُّرُورِ حَبَا بِهَا
طَلَعَتْ عَرُوساً تَنْجَلِي فِي كَأْسِها ... وَكَسا كُفُوفَ الغِيدِ نَقْشُ خِضَابِهَا
بِكْرٌ إذا باكَرْتَها لَكَ وَلَّدَتْ ... سِرَّ السُّرُورِ لَدَى حُضُورِ جَنَابِهَا
أَخَذَتْ مِنَ العَقْلِ النَّفِيسَ جَواهِراً ... مَهْراً لَها وَالنَّفْسُ مِنْ خُطَّابِهَا
راحٌ حَلاَلِي شُرْبُها فِي جَنَّةٍ ... وَالنَّصُّ فِي الجَنَّاتِ حِلُّ شَرَابِهَا

وهو من قول الأَرَّجاني[2]: [مجزوء الكامل]

كَأْسٌ مِنَ السِّحْرِ الحَلا ... لِ بِشُرْبِها[3] لِلْقَوْمِ سُكْرُ
فِي مَجْلِسٍ هُوَ جَنَّةٌ ... وَلِذاكَ فِيهِ تَحِلُّ خَمْرُ

وقوله: [الطويل]

يَقُولُ حَبِيبِي ما لِطَرْفِكَ أَحْمَرُ ... كَأَنَّكَ يا حَيْرَانُ فِي نَشْوَةِ الزِّيهِ
فَقُلْتُ لَهُ إِشْراقُ خَدِّكَ قَدْ بَدَا ... وَقابَلَهُ طَرْفِي فَخَيَّلَ فِيهِ

(١) في (س): «أشعة».
(٢) ديوانه، ٢/ ٧٤٣.
(٣) في الديوان: «لشربها».

و«الزِّيهُ» لفظةٌ عاميةٌ ولغةٌ ساسانِيَّةٌ، بمعنى الحشيشة ونشوتها.

ومن مختار ديوانه قوله: [الطويل]

وَلَـمَّا انْقَـضَى شَـهْرُ الـصِّيامِ بِفَـضْلِهِ تَجَلَّى هِـلالُ العِيدِ مِنْ جانِبِ الغَـرْبِ
كَحَاجِبِ شَيْخٍ شابَ مِنْ طُولِ عُمْرِهِ يُـشِيرُ لَنـا بِـالرَّمْزِ لِلأَكْـلِ وَالـشُّرْبِ

وهذا من قول العَقِيليّ[(١)]: [الكامل]

قُـــمْ هاتِهَـــا وَرْدِيَّـــةً[(٢)] ذَهَبِيَّـــةً تَبْـــدُو فَتَحْـــسَبُهَا عَقِيقـــاً ذَابَـــا
أَوَمــا تَــرَى حُـسْنَ الهِــلالِ كأَنَّــهُ لَـــمَّا تَبَــدَّى حاجِــبٌ[(٣)] قــد شَــابَا

[٥٦/أ] ولا يخفى ما فيه من النقد، ومن رسالة لي: شاب حاجب الهلال وما داناه[(٤)] كمالاً، واشتعل رأس الشمس[(٥)] شيباً[(٦)] ولم ترَ له مثالاً.

ومن محاسن ابن حيان المغربي[(٧)]: [المنسرح]

كَـــأَنَّما الفَحْـــمُ وَالرَّمـــادُ وَمـــا تَفْعَلُـــهُ النَّـــارُ فِـــيهِما لَهَبَـــا

---

(١) هو علي بن الحسين بن حيدرة بن محمد بن عبد الله بن محمد العقيلي (ت: نحو ٤٥٠/١٠٥٨): من سلالة عقيل بن أبي طالب. شاعر، من سكان الفسطاط بالقاهرة. اشتهر بإجادته التشبيه وإكثاره من الاستعارات البيانية. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٣/ ١٩؛ الأعلام، ٤/ ٢٧٩. والبيتان في فوات الوفيات، ٣/ ١٩.

(٢) في (ظ): «وردة».

(٣) في فوات الوفيات: «حاجبا».

(٤) في (ظ): «ناداه».

(٥) في (ظ): «الشيب».

(٦) ساقط من (ظ).

(٧) هو محمد بن عطية بن حيان الكاتب المعروف بابن حيان المغربي. انظر ترجمته: الوافي بالوفيات، ٤/ ٧١. والبيتان في الوافي بالوفيات، ٤/ ٧١.

شَـيْخٌ مِـنَ الـزَّنْجِ شـابَ مَفْرِقُـهُ عَلَيْـهِ دِرْعٌ مَنْـسُوجَةٌ ذَهَبَـا

ومنه قوله: [البسيط]

كَيْـفَ الـسَّبِيلُ إلى كَـتْمِ الغَـرَامِ إذا كـاتَبْتُكُمْ وأَرَدْتُ الـسِّرَّ يَنْكَـتِمُ
وقد غَدَا الطِّرْسُ بِـالوَجْهَيْنِ مُشْتَهِراً وبِاللِّـسانَيْنِ أَمْـسَى يُعْـرَفُ القَلَـمُ

و[منه][1] قوله أيضاً: [الطويل]

إذا دُفِـنَ الإنْـسانُ فِي الـرَّمْسِ بُرْهَـةً وَعاوَدْتَـهُ تَلْقـاهُ بـادٍ ثَنايَـاهُ
وَمـا ذاكَ إلَّا أَنَّـهُ مُتَبَـسِّمٌ عَـلَى كُـلِّ مَغْـرُورٍ بِـأَحْوالِ دُنْيَـاهُ

وفي «كتاب الإشارات»: إن الوليد يولد باكياً مقبوضَ الكفِّ، وهو إشارة لحرصه، فإذا مات فتحها إشارة إلى أنه خرج منها بغير شيء كما قيل في معناه: [الطويل]

وَفِي قَـبْضِ كَـفِّ الطِّفْـلِ عِنْـدَ وِلادِهِ دَلِيـلٌ عَـلَى الحِـرْصِ المُوَكَّـلِ بـالحَيِّ
وَفِي بَـسْطِها عِنْـدَ المَـماتِ إشـارَةٌ أَلاَ فَـانْظُرُوا أَنِّي خَرَجْـتُ بِـلا شَيِّ

وأصله كله قول ابن الرومي[2]: [الطويل]

لِـما تُـؤْذِنُ الـدُّنْيا بِـهِ مِـنْ صُرُوفِهـا يَكُـونُ بُكـاءُ الطِّفْـلِ سـاعَةَ يُولَـدُ
وَإلَّا فَـما يَبْكِيـهِ مِنْهـا وَإنَّـهُ[3] لأَوْسَـعُ[4] مِمَّـا كـان فِيـهِ وَأَرْغَـدُ

وأنشدني له بعض الأدباء ما عُزِي لغيره وهو معنى مشهور، والصحيح أنه

---

(١) زيادة من (ظ).
(٢) ديوانه، ١/ ٦٣٥.
(٣) في الديوان: «وإنها».
(٤) في الديوان: «لأفسح».

لابن العربي[١] |أو لغيره|[٢]: [الوافر]

رَأَيْــتُ الكائِنــاتِ خَيــالَ ظِــلٍّ مُحَرِّكُهــا هُــوَ الــرَّبُّ الغَفُــورُ
فَــصُنْدُوقُ اليَمِــينِ بُطُــونُ حَــوَّى وَصُــنْدوقُ الــشِّمالِ هُــوَ القُبُــورُ

والمشهور في هذا المعنى قوله: [الطويل]

وَإِنَّ خَيــالَ الظِّــلِّ أَكْــبَرُ عِــبْرَةً لِمَــنْ هُــوَ فِي طُــرْقِ الحَقِيقَــةِ رَاقِــي
شُــخُوصٌ وَأَشْــباحٌ تَمُــرُّ وَتَنْقَــضِي بِلَحْظَــةِ عَــيْنٍ وَالمُحَــرِّكُ بَــاقِي

[٥٦/ ب] وفي معناه قول بدر الدين بن الصاحب[٣] في الشطرنج: [الطويل]

تَأَمَّــلْ تَــرَ الــشِّطْرَنْجَ كَالــدَّهْرِ دُوْلَــةً نَهــاراً وَلَــيْلاً ثُــمَّ بُؤْســاً وَأَنْعُــمَا
مُحَرِّكُهــا بــاقٍ وَتَفْنَــى جَمِيعُهــا وَبَعْــدَ الفَنَــا تُحْيَــا وَتُبْعَــثُ أَعْظُــمَا

وله أيضاً[٤]: [الرجز]

وَبِرْكَــــةٍ راقَ العُيُــــونَ ماؤُهــــا نَــسِيمُها نَــشْرَ الغَــوالِي يُــرْخِصُ
كَــأَنَّ أَفْيــاءَ الغُــصُونِ ضِــمْنَها شُــخُوصُ ظِــلٍّ فِي الخَيــالِ تَــرْقُصُ

الشيء بالشيء يذكر، ما أحسن قول أسامة ابن منقذ[٥] في..............

(١) لم يرد البيتان في ديوانه.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) هو بدر الدين أحمد بن شرف الدين محمد بن فخر الدين محمد بن الصاحب بن حنا المصري المعروف بابن الصاحب (٧١٧-٧٨٨ / ١٣١٧-١٣٧٦): محدث فقيه لغوي، عارف بعلم البلاغة. اشتهر أيضا بتفوقه في معرفة لعب الشطرنج. من مؤلفاته: «مختصر التلخيص» للقزويني. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٨/ ٥١٦؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٤٨.

(٤) في (ظ): «وقال حسن بن حبيب الحلبي» بدلا من «وله أيضا».

(٥) هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (٤٨٨-٥٨٤ / =

الشطرنج[1]: [البسيط]

أُنْظُـرْ إلَى لاعِـبِ الـشَّطْرَنْجِ يَجْمَعُهَـا مُغالِبـاً ثُـمَّ بَعْـدَ الجَمْـعِ يَرْمِيهَـا
كَـالمَرْءِ يَكْـدحُ لِلـدُّنْيا وَيَجْمَعُهـا حَتـىَّ إذا مـاتَ خَلَّاهـا وَمـا فِيهَـا

= ١٠٩٥-١١٨٨): أمير، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر بقرب حماة، ومن العلماء الشجعان. له مؤلفات كثيرة، منها: «البديع في نقد الشعر»، و«المنازل والديار»، و«ديوان شعر».

انظر مصادر ترجمته: ديوانه (مقدمة)، ص. أ؛ وفيات الأعيان، ١/ ١٩٥؛ الأعلام، ١/ ٢٩١.

(١) لم يرد البيتان في ديوانه.

[٢١]
زين الدين بن الإشْعافي الحلبي[1]

فاضل ليّن العود ماجد الأعراق، حلو الشمائل عذب الأخلاق.

صحبني وهو يقطف أنوار التحصيل، وللمجد إلى علوه انتظارٌ وتأميل، فجاذبني أذيال المذاكرة، ونافثني في نادي المشاهدة والمحاورة، ورأسه كراسي، بين نمارق راحةٍ[2] وكراسي، ثم رأيته بعد ذلك بالروم مُتدرّعاً بالصلاح، مرتدياً بعد خلع رداء الخلاعة حلل الفلاح، فعرض عليَّ «شرحه للشفا»، وتأليفاً لطيفاً في العروض سرَّ به الخليل وشَفَى.

أنشدني له شعراً منه[3]: [الطويل]

كَتَبْتُ وَأَفْكارِي وَحَقِّكَ مُزِّقَتْ كَما كابَدَتْ[4] في الحُبِّ كُلَّ مُمَزَّقِ

---

(١) زين الدين بن أحمد بن علي بن الحسين الشافعي الحلبي المعروف بالإشعافي (ت: ١٠٤٢/ ١٦٣٢): أديب عروضي. ولد بحلب ونشأ بها. وأخذ عن جماعة. ولي نظر المدرسة الطرنطائية داخل باب الملك بحلب. ثم خرج إلى الروم ومكث بها، ثم دخل دمشق، واستقر بها، وانتفع به كثير من أهلها في العروض وغيره. من مؤلفاته: «بل الغليل في علم الخليل»، و«شرح الشفا للقاضي عياض». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا،١/ ١٦٥؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٨٩؛ ديوان الإسلام، ١/ ١٢٦؛كشف الظنون، ٢/ ١٠٥٤؛ هدية العارفين، ١/ ٣٧٩؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٢٤؛ الأعلام، ٣/ ٦٤؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٤١.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في ريحانة الألبا، ١/ ١٦٥؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٨٩؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٢٤.

(٤) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر، وإعلام النبلاء: «قد كابدت».

وَلَـوْ حُـمَّ لِي التَّوْفِيـقُ كُنْـتُ تَرَكْتُـهُ وَلٰكنَّنِـي أَصْـبَحْتُ غَـيْرَ مُوَفَّـقِ
إِذَا قِيلَ أَشْقَى النَّاسِ مَنْ بَاتَ ذَا هَوًى فَـلاَ تُنْكِـرَنْ هَـذاَ المَقَـالَ وَصَـدِّقِ

وهذا كقول الآخر[1]: [البسيط]

سَـأَلْتُها عَـنْ فُـؤادِي أَيْـنَ مَـسْكَنُهُ فَإِنَّـهُ ضَـلَّ عَنِّـي عِنْـدَ مَـسْرَاهَا
قالَـتْ لَـدَيَّ قُلُـوبٌ جَمَّـةٌ جُمِعَـتْ فَأَيُّهـا أَنْـتَ تَعْنِـي قُلْـتُ أَشْـقَاهَا

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ١٦٦؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٨٩؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٢٤.

[٥٧/أ]

[٢٢]

أبو بكر الجَوْهَرِيّ الشامِيّ[(١)]

شاعرٌ عذبُ الكلمات، حسَن الذات والسِّمات، عرائسُ أفكاره صِباح، وجوهر نَفثاته[(٢)] صِحاح. رأيته بمصر مرتدياً بُرد الشباب، المطرَّز بطراز المحاسن والآداب، وقد أسلم لدهره، في التجارة نقد عمره، وقد مرَّ ذكرُه فيما رأيته في كتاب «السوانح» لصاحبنا الطالُوِيّ، وأظُنُّه هذا بعينه.

ومن ملحه قوله في مليح اسمه داود، له رقيب فيه اسمه عمرو[(٣)]: [البسيط]

أُفَـدِّي غَـزالاً لَـهُ خـالٌ بِوَجْنَتِـهِ ... مَعْ عـارِضٍ شِبْهِ واوِ العَطْفِ مَمْدُودِ

كَـأَنَّما الخَـالُ فَـوْقَ الخَـدِّ يَحْرُسُـهُ ... حِـذارَ سِرْقَـةِ عَمْـرٍو وَاوَ دَاوُدِ

ونحوه قول ابن لؤلؤ[(٤)]: [الكامل]

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن علاء الدين محمد بن عمر البهرام آبادي الدمشقي المعروف بابن الجوهري (٩٦٨-١٠٣١ / ١٥٦٠-١٦٢٢): أديب شاعر، نشأ بدمشق، وتردد إلى مصر. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا،١/ ١٦٧؛ خلاصة الأثر، ١/ ٦٨؛ إيضاح المكنون، ١/ ٤٨٥؛ معجم المؤلفين، ١/ ٤٣٤. وانظر الترجمة رقم (١١) صفحة ١٥٦.

(٢) في ريحانة الألبا ١/ ١٦٧: وجوهري نفثاته.

(٣) في (ظ): «عمرا». والبيتان في ريحانة الألبا،١/ ١٦٧؛ وخلاصة الأثر، ١/ ٦٩.

(٤) هو يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي، بدر الدين (٦٠٧-٦٨٠ / ١٢١٠-١٢٨١): من شعراء الدولة الناصرية بدمشق، وتوفي بها. له ديوان شعر باسم «شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي». انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٤/ ٣٦٨؛ شذرات الذهب، ٧/ ٦٤٤؛ الأعلام، ٨/ ٢٤٦. والبيتان في ديوانه ٢٦.

قَدْ كُنْتُ جَلْداً فِي الخُطُوبِ إذا عَرَتْ لا تَزْدَهِينِي الغانِيَاتُ الغِيدُ
وَعَهِدْتُ قَلْبِي مِنْ حَدِيدٍ فِي الحَشَا فَألانَهُ بِجُفُونِهِ دَاوُدُ[1]

وللملك الناصر داود[2]: [الكامل]

مُنِّي بِطَيْفِكِ بَعْدَ ما مَنَعَ الكَرَى عَنْ ناظِرَيَّ البُعْدُ وَالتَّسْهِيدُ
وَمِنَ العَجائِبِ أنَّ قَلْبَكِ لَمْ يَلِنْ لِي وَالحَدِيدُ أَلانَهُ دَاوُدُ

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة سبأ (١٠): ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾. (ج).

(٢) هو داود بن عيسى الأيوبي (الملك الناصر) (٦٠٣-٦٥٦ / ١٢٠٦-١٢٥٨): صاحب الكرك، وأحد الشعراء الأدباء، ولد ونشأ بدمشق. من مؤلفاته: «ديوان شعر»، و«الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية». انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ١/ ٤١٩؛ شذرات الذهب، ٧/ ٤٧٥؛ كشف الظنون، ١/ ٨١٦؛ الأعلام، ٢/ ٣٣٤؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٠١. والبيتان في فوات الوفيات، ١/ ٤٢٧، وفيه «من لي بطيفك»؛ وريحانة الألبا، ١/ ١٦٨.

[٢٣]

شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي(١)

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ [الطارق: ١ - ٢]، لَهو في ميدان الفضائل وحَلْبة الشهباء سابق، وأيُّ سابق! وعصره كان مسك ختامها، وسحَرَ لَيالِيها وأصِيلَ أيامِها، حلّى معصمها بسوار أفضاله، وسقى حدائق كمالها بغوادي إقباله: [الكامل]

حَيْثُ الْتَقَى نَفَسُ الأَقَاحِي وَالصَّبَا وَتَرَنُّمُ الحَسْناءِ وَالوَرْقَاءِ

بحرُ نسيمٍ لطفُهُ بها فضلُ رِدائِهِ، ويتيه بها الآداب من خيلائه، وهو في تدريس وإفتا، وحساده يضربون الماء حتى.

وتآليفه وآثاره، ومنثوره وأشعاره ملءُ حقائب الركبان، [٥٧/ ب] بل حقائب الآذان والأذهان، وهي تمائم أجياد الأيام والليالي، وعقود صدور الفضائل والمعالي، إن نسجت حلل الآداب كانت طرازاً مُذْهبا، أو ذكرت العربية فلا تقيس بذلك الأَسَدَ ثعلباً(٢)، ....

(١) رضي الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن أبو عبد الله، المعروف بابن الحنبلي (٩٠٨-٩٧١ / ١٥٠٢-١٥٦٣): عالم أديب، مشارك في عدة علوم. ولد بحلب، ودخل دمشق وانتفع به جماعة، وحج، وتوفي بحلب. له مؤلفات كثيرة، منها: «در الحبب في تاريخ أعيان حلب»، و«الزبد والضرب في تاريخ حلب»، و«المصابيح» في الحساب، و«الدرر الساطعة» في الطب. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٦٩؛ الكواكب السائرة، ٣/ ٤٢؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٥٣٣؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٦٢؛ در الحبب، ١/ ٧م (دراسة المحققين)؛ الأعلام، ٥/ ٣٠٢؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٤٢.

(٢) هو أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (٢٠٠-٢٩١) إمام الكوفيين في النحو واللغة. (ج).

وله محاضراتٌ لو سمع بها الراغب[١] سعى لها راغباً، وخُطَبٌ لو رآها سَحْبان[٢] جاء لذيل خجلته ساحباً، فمن آثاره ونفثات أسحاره قوله مضمناً[٣]: [البسيط]

كُنَّا سَمِعْنا بِأَوْصافٍ كَمُلْتَ بِها ... فَسَرَّنا ما سَمِعْناهُ وَأَحْيانَا
وَقَبْلَ رُؤْيَتِكُمْ نِلْنَا مَحَبَّتَكُمْ ... (وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيانَا)[٤]

وفي معناه قولُ [صفي الدين] الحِلِّي[٥]: [الكامل]

وَهَوِيتُكُمْ قَبْلَ اللِّقاءِ بِكُمْ[٦] كَما ... تُهْوَى الجِنانُ بِطَيِّبِ الأَخْبَارِ

ومن شعره أيضاً قوله[٧]: [الدوبيت]

طَرْفاكَ كِلاهُما ضَعِيفٌ وَعَلِيلْ[٨] ... مِثْلِي وَأَنَا العَلِيلُ مِنْ أَجْلِ عَلِيلْ
مِنْ ضَعْفِي قَدْ صَرَفْتُ مَيْلِي لَهُما ... وَالجِنْسُ إلى الجِنْسِ كَما قِيلَ يَمِيلْ

وله أيضاً مضمناً[٩]: [الطويل]

حَمَى ثَغْرَهُ الضَّحَّاكَ صَمْصامُ جَفْنِهِ ... كَما صِينَ بِالتَّعْذِيرِ خَدٌّ مُوَرَّدُ
أَخَدَّ حَبِيبِي لا تَزِدْ زَرْدِيَّةً ... (فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكُ سَيْفٌ مُهَنَّدُ)[١٠]

---

(١) هو الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢) أديب من الحكماء العلماء. (ج).
(٢) تقدمت ترجمته في حاشية الصفحة (١٨٧).
(٣) في ريحانة الألبا، ١/ ١٧١؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٦٥.
(٤) العجز المضمن لبشار بن برد في ديوانه، ص. ٤١٥. صدره: «يا قَومِ أُذني لِبَعضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ».
(٥) لم يرد في ديوانه.
(٦) ساقط من (ظ).
(٧) في ريحانة الألبا، ١/ ١٧٢؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٦٦.
(٨) في (ظ): «وكليل».
(٩) في ريحانة الألبا، ١/ ١٧٢.
(١٠) عجز بيت، عزاه القالي في أماليه إلى جرير وليس في ديوانه. وصدره: «إذا كانتِ الهيجاء وانشقتِ العصا».

وقد نقل الضحاك من العلم ههنا إلى الوصف ولا يخفى لطفه.

وله من أبيات المعاني: [الكامل]

وَمُهَفْهَفِ الأَعْطافِ قُلْتُ لَهُ انْتَسِبْ فَأَجابَ ما قَتْلُ الُمحِبِّ حَرَاما(١)

يعني أنه تميمي لإعماله لـ«ما» التميمية، وقوله(٢): [الطويل]

يَقُولُونَ لِي وَالشَّيْبُ عاثَ بِلِحْيَتِي عِناقُكَ عَذْراءَ الحِمَى غَيْرُ جَائِزِ
أَعَنْ نارِ خَدَّيْها الَّذِي هُوَ(٣) مُنْيَتِي أَمِيلُ وَأَسْتَغْنِي بِبَرْدِ العَجَائِزِ

وقوله(٤): [الطويل]

قَوامُكَ يا بَدْرَ النُّحاةِ كَأَنَّهُ قَنًا أَوْ قَوامُ السَّرْوِ(٥) أَوْ أَلِفُ الوَصْلِ
وَعَيْنُكَ فاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ بِكُحْلِها فَما أَنْتَ إِلَّا زَيْدُ مَسْأَلَةِ الكُحْلِ

[٥٨/أ] وقوله(٦): [الطويل]

لَكُم هِمَمٌ نِلْتُمْ بِرَمْيِ شِباكِها مَرَامَكُمُ لَـمَّا قَطَعْتُمْ بِها البَيْدَا
وَعُدْتُمْ إِلَى المَغْنَى بِما نِلْتُمُ وَقَدْ تَوَلَّيْتُمُ صَيْداً فَكانَتْ لَكُمْ صَيْدَا

وله فصول قصار، منها قوله: إن تلق(٧) العناصر إلى كريم العناصر، لا تجعل الدنيا للآخرة ضرَّة، ومن ينكح أمَة على حرة. ما أخسَّ الكلب العوَّا، وإن صعد

(١) في (س): «حرام».

(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ١٧١-١٧٢؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٦٥.

(٣) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «هي».

(٤) في ريحانة الألبا، ١/ ١٧١-١٧٢؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٦٥.

(٥) في (ظ): «السرو».

(٦) في ريحانة الألبا، ١/ ١٧١-١٧٢؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٦٥.

(٧) في (س): «تلقى».

إلى السماك والعوَّا[١]. الصحة رأس المال، وربحها أحسن الأعمال. تذكر المواعظ صابون، لمن هُمْ بدَنس الأخلاق صابون. إذا كان النَّدى مات، فالسؤال أعظم الندامات.

ثم إني رأيتُ «ديوانه» بخطه، وطالعتُه. فمما كتبته من قوله: [مجزوء الرجز]

خُســـرانُنا فِي بَيْعِنَـــا وَالغَـــبْنُ لَـــمَّا نَـــشْتَرِي
خَـــيْرٌ لَنـــا مِـــنْ دُمَّـــلٍ يَـــدْعُو لِـضَرْبَةِ نَـشْتَرِ[٢]

وقوله: [الطويل]

يَقُولُـــونَ لِي إذا لاحَ رُمْـــحُ قَوامِـــهِ وَلَمْ يَـكُ فِي الأَحْـشَاءِ طَعْنَتُـهُ تُخْطـي
أَهَـــلْ أَلِــفُ الخَــطِّ المَلِــيحِ قَوَامُــهُ فَقُلْتُ أَجَلْ هاتِيكَ أَوْ أَلِفُ الخُطِّي[٣]

وله: [الرمل]

[كَيْـفَ أَخْلُـو عَنْـكَ أَوْ أَسْـلُو وَقَـدْ صِرْتُ جُثْماناً وَفِيـهِ أَنْـتَ رُوحْ][٤]
لا تَـــرُحْ عَنِّـــي وَتُـــرْضِي عـــاذِلِي أَنْـتَ رُوحِـي كَيْـفَ أَرْضَى أَنْ تَـرُوحْ

وقوله: [الطويل]

أَشــاعَ العِــدَا أَنِّي تَكَــدَّرْتُ مِــنْهُمُ وَمــا جِيَــفٌ مِنْهــا تُكَــدِّرُ أَبْحُــرَا
فَقُلْــتُ لَهُــمْ إِنِّي تُــرابٌ لَــدَيْكُمُ أُكَــدِّرُ مــا أَصْــفُو وَلا أَتَكَــدَّرَا[٥]

(١) العوا: نباح الكلاب، ويقال للنجم: العوَّاء، لأنه يطلع في ذنب البرد، فكأنه يعوي في أثره ويطرده، ولذلك تسميه العرب: طاردة البرد، يمد ويقصر.

(٢) ضربة نشتر: ضربة مشرط، ضربة سكين حادة.

(٣) في (ظ): «الخط».

(٤) هذان البيتان زيادة من (ظ).

(٥) لعلَّ الصواب: أكدر ما يصفو.

[٢٤]

أبو الفَتْح محمد بن عبد السَّلام المَغْرِبِيّ المالِكِيّ(١)

نزيل الشام، هو في بزة الفضل نسيج وحده، وفي الآداب مالكُ مُلْكٍ لا ينبغي لأحد من بعده، فضحت كلماتُهُ الغرّ، في لبات الطروس عقود الدُّرّ، أشرقت بالمغرب شموس علمه وآدابه، وزهى نوره وقد جرى في عوده ماء شبابه، فلمَّا أسفر جبينُ صباحه، وتلألأت في وجه الظفر غرَّة نجاحه، امتطى غارب همَّته، وعلا على سنام راحلته، يعتنق الآمال اعتناق وامق، ويخمش خدود الأماني تخميش الصَّبا للشقائق: [البسيط] [٥٨/ ب]

وَالـرِّيحُ يَجْذِبُ أَطْرافَ الغُصُونِ كَما   أَفْـضَى الـشَّقِيقُ إلى تَنْبِيـهِ وَسْـنَانِ(٢)

حتى ألقى بجِلِّقَ عصا تِسْياره، ونفض عن وجه عزمه قتير أسفاره، فأعلنت فيها ورق فصاحته بالصدح، وتلا على من تحدّاه سورة الفتح، فمضى بها دهراً

(١) محمد بن محمد بن عبد السلام، أبو الفتح الرَّبعيّ التونسي الخروبي المالكي (٩٠١-٩٧٥ / ١٤٩٥-١٥٦٧): نزيل دمشق. أحد الفضلاء والأعيان. كان فقيهاً أصولياً، وعلامة في النحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض، والمنطق، وأكثر العلوم العقلية والنقلية. وكان له الباع الطويل في الأدب ونقد الشعر. وشعره في غاية الحسن، إلا أنه كان متكيفاً يأكل البرش والأفيون، لا يكاد يصحو منه. ولي نيابة القضاء بالمحكمة الكبرى زمناً طويلاً مع الوظائف الدينية. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٧٤؛ تراجم الأعيان، ١/ ٢٤٩؛ الكواكب السائرة، ٣/ ٢١؛ سلافة العصر، ٣٩٧؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٥٥٦.

(٢) البيت لابن المعتز الديوان ١/ ٢٩٤، وفيه: تجذب أطراف الرداء. (ج).

ونَور الأدب لا يجتنى من غير أغصان أقلامه، ونُور الفضل لا يقتبس إلَّا من مشكاة كلامه، ولما تمكَّن في نادي القضاءِ واحتبى، أصبح به مذهب مالك مذهباً، فأنار به ليله الحالك، وتصرف فيه تصرف مالك، وسحبانُ في رياض فصاحته باقِل[١]، وأخلاقه لا يحاكيها شمول الشمائل؛ لكنه عاداه دهره، وصافاه فقره، فامترى صبابةَ عيشٍ لو أنها نومٌ ما شعرت بها الأحداق، واحتمل من أثقاله ما أوهى الصبر وأوهن الأعناق، ولم يزل كذلك حتى انسدَّ على الفتح بابُ حياته، ففتح الله له بكرمه وإحسانه، أبواب جناته، فسقاه رحيق غفرانه، ونزّه عيون رجائه في رياض جفانه.

فمن نظمه الذي حشا الأسماع سحراً، وملأ أفواهَ الرُّواة دُرًّا، قوله |في بدرٍ صاغ الباري من الماس عنصره، وصبح المشيب أهدى كافوره، بعدما استرد ليل الشباب عنبره|[٢]: [الخفيف]

بِأَبِي أَلْعَسَ المَراشِفِ أَحْوَى[٣] مائِسَ القَدِّ ناعِسَ الأجْفَانِ
سَرَقَ الجِيدَ وَاللِّحاظَ مِنَ الظْـ ـظَبْي وَلِينَ القَوامِ مِنْ غُصْنِ بَانِ
عَطَفَتْهُ الصِّبا إليَّ وَمالِي بِالصِّبا بَعْدَ ما تَراه يَدَانِ
فَتَحاشَيْتُ لَثْمَهُ خِيفَةَ الـ ـإثْمِ وَأَطْلَقْتُ مُقْلَتِي وَلِسَانِي
آهِ لَوْلا التُّقَى وَمُعْتَرَكُ الشْـ ـشَيْبِ لَطاوَعْتُ فِي الهَوَى شَيْطَانِي

(١) إشارة إلى المثل: أعيا من باقل. - من العي خلاف البيان - وباقل رجل إيادي اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فسئل عن الثمن، فأشار بأصابعه ودلع لسانه، فشرد الظبي. انظر جمهرة الأمثال ٢/ ٧٢ (ج).

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) في (ظ): «ألمى».

وقوله من قصيدة(١): [الكامل]

|رَشَأٌ كَحِيلُ الطَّرْفِ مَعْسُولُ اللَّمَى عَـــذْبُ المَرَاشِــفِ آخِــذٌ بِعِنَاقِــهِ
يَفْــتَرُّ عَــنْ نَظْــمِ الثُّرَيَّــا ثَغْــرُهُ وَيَنُــوءُ بِــالجَوْزَاءِ تَحْــتَ نِطَاقِــهِ
كَالغُــصْنِ فِي حَرَكَاتِــهِ وَالظَّبْــيِ فِي لَفَتَاتِــهِ وَالبَــدْرِ فِي إِشْرَاقِــهِ|(٢)
حَــازَ الجَــمالَ بِــأَسْرِهِ فَمُحِبُّــهُ فِي أَسْرِهِ لَمْ يَــرْضَ حَــلَّ وَثاقِــهِ
قَسَــماً بِصُبْحِ جَبِينِهِ لَوْ زارَ فِي جُـنْحِ الـدُّجَى وَسَـعَى إِلَى مُـشْتاقِهِ
لَفَرَشْــتُ خَــدِّي بِــالجُفُونِ(٣) مُقَــبِّلاً بِفَــمِ الجُفُــونِ مَــواطِئَ اسْــتِطْراقِهِ
|وَوَهَبْتُ مَـا مَلَكَـتْ يَـدِي لِمُبَشِّرِي بِلِقَــاءِ حَــضْرَةِ مُــنْعِمٍ بِوِفَاقِــهِ
وَشَكَرْتُ سَعْيَ غَـزَال سِرْبِ زِيَـارَتِي حِــينَ الغزالــة آذَنَــتْ بِلِحَاقِــهِ
وَرَشَـفْتُ عَـذْبَ رُضَـابِهِ بِـاللَّحْظِ لا بمــسيسٍ(٤) مَبْــسَمِهِ ولا بِمَذَاقِــهِ|(٥)
[٥٩/أ] وَصَـفَحْتُ عَـنْ زَلَّاتِ دَهْـرِي كُلِّهـا وَعِنَــادِهِ فِــيما مَــضَى وَشِــقاقِهِ

وقوله: «فم الجفون» إغراب بديع، ومثله قوله في أُرْجُوزته: [الرجز]

تَكَــادُ مِــنْ عُذُوبَــةِ الأَلْفَــاظِ تَــشْرَبُها مَــسامِعُ الحُفَّــاظِ

ومنه قول|إبراهيم|(٦) الغَزِّي: [الكامل]

---

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ١٧٦ باستثناء الأبيات الثلاثة الأولى والثلاثة الأخيرة؛ و في الكواكب السائرة، ٣/ ٢٣ باستثناء البيت الثالث والرابع والأخيرين.

(٢) هذه الأبيات الثلاثة زيادة من (ظ).

(٣) في (ظ)، وفي ريحانة الألبا، وفي الكواكب السائرة: «في الطريق».

(٤) في (ظ): لا يميس. وأثبت ما أظنه مناسباً للمعنى والوزن.

(٥) هذه الأبيات الثلاثة زيادة من (ظ).

(٦) زيادة من (ظ). والبيت في ديوانه ٣٥٨.

وَتَغَـــيُّرُ المُعْتَـــادِ يَحْـــسُنُ بَعْـــضُه لِلْـــوَرْدِ خَـــدٌّ بِـــالأُنُوفِ يُقَبَّـــلُ

وفي معناه ما أنشدنيه الطالُوِيّ لنفسه[1]: [الطويل]

أَرُودُ بِلَحْظِـي[2] وَرْدَ خَدَّيْـهِ والـذي جَنَـى لَحْظُـهُ وَرْدَ الخُـدُودِ فـما أَخْطَـا

وأَرْشَـــفُ بالألحـــاظِ خَمْــرَةَ رِيقِـــه لأنِّي امْرُؤٌ[3] آلَيْتُ لا ذُقْتُ إِسْفَنْطا[4]

ومنه قول البُحْتُري[5]: [البسيط]

تُفّـــاحُ خَـــدٍّ إذا احْمَـــرَّت محَاسِنُـــهُ مُقَبَّـــلٌ بِخَفِـــيِّ اللَّحْـــظِ مَعْـــضُوضُ

وقول ابن الرومي[6]: [مجزوء الكامل]

عَـــذْبٌ خَلائِقُـــهُ تَكـــا دُ[7] مِنَ العُذُوبَـةِ تُـشْرَبُ

وقول ابن خفاجة[8] |الأندلسي|[9]: [المجتث]

وَأَهْيَـــفٍ قـــامَ يَـــسْعَى وَالـــسُّكْرُ يَعْطِـــفُ قَـــدَّهْ

يَكـــادُ[10] يَـــشْرَبُ نَفْـــسِي وَكِـــدْتُ أَشْرَبُ خَـــدَّهْ

---

(١) في سانحات دمى القصر، ١/ ٣١٢.

(٢) في سانحات دمى القصر: «أرود بعيني».

(٣) في سانحات دمى القصر: «فإني فتى».

(٤) الإسفنط: بالكسر وتفتح الفاء. المطيب من عصير الفاكهة أو العنب، أو ضرب من الأشربة، أو على الخمر. سميت بذلك لأن الدنان تسفطتها: أي تشربت أكثرها، أو من السفيط للطيب للنفس.

(٥) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

(٦) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

(٧) في (ظ): «يكاد».

(٨) ديوانه، ص. ٣٥٤.

(٩) زيادة من (ظ).

(١٠) في الديوان: «فكاد».

وقول الأرَّجاني(١): [الخفيف]

ورَشَـفْنَا(٢) مُـدامَ نَظْـمٍ ونَثْـرٍ ... مِـنْ كُـؤُوسٍ تُـشْرَبْنَ(٣) بِـالآذَانِ

ومن قصيدة له: [السريع]

إِنْ قَطَـعَ الـسَّيِّدُ عَـنْ عَبْـدِهِ ... مـا كـانَ قَـدْ رَتَّـبَ مِـنْ رِفْـدِهِ

فَالعَبْـدُ لَمْ يَقْطَـعْ دُعـاءً لَـهُ ... رَتَّبَـهُ كَـالجُزْءِ مِـنْ وِرْدِهِ

وَلا ثَنـاءً حَـسَناً نَـشْرُهُ ... كَالمِـسْكِ وَالعَنْـبَرِ في نَـدِّهِ

أَوْ كَرِيـاضٍ راضَـها وابِـلٌ ... فَابْتَـسَمَ اليـانِعُ مِـنْ وَرْدِهِ

وَانْتَظمَـتْ مِـنْ نَثْـرِ أَزْهارِهـا ... جَـواهِرُ الأَنْـداءِ في عِقْـدِهِ

وَهْـوَ غَنِـيٌّ عَـنْ ثَنـاءِ امْـرِىءٍ ... ظَـلَّ كَلِيـلَ الـذِّهْنِ مِـنْ فَقْـدِهِ

إِذْ مَهَّـدَ الحَـقُّ لَـهُ رُتْبَـةً ... عَظِيمَـةً مُـذْ كـانَ فِي مَهْـدِهِ [٥٩/ب]

وَنـالَ مـا شـاءَ مِـنَ المَجْـدِ لا ... بِـسَعْيِ إِنْـسانٍ وَلا كَـدِّهِ

فَهْـوَ عـلِيٌّ لا بِمَـدْحِ الـوَرَى ... لَـهُ وَلٰكِـنْ بِـسَنَا سَـعْدِهِ

وَإِنَّـما أَوْجَـبَ مَـدْحِي لَـهُ ... تَتَـابُعُ الـنَّعْماءِ مِـنْ عِنْـدِهِ

وَمـا حَبـاهُ الحَـقُّ سُـبْحانَهُ ... مِـنَ العُـلا الناشِـئِ عَـنْ جَـدِّهِ

وَالعِلْمُ وَالتَّحْقِيقُ وَالفَهْمُ وَالتْـ ... ـتَوْفِيقُ وَالتَّـدْقِيقُ مِـنْ قَـصْدِهِ

وَالـشُّكْرُ لِلْمُـنْعِمِ فَـرْضٌ بِـهِ ... يَـأْمَنُ ذُو الإِيْـمانِ مِـنْ طَـرْدِهِ

وَفِيـهِ لا شَـكَّ مَزِيـدٌ لِمَـنْ ... لازَمَـهُ وَالكُـلُّ مِـنْ عِنْـدِهِ

هٰـذا وَإِنَّ العَبْـدَ يَبْغِـي الرِّضـا ... فِي قُرْبِـهِ الأَقْـرَبِ أَوْ بُعْـدِهِ

(١) ديوانه، ٣/ ١٤٩٧.

(٢) في الديوان: «تتعاطى».

(٣) في الديوان: «يشربن».

سِيَّانِ فَقْرٌ وَغِنًى عِنْدَهُ ... لِما هُوَ المَعْرُوفُ مِنْ زُهْدِهِ
وَما تَصَدَّى لِصَدَى حالَةٍ ... قَبِيحَةٍ تُفْضِي إِلَى صَدِّهِ
سِوَى لُزُومِ البَيْتِ مُسْتَوْحِشاً ... مِنَ الوَرَى حَتَّى ذَوِي وُدِّهِ
مُشْتَغِلاً بِالعِلْمِ مُسْتَغْرِقاً ... أَوْقاتَهُ فِيهِ وَفِي سَرْدِهِ
قَدْ لَزِمَ العُزْلَةَ لٰكِنَّهُ ... لِصَحْبِه باقٍ عَلَى عَهْدِهِ
أَقْسَمَ لا يَبْرَحُ مِنْ بَيْتِهِ ... حَتَّى يُوارَى فِي ثَرَى لَحْدِهِ
إِنْ ماتَ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ دِرْهَماً ... يَحُوزُهُ الوارِثُ مِنْ بَعْدِهِ
وَلا أَثاثاً لا وَلا مَلْبَساً ... يَصْلُحُ لِلْبَيْعِ سِوَى بُرْدِهِ
وَطَيْلَسانٍ خَلَقٍ دَمْعُهُ ... مِنْ عُنْقِهِ يَجْرِي عَلَى خَدِّهِ
وَلَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ شَيْئاً إذا ... فارَقَهُ يَأْسَى عَلَى فَقْدِهِ
غَيْرَ بَقايا كُتُبٍ رَثَّةٍ ... أَكْثَرُها قَدْ ماتَ فِي جِلْدِهِ
تُباعُ[1] فِي تَجْهِيزِهِ بَعْضُها ... وَالبَعْضُ وَقْفٌ لا عَلَى وُلْدِهِ
هٰذا لَعَمْرِي عَرْضُ حالِي عَلَى ... مَنْ أَجْمَعَ النّاسُ عَلَى حَمْدِهِ
لا بَرِحَتْ أَعْتابُهُ قِبْلَةً ... يَؤُمُّها العافونَ مِنْ وَفْدِهِ
ما هَطَلَتْ أَنْمُلُه بِالنَّدَى ... مِنْ راحَةٍ كَالبَحْرِ فِي مَدِّهِ [٦٠/أ]

وقوله: «في سرده»، السرد نَسْج[2] الدرع، وتتابع الكلام، وتعداد الأشياء، والعامة تستعمله في النُّعاس قاعداً وهو المراد. و«قد مات في جلده» يقال لمن سكن من الحياءِ[3] والخوف، وفي معناه قولهم للمفلوج: حبسه الله في جلده، ويقال

(١) في (ظ): «يباع».
(٢) في (ظ): «نسيج».
(٣) في (ظ): «الحياة».

«مات في جلده»، وفي معناه «حتف أنفه»، ويقال: أول من تكلم به النبي ﷺ[١]، وفيه كلام، وانتصاب حتف أنفه على الحال لا على المصدرية، مثل تبسّمت وميض البرق كما توهم، وتحقيقه «كان حتفه بأنفه»، أي بالأنفاس الخارجة من عند نزع الروح، لا دفعة واحدة، يقال: خص الأنف به؛ لأن من جهته ينقضي الرمق.

وهو من قول ابن نُباتة المصري[٢]: [السريع]

لله مَجْمُـــوعٌ[٣] لَـــهُ رَوْنَـــقٌ كَرَوْنَـقِ الحَبَّـاتِ فِي عِقْـدِهَا
كـادَتْ تَـصانِيفُ الـوَرَى عِنْـدَهُ تَمُـوتُ لِلْخَجْلَـةِ[٤] فِي جِلْـدِهَا

وأنشدني له أبو المعالي[٥] الطالوي: [الخفيف]

مَرْحَبـاً بِـالحِمامِ سـاعَةَ يَطْـرَا وَلَـوِ ابْتَـزَّ مِـنْ مَـدَى العُمْـرِ[٦] شَـطْرَا
حبَّـذَا الارْتِحـالُ عَـنْ دارِ سُـوءٍ نَحْـنُ فِيهـا فِي قَبْـضَةِ الأَسْرِ[٧] أَسْرَى
وَإذا مـا ارْتَحَلْـتُ يـا صـاحِ عَنْهـا لا سَـقَى اللهُ بَعْـدِيَ الأَرْضَ قَطْـرَا

وهو كقول أبي فراس[٨] الحمداني: [الطويل]

---

(١) قال عبد الله بن عتيك: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «.. ومن مات حتف أنفه». قال: إنها لكلمة ما سمعتها من أحدٍ من العرب قبل رسول الله ﷺ «فقد وقع أجره على الله تعالى». انظر مسند الإمام أحمد ٢٦/ ٣٤٠، والمستدرك ٢/ ٨٨، والسنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٦٦. (ج).

(٢) ديوانه، ١٧١-١٧٢.

(٣) في الديوان: «تصنيف».

(٤) في الديوان: «للهيبة».

(٥) في ريحانة الألبا، ١/ ١٨٣؛ والكواكب السائرة، ٣/ ٢٦؛ وتراجم الأعيان، ١/ ٢٥٢.

(٦) في ريحانة الألبا: «مني العمر».

(٧) في الكواكب السائرة: «القهر».

(٨) ديوانه، ١/ ٢٠٩.

أَراكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ أَما لِلهَوَى نَهيٌ عَلَيكَ وَلا أَمْرُ

منها[١]:

مُعَلِّلَتِي بِالوَعْدِ[٢] وَالمَوْتُ دُونَهُ إذا مِتُّ عَطْشاناً[٣] فَلا نَزَلَ القَطْرُ

ولي في مطلع قصيدة[٤]: [السريع]

إِنْ لَمْ تُبَرِّدْ لِي الصَّبا غُلَّهْ فَلا شَفَى اللهُ لَها عِلَّهْ

وأنشدني له أيضاً؛ |وهو وهم وغلط؛ والأبيات لأبي الحسين الجزار|[٥]: [مجزوء الكامل]

مَنْ لِي بِرَدِّ مَعاشِرٍ كَثُرُوا عَلَيَّ وَأَكْثَرُوا

صادَقْتُهُمْ وَأَرَى الخُرُو جَ مِنَ الصَّداقَةِ يَعْسُرُ [٦٠/ب]

كَالخَطِّ سَهْلٌ فِي الطُّرُو سِ وَمَحْوُهُ يَتَعَذَّرُ

وَإذا أَرَدْتَ كَشَطْتَهُ لٰكِنَّ ذاكَ يُؤَثِّرُ

وله في معناه أيضاً: [الطويل]

وَيُمْكِنُ وَصْلُ الحَبْلِ مِنْ بَعْدِ قَطْعِهِ وَلٰكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ أَثَرُ الرَّبْطِ

وأحسن منه قولي في نثر، «أنت وإن وصلت بعد القطع حبل المودة، فقد بقي أثر ذلك في القلب عقدة».

وكتب للقاضي معروف وقد أهدى له ملبوساً: [الكامل]

---

(١) ديوانه، ١/ ٢١٠.

(٢) في الديوان: «بالوصل».

(٣) في الديوان: «ظمآنا».

(٤) في ريحانة الألبا، ١/ ١٨٣.

(٥) هو كما قال (وهم وغلط)، والأبيات في المرقصات والمطربات لابن سعيد الأندلسي ٣٢. (ج) وما بين عمودين زيادة من (ظ).

مَخْـــدُومُنا قـــاضِي قُـــضاةِ مَـــدِينَتِي   صَـــفَدٍ أحَـــقُّ النّـــاسِ بِالتَّفْـــضِيلِ
العَـــالِمُ الحَـــبْرُ الَّـــذِي مَعْرُوفُـــهُ   تُـــزْرِي زِيادَتُـــهُ بِبَحْـــرِ النِّيـــلِ
أَهْـدَى لِنَحْـوِي مِـنْ مَخِـيطِ ثِيابِـهِ   جُمَـــلاً فَأَغْنَـــانِي عَـــنِ التَّفْـــصِيلِ

«والتفصيل» عند المولدين قطع الثياب للخياطة ففيه إيهام، كقول ابن نُباته المصري[١]: [البسيط]

كَـمْ جُمْلَـةٍ وَصَـلَتْ لِي مِـنْ نَـدَاكَ وَكَـمْ   تَفْـصِيلَةٍ أَلْبَـسَتْنِي أَجْمَـلَ الحُلَـلِ
حَتَّـى لَقَـدْ غَـدَتِ الْمُـدَّاحُ حـائِرَةً[٢]   بَـيْنَ التَّفاصِـيلِ مِـنْ نُعْـماكَ وَالجُمَـلِ

وأنشدني له أيضاً في الكيميا واصطلاح أهلها: [البسيط]

قَدْ نَكَّسَ الرَّأْسَ أَهْلُ الكِيمِيَا خَجَلاً   وَقَطَّـرُوا أَدْمُعـاً مِـنْ بَعْـدِ مـا سَـهِرُوا
إِنْ طـالَعُوا كُتُبـاً لِلـدَّرْسِ بَيْـنَهُمُ   صارُوا مُلُوكاً وَإِنْ هُمْ جَرَّبُـوا افْتَقَـرُوا
تَعَلَّقُـوا بِحِبـالِ الـشَّمْسِ مِـنْ طَمَـعٍ   وَكَـمْ فَتًـى مِـنْهُمُ قَـدْ غَـرَّهُ القَمَـرُ

والغاية في هذا المعنى قولي: [الكامل]

مَـوْلايَ مِثْـلُ الكِيمِيَـاءِ وَلَـيْسَ مِـنْ   إكْـــسِيرِهِ نَفْـــعٌ لِكَـــسْرِي جَـــابِرُ
فَـــإذا تَـــصَوَّرْناهُ فَهْـــوَ لَنَـــا غِنًـــى   وَإذا نُجَرِّبُـــــهُ فَفَقْـــــرٌ حَـــــاضِرُ

ومن شعره في أحدب، هو أُتْرُجَّةُ[٣] الظرفاء، وكرة ميدان اللهو بين الندماء: [السريع]

إذا غَفَـــــرَ اللهُ ذَنْــــبَ امْــــرِئٍ   فَـــلا غُفِـــرَتْ زَلَّـــةُ الأَحْـــدَبِ

(١) ديوانه، ص. ٤١٧.

(٢) في الديوان: «لقد غدت فكر الأمداح جائزة».

(٣) أترجة: ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب.

[٦١/أ] شَـــدِيدُ النِّكايَـــةِ مَـــعْ ضَـــعْفِهِ قِياســـاً عَـــلَى إِبْـــرَةِ العَقْـــرَبِ

وقد مرَّ ما للشعراء فيه(١)، ولنُورد ههنا تتميماً للفائدة قول الأسعد بن مماتي(٢) في أُتْرُجَّةٍ: [السريع]

لله بَـــلْ لِلْحُـــسْنِ أُتْرُجَّـــةٌ تُـــذَكِّرُ النَّـــاسَ بـــأَمْرِ النَّعِـــيمْ

كَأَنَّهـــا قَـــدْ جَمَّعَـــتْ نَفْـــسَها مِـــنْ هَيْبَـــةِ الفاضِـــلِ عَبْـــدِ الـــرَّحِيمْ

ولا يخفى لطفه وهو كما قيل في زهر البان إنه كأذناب سنانير نفشها لرؤية القاضي وهو مشهور(٣).

ومن شعره وقد وعد بتاسومة وهي نَعل معروف: [الخفيف]

رُبَّ تاسُـــومَةٍ بِهـــا قَـــدْ وُعِـــدْنا فَـــإذا قُرْبُهـــا مِـــنَ الـــنَّجْمِ أَبْعَـــدْ

رَبِّ يَـــسِّرْ حُـــصُولَها لِمُحِـــبٍّ عَلَّـــهُ بِـــالكَمالِ يَرْقَـــى ويَـــصْعَدْ

عَمـــلاً فِي الـــوَرَى بِقُـــولِ حَكِـــيمٍ ضَـــعْ مَكـــانَ الـــسَّعِيدِ رِجْلَـــكَ تَـــسْعَدْ

وهذا مَثَلٌ مُوَلَّدٌ، وهو في معنى قول الدِّلاَص(٤): [الخفيف]

وَإذا سَـــخَّرَ الإِلٰـــهُ سَـــعِيداً لأُنـــاسٍ فَـــإِنَّهُمْ سُـــعَدَاءُ

---

(١) انظر صفحة ٨٤.

(٢) هو أسعد بن الخطير مهذب بن مينا بن زكريا بن مماتي، أبو المكارم (٥٤٤-٦٠٦ / ١١٤٩-١٢٠٩): كاتب أديب، شاعر مشارك في أنواع من العلوم. أصله من نصارى أسيوط بصعيد مصر. تولى رئاسة الديوان بالديار المصرية، والقضاء، وتولى بحلب. من مؤلفاته: «ديوان شعر»، و«كتاب سر الشعر»، و«قوانين الدواوين». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ١/ ٢١٠؛ معجم الأدباء، ٢/ ٦٣٥؛ سير أعلام النبلاء، ١/ ١٠٨٣؛ شذرات الذهب، ٧/ ٣٨.

(٣) قلت (ج): قال أبو جلنك [الوافي بالوفيات ٦/ ٢٧٣] في قاضي القضاة وهو ابن خلكان:

والبـــان تحـــسبُهُ ســـنانيراً رأت قـــاضي القـــضاة فنفـــشت أذنابهـــا

(٤) الدِّلاصي: هو البوصيري (الأباصيري)، والبيت في ديوانه ٥١.

ومن كلام أمير المؤمنين(١) علي بن أبي طالب(٢) كرَّم الله وجهه: صاحبْ من أقبل جده تسعد.

ولأبي العتاهية في نحوه(٣): [الكامل]

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِها لِتَلْبَسَها(٤) قَدَمٌ بِها تَسْعَى(٥) إلَى المَجْدِ
لَوْ كانَ يَصْلُحُ أَنْ أُشَرِّكَها خَدِّي جَعَلْتُ شِراكَها خَدِّي

ولابن هانئ الأندلسي في قبقاب، وهو نعل من الخشب معروف، وهو عاميّ وهو في نفسه أيضا مُحْدَثٌ كما ذكره الزاهدي(٦): [الخفيف]

كُنْتُ غُصْناً بَيْنَ الرِّياضِ رَطِيباً مائِسَ العِطْفِ مِنْ غِناءِ الحَمَامِ
صِرْتُ أَحْكِي عِداكَ فِي الذُّلِّ إذْ صِرْ تُ بِرَغْمِي أُدَاسُ بِالأَقْدَامِ

ومن شعره يذكر معاهداً بها نيطت تمائمه، وغردت على عود الشباب حمائمه، ويندب إخوانه ويتذكر أوطاره وأوطانه: [الطويل]

سَلُوا البارِقَ النَّجْدِيَّ عَنْ سُحْبِ أجْفَاني وَعَمَّا بِقَلْبِي مِنْ لَواعِجِ نِيرَانِ
وَلا تَسْأَلُوا غَيْرَ الصَّبا عَنْ صَبابَتِي وَشِدَّةِ أَشْواقِي إِلَيْكُمْ وَأَشْجَانِي
[٦١/ب] فَمالِي سِواها مِنْ رَسُولٍ إِلَيْكُمُ سَرِيعِ السُّرَى فِي سَيْرِهِ لَيْسَ بِالوَانِي

---

(١) ساقط من (ظ) اعتبارا من «أمير».

(٢) ساقط من (ظ) اعتبارا من «بن».

(٣) ديوانه، ص. ١٤٠.

(٤) في الديوان: «ليلبسها».

(٥) في الديوان: «يمشي».

(٦) لم أقف على ترجمته. والبيتان في ديوان ابن هانئ ٣٩٢، ونزهة الأنام لابن البدري ٣١٤.

فَيا طالَ بِالأَسْحارِ ما قَدْ تَكَلَّفَتْ   بِأَنْفاسِ[1] مَحْزُونٍ وَإيقاظِ وَسْنَانِ
وَتَنْفِيسِ كَرْبٍ عَنْ كَئِيبٍ مُتَيَّمٍ   يَحِنُّ إلَى أَهْلٍ وَيَصْبُو لأَوْطانِ
فَلِلَّهِ ما أَذْكَى شَذَا نَسْمَةِ الصَّبا   صَباحاً إذا مَرَّتْ عَلَى الرَّنْدِ وَالبَانِ
فَكَمْ نَحْوَكُمْ حَمَّلْتُها مِنْ رِسالَةٍ   مُدَوَّنَةٍ فِي شَرْحِ حالِي وَوِجْدَانِي
وَناشَدْتُها بِاللهِ إلَّا تَفَضَّلَتْ   بِتَبْلِيغِ أَحْبَابِي السَّلامَ وَجِيرانِي

وقد نحا في مطلعه نحو قول ابن مليك[الحموي][2] في قصيدة له: [الطويل]

سَلُوا فاتِرَ الأَجْفاَنِ عَنْ كَبِدِي الحَرَّى   وَعَنْ دُرِّ أَجْفَانِي سَلُوا العِقْدَ وَالنَّحْرَا
مَلِيحٌ إذا ما رُمْتُ عَنْهُ تَصَبُّراً   يَقُولُ الهَوَى لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرَا[3]

وهو ممن أدركه أبو الفتح، لأنه كان من المعمَّرين وهو؛

(١) الديوان ١٤٥، وفي (ظ): «بإنعاش».

(٢) ستأتي ترجمته تحت الرقم [٢٥].

(٣) إشارة إلى قول الخضر عليه السلام لموسى صلى الله عليه وعلى نبيِّنا محمد وآله في سورة الكهف (٦٧): ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (ج).

[٢٥]
عَلاءُ الدين بن مَلِيك[١] [الحموي][٢]

شاعر حماة، ومن كلأ بها سَرْحَ الأدب وحماه.

رآه أبو الفتح [المالكي] المذكور وقد رقى شرف العمر وسما، وهو بحانوته يبيع الأقسما، وأقلامه على جداول الطروس ميالة، تسيل على وجه دوحها الزاهر ظلاله، بل لواء عقده ملك الكلام، أو عمود نصب عليه من السحر خيام، وهو يخلب الأسماع بسحره، ويظهر حلاوة صناعته على لسان شعره، ثم رفعته حرفة الأدب عن حضيض دكّانه، إلى أن صار ملكَ الآداب بديوانه، حتى نادى لسان قريضه النظيم، ما هذا ابن مليك بل ملك كريم.

وقد رأيت «ديوانه» ونظرت حسنه وإحسانه كقوله من قصيدة[٣]: [الكامل]

ذُكِرَ الغَضَا فَحَنَتْ إِلَيْهِ[٤] أَضْلُعِي   وَبَكَى العَقِيقُ فَساقَطَتْهُ أَدْمُعِي

---

(١) علي بن محمد بن علي بن عبد الله، علاء الدين بن مليك الحموي ثم الدمشقي الفقاعي الحنفي (٨٤٠-٩١٧ / ١٤٣٦-١٥١١): شاعر، ولد بحماة، درس الأدب، والنحو، والعروض. وانتقل إلى دمشق، فتفقه واشتغل بالأدب وبرع في الشعر، وتوفي بدمشق. له ديوان شعر يدعى «النفحات الأدبية في الرياض الحموية» ريحانة الألبا، ١/ ١٨٨؛ الكواكب السائرة، ١/ ٢٦١؛ كشف الظنون، ١/ ٨٠٢؛ إيضاح المكنون، ١/ ٥٢٢؛ ديوان الإسلام، ٤/ ٢٤٥؛ شذرات الذهب، ١٠/ ١١٥؛ الأعلام، ٥/ ١١.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) الأبيات في ديوانه ٤١، وفي ريحانة الألبا، ١/ ١٨٩.

(٤) في (ظ): «عليه».

لله دَرُّ دُمُـــــوعِ عَيْنِـــــي إنَّهــــا وَقَعَـتْ مِـنَ الأَجْفـانِ أَحْسَنَ مَوْقِـعِ

مَــنْ لِي بِقَلْـبٍ[1] يَـوْمَ كاظِمَـةٍ وَقَـدْ وَدَّعْـتُهُمْ لَـوْ خَلَّفُـوا قَلْبِـي مَعِـي

رَحَلُـوا فكَـانَ القَلْـبُ أَوَّلَ راحِـلٍ وَالــصَّبْرُ آخِــرَ ظـاعِنٍ وَمُــوَدِّعِ

[٦٢/أ] وقوله |رحمه الله|[2]: [البسيط]

مَـــدَحْتُكُمْ طَمَعـــاً فِـــيما أُؤَمِّلُـــهُ فَلَـمْ أَنَـلْ غَـيْرَ حَمْـلِ الإثْـمِ وَالنَّصَبِ

إِنْ لَمْ يَكُـنْ صِـلَةٌ مِـنْكُمْ لِـذِي أَدَبٍ فَـأُجْرَةُ الخَـطِّ أَوْ كَفَّـارَةُ الكَـذِبِ

وقوله: [البسيط]

لا تَعْجَبُـوا لِـصَدِيقٍ كُنْـتُ أَمْدَحُـهُ وَقَـدْ هَجَـانِي وَهٰـذا غايَـةُ العَجَـبِ

بَلِ اعْجَبُوا مِنْ ذَكاءٍ فِيهِ كَيْفَ دَرَى أَنِّي كَـذَبْتُ فَجـازانِي عَـلَى الكَـذِبِ

وقوله من قصيدة: [الكامل]

أَيْقِـظْ جُفُونَـكَ مِـنْ فُتُـورِ نُعاسِـهَا فَالـشَّمْسُ قَـدْ بَزَغَـتْ لَنـا فِي كَاسِـهَا

وَإِلَيْـكَ أَحْـداقُ الحَـدائِقِ قَـدْ رَنَـتْ مـا بَـيْنَ نَرْجِـسِها الأَنِيـقِ وَآسِـهَا

قُـمْ فَاجْلُهَـا بِكْـرًا وَغـالِطْ عَـاذِلِي[3] إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الكُؤُوسِ وَناسِهَا[3]

وقوله[4]: [المتقارب]

يَكـــــادُ لِرِقَّــــةِ أَعْطافِــــهِ مِــنَ اللِّــينِ يُعْقَــدُ لَــوْلا الكَفَــلْ

فَـــإِنْ قِيـــلَ بَـــدْرٌ فَقُـــلْ عَبْـــدُهُ وَإِنْ قِيـلَ شَـمْسُ الـضُّحَى قُـلْ أَجَـلْ

ونحوه قول الحافظ ابن حجر العسقلاني: [المتقارب]

---

(١) في (ظ): «بقلبي».

(٢) البيتان في ديوانه ٢٢٦، وزيادة من (ظ).

(٣) الأبيات في ديوانه ١٥٨، وفي الأصلين: عذلي.

(٤) البيتان في ديوانه صفحة ٢٤٣.

حَبِيبِــــيَ لا تَحْتَفِــــلْ بِالعَــــذَلْ وَصِــلْ مُغْرَمــاً لِلْفَنَــا قَــدْ وَصَــلْ
وَحَقِّــكَ إنَّ العَــذُولَ الأَقَــلّ وَأَنْــتَ الحَيَــاةُ وَأَنْــتَ الأَجَــلْ

ومن قصيدة له أيضاً(١): [الرمل]

يــا بَرِيقــاً بِــالحِمَى قَــدْ لَمَعَــا حَــيِّ عَنِّــي البــانَ وَالأَثْــلَ مَعَــا
فَبِــذاكَ الحَــيِّ لِي غُــصْنُ نَقــا طــائِرُ القَلْــبِ عَلَيْــهِ وَقَعَــا
يــا لَــهُ مِــنْ غُــصْنِ بــانٍ يــانِعٍ صــادِحُ الحَــلْيِ عَلَيْــهِ سَــجَعَا
ظَبْــيُ أُنْــسٍ فِي الحَــشا مَرْتَعُــهُ لَيْتَــهُ يَوْمــاً لِــوُدِّي لَــوْ رَعَــى
لَــيِّنُ الأَعْطــافِ مِنْــهُ خَــصْرُهُ رَقَّ حَتَّــى كــادَ أَنْ يَنْقَطِعَــا
عــادِلُ القَــدِّ حَكَــتْ طَلْعَتُــهُ بَــدْرَ تِــمٍّ فَــوْقَ غُــصْنٍ طَلَعَــا
[٦٢/ب] لَحْظُــهُ فَــوَّقَ نَحْــوِي أَسْــهُماً فَأَصــابَتْ مِــنْ فُــؤادِي مَوْقِعَــا
شَــنَّعَ العــاذِلُ عَنِّــي سَــلْوَةً كَــذَبَ العــاذِلُ فِــيما شَــنَّعَا
وَأَتَــى مِــنْ جَهْلِــهِ يَعْــذِلُنِي ثُــمَّ لَمّــا أَنْ رآهُ رَجَعَــا

ومن أخرى(٢): [المنسرح]

طِــرازُ ذاكَ العِــذارِ مَــنْ رَقَمَــهْ وَدُرُّ دَمْعِــي بِفِيــهِ مَــنْ نَظَمَــهْ
وَخالُــهُ فَــوْقَ كَنْــزِ مَبْــسَمِهِ بِالمِسْكِ قُفْلاً عَلَيْهِ مَنْ خَتَمَهْ
مَــنْ لِي بِــهِ ظــالِمُ الجُفُــونِ سَــطا ظُلْــماً عَــلَى صَــبِّهِ وَمــا رَحِمَــهْ
نَــشْوانُ عِطْــفٍ يَمِيــلُ مِــنْ صَــلَفٍ بِالغُــصْنِ مَــنْ قاسَــهُ فَقَــدْ ظَلَمَــهْ
ســاقٍ بِفِيــهِ المُــدامُ طــابَ وَقَــدْ حَــلا ارْتِــشافاً فَــما أَلَــذَّ فَمَــهْ
أَعــارَنِي خَــصْرُهُ الــسَّقامَ كَــما أَعــارَ جِــسْمِي جُفُونَــهُ سَــقَمَهْ

(١) الديوان ٩٩.
(٢) الديوان ١٨٧.

ومن أخرى[١]: [البسيط]

وَقَبْلَهــا كُنْــتُ بِــالأهْلِينَ فِي شُــغُلٍ　　وَاليَوْمَ[٢] أَصْبَحْتُ لا أَهْلٌ وَلا شُغُلُ

ومن أخرى[٣]: [الطويل]

وَقَدْ كُسِيَتْ مِنْ سُنْدُسِ الرَّوْضِ حُلَّةً　　يَجِــلُّ لِمَعْنَــى حُــسْنِها أَنْ تُفَــصَّلاَ

ومن أخرى[٤]: [الكامل]

أَحْيــا الرَّبِيــعُ الأَرْضَ بَعْــدَ مَمَاتِهَــا　　وَحَــلَى بِــسَكْبِ القَطْــرِ عُــودُ نَبَاتِهَــا

وَالزَّهْــرُ قَــدْ أَلْقَــى النِّثــارَ كَأَنَّهــا　　أَدَّتْ كُنُــوزُ الأَرْضِ بَعْــضَ زَكَاتِهَــا

وَحَكَــتْ جَــداوِلُها خَلاخِــيلاً وَقَــدْ　　أَضْــحَى خَرِيــرُ المَــاءِ مِــنْ رَنَّاتِهَــا

ومن أخرى[٥]: [البسيط]

إِنْ كانَ رَبْعُ الهَوَى قَدْ باتَ مُنْدَرِساً　　مِــنْ بَعْــدِ قَــيْسٍ فَــإِنِّي اليَــوْمَ عَــامِرُهُ

منها:

تَكــادُ أَعْطافُــهُ تَنْقَــدُّ مِــنْ هَيَــفٍ　　لِينــاً كَــما حَــدَّثَتْ عَنْــهُ مَــآزِرُهُ

ومن أخرى[٦]: [الكامل]

سُــقْياً لأَرْضٍ بَعْــدَ كَــوْثَرِ مائِهــا　　مــا اشْــتَاقَ قَلْبِــي لِلْمَــوارِدِ مَــنْهَلاَ

لَــوْلا بَقايــاهُ وَحَقِّــكَ فِي فَمِــي　　مـا قُلْـتُ شِـعْرًا فِي المَسامِعِ قَدْ حَـلاَ [٦٣/أ]

ومن أخرى وهو معنى بديع توارد فيه مع ابن حجر[٧] [العسقلاني]: [الطويل]

وفَوْقَ ظُهُورِ الخَيْلِ ماتُوا فَأَصْبَحُوا　　وَفِي كُــلِّ سَرْجٍ فَوْقَهــا لَهُــمُ قَــبْرُ

ولابن حجة [الحموي]: [الطويل]

لَــهُ قَلَــمٌ لَــوْ لَمْ يَكُــنْ ذا يَراعَــةٍ　　لِيُعْــرِبَ تَنمُّــوهُ لَكــانَ مُهَنَّــدَا

---

(١) الديوان ٦٧.　(٢) في (ظ): «والآن».　(٣) الديوان ٨٥.

(٤) الديوان ١١٢. وفيه: النثار كأنها.... كنوز الأرض.

(٥) الديوان ١٦١.　(٦) الديوان ٢٥٨.　(٧) ديوانه ٢٨٣.

[٢٦]

القاضي محب الدين بن تقي الدين الحموي[1]

نزيل الشام، وشامَةُ وجوه مَن بها من الأعلام، رَبُّ كمالٍ وأدب، يتناول ثمرات المجد من كثب، نظم ونثَر، وكتَب وشعَر، فتهلَّل صدرُ كلِّ نادٍ وانشرح، وتزيَّنتْ بغرر كلماته وجوهُ المُلَح، وترنَّمتْ أطياره، وتفتَّحتْ بصبا لطفه أنوارُه، بمحاضرات تحمرُّ لها خدودُ الكاسات خجَلاً، وتفتح لها رياضُ الربيع آذاناً ومُقَلاً.

ومن شعره وقد وافى بعض الرياض عشيَّة، فحيته بأنفاسها النديَّة، فشكر ما

(١) محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن الملقب محب الدين بن تقي الدين، أبو الفضل العلواني الدمشقي الحنفي (٩٤٩-١٠١٦ / ١٥٤٢-١٦٠٧): جد المحبي صاحب خلاصة الأثر. عالم مشارك في التفسير، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والفرائض، والحساب، والمنطق، والحكمة، وغير ذلك. ولد بحماة، وأخذ عن جماعة من العلماء، وولي القضاء بمصر، وحمص، وحصن الأكراد، ومعرة النعمان، وكلس، وإعزاز، واستقر أخيراً بدمشق وتولى بها القضاء نيابة بالمحكمة الكبرى سنين عديدة، وقضاء العسكر بها، وقضاء الركب الشامي. ودرَّس بالمدرسة القضاعية، والناصرية البرانية، والشامية البرانية، والسليمية بالصالحية. وأفتى بدمشق بالأمر السلطاني العثماني، وتوفي بدمشق، ودفن بالمدفن قبالة الجانب المحاذي لجامع جراح خارج باب الشاغور. من مؤلفاته: «الرحلة المصرية»، و«حواش على تفسير البيضاوي»، و«تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات»، و«شرح شواهد الكشاف». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ١٩٤؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٣٢٢؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٦٧؛ إيضاح المكنون، ١/ ٣٢٨؛ ديوان الإسلام، ٤/ ١٤٣؛ الأعلام، ٦/ ٥٩؛ معجم المؤلفين، ٣/ ١٦٦.

أسدته للنظر، مما طار بين سمع الأرض والبصر، فقال: [الطويل]

أَتَيْنَــا فَـــسَلَّمْنَا عَلَيْهـــا عَـــشِيَّةً فَحادَثَنــا فِيهــا الحَـــمَامُ وَحَيَّانَـــا

وَأَبْــدَى لَنــا نَــوْرُ الأَقــاحِي تَبَــسُّماً وَأَحْـــسَنَ مَلْقَانــا وَأَكْــرَمَ مَثْوَانَــا

وَمـا هِــيَ إِلَّا جَنَّــةٌ قَــدْ تَزَخْرَفَــتْ أَلَمْ تَــرَ فِيهــا الآنَ حُــوراً وَوِلْــدَانَا

وَمِــنْ تَحْتِهــا الأَنْهــارُ تَجْـرِي وَكُلُّهــا عُيُـونٌ وَفِي الرَّوْضـاتِ تُرْسِلُ غُـدْرَانَا

ومن فصل له: يقبِّل الأرض بعد دعاء ترصَّع في تيجان الإجابة درره، وتصرَّع في ديوان الإخلاص فِقَرُه.

[٢٧]
شِهابُ الدين الكَنْعَانِيّ(١)

شاعر عصريّ، أنشد له أستاذُنا العِناياتي قوله: [السريع][٦٣/ب]

يَحْسَبُ كُلَّ الناسِ أَمْثالَهُ ... مَنْ باتَ في مَهْدِ نَعِيمٍ وَطِي
أَما تَرَى الشَّبْعانَ يا سَيِّدِي ... يَفُتُّ لِلْجُوعَانِ فَتًّا بَطِي

وهذا مثل من أمثال العامة، تقول: الشبعان يفت للجيعان فتًّا بطي، فضربه مثلا للمرفّه الذي لا يدري بحال غيره، و(جيعان) مما أنكره أهل اللغة، والمسموع جائع وجوعان، وقد سبقه لهذا هبة الله البوصيري فقال(٢): [السريع]

لَوْ كُنْتَ مِثْلِي كَلِفاً مُوجَعاً ... عَذَرْتَنِي فِي حُبِّكَ المُفْرِطِ
لٰكِنَّما الشَّبْعانُ يا سَيِّدِي ... يَفُتُّ لِلْجِيعانِ فَتًّا بَطِي

ونحوه قول ابن مطروح(٣): [الدوبيت]

يا مُحْتَجِباً عَنِّيَ خَوْفَ الواشِي ... قَدْ زادَ إِلَى لِقائِكَ اسْتِيحاشِي
مَنْ يَحْمِلُ فِي الهَوَى الَّذِي أَحْمِلُهُ ... الرَّاكِبُ لا يَعْرِفُ حالَ المَاشِي

---

(١) لم يرد اسمه في المصادر. وقد ذكره الخفاجي فقط في ريحانة الألبا، ١/ ١٩٦.

(٢) لم يرد في ديوانه.

(٣) لم يرد في ديوانه.

[٢٨]
مَعْرُوف الشامي[1]

أديب بالفضل معروف، وسريٌّ بالكمال موصوف، فاقت شمائله رقة النسيم، وراقت مشاربه في الحديث والقديم، فليس للبحر كرم تلك الشيم، ولا للغيث شيم ذلك الكرم، وروضة مآثره يانعة الزهر، ونسخة محاسنه مخلَّدة في صحائف الدهر، لا زالت تربته مجللة بأثواب الثواب، ومحطة تحطُّ بها أثقال السحاب، ما بكى القطر لفراق الغمام، وضحك النَّور على بكائه في الأكمام.

ومن نظمه قوله في رسالة له: [الكامل]

يـا مُفْـرَداً أَضْـحَتْ مَظاهِرُ شَـأْنِهِ ... مـا فَوْقَهـا فِي الحُـسْنِ غَـيْرُ المَخْـبَرِ
يـا سالِباً قَلْبِي الـشَّجِيَّ وَمـا اخْتَشَى ... شَـكْوَى الجَفـاءِ إِلَى الـسَّمِيعِ المُبْـصِرِ
مِنِّـي إِلَيْـكَ مَـعَ النَّـسِيمِ تَحِيَّـةٌ ... فَتَقَـتْ نَوافِجُهـا بِمِـسْكٍ أَذْفَـرِ
فَكَأَنَّـهُ وَكَأَنَّهـا وَكَأَنَّـهُ[2] ... مِـنْ جَـوْهَرٍ فِي جَـوْهَرٍ فِي جَـوْهَرِ
تُبْـدِي التَّـداخُلَ فِي الجَـواهِرِ عَنْـوَةً ... لِبَـصِيرَةِ المِقْـدامِ لا المُتَحَـيِّرِ
وَكَـأَنَّما قِرْطاسُـهُ أَسْرارُنـا ... وَالبَـيْنُ بِيْـنَهُما سَـوادُ الأَسْـطُرِ
[٦٤/أ] أَرْجُـو عَـلَى قُـرْبِ المَـزَارِ يُقَـرِّبُ الـ ... ـبارِي تَعالَى مَـوْرِدِي مِـنْ مَـصْدَرِي
فِي ذٰلِـكَ الـشَّرَفِ العَـلِيِّ المُنْتَهَـى ... طَـرَبُ المَـشُوقِ وَجَنَّـةُ المُتَـذَكِّرِ

---

(١) لم يرد اسمه في المصادر. وقد ذكره الخفاجي فقط في ريحانة الألبا، ١/ ١٩٧.

(٢) هذا الشطر في (ظ) هكذا: «فَكَأَنَّها وَكَأَنَّه وَكَأَنَّها».

ومن فصلٍ له في كحّال[١]:

فلان انتهى إلى فوق ما يضرب به المثل، إن قيل سرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل، قد أودع كحله حزن يعقوب، فمن كحل به ابيضَّتْ عيناه، وجحد معجزة القميص اليوسفي، فلو مروا به على ناظره، انقرحت جفناه، وهو من الذين إذا رفعوا أميالهم فإنما هي لعين الشمس ولشمس العين مِزْولة، وإذا أولج أحدهم الميل في المكحُلة، فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل في المكحلة. انتهى.

وما ذكره مثلٌ للمولّدين، يقال: فلان يسرق الكحل من العين، وإلى هذا المثل أشار الحِلِّي في قوله[٢]: [السريع]

سَرَقْتَ كُحْلَ النَّوْمِ مِنْ ناظِرِي[٣] يا سارِقَ الكُحْلِ مِنَ العَيْنِ

ولمهيار في طبيب كَحَّال[٤]: [الكامل]

أَفْنَى وَأَعْمَى ذا الطَّبِيبُ بِطِبِّهِ وَبِكُحْلِهِ الأَحْياءَ والبُصَرَاءَ

فَإذا نَظَرْتَ رَأَيْتَ مِنْ عُمْيانِهِ أُمَماً عَلَى أَمْواتِهِ قُرَّاءَ

وجعل القراءَ عميانَ لكثرةِ حفظهم، كما هو معروف الآن، ومنه أخذ الزُّغارِي[٥] قوله: [مجزوء الكامل]

(١) في (س): «كحل انتهى».

(٢) ديوانه، ص. ٣٦٢.

(٣) في الديوان: «حتى سرقتَ الغُمْضَ من مقلتي».

(٤) لم يرد في ديوانه.

(٥) هو الحسن بن علي بن حَمْد بن حميد بن إبراهيم بن شنار... [ذهبيَّة العصر ٣٦٥] (ج).

أَعْمَـــى الـــوَرَى بِكِحالِـــهِ وَالمَـــوْتُ مِـــنْ وَصْـــفَاتِهِ
فَكَثِـــيرُ مِـــنْ عُمْيانِـــهِ تَقْـــرَا عَـــلَى أَمْوَاتِـــهِ

ومن الأمثال: ومن العجائب أعمش كَحَّال، ومثله:

طبيب يداوي الناس وهو عليل(١)

ونحوه: جراح مرتعش، وزاهد خمار، وأمثاله كثيرة.

وقد كان روى لي هذا الفصل عنه بعض أدباء العصر، فاستحسنته وأثبته في هذه المجلة، ثم رأيته بعد ذلك بعينه في «رسائل القاضي الفاضل».

وما آفة الأخبار إلَّا رواتها(٢)

---

(١) عجز بيت، ذكره الثعالبي في خاص الخاص ٣٥، وصدره:

وغير تقيٍّ يأمر الناس بالتقى (ج)

(٢) عجز بيت للشريف الرضي، الديوان ١/ ٢١٢، صدره:

وهم نقلوا عني الذي لم أفه به

وانظر حياة الحيوان للدميري تحقيق الأستاذ إبراهيم صالح ٢/ ١٦٤. (ج).

[٢٩]
نَجْمُ الدِّين بن مَعْرُوف[١]

[٦٤/ب] ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] ما ضل عن طرق الكمال ولا غوى، فقد سلك طريق[٢] الرغائب، واهتدى بأعلام المناقب، فهو نجم بزغ من سماء الكرم، وشمس اهتدت به سراة الهمم، تقلّد سيف الإمارة، ولاحت عليه من السعادة أظهر أمارة، فلله نجمه الثاقب، برفعته لدر الكواكب، فمن أنواره الساطعة من مشرق فيه، ما كتبه للأستاذ أبي الفتح يستدعيه: [الكامل]

يا أَيُّها المَوْلَى الَّذِي فُتِحَتْ لَهُ فَيْضاً خَزائِنُ كُلِّ عِلْمٍ مُغْلَقِ
وَوُفُودُ أَرْبابِ العُلُومِ تَقَيَّدُوا بِوَلاهُ إِذْ هُوَ رَبُّ فَضْلٍ مُطْلَقِ
وَإِذا أَتاهُ الفاضِلُونَ بِجُمْلَةٍ مِنْ فَضْلِهِمْ[٣] لاقاهُمُ فِي فَيْلَقِ
العَبْدُ يَرْغَبُ أَنْ تُشَرِّفَ دارَهُ لِتَصِيرَ أَشْرَفَ بُقْعَةٍ فِي جِلِّقِ
لا زِلْتَ يا لُبَّ الوُجُودِ مُمَتَّعاً بِعَوارِفٍ منها العَوارِفُ تَسْتَقِي

فأجاب بقوله[٤]: [الكامل]

يا ماجِداً نَحْوَ العُلا لم يُسْبَقِ ومُهَذَّباً حازَ الكَمالَ بِجِلِّقِ
لَبَّيْكَ مِنْ مَوْلًى تَفَضَّلَ داعِياً لِمُحِبِّهِ بَلْ عَبْدِهِ المُتَمَلِّقِ

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٠.

(٢) في (ظ): «سبيل».

(٣) في (ظ): «فضله».

(٤) في (ظ): «فأجابه الأستاذ».

وافَتْ بَدائِعُ نَظْمِهِ تَحْكِي عُقُو دَ الدُّرِّ في سِلْكِ البَيانِ المُونِقِ
يَدْعُو لِحَضْرَتِه البَدِيعِ مَقامُها بِبَلاغَةٍ فاقَتْ بأَحْسَنِ مَنْطِقِ
سَعْياً عَلَى الأحْداقِ نَحْوَ كَمالِهِ وجَمالِهِ المُتَوَقِّدِ المُتَأَلِّقِ
نَحْوَ الفَضائِلِ وَالفَواضِلِ والسَّنَا نَحْوَ المَكارِمِ والنَّدَى المُتَدَفِّقِ
لا زِلْتَ مَحْرُوسَ الجَنابِ مُمَتَّعاً بلِقائِكَ الفُضَلاءُ دُونَ تَفَرُّقِ
ما لاحَ نَجْمٌ فِي الدُّجُنَّةِ شائِقٌ أَوْ لاحَ في الرَّوْضاتِ لِلْمُسْتَنْشِقِ

[٣٠]
محمد بن الحكيم الحلبي
المعروف بابن المَشْنُوقَة[(١)]

شاعر عصري، له شعر لم يثابر على تهذيبه، بل هو وساوس أفكار تهذي به، كقوله من قصيدة |سماها|[(٢)] لامية |الروم|[(٣)]: [البسيط]

حَتَّامَ أَنْظِمُ مِنْ دَمْعِي وَمِنْ غَزَلِي ... أَدِلَّةً وحَبِيبُ القَلْبِ مُعْتَزِلِي

[٦٥/أ] يَرَى خُلُودِيَ فِي نارِ الصُّدُودِ فَهَلْ ... فَسَقْتُ حِينَ جَعَلْتُ العِشْقَ مِنْ عَمَلِي

(١) لم يرد اسمه في المصادر. وقد ذكره الخفاجي فقط في ريحانة الألبا، وهو فيه «ابن المشنوق»، ١/ ٢٠٢.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) زيادة من (ظ).

[٣١]

فتح الله بن بدر الدين محمود

العُمَرِيّ الحلبي المعروف بالبَيْلُونِيّ[١]

أديب له ظرف وملح، وشعر سمح منه بما سنح، وله مجلس من مجالس النِّصاح، ينادي طالبيه حيَّ على الفلاح، قدم الروم في صحبة الوزير نصوح، فجرى له معه ما جرَّهُ إلى توبةٍ نصوح، ودعاه إلى العزلة وترك الاختلاط، وربَّما حرك السُّكونَ رديءُ الأخلاط.

وله شعر استحلاه، وأتى به على فتح الله، كقوله[٢]: [الطويل]

---

(١) فتح الله بن محمود بن محمد بن محمد بن الحسن الحلبي، العمري الأنصاري الشافعي المعروف بالبَيْلُونِيّ (٩٧٧-١٠٤٢ / ١٥٧٠-١٦٣٢): عالم، أديب شاعر. ولد في رمضان وتوفي بحلب. سافر إلى الروم صحبة الوزير نصوح، وكان معلماً له، فحصل على جاه عريض. ثم انحط عنده، ورحل إلى بلاد كثيرة منها مكة، والمدينة، والقدس، ودمشق، وطرابلس، وبلاد الروم. له مؤلفات كثيرة، منها: «حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي»، و«خلاصة ما تحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون»، و«ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٣؛ تراجم الأعيان، لوحة ١٢٣؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٢٥٤؛ سلافة العصر، ص٣٩٨؛ هدية العارفين، ١/ ٨١٥؛ إيضاح المكنون، ١/ ١٤٠؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٢٥؛ ديوان الإسلام، ١/ ٢٦٩؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٦١٤، ٣/ ٥٨١؛ الأعلام، ٥/ ١٣٥.

(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٣؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٢٥٦؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٢٢٧. قال المحبي عن هذين البيتين:«وينسبان لفتح الله بن النحاس، والصواب أنهما لفتح الله هذا». ونقل محمد راغب الطباخ هذا القول أيضا عن المحبي. ولم يرد هذان البيتان في ديوان فتح الله بن النحاس الحلبي، ويؤيد هذا ما ذهب إليه المحبي.

يَقُولُــونَ نــافِقْ أَوْ فَوافِــقْ مُوافِقــاً عَلَى مِثْلِ ما في العَصْرِ كُلٌّ لَقَدْ دَرَجْ
فَقُلْــتُ وَأَمْـرٌ ثالِــثٌ وَهْــوَ قَــوْلُ أَوْ فَفَــارِقْ وَهٰـذا الأَمْـرُ أَسْـلَمُ لِلْحَـرَجْ

وأهدى لي جملة من أشعاره، فاخترتُ منها قوله[1]: [البسيط]

|هــذا مِثــالٌ جَـرَى فَــافْهَمْ لِبَاطِنِــهِ فَعارِفُ الوَقْتِ من لِلْوَقْتِ قَدْ عرَفَا|[2]
إذا ابْتُلِيــتَ بِــسُلْطانٍ يَــرَى حَــسَناً عِبــادَةَ العِجْـلِ قَــدِّمْ نَحْـوَهُ العَلَفَــا

وقوله:

رُبَّ داءٍ أَشَرُّ منه الدَّواءُ[3]

وقوله[4]: [الخفيف]

أَنْتَ كَالمُنْخُلِ الَّذِي صارَ يُلْقِي الصَّـ ـــفْوَ لِلنَّـــاسِ مُمْـــسِكاً لِلنُّخالَـــهْ

وهذا معنى حسن لبعض المتقدمين. وقد كنت قلت في متابعته لأن سبكه لم يعجبني[5]: [مجزوء الكامل]

الـــدَّهْرُ كَالغِرْبـــالِ في خَفْـضٍ ورَفْـعٍ لا مَحالَـهْ
إِنْ حَـــطَّ لُـــبَّ لُبابِـــهِ رَفَـعَ الحُثَالَـةَ وَالنُّخالَـهْ

والبيلوني لقَبُ جَدِّه نسبة لبيلون، وهو طين تستعمله النساء في الحمام،

---

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٤؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٢٣٠.

(٢) سقط هذا اليت من (ظ).

(٣) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٤؛ وسلافة العصر، ص. ٣٩٨: «رُبَّ داءٍ أضر منه الدَّواءُ». وهذا عجز بيت، أورده له ابن معصوم في كتابه سلافة العصر ص. ٣٩٨، صدره: «خيرُ ما استعملَ اللبيبُ احتمالٌ».

(٤) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٤؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٢٣٠.

(٥) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٤؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٢٣٠.

وأهل مصر تسميه طَفْلاً بفتح وسكون، وكلاهما عامِّيٌّ لا أعرف أصله[١]، وقوله[٢]: [الطويل]

تَعَفَّفْتُ عن زادِ الرَّفيقِ وَمائِهِ وَسِرْتُ لِبَيْتِ الله أُهْدِي لَهُ شُكْرَهْ

وَوَفَّرْتُ ما عِنْدِي احْتِرازاً وَإِنَّنِي بِصَوْنِي[٣] لِماءِ الوَجْهِ لَمْ أَرَ ما أَكْرَهْ

و(الوجه) و(أكره) من منازل الحج، وسيأتي بيانه[٤] إن شاء الله تعالى[٥].

---

(١) في (س): «أصلاً».

(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٤؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٢٢٩.

(٣) في ريحانة الألبا، وإعلام النبلاء: «لصوني».

(٤) انظر صفحة (٦١٠) و(٦١٨).

(٥) ساقط من (ظ).

[٣٢]
ظَهِيرُ الدِّين الحلبي[1]

فاضل مورده معين، وإثمدُ مداده كحل عين اليقين، نزهت طرفي بالروم منه في أزهى بستان، فأهدى قربه لي ألطف روح وريحان.

وله منظوم ومنثور، [٦٥/ب] ربما كان من خير الأمور، كقوله من قصيدة أنشدنيها: [الطويل]

نَسِيمُ الصَّبا مِنْ لَعْلَعٍ وَنَواحِيهِ ... سَرَتْ فَأَزالَتْ صَبْرَنا مِنْ صَياصِيهِ
وَمِنْ بارِقٍ شامَ المُتَيَّمُ بارِقاً ... بَداَ فَتَداعَى شَوْقُهُ مِنْ أَقاصِيهِ

ومنها[2]:

وَبِالشِّعْبِ مِنْ وادِي النَّقَا خَيْرُ جِيرَةٍ ... غَدَتْ بُغْيَتِي وَاللهِ مِنْ غَيْرِ تَمْوِيهِ
إذا ذُكِرُوا يَرْتاحُ قَلْبِي كَأَنَّما ... أَتَتَ نَحْوَهُ تَنْقادُ قَسْراً أَمَانِيهِ

(١) ظهير الدين الحلبي (كان حيًّا في ١٠١٣/ ١٦٠٤ حسبما ذكره المحبي): القاضي الأديب الشاعر الفائق. تردد مراراً إلى الروم. اجتمع به الشهاب الخفاجي وهو بالروم. وكان قاضيا من قضاة القصبات ببلاد الأناضول، وولي مناصب عديدة. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٣؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٢٦١.

(٢) ساقط من (ظ).

[٣٣]
بَهَاءُ الدِّين بن حُسَيْن العَامِليّ[١]

نسبة لجبل عامل بنواحي الشام، صدرٌ زيَّن العصرَ فضلُه وبهاؤه، وأشرقت الأرض بنور ربِّها وقد تبلَّج منها ضياؤه، فلمعت من سماء الفضل بوارقُه، وسقاه من مورد الكمال النمير رائقه، وجواد لا يدركه بحرٌ وصفه الإغراق، ولا تلحقه حركاتُ الأفكار في مضمار السباق، عقلت عنده رواحل الرحلة للعلوم العقلية، وانقادت له بأزمَّةِ البيان أوابدُ المعارف النقلية، فملك بنقد فكره الرياضيات وراضها، وغرس في حدائق الأذهان رياضها، فلاح بحلبة[٢] الرهان وهو فارسٌ وأي فارس! وانبثقت[٣] ثمرات شجرته الشامية بربوة فارس، ولا تزكو الثمار وتنمو إلا بالسقى وطيب المغارس، ولما تدفّقَ ماءُ كماله خرج منها سائحاً، وامتطى كميت همته العلية سابحاً، لابساً حلل الوقار، قاطفاً من رياض

---

(١) بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الجباعي الهمداني (٩٥٣-١٠٣١ / ١٥٤٧-١٦٢٢): أديب مشارك في أنواع من العلوم. ولد ببعلبك، وانتقل مع والده وهو صغير إلى بلاد العجم، وتوفي بأصفهان. فدفن في طوس. له مؤلفات كثيرة. منها: «ديوان شعر»، و«الكشكول»، و«المخلاة» وهما من كتب الأدب المرسلة، لا أبواب ولا فصول. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٧؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٤٤٠؛ سلافة العصر، ص. ٢٨٩؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٧٣؛ كشف الظنون، ١/ ٧٢٠؛ نزهة الجليس، ١/ ٣٧٧؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٢٨؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٢٥١؛ الأعلام، ٦/ ١٠٢.

(٢) في (س): «بعرضة».

(٣) في (ظ): «أينعت».

الوجود ثمرات الأفكار، فجاب البلاد، وأتى إِرَم مصر ذات العماد، فنما متاع فضل فيه اتّجر، والمعالي في كفالات السفر، فاجتنى نوراً تفتّحت كمائمه، وأفشى سُرًى قلبُ الدهر كاتِمُه: [السريع]

وَسُرَّ دَهْــرٌ صــارَ سِرًّا لَــهُ بِعــالِمٍ ذي نَجْــدَةٍ عَــامِلِ[1]

وفي أثناء ذلك نظم جواهر حِقاقُها العقول، وكسر لها دفتراً سمّاه: بـ:«الكشكول» وبعد عودة بدره لفلك أقطاره، عانق في أوطانه عقائل أوطاره، فصار قُرَّةَ عينِ مجدها، وغرَّةَ وجه سعدها [٦٦/أ] يحجُّ لكعبة فضله وفود الأفاضل، وتتوجّه له وجوه الآمال من كلِّ فاضل، في نعيم مقيم تحدث عنه الأسفار، وإفادة علوم تكتحل بإثمد مدادها عيون الأسفار، فمن حدائق أنواره، ولمعات مشارق أنواره، قوله من قصيدة[2]: [الخفيف]

يــا نَــدِيمي بِمُهْجَتِــي أفْــدِيكْ قُــمْ وَهــاتِ الكُــؤُوسَ مِــنْ هاتِيكْ
خَمْــرَةٌ إِنْ ضَــلَلْتَ ســاحَتَها فَــسَنَا نُــورِ كَأْسِــها يَهْــدِيكْ
يــا كَلِــيمَ الفُــؤادِ دَاوِ بِهــا قَلْبَــكَ المُبْــتَلَى لِكَــيْ تَــشْفِيكْ
هــيَ نــارُ الكَلِــيمِ فَاجْتَلِهــا وَاخْلَعِ النَّعْلَ وَاتْرُكِ التَّشْكِيكْ[3]
صــاحِ ناهِيــكَ بِالمُــدامِ فَــدُمْ فِي احْتِــسَاها مُخالِفــاً ناهِيــكْ

(١) كذا الأصلين، وفي ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٨: وسَرَى سُرًى قلب الوجود كاتمه.
وسُرَّ دهرٌ هو صدرٌ له بعالم ذي نجدة عاملِ
(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٠٩؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٤٤٩؛ ونفحة الريحانة، ٢/ ٢٨٣؛ ونزهة الجليس، ١/ ٣٨٢-٣٨٣. وقد ذكر الخفاجي منها: عشرين بيتا، والموسوي: ثمانية عشر بيتا، والمحبي: أحد عشر بيتا.
(٣) سقط هذا البيت من (ظ).

|عَمْـــرَكَ اللهَ قُـــلْ لَنَـــا كَرَمـــاً يـــا حَمَـــامَ الأَرَاكِ مَـــا يُبْكِيـــكْ
أَتُــرَى غَــابَ عَنْـكَ أَهْـلُ مِنًّـى بَعْـــدَما قَـــدْ تَوَطَّنُـــوا نَادِيـــكْ
لِي فِـــيهِمُ رَشـــاً لَـــهُ مُقَـــلٌ فتنـــت كـــلَّ عابـــد نـــسّيكْ
ذُو قَـــوَامٍ كأَنَّـــهُ غُــــصُنٌ مَـاسَ لَـمَّا بَـدَا بِـهِ التَّحْرِيـكْ|[١]
لَــسْتُ أَنْــساهُ إذ أَتَــى سَــحَراً وَحْـــدَهُ وَحْـــدَهُ بغَـــيْرِ شَرِيـــكْ
طَــرَقَ البـــابَ خائِفـــاً وَجِـــلاً قُلْتُ مَـنْ؟ قـالَ كُلُّ ما يُرْضِيكْ
قُلْــتُ صَرِّحْ فَقـــالَ تَجْهَـــلُ مَـــنْ سَـــيْفُ أَلْحاظِـــهِ تَحَكَّـــمَ فِيـــكْ
|قُمْـتُ مِـنْ فَرْحَتِـي فَتَحْـتُ لَـهُ وَاعْتَنَقْنَـــا فَقـــالَ لِي يَهْنِيـــكْ
بَـــاتَ يَـــسْقِي وَبِـــتُّ أَشْرَبُهَـــا خَمْـــرَةً تَـــتْرُكُ المُقِـــلَّ مَلِيـــكْ
ثُـــمَّ جَاذَبْتُـــهُ الـــرِّدَاءَ وَقَـــدْ خَـــامَرَ الخَمْـــرُ طَرْفَـــهُ الفَتِّيـــكْ
قـــالَ لِي مـــا تُريـــدُ قُلْـــتُ لَـــهُ يـــا مُنَـــى القَلْـــبِ قُبْلَـــةً في فِيـــكْ
قـــالَ خُـــذْها فَمُـــذْ ظَفِـــرْتُ بِهـــا قُلْـــتُ زِدْنِي فقـــالَ لا وَأَبِيـــكْ|[٢]
ثُـــــمَّ وَسَّـــــدْتُهُ اليَمِـــــينَ إلى أَنْ دَنَـا الـصُّبْحُ قـالَ لي يَكْفِيـكْ
قُلْــتُ مَهْـــلاً فَقـــالَ قُـــمْ فَلَقَـــدْ فـاحَ نَـشْرُ الـصَّبا وَصـاحَ الـدِّيكْ

ومن أخرى[٣] مدح بها الأستاذ البكري[٤]: [السريع]

سُقْياً لَكِ يا مِصْرُ[٥] مِنْ جَنَّةٍ قُطُوفُهـــا يانِعَـــةٌ دَانِيَـــهْ

---

(١) هذه الأبيات الأربعة زيادة من (ظ).

(٢) هذه الأبيات الخمسة زيادة من (ظ).

(٣) في (ظ): «وله».

(٤) الأبيات في ريحانة الألبا، ١/ ٢١٠-٢١١؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٤٤٢.

(٥) في (ظ): «يا مصر سقيا لك».

تُرابُهـــا كَـــالتِّبْرِ فِي لُطْفِـــهِ وَماؤُهـــا كَالفِـضَّةِ الـصَّافِيَهْ
قَـدْ أَخْجَـلَ المِسْكَ نَـسِيمٌ لَهـا وَزَهْرُهـا قَـدْ أَرْخَـصَ الغَالِيَـهْ
دَقِيقَـــةٌ أَصْـــنافُ أَوْصـــافِها وَمـــا لَهـــا فِي حُـسْنِها ثَانِيَـــهْ
مُنْذُ أَنَخْتُ الرَّكْبَ في أَرْضِـها أُنْـسِيتُ أَصْـحابِي وَأَحْبَابِيَــهْ
فَيَـا حَمَاهـا اللهُ مِـنْ روضَـةٍ بَهْجَتُهـــا كافِيَـــةٌ شَـــافِيَهْ
فِيهـا شِـفاءُ القَلْـبِ أَطْيارُهـا بِنَغْمَـــةِ القَـــانُونِ كَالدَّارِيَـــهْ
|تركْتُ مُذْ حَلَّ رِكابِي بها الـ ـحساب والهيئـة في الناحِيَـهْ
كــذا مَعـــانٍ وبَيـــانٌ لـــه أَسْـهَرْتُ عَيْنِـي بُرْهَـةً وافِيَـهْ
وحِكْمَـــةٌ تَـــمَّ كـــلامٌ بـــه فَاقَـتْ أُهَيْـلُ العُـصُرِ الماضِـيَهْ
فـذا زمـانٌ لـيسَ يُرْجَـى بـه لصاحِبِ الفضلِ سوى بارِيَهْ|[(١)]
مَـنْ شـاءَ أَنْ يَحْيَـا سَـعِيداً بِـهِ[(٢)] مُـــنَعَّماً فِي عِيـــشَةٍ رَاضِـــيَهْ
فَلْيَـــدَعِ العِلْـــمَ وَأَصْـــحابَهُ وَلْيَجْعَـلِ الجَهْـلَ لَـهُ غَاشِـيَهْ
وَالطِّـــبَّ وَالمَنْطِـقَ فِي جانِـبٍ وَالنَّحْـوَ وَالتَّفْـسِيرَ في زَاوِيَـهْ [٦٦/ب]
وَلْيَـتْرُكِ الـدَّرْسَ وَتَدْرِيـسَهُ وَالمَتْنَ وَالـشَّرْحَ مَـعَ الحَاشِـيَهْ
إلامَ يـا دَهْـرُ فَحَتَّـى[(٣)] مَتَـى تَـشْقَى بِأَوْقاتِـكَ[(٤)] أَيَّامِيَـــهْ
تُحَقِّـــقُ[(٥)] الآمـــالَ مُـــسْتَعْطِفاً وَتُوقِـــعُ الـــنَّقْصَ بِآمَالِيَـــهْ
أَهٰكَـــذا تَفْعَـــلُ فِي كُـــلِّ ذِي فَـــضِيلةٍ أَوْ هِمَّـــةٍ عَالِيَـــهْ

(١) هذه الأبيات الأربعة زيادة من (ظ).
(٢) في (س): «بها».
(٣) في (ظ): «وحتى».
(٤) في (ظ): «بأيامك».
(٥) في (ظ): تخفق الآمال.

فَــإِنْ تَكُــنْ تَحْــسَبُنِي مِــنْهُمُ فَهْــيَ لَعَمْــرِي ظِنَّــةٌ وَاهِيَــهْ
دَعْ عَنْـكَ تَعْـذِيبِي وَإِلَّا فَأَشْـ ـكُوكَ إِلى ذِي الحَضْرَةِ العَالِيَهْ
سيِّدِنا الأستاذِ كَهْفِ الوَرَى مُنْقِــذِهِمْ مِــنْ دَرَكِ الهاوِيَــهْ
ومُرْشِدِ الخَلْقِ إلى الحَقِّ ذي الـ ـمناقبِ الظــاهرةِ الــساميَهْ
سِرْتَ مـع الرُّكْبـانِ في مَـشْرِقٍ ومَغْــرِبٍ أَكْــرِمْ بِهــا سـارِيَهْ
إن كنتَ تَبْغِي أن تَـرى جنَّةَ الـ ـفِرْدوسِ فاحضرْ ساعةً ناديَـهْ
وَالْـثُمْ ثــرى أعْتَابِــهِ خاشِـعاً وعَفِّــرِ الخَــدَّ مــع الناصــيَهْ
وشَـــنِّفِ الأذْنَ بألفاظِـــهِ إن كنــتَ ممــن أُذْنُــهُ واعيَــهْ
لتَـشْهَدَ الفَـيْضَ اللَّـدُنِّي والـ ـأسرارَ مستَكْــشَفةً باديَــهْ
يــا ســيدي إني امــرؤٌ لم أزل إلى العُــلا ذا قــدَمٍ ســاريَهْ
قـد طُفْـتُ بـالأرضِ بأكنافِهـا مِـنْ حَـضَرٍ فيهـا ومِـنْ باديَـهْ
وأبْـصَرَتْ عَيْنَـايَ كُـلَّ امْـرِئٍ في فَنِّــه ذا قــدَمٍ راســيَهْ
وكــلَّ طَــوْدٍ شــامِخٍ يُهْتَـدَى بنــورِهِ في الظُّلْمَــةِ الداجيَــهْ
حتـى توصَّـلْتُ إلى خدمـةِ الـ ـأستاذِ مــن مملكــةٍ نائيَــهْ
أطْـوِي الفَيَـافِي قاصِـدًا نَحْـوَهُ مُــيَمِّماً ســدَّتهُ العاليَــهْ
فاستَحْقَرَتْ عَيْنايَ مَنْ كنتُ قد [عظَّمتُه][1] في الأعْصُرِ الماضِيَهْ
وهـذه الأبيـاتُ كـاللَّغْو والـ ـأستاذُ لا يَـسْتَمِعُ اللَّاغيَـهْ
خَلَتْ من المعنى[2] فكُنْ قانِعا مـولايَ بـالوَزْنِ مـع القافيَـهْ

(١) استدركت ما رأيته مناسباً للمعنى والوزن (ج).
(٢) في الأصلين: المفتي، ولعلّ المثبت هو الصواب. (ج).

لا زالَ حُـــسَّادُكَ في ذِلَّـــةٍ بِمُقْلَــةٍ دامِعَــةٍ دامِيَــهْ
ولا بَرِحْــتَ الــدَّهْرَ في عِــزَّةٍ ونِعْمَــةٍ وَاسِــعةٍ ضــافِيَهْ|[1]

ومن رباعياته قوله: [الدوبيت]

أَهْــوَى رَشًــا عَرَّضَــنِي لِلْبَلْــوَى مــا عَنْــهُ لِقَلْبِــيَ الْمُعَنَّــى سَــلْوَى
كَــمْ جِئْـتُ لأَشْـتكِي فَمُـذْ أَبْـصَرَنِي مِــنْ لَــذَّةِ قُرْبِــهِ نَـسِيتُ الــشَّكْوَى

وعلى زنته قولي: [الدوبيت]

لَــوْ تــسْمَعُ لَــذَّ لِلْمُعَنَّــى الــشَّكْوَى لا مَــنَّ بِــذا وَلَــيْسَ عَنْــهُ سَــلْوَى
كُــلٌّ بِهَــواهُ مُبْــتَلًى ذا دَنَــفٍ قَــالُوا وَتَطِيــبُ إذْ تَعُــمُّ البَلْــوَى

ومن رباعياته أيضاً قوله: [الدوبيت]

أَغْــتَصُّ بِرِيقَتِــي كَحَــسْيِ الحَــاسِي إِذْ أَذْكُــرُهُ وَهْــوَ لِعَهْــدِي نَــاسِي
إِنْ مِــتُّ وَجَمْــرَةُ الهَــوَى فِي كَبِــدِي فَالوَيْــلُ إذاً لِــساكِنِ الأَرْمــاسِ[2]

|ومنها قوله: [الدوبيت]

يــا رِيــحُ إِذا أَتَيْــتَ دَارَ الأَحْبَــابْ قَبِّــلْ عَنِّــي تُــرابَ تِلــكَ الأَعْتَــابْ
إِنْ هُــمْ سَــأَلُوا عَــنِ البَهَــاءِ فَقُــلْ قَـدْ ذَابَ مِـنَ الـشَّوْقِ إِليْكُمْ قَـدْ ذَابْ

وله: [الدوبيت]

مِــنْ أربَعَــةٍ وعَــشْرَةٍ أَمْــدَادِي في سِــتِّ بِقَــاعٍ سَــكَنُوا يــا حَــادِي
في طَيْبَــةَ والغُــرِيِّ مــع سَــامَرَّا في طُــوسَ وَكَــرْبَلا وفي بَغْــدَادِ

وله: [الدوبيت]

لِلــشَّوْقِ إلى طَيْبَــةَ جَفْنــي بَــاكِي لــو صَــارَ مَقَــامي فَلَــكَ الأَفْــلاكِ

(١) ثمانية عشر بيتا زيادة من (ظ).
(٢) في (س): «الأرماسي».

أَسْـتَنْكِفُ إِنْ مَـشِيتُ فِي رَوْضَـتِهَا فَالمَـشْيُ عـلى أَجْنِحَـةِ الأَمْـلاكِ

وله: [الدوبيت]

هـذَا النَّبَـأُ العَظِـيمُ مـا فيـه كَـلاَمْ هـذا لِمَلاَئِـكِ الـسَّموَاتِ مَقَـامْ
مَـنْ يَمَّـمَ بَابَـهُ يَنَـلْ مَطْلَبَـه مَنْ طَـافَ بِـهِ فَهْـوَ عـلى النَّـارِ حَـرَامْ

وله: [الدوبيت]

يَـا رِيـحُ أَقُـصُّ قِـصَّةَ الـشَّوْقِ إِلَيـكْ إنْ جِئْـتَ إلى طُـوسَ فَبِـالله عَلَيـكْ
قَبِّـلْ عَنِّـي ضَرِيـحَ مَـوْلايَ وَقُـلْ قَـدْ مَـاتَ بَهَـاؤُكَ مِـنَ الـشَّوْقِ إِلَيـكْ

وله: [الدوبيت]

هَـذا حَـرَمٌ بِفَـضْلِهِ العَقْـلُ أَقَـرّ فيـه لِمَلاَئِـكِ الـسَّموَاتِ مَقَـرْ
كُـلٌّ مِـنْهُمْ يَقُـولُ يَـا زَائِـرَهُ أَبْـشِرْ فَلقَـدْ نَجَـوْتَ مِـنْ نَـارِ سَـقَرْ

وله: [الدوبيت]

لا تَبْـكِ مُعَـاشِراً نَـأَى أو إِلْفـاَ القَـوْمُ مَـضَوْا ونَحْـنُ نَـأْتِي خَلْفَـا
بالمُهْلَـةِ أو نَعاقِـبُ نَتْـبَعُهُمْ كـالعطْفِ بـثُمَّ أو كعطْـفٍ بالفَـا

وله: [الدوبيت]

ولمـا نظَـرَ الجـسم نَحِيفـاً نهكـا مِـنْ فُرْقَتِـهِ رقَّ لـضَعْفِي وبَكَـا
وارتـاحَ وقـالَ لي أمَـا قلـتُ لَكَـا مـا يُمْكِنُـكَ الفِـراقُ مـا يُمْكِنُكَـا

وله: [الدوبيت]

كَـمْ بِـتُّ مِـنَ المَـسَا إلى الإِشْراقِ مِـنْ فُـرْقَتِكُمْ ومُطْـرِبِي أَشْـوَاقِي
وَالهَـمُّ مُنَـادِمِي ونُقْـلِي[1] نَـدَمِي وَالـدَّمْعُ مُـدَامَتِي وجَفْنِـي الـسَّاقِي|[2]

---

(١) النُّقل: ما يُتنقلُ به على الشراب من فواكه وكوامخ وغيرهما. المعجم الوسيط. (ج).

(٢) الأبيات الثمانية عشرة زيادة من (ظ).

وقوله أيضاً[١]: [الدوبيت]

يـا غائِـبُ عَـنْ عَيْنَـيَّ لا عَـنْ بـالِي ... القَلْـبُ إلَيْـكَ مُنْتَهَـى آمَـالِي
أَيّـامُ نَـواكَ لا تَـسَلْ كَيْـفَ مَـضَتْ ... وَإِنْ مَـضَتْ بِأَسْـوَإِ الأَحْـوَالِ

وما أحسن[٢] قول الأرَّجاني[٣]: [الدوبيت]

لا بَـأْسَ وَإِنْ أَذَبْـتَ قَلْبِـي بِهَـوَاكْ ... القَلْـبُ وَمَـنْ سَـلَبْتَهُ القَلْـبَ فِـدَاكْ
ولَّيْـتَ وقُلْـتَ أنْعَـمَ اللهُ مَـسَاكْ ... مَـوْلايَ وهَـلْ يَـنْعَمُ مَـنْ لَـيْسَ يَـرَاكْ

(١) في (ظ): «وله».

(٢) في (ظ): «وفي معناه ووزنه».

(٣) ديوانه، ٣/ ١٠٤٢. وقد ذكر محقق الريحانة سهواً بأن هذه الرباعية ليست في ديوانه، بينما هي موجودة في الصفحة المذكورة.

[٣٤]
خِضر بن محمد المَوْصِليّ(١)

نزيل مكة شرّفها الله [٦٧/أ] كعبة فضل مرتفعة المقام، تضمَّنَتْ مكارمه التزام الثناء عليه بأحسن تضمّنٍ والتزام، وهو حسنةٌ في صحف الأيام والليالي، وروضةٌ تنبت الشكر في رياض المعالي.

كانت أوقاتي به في مجاورة الحرم(٢) ما بين أصيل وسحر، وما قصرت مع ذلك القصر، وعيشي به نضر، وقد قيل: لكلِّ زمان خضر: [الطويل]

إذا ما ذَكَرْنَا جُودَهُ كانَ حاضِراً نَأى أو دَنَى يَسْعَى على قَدَمِ الخِضرْ

ولم تزل رحابه بين [بني] حسَنٍ مخضرة الأكناف، وكان يقيم معهم بالفريق، والأطراف منازل الأشراف، وقد أَلَّف باسم السيد حسن «شرح شواهد الكشاف» في عدة مجلدات.

من شعره قوله مضمِّناً: [الطويل]

---

(١) خضر بن عطاء الله بن محمد الموصلي (ت: ١٠٠٧/١٠٩٨): نزيل مكة. أصله من الموصل. أديب عالم في النحو، واللغة، ومعاني الأشعار. توفي قبل وصوله إلى المدينة. من مؤلفاته: «الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف» ألفه باسم أمير مكة حسن بن أبي نُمَيّ، و«أرجوزة» في فضل أهل البيت ووقائعهم. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢١٥؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٣١؛ كشف الظنون، ٢/ ١٤٨٢؛ هدية العارفين، ١/ ٣٤٧؛ سلافة العصر، ص. ٣٨٥؛ البدر الطالع، ص. ٢٥٣؛ معجم المؤلفين، ١/ ٦٧١؛ الأعلام، ٢/ ٣٠٧.

(٢) في (ظ): «الحرمين».

تَبَـدَّلْ عَـنِ الـبَرْشِ[١] المُبَلِّـدِ بِـالطِّلاَ فَعَـالِمُ أَهْـلِ الـبَرْشِ غِمْـرٌ وَجَاهِـلُ
وَمَا البَرْشُ إِنْ فَتَّشْتَ عَنْ كُنْهِهِ سِوَى (دُوَيْهِيَـةٌ تَـصْفَرُّ مِنْهَـا الأَنَامِـلُ)[٢]

وقد سبقه إلى نحوه الأسعد بن مَمَّاتِي في كتاب «سلافة الزرجون في الخلاعة والمجون»[٣]: [الطويل]

نَـدِيمِيَ لا تَهْـزَأْ بِمَـشْمُولَةٍ وإِنْ بَـدَا لَـكَ مِنْهَـا بَهْجَـةٌ وَشَـمائِلُ
وَراقَـكَ[٤] مِنْهَـا رِقَّـةٌ فِي قَوَامِهَـا وَلاحَتْ كَشَمْسٍ أَضْعَفَتْها الأَصَائِلُ
فَـلا تَغْـتَرِرْ مِنْهَـا بلِـينٍ فَإِنَّهَـا (دُوَيْهِيَـةٌ تَـصْفَرُّ مِنْهَـا الأَنَامِـلُ)

وقد ضمن منها ابن قَوبع[٥] من هذه القصيدة قوله: [الطويل]

تَأَمَّـلْ صُـحَيْفاتِ الوُجُـودِ فَإِنَّهَـا مِـنَ الجانِـبِ السّامِي إِلَيْـكَ رَسَـائِلُ
وَقَـدْ خُـطَّ فِيهـا إِنْ تَأَمَّلْـتَ خَطَّهـا (أَلاَ كُـلُّ شَيءٍ مـا خَـلا اللهَ بَاطِـلُ)[٦]

وفي معناه قول البوريني[٧]: [الكامل]

وُرْقُ الرِّيَـاضِ إذَا نَظَـرْتَ دَفَـاتِرٌ مَـشْحُونَةٌ بِأَدِلَّـةِ التَّوْحِيـدِ

---

(١) البرش: نباتٌ مُخدّرٌ (حشيش – أفيون).

(٢) العجز المضمن للبيد بن ربيعة، صدره: «وكل أناس سوف تدخل بيتهم». عقد الفريد، ٤/ ٢٥.

(٣) الكتاب لنور الدين محمد بن محمد الأسعردي (٦١٩-٦٥٦هـ) أفرد به هزليات شعره وشعر غيره. وكان من كبار شعراء الملك الناصر. كشف الظنون ٩٩٥. (ج).

(٤) في (ظ): «وراقها».

(٥) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن التونسي ركن الدين القَوبع المالكي النحوي (٦٦٤-٧٣٨هـ) زاهد عالم. شرح ديوان المتنبي، بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٢٢٨. (ج)

(٦) هذا صدر البيت للبيد بن ربيعة، عجزه: «وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحَالَةَ زائِلُ». العقد الفريد، ٥/ ١٦٦.

(٧) لم يرد في ديوانه.

وممَّا مدحته في شبيبتي، قبل نوم سيارة همتي، وخمود نار شرّتي(١): [الخفيف]

وَصُبِّي(٢) مِنْ كُؤُوسِ ذِكْرِكَ سُكْرا ... لَكَ حَمَّلْتُهَا ثَنَاءً وَشُكْرَا
وَلِوَجْدِي رَقَّتْ كَطَبْعِكَ لُطْفاً ... وَاسْتَعارَتْ مِنْ طِيبِ ذِكْرِكَ نَشْرَا
[٦٧/ب] مَعَكَ القَلْبُ حَيْثُما سِرْتَ يَسْرِي ... فَاسْأَلَنْهُ عَنِّي فَذٰلِكَ أَدْرَى
مِنْ أُولِي العَزْمِ لِي فُؤادٌ كَلِيمٌ ... فِي النَّوَى لا يَزالُ يَتْبَعُ خضْرَا

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ٢١٧؛ وخلاصة الأثر، ٢/ ١٣١.
(٢) في (ظ): «وصبا».

[٣٥]
شيخُ الإسلام عُمَر بن عبد الوَهَّاب العُرْضِيّ الحلبِيّ الشافعي[١]

بحرٌ لا تكدِّره الدِّلاء، ولا تُنْزف موارده المِلاء، لم يزل صدراً للإفادة بحلب، ترعى في ربيع فضله سوائم الطلب، وله حديث كقطع الروض ولذة النشوان، صُبَّ عليه ماءُ الحُسن وجرى خلاله ماء البيان، تتسابق ألفاظه ومعانيه إلى القلوب والآذان، حتى لا يُدْرى أيُّها السابق في مضمار البيان[٢]، فكم هبت شمال[٣] شمائله، فأصبحت سماء فضائله، وانقشع به غيم الغي عن مطلع الهدى، واخضرَّ به عود الفضل بعد ما ذوى، فما نكت[٤] عطارد، من النوادر عنده بل من

(١) عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود العرضي الحلبي الشافعي القادري (٩٥٠-١٠٢٤ / ١٥٤٣-١٦١٥): محدث، فقيه، أديب، مؤرخ. كان مفتي حلب. ولد بحلب، وتوفي بها. قرأ على أبيه صغيراً، واشتهر وولي إفتاء الشافعية. من مؤلفاته: «فتح الغفار بما أكرم الله به نبيه المختار» شرح على كتاب الشفا، و«شرح رسالة القشيري».

أقول: والعُرضي نسبة إلى عُرْض بضم أوله وسكون ثانيه. بليدة في برية الشام، بين تدمر والرصافة. معجم البلدان. (ج).

انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٧٩؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٢١٥؛ تراجم الأعيان، ٢/ ٣٦٧؛ لطف السمر، ٢/ ٥٨٧؛ سلك الدرر، ٢/ ٨٨؛ كشف الظنون، ١/ ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٥٤؛ هدية العارفين، ١/ ٧٩٦؛ إعلام النبلاء، ٦/ ١٩١؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥٦٥؛ الأعلام، ٥/ ٥٤.

(٢) في (ظ): «الإحسان».

(٣) في (ظ): «شمائل».

(٤) في (س): «نكتة».

البوارد، وقد بلغت أياديه الحسان، إلى مدى لا يلحقه الاستحسان، حتى ترقّى شرف السبعين، وصعد إليها بدرج السنين، ولم يزل يرفل في حلل الغنى، حتى سحبَ الدهرُ عليه أذيال الفنا، وقد أَلَّفَ وصنَّف، وأفاد وأجاد، فأتى بها لو بقي على الدهور، أخجل جواهر البحور، لكن شعره شعر العلماء، ونثره نثر الفقهاء، كقوله في «شرح الكافية» للجامي[(١)]: [البسيط]

لله دَرُّ إمامٍ طالَما سَطَعَتْ ... أَنْوارُ أَفْضالِهِ مِنْ عِلْمِهِ السَّامِي
أَلْفاظُهُ أَسْكَرَتْ أَسْماعَنا طَرَباً ... كَأَنَّها الخَمْرُ تُسْقَى مِنْ صَفَا الجَامِي

ومثله قول ابن الحنبلي[(٢)]: [الطويل]

لِكافِيَّةِ الإِعْرَابِ شَرْحٌ مُنَقَّحٌ ... ذَلُولُ المَعانِي ذُو انْتِسابٍ إلى الجَامِي
مَعانِيهِ تُجْلَى حِينَ تُتْلَى كَأَنَّما ... هِيَ الخَمْرُ تَبْدُو شَمْسُها[(٣)] مِنْ صَفَا الجَامِي[(٤)]

ومثله قول عبد الله الدنوشري المصري[(٥)]: [البسيط]

لله شَرْحٌ بِهِ شَرْحُ الصُّدُورِ لَنا ... كَأَنَّهُ الدُّرُّ أَوْ أَزْهارُ أَكْمَامِ
قَدْ أَسْكَرَ السَّمْعَ إذْ تُتْلَى عَجائِبُهُ ... وَالسُّكْرُ لا غَرْوَ مَعْرُوفٌ مِنَ الجَامِي [٦٨/أ]

فصل[(٦)]

لـمّا منيت بغربةٍ قارظيَّةٍ، ورحلةٍ حارثيَّةٍ مُضاضيَّةٍ، أضفت طوارقها[(٧)]

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٨٠؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٢١٦؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ١٩٢.

(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٨٠؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٢١٦؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ١٩٢.

(٣) في خلاصة الأثر، وإعلام النبلاء: «هي الخمر يبدو جرمها».

(٤) في (ظ): «الجام».

(٥) ستأتي ترجمته في قسم مصر.

(٦) انظر ريحانة الألبا ١/ ٢١٧.

(٧) في (ظ): «طوارفها».

بالصبر، وتلقَّيتها بهدايا الحمد والشكر: [البسيط]

فَالحَمْـــدُ للهِ فِي حِـــلِّي وَفِي ظَعَنِـــي إنَّ الزَّمـانَ غَلِـيظَ القَـوْلِ أَسْـمَعْنِي
كَـأَنَّنِي بَيْـتُ شِـعْرٍ لا يُقـامُ لَـهُ وَزْنٌ، كـأَنَّ عَرُوضِـيًّا يُقَطِّعُنِـي

حثني العزم، وحداني الحزم، على أن آخذ من الفراق ثأري، وأعود من القاهرة المعزِّية إلى أوطان أوطاري، وعنان مطايا العزائم بين ثانٍ وحادي، وطوارق الوساوس ما بين رائحٍ وغادي، فلم أزل أدأب في الترحال، حتى ألقيت عصا التسيار في مناخ الآمال، رجاء لقاء[1] أشياخي وأخداني، ومغازلة خُرَّدِ أوانس الأماني، ممن نافثته بواديها، وساجلته في مساقاة بواديها، فبدا لي بها وجه جوٍّ قاطب، ولقيت ليالي غُوَّرِ الكواكب، ونهار أنفاسه سموم، أحرُّ من قلب صبٍّ مغموم، ومن نفثة معدم مظلوم، فإذا هي مقفرة الأرجاء، مبرقعة باليأس وجه الرجاء، أمواتها أشراف، وأحياؤها أجلاف، فأتيت الجامع الأزهر، وعهدي به روضٌ أزهر، تعجُّ فيه الأصوات، بالتِّلاوة والدَّعوات، تشرق أنواره، وتطلع في دارة ناديه أقماره، فلم أر من الدُّروس، إلا آثار الدُّروس، فوقفت بين عبرات وعبر، أريها السُّها وتريني القمر[2]: [الطويل]

مَـدارِسُ آيـاتٍ خَلَـتْ[3] مِـنْ تِـلاوَةٍ وَمَنْـزِلُ وَحْـيٍ مُقْفِـرُ العَرَصَـاتِ

فصِحتُ: سقى الله هذا الحمى، وساق له سحاب[4] الرحمة فعسى ولعلَّما، فما

---

(١) مثل يُضرب لمن تخاطبه فيبعد في الجواب. جمهرة الأمثال ١/ ١٤٢. (ج).

(٢) البيت لدعبل بن علي بن رزين الخزاعي في زهر الآداب، ١/ ١٣٤؛ ومعجم الأدباء، ٣/ ١٢٨٥.

(٣) في زهر الآداب: «عفت».

(٤) في (ظ): «سحابة».

أسرع ما غابت أَهِلَّةُ سمائه، وذوت رياض نضرته ونمائه، وقفل حَجيجُه من رباعه، وطافوا به طواف وداعه، فقد تهدَّمتِ الربوع وهذي بلاقعها، وجفّتِ الأنهار وهذه ضفادعها، [٦٨/ب] ضعاف طلبة زعموا أنهم أَلَّفوا وصنَّفوا، وبقية كبقية أهل الكتاب بدَّلوا وحرَّفوا، وكراسة أوراق خريف لونه أعاصير الشتات، كأنَّ رسومَه آيةُ المواريث وصحفُ الفرائض ما بها غير الأموات: [الكامل]

أَمّـــا الخِيـــامُ فَإِنَّهـــا كَخِيـــامِهِمْ ... لــٰكِنْ نِــساءُ الحَــيِّ غَــيْرُ نِــسائِها

فعجتُ[1] على مقابر أطلالها، وقد خيّلت لي منازل سفرٍ مملوءة بسروجها وحِمالها[2]، ورفعت العقيرة آها وآيها، فأنشدني صداها بديها: [مجزوء الكامل]

يــا راكِبــاً حَــثَّ المَطِــيَّ م ... لأَرْضِ مِــصْرٍ تَنْتَحِيهَــا
جُــزْ بِالقَرافَــةِ وَاقْــرَأَنْ ... مِنِّــي الــسَّلامَ لِــساكِنِيهَا
وَقُــلِ الــسَّلامُ عَــلَى الكِـرَا ... مِ الفاضِــلِينَ بُعَيْــدَ ذِيهَــا[3]
لَمْ أَلْــقَ بَعْــدَهُمُ بِهــا ... إِلَّا جَهُــولاً أَوْ سَــفِيهَا
فَكَــأَنَّما الــدُّنْيا البَخِيــ ... ــلَةُ بِالعَطــاءِ لِمُجْتَــدِيهَا
صَرَفَــتْ دَنــانِيرَ البَهَــا ... بِنُحاسِ نَحْسٍ مِـنْ بَنِيهَـا
ســادَتْ بِهــا فِــرَقُ العَبِيــ ... ــدِ فَــأَيُّ حُــرٍّ يَرْتَــضِيهَا
فَلِــذا هَجَــرْتُ مُقامَهــا ... وَطَلَبْـتُ أَرْضـاً أَصْـطَفِيهَا

---

(١) في الأصلين: فعجبت. والمثبت من ريحانة الألبا ١/ ٢١٩. (ج).

(٢) في (س): «رجالها»، وفي ريحانة الألبا ١/ ٢١٩: بسروجها ورحالها.

(٣) كذا في الأصلين، وفي ريحانة الألبا: الأكرمين الفاضليها. وفي هامشه: وفي (أ، ب) الفاضلين بها بنيها. وفي (ج): الأكرمين ومن يليها. (ج)

فَـإذا مَـرَرْتَ فَـلا تَـسَلْ عَمَّـنْ نَـأَى مِـنْ قاطِنِيهَـا
وَقِـفِ المَطِـيَّ بِجِلَّـقٍ إنَّ الكِـرامَ الغُـرَّ فِيهَـا
عُرِفَـتْ بِعَـرْفِ المَجْـدِ هَـا تِيـكَ الرُّبُـوعُ لِـساكِنِيهَا(١)

فأجبتُ الصدى، ولبّيتُ ذلك النداء، وإذا قُطعت الآجامُ لصلةِ رحم المروءة والدين، ووُطئتُ رؤوسَ الأوهام بأقدام اليقين، عرجت الأرواح من البدن وهو البلد الأمين، إلى سدرةِ مُنتهى المعارف والأسرار، بعد الوصول إلى الحرم المقدس ببُراق الأفكار، فحينئذ تقرُّ العيون، وتتّحدُ المنى والمنون، فتصل إلى الوادي المقدس طُوى، وتَنْزل تربةً [٦٩/أ] عُجنت بماء الوحي على رغم أنف النوى، فحططتُ بها رحالي، ومسحتُ بأذيالها محيًّا آمالي، ورويت من عين الشفا، بعد ما وقفت على شفا، بين الصخرة والطور، والبيت المعمور، المتلألىء بسبحات النور: [الوافر]

قَطَعْنَـا فِي مَـسافَتِهِ عِقابَـاً(٢) وَمـا بَعْـدَ العِقـابِ سِـوَى النَّعِـيمِ

ثم أتيتُ الشام شامةَ وجه البلدان، وجنّةَ الله في أرضه المحفوفة بالحور والولدان، المفروشة بخزِّ النبات المطرّز بالأنوار، المسجَّف بزرق الأنهار، فقالت أهلاً وسهلاً، وكرماً ونزلاً، وتلقَّتني بصدرٍ رحيب، فبتُّ فيها بين تكريم وترحيب: [مجزوء الكامل]

مِـنْ فَـوْقِ أَكْـمامِ الرِّيـا ضِ وَتَحْـتِ أَذْيـالِ النَّـسِيمِ

---

(١) في (س): «لسالكيها».

(٢) العقاب الأولى: جمع عَقَبة بالتحريك، وهي مرقى صعب في الجبال.

ولقيت فيها من الأعيان، الوارثين نقاء الأذهان والأردان، من كلِّ من تحسد عليه العيون الآذان، من كلِّ[١] كريم لعين المجد قرة، وكامل لوجه الكمال غرة، وفاضل لقلب الفضل قوة ومسرة، فرافقتهم في سبل المكارم احتساباً، لقول جرير:

أَلُؤْماً لا أَبا لكَ واغترابا[٢]

(١) في (ظ): «ما بين» بدلا «من كل».

(٢) أقول (ج): هو عجز بيت لجرير، ديوانه ٢/ ٦٥٠، صدره:

أعبدٌ حلَّ في شعبى غريباً

وكان ممن اجتلاه ناظري، وعكَف في حرَم ودِّه خاطري:

[٣٦]

عبد الرحمن بن عماد الدين الشامي الحنفي[(١)] |رحمه الله|[(٢)]

وهو إذ ذاك مفتيها، وناشر لواء الإفادة بناديها، ومحيي من[(٣)] رسوم المدارس كلَّ داثرٍ بها ودارِس. إن جاد فجوده عوذة[(٤)] للعدم، أو وعد فوعْدُه للغِنَى سَلَم، مع صدق نية ومقال، تعقد[(٥)] منه الأقوال بالأفعال. إن ذكر ما فيه من محاسن الصفات، سجدت له الخناصر كأنه آيات سجدات، أو سُردت نعوتُهُ فكلُّ نعتٍ دونها مقطوع، وكل وصف له تابع وهو متبوع، في طيب عنصر، لو رآه النَّظَّام سلّم أنه

---

(١) عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادي الحنفي الدمشقي (٩٧٨-١٠٥١/ ١٥٧٠-١٦٤١): مفسر، فقيه، أديب. ولد بدمشق، ونشأ يتيماً. واجتهد في التحصيل على الحسن البوريني، وعلى ابن خالته محمد بن محب الدين الحنفي، ولزم القاضي محب الدين الحموي نزيل دمشق ومفتيها. وأخذ عن شمس الدين محمد بن المنقار نزيل دمشق. وحج، فأخذ عن صبغة الله بن روح الله الهندي. واشتغل بالإفتاء، والتأليف، والتدريس بمدارس دمشق، وتوفي بها. من مؤلفاته: «تحرير التأويل على ما في معاني بعض آي التنزيل»، و«الروضة الريا فيمن دفن بداريا»، و«المستطاع من الزاد في المناسك». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٢١؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٣٨٠؛ تراجم الأعيان، ٢/ ٣٦٧؛ سلافة العصر، ص. ٣٧٢؛ عرف البشام، ص. ٦٦؛ منتخبات التواريخ لدمشق، ٢/ ٦٠٤؛ كشف الظنون، ٢/ ١٨٢٩؛ هدية العارفين، ١/ ٥٤٩؛ إيضاح المكنون، ١/ ٥٩٤؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣٠٩؛ معجم المؤلفين، ٢/ ١٢١؛ الأعلام، ٣/ ٣٣٢.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) في (س): «عودة». وفي ريحانة الألبا ١/ ٢٢١: تميمة.

(٥) في (ظ): «يعقد».

الجوهر الفرد، ولطف طبع هو شقيق الروض المخجل بلطافته خدود الورد، فمتَّعني منه بما هو ألذّ [٦٩/ب] من نيل الوطر، وليس العيان كالخبر، وهبَّت لي ريح إقباله قَبول وجَنوب، وأطربتني أنفاسُه والكريمُ طروب، بحسن تقرير وتحرير، يترنَّح لها كلُّ قضيبٍ نضير.

وبالجملة فهو في كلِّ كمالٍ مفرد، غنيٌّ عن التعريف بفضلٍ له لا يحدُّ، فإنه أَصيل عصره، وعماد دهره، كأنَّما عناه القائل: [الخفيف]

أَرَأَيْـتُمْ فِي النَّـاسِ ذاتَ لَطِيـفٍ ... تَشْرَحُ الصَّدْرَ مِثْلَ ذاتِ العِـمادِ
حَـسْبُها مِـنْ لَطافَـةٍ أَنَّهـا لَمْ ... يَخْلُـقِ اللهُ مِثْلَهـا فِي الـبِلادِ

وقد دارت بيني وبينه كؤوس محاورات لها ثغر الحَباب باسم، والتقطنا من درر الآداب فرائد لها بنان البيان ناظم، ولما قُوِّضتْ خيام المقام، وزُمَّتْ مطايا العزائم، كتبتُ مودّعاً له وشاكراً لما أفاضه عليّ من حلل المكارم: [الكامل]

قَـسَماً بِلُطْـفٍ مالِـكٍ لِفُـؤادِي ... وَبِـرَوْضِ أُنْـسٍ مُثْمِـرٍ لِـوِدَادِي
وَبِطَلْعَـةٍ نَزَلَـتْ لَـدَى حَـرَمِ العُـلا ... وَبِـسُدَّةٍ هِـيَ قِبْلَـةُ القُـصَّادِ
أَنَّـى ارْتَحَلْـتُ وَذِكْـرُكُمْ أَبَـداً عَـلَى ... طُـولِ المَـدَى مـائِي النَّمِـيرُ وَزَادِي
يا مُفْرَدَ الدُّنْيا وَبَيْـتَ قَـصِيدِها الـزَّ ... اهِـي لَـدَى الإِنْـشاءِ وَالإِنْـشَادِ
يـا بْـنَ العِـمادِ لأَنْـتَ عُمْـدَةُ سـادَةٍ ... تُمْتـاحُ فِي الإِصْـدارِ وَالإِيْـرَادِ
وَحَـدِيثُ فَـضْلِكُمُ المُعَـنْعَنُ مَجْـدُهُ ... أَضْـحَى بِأَصْـلِكَ عـالِيَ[1] الإِسْـنَادِ
يُثْنِـي عَلَيْـهِ رائِـحٌ أَوْ غـادِي ... أَبَـداً بِـرَغْمِ عَـشِيرَةٍ أَوْغَـادِ
فَاسْـلَمْ وَدُمْ فِي عِـزَّةٍ أَيَّامُهـا ... لِلِقائِـهِ لَبِـسَتْ حُـلَى[2] الأَعْيَـادِ

---

(١) في (ظ): «ثابت».

(٢) في (س): «عَلَى».

فأجاب رحمه الله(١): [الكامل]

هَـذِي دَرَارٍ(٢) نُورُهـا لي هـادِي وَشِـهابُها رُجُـمٌ عـلى أَضْـداَدِي
أَمْ رَوْضَةٌ بَسَمَتْ ثُغُورُ زُهُورِها أم حُلَّـةٌ وُشِـيَتْ مِـنَ الأَبْـرَادِ
أَمْ تِلْـكَ أبْيـاَتٌ أَبِيَّـاتُ البِنَـا رُفِعَتْ على عُمُدٍ رَفَعْنَ عِـمادِي
بُنِيَتْ بِأَيْدِي فِكْرِ قُسٍّ خَفَاجَةٍ تَبَّـتْ أَيـادِي فِكْـرِ قُـسِّ إِيـادِ
مَوْلايَ يا فَرْدَ الوُجُـودِ فَـضائِلاً وَشَـمائِلاً يـا وَاحِـدَ الآحـادِ [٧٠/أ]
قَدْكُنْتُأَسْمَعُعَنْفَضائِلِكَالَّتِي شَـنَّفْنَنِي مِـنْ حـاضِرٍ أَوْ بَـادِ
وَلَطالَمَا قَدْ كُنْتُ أَرْجُو المُلْتَقَى وَتُبَعِّـدُ الآمـالُ طُـولَ بِعَـادِي
حَتَّىشَهِدْتُجمالَكُمْ(٣)فَلِمِحْنَتِي جَذَبَتْ مَحَبَّتُكُمْ شِغافَ فُؤَادِي
ودَنا الرَّحِيلُ مُخَلِّفاً قَلْبِي لكُـمْ وَقْفـاً عـلى الإتْهـامِ والإِنْجـادِ
سِرْ بالهَنَـا أمَّـا خَيـالُ كَمالِكُـمْ فَهْوَ السَّميرُ لِمُهْجَتِي في النَّـادِي
وَاسْلَمْ ولا تَنْسَ العِمادِي إِنَّـهُ لَيُعَلِّـلُ الأَحْـشَا بِقُـرْبِ مَعـادِ

وأنشدني له أيضا قوله(٤): [الطويل]

سَـأَطْمِسُ آثـاراً هَـوَايَ أَثَارَهَـا وَأَنْفُـضُ مِـنْ ذَيْـلِ التَّصَابِي غُبَارَهَـا
فَقَـدْ آنَ صَـحْوِي مِـنْ سُـلافِ صَـبَابَةٍ لَقَـدْ طالَمَـا خَـامَرْتُ جَهْـلاً خُمَارَهَـا

---

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) في (ظ): «دراري».

(٣) في (ظ): «كمالكم».

(٤) هذه الكلمة ساقط من (ظ). والقصيدة في ريحانة الألبا، ١/ ٢٢٤-٢٢٥؛ وخلاصة الأثر، ٢/ ٣٨٧-٣٨٨.

هَجَرْتُ الهَوَى والزَّهْوَ حتى اشْتِياقَهُ ... وَطِيبَ لَيَالِي اللَّهْوِ حتى ادِّكَارَهَا
وعَفَّيْتُ سُبْلَ الهَزْلِ بِالجِدِّ مُقْلَعاً[1] ... وَعِفْتُ مَسَرَّاتٍ جَنَيْتُ ثِمارَهَا
أَثَامٍ كُفِيتُ اليومَ بِالتَّرْكِ شَرَّها ... لَعَلِّي غداً بالحشْرِ[2] أُكْفَى شَرَارَهَا
قَطَفْتُ أَزاهِيرَ الصَّبابَةِ فِي الصِّبا ... وَقَدْ صارَ عاراً أَنْ أَشُمَّ عَرَارَهَا
فَلَوْ صائِدَاتُ القَلْبِ أَقْبَلْنَ كَالمَهَا ... وَقَبَّلْنَ رَأْسِي ما قَبِلْتُ مَزَارَهَا
وَقَدْ كُنْتُ أُوْدِعْتُ الحِجَا فَاسْتَرَدَّهُ ... إلى النَّفْسِ شَيْبٌ قَدْ أَعَادَ وَقَارَهَا
وَكَانَ شَبابِي شَبَّ نارَ صَبابَتِي ... فَمُذْ لاحَ نُورُ الشَّيْبِ أَخْمَدَ نَارَهَا
تُرَى شَيْبَتِي ما عُذْرُها لِشَبِيبَتِي ... وقَدْ سَبَقَتْ قَبْلَ الكَمالِ عِذارَهَا
تَبَسَّمَ ثَغْرُ الشَّعْرِ[3] فيها تَعَجُّباً ... لَهَا إِذْ رَأَى لَيْلَ الشَّبابِ نَهارَهَا
فَما زارَ وَكْرَ الشَّعْرِ فِيها غُرابُهُ ... وَلا دارَ حَتَّى اسْتَوْطَنَ البازُ دَارَهَا
عَسَى الآنَ عَمّا قَدْ عَثُرْتُ إنابَةٌ ... يُقِيلُ بِها لِلنَّفْسِ رَبِّي عِثَارَهَا
عَسَى نَفْحَةٌ مِنْ نَوْرِ نُورِ مَعارِفٍ ... تَهُبُّ فَيَخْتارُ الفُؤادُ قَرَارَهَا
وَيَشْرَحُ صَدْرِي نُورُ عِلْمٍ مُقَدَّسٍ ... يُرِينِيَ أَسْرارَ العُلُومِ جِهَارَهَا
[٧٠/ب] وَأُمْنَحُ أَلْطافاً مِنَ الأُنْسِ أَبْتَغِي ... خَفاها وَيَأْبَى الوَجْدُ إِلَّا اشْتِهَارَهَا
وَيَكْشِفُ مِنْ عَيْنِ البَصِيرَةِ حُجْبَها ... بِأَنْوارِ عِرْفانٍ تُزِيلُ اسْتِتَارَهَا
فَيَظْهَرُ لِي سِرُّ الحَقِيقَةِ مُشْرِقاً ... عَلَى ظُلْمَةِ الكَوْنِ الَّتِي[4] قَدْ أَنَارَهَا

---

(١) في (س وظ): «متلعاً». والمثبت من ريحانة الألبا. (ج).
(٢) في (ظ): «في الحشر».
(٣) في (ظ): «الشيب».
(٤) في (ظ): «الذي».

وَأَحْظَى بِحالاتٍ مِنَ القُرْبِ أَكْتَسِي بِـدُنْيا وَأُخْـرَى فَـضْلَها وَفَخَارَهَـا
وَلُطْـفُ إِلٰهِـي قُطْـبُ دائِـرَةِ الْمُنَـى فَـإِنَّ عَلَيْـهِ في العَطـاءِ مَـدَارَهَا

وقوله أيضا[1]: [الكامل]

قَـدْ شـابَ فَـوْدِي حِيْنَ تـابَ فُـؤادِي فَكَـأَنَّمَا كُنّـا[2] عَـلَى مِيعَـادِ
حُـسْنُ الخَـواتِمِ أَرْتَجِـي مِـنْ مُحْسِنٍ قَـدْ مَـنَّ لي قِـدْماً بِحُـسْنِ مَبَـادِي
وَعِـمادِيَ التَّوْحِيـدُ فَهْـوَ وَسِـيلَتِي في نَيْـلِ مـا أَرْجُـوهُ عِنْـدَ مَعَـادِي
إِنْ قِيـلَ أَيُّ سَـفِينَةٍ تَجْـرِي بِـلا مـاءٍ وَلَـيْسَ لأَهْلِهـا مِـنْ زَادِ
قُـلْ رَحْمَـةُ الـرَّحْمٰنِ مَـنْ أَنَـا عَبْـدُهُ تَـسَعُ العِبـادَ فَمَـنْ هُـوَ ابْـنُ عِـمادِ[3]

---

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٢٥؛ وخلاصة الأثر، ٢/ ٣٨٨.

(٢) في (ظ): «كانا».

(٣) في (ظ): «عمادي».

ومن أدبائها وفضلائها المدلجين إلى منازل الفناء، السارين قبل وصولي لها[1] إلى دار البقاء، الأوحد الأمجد، العلم المفرد:

[٣٧]

عبد الحق المعروف بالحجازي[2]

وهو، كما أُخبرت عنه، ممن له حسب كريم، وفضل جسيم، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢]. أما الفصاحة فهو من الغرِّ المحجَّلين يوم رهانها، وأما الفضائل فلا يُشقُّ غبارُه في حلبة ميدانها، فهو من المُرْتَضِعين دَرَّ المعالي في حجور الفضائل، المرتدين حِبَرَ المكارم وشملة الشمائل، العاكفين في حرم العفاف، المقتطفين لجنى المجد غَضَّ القطاف.

فمن ثماره، ومنفتح أنواره، الدالة على طيب المَغْرِس وزكاء المَنْبِت، قوله من قصيدة له[3]: [الطويل]

---

(١) ساقط من (ظ).

(٢) زين الدين عبد الحق بن محمد بن محمد الحمصي الأصل الدمشقي الشافعي السماقي المعروف والده بالحجازي (٩٦٢-١٠٢٠ / ١٥٥٥-١٦١١): الفاضل الأديب المشهور. ولد في دمشق. كان اشتغاله على والده، وغلبت عليه العلوم العقلية مع إحاطة تامة باللغة العربية. سافر إلى الروم ،أخذ عن أبيه المدرسة التقوية، ودار الحديث الأشرفية. وكانت له بقعة تدريس بالجامع الأموي. تردد إليه الطلاب في حجرته بجامع القلعي في سوق جقمق داخل باب الجابية. أصيب في آخر عمره بالفالج نحو سنتين، وتوفي في دمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير عند قبر أبيه. له شعر فيه رقة. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٦٢؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٣١٠؛ تراجم الأعيان، ٢/ ٣٥٣؛ لطف السمر، ٢/ ٤٩١؛ علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ١/ ٢٦٠؛ الأعلام، ٣/ ٢٨٢.

(٣) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٦٢-٢٦٤؛ وعلماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ١/ ٢٦٣.

سَقَى الرَّبْعَ هَطّالٌ مِنَ المُزْنِ سَاكِبُ وَجادَتْ عَلَيْهِ السَّارِياتُ السَّوَارِبُ
هَدِيَّةَ رَجّافِ العَشِيِّ كَأَنَّهُ كَتائِبُ تَقْفُو إِثْرَهُنَّ كَتَائِبُ(١)
وكُلُّ صَدُوقِ البَرْقِ دَانٍ رَبابُهُ تَنُوءُ فُوَيْقَ الأرضِ منه الهَيَادِبُ(٢)
تُزَجِّيهِ أَنْفَاسُ الشَّمالِ وَتَمْتَرِي ضُرُوعَ عَزالِيهِ الصَّبا وَالجَنَائِبُ [٧١/أ]
يُرَوَّى بِهَا في سَيْبِهِ ظَامِئَ الثَّرَى وَيُمْحى بِسُقْياهُ المُحُولُ اللَّوَازِبُ
كَأَنَّ هَدِيرَ الرَّعْدِ في جَنَباتِهِ هَدِيرُ قُرُومٍ هَيَّجَتْها الضَّوَارِبُ
كَأَنَّ دُمُوعَ المُزْنِ وَهْيَ سَوَابِلٌ دُمُوعُ مُحِبٍّ فارَقَتْهُ الحَبَائِبُ
فَذَاكَ الحيا لا زَالَ في أَرْبُعِ الحِمَى مَرِيئاً بها منه الزُّلالُ الخَضَارِبُ(٣)
فَتُصْبِحُ منه الأَرْضُ مُخْضَرَّةَ الرُّبَى مُجَلَّلَةً بِالرَّيْطِ منها الأَهَاضِبُ
ويُصْبِحُ مَنْشوراً بها رَيِّقُ الحَيَا كما نَثَرَتْ مِنْ جِيدِهَا السِّمْطَ كاعِبُ
خَمائِلُ مِنْها لِلظِّبَاءِ مَسارِحٌ وَفِيها لأَذْيالِ الرِّياحِ مَسَاحِبُ
كَأَنَّ ثُغُورَ النَّوْرِ وَهْيَ بَواسِمٌ بِأَرْجائِها القُصْوَى نُجُومٌ ثَوَاقِبُ
تَهادَى ظِباءُ الوَحْشِ فِي عَرَصاتِها كَما تَتَهادَى فِي القُصُورِ المَرَازِبُ
كَأَنَّ الرُّسُومَ الدّارِساتِ تَصَبُّرِي عَشِيَّةَ حُفَّتْ بِالْقَطِينِ الرَّكَائِبُ
فَوَا أَسَفِي لا القَلْبُ مِنْ سَكْرَةِ الهَوَى مُفِيقٌ وَلا مِنْ غَيْبَةِ الشَّوْقِ آيِبُ
فَمَنْ لِي بِحِفْظِ العَهْدِ مِنْ ذِي صَبابَةٍ أَضاعَتْ هَواهُ المُذْنِباتُ العَوَاتِبُ

---

(١) في (ظ): «كثائب».

(٢) الهيدب: من السحاب المتدلي الذي يدنو من الأرض، وتراه كأنه خطوط عند انصباب المطر. (ج)

(٣) في (ظ، س): فذاك الحمى... مريئٌ بها. والمثبت من ريحانة الألبا ١/ ٢٦٣.

والخضارب: ماء يموج بعضه في بعض. (ج)

يَهُبُّ مَعِي مِنْ هَجْعَةِ العَجْزِ رُبَّما ... يُنالُ بِأَشْفَاعِ الجُدُودِ المَطَالِبُ
فَقَدْ تُدْرَكُ الحاجَاتُ وَهْيَ فَوائِتٌ ... وَقَدْ تَصْدُقُ الآمالُ وَهْيَ كَوَاذِبُ

ومن فوائدها: سئل عن الفرق بين قول ابن نُباتة السَّعْدِي[1] في قصيدته التي أولها[2]: [الطويل]

رَضِينا وَلَمْ تَرْضَ السُّيُوفُ القَوَاضِبُ ... نُجاذِبُها عَنْ هامِكُمْ[3] وَتُجَاذِبُ
خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ القَنَا فِي ظُهُورِهِمْ[4] ... عُيُوناً[5] لَهَا وَقْعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ

وقول إبراهيم الغزي: [الطويل]

خَلَقْنا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحاجِبٍ ... بِسُمْرِ القَنا وَالْبِيضِ عَيْناً وَحَاجِبَا

أيُّهما أبلغ وأحسن؟ فقال: بيت الغزي أبدع لما فيه من الصنائع؛ كالطباق بين السمر والبيض، ورد العجز على الصدر، واللف والنشر، ومراعاة النظير، وادَّعى أنه يجوز [٧١/ ب] أن يراد بالعين فيه الرئيس، وبالحاجب من يتبعه من حجّابه، والمعنى: أن رماحنا وسيوفنا نالت الحاجب والمحجوب، والرئيس والمرؤوس، ففيه توريةٌ واستعارة، وهذا مما خلا عنه البيت الأول مع ما فيه من الافتخار بقتال

(١) هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميمي السعدي، أبو نصر (٣٢٧-٤٠٥ / ٩٣٨-١٠١٤): من شعراء سيف الدولة بن حمدان. طاف البلاد ومدح الملوك، واتصل بابن العميد في الري ومدحه، معظم شعره جيد. توفي ببغداد. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ديوانه (دراسة المحقق)، ١/ ٢٢؛ وفيات الأعيان، ٣/ ١٩٠؛ شذرات الذهب، ٤/ ٣١؛ معجم المؤلفين، ٢/ ١٦٥.

(٢) ديوانه، ١/ ١٨٢.

(٣) في (ظ): «هامهم».

(٤) في الديوان: «لظهورهم».

(٥) في الأصل: «عيون».

أعدائهم وعدم انهزامهم، فإنه يفتخر بمثله وبذا عيب على البيت الثاني، وإن قال في «إيضاح المعاني»: إنه أبلغ لاشتماله على زيادة معنى، وهو الإشارة إلى انهزامهم، وأطال وأسهب، وبعَّدَ وقرَّبَ. والحقُّ ما ذهب إليه الخطيب[1] فإن بيت النباتي أحلى لما فيه من التشبيه البديع لجعل أثر الطعنة المستديرة عيناً، وشطبة السيف حاجباً، وفيه إغراب بجعل العين والحاجب في الظهر، وإذا فهمت ما تُلَي عليك عرفت حسن ما قلته في بعض القصائد: [الكامل]

قَوْمٌ غَزَوْتُهُمُ فَكُلُّ جُسُومِهِمْ ... نُقِلَتْ لَهُنَّ إِشَارَةُ الـمُتَكَلِّمِ
مِنْ كُلِّ مُقْلَةِ طَعْنَةٍ نَجْلاءَ قَدْ ... نَظَرَتْ فِرَاقَ الرُّوحِ تَبْكِي بِالدَّمِ
رَمِدَتْ فَكَحَّلَهَا بِمِرْوَدِ سُمْرَةٍ ... مِنْ إِثْمِدِ النَّقْعِ الْمُثَارِ الْمُقْتِمِ

وأما الانهزام فلا يدل على عدم شجاعتهم، فيخلّ بالفخر، فإنَّ الشجاع ينهزم ممّن هو أشجع منه[2]، ومثله كثير في أشعارهم، وقد قيل: الفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء، كما فرّ موسى حين هم به القبط.

وما ذكره في العين والحاجب تخيل سخيف، ومعنى ضعيف، وجعله العين والحاجب بمعنى الرئيس والحاجب من أعجب العجائب، كما أن جعل الغزي العين في العين، والحاجب في الحاجب، فيه سماجة تعبير لا يخفى على الناقد البصير، وقد نحوت نحو ابن نباتة في عينه وحاجبه، وأشرت إليه بعينه وحاجبه في قولي[3]: [الطويل]

---

(١) ذكر الخطيب القزويني هذا في آخر كتابه إيضاح المعاني، في الباب الذي عقده للسرقات.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٦٦؛ ونفحة الريحانة، ٤/ ٥٤٧.

وَتَنْظُـرُهُ مِـنْ قَلْبِـيَ الـصَّبِّ أَعْـيُنٌ   عَلَيْهـا لِمَحْنِـيِّ[١] الـضُّلُوعِ حَوَاجِـبُ

وقد مرت الإشارة بالعين والحاجب[٢]، والنظر من طرف خفي إلى الوجه [٧٢/ أ] المناسب.

وما ذكر من النقد ذكره ابن الشجريّ في «أماليه»[٣] نقلاً عن الشريف المرتضى، وقال: إنه عاب عليه قوله «في ظهورهم» وفي رواية «لظهورهم» وقال لو قال: «لصدورهم» كان أمدح، لأن الطعن والضرب في الصدور أدلُّ على الإقدام وشجاعة الطاعنين والضاربين، والمطعونين والمضروبين، إذ وصف القرن بالإقدام مع ذكر ظهوره عليه أمدح من وصفه بالانهزام، ولذا قال أبو تمام[٤]: [الطويل]

حَـرَامٌ عَـلى أَرْماحِنَـا طَعْـنُ مُـدْبِرٍ   وَتَنْـدَقُّ في أَعْـلَى الـصُّدُورِ صُـدُورُهَا

وقد عرفت جوابه مما ذكرناه فتذكره.

(١) في (ظ): «لمحتي».

(٢) انظر صفحة (٦١) وما بعدها.

(٣) أمالي ابن الشجري ٢/ ١٨٧.

(٤) ديوانه، ١/ ٣٥١.

وممن رأيته بالشام من الأعلام.

[٣٨]
الأمير منجك بن منجك[١]

وهو جُذَيلُها المُحَكَّكُ، رأيته وقد ألحم وأسدى، غبّ ما أفاد وأسدى، وقد طلعت به نجوم المعالي سعوداً، وأعاد الدهر غضًّا جديداً، ونسيمه سجسج، وخيوطُ شيبه بيد الدهر لم تُنْسَجْ، وهو وإن كان من حوادث الرهان[٢] سلم، وجمع فصاحة زهير في هَرِمٍ، فقد طوى قرطاسه، وأشعل للرحيل نبراسه.

ولما كان مقامي بجِلِّق لمحةَ بصر، لإلمامي بها على جناح السفر[٣]، في ظل طائر، أو سحاب صيف سائر، لم أقرَّ باجتماعه، ولم ألتقط من فرائد إبداعه، غير قطعة أنشدنيها له بعض الرفقاء، هي قوله[٤]: [الطويل]

---

(١) الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفي الدمشقي (١٠٠٧-١٠٨٠ / ١٥٩٨-١٦٦٩): شاعر من بيت إمارة ورئاسة. ولد بدمشق. أنفق في صباه ما ورثه عن أبيه، وانزوى، ثم رحل إلى الديار التركية،ومدح السلطان إبراهيم، ولم يظفر بطائل، فعاد إلى دمشق، وعاش في ستر وجاه إلى أن توفي في ميدان الحصى بدمشق. ودفن بتربة أجداده في جامعهم المعروف منجك بميدان الحصى. من مؤلفاته: «ديوان شعر»، و«قصائد الروميات»، و«مجموعة منجك باشا». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٣٢؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٤٠٩؛ نفحة الريحانة، ١/ ١٣٦؛ ديوان الإسلام، ٤/ ١٢٧؛ سلافة العصر، ص. ٣٦٩؛ هدية العارفين، ٢/ ٤٧٢؛ إيضاح المكنون، ١/ ٢٦؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٩١١؛ الأعلام، ٧/ ٢٩١؛ تاريخ الأدب العربي العصر العثماني، ص. ١٤٧.

(٢) في (ظ): «الزمان».

(٣) في (ظ): «سفر».

(٤) ديوانه، ص. ٩٩.

وروْضَةُ أُنْسٍ بَاتَ فيها ابْنُ أَيْكَةٍ   يُغَرِّدُ والنَّايُ الرَّخِيمُ يُشَنِّفُ
وَقَدْ ضَمَّنَا فيها مِنَ اللَّيْلِ سَابِغاً   رِداءٌ بِمِسْكَيِّ الغَمَامِ[1] مُسَجَّفُ
وَظَلَّتْ عَرَانِينُ الأَبَارِيقِ بِالطِّلَا   إلى أَنْ بَدَتْ كافُورَةُ الصُّبْحِ تَرْعُفُ

وهو معنى مبتدع، تصرّف فيه فأحسن وأبدع، وأدار على مسامع الأدب كأسه المترع، وقد استحسنوا قول ابن رشيق القيرواني، وعدوُّه من روائع المعاني[2]:

[الكامل]

صَنَمٌ مِنَ الكافُورِ بَاتَ مُعَانِقِي   في حُلَّتَيْنِ تَعَفُّفٍ وَتَكَرُّمِ
فَذَكَرْتُ لَيْلَةَ هَجْرِهِ في وَصْلِهِ[3]   فَجَرَتْ بَقَايَا أَدْمُعِي كَالْعَنْدَمِ[4]
فَطَفِقْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتَيَّ بِجِسْمِهِ[5]   إذْ شِيمَةُ[6] الكافُورِ إِمْسَاكُ الدَّمِ [٧٢/ ب]

لكنّه قيل عليه: إنه دنَّس أدبه، إذ جعل عطف محبوبه منديلاً، ولو قال فجعلت عيني تحت أخمص رجله كان أليق بالأدب، وقد قلت في معناه[7]: [الوافر]

وَسَاقٍ بِالسُّرُورِ[8] غَداً طَبِيباً   لَهُ[9] طَرْفٌ يُشِيرُ إِلَى التَّصَابِي

(١) في الديوان، «رداء بأكناف السحاب».
(٢) ديوانه، ص. ١٣٥، باستثناء البيت الأول؛ وفي وفيات الأعيان، ٢/ ٨٧.
(٣) في الديوان: «فكرت ليلة وصلها في صدها».
(٤) العندم: شجر أحمر. وقيل: العندم دم الغزل بلحاء الأرطى يطبخان جميعاً حتى ينعقدا فتَخْتَضب به الجواري.
(٥) في (ظ): «بجيده». وفي الديوان: «في نحرها».
(٦) في (ظ): «إذ عادت». وفي الديوان: «إذ عادة».
(٧) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٥٥.
(٨) في ريحانة الألبا:«وساق لي السرور».
(٩) في ريحانة الألبا:«لها».

رَأى فِي الكَـأْسِ جَـرْيَ[١] دَمِ الحُمَيّـا فَـدَرَّ[٢] عَلَيْـهِ كـافُورَ الحَبَـابِ

ولمحمد بن مرج الكحل[٣]، وهو من فضلاء غرناطة[٤]: [الطويل]

أَلا بَـشِّرُوا بِالـصُّبْحِ مِنِّـيَ[٥] باكِيـاً أَضَرَّ بِـهِ اللَّيْـلُ الطَّوِيـلُ مَـعَ البُكَـا

فَفِـي الـصُّبْحِ لِلـصَّبِّ المُتَيَّمِ راحَـةٌ إذا اللَّيْـلُ أَجْـرَى دَمْعَـهُ وَلِـذا شَـكَا

وَلا عَجَبٌ أَنْ يُمْسِكَ الصُّبْحَ عَبْرَتِي فَلَـمْ يَـزَلِ الكَـافُورُ لِلـدَّمِّ مُمْـسِكَا

وقد تواردت معه في قصيدة مطلعها: [الوافر]

لَقَـدْ رَعَفَـتْ أَبـارِيقِي بِرَاحِـي إلى أَنْ لاحَ كـافُورُ الـصَّبَاحِ[٦]

فانظره مع ما قدمنا بعين الإنصاف، ثم لم أزل أتوكّأ على البيضاء والصفراء، وأقيلُ تحت قبابِ الزرقاء والخضراء[٧]، حتى قذفت بي لهوات المهامه إلى حلب الشهباء

وما هذه الأيام إلَّا مراحل[٨]

وما الناس إلا بين مقوِّض وراحل، فألقيت بها عصا التسيار عن عاتق

(١) في ريحانة الألبا:«صب».

(٢) في ريحانة الألبا:«فدرَّ».

(٣) هو محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم المكنى أبا عبد الله المعروف بابن مرج الكحل. وهو شاعر مفلق. كانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها إجادته. انظر ترجمته: نفح الطيب، ٥/ ٥٠. وجاء في الأصلين: برج الكحل.

(٤) الأبيات في نفح الطيب، ٥/ ٥٤.

(٥) في نفح الطيب: «من كان».

(٦) في (ظ): «الكافور».

(٧) في (ظ): «الخضراء والزرقاء».

(٨) صدر بيت لابن نباتة المصري، (ديوانه ٤٥)، عجزه: وأجدر بها تقضي قريباً وتقضب. (ج).

العزائم، وقد تفتَّحت بها عن زهرةِ[١] الدنيا خضر الكمائم، فإذا حصنٌ كأنه وكرٌ لنسر السماء، أو هامةٌ معمَّمة بكلِّ سحابة دكناء، أرضها مفروشة بديباج الزهور، وحيطانها مجلّلة بستائر النور، لطيف نسيمها عنبري الشميم، وأهلها ألطف من ذلك النسيم، من كلِّ مملوءٍ بالفضل ثيابه، محشوٍّ بالكرم إهابه، |وأديب|[٢] رقَّت باللطف[٣] شمائله،

فلولا البردُ يُمسكُهُ لسالا[٤]

وعذبت كلماته ورسائله. [الوافر]

فارشفنا على ظمأ زلالاً ألذَّ مِنَ المدامةِ للنَّديم[٥]

---

(١) في (ظ): «زهرة».

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) أقول (ج): قال أبو العلاء المعري بشروح سقط الزند ١/ ١٠٤:

يذيب الرُّعب منه كلَّ عضبٍ فلولا الغمد يُمسكه لسالا

وقوله: «فلولا البرد...» زيادة في (ظ).

(٥) أقول (ج): البيت للمنازي، أو لحمدونة الوادي آشية. وفيات الأعيان ١/ ١٤٣، نفح الطيب ٤/ ٢٨٨.

فكانَ ممَّن لمعتْ لنا بوارقُ بشره، وباحت نسمات لطفه بأسرار نشره، الفاضل الكامل المرتدي بحبر الشمائل [٧٢/أ] العاكف في حرم الإفادة، الطالع نجمه من أفق السعادة.

[٣٩]

أبو الوفاء بن شيخ الإسلام عمر العُرضي الحلبي الشافعي[(١)]

فلقيني منه حَبْرٌ مجيد، وأديب لنظم عقود الكلم مجيد، يضع القلادة في الجيد[(٢)]، فشاهدت فيه فضلاً لم تنظر عينٌ إلى مُنافيه، بل تشاهد عيون الآمال كلَّ المنى فيه، فإذا هو روضة محلّاة بنَورٍ وثمر، وحديقة منمنمة الأطراف والطرر، سقتها سحائب نداه، وباكرها صيّب جدواه، فلا منَّة لحوامل السحائب، ولا انتظار لقوافل الصبا والجنائب، فانتدب لملاقاتي وابتدر، وخير أنواء الربيع ما بكر.

وكتب إلي مادحاً ولزَنْد فكرتي قادحاً: [الوافر]

---

(١) أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود بن الحسين الشافعي العرضي الحلبي (٩٩٣-١٠٧١ / ١٥٨٥-١٦٦١): فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، صوفي، مفسر، نحوي، بياني. ولد بحلب. كان مفتي الشافعية بحلب، وابن مفتيها، وأحد أعيان العلماء في المعرفة والإتقان، والحفظ، والضبط. كان عالماً إماماً خيّراً متواضعاً حسن السمت. روى العلوم النقلية، والعقلية عن والده، ولزم العلامة أبا الجود البتروني. تصدر للإقراء في دار القرآن الحبشية. توفي بحلب. من مؤلفاته: «معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب»، و«طريق الهدى» في التصوف، و«شرح ألفية ابن مالك» في النحو. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٦٩؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٤٨؛ تراجم الأعيان، ٢/ ٣٦٧؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٨٨؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٨٩؛ معجم المؤلفين، ٤/ ٧٣؛ الأعلام، ٦/ ٣١٧؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/ ٣١٣؛ معادن الذهب (دراسة المحقق)، ص. ٢١.

(٢) في (ظ): يضع في القلادة في الجيد.

أرَى الـــــشَّهْباءَ للعَلْيـــــاَ قِبابـــــاً ... ألَمْ تَـــــرَ أُفْقَهَـــــا أَبْـــــدَى شِـــــهَابَا
وقَبْـلُ كــسَتْ مَعالِمَهـا الــدَّياجِي ... مُـــسَرْبلَةً ذُرَاهـــا والهِـــضَابا
وكـــدَّرَ صَـــفْوَ مَنْهَلِهَـــا قَتَـــامٌ[١] ... أحَـــالَ شَرَابَهـــاَ الـــصَّافِي سَرَابـــا
وجَرَّعَهـا كُـــؤُوسَ الجَــوْرِ صِرْفــاً ... ولـــو سُـــقِيَ الغُـــرَابُ بها لَـــشَابَا
وكـــانَ الجَهْـــلُ مُتَّـــسِعَ الفَيَـــافِي ... يَـــضِلُّ الأَلْـــمَعِيُّ بها الـــصَّوابَا
وضـاقَ العلـمُ ذَرْعـاً حـينَ سُـدَّتْ ... مَناهِجُـــه وضَـــاقَ بـــه رِحابَـــا
تُعَلِّلُهـــا الأمـــانِي كاذِبـــاتٍ ... وكَـــمْ عـــادَتْ سَـــحَائِبُها ضَـــبَابَا[٢]
إلى أنْ حَلَّهـــا رَوْحُ المَعـــالِي ... وطَـــوَّقَ عِقْـــدُ مِنَّتِهـــا[٣] الرِّقابَـــا
إمـــامُ العِلْـــمِ بَحْثـــاً وَاكْتِـــساباً ... مُـــشِيدُ الفَـــضْلِ إِرْثـــاً وَانْتِـــسَابَا[٤]
فَواصَـــلَها بِغَـــيْرِ سِـــباقِ وَعْـــدٍ ... وَفاجَأَهـــا بِنِعْمَتِـــهِ احْتِـــسَابَا
فَـــأَهْلاً بِالَّـــذِي مِنْـــهُ اسْـــتَنارَتْ ... مَعالِمُهَـــا وَقَـــدْ غَـــرَّتْ جَنَابَـــا
فَقَرَّبَهـــا وقَـــرَّ بِهـــا وِداداً ... وَقَـــرَّ عُيُـــونُ أَهْلِيهـــا اقْتِرَابَـــا
وَقَـدْ ظَفِـرَتْ بِكَنْـزِ المَجْـدِ حَتَّـى ... أَعـــادَ التِّـــبْرَ قَـــدْ حَـــسَدَ التُّرَابَـــا
وَفـــاضَ بِحـــارُ فِكْرَتِـــهِ عُلُومـــاً ... وَأَتْبَعَهـــا بِمَنْطِقِـــهِ عُبَابَـــا
وَنَـضَّرَ وَجْـهَ رَوْضِ الفَـضْلِ لَـمَّا ... سَـــقاهُ مِـــنْ فَوائِـــدِهِ رَبَابَـــا
[٧٣/ب] قَـدِ ازْدَحَمَـتْ بِمَـوْرِدِهِ عُفَـاةُ الـ ... ـفَـضائِلِ عنـدما سـالَ انْـصِبَابَا
وَقَـــدْ مَلَـــؤُواْ رَكَايـــاهُمْ وَرامُـــوا ... ذَخـــائِرَهُ انْتِهـــازاً وَانْتِهَابَـــا

---

(١) قتام: غبار أسود.
(٢) في (س): «صبابا».
(٣) في (ظ): «منته».
(٤) في (ظ): «واكتسابا».

إذا جــالَ الــسُّؤالُ بِفِكْــرِ شَــخْصٍ قُبَيْـــلَ النُّطْـــقِ لَبَّـــاهُ جَوَابَـــا
فَيــا ذُخْــرَ الزَّمــانِ فَــدَتْكَ نَفْــسِي وَفادَتْـــكَ العُـــلَى تَبْغِـــي الثَّوَابَــا
أَقِـــلْ قَلَمِـــي عِثــاراً زَلَّ فِيـــهِ فَـــما وَفَّى المَــدِيحَ وَلا أَصَـــابَا
وَكُنْــتُ نَبَــذْتُ شِــعْرِي فِي قِفــارٍ نَــسِيتُ الأُنْــسَ مِنْــهُ حِــينَ غَابَــا
إذِ الأَيَّـــامُ قَـــدْ رَفَعَـــتْ بُغاثــاً(١) فَخالَـــتْ أَنَّهـــا مَـــسَكَتْ عُقَابَــا
وَظَنُّـــواْ أَنَّهُـــمْ كَنَـــزُواْ عُلُومــاً وَأَيْـــمُ اللهِ مـــا مَلَكُـــواْ نِــصَابَا
أَأَمْــدَحُ مَــنْ بِنَظْمِــي لَــيْسَ يَــدْرِي حَبِيبـــاً قَـــدْ أَرَدْتُ أَوِ الحُبَابَـــا
وَكــانَ القَــصْدُ مِــنْ قَــصْدِي جَــزاءً مِــنَ المَمْــدُوحِ لَــوْ فَهِــمَ الخِطَابَــا
وَلَـــوْلا أَنَّـــكَ الـــسّامِي مَقامـــاً لَـــهُ الأَفْـــلاكُ طَأْطَـــأَتِ الرِّقَابَـــا
وَكــانَ بِمَــدْحِكَ العــالِي افْتِخــارِي وَمـــا بِـــسِواهُ ذَهَّبْـــتُ الكِتَابَـــا
فَـــدُمْ يـــا زِينَـــةَ الـــدُّنْيا بِمَجْـــدٍ تَقَنَّعَـــتِ العُـــلا مِنْـــهُ احْتِجَابَـــا

وكتب معه فصلاً منه قوله: لقد طفحت أفئدة العلماء بشراً، وارتاحت أسرار الكاملين سرًّا وجهراً، وأُفعمتْ من المسرَّة صدور الصدور، وطارت الفضائل بأجنحة السرور، بيُمْنِ قدومٍ من اخضرَّت رياضُ التحقيق بأقدامه، وغرقت بحار التدقيق من سحائب أقلامه، وتلألأت غررُ المباحث إشراقاً، وأُجريت مسائل الطالبين في ميادين التوضيح سباقاً، أعني به جهينةَ أخبار العلوم، وخازن أسرارها في سرائر المنطوق والمفهوم، المؤسِّس لدعائم الأحكام فرعاً وأصلاً، والسابق في مضمار التحقيق مذ كان طفلاً، وقد خدمته بهذه القصيدة التي كتبتها

---

(١) بغاث: طائر أبغث اللون فيه بقع بيض وسود. وهذا الطائر أصغر من الرخم، بطيء الطيران، وفي المثل: «إن البغاث بأرضنا يَسْتَنْسِرُ»، والمراد به: من جاورنا عزَّ بنا.

عجلاً، وكنت عزمت على ألَّا أفوه بكلمةٍ مما[1] لديه خجلاً، لكن ظننت بالمولى الجميل، ورأيت سترها [٧٤/ أ] بذيل الصفح والفضل الجليل.

هذا وإنَّ عبدَكم كتب تاريخا سماه «معادن الذهب، في الأعيان الذين تشرَّفت بهم حلب» سيعرضُ بعضَه عليكم، ونأتي بأُنْموذج منه لديكم، وجُلُّ القصد أن تكتبوا لي نسَبكم وأشياخَكم ومقروآتكم، وبعضَ شيءٍ من المنظوم والمنثور، لنطرِّزَ حلله بطراز المأثور، والسلام.

وأنشدني لنفسه[2]: [الوافر]

تَذَبَّلَ نَرْجِسُ العَيْنَيْنِ لَمَّا ... تَفَتَّحَ وَرْدُ خَدَّيْهِ البَدِيعُ
وَرَيْحانُ العِذَارِ بِهِ مُحِيطٌ[3] ... فَتَرْكِي حُبَّهُ لا أَسْتَطِيعُ
فَقُلْتُ[4] النَّفْسُ خَضْرا يا عَذُولِي ... كَما قَدْ قِيلَ[5] وَالزَّمَنُ الرَّبِيعُ

وقوله: و«النفس خضرا» مثل في ميل النفس إلى كلِّ ما ترى، والعامة تقول: النفس خضرا، تشتهي كلَّ شيء، وقد وقعَ في شعر المتأخرين. وكأنَّ أصله ما وردَ في الحديث[6] من «أن الأرواح في أجواف طيور خضر تعلق في الجنة»[7].

(١) ساقط من (ظ).

(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٧٣؛ وخلاصة الأثر، ١/ ١٥٠؛ وإعلام النبلاء، ٦/ ٢٩٢، باستثناء البيت الأول.

(٣) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر، وإعلام النبلاء: «بورد الخد ريحان محيط».

(٤) في ريحانة الألبا، وخلاصة الأثر، وإعلام النبلاء: «وقلت».

(٥) في ريحانة الألبا: «كما قد قلت».

(٦) رواه أحمد في المسند ١٥، ٣٨٦، والترمذي (١٦٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩٠٥).

(٧) قال المحبي في خلاصة الأثر ١/ ١٥٠: والأصوب أن يقال إن أصله: ثلاثة تذهب عنك الحزن: الماء والخضرة والوجه الحسن. ومعنى أن النفس خضراء أي تميل إلى الخضرة بالطبع. (ج).

[٤٠]
أخوه محمد بن عمر العُرْضي[1]

فاضل لبيب، |وسيِّدٌ ماجد أديب|[2]. رأيته وبردُ شبابه قشيب، وغصن دوحته رطيب، ومخايل المجدِ عليه لائحة، وعنادل الفصاحة في خمائله صادحة، وحللُ فضله قد زهى طرازها، وعِدَات[3] الدهر فيه قد حان نجازها، وقد يجود الشحيح،

وتحت الرغوة اللبن الصريح[4]

وإنَّا لنرجو فوق ذلك مظهرا، وكم لاحت فيه مخايل الرئاسة، وتقول: بشرى لهذه الفراسة، وعلى الله إنجاز عِدَةِ هذه الظنون، وقضاء ما في ذمَّة الدهر من الديون، وفكّ ما في يد الأمل من الرُّهون.

---

(١) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العُرضي الحلبي (ت: ١٠٧١/ ١٦٦١): كان من الفضل في مرتبة الآحاد، ومن الأدب في مرتبة لا تنال بالاجتهاد. وقد ولي القضاء مدة طويلة، ثم درَّس بالمدرسة الكلتاوية، والسعيدية. وولي إفتاء الحنفية مدة سنين. ثم سافر إلى الروم، وأقام بها مدة طويلة، وأخذ بها عنه الأدب جماعة من الصدور. ولما توفي أخوه أبو الوفاء صار مكانه مفتي الشافعية بحلب، وواعظاً بجامعها. وحصل له جذبٌ إلهي، وتكلّم في وعظه برموز ودقائق على لسان القوم، ووعظ أربع مرات ومات. وتوفي بعد بضعة أشهر من موت أخيه، وعمره نحو ستين عاماً. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٧٤؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٨٩؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٩٩؛ معادن الذهب (دراسة المحقق)، ص. ٢٦-٢٧.

(٢) هذه الجملة زيادة من (ظ).

(٣) في (س): «عدة».

(٤) أقول (ج): هو عجز بين لنضلة السُّلمي، صدره: ولم يَخشوا مصالتَهُ عليهم. الكامل ١/ ١١٨. وبه تخريجه.

ولمّا قدمتُ حلب أتحفني بمكاتبته ومحاورته، وجلا عليَّ أبكار أفكاره في لَيْلَي[١] خطِّه ومسامرته، فممَّا جلاه عليَّ، وأهداه لدي، قوله: [الرمل]

طَـرَّزَ الأُفْـقَ أَكالِيـلُ الـشَّفَقْ وَانْتَـضَى الـبَرْقُ حُـساماً مُمْتَـشَقْ
كَـمْ رَوَى سِرًّا بِأَحْـشاءِ الـدُّجَى كاذِبـاً لـكِنَّما الفَجْـرُ صَـدَقْ
عَطَفَـتْ فِي جُنْحِـهِ بِـيْضُ طَـلا لَيْـتَ ذاكَ العِطْـفَ لَـوْ كـانَ نَـسَقْ [٧٤/ب]
بِـأَبِي مِـنْهُمْ غَـزالٌ شـارِدٌ كامِـلُ الحُـسْنِ شَـهِيُّ الْمُعْتَنَـقْ
قَـدْ لَـوَى كُـلَّ فُـؤادِي نَحْـوَهُ فَقُلُـوبُ النّـاسِ قَلْـبٌ وَعَلَـقْ
صَـعَّدَتْ مـاءَ الحَيـا فِي خَـدِّهِ زَفَـراتٌ قَـدْ أَثارَتْهـا الحُـرَقْ
كُلَّـما رُمْـتُ جَنـى وَجْنَتِـهِ أَنْبَتَـتْ وَرْداً بِتَكْـرارِ الحَـدَقْ
كـانَ بـابُ الجَفْـنِ مَفْتُوحـاً بِـهِ وَهْـوَ فِيـهِ سـاكِنٌ قَبْـلَ الأَرَقْ
وَلَقَـدْ غـابَ وَأَخْـلاهُ فَلِـمْ ذٰلِـكَ البـابُ بِنَـوْمٍ مـا انْغَلَـقْ
فَكَـأَنَّ الـصُّبْحَ مِـنْ غُرَّتِـهِ أَوْ ضِـيا فَـضْلِ الـشِّهابِي مُـسْتَرَقْ
بَحْـرُ عِلْـمٍ بِالْمَعـانِي نـاطِقٌ مـا رَأَيْنـا قَبْلَـهُ بَحْـراً نَطَـقْ
مِـلْءُ بُرْدَيْـهِ إِمـامٌ نـاطِقٌ فَلَـكَ التَّحْـصِيلِ بِـالْفِكْرِ اخْـتَرَقْ
أودعَ الأفكـارَ أبكـارَ النُّهـى قَـدْ تَلَفَّعْـنَ[٢] رِداءً مِـنْ وَرَقْ
إِنْ أَكُـنْ أَقْـدَمْتُ فِي مَـدْحِي لَـهُ فَاعْـذُرُونِي إِنَّ إِقْـدامِي فَـرَقْ
إِنَّ عَيْـشاً راقَ فِي خِدْمَتِـهِ راعَـهُ قَطـعُ التَّـدانِي حِـينَ رَقّْ
لَيْـتَ أَوْقـاتِي بِـهِ لَـوْ طُوِّلَـتْ بِمَـدَى عُمْـرِيَ إِذْ كانَـتْ أَحَـقّْ
كَيْـفَ لا أُهْـدِي لَـهُ صَـوْبَ الحِجَـا وأُوَافِيـهِ ثَنـائِي الْمُنْتَـشَقْ

(١) في (س): «ليل».

(٢) في (س): «تلففن».

وَبِــــهِ لَيْــــلُ دَعاوِينـــــا انْجَــــلَى وَرَأَيْنـــــا جَهْلَنــــا مِثْــــلَ الفَلَــــقْ

وكتب لي مع هدية أهداها[١]: [البسيط]

مَـوْلايَ مِـنْ يَـوْمِ لُقْيـاهُ الأَغَـرِّ غَـدا هَدِيَّـةً مِـنْ زَمـانٍ قَبْـلُ ضَـنَّ بِكَـا
لَـوْ كـانَ تُنْـصِفُنِي الأَقْـدارُ آوِنَـةً وَكُنْـتُ أُنْـصَفُ فِـيما أَرْتَـضِيهِ لَكَـا
لَكُنْـتُ أُهْـدِي لَـكَ الـدُّنْيا وَزِينَتَهَـا وَالشَّمْسَ وَالْبَدْرَ والعَيُّوقَ[٢] وَالْفَلَكَـا

وقال، وقد أكل عندي من[٣] برشنا، فلما انتشى قال[٤]: [الطويل]

وَما كانَ أَكْلُ البَرْشِ[٥] مَوْلايَ كَيْ أُرَى بِفَرْحَـةِ نَـشْوانٍ وَغِبْطَـةِ مَـسْرُورِ
وَلٰكِنَّنِـي كُنْـتُ الـسَّلِيمَ بِبَيْـنِكُمْ فَكـانَ لآلامِـي بِـهِ بَعْـضُ تَخْـدِيرِ

[٧٥/أ] وعلى هذا فانظر قولي في الصفرة التي في وسط الورد[٦]: [الخفيف]

أَتَظُنُّـــونَ صُـــفْرَةً وَسْـــطَ وَرْدٍ عَبَثـــاً أَظْهَـــرَتْ لَنـــا أَلْوَانَـــا
إِنَّـــما خَـــافَ مِـــنْ تَـــأَلُّمِ قَطْـــعٍ فَاحْتَـــسَى قَبْـــلَ قَطْعِـــهِ زَعْفَرَانَـــا

وفيه أيضاً لي[٧]: [الخفيف]

فَـتَحَ الـوَرْدُ فِي الرِّيـاضِ صَـباحاً عِنْـدَما قَبَّـلَ النَّـسِيمُ خُـدُودَهْ
بَلَـعَ الزَّعْفَـرانَ فَهْـوَ لِهٰـذا ضـاحِكٌ شَـقَّ مِـنْ سُرُورٍ بُـرُودَهْ

---

(١) في خلاصة الأثر، ٤/ ٨٩؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٩٩.
(٢) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها.
(٣) ساقط من (ظ).
(٤) في خلاصة الأثر، ٤/ ٩٠.
(٥) البرش: نوع من المخدرات كالأفيون. وقوله: كنت السليم أي اللديغ.
(٦) في خلاصة الأثر، ٤/ ٩٠.
(٧) في خلاصة الأثر، ٤/ ٩٠.

وقولي أيضاً فيه: [السريع]

مــا فَــتَحَ الــوَرْدَ بَنــانُ النَّــدَى   وَلا نَــسِيمٌ فِي الرُّبَــى نَاسِــمُ
قُراضَــةُ التِّــبْرِ بِفِيــهِ احْتَــسَى   فَهْــوَ لِهٰــذا فَــرِحٌ[1] بَاسِــمُ

وهذا فنٌّ من قرض الشعر من النوادر يُسمّى الإغراب، وهو وصف ما لم يعهد وصفه وتشبيهه، ومن أغرب ما مرَّ بي فيه قولُ ابن رشيق في ضمِّ الأصابع إشارة للتقليل[2]: [السريع]

قَبَّلَنِــي مُحْتَــشِمٌ[3] شــادِنٌ   أحْــوَجُ مــا كُنْــتُ لِتَقْبِيلِــهِ
أَوْ مَــأَتُ[4] إذْ حَيَّــا بِأُتْرُجَّــةٍ   عَرَفْــتُ فيهــا كُنْــهَ تَأْوِيلِــهِ
لَمَّــا تَطَــيَّرْتُ بِمَعْكُوسِــهَا[5]   ضَــمَّتْ بَنَانــاً نَحْــوَ تَقْلِيلِــهِ[6]

وأحسن منه قولي: [الطويل]

وَأَزْرارِ وَرْدٍ لَمْ تُفَــتَّحْ كَأَنَّهَــا   لِمَعْنًــى بَــدِيعٍ لِلأَنــامِ تُــشِيرُ
إلى أَنَّ أَيّــامَ الــسُّرُورِ قَــصِيرَةٌ   كَأَيّــامِ هٰــذا الــوَرْدِ حِــينَ يَــزُورُ[7]

---

(١) في (ظ): «فرحا».

(٢) ديوانه، ص. ١٢٢.

(٣) في الديوان: «محتشما».

(٤) في الديوان: «أمات».

(٥) معكوس أترجة: هجرة. (ج).

(٦) في الديوان: «تعليليه».

(٧) سيذكر المؤلف رحمه الله تعالى هذه الفكرة ثانية صفحة (٤٩٤). (ج).

[٤١]
شمس الدين بن العمادي الحنفي

أنشدني له بعضُ أدبائها رباعيةً تدلُّ على نباهة قدره، ورقة طبعه وشعره، وهي: [الدوبيت]

فِي القَلْــبِ لَكُــمْ مَنْــزِلَةٌ عَلْيَــاءُ   لا تُــدْرِكُها سَــلْمَى وَلا أَسْــمَاءُ
فِي الــذَّرِّ عَــرَفْتُكُمُ(١) فَهَــلْ يَجْمُــلُ لِي   أَنْ أُنْكِــرَكُمْ وَلِمَّتِــي شَــمْطَاءُ

(١) في الذَّرِّ: أي منذ كنا في عالم الذَّرِّ قبل الخلق.
وفي (س): في الدَّر بالدال المهملة.

[٤٢]

فتح الله بن النحاس[1] [الحلبي][2]

[٧٥/ب] له شعر لو نُقر لطنّ، وأدبٌ هو طراز لحلة الزمن، وزيُّه زِيٌّ صوفي، ومشربه العذب صافي وصوفي، فهو كالماء في صفائه، يتلون بلون إنائه، ساح في البلاد، وجرى سلسال مائه في كل واد، مرتدياً برداء خلاعة وشباب، ساحباً ذيلي عفّة وآداب، فتهادته البلدان، وتنافست فيه الأزمان.

فمن عذب ورده المعين، قوله في التضمين[3]: [الطويل]

وَلَمْ يُبْـقِ حُـبُّ الغِيـدِ لي غَـيْرَ مُهْجَـةٍ ... وَقَلْبٍ، فَقَلْبِي ضَاعَ في الحُبِّ مِنْ يَدِي

فَيَـا مُهْجَتِـي لم يَبْـقَ غَـيْرُكِ، فـاذْهَبِي ... (وكُـلُّ قَـرِينٍ بِالْـمُقَارَنِ يَقْتَـدِي)[4]

---

(١) فتح الله بن عبد الله، المعروف بابن النحاس الحلبي، ثم المدني (ت: ١٠٥٢/ ١٦٤٢): شاعر رقيق مشهور من أهل حلب، كان في حداثته من أحسن الناس منظراً، ثم تبدلت محاسنه، وانفضَّ عنه أهل الغرام به، فاندرج في مقولة الكيف، وتزيا بزي الزهاد، حداداً على ذهاب حسنه. قام برحلة طويلة، فزار دمشق، والقاهرة، والحجاز، واستقر بالمدينة، وتوفي بها، ودفن ببقيع الغرقد. وله «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: خلاصة الأثر، ٣/ ٢٥٧؛ نفحة الريحانة، ٢/ ٥٠٧؛ إيضاح المكنون، ١/ ٣٠٠، ٤٨٧؛ هدية العارفين، ١/ ٨١٥؛ سلافة العصر، ص٢٧٦؛ نزهة الجليس، ١/ ٤٨٥؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٤؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٦١٢؛ الأعلام، ٥/ ١٣٥.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) ديوانه، ص. ١٦٤.

(٤) عجز البيت لطرفة بن العبد، صدره: «عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه». ديوانه، ص. ٤٤.

وأنشدني محمد بن العُرْضي، له في مثله قوله[1]: [الطويل]

جَنَيْنَــا مِــنَ الآدابِ كُــلَّ فَرِيــدَةٍ إلَيْهــا بِــأَنْوارِ الــشِّهابِيِّ نَهْتَــدِي

فَلَــمّا نَــأَى عَنّــا تَنــاءَتْ عَــلَى قِــلًى (وَكُــلُّ قَــرِينٍ بِالْمُقــارَنِ يَقْتَــدِي)

وقد قلتُ في تضمينه أيضا: [الطويل]

أَيـا قَمَـراً فِي القَلْـبِ حَـلَّ فَمُـذْ نَـأَى وَقَلْبِــي إلَى سُــلْوَانِهِ لَــيْسَ يَهْتَــدِي

مَــضَى خَلْفَــهُ لَمّــا تَعَلَّــمَ غَــدْرَهُ (وَكُــلُّ قَــرِينٍ بِالْمُقــارَنِ يَقْتَــدِي)

---

(١) ساقط من (ظ).

[٤٣]

صلاح الدين بن الكوراني[1]

شيخ الأداب، ومركز دائرته بحلب، له طبع مطبوع، ونظم مصنوع، مع مشاركة له[2] في عدة فنون، ومحاسن تكتحل بها العيون، وهو سمح الخاطر، يجود بمدحه لكلِّ وارد وصادر.

وقد أنشدني من المدائح، كلَّ سانح وبارح، ومن القطع، ما رق وانطبع، كقوله في الدخان المُبتدع: [الطويل]

لَقَدْ عَنَّفُونا فِي الدُّخانِ وَشُرْبِهِ ... فَقُلْتُ دَعُوا التَّعْنِيفَ فَالأَمْرُ أَحْوَجا

أَلَا إنَّ لِصَّ الغَمِّ فِي غارِ صَدْرِنا ... عَصانا فَدَخَّنا عَلَيْهِ لِيَخْرُجا

وقوله أيضاً: [الرجز]

لَوْ لَمْ تَكُنْ أَيْدِي الأكارمِ لُجَّةً[3] ... ما كانَ فِي أَطْرافِها الغَلْيُونُ

---

(١) القاضي صلاح الدين بن محمد الكوراني الحلبي (ت: ١٠٤٩/ ١٦٣٩): وهو من الأدباء الحلبيين، ورئيس الكتاب في محكمة قاضي قضاة حلب. وله شعر مطبوع، ونظم مصنوع مع مشاركة في فنون عديدة، وكان من المكثرين في الشعر. توفي بحلب. من مؤلفاته: «رواج البضائع في ذوي الصَّنائع في مئة مليح غلام»، و«الجواري الغوادي في الجواري الغوادي في مئة مليحة»، و«نور مصابيح الدياجي في المعمى والأحاجي». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٨١؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٢٥٢؛ تراجم الأعيان، ٢/ ٢٤٣؛ إيضاح المكنون، ٢/ ٢٠؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٣٨؛ معجم المؤلفين، ١/ ٨٤٢؛ الأعلام، ٣/ ٢٠٧.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في (س، ظ): أيدي الكرام. والمثبت من كتاب الصلح بين الإخوان للشيخ عبد الغني النابلسي ١٥٤، وفيه أن البيت للشهاب الخفاجي. (ج).

[٧٦/أ] وقوله فيه أيضاً وفيه تلميح للحديث الشريف: [الطويل]

شُغِلْنا بِلَذّاتِ الدُّخانِ وَشُرْبِهِ عَنِ السُّكْرِ مِنْ أَكْلِ الحَشِيشَةِ وَالخَمْرِ
فَكانَ لَنا حِصْناً مِنَ الفِسْقِ مانِعاً عَكَفْنا عَلَيْهِ قابِضِينَ عَلَى الجَمْرِ(١)

وكتب إليَّ حين وافيتُ حَلَبا(٢): [الطويل]

شِهابَ المَعالِي قَدْ أَضاءَتْ بِكَ الشَّهْبَا وَقَدْ أَطْلَعَتْ مِنْ غُرِّ أَفْكارِكَ الشُّهْبَا
وَمِنْ قَبْلِ أَخْبارِ الثَّناءِ تَواتَرَتْ وَقَدْ مَلأَتْ أَسْماعَنا لُؤْلُؤاً رَطْبَا
وَكانَ(٣) التَّمَنِّي أنْ يُوافِقَ سَمْعَنا نَواظِرُنا فَاسْتَغْرَقَتْ قَلْبَنا حُبَّا
وَقَدْ أَعْرَبَتْ أَلْفاظُهُ مَعْ تَأَخُّرٍ عَنِ السَّبْقِ حَتىَّ فاقَتِ العَرَبَ العَرْبَا
فَمِنْ مَنْطِقٍ عَذْبٍ وَفَضْلٍ مُوَجَّهٍ إلَى المَدْحِ إيْجاباً وَلِلْحاسِدِ السَّلْبَا
بَنَى غُرَّ أَبْحاثٍ لَهُ قَدْ تَأَسَّسَتْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ باغِي الجَوابِ لَهُ نَقْبَا
إذا كانَ مِنْهُ الفَهْمُ فِي البَحْثِ سابِقاً فَذٰلِكَ وَصْفٌ لا يُفارِقُهُ دَأْبَا
فَأَهْلاً بِمَنْ يَحْيا بِهِ مَشْرِقُ العُلا وَقَدْ كانَ كَالْعَنْقاءِ جاوَزَتِ الغَرْبَا
وَمِنْ حَلَبٍ كانَ الفِطامُ مِنَ المُنَى فَقَدْ يَئِسَتْ مِنْها ضُرُوعُ الهَنَا حَلْبَا
إلى أَنْ أَتاحَ اللهُ بَعْضَ بَقِيَّةٍ مِنَ الحَظِّ حَتَّى زاحَمُواْ المَنْهَلَ العَذْبَا
فَتَباً لِمَنْ قَدْ زاغَ عَنْ وُدِّهِ فَقَدْ تَبَدَّى بِثَوْبِ الغُولِ إذْ أَظْهَرَتْ(٤) حَرْبَا

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر» رواه الترمذي (٢٢٦٠) عن أنس. (ج).

(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٨١-٢٨٣.

(٣) في (ظ): «وكاد».

(٤) في (ظ): «طهرت».

لَـهُ قَلَـمٌ إنْ يَنْفُـثِ الـسِّحْرَ ناقِعـاً ... فَـما ضَرَّهُ أَلَّا يُغـادِرَهُ عَـضْبَا(١)
فَيـا مَـنْ لَـهُ فِي مِـصْرَ وَالـشّامِ هِمَّـةٌ ... وَبـاعٌ طَوِيـلٌ يُبْهِـرُ الـرُّومَ وَالْعُرْبَـا
عَـلَى حَلَـبٍ لَمّـا قَـدِمْتُمْ تَبَـسَّمَتْ ... ثُغُـورُ مَبانِيهـا وَتاهَـتْ بِكُـمْ عُجْبَـا
وَأَبْناؤُهـا القَـوْمُ الَّـذِينَ مُـرادُهُمْ ... وِداداً وَلا يَبْغُـونَ مـالاً وَلا كَـسْبَا
عَلَى ذا مَضَى عَهْدُ الأَخِلَّاءِ وَالَّذِي ... يَـرُومُ خِـلافَ الـوُدِّ يَسْتَوْجِبُ الـسَّبَّا
وَأَشْـكُو إلَيْـكَ الـدَّهْرَ عَبْـدَكَ إنَّـما ... نُـسائِلُهُ سِـلْماً يُجاوِبُنـا حَرْبَـا(٢)
وَقَـدْ قَعَـدَتْ عَـنْ سَبْقِها كُـلُّ صافِنٍ ... تُـسابِقُها العَرْجـا وَتَتْبَعُهـا الحَـدْبَا
وَإنِّي عَـلَى فِعْـلِ الزَّمـانِ لَواجِـدٌ ... بُكَـاءً عَـلَى الخَنْساءِ فِي صَخْرِها أَرْبى
وَقَـدْ زَعَمُـوا أَنَّ الـدُّخانَ مُجَفِّـفٌ ... فَـداوَيْتُ دَمْعِـي فِي تَناوُلِـهِ شُرْبَـا
وَلِي كُـلُّ مَعْنـىً فِيـهِ قَـدْ رَقَّ رِقَّـةً ... أَيَمْلِكُـهُ مَـنْ كـانَ سـارِقَهُ غَـصْبَا
وَعَبْـدُكَ ذَيّـاكَ الـصَّلاحُ مُقَـصِّرٌ ... بِمَـدْحِكَ لٰـكِنْ لا يَقُـولُ بِـهِ كِـذْبَا
وَلَـوْ لَمْ يَكُـنْ قَيْـدُ الكِتابَـةِ عـاقَنِي ... وَثِقْلَـةُ تَـوْقِيعِي الوَثـائِقَ وَالْكُتْبَـا
لَحاوَلْـتُ مِـنْ عَجّـاجِ مَـدْحِكَ قَطْـرَةً ... كَما يَشْرَبُ العَصْفُورُ مِنْ مائِـهِ غَبًّا(٣)
فَكَيْفَ(٤) وَقَـدْ أَصْبَحْتُ عَبْداً مُكاتَباً ... وَلا عِتْقَ لِي حَتَّى أَرَى اللَّحْدَ وَالتُّرْبَـا [٧٦/ب]
فَـلا زِلْـتَ فِي أَعْـلَى مَقـامٍ إذا حَـدَتْ ... حُداةُ حِجازٍ فِي السُّرَى تُطْرِبُ الرَّكْبَا

وقد كففنا عن الباقي، ورددنا القدح للساقي.

---

(١) في (ظ): «غضبا».

(٢) سقط هذا البيت من (ظ).

(٣) في ريحانة الألبا ١/ ٢٨٣: عجاج فكرك... مائه عبّا. بالعين المهملة. (ج).

(٤) في (ظ): «وكيف».

[٤٤]
السيد أحمد بن محمد[1]

نقيب السادة[2] الأشراف بحلب، فرع الدوحة الزَّهرا، وثمرة الشجرة اليانعة ورقاً وزهراً، رَبُّ نادٍ وصدره[3] رحيب، في أدب الغضِّ الجني عوده رطيب، والأمل منتظر لنمائه، مُرتقب للرقيّ إلى مدارج عليائه، لما فيه من نفحة الفضل الهاشمية، ونسمة الأريحية العلوية، فطراز مجده طارفٌ وتليد، والدهر فيه صادق المواعيد.

وكانت[4] بيني وبينه صداقة أرواح لا أجساد، واعتناق أخلاق لا اعتناق قدود وأجياد، وتلاصق وجوار، بقلوب لا ببيت ودار، وتناسب أحوال، لا تناسب أعمام وأخوال، وربَّ أخٍ لم تلده[5] أمك، ونسب لم يجرَّه خالك وعمك.

---

(١) السيد أحمد بن محمد الحسيني، المعروف بابن النقيب الحلبي (ت: ١٠٠٣-١٠٥٦ / ١٥٩٥-١٦٤٦): ولد بحلب، ونشأ بها. وأخذ عن العلامة عمر العُرضي وغيره، وتأدب بإبراهيم بن المنلا وبرع. ورحل إلى القسطنطينية، ولي القضاء برُهَة في أُرفه (الرُّها)، ونيابة القضاء بالقدس، وحلب. وكانت له إحاطة تامة بأنواع الفنون، وقرأ عليه جماعة من مشاهير فضلاء حلب وبه انتفعوا. وله منزلة عظيمة في النظم والنثر. من مؤلفاته: «حاشية على الدرر والغرر» في الفقه لمنلا خسرو، و«السالك وعدة الناسك». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٨٤؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣١٧؛ هدية العارفين، ١/ ١/ ١٦٠؛ إعلام النبلاء، ٦/ ٢٦٩؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٥٩.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في (ظ): «صدر».

(٤) في (ظ): «وكان».

(٥) في (ظ): «تلدك».

فمما دار بيني وبينه: ما كتبه إلي وقد دعوته فعاقه عن الحضور كتابته لديواني:

[الكامل]

مَـوْلايَ مـا اخْـتَرْتُ التَّـأَخُّرَ جـاهِلاً ... بِمَقـــامِ قُرْبِـــكَ لا وَرَبِّ البَيْـــتِ

لــٰكِنْ أَبَحْــتَ لِيَ الــلَّآلِي مُــنَعِماً ... فَعَكَفْــتُ مُلْتَقِطــاً لَهَــا فِي بَيْتِــي

أَخْتــارُ هٰــذا البَيْــتَ إعْجابــاً بِــهِ ... وَأَحِيــدُ عَنْــهُ لِحُـسْنِ هٰــذا البَيْـتِ

لعمري إن هذه الثلاث، طلقت بها همَّ الفؤاد بالثلاث، حتى [٧٧/أ] خلتها ثلاثة الرشيد التي قال فيها[١]: [الكامل]

مَلَــكَ الــثَّلاثُ الآنِــساتُ عِنَــانِي ... وَحَلَلْــنَ مِــنْ قَلْبِــي بِكُــلِّ مَكَــانِ

أو ثلاث القائل: [الوافر]

ثَــلاثٌ قَــدْ حَلَلْــنَ حِمَــى فُــؤَادِي ... وَأَعْطَــيْنَ الرَّغائِــبَ مِــنْ وِدَادِي

ثم قلت |مجيباً له|[٢]: [الكامل]

يَــا فَــرْعَ خَــيْرِ ذُؤابَــةٍ مِــنْ هاشِــمٍ ... مــا فِيــهِ مِــنْ لَــوٍّ وَلا مِــنْ لَيْــتِ

قُلْـتُ التَقَطْـتُ الـدُّرَّ مِـنْ نَظْـمٍ وَمـا ... فِيــهِ سِــوَى رِمَــمٍ لِفِكْــرٍ مَيْــتِ

إِنْ كــانَ بَحْــرُ الــشِّعْرِ فِيــهِ جَــوْهَرٌ ... أَوْ عَنْــبَرٌ فَعَبِــيرُ هٰــذا البَيْــتِ

وممّا يُضاهي هذا قولُ تاجِ الدين الفزاري[٣] وقد أبطأ بكرَّاسٍ من نظمِ بعض إخوانه: [السريع]

---

(١) البيت أول ثلاثة للرشيد، في روح الرُّوح ١/ ١٩٠ وفيه تخريج مطوّل. وقال أبو الفرج في الأغاني: وقد قيل: إن العباس بن الأحنف قالها على لسان هارون الرشيد.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) هو الفركاح، عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع، توفي سنة ٦٩٠هـ. (الوافي ١٨/ ٩٦، وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣، والمنهل الصافي ٧/ ١٥٣). (ج).

يــا سَــيِّداً أَشْــعارُهُ أَصْــبَحَتْ قِــلادَةً فِي عُنُــقِ الــدَّهْرِ
وَلَمْ تَكُــنْ تَــرْضَى سِــوَى جِيْــدِهِ لِأَنَّهَــا مِــنْ أَنْجُــمٍ زُهْــرِ
أَبْطَــأْتُ بِــالْكُرّاسِ لــكِنَّنِي أُوْضِــحُ مــا يَبْــدُو بِــهِ عُــذْرِي
وَجَدْتُــهُ رَوْضــاً وَدُرًّا فَلَــمْ أَسْــطِعْ فِــرَاقَ الــرَّوْضِ وَالــدُّرِّ

وكتب إليّ مع هدية أهداها: [مجزوء الكامل]

مــا كُنْــتُ يــا مَــوْلايَ إذْ أَهْــدَيْتُ مُحْتَقَــراً يَــسِيرَا
لِمَقامِــكَ العــالِي الَّــذِي فِي دَهْرِنــا فَقَــدَ النَّظِــيرَا
إِلَّا كَمَــنْ مِــنْ جَهْلِــهِ أَهْـدَى إِلَى الـرَّوْضِ العَبِـيرَا
أَوْ مِثْلَ مَـنْ مَنَحَ الـشِّهابَ لآفَــةٍ فِي العَقْــلِ نُــورا
فَــانْعَمْ وَقابِــلْ بِــالْقَبُولِ تَفَــضُّلاً مِنْــكَ القُــصُورَا

* * *

فصل

قد أكثروا قديماً وحديثاً في هذا المعنى، كقول البستي[1]: [البسيط]

لا تُنْكِـرَنَّ إذا أَهـدَيْتُ نَحْـوَكَ مِـنْ عُلُومِــكَ الغُــرَّ أو آدابِــكَ النُّتَفَــا
فَقَـيِّمُ البَـاغِ قَـدْ يُهْـدِي لِـصَاحِبِه[2] بِرَسْــمِ خِدْمَتِــهِ مِــنْ باغِــهِ التُّحَفَــا

وقول [الشريف][3] ابن طباطبا[4]: [الكامل] [٧٧/ ب]

(١) ديوانه، ص. ١٢٩.

(٢) في الديوان: «لمالكه».

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) ورد هذان البيتان أيضا في ديوان أبي الفتح البستي، ص. ٢٩٢. لكن المصادر الأخرى نسبت البيتين إلى ابن طباطبا. ثمار القلوب، ١/ ٥٠؛ معجم الأدباء، ٥/ ٢٣١٥؛ زهر الآداب، ١/ ١٨٦.

لا تُنْكِـرَنْ إِهـداءَنا لَـكَ مَنْطِقـاً   مِنـكَ اسـتفَدْنا حُـسْنَهُ ونِظامَـهُ
فـاللهُ عـزَّ وجَـلَّ يَـشْكُرُ فِعْـلَ مَـنْ   يَتْلُـو عَلَيْـهِ وَحْيَـهُ وَكَلامَـهُ

وقول أبي سعيد الكرابيسي[1]: [البسيط]

كَـأَنَّنِي حِـينَ أَهْـدَيْتُ الثَّنـاءَ لَـهُ   مُهْـدٍ إِلَى البَحْـرِ سِـمْطاً مِـنْ لآلِيـهِ
أَوْ مُتْحِـفُ الفَلَـكِ الحـاوِي كَواكِبَـهُ   وَالنَّـيِّرَيْنِ بِـنَجْمٍ مِـنْ دَرَارِيـهِ

وقول البديع [الأسطرلابي][2]: [الكامل]

أُهْـدِي لِمَجْلِسِكَ الـشَّرِيفِ[3] وَإِنَّـما   أُهْـدِي لَـهُ مـا حُـزْتُ مِـنْ نَعْمائِـهِ
كَـالْبَحْرِ يُمْطِـرُهُ الـسَّحابُ وَمـا لَـهُ   مَـنٌّ[4] عَلَيْـهِ لأَنَّـهُ مِـنْ مائِـهِ

ولأبي بركات المعروف بالديباج من فصلٍ له في هذا المعنى استحسنه العُتبي في «تاريخه»[5] وهو: كلامي في خطابك مماثل لانعكاس شعاع الناظر، وردِّ الفوَّارة ماء الغمام الماطر، على مذهب ابن الجهم[6].

(١) هو محمد بن الحسين الجعفري، ذكره مع البيتين في دمية القصر للباخرزي ١/ ٣١٦. (ج).
(٢) في وفيات الأعيان، ٦/ ٥١.
(٣) في وفيات الأعيان: «أهدي لمجلسه الكريم».
(٤) في وفيات الأعيان: «فضل».
(٥) تاريخ اليميني للعتبي ٤٤٧، وهو قول القاضي أبي القاسم علي بن الحسن الداودي في أبي البركات الديباج الحسين بن علي بن جعفر بن محمد ابن جعفر الصادق. (ج).
(٦) هو علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن (١٨٨-٢٤٩ / ٨٠٣-٨٦٣): من بني سامة، من لؤي ابن غالب. شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد، كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة، وانتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان بني كلب، فقاتلهم وجرح ومات من جراحه. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٣/ ٣٥٥؛ الأعلام، ٤/ ٢٦٩.

وهذا مكان استحسانه وهو إشارة إلى قول علي بن الجهم في قصيدة له يصف الفوَّارة فيها[١]: [المتقارب]

وَفَــــوّارَةٍ ثَأرُهـــــا في الــــسَّماءِ   فَلَيْــسَتْ تُقَـــصِّرُ عَـــن ثارِهَـــا

تَرَاهَـــا إذا صَـــعَّدَتْ للـــسَّما[٢]   تَعُــــودُ إلَيْنَـــا[٣] بِأَخْبَارِهَـــا

تَـــرُدُّ عـــلى الْمُـــزْنِ مـــا أَنْزَلـــتْ   على الأَرْضِ مِـنْ صَـوْبِ أَمْطَارِهَـا[٤]

وتابعه فيه ابن ظاهر[٥] فقال: [رجز]

فـــوَّارة يُمَــــجُّ منهـــا مــــاءُ

كـــما أُذيـــبَ الفِـــضّةُ البَيـــضاءُ

أَمطـــرتِ الأَرضَ بهـــا الـــسَّماءُ

(١) سقطت الجملة اعتبارا من «إشارة...» من (ظ). والأبيات في ديوان ابن الجهم، ص. ١٤٨-١٤٩.

(٢) في الديوان: «في السماء».

(٣) في الديوان: «علينا».

(٤) في الديوان: «مدرارها».

(٥) في (ظ): «طاهر».

[٤٥]
نجم الدين بن الحلفاوي[(١)] الحلبي[(٢)]

نجم طلع من أفق المكارم زائد الارتفاع، ونزل منازلَ سعدٍ رمى فيها عن قوس الشرف بأطول ذراع[(٣)]، يقطع أوقاته في طلب الفضائل والكمال، ولا يُنزِّهُ طرفه في غير سماء جلالٍ أو رياض جمال، فلو كان العلم بالثريّا لناله، أو بالعَيُّوق[(٤)] لطاله، [٧٨/أ].

وكنتُ لما مررتُ بحلب، نزلت به فظلَّ حالي حالياً، فكأنّي نزلتُ على أهل المهلَّب شاتياً، أو أقمتُ في جوار أبي دؤاد، وعكفت في حرم الإسعاف والإسعاد، فآنس غربتي، حتى خلتني بين أهلي وعترتي، وجرت بيننا كؤوس محاورة تُشرب بالآذان، فتسكر بها الألباب والأذهان، وكان مما دار بيننا سؤال نحويّ قصدت به تشحيذ الخاطر، واستنشاق نسيم أدبه العاطر وهو[(٥)]: [المتقارب]

---

(١) في (ظ): «الحلفا».

(٢) محمد بن محمدالملقب بنجم الدين الحَلفاوي الأنصاري الحلبي (ت: ١٠٥٤/ ١٦٤٤): كان في عصره أوحد الفضلاء، وأبلغ البلغاء. أخذ عن شيخ الإسلام عمر العُرضي وغيره. وتصدر للإقراء فانتفع به الجم الغفير من أهل دائرته من أجلِّهم العلامة محمد بن حسن الكواكبي مفتي حلب، والفاضل الأديب مصطفى البابي، والعلامة أحمد بن محمد المهمنداري مفتي الشام، وغيرهم. انظر مصادر ترجمته: إعلام النبلاء، ٦/ ٢٦٣.

(٣) في (ظ): «ساع».

(٤) العَيُّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن. اللسان. (ج).

(٥) في إعلام النبلاء، ٦/ ٢٦٣.

أَنَجْـــماً أضـــاءَتْ سَـــماءَ الرُّتَـــبْ بِـــهِ وتَـــسَامَتْ فَخَـــاراً حَلَـــبْ
أَخـــاً لِيَ وَاسْـــمِي أَخٌ لاسْـــمِهِ وكَـــمْ مِـــنْ إِخَـــاءٍ يَفُـــوقُ النَّـــسَبْ
أَبِـــنْ كِلْمَـــةً وَهْـــيَ[1] مَبْنِيَّـــةٌ بغَـــيْرِ اخْـــتِلَافٍ لَهُـــمْ أو شَـــغَبْ
وَإِنْ نُعِتَـــتْ كَـــانَ إِعْرابُهَـــا بِـــإِعْرَابِ تابِعِهَـــا[2] مَـــا الـــسَّبَبْ
فَمَتْبُوعُهَـــا لَمْ يَـــزَلْ تابِعَـــاً عَـــلَى عَكْـــسِ مـــا فِي لِـــسانِ العَـــرَبْ
فَـــدُمْ نَجْـــمَ سَـــعْدٍ بِـــرَأْسِ العُـــلا وَطَـــالِعُ أَعْدائِـــهِ فِي الـــذَّنَبْ

فأجاب وأجاد[3]: [المتقارب]

أمَـــوْلايَ مُنْـــشِي لِـــسانِ العَـــرَبْ وَقَـــاضِي دَواوِيـــنِ أَهْـــلِ الأَدَبْ
وَمَـــنْ فَـــضْلُهُ شَـــاعَ فِي الكائِنَـــاتِ وَنَـــالَ بِـــهِ سَـــامِياتِ الرُّتَـــبْ
سَـــبَقْتَ الأُولَى فِي نِظَـــامِ القَـــرِيضِ وَفِي كُـــلِّ عِلْـــمٍ بَلَغْـــتَ الأَرَبْ[4]
وَجَـــادَتْ أَكُفُّـــكَ بِالنَـــائِلاتِ وَفاضَـــتْ بِهـــا غادِيـــاتُ الـــسُّحُبْ
لَعَمْـــرِي لَقَـــدْ فُقْـــتَ كُـــلَّ الأَنَـــامِ بِـــذَوْقٍ حَـــلَى وَبِفَهْـــمٍ ثَقَـــبْ
كَـــأَنَّ المَـــسائِلَ قَطْـــرُ النَّـــدَى وَفِكْـــرُكَ كَالـــسُّحْبِ مِنْهـــا انْـــسَكَبْ
وَقَـــدْ كُنْـــتُ أَسْـــمَعُ أَوْصـــافَكُمْ فَلَـــمّا تبَـــدَّتْ رَأَيْـــتُ العَجَـــبْ
وَقَـــدْ كُنْـــتُ في تَعَـــبٍ لِلْعُلُـــومِ فَلَـــمّا رَأَيْتُـــكَ زالَ التَّعَـــبْ
وَقَـــدْ شُرِّفَـــتْ بِـــكَ كُـــلُّ الـــبِلادِ وَضَـــاقَ بِفَـــضْلِكَ نَـــادِي حَلَـــبْ

(١) في إعلام النبلاء: «قيل».
(٢) في إعلام النبلاء: «ناعتها».
(٣) في إعلام النبلاء، ٦/ ٢٦٣-٢٦٤.
(٤) في (ظ): «الرتب».

بَعَثْـــتَ لِعَبْـــدِكَ دُرَّ النِّظَـــامِ وَصُـــغْتَ لَـــهُ أَنْجُـــماً مِـــنْ ذَهَـــبْ
سَـــكِرْتُ بِخَمْـــرِ مَعَـــانٍ صَـــفَتْ بِـــهِ نُقَـــطُ الخَـــطِّ مِثْـــلُ الحَبَـــبْ [٧٨/ب]
تَـــضَمَّنَ لُغْـــزاً يُنَـــادى بِيَـــا شِـهابَ بْـنَ شَـمْسٍ حَوَيْـتَ الطَّلَـبْ
|فَـــلا زِلْـــتَ تَـــنْظِمُ نَثْـــرَ الَّـــلآلِ وَتَنْثُـــرُ مِـــنْ دُرِّهِ المُنْتَخَـــبْ|[١]
وَلا زِلْـــتُ أُنْـــشِدُ فِيـــهِ[٢] المَـــدِيحَ وَأَطْـــوِي الزَّمَـــانَ بِـــهِ وَالحِقَـــبْ
وَأُثْنِـــــي عَلَيْـــــهِ بِآلائِـــــهِ وَأَقْـــرُبُ مِنْـــهُ نَـــأَى أَوْ قَـــرُبْ
وَأُذْهِـــبُ مِـــنْ نُـــورِ آدابِـــهِ ظَـــلامَ الـــدَّياجِي وَظُلْـــمَ النُّـــوَبْ
مَـدَى الـدَّهْر مـا انْقَـضَّ نَجْـمٌ وَمـا شِـــهابٌ سَـــما فِي سَـــماءِ الرُّتَـــبْ

* * *

(١) زيادة من (ظ).

(٢) في (ظ): «فيك».

[٤٦]

|الرئيس|[١] داود |الحكيم البصير|[٢] الأنطاكي[٣]

نزيل القاهرة[٤] |رحمه الله|[٥]، شيخ ضرير، بالفضل بصير، كأنَّما ينظر ما خلف ستارة الغيب بعين فكر خبير، لم تر العين ولم تسمع الآذان، ولم تُحَدِّث بأعجب منه مسائلة الركبان، إذا جسَّ نبضاً لتشخيص مرض عرض، أظهر من أعراض الجواهر كلَّ غرض، فتفتتن[٦] الأسماع والأبصار، ويطرب بجسِّ النبض ما لا تطربه الأوتار: [السريع]

---

(١) زيادة من (ظ).

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) داود بن عمر البصير، الأنطاكي الحكيم (ت: ١٠٠٨/ ١٥٩٩): ولد في أنطاكية، ودرس بها المنطق، والرياضيات وشيئاً من الطبيعيات، كما درس اللغة اليونانية، ثم هاجر إلى القاهرة وهناك اشتهر وذاع صيته. ثم رحل إلى مكة فتوفي بها. له مؤلفات كثيرة، منها: «نزهة الأذهان في طب الأبدان»، و«زينة الطروس في أحكام العقول والنفوس»، و«تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» المعروفة بتذكرة داود الأنطاكي في الطب. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١١٧؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٤٠؛ سلافة العصر، ص. ٤٢٨؛ الكواكب السائرة، ٣/ ١٥٠؛ سانحات دمى القصر، ٢/ ٣٢؛ إيضاح المكنون، ١/ ١٢١؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦١٠؛ البدر الطالع، ص. ٢٥٧؛ ديوان الإسلام، ٢/ ٢٦١ ؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٠١؛ الأعلام، ٢/ ٣٣٣.

(٤) في (ظ): «مصر».

(٥) زيادة من (ظ).

(٦) في (ظ): «فيتفتن».

يَكـــادُ مِـــنْ رِقَّـــةِ أَفْكـــارِهِ   يَحُـــولُ بَـــيْنَ الـــدَّمِ وَاللَّحْـــمِ
لَـوْ غَـضِبَتْ رُوْحِـي[١] عَـلَى جِسْمِها   أَلَّـــفَ بَـــيْنَ الـــرُّوحِ وَالجِـــسْمِ

فسبحان من أَطفأَ مصباح بصره وجعل صدره مشكاة نور، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وله في كلِّ علمٍ سهم مصيب، ومنطق مُحلّى بتذهيب التهذيب.

وكنت في عنفوان الشباب وليلي كلُّه سَحَرُ، حضرت ناديه وسمعت منه ما خلب العقول وسحر، وهو ينثر فيه نثار العلوم، على أوانس المنثور والمنظوم.

وكان لعُجبه بنفسه يقول: لو رآني ابن سينا وقف ببابي، أو ابنُ دانيال اكتحل بتراب أعتابي.

إلَّا أنه على مذهبِ الحكماء، ومشرب الخلطاء والندماء، ولذا كثرَ كلام[٢] الناس[٣] [٧٩/ أ] في اعتقاده، لِـمَا تَرَشَّحَ من إنائه من قطرات إلحاده.

وفي آخر عمره ارتحلَ للبيتِ العتيق، فطافت به المنية من كل فجٍّ عميق، فبينما هو في حجٍّ وعمرة، طوى الدهرُ بيد الفناء عمره.

فمن شعره قوله عفا الله عنه[٤]: [الكامل]

مِـــنْ طُـــولِ إِبْعـــادٍ وَدَهْـــرٍ جـــائِرٍ   وَمَـسِيسِ حاجـاتٍ وَقِلَّـةِ مُنْـصِفِ
وَمَغِيـــبِ إِلْـــفٍ لا اعْتِيـــاضَ بِغَـــيْرِهِ   شَـــطَّ الزَّمـــانُ بِـــهِ فَلَـــيْسَ بِمُـــسْعِفِ
أَوَّاهُ لَـــوْ حُلَّـــتْ لِيَ الـــصَّهْباءُ كَـــيْ   أُنْـــشَى فَأَذْهَـــلَ عَـــنْ غَـــرامٍ مُتْلِـــفِ

---

(١) في (ظ): «روح».
(٢) في (ظ): «الكلام».
(٣) ساقط من (ظ).
(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ١١٨-١١٩؛ وخلاصة الأثر، ٢/ ١٤٨.

|وهو كقول أخيه شيخ المعرة(١):[الطويل]

تَـمَنَّيْتُ أَنَّ الخَمْـرَ حَلَّـتْ لِنَـشْوَةٍ   لِتُـذْهِلنِي(٢) كيـفَ اطْمَأَنَّـتْ بِيَ الحَـالُ
فَأَذْهَــلُ أَنِّي بــالعِرَاقِ عــلى شَــفَا   رَزِيِّ الأَمــانِي لا أَنِـيسٌ وَلَا مَــالُ|(٣)

ومن تصانيفه: «التذكرة الكبرى»، و«الصغرى» و«شرح قصيدة الروح»(٤) لابن سينا وغير ذلك، سامحه الله تعالى(٥).

* * *

(١) في سقط الزند، ص. ٢٣٢.

(٢) في سقط الزند: «تجهِّلُني».

(٣) هذان البيتان زيادة من (ظ).

(٤) وتسمى قصيدة النفس، ومطلعها:

هبطـت إليـك مـن المحـلِّ الأرفـع   ورقـاءُ ذاتُ تعـزُّزٍ وتمنُّـعِ

انظر وفيات الأعيان ٢/ ١٦٠. (ج)

(٥) سقطت هذه الجملة من (ظ).

[٤٧]
عبد النافع الطَّرَابُلُسِيّ المفتي[١]

فاضل تودُّ العينُ قربَه، وتعتقدُ أنَّ ودَّه أعظمُ قُربةٍ، وأديب هو بديع زمانه، وتاجٌ على رؤوس أقرانه، يستعيرُ السحر رِقَّتَهُ[٢] من طبعه الرفيع، ولا ينكر الاستعارة من صاحب البيان البديع، درّس وأفتى، وأفاد في فنون شتى، وله شعر اقتدى في أكثره بابن حَجَّاج[٣]، كقوله في هجاء مَنْ تلقَّب بالتَّاج: [السريع]

أَقْـــبَحُ خَلْـــقِ اللهِ فِي خَلْقِـــهِ   وَخُلْقِـهِ وَهْـوَ[٤] خَـسِيسٌ وَضِـيعْ

---

(١) عبد النافع بن عمر الحموي الحنفي (ت: ١٠١٦/١٦٠٧): فاضل من أهل حماة. سكن طرابلس الشام، كان في غاية من الذكاء، والفطنة، والتضلع من أنواع العلوم. اتصل بالقاضي محمد بن الأعوج لإقراء أولاده القرآن، فجعله كاتباً بمحكمة حماة، ثم إنه ترقى إلى أن أفتى، وانفرد بالفتوى من حمص إلى معرة النعمان. كان مولعاً بالهجاء حتى إنه هجا بني الأعوج أصحاب نعمته. توفي بإدلب. من مؤلفاته: «الرسالة الهادية إلى اعتقاد الفرقة الناجية» منظومة في العقائد، و«تحرير الأبحاث في الكلام على حديث حُبب إليّ من دنياكم ثلاث» رسالة. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٤٥؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٩٠؛ الأعلام، ٤/ ١٧١.

(٢) في (س): «السحر رقة».

(٣) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن الحجاج البغدادي الشيعي، أبو عبد الله المعروف بابن الحجاج (ت: ٣٩١/ ١٠٠١): شاعر فحل في شعره فحش، من كتاب العصر البويهيّ. ولي حسبة بغداد مدة، وعزل عنها. توفي بالنيل بلواء الحلة، ودفن في بغداد. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ١/ ١٤٦٦؛ وفيات الأعيان، ٢/ ١٦٨؛ معاهد التنصيص، ٣/ ١٨٨؛ معجم المؤلفين، ١/ ٦٠٣.

(٤) في (ظ): «فهو».

لُقِّـــــبَ بِالتَّـــــاجِ وَلٰكِنَّـــــهُ تــاجُ الخُـصَى وَهْـوَ مَجَـازٌ وَسِـيعْ

وفي معناه قول ابن البلبيسي[١] كما سيأتي[٢]: [السريع]

قُلْـتُ لِتـاجِ الـدِّينِ فِي خَلْـوَةٍ وَقَـدْ عَـلاهُ عَبْـدُهُ الأَكْـبَرُ

التَّـاجُ يَعْلُـو فَوْقَـهُ غَـيْرُهُ قـالَ نَعَـمْ يـاقُوتُ أَوْ جَـوْهَرُ

وسئل عن قول أبي تمام[٣]: [الطويل] [٧٩/ ب]

رَقِيـقُ حَـواشِي الحِلْـمِ لَـوْ أَنَّ حِلْمَـهُ بِكَفَّيْـكَ مـا مارَيْـتَ[٤] في أَنَّـهُ بُـرْدُ

كيف وصف الحلم بالرقة؟ فأجاب بما لا يشفي الغليل، ممّا رأيتُ تركه خيراً من ذكره.

وأنا أقول: قال القُطْرُبُّلي[٥] والآمدي: إنَّه مما يضحك منه، لأنه لم يصف أحدٌ الحلم بالرّقة، وإنّما وصف بالرَّزانة، فخِفَّتُهُ ورِقّته ذمٌّ، وقوله: «بكفيك» في غاية السَّخافة.

وقال ابن السِّيد: ما قالاه لا يلزمه، لأنه لم يطلق الرقة على حلمه أجمع، وإنما أراد أنه يتركَ الجدَّ إلى الهزل في بعض الأوقات، والوقار إلى الانبساط ولذا تحفظ بأن جعل الرقة بحواشي الحلم خاصة، وإذا لم تكن الرقة إلا لحواشيه، فمعظمه كثيف، وقد كرر هذا في قوله[٦]: [الكامل]

---

(١) هو منصور البلبيسي. انظر ريحانة الألبا، ٢/ ١٤٤.

(٢) انظر ترجمته (١١٥) صفحة (٥٦٢). والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ١٤٤.

(٣) البيت لأبي تمام في ديوانه، ١/ ٢٧٩.

(٤) ماريت: جادلتَ.

(٥) هو إسحاق بن سعد القطربلي: لم أعثر له على ترجمةٍ، سوى ورود اسمه في المصادر الآتية: وفيات الأعيان، ١/ ٤٧٤؛ معجم الأدباء، ١/ ١٣٠.

(٦) البيت لأبي تمام في ديوانه، ٢/ ١٩.

لا طـــائِشٌ تَهْفُـــو خَلائِقُـــهُ وَلا خَـــشِنُ الوَقـــارِ كأَنَّـــهُ في مَحْفِـــلِ

وقوله[(١)]: [الكامل]

الجِـــدُّ شِـــيمَتُهُ وفيـــه فُكاهَـــةٌ سَـــمْحٌ[(٢)] ولا جِـــدٌّ لِمَـــنْ لم يَلْعَـــبِ

ثم أقول: ومما يوضح خطأ الاعتراض، أَنه لم يخترع هذه الاستعارة، وقد أنشد صاحب «زهر الآداب»[(٣)] في قصة وقعت مع الرشيد لبعض الأعراب، من شعرٍ أورده له: [الطويل]

رَقِيـقُ حَـواشِي الحِلْـمِ حِـينَ تَثُـورُه[(٤)] يُرِيـــكَ الهُوَيْنَـــا والأمُـــورُ تَطِـــيرُ

فاستحسنه وأجازه جائزة سنية.

فإذا عرفت أنه مسموع لمن قبله من العرب من غير إنكار عليه، اتّضح خطَؤُهُ ، وأَنه ليس المراد به ما ذكره المجيب، بل المراد أنه محيط بأفعاله وأقواله إحاطة الرداء، ثم وصفه بالرقة إشارة إلى لطفه، وحيث وصف بالرزانة، فباعتبار عدم تغيره وتزلزله لا باعتبار ثقله، ألا تراك لو قلت: ثقيل[(٥)] الحلم لم يحسن ذلك منك، فاعرفه وتدبره[(٦)].

* * *

(١) البيت لأبي تمام في ديوانه، ١/ ١١٢.

(٢) في الديوان: «سُجُحٌ».

(٣) هو كتاب: «زهر الآداب وثمر الألباب» لإبراهيم الحصري القيرواني ١/ ٣٧٢. (ج).

(٤) في (ظ): «تزوره»، وفي زهر الآداب: تبوره.

(٥) في (ظ): «تقبل».

(٦) ساقط من (ظ).

[٤٨]

ذو القدر السامي يوسف بن فتح الله الشامي[١]

فاضل كامل، قدّمه الزمانُ على غيره من الأفاضل، لما صار [٨٠/أ] مقتدى دار الخلافة، فأضحى كلُّ مجلٍّ ومصلٍّ لا يطيق خلافه، فلاحت من بروج الشرف شمس سعادته المشرقة، وصحَتْ سماء غرته من غيوم النجوم المنطبقة[٢]: [الخفيف]

(١) يوسف بن أبي الفتح بن منصور بن عبد الرحمن السُّقَيْفِي الدمشقي الحنفي (٩٩٤-١٠٥٦ / ١٥٧٥-١٦٤٦): إمام السلاطين، شاعر من الفقهاء. نسبته إلى جامع السُّقيفة بدمشق خارج باب توما، وكان جده منصور خطيباً فيه، فقيل له «السقيفي». ولد بدمشق ونشأ بها. وأخذ عن علماء عصره، منهم البوريني، وكان أكثر انتفاعاً به، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ أحمد العسالي. تولى في أول أمره الخطابة في السليمية، ثم سافر إلى القسطنطينية، وأقام بها مدة أشتهر فيها أمره في لطف الشعر وجزالة ألفاظه مع حلاوة منطقه وحسن صوته، فبلغ خبره مسامع السلطان عثمان، فاستدعاه وقرَّبه إليه، وعينه إماماً له. وبعد مقتل السلطان عثمان عاد السقيفي إلى دمشق، وباشر الخطابة من جديد في الجامع الأموي مع تقديم الفتاوى والتدريس فيه إلى سنة ١٠٤٤/ ١٦٣٤، وهي السنة التي قصد بها السلطان مراد بلدة روان، فتوفي إمامه في الطريق، فطلب إماماً، فأُشير عليه بالسقيفي، وولي الإمامة لديه آخر عمره. توفي بالقسطنطينية، ودفن بأسكدار. من مؤلفاته: «شرح الشفا» للقاضي عياض، و«شرح عمدة الحكام» وهي منظومة للمحبي. انظر مصادر ترجمته: خلاصة الأثر، ٤/ ٤٩٣؛ نفحة الريحانة، ١/ ٦٨؛ تراجم الأعيان، ق، ١٥٢؛ هدية العارفين، ٢/ ٥٦٦؛ تراجم بعض أعيان دمشق، ص. ١١٠؛ علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، ٢/ ١٠؛ أعلام الفكر في دمشق، ص. ٤١٨؛ الأعلام، ٨/ ٢٤٥؛ معجم المؤلفين، ٤/ ١٧٥.

(٢) البيت للقاضي الفاضل.

وانْثَنَـــى والزَّمـــانُ يُنْـــشِدُ فيـــه هكَـــذا تَخْـــدِمُ المُلُـــوكَ الـــسُّعودُ

فقال مجده: طلع الصباح، ونادى مؤذنُ إقباله: حيَّ على الفلاح، فقامت الأماني خلفه صفوفاً، وظلت أرباب الفضائل بسدَّته عكوفاً، حتَّى غصَّ بذلك ناديه، وشرق بماء الحسد معاديه، وبحار مكارمه تقذف بدرِّه، والمجد عنده حلَّ[1] بمستقرِّه، وما منَّةُ الغواصّ إذ تقذف[2] الدرر[3]، فألقت عصاها عنده الهمم السفر.

وكان بيني وبينه صِلات مودة، وموائد عوائد في نواديه ممتدة، وصنوف مكاتبات بريدها يجد السرى، ويعدُّ لها في منازل الآذان فالأذهان أجلُّ القرى[4]:

[الطويل]

وَمـا الكُتْـبُ إِلَّا كَالـضُّيُوفِ فَحَقُّهـا بِـأَنْ تُتَلَقَّـى بِـالْقَبُولِ وَأَنْ تُقْـرَا

فمما دار |بيني وبينه|[5] في أنس المحاورة من الكؤوس، وفاح من عطر المطارحة ولا عطر بعد عروس، قصيدة أرسلتها إليه وهي[6]: [مجزوء الرجز]

مـاءُ المُنـىَ المُـسْتَعْذَبُ قَـدْ راقَ مِنْـهُ المَـشْرَبُ
وَلِلرَّجـــاءِ مُزْنَـــةٌ فِيهـا بُـرُوقٌ خُلَّــبُ
لَمْ تَـرْوِنِي[7] وَإِنَّــما لِكُـلِّ عَـصْرٍ أَشْـعَبُ
كَـمْ مَهْمَـهٍ قَطَعْتُـهُ إِذْ ذَرَعَتْـهُ النُّجُــبُ

(١) في (ظ): حلَّ عنده.

(٢) في (ظ): «يقذف».

(٣) في (ظ): «الدر». وردت هذه الجملة قبل الجملة التي سبقتها في (ظ).

(٤) في (ظ): «قرى».

(٥) زيادة من (ظ).

(٦) في تراجم بعض أعيان دمشق، ص. ١١١-١١٢.

(٧) في تراجم بعض أعيان دمشق: «لم لا ترون».

غَصَّ[1] بها[2] الفَلَا وَقَدْ لاكَ السَّنامَ القتبُ
وَالحِرْصُ مِنْ غِياضِها فِي حَبْلِ غَيْرِي يُحْطَبُ
وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ وَقَدْ يُثْمِرُ فِيهِ الطَّلَبُ
كَعَقْلِنا غَرِيزَةٌ وَمِنْهُ ما يُكْتَسَبُ
فَاهْنَأْ بِوِرْدٍ قَدْ صَفَتْ كُؤُوسُهُ وَالنُّخَبُ
لَيْتَ عُيُونَ الرُّقْبا حِينَ تُدارُ حَبَبُ
وَلِلزَّمانِ سِيرَةٌ يَعْجَبُ مِنْها العَجَبُ
تَمْشِي[3] كَما يَمْشِي وَما عَلَى الزَّمانِ مَعْتَبُ
وَإِنْ سَئِمْنا مَشْيَهُ فَلِلَّيالِي عُقبُ
لا تَنْظُرَنْ لِحاسِدٍ يَحْزَنُ حِينَ تَطْرَبُ
كَالثَّوْرِ إِلَّا أَنَّهُ فِي الوَجْهِ مِنْهُ الذنبُ[4]
أَكْذَبُ مِنْ فاخِتَةٍ تَقُولُ طابَ الرُّطَبُ
سَيّانِ غَمٌّ قادِحٌ أو مَرَضٌ لَوْ يُحْسَبُ [٨٠/ب]
حَرْبَ البَسُوسِ قَدْ جَنَى[5] وَهْوَ كُلَيْبٌ أَجْرَبُ
وَخَلْفَ أَسْتارِ الدُّجَى حامِلَةٌ قَدْ تُنْجِبُ

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق: «غض».

(٢) في (ظ): «الفلا بها».

(٣) في تراجم بعض أعيان دمشق: «يمشي».

(٤) في الأصل: «الدنب».

(٥) في تراجم بعض أعيان دمشق: «قد بدت».

عَجائِـبٌ مـا تَنْقَـضِي وَكُـلُّ شَـهْرٍ رَجَـبُ
كَـمْ مِـنْ بَعِيـدٍ وارِثٌ وَمِـنْ قَرِيـبٍ يُحْجَـبُ
وَكَـمْ لَذِيـذٌ عَتْبُـهُ وَهْـوَ المُسِيءُ المُـذْنِبُ
جِنايَـةُ الأَحْبـابِ مِـنْ لُطْفِ الأَعـادِي أَطْيَبُ
مـا كُـلُّ خِـلٍّ يُرْتَـضَى ماكُلُّ شَخْصٍ يُصْحَبُ[1]
مـا كُـلُّ عَـيْنٍ عَذْبَـةٌ مـا كُـلُّ مـاءٍ يُـشْرَبُ
مـا كُـلُّ غُـصْنٍ مُثْمِـرٌ مـا كُـلُّ وادٍ مُخْـصِبُ
مـا كُـلُّ أُفْـقٍ مُـشْرِقٌ لِلـسَّعْدِ فِيـهِ كَوْكَـبُ
كَـسَعْدِ مَجْـدِكَ الَّـذِي نُجُومُـهُ لا تَغْـرُبُ
مَـنْ قـاسَ غَـيْرَهُ بِـهِ فَـما لَدَيْـهِ أَدَبُ
فَهْـوَ عِـمادٌ لِلْعُـلا وَعِـذْقُها المُرَجَّـبُ[2]
جَمـالُ عَـصْرِنا إلى يُوسُـفَ حَقًّـا يُنْـسَبُ
وَمَـنْ عَـلا قَـدْراً لَـهُ بِكْـرُ المَعـالِي يُخْطَـبُ
سـادَ الأَنـامَ فَـضْلُهُ وَطَبْعُـهُ المُهَـذَّبُ
أَلْطَـفُ مِـنْ رَوْضٍ زَهـا إذْ ظَلَّلَتْـهُ الـسُّحُبُ
مَـدَّتْ عَلَيْـهِ مُطْرَفـاً بِبَرْقِـهِ مُـذَهَّبُ

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق: «يعجب».

(٢) قال المنذر بن الجموح يوم السقيفة: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذَيقُها المرجّب. العُذيق تصغير-يُراد به التعظيم-العَذق وهو النخلة. والمرجّب الذي جعل له رجبة، وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة إذا كانت النخلة كريمة. يُريد أنه رجل يستشفى برأيه وعقله. مجمع الأمثال ١/ ٣١. (ج).

وَثَغْــــرُ نَــــوْرِهِ نَــــدٍ فَلَـــمْ يَفُتْـــهُ الـــشَّنَبُ
مــــا مَعْبَـــدٌ كَمِثْلِـــهِ فِي مَعْبَـــدٍ إذْ يَخْطُـــبُ
إخْفــاءُ تَفْخِــيمٍ[1] لَــهُ رَوْمٌ لِمــا لا يَقْــرُبُ
حِــرْزُ الأَمــانِي لَفْظُــهُ وَالنَّــشْرُ مِنْــهُ طَيِّــبُ[2]
فِي كُــلِّ فَــنٍّ ســابِقٌ وَفي يَدَيْـــهِ القَـــصَبُ
وَهْــوَ خَلِيــلٌ إنْ نَحــا يَــرُوغُ عَنْــهُ ثَعْلَــبُ
يُغْنِيــكَ عَــنْ إطْرابِــهِ فَــضْلٌ لَــهُ وَحَــسَبُ
مُقَـــرَّطٌ[3] مُـــشَنَّفٌ بِالوَصْفِ مِنْهُ الكُتُبُ[4]
في غَــيْرِ مَــدْحِ يُوسُــفٍ طَبْعِـــيَ لا يُـــشَبِّبُ
فَــلِي مَعــانٍ أَطْرَبَــتْ مَنْ غـابَ عَنْهُ المُطْرِبُ
عَــذْراءُ مِــنْ خَجْلَتِهــا بِطِرْسِـــها تَنْتَقِـــبُ
عـادَتْ لَـهُ بِكْـراً سَـمَتْ وَهْـيَ العَجُـوزُ الثَّيِّـبُ
مِثْــلُ زَلِيخــا يُوسُــفٍ وَالنّـاسُ مِنْهـا تَعْجَـبُ
مُقعــدُ أفكــاري عــلى موثــق عزمــي يَثــبُ[5]
وَالــشِّعْرُ قَــدْ تَــشَعَّبَتْ أَوْتـــادُهُ[6] وَالـــسَّبَبُ

(١) في (ظ): «تقحيم».
(٢) في تراجم بعض أعيان دمشق: «طنب».
(٣) في (ظ): «مقرطق».
(٤) في (ظ): «الكثب».
(٥) في (ظ): «يتب».
(٦) في (ظ): «أو ناله».

[٨١/أ] شـــاكٍ وَشــاكِرٌ لِمَــنْ مِنْــهُ إِلَيْــهِ المَهْــرَبُ
فَاسْـــلَمْ وَدُمْ فِي عِـــزَّةٍ تَرْنُــو إِلَيْهــا الــشُّهُبُ

فأجاب سلّمه الله تعالى[١]: [مجزوء الرجز]

مَـنْ بَعْـدِهِمْ يـا عَـرَبُ أَنْجُــمُ شَــمْلِي غــربُ
وَبَعْـــدَ لَيْــلِ جِلَّــقٍ بَــرْقُ الأَمــانِي خُلَّــبُ
بــانُواْ وَبانَــتْ مَعْهُــمُ رَســائِلٌ وَالْكُتُــبُ[٢]
وَفِي الحــدُوجِ غَرَبَــتْ أُمنيَّتِــــي[٣] والأَرَبُ
وَالْقَلْـبُ بَـيْنَ ظِعْـنِهِمْ أَنْــشُدُهُ وَأَطْلُــبُ
يا لَيْتَ شِعْرِي وَالْهَوَى تَعِلَّــةٌ وَتَعَــبُ
هَلْ بَعْدَ جَرْعاءِ الحِمَى يَعُــودُ عَيْـشِي الأَطْيَـبُ
وَهَــلْ سُــلَيْمَى بِالنَّقــا تَرْتَــعُ ثُــمَّ تَلْعَــبُ
وَهَلْ رَعَتْ عَهْدِي سُعا دُ بِــاللِّوَى وَزَيْنَــبُ
وَهَــلْ مَــراراتُ النَّــوَى بِقُــرْبِهِمْ تُــسْتَعْذَبُ
حَتّــامَ يــا رِيــحَ الــصَّبا أَرْقُــبُهُمْ لِيَقْرُبُــوا
أَرْكَــبُ فِي الغَــرامِ مِــنْ أَخْطــارِهِ[٤] مــا أَرْكَــبُ
أَمــا عَلِمْــتَ أَنَّ قَلْــ ـبي مَعْهُـمُ مُسْتَصْحَبُ
وَإِنَّهُـــمْ بِمُهْجَتِــــي إِنْ شَرَّقُــواْ أَوْ غَرَّبُــوا

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق، ص. ١١٣-١١٥.
(٢) كذا، ولعلّها: رسائلي والكتب.
(٣) في تراجم بعض أعيان دمشق: «أمنية».
(٤) في تراجم بعض أعيان دمشق: «أخطارها».

سُـقْياً لِـدارٍ[١] بِالْغَـضا فِيـهِ[٢] صَـفا لِي المَشْرَبُ
أَيّـامَ لا الـواشِي يَـشِي وَلا العَــذُولُ يَعْتِــبُ
آهٍ[٣] لَهَـا لَــوْ أَنَّهَــا بَعْــدَ بِعــادٍ تَقْــرُبُ
يُغْـضِبُنِي الـدَّهْرُ وَيُـرْ ضِينِي[٤] وَمَنْ لا يَغْضَبُ
يـا دَهْـرُ مَهْـلاً فَاتَّئِـدْ مِنْـكَ إِلَيْـكَ المَهْـرَبُ
أَهْــلُ العُلُــومِ ذَهَبُــوا وَلَــيْسَ إِلَّا الــذَّهَبُ
وَالمَـرْءُ بِالْفَـضْلِ لَدَيْــ ــهِمْ مُحْتَقَــرٌ وَمُــذْنِبُ
قَـدْ خـامَرَتْ قُلُــوبَهُمْ بَغْـضاءُ هٰـذا[٥] عَجَـبُ
وآخــرُ[٦] اعتبارهـــا بعقلهـــم[٧] والرِّيَـــبُ
سِــيّانِ عِنْــدَ رامَــةٍ أَشْــنَبُها وَالأَشْــيَبُ
بَنُــو الزَّمــانِ إِخْــوَةٌ أَيُّهُـــمُ المُهَـــذَّبُ
أُرِيــدُ مِــنْهُمْ صـاحِباً هَــلْ أَنَــا إِلَّا أَشْـعَبُ
بَعْــضُهُمُ لِلْــبَعْضِ تــا بِـعٌ[٨] وَيُعْـدِي الجَـرَبُ

(١) في (ظ) وفي تراجم بعض أعيان دمشق: «لدهر».

(٢) في تراجم بعض أعيان دمشق: «منه».

(٣) في تراجم بعض أعيان دمشق: «آها».

(٤) في (ظ): «يرميني».

(٥) في تراجم بعض أعيان دمشق: «وهذا».

(٦) في الأصول: «آخذ»، والمثبت من تراجم بعض أعيان دمشق.

(٧) في تراجم بعض أعيان دمشق: «عقولهم».

(٨) في تراجم بعض أعيان دمشق: «تابعا».

وَلِلزَّمـــانِ فُـــرَصٌ وَلِلزَّمـــانِ نُــــوَّبُ
مـا كُـلُّ خِـلٍّ صـادِقٌ مـا كُـلُّ شَيْءٍ يُوْهَـبُ[(١)]
مـا كُـلُّ أَصْـلٍ طَيِّـبٌ مــا كُــلُّ أُمٍّ مُنْجِــبُ
مـا كُـلُّ قَـوْلٍ يُرْتَـضَى مـا كُـلُّ شَـأْوٍ يُطْلَـبُ
[٨١/ ب] مـا كُـلُّ بَحْـرٍ يُمْتَطَـى مـا كُـلُّ بِكْـرٍ تُخْطَـبُ
مــا كُــلُّ صــادٍ وارِدٌ عَــذْباً نَمِـيراً يَـشْرَبُ
مـا فِي الحِمَـى مُجاوِبٌ[(٢)] إِلَّا صــداهُ المُطْــرِبُ
نادَيْــتُ عِنْـدَ المَطْلَـبِ أَجـابَ عَـزَّ المَطْلَـبُ
كانَـتْ تَجارِيـبُ النُّهَـى مَطِيَّــــةً وَتُرْكَـــبُ
وَالآنَ فِينـــا نفـــرٌ[(٣)] عَمْيـا الطريـق ركبـوا
هانَـــتْ عَلَيْنـا رُتَـبٌ وَالآنَ مِمّـــا يَــصْعُبُ
وَلَــثْمُ كَــفٍّ لِلْعُــلَى مِــنَ الثُّرَيّــا أَصْـعَبُ
إِنَّ تــصارِيفَ القَـضا فِي العَبْـدِ أَمْـرٌ عَجَـبُ
وَلِلطَّرِيـــــقِ أَدَبٌ وَلِلْمَعـــالِي سَـــبَبُ
كَـمْ مُـرْقَصٌ وَمُطْـرَبٌ مَنْ غابَ عَنْهُ المُطْرِبُ[(٤)]
كَـــمْ فاضِـــلٌ بِغَـــيْرِهِ وَالْفَـضْلُ فِيـهِ نِـسَبُ[(٥)]

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق: «يرهب».
(٢) في تراجم بعض أعيان دمشق: «مجاوبا».
(٣) في (س): «متن».
(٤) سقط هذا البيت من (ظ).
(٥) ورد هذا البيت في (ظ) بعد البيت الذي يليه.

كَجُحْـرِ ضَـبٍّ خَـرِبٍ أَو جُحْـرُ ضَـبٍّ خَـرِبُ
لَـوْلا رِجـالٌ[١] ذُو تُقًـى وَعُلَـمـاءُ نُجُـبُ
مِنْهُمْ أَخُو الفَضْلِ الشِّها بُ العـالِمُ المُهَـذَّبُ
كَـبَّرَ أَرْبَعـاً عَـلَى بَنِـي الزَّمـانِ الأَدبُ[٢]
مَـوْلًى لَـهُ فَـضائِلٌ تَـسْعَى إِلَيْهـا النُّجَـبُ
مَـوْلًى لَـهُ شَـمائِلٌ مِـنْ كُـلِّ طِيـبٍ أَطْيَـبُ
وَأَدَبٌ مِثْـلُ الرِّيـا ضِ باكَرَتْهـا الـسُّحُبُ
وَخُلُـقٌ مِنْهـا الـصَّبا تَخْجَـلُ أَوْ[٣] تَكْتَـسِبُ
وَرُتْبَـةٌ أَظَّـدَها[٤] عِلْـمٌ لَـهُ وَحَـسَبُ
وَكَـرَمٌ يَخْجَـلُ مِنْـ ـهُ حـاتِمٌ إِذْ يَهَـبُ
وَحُسْنُ عَهْدٍ يَذْهَبُ الـدْ ـدَهْرُ وَلَـيْسَ يَـذْهَبُ
نَـأَى وَدانَ جُـودُهُ فَهْـوَ البَعِيـدُ المُكْثِـبُ
وَكَـمْ لَـهُ مُؤَلَّـفٌ مُحَـرَّرٌ مُهَـذَّبُ
وَكَـمْ يَـدٌ أَشْـكُرُها وَالـشُّكْرُ مِمّـا يَجِـبُ
فِي مِثْـلِ مَـدْحِ أَحْمَـدٍ مَـدْحِيَ لا يُسْتَـصْعَبُ
تُمْـلِي عَـلَيَّ فِكْـرَتِي أَوْصـافَهُ فَأَكْتُـبُ

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق: «رجاء».

(٢) في «س»: «ذا الأب».

(٣) في (ظ): «لو».

(٤) في تراجم بعض أعيان دمشق: «أظلها».

مــاذا أَقُــولُ وَاخْتِــصا رُ القَــوْلِ مِمّــا يُطْلَــبُ
يُنْسَبُ لِلْفَـضْلِ الـوَرَى وَهْــوَ إِلَيْــكَ يُنْــسَبُ
دُونَكَهـــــا كَرِيمَـــــةً عَـــذْراءَ مِمّــا يُخْطَــبُ
مَورِدُهــا عَــلَى الظَّــمَا مِــنَ الــزُّلالِ أَعْــذَبُ
وَقَدْ عَفَـتْ عَـنِ المُسِي ءِ وَلَهـــا مـــا تَكْـــسِبُ
وَلَمْ يَـبِنْ فِي النّـاسِ فَـضْـ ـلُ العَفْـوِ لَـوْلا المُذْنِبُ
شِـبْتُ وَشَـبَّتْ صَـبْوَتِي وَذُو المَـــشِيبِ يَلْعَـــبُ
وَحَرَّكَــتْ داعِــيَ أَشْــ ـــواقِيَ مِنْــكَ الكُتُــبُ [٨٢/أ]
فَاسْـــلَمْ وَدُمْ بِرِفْعَـــةٍ تَــسْعَى إِلَيْهــا الرُّتَــبُ
فِي نِعْمَـــةٍ وَدَوْلَـــةٍ[1] سُـــلْطانُها لا يُغْلَـــبُ

وكتب إليَّ أبقاه الله تعالى وقد فارقته في بعض الأسفار[2]: [الوافر]

يُرَنِّحُنِـــي إِلَيْـــكَ الـــشَّوْقُ حَتَّـــى أَمِيـــلُ مِـــنَ اليَمِـــينِ إِلَى الـــشِّمَالِ
وَيَأْخُـــذُنِي لِـــذِكْراكَ اهْتِـــزازٌ[3] كَــما نَــشَطَ الأَسِــيرُ مِــنَ العِقَــالِ

شوقي إلى الأخ شوقٌ يتلجلج في تعبيره لسانُ القلم، ويرجع القهقرى عن بلوغ تحريره قدم الإفصاحِ لما اعتراها [من][4] السَّأَم، وغرامي إلى التملّي بطلعة محيّاه، غرامُ الغريب إلى وطنه ومأواه، وذي الشَّيب إلى هواه، وأيّام صباه،

(١) في (ظ): «في دولة ونعمة».
(٢) الأبيات للشريف الرضي في ديوانه، ٢/ ١٧٥.
(٣) في الديوان: «ويأخذني لذكركم ارتياح».
(٤) زيادة من (ظ).

وشكري له جزيل اللطف والكرم، شكرُ الرياض الأنيقة صنيع الدِّيَم، وثنائي على حسن خلقه ومكارمه، ثناءُ الحلمِ على أحنفِهِ والكرم على حاتمه، والله تعالى يعلم أنَّ نارَ البعاد، قد أثرَّ ضرامُها في الفؤاد، وإن الشوق كان لقضية الوداع، ليس على قياس صوري ذلك الاجتماع، لكن[1]: [المتقارب]

عَسَى اللهُ يَجْعَلُها فُرْقَةً تَعُودُ بِأَحْسَنِ[2] مُسْتَجْمَعِ

هذا وقد اتزرت النوى مصون خِدْرِ الشوق من حجابه، وسلَّ ساعدُ الفراق سيفَ الجزع من قرابه، وكان قَبْلُ لسان الحال يقول[3]: [الطويل]

هَلِ[4] الشَّوْقُ إِلَّا أَنْ تَرَى مَنْ تُحِبُّهُ قَرِيباً ولا يُرْجَى إِلَيْهِ وُصُولُ

والمسؤول من كرمه تعالى أن يديم من ذلك الوجه بشاشته، وأن يستبقى لذلك القلب حُشاشته، آمين.

فأجبته بقولي: [الخفيف]

أَيُّها الرَّائِحُ المُغِذُّ تَحَمَّل حاجَةً لِلْمُتَيَّمِ المُشْتَاقِ
أَقْرِ مِنِّي السَّلامَ أَهْلَ المُصَلَّى فَبَلاغُ السَّلامِ طَيفُ التَّلَاقِي[5]
وَابْكِ عَنِّي وَطالَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْـ ـلُ أُعِيرُ الدُّمُوعَ لِلْعُشَّاقِ

أعزَّ الله أنصار السرور، وأسبغ عليها ظلال الحبور، بعودة [٨٢/ب] عصر الوصال، وعهده إلى لمى الظلال، لتقرَّ عيون المجد والعزِّ بمشاهدة وجوه الإقبال، وتعطّر ريحانة العمر بأنفاسها جيوب البكر والآصال، وتسقى آمالا

---

(١) البيت لمهيار الديلمي في ديوانه، ٢/ ٥٦٣.
(٢) في الديوان: «بأكرم».
(٣) البيت للأبيوردي في ديوانه، ٢/ ١٩٤.
(٤) في الديوان: «أو».
(٥) في (س): «التلاق».

غرست في ربيع المنى، حتى تتَهَدَّل[١] ثمراتها الجنية في رياض الهنا، وحي أرضا كانت تُقَبَّلُ بالأفواه والمحاجر، فصارت لبُعْدِ شقةِ النوى تُقبَّلُ بثغور الأوهام والخواطر، وكانت ترى بسواد بياض الأحداق، فصارت تُشاهد بسواد بياض الأوراق: [الخفيف]

آهِ لَيْتَ الفِراقَ يَقْبَلُ مِنّا ... فِي اقْتِرابِ الدِّيارِ وَالْوَصْلِ رِشْوَهْ

ويُنهي العبد أَنْ عنده من الشوق إلى ذلك الجناب، ما علَّمَ الحمامَ الحنين والرياض الشوق إلى غرِّ السحاب، والعنادلَ الترنُّمَ في سواجع الألحان، بخدود الورد وقدود الأغصان، وللدهر عداتٌ يُرتجى[٢] إنجازها باجتناء غضِّ ثماره، واجتلاء عيون الأماني ساطع أنواره، من دراري معاليه التي هي نكتة عطارد وتحفة الفلك، ومحاسنه اليوسفية التي تتلو لرأسها[٣]: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ﴾ [يوسف: ٣١]. [الوافر]

وَمَا أَنَا بِالثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَّا ... كَمَنْ أَهْدَى إِلَى شَمْسٍ شِهَابَا

وقد مرّ في كتابٍ لأبي العيناء[٤] كتبه لابن أبي دُواد[٥]، ما شرح فيه حالي

---

(١) في (ظ): «تنهدل».

(٢) في (ظ): «يرجى».

(٣) في (ظ): «لرأيها».

(٤) هو محمد بن القاسم بن خلاّد بن ياسر الهاشمي بالولاء المعروف بأبي العيناء (١٩١-٢٨٣ / ٨٠٧-٨٩٦): أديب فصيح. من ظرفاء العالم، ومن أسرع الناس جواباً. كف بصره بعد بلوغه أربعين عاما من عمره. أصله من اليمامة، ومولده بالأهواز. ومنشؤه ووفاته في البصرة. انظر مصادر ترجمته: معجم الأدباء، ٦/ ٢٦٠٢؛ وفيات الأعيان، ٤/ ٣٤٣؛ الأعلام، ٦/ ٣٣٤.

(٥) هو أبو الوليد أحمد بن أبي دواد. معجم الأدباء، ١/ ٨٤. وفي الأصلين: لأبي دواد، والمثبت من نثر الدر للآبي ٣/ ١٤٧، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٥٤.

وأعرب عما في الفؤاد، وهو: مَسَّنا وأهلنا الضُّر، وبضاعتُنا المودَّة والشكر: [الطويل]

فَـأَوْفِ لَنـا كَيْـلَ النَّـدَى مُتَـصَدِّقاً   فَأَنْـتَ عَـلَى رَغْـمِ الزَّمـانِ عَزِيـزُ

فإن وفّيتَ ومثلك من وفّى تكن كما قال: [البسيط]

أَنـا الـشِّهابُ الَّـذِي يَحْمِـي ذِمَـارَكُمُ[1]   لا يَخْمَــدُ الــدَّهْرَ إلَّا ضَــوْؤُهُ يَقِــدُ

وإن لم تفعل فلسنا ممّن ﴿يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]. انتهى.

هذا وجميل الشِّيَم[2]، وسجية حرية الكرم، تقول: إذا كان الإخلاص سفيراً بين الفؤاد والوداد، حاملاً تُحفَ الهدايا والرسائل لملوك الأرواح في مدائن الأجساد، تدانتِ القلوبُ المتباعدة، وتلاقتِ الآمال المتواعدة، فقلت: [٨٣/أ] شاعرية حارثية، أعوزتنا فيها كما قيل للفواكه الفتحية، فبينا أنا أستشفي[3] بعسى ولعل، وأَستسقي أنواءَ كلِّ وابلٍ وطلّ، لأجدَ من عنده مرامي، أو يصيب سهمُ حدسي المرامي، ورد عليّ من الجناب الكريم مكتوبٌ، كان قيمصَ يوسفَ في أجفان يعقوب[4]، فيه عنوان المجد وشمائل نسمات نجد، وعَرْفُ العرار والرند، فما ولدتْ أرحامُ الأراضي من أطفال النبات والأزهار، التي أرضعتها الخضراء بذر أخلاف الأمطار، وهي في حجر الرُّبى وحضانة النسمات، ألطف من شمائل

(١) في نثر الدر ٣/ ١٤٧: أنا الشهاب الذي يحمي دياركم. وذِمار: ما ينبغي حمايته كالأهل والعرض. يقال في مقام المدح: فلان حامي الذمار.

(٢) في (س): «وجميل النسيم».

(٣) في (ظ): «فبينما أنا أستسقي».

(٤) انظر صفحة ١٥٠ الحاشية (٢).

تلك النفحات، التي هزَّته طرباً، وأعادت له نشوة الصِّبا، فصَبا بعدما استشَنَّ سِقاؤه، وأُهْرِيقَ من أديم النبات(١) ماؤه: [مجزوؤ الكامل]

فَأَمالَــهُ نَحْــوَ الــصَّبا قَلْــبٌ رَقِيــقُ الحَاشِــيَهْ
فِيـهِ مِـنَ الطَّـرَبِ القَدِيـ ـــمِ بَقِيَّــةٌ فِي الزَّاوِيَــهْ

متّع اللهُ هذا العصر ببقائك، حتى تأوي سائلة الآداب لسند عليائك، ولا زالت شهب الآفاق هدايةً لأصفيائك، ورجوماً لشياطين(٢) أعدائك: [الوافر]

وَلا عَدِمَتْ سَماءُ المَجْدِ مِنْكُمْ شُمُوســاً لا يُغَيِّبُهــا الــدُّجُونُ

والسلام.

فأجاب بها من جملته: [الرجز]

هَــلَّا اكْتَفَيْــتَ عَــنْ نَــوًى بِــصَدٍّ تُــرَى بِمَــنْ تَفْتِــكُ يــا بَــيْنُ اتَّئِــدْ
ما فَصَمَتْ أَيْدِي النَّوَى عُـرَى الهَـوَى عَنِّــي وَلا حَلَّــتْ عُقُــودَ الــوُدِّ

الله يعلم يا شقيق روحي أنّي لا أستنشق الأَرواحَ إلّا لامتزاجها بنسيم خُلُقِه وريّاه، ولا أَستعبقُ الأرواح إلّا انتظارها لسليم خيمِهِ وحياه، وكيف لا وأنا إمامَّ محراب ثنائه، وأميرُ جند محبَّته وولائه، إن قضيت بمزينه على بنى نوعه وحرفته، فقد وجدت لصدق دعواي شاهِدًا ومُعَرِّفاً، وإن أحرمتُ من ميقات مدحته، ومتمسكاً بعبير محبته، فقد دخلت حرم الصدق آمناً، [٨٣/ب] وأبصرت مُعَرِّفاً مُعَرَّفاً، وبالجملة ما أخذتُ في ثنائه إلّا وجدتُ طيور المعاني عاكفةً على أوكار الأفكار، ولا جريتُ طلقاً في حلبة إخائه، إلّا أحرزتُ قصب السبق وفق صدور

(١) في (د): «دائم الشباب».

(٢) هنا إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿....وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

الأماني في مضمار أولئك الأنصار: [الطويل]

وَلَـوْ نُظِمَـتْ فِيـهِ النُّجُـومُ مَـدائِحاً ... لأَضْـحَتْ وَفِيهـا عَـنْ مَـداهُ قُـصُورُ

هذا، وإن سأل حبيبي عن واسطة عِقد(١) أصحابه، وريحانة روح خلّانه وأحبابه، فهو(٢) ولله الحمد في نعمةٍ ظلالها ضافيةٌ صافية، بلطفٍ وخير وكمال عافية، لا يشكو غير ألم النوى، ولا ينتسم غير نسيم الهوى: [الطويل]

وَمـا أَنْـسمُ الأَرْواحَ إِلَّا لِأَنَّهـا ... تَمُـرُّ عَـلَى تِلْـكَ الرُّبَـى وَالمَعَـالِمِ

وغايةُ المأمول، ونهاية السول، أن تُطوى ولو بعد مدة شقَّةُ البين، وأن يُرْوَى هذا المحب متبدِّلاً عن الأثر بالعين(٣): [المتقارب]

عَـسَى اللهُ يَجْعَلُهـا فُرْقَـةً ... تَعُـودُ بِأَحْـسَنِ(٤) مُـسْتَجْمَعِ

آمين.

* * *

وكنت كتبت إليه لما أجابَ عن القصيدة مكتوباً أظنُّه لم يصل إليه، وهو: [الخفيف]

قُـلْ لِمَـوْلايَ ذِي العُـلَى وَالْكَـمالِ ... وارِثِ المَجْـدِ عَـنْ أُصُـولِ المَعَـالِي

يُوسُـفُ اذْكُـرْ أَخـاً لِبُعْـدِكَ أَمْـسَى ... مِثْـلَ يَعْقُـوبَ فِي صُرُوفِ اللَّيـالِي

وَتَلَطَّـفْ بِقَلْـبِ مُـضْنًى لَـدَيْكُمْ ... لَمْ يُفـارِقْ مَناهِـلَ الآمَـالِ

مِثْـلَ صـاعِ العَزِيـزِ فِي أَرْحُـلِ القَـوْ ... مِ وَلا يَعْلَمُـونَ مـا فِي الرِّحَـالِ

(١) في (ظ): «عند».

(٢) في (ظ): «فهم».

(٣) البيت لمهيار الديلمي في ديوانه، ٢/ ٥٦٣.

(٤) في الديوان: «بأكرم».

وَوُجُـــوهِ مِـــنَ الأَمَـــانِي لَـــدَيْكُمْ وُجِّهَـــتْ نَحْـــوَ قِبْلَـــةِ الإِقْبَـــالِ

شقيق الروح حيّاه الله وبيّاه، وسلامُ الله وريحانه على رياض محيّاه، بل على صفو الحياة حتى ألقاه، فإنّه نسيب الروح ونسب الود أقرب الأنساب، ونفس الصَّبا من تلقائه يفوح فتفتح له عيون الأزهار وقلوب الأحباب، وقد وصل إلينا من كتابه، ما يُعيدُ الشيخ إلى شبابه، ويروّي الأسماع عذبَ شرابه، ولولا خلوده في صحائف الأيام قلت ما يحسن معناه، حسن الماء تحت حبابه، فعكفتِ الخواطر على آدابه كما عكف على حبه قلوب [٨٤/أ] أحبابه[١]، وما تضمنه من رفع قدر شعري بإطرائه وإطرابه[٢]: [الكامل]

كالنَّحْلِ يَجْنِي الـمُرَّ مِنْ نَوْرِ الرُّبَى فَتَـصِيرُ[٣] شُـهْداً في طَرِيـقِ رُضَـابِهِ

لاسيما القصيدة البائية التي كحلت بإثمد نقسها العيون، فقلت: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤]. وأقسم بقوافيها ولا بدع فإن الباء من حروف القَسم، إنّها كستني حللَ المسرَّة وأفاضت عليَّ جزيلَ النعم، إلَّا أنها أتت والقلب خفاق، بل طائر من قفص الضلوع بأجنحة الأشواق، فلم أقل ما على القطا من جناح، لو أعاروني[٤] قوادم جناح كما قيل: [الطويل]

أَسِرْبَ القَطـا هَـلْ مَـنْ يُعِـيرُ جَناحَـهُ لَعَـلِّي إِلَى مَـنْ قَـدْ هَوِيـتُ أَطِـيرُ[٥]

وأنا لا أطالب القلب بالرجعة، بل أقول ما عليه لو أخذ ما جاوره بالشُّفعة،

(١) سقطت هذه الجملة من (ظ).

(٢) البيت لأبي العلاء المعري في سقط الزند، ص. ١٢٥.

(٣) في (ظ) وفي سقط الزند: «فيصير».

(٤) في (ظ): «أعارني».

(٥) ينسب البيت للمجنون (تحقيق فراج) الديوان ١٣٧، وللأحنف بن قيس الديوان (تحقيق سكينة الخزرجي، ١٤٣. (ج).

ومن سابق الزمان، عثر بأذيال الحرمان، فَوا أسَفَى على يوسف[١] وزماني معه ربيع أخضر، وأوقاتي كلُّها بالمسرَّة أصيلٌ وسحر، والدهر من طوارق الحدثان، مشتمل برود الأمان، كما قلت: [الرجز]

زَمــــانُ لَهْـــوٍ بِالــــسُّرُورِ يــــانِعُ   بِـالأَمْنِ مِـنْ رَيْـبٍ وَحُـزْنٍ قَـدْ ذَهَـبْ
لا مِنَّــةَ النَّــرْجِسِ فِي الــرَّوْضِ لَقَــدْ   قــامَ عَـلَى الـرّاسِ بِأَطْبـاقِ الـذَّهَبْ

فإن أنجزَ الدهر ما وعد بلقائه، لم أَلُـمْهُ على ما مضى من[٢] أسوائه: [البسيط]

وَلا أُعاتِبُــــهُ فِـــيما عَـــلَيَّ جَنَـــى   فِي نِعْمَةِ الـبُرْءِ ما يَعْفُو عَـنِ السَّقَمِ[٣]

فالله يبقيه لنا سالما، ويمتّعنا بلقائه غانما: [الطويل]

وَإِنَّ زَمانــــاً ســــالَمَتْكَ صُرُوفُــــهُ   زَمـانٌ بِقَـدْرِ الـدِّينِ وَالْفَـضْلِ عَـالِمُ

فصل

ما ذكرته من رفع قدر الكلام، بتشريف مَن رواه من الأعلام، معنى بديع تداوله البلغاء وأتوا فيه ببدائع روائع، كقول الأَرَّجاني[٤]: [البسيط]

أَخَــذْتَ قَــوْلِيَ مُعوجًّــا وَتُــورِدُهُ[٥]   عَـلَى الـوَرَى مُـسْتَقِيماً حَيْـثُما اجْتُلِيَـا
كَالشَّمْعِ يَقْبَلُ نَقْشَ الفَصِّ مُنْعَكِساً   مَكْتُوبُــهُ لِــيَراهُ[٦] النّــاسُ مُــسْتَوِيَا

(١) هنا إشارة إلى الآية الكريمة في سورة يوسف (٨٤): ﴿.... وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

(٢) في (ظ): «ماضي» بدلا من «ما مضى من».

(٣) عجز البيت لعبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك، صدره: «ولا أؤاخذ أيامي بما صنعت».
أقول: هو في يتيمة الدهر ٣/ ٤٥١ لإسماعيل بن أحمد الشاشي.

(٤) ديوانه، ٣/ ١٥٧٧.

(٥) في الديوان: «أخذْتَ عذْريَ مُعوَجًّا وتَعرِضُه».

(٦) في الديوان: «ليريه».

وقول الوطواط[1]: [الطويل] [٨٤/ ب]

كَـذا القَطَـراتُ النّـازِلاتُ مِـنَ الـسَّما إذا مـا حَلَلْـنَ البَحْـرَ صِرْنَ لآلِيَـا[2]

وقول ابن لؤلؤ[3]: [المجتث]

قَـــدْ زِدْتَ شِـــعْرِيَ حُـــسْناً فَـــــــزادَكَ اللهُ سَـــــــعْدَا

أَوْرَدْتَـــــــــهُ بِبَيـــــــانٍ فَـــصارَ أَحْـــلَى وَأَنْـــدَى

كَالنَّحْـــلِ يَجْنِـــي بِفِيـــهِ مُـــرًّا[4] وَيُلْقِيـــهِ شَـــهْدَا

وأصله قول المعري[5]: [الكامل]

والنّحْـلُ يَجْنِـي الُمـرَّ مِـنْ نَـوْرِ الرُّبَـى فيَـصِيرُ شُـهْداً في طَرِيـقِ رُضَـابِهِ

وفي معناه قولي:

فصل

اِجْزِ الإحسانَ بالإحسان إن كنتَ محتاجاً، ولا تكُ دودَ القزِّ إذا أخذ من ورق التوت ورقاً ردَّه ديباجاً، وهكذا السُّحبُ تُعطي البحر عذباً زلالاً أخذته منه مِلحاً أُجاجاً،كما قيل: [الخفيف]

وَمِيـــاهُ البِحـــارِ مِلْـــحٌ فَمَهْـــما حَمَلَتْهـــا الـــسَّحابُ عُـــذْنَ زُلَالَا

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك العمري البلخي، رشيد الدين، المعروف بالوطواط (ت: ٥٧٣/ ١١٧٧): أديب، من الكتاب المترسلين. كان ينظم الشعر بالعربية والفارسية. مولده ببلخ ووفاته بخوارزم. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: معجم الأدباء، ٦/ ٢٦٣١؛ الأعلام، ٧/ ٢٥.

(٢) في (س): «صرن لياليا».

(٣) الديوان صفحة ٢٦.

(٤) في (س): «طلاً».

(٥) سقط الزند، ص. ١٢٥.

[٤٩]

غرس الدين بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الطبيب[(١)]

فاضل تخمّرت طينته بالندى، وأُفرغتْ بيد الحكمة في قالب الهدى، فخضع له البيان، وسجد القلمُ إذ ركع البنان، فحمى الله به نفوس[(٢)] المعالي، وعمّر به ربع الأدب الدارس الخالي، وسقى قطره بصيِّبِ الأفضال، حتى اهتزت لنضارتها رياضُ الآمال، ولم يزل كذلك حتى صار هشيماً غرسُه، وواراه بعد القصور الشامخة رمسه.

وكان من تلاميذه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

وله يدٌ في الرياضيات وغيرها من العلوم العقلية.

وله عدَّةُ تصانيف، و«حاشية على تفسير القاضي» و«شرح قصيدة أبي السعود

---

(١) غرس الدين بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الحنفي الطبيب (ت: ٩٧١/ ١٥٦٣): نشأ بمدينة حلب، وطلب العلم، وقرأ بحلب على الشيخ حسن السيوفي، ثم ارتحل إلى دمشق، وأخذ فيها الطب عن ابن المكي، ثم انتقل إلى القاهرة، فاشتغل بها على ابن عبد الغفار، أخذ عنه الحكميات، والرياضيات، والعلوم العقلية، وأخذ العلوم الدينية عن القاضي زكريا، وسار بذكره الركبان. كان رأسا في جميع العلوم خصوصا الرياضيات، صاحب فنون غريبة. وكان مشهوراً بالبخل في التعليم، ولم يقبل مدة عمره وظيفة. وكان يلبس لباساً خشناً وعمامة صغيرة، ويقنع بالنزر من القوت، ويكتسب بالتطبب. من مؤلفاته: «التذكرة في علم الحساب»، و«حاشية على شرح النفيسي للموجز في الطب»، و«شرح جزءين من تفسير القاضي البيضاوي»، و«شرح القصيدة الميمية» للمفتي أبي السعود. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ١٠/ ٥٣٢؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢١.

(٢) في (ظ): «نقوس».

الميمية» فعظّمه ورقى مرتبته. وله شعرٌ وسط، كقوله لمن أهدى له ساعة: [البسيط]

يـا مُفْـرَدَ العَـصْرِ قَـدْ بـادَرْتَ لِلطَّاعَـهْ يا مَنْ حَوَى الجُـودَ وَالْعَلْيـاءَ فِي سَـاعَهْ
نَوْعـاً مِـنَ الخَـيْرِ قَـدْ لاحَظْتُمُـوهُ لَنـا فَكُنْتُ عَبْداً لَكُـمْ فِي الوَقْـتِ وَالـسَّاعَهْ

الساعة عند المنجمين مقدارٌ معين من الزمان معروف، وهو في اللغة كلُّ زمانٍ قليل، وأُطلقتْ على القيامة أيضاً، وفي العرف صارت اسما [٨٥/ أ] لكلِّ آلةٍ يُعرف بها ما مضى أو بقي من الليل والنهار، ولها أنواع مشهورة، وهي التي عناها هذا القائل، وبالمعنى الثاني ورد: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة[١].

ومن فصل له: إذا طلع النجم بالنهار فخفْ من الأوزار، يعني الشيب، وهو كلام معسول يُشير إلى ما في المثل القديم، رأى الكواكب مظهرا[٢]. أي: أظلم يومه لاشتداد الأمر فيه، والعرب تصف اليوم الشديد بظهور النجم فيه. قال أبو صخر الهذلي[٣]: [الكامل]

إِنِّي أَرَى وأَظُـنُّ أَنْ سَـيَرَى[٤] وضَـحَ النَّهـارِ وعـالِيَ الـنَّجْمِ

وقد تصرَّف فيه المتأخِّرون وتطرَّفوا كقول ابن لؤلؤ[٥]: [المتقارب]

أَمَـوْلايَ أَشْـكُو إِلَيْـكَ الخُـمَارْ وَمـا فَعَلَـتْ بِي كُـؤُوسُ العُقَـارْ

---

(١) يُروى كحديث، ولا أصل لمبناه. انظر كشف الخفا (١٣٣١). (ج).

(٢) في مجمع الأمثال ١/ ٢٩٤: رأى الكوكب ظُهراً. أي أظلم عليه يومه حتى أبصر النجم نهاراً. (ج).

(٣) هو عبد الله بن سلمة السهمي: من بني هذيل بن مدركة. شاعر، من الفصحاء. كان في العصر الأموي، مواليا لبني مروان متعصبا لهم. انظر مصادر ترجمته: شرح أشعار الهذليين، ٢/ ٩١٥؛ الأعلام، ٤/ ٩٠. البيت في شرح أشعار الهذليين، ٢/ ٩٧٣.

(٤) في شرح أشعار الهذليين: «أنا أرى الذي قد أظن أن سترى».

(٥) البيتان في نفحة الريحانة، ١/ ٤٤٠؛ وفي سلك الدرر، ٣/ ٣٠٣.

وَجَــوْرَ الــسُّقاةِ الَّتِــي لَمْ تَــزَلْ تُرِينِــي الكَواكِــبَ وَسْــطَ النَّهَــارْ

وقول ابن تميم[(١)]: [الخفيف]

أَهْيَــفُ القَــدِّ قَــدْ تَبَــدَّى وَحَيَّــا[(٢)] بِابْتِسامٍ عَــدِمْتُ فِيــهِ[(٣)] اصْــطِبَارِي

قَــــدْ أَرانِي بِوَجْهِـــــهِ وَثَنايَـــــا[(٤)] هُ نُجُومــاً طَلَعْــنَ وَسْــطَ النَّهَــارِ

ابن سَناء الملك[(٥)]: [الخفيف]

قَـدْ أَعَـرْتُ[(٦)] الـشَّبابَ غَـيْرِي وَمـا زَا لَ شَــبابُ الإِنْــسانِ ثَوْبــاً مُعَــارَا

أَطْلَــعَ الــشَّيْبُ فِي عِــذَارِي نُجُومــاً فَرَأَيْــتُ النُّجُــومَ مِنْهــا[(٧)] نَهَــارَا

مــا لِــساقٍ أَزَالَ بِالْبَحْــثِ عَقْــلِي بِكُــؤُوسٍ مِــنَ الرَّحِيــقِ كِبَــارَا[(٨)]

---

(١) هو محمد بن يعقوب بن علي، أبو عبد الله، مجير الدين ابن تميم (ت: ٦٨٤/ ١٢٨٥): شاعر من أمراء الجند، دمشقي. استوطن حماة، وخدم صاحبها الملك المنصور، كان شعره في غاية الجودة. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٧/ ٦٧٩؛ الأعلام، ٧/ ١٤٥. البيتان في نفحة الريحانة، ١/ ٤٤٠؛ وفي سلك الدرر، ٣/ ٣٠٣. والبيتان في الديوان ٣٣.

(٢) في نفحة الريحانة وسلك الدرر: «بأبي أهيف تبدى وحيا».

(٣) في نفحة الريحانة وسلك الدرر: «منه».

(٤) في (ظ): «ثناياه».

(٥) هو هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر بن المعتمد سَناء الملك أبو عبد الله محمد بن هبة الله السعدي المعروف بابن سناء الملك (٥٥٠-٦٠٨ / ١١٥٥-١٢١٢): شاعر من النبلاء ، مصري المولد والوفاة، كان وافر الفضل، رحب النادي، جيد الشعر، بديع الإنشاء. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ديوانه (دراسة المحقق)، ١/ ٤٣؛ وفيات الأعيان، ٦/ ٦١؛ معجم الأدباء، ٦/ ٢٧٦٤؛ شذرات الذهب، ٧/ ٦٤؛ الأعلام، ٨/ ٧١. الأبيات في ديوانه، ١٣٦.

(٦) في الديوان: «فأعرت».

(٧) في الديوان: «منه».

(٨) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

الشهاب الحجازي[١]: [الخفيف]

ثُـــمَّ أَبْـــدَى[٢] بكأســـه لي حَبابـــاً فَـــأَرَانِي النُّجُـــومَ وَسْـــطَ النَّهَـــارِ

وله: [الطويل]

تَبَـسَّمَ عَــنْ دُرٍّ مِــنَ الثَّغْــرِ يَلْمَــعُ أَرانِي النُّجُـومَ الزُّهْـرَ مِـنْ أَيْـنَ تَطْلُـعُ

وأحسن من هذا قولي في قصيدة نبوية: [الطويل]

أَتَــى يَــوْمَ بَــدْرٍ وَهْــوَ بَــدْرٌ يَحُفُّــهُ نُجُــومُ سَــماءٍ أَطْلَعَتْهــا كَتَائِبُــهْ

فَمُـذْ بَـرَزُواْ فِي النَّقْـعِ شـاهَدَتِ العِـدا بِهِــمْ يَــوْمَ بُــؤْسٍ لا تَغِيــبُ كَوَاكِبُــهْ

* * *

(١) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الخزرجي المعروف بالشهاب الحجازي (٧٩٠-٨٧٥ / ١٣٨٨-١٤٧١): من شيوخ الأدب في مصر. ولد ونشأ وتوفي بالقاهرة. من مؤلفاته: «روض الآداب»، و«المقامات». انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٩/ ٤٧٥؛ الأعلام، ١/ ٢٣٠.

(٢) في (س): «ثم أبدر».

القسم الثاني

[٨٥/ ب]

في أعيان مكة المشرفة[1]

ومن بحماها

صانها الله تعالى[2]

من عين الدهر وحماها

(١) ساقط من (ظ).

(٢) ساقط من (ظ).

لمّا امتَطَيْتُ مَطايا الهِمَم، ووجَّهْتُ عَزْمي إلى قبلة الأمم، وسَرحْتُ سرحَ الأحداق في حدائق تلك المسارح:

وسالَتْ بأعناقِ المَطِيِّ الأباطِح[1]

في رَكْبٍ ركِبَ عزمُهم غارب المسرَّة وامتَطَى، واهتدتْ به النُّجُبُ إلى مَهامِه فيح تضلُّ فيها القطا، قطعوا رسوماً وأطلال، يخاف أن يسري بها طيف الخيال.

فكم لاحَتْ جداولُ مَواردٍ النُّوقُ جُسورُها، وسارت سفن مطايا ليس إلّا الآل بحورها، فكأنها أشجار، يحرّكها صَبا الأسحار، يسقيها من السرى غمائمه، ويزهو عليها نَور الخدور كمائمه، بليلٍ تعاطينا فيه خمر النعاس، راحا لم تذق نشوتها مراشف الكاس، والشمال مسكية الأنفاس، والسماء حديقة نرجس في آس، حتى التقط كَفُّ الصباح زُهورَ زُهْرِه، وقطفت بنفسج الظلماء راحة فجره، وورد السرحان غدير الصباح، ونادى مؤذن القماريّ حيَّ على الفلاح، فلم أزل أدأبُ في التَّسيار إلى أن نفضتُ عن منكبِ الكلال غبارَ الأسفار، ونزلتُ في جوار بيت الله الحرام، وتطيّبتُ بمسكِ تراب الحطيم والمقام، وقلت: [الوافر]

بِمَكَّــةَ لِي غِنــاءٌ لَــيْسَ يَفْنَــى ... جِـــوارُ اللهِ وَالْبَيْـــتِ المُعَظَّـــمْ
وَفِيهــا كِيمِيَــاءُ سَــعادَةٍ قَــدْ ... ظَفِـرْتُ بِهــا مِــنَ الحَجَــرِ المُكَــرَّمْ

فلما أَفَضْتُ من تلك المَناسِك، وخَيَّمْتُ في فَنائها فرأيتُ الجنَّةَ هنالك،

(١) عجز بيت لكثير عزّة الديوان ٥٢٥. وذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/ ٦٦. (انظر تخريجه ثمة). وصدره: أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا. (ج).

وقصَدْتُ طَيْبَةَ المُطَيَّبَة[١]، وارداً[٢] مَوارِدَ آمالٍ مستَعْذَبَة. [البسيط]

|وَمَا دَرَى البَيْتُ أَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ   مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمِ|[٣]

كُلَّما سَرَى في الصَّبا نَشْرُ بِطاحها، ودَدْتُ لو أعارَتْنِي العُقابُ[٤] خِفاقَ جَناحها، إلى أن لمعَتْ أنوارُ الهُدَى من سماء ذلك الحِمى، فنَزلتُ أعتنق الأراك مسلِّما، وألثمُ أخفاف الرواحل، إذ أوصلتني إلى عذب هذه المناهل، ولم أقل لها على قلق الوَضين: اشرقي بدِم الوَتِينِ[٥]: [الكامل] [٨٦/ أ]

فَإِذَا المَطِيُّ بِنا بَلَغْنَ مُحَمَّداً   فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجالِ حَرَامُ[٦]

فحللتُ في أرفع مقام، تفاخر فيه الأرجل الهام، ويشهدُ نشرُ المسك بفضل غباره، وتقرُّ الجواهرُ بأنها[٧] دون أحجاره.

وفاخرتِ الشهبَ الحصا والجنادل[٨]

فنَزَّهتُ عيون أملي في روضة ذات أنوار، وعلمت وهي من رياض الجنة أني لا أدخل بعدها النار.

---

(١) في (ظ): «الطيبة».

(٢) في (ظ): «وارد».

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) في (ظ): «القطا».

(٥) أقول (ج): هو من بيت الشماخ ديوانه ٣٢٣:

إذا بلَّغتني وحططتِ رحلي   عربةَ فاشرقي بدم الوتين

(٦) هذا البيت لأبي نواس في ديوانه، ص. ٤٩٠.

(٧) في (ظ): «أنها».

(٨) أقول (ج): عجز بيت لأبي العلاء المعري، صدره: وطاولتِ الأرضُ السماءَ سفاهة.

شروح سقط الزند ٥٣٧، معجم الأدباء ٢٢١٩.

ذكر الدولة الحسنية
ومن بها من العلماء والشعراء والأعيان

هي بيتٌ أُسِّسَتْ عُمُدُه على الخلافة، وقُطِّرَتْ من أغصان شجرتها مِياهُ اللطافة، فتعبتْ حسَّادُها، إذ غُرِسَتْ في جنة المجد أعوادُها، فعلت علوًّا يردُّ الطرفَ كليلا، ونسيمَ شمالها عليلا.

أَعْلَى المَمَالِكِ مَا يُبْنَى على الأَسَلِ(١)

فهم سُور الخُطوب، وخليفةُ أخلافِ المُزْنِ مدَّتْها الصَّبا والجنوب، إذا كان أمرٌ قاتمُ الأعماق مسودُّ النواحي، فوُجُوههُمْ نُجومي وغُرَرهُمْ صباحي، فقد راضوا الدهرَ بعد حِرَانِه، فأصبح سَهْلَ القِيادِ رَخِيَّ عِنانِه، تَتحَلَّى بذكرهم الأفواهُ، ويفوحُ منه نشرُ الكبا خالطَتْهُ الأفواه(٢)، فهم غُرَرٌ في جبهة الأيام، يَعْجِزُ عن شرحِ وصفِهِمْ أفواه الدُّوِيّ بألسِنَةِ الأقلام، في ليال ماءُ مَجَرَّتِها في رياض سمائها مورود، قد نبتَتْ في حافاتها شقائقُ الشقيق متوَرِّدَةَ الخدود، واكتحَلَتْ بالسِّحْرِ مُقْلَةُ دَياجِيها، وقُلِّدَتْ بجواهر النجومِ لَبَّاتُ لَيالِيها، إلى أن أدَّى الدهر أمانته إلى:

---

(١) هذا صدر بيت للمتنبي، وعجزه:

والطَّعْنُ عند مُحِبِّيهِنَّ كالقُبَلِ

ديوانه، ٢/ ١١٨. قاله عند مسير سيف الدولة نصرة أخيه ناصر الدولة لما قصده معز الدولة الديلمي إلى الموصل.

(٢) خالطته الأفواه: خالطته التوابل.

[٥٠]
أبي نُمَيّ بن بَرَكَات[1]

فهطلت على رياض مجدهم سحائب البركات.

وله أدبٌ روضته سندسية، ونفحاتُ عرفه مسكية، وشعر هو تميمة كماله، وعوذة تقية عين جلاله وجماله، كقوله إذ طالت شقة أحبابه، وأقام بمصر المقام اليوسفي كالصارم في قرابه، وله من الأدهم حجال، [٨٦/ب] والقيود كما قيل خلاخيل[2] الرجال، وقد لمع برق الحجاز، وبدا على حلّة الزرقاء منه طراز: [البسيط]

مـا يَلْمَـعُ الـبَرْقُ مِـنْ تَلْقـا دِيـارِهِمُ ... إِلَّا وَلِي مَـدْمَعٌ بِالـسَّفْحِ هَطَّـالُ

وَاللهِ لَـوْلا قُيُـودٌ فِي قَوائِمِنـا ... مِـنَ الجَمِيـلِ وَفِي الأَعْنـاقِ أَغْـلَالُ

لَكـانَ لِي فِي بِـلادِ اللهِ مُتَّـسَعٌ ... وَفِي المُلُـوكِ لُبانـاتٌ وَآمَـالُ

لِي حُرْمَةُ الضَّيْفِ وَالجارِ القَدِيمِ وَمَنْ ... أَتـاكُمُ وَكُهُـولُ الحَـيِّ أَطْفَـالُ

أَتَيْـتُكُمْ وَجَلابِيـبُ الـصِّبا قُـشُبٌ ... فَكَيْـفَ أَرْحَـلُ عَـنْكُمْ وَهْـيَ أَسْمَالُ

* * *

---

(١) الشريف محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان المعروف بأبي نُمَيّ (٩١١-٩٩٢ / ١٠٥٦-١٥٨٤): شريف حسني من أمراء مكة، ولد فيها، وشارك أباه في حكمها، ثم وليها منفردا بعد وفاة أبيه سنة ٩٣١/ ١٥٢٤، وطالت مدته، وكثرت أخباره، كان ذا همّة عالية، صمد للإفرنج حين غزوا جدّة وندب الناس لقتالهم، وأنفق نفقة عظيمة. حتى رُدُّوا خائبين، وتوفي بمكة. انظر مصادر ترجمته: خلاصة الكلام، ص، ٤٩، ٥٢؛ الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص١٦٧؛ ريحانة الألبا، ١/ ٣٨٤؛ النور السافر، ص٣٨٠؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦١٩؛ الأعلام، ٦/ ٥٢.

(٢) في (س): «خلاليل». وهنا يُشير إلى سجنه في مصر. (ج).

ومن فحول شعرائه المقلِّدين جيدهم بطوق ولائه:

[٥١]
شِهاب الدين أحمد الفَيُّومِيّ[1]

هو من نَسقَ من جواهر كلامه، وجرت مياهُ البلاغة في رياض نظامه: [من الطويل]

أكاليــلَ دُرٍّ مــا لمنظومهــا سِــلْك فذابتْ كذوب التبر أخلصه السبكُ

إذا امتد خطوُهُ إلى المجدِ وكرم الخِيم، فهو أوسعُ من رجع الذئب وأَسرعُ من خطو الظَّليم.

جمعتْ له الحظوظُ من تلالها ووهادها، وقِيْدَتْ لديه القلوب بأزمَّةِ ودادها.

فأُنشد يوما قصيدةً بائية، ممتنعة من أن تمسَّها يدُ الفكر الأبية، فلما أتى على قوله في مدحه بها[2]: [الكامل]

يَهْتَــزُّ مِــنْ تَحْــتِ الــسِّلاحِ كَأَنَّــهُ رَيْحانَــةٌ لَعِبَــتْ بِهــا رِيــحُ الــصَّبَا

جثى على ركبتيه ووثب، متطايراً من أحداقه شرر الغضب، وكاد أن يُكلِّمه بألسنةِ السيوف، ويخلعُ عليه خلعةً حمراءَ مزرورة[3] بأزرار الحتوف، فلمّا عقبه بقوله: [الكامل]

فِي كُــلِّ مَنْبَــتِ شَــعْرَةٍ مِــنْ جِــسْمِهِ أَسَــدٌ يَمُــدُّ إِلَى الفَرِيــسَةِ مِخْلَبَــا

قال: عفوت عمّا فات، أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات.

---

(١) وردت ترجمته في ريحانة الألبا فقط دون ذكر تاريخ ميلاده أو وفاته، ١/ ٣٨٥.

(٢) أي مدح أبي نمي بن بركات. وفي الأصلين: مدحها. والمثبت من الريحانة. (ج).

(٣) في (ظ): «مزررة». وفي الريحانة: حمراء بلا أزرار، فصلتها يد الحتوف.

و«ديوان» شعره بالحجاز مشهور، ودررُ نثاره على أدبائها منثور.

ولما ارتحل عن القاهرة، قال متشوّقاً بها معاهده ومآثره: [السريع][٨٧/أ]

يــــا رَبِّ لا وَصْــــلٌ وَلا سَــــلْوَةٌ لا زَوْرَةٌ مِـــــنْ طَــــيْفِهِمْ لا لُقَـــا
إِنْ لَمْ يَكُـــنْ فِي وَصْـــلِهِمْ مَطْمَـــعٌ فَـــلا تُعَـــذِّبْ مُهْجَتِـــي بِالْبَقَـــا

ومدائحه فيه سائرة مسرى الأمثال، هبت عليه منها قبول الإقبال، كالنونية التي عارض بها نونية [صفي الدين] الحلِّي التي مطلعها[١]: [الوافر]

أَذَابَ التِّـــبْرَ[٢] في كَـــأْسِ اللُّجَـــيْنِ رَشـــاً بـــالرَّاحِ مَخْـــضُوبُ اليَـــدَيْنِ

ومطلعها: [الوافر]

بَـــدَتْ فَأَرَتْـــكَ شَـــمْسَ المَطْلِعَـــيْنِ فَتـــاةٌ أَسْـــهَرَتْ بِالْـــمَطْلِ عَيْنِـــي

وقبله عارضها الشهاب المنصوري[٣] بقصيدة مطلعها: [الوافر]

بَكَيْتُـــكَ يـــا غَـــزَالَ الأَجْـــرَعَيْنِ وَقَـدْ رَبِحَـتْ عَلَيْـكَ الأَجْـرَ عَيْنِـي

ومن شعر الفَيُّوميِّ قوله مضَمِّنا: [البسيط]

لَقَـدْ عَـذَلْتُ رَئِيسَ القَـوْمِ حِـينَ عَـلا عَلَيْـهِ عَبْـدٌ فَقـالَ اقْلِـلْ مِـنَ العَـذَلِ
فَـإِنْ عَـلانِيَ مَـنْ دُونِي فَـلا عَجَـبٌ لِي أُسْوَةٌ بِانْحِطاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ[٤]

---

(١) ديوانه، ص. ٣٣١.

(٢) التبر: الذهب.

(٣) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن محمد السلمي المنصوري المعروف بالشهاب المنصوري، وبابن الهايم، وبالقائم (٧٩٩-٨٨٧ / ١٣٩٦-١٤٨٢): برع في الشعر وفنونه، وتفرد في آخر عمره. له «ديوان شعر». انظر ترجمته: شذرات الذهب، ٩/ ٥١٨.

(٤) ورد هذا البيت المضمن للطغرائي في ديوانه، ص. ٣٠٧؛ ولابن الوردي في ديوانه، ص. ١٨٣. ورد البيت في ديوان ابن الوردي بهذا الشكل:

«لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عَنْ زحلٍ فإِنْ علانيَ مَنْ دوني فلا عجبُ».

وقوله: [المجتث]

أَوَاخِرُ الكَأْسِ فيها ... على الأوَائلِ فَضْلُ
يَمُرُّ دَوْرًا فَدَوْرًا ... (وكُلَّما مَرَّ يَحْلُو)[١]

وله في مليحٍ اسمه حُسين[٢]: [السريع]

تَرَكْتَ جَفْنِي واصِلاً وَالْكَرَى ... رَاءً[٣] فَجُدْ بِالْوَصْلِ فَالْوَصْلُ زَينْ[٤]
وَلا تُجِبْنِي عَنْ سُؤالِي بِلا ... فَالْقَلْبُ يَخْشَى كَرْبَ لا يَا حُسَينْ[٥]

وقوله: [مجزوء الرمل]

حَجَّ لِلْبَيْتِ اخْتِلاساً ... وَفَساداً لِلأَنَامِ
مُذْ رَآهُ النّاسُ قَالُوا ... حَجَّ لِلْبَيْتِ الحَرَامِ[٦]

(١) عجز البيت لابن لؤلؤ، صدره: «يمرُّ بي كل وقتٍ». فوات الوفيات، ٤/ ٣٧٨.

(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ٣٨٦-٣٨٧؛ ونفحة الريحانة، ٣/ ٣١٦.

(٣) يشير إلى واصل بن عطاء، وتعذر نطقه حرف الراء. (ج).

(٤) قال الشهاب في ريحانة الألبا ١/ ٣٨٧: وفي قوله (زين) إيهام غير زين، لأنّ العامة تقول في حرف الهجاء (زين) والصحيح فيها: زاء بالمد والقصر. (ج).

(٥) يشير إلى مقتل الإمام الحسين رضي الله عنه بكربلاء. (ج).

(٦) الحرام أي اللص والسارق: فاعل (حج) وليست صفة للبيت. (ج).

[٥٢]
حسن بن أبي نُمَيّ[١]

ثم خلفه ابنُه حسن، ومَنْ حديثُ مكارمه على لسان الدهر حسن: [الرجز]

وَإِنَّـــما المَـــرْءُ حَـــدِيثٌ بَعْـــدَهُ فَكُـــنْ حَـدِيثاً حَـسَناً لِمَـنْ وَعَـى[٢]

رُفعتْ رايات مكارمه، ونُصبتْ على أعلام كماتها بين معالمه، وسرت سحائبُ كرمه لها من غرّته بريق، وتفرَّقتْ أنهار جوده في ذلك الفريق، حتى طمت على القُرى وهضاب العذيب والعقيق.

وله في القصائد [٨٧/ ب] يدٌ علوية حلّت بين الرفق والباس، وعجز عن أقلِّها في الحَدْسِ إياس[٣]، مع حماسة وسماحة، وفصاحة وصَبَاحة[٤]. شعر: [الطويل]

إذا زانَ قَوْمـــاً بِالَمناقِـــبِ واصِـــفٌ ذَكَرْنـــا لَـــهُ فَـــضْلاً يَـــزِينُ المَنَاقِبَـــا

لَـهُ الـشِّيَمُ الـشُّمُّ الَّتِـي لَـوْ تَجَـسَّمَتْ لَكانَتْ لِوَجْهِ الدَّهْرِ عَيْناً وَحَاجِبَا[٥]

وكم أوردَ النجيعَ سيفَه المجرد عن العلائق، وأصدره وقد انتثرَ على الغدير

---

(١) الشريف حسن بن أبي نمي محمد بن بركات الحسني (٩٣٢-١٥٢٥ / ١٠١٠-١٦٠١): ولد بمكة، استقل بسلطنة الحجاز، وقام بها أحسن القيام، وضبط الأمور والأحكام على أحسن نظام. وأمنت البلاد واطمأنت العباد، كان صاحب فضل باهر، وأدب غض ومحاضرة فائقة. توفي في مكان يقال له الرفاعية، ونقل إلى مكة.انظر مصادر ترجمته: خلاصة الأثر، ٢/ ٢؛ ريحانة الألبا، ١/ ٣٨٨؛ تراجم الأعيان، ١/ ٢٤٦؛ خلاصة الكلام، ص. ٥٦.

(٢) البيت لابن دريد الأزدي في نفح الطيب، ٦/ ٤٠٢.

(٣) هو إياس بن معاوية، يضرب المثل بذكائه. (ج).

(٤) في (ظ): «وصباحة وفصاحة». (ج).

(٥) البيتان لمقاتل بن عطية، أبو الهيجاء شبل الدولة. وفيات الأعيان ٥/ ٢٦٠. (ج).

المنسوج بيد الشمال الشقائق، من فتية إن تصافحوا بالصفاح، تهللت ضاحكة بالدماء ثغور الجراح: [الطويل]

حَلِـيمٌ إذا مـا الحِلْـمُ كـان حَزَامَـةً   وَقُوفٌ وَلَوْ كانَ الوُقُوفُ عَلَى الجَمْرِ[1]

مع محاضرات لو رآها الراغب ظل فيها راغباً، وأبكارُ أفكارٍ لا يُكافِئُها إلا من كان لها بِمَتاعِ الحياة خاطباً.

ومن تلميحاته الخفية، قوله لبعض بني عمه، إذ ورَدَ نَدِيَّه، فجلس فوقه بعضُ أهل ذلك النادي، فرآه وقد تجعّدت أساريرُه، وتيهُ العلويّةِ عليه بادي، ففطن له، وقال له: إني ليملكني العجبُ، ويهزُّ من عطف أَريحيَّتي ساعد الطرب، قصيدة المتنبي التي أولها[2]: [الوافر]

فُـؤادٌ مـا تُـسَلِّيهِ المُـدَامُ   وَعُمْـرٌ مِثْـلَ مـا تَهَـبُ اللِّئَـامُ

فتسلّى وتعلّل، تبسّم وجه سروره وتهلّل، لأنه لمحٌ لقوله فيها: [الوافر]

وَلَـوْ كـانَ المَكَـانُ لَـهُ عُلُـوٌّ   لَطـارَ الجَـيْشُ وَانْحَـطَّ القَتَـامُ

وفي معناه قولي من قصيدة: [الكامل]

لَمْ أَدْرِ يَـوْمَ الحَـرْبِ هَـلْ ثـارَ الثَّـرَى   أَمْ خَيْمَـةٌ نُـصِبَتْ عَلَيْـهِ وَقَـدْ سَرَى

أَمْ نالَـهُ شَرَفٌ بِمَـسِّ نِعالِـهِ   فَعَـلَا رُؤُوسَ عِـدًى لَـهُ مُتَكَـبِّرَا

أَمْ راحَ مُـشْتَكِياً إِلَى خَلَّاقِـهِ   دَوْسَ الجِيـادِ عَلَيْـهِ كَـيْما يُنْـصَرَا

عودٌ إلى سيرة ابن سيد الناس، التي تسري الصَّبا بعبير عنبره طَيِّبَةَ الأنفاس: كنتُ قبل أن تُعَرَّى أفراسُ الصِّبا، ويتفَرَّقُ شَمْلُ الصَّفْوِ بأيدي سبا، ارتحلتُ إلى

(١) أقول: البيت للهدم بن امرئ القيس يرثي عمرو بن حممة. أمالي القالي ٢/ ١٤٠. وفي الأصلين: فك جزامَه. (ج). في (ظ): «وقور».

(٢) ديوانه (طبعة صادر)، ص. ١٠١.

ذلك المقام المُمَجَّد، لأَجْتَلِيَ وجهَ المليحة [٨٨/أ] في الخِمارِ الأسود، فرأيتُه وقد ابيضَّ عنبرُ لِمَّتِه، وثقب الشَّيْبُ مِغْفَرَ هامَتِه، وقد علا هامَ السِّتِّين، ورقى شرف السبعين.

وهو ذو فكرةٍ لا تخمد النيران، لو رُزقَتْ بعضَ ذكائها، وله عروسُ همَّةٍ لا يعدُّ غير المجد من خطّابها وأكفائها، وقد قلّمتْ أظفارَه الخطوبُ، وقد كادت لنفاذ أمره[1] لا تسري بغير إذنه الصَّبا والجنوب، وقد ساق إلى أعدائه وفود الحتوف، ورأى وجودَهم ذنباً لا تعتذر عنه غير ألسنة السيوف، والهم[2] أكبر حَدَثٍ لا يطهِّرُهُ غيرُ تيمم تراب الجدث: [البسيط]

وَلَّى صَوارِمَهُ تَكْذِيبَ[3] قَوْلِهِمُ فَهُنَّ أَلْسِنَةٌ أَفْواهُها القِمَمُ[4]

إذا ابتسمتْ ثغورُ حلمه وطوده احتبى، ضكحتْ له في وجوه البسيطة ثغور الربى، وإنْ عبستِ الحربُ |لخوفه|[5] وكشرتْ أنيابها سالت بالدماء البطاح، واضطربت لهيبته إذا هبت رياح النصر سمرُ الرماح.

وكان من سُنَّة سلفِهم، ومَنْ خَلَفَ مِنْ خَلَفِهم، أن يقدّم للإمامة من قدّمته الأيام، وفي المثل: أكبر منك بيوم، أعرف منك بعام.

* * *

وكان رديفه ذو الرأي الصائب، والفكر الثاقب، المحدث النقاب الرافع عن وجوه الخبايا بيد فكره النقاب:

---

(١) في (س): «لتفاد حكمه».

(٢) في (ظ): «ولهم».

(٣) في الديوان: «إكذابَ».

(٤) البيت للمتنبي في ديوانه (طبعة صادر)، ص. ٤٢٠.

(٥) زيادة من (ظ).

[٥٣]
شقيقه الأجل السيد ثَقَبَة[1]

من لو رام دُرَّ الكواكب سمره لثَقَبَه، وهو المُشْرِقُ من مشكاة قلبه أنوارَ اليقين، والناثر من خزائن جوده على مفرق الدهر كلّ جوهرٍ ثمين، وكلّ مَنْ نَسَله تُحَدِّثُهُ نفسُه بالإمامة، [و][2]أن يتلو في محاريب الخلافة آيات مجده أمامه، فمنهم من صاهره واستودع جواهره الفاخرة، ولسان حاله يبدي ويعيد، ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

---

(١) الشريف ثَقَبَة بن أبي نمي محمد بن بركات الحسني (ت: ١٠٠٨/ ١٥٩٩): أخو الشريف حسن ابن أبي نمي محمد بن بركات الحسني، ولا يوجد تفاصيل حول حياته. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٣٩٣؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٢؛ خلاصة الكلام، ص. ٥٧، ٦١.

(٢) زيادة من (ظ).

فلمّا برعَ:

[٥٤]
السيد حسين[١]

وترعرع، لبس لأمة النَّجابة وتدرَّع، وهو بحر جودٍ أمواجه الهمم، وروض سيادةٍ سياجه الفخر والكرم، فلم يزلْ يُرسل له جواهرَ وتحف، [٨٨/ب] ويتضرَّعُ له بطاعةٍ بصميم الودِّ تُحَفّ، فقال له الشريف مرَّة[٢] في أثناء الكلام: إيذن لحسين أن يلي الوفادة في هذا العام. فقال له: ضباع المُنحنى جياع، والسيد يريد إضافة السِّباع[٣]، فلمّا صرّح باليأسِ في جوابه، أحلَّ تباريحَ الجوى به، فرجع بخفي حنين، وشاهد[٤] كربلاء حسين، حتى ذاق بسيف الحسرة طعمَ الشهادة، ولبس عليه الدهرُ من دياجيه حداده، فسقاه رَيِّقِ الغوادي الباسمة البروق، وإن كان في جدثِهِ بحرَ كرمٍ يعذبُ في فم الأماني ويروق.

---

(١) الشريف حسين بن حسن بن أبي نمي محمد بن بركات الحسني (...): كان نائب أبيه في حياته. توفي قبل أبيه حسن. ورد اسمه في المخطوطتين «حسن» إلا أنه خطأ، لأن (اسم حسن) لم يرد من بين أسماء أبناء الشريف حسن بن أبي نمي في المصادر التي تحدثت عنه، لعله جاء سهواً من الناسخ. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٣٩٤؛ تراجم الأعيان، ١/ ٢٤٦؛ خلاصة الكلام، ص. ٦١.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في (س): «الشباع».

(٤) في (س): «وشاهدت».

ثم نهض:

[٥٥]

شقيقه مسعود[١]

على قدمه، طالما بدرُهُ المسعود بين نجومِ أتباعه وخدمه، وهو إذ ذاك في المعرفة عَلَم، وفي طرق الجدِّ ثابتُ القدم، يبتسم بغرّته وجهُ النهار، ويحدِّثه المجدُ بما[٢] في ضميره من الأسرار، وحسناته ما خُطَّ في مجموعة الدهر مثلها، ولم يعلُ على رأسِ العصابة العلوية ذؤابة قبلها، فمسعود لو مَسَّ عُوداً لأَوْرَق، لِما جالَ فيه من ماء النَّدى وترقرق، مع شجاعةٍ يرعدُ منها |الأسَدُ و|[٣] الأسَلُ، ويَعُدّ الطعن كالقبل، كما قلت فيه قصيدة كنت مدحته بها: [الكامل]

قَــوْمٌ غَــزَوْتَهمُ فكُــلُّ جُــسُومِهمْ ... مُقَــلٌ لهــنَّ إشــارةُ المُــتَكَلِّمِ
مِــنْ كُــلِّ مُقْلَــةِ طَعْنَــةٍ نَجْــلاءَ مُــذْ ... نظَــرَتْ فِــرَاقَ الــرُّوحِ تَبْكِــي بالــدَّمِ
رَمِــدَتْ فكَحَّلَهــا مَــراوِدُ سُــمْرِه ... مِــنْ إثْمِــدِ النَّقْــعِ المُثــارِ المظلــمِ
وكــأَنَّما مَرِضَــتْ لِخَــوْفِ قَواضِــبٍ ... صَــلَّتْ فَتَــسْجُدُ وَهْــيَ ذاتَ تَــيَمُّمِ

فلم يزل يخطب كواعب أبكاره، حتى أدركه الغرقُ في بحار أفكاره، فأرسى

---

(١) الشريف مسعود بن حسن بن أبي نمي محمد بن بركات الحسني (...): كان نائباً لوالده حسن بعد ما توفي أخوه الشريف حسين. كان يتصف بالشجاعة والقوة، لكنه لم يسلك مسلكاً مرضياً، فتوفي وهو شاب قبل وفاة أبيه. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٣٩٥؛ تراجم الأعيان، ١/ ٢٤٦؛ خلاصة الكلام، ص. ٦٢.

(٢) في (ظ): «عما».

(٣) زيادة من (ظ).

على ساحل مشعوب، وأنشده لسانُ الخُطوب: [الطويل]

عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ[١]

فبلغ وفاته، وسبقه الأمل في مضمار العمر وفاته، فرأيت جنازته والدموع حوله طوفان، وقد أرست سفينة تابوته على جودي الدموع والأشجان، فلمَّا بدّل بالمنية ما له من المنى، وأترع له كأس المنون ساقي الفنا.

(١) هذا عجز بيت للمتنبي، وصدره: «عَزيزُ أسى مَن داؤهُ الحَدَقُ النُّجْلُ». ديوانه، ٢/ ٢١٢.

وكان: [٨٩/ أ]

[٥٦]
أبو طالب[١]

مُترشِّحا لأمرها، مترقِّبا لاجتلاء وجه بدرها، وكان قبلُ لا يردُ مورداً من مناهل آماله، إلَّا صار فيه غصص رقبائه وعذّاله: [الخفيف]

لم تَــرِدْ مــاءَ حُــسْنِكَ العَــيْنُ إلَّا شَرِقَــتْ قَبْــلَ رِيِّهـا بِرَقِيــبِ[٢]

فأراد والده أن يقلّده بصارمها، ويجعلَ جياده في أجياده مقامَ تمائمها، فأرسل الأميرَ بهرام، وارداً ماء المرام، وهو ينتظره انتظار ليلة القدر، راجياً أن يحلَّ منها محلَّ القلب من الصدر، فنثر على ذلك الرسول نثار جواهر القبول، وأهدى له مع كتاب العهد خِلَعاً كهدايا المزن للرياض، أرقَّ ممّا نسجته يدُ الشمال على منوال الحياض، وأزهى ممّا توشَّحت به معاطف الكثبان، وألبسته يد الربيع معاطف الأغصان، فكانت خِلْعة الشريف، أحق بقول السيد الشريف [الرَّضِيّ][٣]: [السريع]

---

(١) الشريف أبو طالب بن حسن بن أبي نمي محمد بن بركات الحسني (ت: ١٠١٢/ ١٦٠٣): تولى إمارة مكة بعد أخيه الشريف مسعود، نيابة عن أبيه، ثم أمر أبوه أمراء الحجاز أن يلبسوه الخلعة الكبرى، وألبسوا أخاه عبد المطلب الخلعة الثانية، واستصدر من السلطان محمد خان بن مراد، تقريراً بذلك، ولما مات والده، ولحقه أخوه عبد المطلب استقل بالملك. كان شديد الهيبة، وكريماً. توفي بمحل يدعى بالعشة من جهة اليمن، ونقل إلى مكة، ودفن بالمعلاة. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٣٩٤؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٣١، تراجم الأعيان، ١/ ٢٤٥؛ خلاصة الكلام، ص. ٦٢.

(٢) البيت لابن المعتز، الديوان ١/ ٣١٤. (ج).

(٣) ديوانه، ١/ ٤٢٥-٤٢٦. يمدح فيها أبا سعيد بن خلف ويهنئه بخلع السلطان عليه.

قَـــرَّتْ عُيـــونُ المَجْـــدِ وَالْفَخْـــرِ بِخِلْعَـــةِ الـــشَّمْسِ عَـــلى البَـــدْرِ
صَـــبَّتْ عَـــلى عِطْفَيْـــهِ أَطْرافَهـــا مُعْلَمَـــــةً بِـــــالعِزِّ وَالنَّـــــصْرِ
كَأَنَّهـــا خِلْعَـــةُ ثَـــوْبِ الـــدُّجَى في عـــاتِقِ العَيُّـــوقِ وَالنَّـــسْرِ
زَرَّ عَليـــهِ المَلْـــكُ فَـــضْفاضَها وَإِنَّـــــما زَرَّ عَـــــلى البَحْـــــرِ
مـــا هُـــــوَ إِنعـــامٌ وَلَكِنَّـــــهُ مـــا خَلَـــعَ الغَيْـــثُ عَـــلى الزَّهْـــرِ

فأُفيضَتْ عليه خِلْعةٌ مُعْلَمةٌ(١)، وأصبحَتْ قلادةُ عهده في الأعناق مُنَظَّمةٌ، وأمرُهُ بالدَّهرِ عابث، وجِدُّه لنفثات السِّحر نافثٌ، وأغصان العَيْشِ في حَيِّه مُورقَة أثائِث(٢).

وأمطرَ عليه عِهادُ العهود وَسْمِيًّا ووَلِيًّا، وتلا منشورَه المُغْرِب عن جعله لعهد أبيه وَلِيًّا، فتبوّأ صدر الخلافة والجلالة، وَرِثَها عن أبيه وهو حيٌّ لا عن كَلالة. فأقرَّ بعهده لِسانا السيف والقلم، ونُودِيَ(٣): [البسيط]

هَـذا الَّـذي تَعْـرِفُ البَطْحـاءُ وَطْأَتَـهُ وَالحِـلُّ يَعْرِفُـهُ وَالبَيـتُ(٤) وَالحَـرَمُ(٥)

وقام فطاف بالبيت شكرا لذلك الإنعام الجسيم، فكادَ يُمسكُهُ [٨٩/ ب] لعرفانِ راحته لّما استلم(٦) الرُّكْن والحَطيم.

وصورةُ منشوره، وهو ممّا أنشأتُهُ أنا بالروم باسم الرئيس، وهو:

(١) في (ظ): «المعلمة».
(٢) أثَّ النبات: كثر والتف.
(٣) البيت للفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ديوانه، ٢/ ١٧٨.
(٤) اعتبار من «يعرفه» ساقط من (ظ).
(٥) في الديوان: «وَالبَيتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ».
(٦) في (س): «استلمته».

الحمد لله الذي نشَر على الخافِقَين أعلامَ عَدْلِه، وزيَّن حُلَل الوجود بطراز كرمه وفضله. نَشْكُره شكراً تَطُوفُ وفودُ الإخلاص حول كعبته، وتقصرُ الفصحاءُ بعد التحليق في أفق البلاغة عن أن تكون مُزْدَلِفَةً من شُكْرِ نِعْمَتِه، وتسجدُ له الأقلام في كعبةِ الطِّرْسِ المَكْسُوَّةِ بسَوَادِ مِدَادِه، وتسعى للصفا في موقف إصداره وإيراده.

وصِلاتُ الصَّلاةِ المِسْكِيَّةِ النَّسيمِ، العنبرية الأديم، تَتَوَالى تَوالي القِطر المكرَّر على تلك الأقطار، والمَثْوَى الذي تِرْبُه إثْمِد البصائر والأبصار: [البسيط]

حَيَّاكِ يا تُرْبَةَ الهادِي الرَّسُولِ[1] حَياً بِمَنْطِقِ الرَّعْدِ بادٍ مِنْ فَمِ السُّحُبِ[2]

محمدٍ المُرْسَل بكتابٍ تَمَسَّك بأهدابه سحر البلاغة والإيجاز، واستَوْثَق دون بُلَغاءِ العرب بِعُرَى الإعجاز، فرَمَى قلوبَ المعارضين بجَمراته، وكحَل بصائرَ المطيعين بميل الهداية فأَقَرُّوا بِبَيِّناتِ آياته. وعلى آله وصحبه، وجند ديوانه وحزبه، أولياءِ عهده، والخلفاءِ من بعده، ما جُرِّدَتْ صَوارمُ البُروقِ من أغماد الغَمائم، وسَرَى نسيمٌ بنَجْد فابتسمَتْ له ثغورُ النَّوْرِ في الكمائم.

هذا وقد أظهر الله عزَّ سلطانُه كَنْزَ سِرِّه المكنون، بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فَعُلِم به سِرُّ الأمر، فإنه ليس بعد مرتبة الرسالة والنبوة إلَّا مراتبُ الصلاح، ولهذا كانت الرعايا بلا سلطان كالأجساد بلا أرواح، وما الشريعة إلَّا روضةٌ زاهية الثمار، متفتِّحة الأنوار، تجري من تحتها الأنهار، والسلطانُ متعهِّدٌ لها بالحراسة، يحميها

(١) في الديوان: «الشفيع».

(٢) البيت للشاب الظريف في مدح الرسول ﷺ. ديوانه، ص. ٧٤.

من كلِّ جانٍ بشوكة السياسة، وإذا كان ظلَّ الله في أرضه، وشمسَه المتَّضح بأنواره، سنن سننه وفرضه، [٩٠/أ] فعلى من طلعتْ عليه تلك الشمس أن يجنحَ لظله، ويقيلَ في دوح إحسانه وفضله، فإنّه الشمسُ التي تُضيءُ بدورُ الملوك بأنواره، والبحرُ الذي تستمدُّ جداولُ الأمراء من أنهاره، والسماءُ الذي تَتَمَنْطَقُ الجوزاء لخدمته، ويخافُ الأسدُ أن يمدَّ إليه يدَ سطوته، والجنَّةُ التي تحت ظلال السيوف، والمُتقرَّبُ له بمحاسن الأعمال والمستجار به من الصُّروف، والحرمُ الذي يأمن فيه الخائف، وكعبةُ اللطائف البادية لكلِّ طائف، والرَّبيعُ الذي اعتدلتْ أيامه بالعدالة، وصدحت حمائمُ الثناء على أغصانه الميَّادة الميَّالة[١]: [الطويل]

وَتَهْتَــزُّ أَعْــوادُ المَنَــابِرِ بِاسْــمِهِ ... فَهَلْ ذَكَرَتْ أَيَّامَها وَهْيَ أغصانُ[٢]

ومما ينبغي أن يُرْسَم في صحائف الأفكار، ويُجْعَل طرازاً على كعبة المحامد والآثار، أنه من أهَمِّ ما يهتمُّ به مَنْ جعَلَ الحِجَا[٣] زِيَّه، خدمةُ طَيْبَةَ الطَّيِّبة ومكة المشرَّفَة بها سائرُ الأقطار الحجازيَّة، معدِن جواهر النبوة ومَهْبط آيات الوحي المتلوَّة، ومُشْرِقُ شموس الأنوار المحمَّدِيَّة، ومظهَر الآثار العُلْوِيَّة العَلِيَّة.

ومَثْوَى من شرَّف الله به نوعَ الإنسان، والأنموذج الذي صاغَهُ الله تمثالاً للجِنان، كما ورد في السنة[٤]: «ما بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ».

---

(١) البيت لبهاء الدين زهير في مدح الملك المسعود صلاح الدين أبي المظفر لما قدم من اليمن سنة ٦٢٠/ ١٢٢٣. ديوانه، ص. ٣٣٠.

(٢) في الديوان: «قُضْبانُ».

(٣) الحجا: العقل.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ١٨/ ١٥٤، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٤٩٦ عن أبي سعيد الخدري. (ج).

وكذلك أول بيت وضع للناس، وأسس على التقوى منه الأساس: [البسيط]

كـأنَّما هُـوَ مِغْنـاطِيسُ أنفُسِنا فحَيْـثُما كـانَ دَارَتْ نَحْـوَهُ الـصُّوَرُ

وكان أَوْلَى ما يقلِّده الإنسانُ عقودَ جواهر الإحسان، ويجتهد في تقليده، وتأبيد تأييده، ويُتَوِّجُه بتاج التكريم، ويُعِمُّه بحُلَل التبجيل والتعظيم، ويُجْزِلُ الصلةَ لجنابه الموصول، ويُضْمِرُ له في القلوبِ القبولَ، بُدُورَ فلكِ السعادة، وصُدورَ مساند السِّيادة، عين السادة الأشراف، فخر آل عبد مناف. [٩٠/ب] وكيف لا يَزْدادون حُبًّا، بعد قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وبالجملة، فإنَّ مادِحَهم كمن قال للأسد: ما أشدَّ شجاعتَك! وللبحر [المحيط]: ما أوسعَ ساحتَك!

لاسِيَّما طَوْدُ المجدِ الشامخ المُنيف، المرفوع عليه علَمُ العِزِّ والنَّصر الشريف[1]. أميرُ الحرمين الشريفين، تاجُ هامة بني الحسن والحسين الجناب العالي، مَغْرس ثمرات المعالي، العريق الحسيب، الأصيل النسيب، ذُخْرُ الأنام، ثمرة[2] الليالي والأيام، زَهْرَة الشجرة العَلَويَّة، فرع الدَّوْحَة النَّبوِيَّة: [الطويل]

إذا وَجْهُـهُ أو رَأْيُـهُ أو[3] فِعالُـهُ تَـبَلَّجْنَ في لَيْـلٍ تَجلَّـتْ غَياهِبُـهْ[4]

صارمُ الخلافة المُغْمَد في رقابِ أعدائه، ورحمتُه المُمْطِرة دُرَرَ سَحائبِها على أوليائه. الحسَنُ الذات والصفات، أبو المحاسن حسن بن أبي نُمَيٍّ بن بركات، أمدَّه الله بنصرٍ لا يُبْلَى جديدُه، ولا يُنْثَرُ بيد الحوادِث عُقوده. آمين.

---

(١) في ريحانة الألبا ١/ ٤٠١: والنسب الشريف. (ج).

(٢) في (ظ): «حسنة».

(٣) في (ظ): «و».

(٤) البيت لابن الرومي، الديوان ٢٣٢٠، وفيه تجلّت حنادسه. (ج).

(*) هذا؛ وقد ورد من جانبه رسول، تلَقَّاه من سُدَّتِنا نسيمُ القبول، إذ جاب الفَيافِيَ بين حَزْنِها وسَهْلها، وأدَّى الأماناتِ إلى أهلِها، وكان كالمِيلِ سلَكَ بين الجُفون فأجاد، بإثْمِد الصلاح والسَّداد، ومعَهُ منشورٌ أرَقُّ من نَسيمِ السَّحَر، مُعْرِبٌ عن العين بالأثَرِ، مُخْبِرٌ أنَّ مُرْسِلَه أرادَ الفَراغ، و﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة: ٩٩].

وتضمَّن منشورُه المذكورُ، أنه أراد الاستراحةَ من نصَبِ المناصب، والتَّقاعدَ عمّا لها من المراتب، رغبةً عن زُخْرُفِ الحياة، إلى خدمة سيِّده ومولاه، وأن نَجْلَه النَّجيب الجليل، الحسيب الأصيل، الناشيء في حِجْر الشرف الباهر، المستخرَج من أكرم العناصر، لَيْثَ غابة بيض الصِّفاح، وسُمْرِ العسَّالة الرماح، عليه أبلغ أمارة الإمارة، ودلائل النجابة والصدارة: [الكامل]

بلَغَ السِّيادةَ في ابْتِداءِ شَبابِهِ إِنَّ الشَّبابَ مَطِيَّةٌ لِلسُّؤْدَدِ[1]

وسأل أن يُقَلِّده صارمَ إمارة تلك الديار، وما يتبعُها من البلدان [٩١/أ] والأقطار. على ما جرَتْ عليه عادةُ سَلَفِه الذي سلَف، وقانونُ مَنْ خلَفَهُمْ من الخَلَفِ. فأجَبْناه إلى مَرامِه ومُراده، وأمدَدْناهُ بإسعافه وإسعاده؛ لأنه إنما نزَع صارِمَها من يَده إلى يده الأخرى، وجعله بعد يَمين اليُمْنَى[2] في يَسار اليُسْرَى. فسارت الإمارة من حَرَم إلى حرَم، ولم تخرج من جيران نَجْدٍ وذي سَلَمِ. فعليه بعد ما خلعنا عليه حُللاً تأَنَّقَ واشِيها، ورقَّتْ حَواشيها، ونظرنا إليه بنَظَرِنا الذي هو إكسير، أن يُحْسِن في العملِ والتدبير. وينظر إلى الرعايا بعين الرِّعاية، ويَصُونهم عن أهل الضلالة والغِواية. ويؤمِّن تلك المناسك، ويحرس تلك

(١) البيت للبحتري، الديوان ٢/ ٦٩٠، وفيه: في بدوءِ. (ج).

(٢) في (ظ): «يمن اليمين».

المسالك. ويختار من قومه من يَحْرُسُ أطرافَها من الأعدا، ويحفظها من كلِّ قاصرٍ في فِعْله تعدَّى. ويبطل ما فيها من المكوس والمظالم، ويقيم الحدودَ على مستحقِّيها من كل باغ وظالم. ليخلِّد في صُحُف تلك البلاد الحسَنات، ويمحُوَ ما فيها من آثار السيئات، ويتصرّف في بَنْدَرِ جُدَّة على العهد القديم، ومن جاورَ ذلك المقامَ فَلْيُسْعِدْهُ بالنَّعيم المُقيم، ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، ويحرسَ الوافدين إلى ذلك البلد الأمين، بإقامة شعائر شرائع الدين، ويحميَ بحمياته(١) من وَرَد وصَدَر، ويحرسَ مواردَهم الصافية من الكدَر، وليلاحظ ما للخليل ﷺ من صالح الدعوات في قوله: و﴿رَبِّ(٢) اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

ثم لِيَعْلَمْ كلُّ مَنْ كَحَل بَصرَه بإِثْمِدِ منشورنا الكريم، وشنَّف مَسامعه بلآلئ لفظه النَّظيم. ممن في دارة تلك الديار، أو هالة تلك الأقطار، وانتظم في سلك سكان تلك القُرى والأمصار. من السادات الكرام، والقضاة والحكام، وولاة الأمور من الأعيان، والوافدين [٩١/ ب] على تلك الديار والسكان.

أَن إمارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر، وما أحاطت به من الأصاغر والأكابر، وسائر الوظائف والمناصب، وتفويض الجهات والمراتب، مُفَوَّضَةٌ إلى السيد السند أبي طالب، ناظراً بعين الإنصاف، متجَنِّباً سبيلَ الاعْتِساف، فيصرفَ المستحقين بحسن التصريف، ويصرف ما لا يستحق برأيه الشريف، أقمناه مقام أنفسنا في ذلك المقام، وفوَّضْنا إليه النَّقْض والإبرام. والعَلَامة السلطانية حجَّةٌ لما

(١) في ريحانة الألبا ١/ ٤٠٤: ويحمي بحمايته. (ج).
(٢) ساقط من (ظ).

هو فيه مرقوم، مُحَقِّقَةٌ لما فيه من منطوق ومفهوم، فَلْيَتَحَقَّقْ مَنْ وقَف على هذا الخطاب، ومَنْ عنده علم من الكتاب، من أهل مكَّةَ ومَنْ في جوارها، وطَيْبَة الطَّيِّبَة وسائر أقطارها، وبقية النفوس[1] الباسمة لوجوه دولتنا بِمَباسم السرور، ومن حاضرها وباديها، أَنَّا أعطيْنا القوسَ بارِيها[2]: [السريع]

فَلَمْ[3] تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا

سدَّد الله سِهام رأيه في أغراض الصَّواب، وفتَح له بمفاتيح البيض والسُّمْر كلَّ مُغْلَقٍ من الأبواب، ما سقَطَتْ من كَفِّ الثريا الخواتم، ورقَتْ على مَنابر الأغصان خُطَباءُ الحَمائم، والسَّلام.

---

(١) في (ظ): «الثغور».

(٢) البيت لأبي العتاهية في مدح الخليفة المهدي، ديوانه، ص ٤٧٥.

(٣) في الديوان: «ولم».

[٥٧]
قُطْبُ الدِّين المَكِّيُّ النَّهْرَوَانِيّ[١]

قطبُ مركزِ تلك الأقطار، والصَّدْرُ المستودعُ لما فيها من الأسرار. فاضلٌ جرى في بساتين فضله جداولُ الآداب، وتمسَّكَ الشِّعرُ منه بأوثق الأسباب. وسَماءُ مَجْدِه مُطْلِعَة كواكب سعده، وزهرة عمره، سُقِيَتْ بماءِ سُروره ونشره[٢]. تنقطع عند كرمه الآمال وتعجز الأماني، ويقصر سلك المقال عن نظم ما فيه من جواهر المعاني، وتُقَبِّل أفواهُ الأقلام لَمَى مِدادِه، وتَهيم سُوَيْداء اللبيب في سَوَادِه. وتنفتح عيونُ الأنوارِ لتنظر لأنواره، وتترنَّمُ حمائم الفصاحة حنيناً [٩٢/أ] لأشعاره. ويَهُبُّ النسيم لغيرته منه عَليلا[٣]، ويَجُرُّ[٤] على خُدود الورد من الحيا

---

(١) قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد النهرواني الهندي الحنفي (٩١٧-٩٩٠ / ١٥١١-١٥٨٢): مؤرخ من أهل مكة. تعلم بمصر، وأصبح مفتياً بها. توفي بمكة. له مؤلفات كثيرة، منها: «الإعلام بأعلام بلد الله الحرام»، و«البرق اليماني في الفتح العثماني»، و«منتخب التاريخ» في التراجم، و«التمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة»، و«الفوائد السنية في الرحلة المدينة والرومية»، و«ابتهاج الإنسان والزمن في الإحسان الواصل إلى الحرمين من اليمن لمولانا الباشا حسن» في تاريخ مكة والمدينة وحسن باشا. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٠٧؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦١٧؛ النور السافر، ص٣٨٩؛ الكواكب السائرة، ٣/ ٤٤؛ در الحبب، ٢/ ٤٣٩؛ البدر الطالع، ص٥٧٦؛ الأعلام، ٦/ ٦؛ معجم المؤلفين، ٣/ ١٠٧.

(٢) في (ظ): «ويسره».

(٣) في (ظ): «غليلا».

(٤) في (ظ): «وتجر».

ذيلا بليلا. كؤوس براعته ترشفها الآذان، ونور بلاغته تقطف ببنان البيان.

وتَغــيّرُ المعتــادِ يَحْــسُنُ بعــضُه   للــورْدِ خــدٌّ بــالأُنوف يُقَبَّــل[1]

غذا[2] بلبان الفصاحة في شِعاب نَجْد وذي سَلَم، ولم يزل يقتنص[3] شوارد المعارف فاعجبْ لمن حَلَّ له الصيدُ في الحرم! فشَحَذَ مُرْهَف طَبْعِه الهندي بيد الكمال، وسنَّ أسلةَ لسانه فلاح عليه فِرِنْدٌ[4] من السِّحْرِ الحلال، حتى تفيَّأت الفتوى بها ظلال يَراعته، وسرح سرح المشكلات في ربيع براعته.

فكان قطب تلك الدائرة، وعليه مَدارُ أفلاك فضلها السائرة، والمعوَّلُ في أمورها عليه، وتَوجُّهُ وجوه الآمال في كلِّ عصرٍ إليه، حتى أصبحَ بذلك عاطل حاله حالياً، ومرتفع حظِّه عن وِهادِ الخمول عالياً.

فلا يَرِدُ مكّة أحدٌ من أهل العلم والصلاح، إلَّا تفيَّأ منه في ظلال الكرم والسَّماح، واهتز عطف أمله بنشوة الارتياح.

إلى أن تعدَّى الأجل، إلى قطب دائرة الأمل، فدارَتْ على قطبها رحَى المَنون، وعجنه بفم الفنا سنٌّ أبدته السنون.

فدعاه الله لجوار جنَّاته، فلبّاه مُحرماً في لباس حياته، وطافت ببيته ملائكةُ الجنان، وتوجّهت لقبلة فضله وفودُ الغفران.

فمما انتظم في جيّد البلاغة من قلائده، وتعلّق في كعبة الفصاحة من

---

(١) بيت قاله الغزِّي. ريحانة الألبا ١/ ١٧٦، وقد نص تخريجه من ديوانه. (ج).

(٢) في (س): «غدا».

(٣) في (س): «يقتصر».

(٤) الفِرِند: السيف، وجوهره، وشيه.

مذهبات قصائده، قوله(١) رحمه الله تعالى: [المنسرح]

أَقْبَلَ كَالْغُصْنِ حِينَ يَهْتَزّ فِي حُلَلٍ دُونَ لُطْفِهَا الخَزّ
مُهَفْهَفُ القَدِّ ذُو مُحَيَّا بِعارِضِ الخَدِّ قَدْ تَطَرَّزْ
دارَ بِخَدَّيْهِ وَاوُ صُدْغٍ والصَّادُ مِنْ لَحْظِه تَلَوَّزْ
الجَمْرُ والخَمْرُ في لَمَاهُ وخَدُّهُ ظاهِرٌ ومُلْغَزْ
يَشْكُو لَهُ الخَصْرُ جَوْرَ رِدْفٍ أَزْعَجَهُ حَمْلُهُ وَأَعْجَزْ
طَلَبْتُ مِنْهُ شِفاءَ سُقْمِي فَقالَ: لَحْظِي لِذاكَ أَعْوَزْ
قَدْ غَفَرَ اللهُ ذَنْبَ دَهْرٍ لِمِثْلِ هٰذا المَلِيحِ أَبْرَزْ
جَزَّ فُؤادِي بِسَيْفِ لَحْظٍ أَوَّاهُ لَوْ دامَ ذٰلِكَ الجَزْ [٩٢/ب]
أَفْدِيهِ مِنْ أَغْيَدٍ مَلِيحٍ بِالحُسْنِ فِي عَصْرِهِ تَمَيَّزْ
كانَ نَدِيمِي فَمُذْ رَآنِي أَسِيرَهُ فِي الهَوَى تَعَزَّزْ
حَرَّمَ مِنْ وَصْلِهِ مُباحاً لَمَّا أَحَلَّ القِلَى وَجَوَّزْ
يا قُطْبُ(٢) لا تَسْلُ عن هَوَاهُ واَثْبُتْ وكُنْ في الغَرَامِ مَرْكَزْ

وقوله(٣): [الطويل]

فَوَاللهِ ما اسْتَغْنَيْتُ عَنْكُمْ بِغَيْرِكُمْ وَإِنِّي إِلَيْكُمْ ما حَيِيتُ فَقِيرُ

وقوله |رحمه الله|(٤): [السريع]

---

(١) في:ريحانة الألبا، ١/ ٤٠٩-٤١٠، نفحة الريحانة، ١/ ٥٤٣؛ وشذرات الذهب، ١٠/ ٦١٧-٦١٨؛ تاريخ النور السافر، ص ٣٨٥-٣٨٦.

(٢) في ريحانة الألبا، وشذرات الذهب، وتاريخ النور السافر: «يا قَلْبُ».

(٣) في (ظ): «وله».

(٤) زيادة من (ظ). والأبيات في تاريخ النور السافر، ص ٣٨٧؛ وشذرات الذهب، ١٠/ ٦١٨؛ وريحانة الألبا، ١/ ٤١٢-٤١٣.

الـــدَّنُّ لي وَالْكَـــأْسُ وَالْقَرْقَـــفُ وَلِلْفَقِيـــهِ الكُتْـــبُ وَالْـمُـــصْحَفُ
إِنْ كـــانَ مـــا تُعْجِبُـــهُ[١] قِـــسْمَتِي فَلْيَقْتَـــسِمْها مِثْـــلَ مـــا يَعْـــرِفُ[٢]
كَـــمْ يَـــزْدَرِي الكَـــأْسَ وَشُرَّابَهَـــا[٣] يُخْشَى[٤] عَـلَى هٰـذا الفَتَـى يُقْـصَفُ
يَـــسُبُّ شُرَّابَ الطِّـــلا عَامِـــداً أَلَـــيْسَ في الحُكَّـــامِ مَـــنْ يُنْـــصِفُ[٥]
فَـــأَتْرِعِ الكَـــأْسَ عـــلى غِبْطَـــةٍ[٦] وَعَاطِنِيهَـــا أَيُّهَـــا الأَهْيَـــفُ
وَقُـــلْ هُـــوَ القُطْـــبُ بِبَحْـــرِ الهَـــوَى قَـــدْ عَـــامَ واللهُ بِـــهِ يَلْطُـــفُ

وقوله[٧]: [مخلع البسيط]

أَحْـــسَنُ مِـــنْ غَفْلَـــةِ الرَّقِيـــبِ وَلَحْظَـــةِ الوَعْـــدِ مِـــنْ حَبِيـــبِ
وَقُبْلَـــةٍ كانَـــتِ اخْتِلاســـاً في وَجْنَتَـــيْ شـــادِنٍ رَبِيـــبِ
كُتْـــبُ أَدِيـــبٍ إلى مُحِـــبٍّ طالَـــتْ بِـــهِ مُـــدَّةُ المَغِيـــبِ
تَـــتْرُكُ مَـــنْ سُـــطِّرَتْ إِلَيْـــهِ أَطْـــرَب مِـــنْ عاشِـــقٍ طَـــرُوبِ[٨]

وقوله: [الطويل]

بَـــدا عَـــرَقٌ في خَـــدِّهِ فَـــسَأَلْتُهُ لِمـاذا تَبَـدَّى قـالَ لي وَهْـوَ يَمْـزَحُ[٩]

---

(١) في (ظ): «يعجبه».

(٢) هذا البيت لم يرد في تاريخ النور السافر.

(٣) في ريحانة الألبا: «كم يَزْدَرِي الكأْسَ ويَهْزو بِها»، وفي شذرات الذهب، وتاريخ النور السافر: «كم يَزْدَرِي الرَّاحَ ويَهْزو بِها».

(٤) في تاريخ النور السافر، وشذرات الذهب: «أخشى».

(٥) هذا البيت واللذان بعده لم يردوا في تاريخ النور السافر، وشذرات الذهب.

(٦) في ريحانة الألبا ١/ ٤١٣: على غيظه. (ج).

(٧) ريحانة الألبا ١/ ٤١٣.

(٨) في ريحانة الألبا: أهيم من عاشق. (ج).

(٩) في (ظ): لماذا تبدى... وهو يقتنص.

أَلَا إنَّ مـاءَ الـوَرْدِ خَـدِّي إنـاؤُهُ «وَكُـلُّ إنـاءٍ بِالَّـذِي فِيـهِ يَنْـضَحُ»

وهو من قول مُجِيرِ[(١)] الدين بنِ تميم: [الطويل]

سَقَى الله روْضاً قد تَبَدَّى لِناظِرِي بِـهِ رَشَـأٌ كالغُـصْنِ يَلْهُـو ويَمْـرَحُ

[٩٣/أ] وَقَدْ نَضَحَتْ[(٢)] خَدَّاهُ مِنْ مَاءِ وَرْدِهَا وَكُـلُّ إِنَـاءٍ بِالَّـذِي فِيـهِ يَنْـضَحُ

وعن الشيخ نصر الله بن مُجَلِّي[(٣)] أنه قال: رأيتُ في المنام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، تفتحون مكة، وتقولون مَن دخل دارَ أبي سُفيان فهو آمِنٌ، ويتمُّ على ولدك الحسين من آل أبي سفيان ما تَمَّ! فقال: أما سمعتَ أبياتَ ابن الصيفي يعني الحَيْصَ بَيْصَ[(٤)]؟ فقلتُ: لا، فقال: اسمَعْها منه. فلمّا استيقظتُ ذهبتُ إلى داره وذكرتُ له ما رأيتُ. فبكى وحلف بالله إنه ما سمِعَها منه أحدٌ. [قال]: وقد نظمتُها في ليلتي هذه. ثم أنشدنيها، وهي[(٥)]: [الطويل]

مَلَكْنـا فَكـانَ العَفْـوُ مِنّـا سَـجِيَّةً فَلَـمَّا مَلَكْـتُمْ سـالَ بِالـدَّمِ أَبْطَـحُ

وَحَلَّلْـتُمُ قَتْـلَ الأُسـارَى وَطالَمَـا غَدَوْنا عَلَى الأَسْرَى نَمُنُّ[(٦)] وَنَصْفَحُ

---

(١) ديوان ابن تميم ٢٦، وفي (ظ): «مخير». وهو خطأ من الناسخ.

(٢) في (ظ): «نضخت».

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي أبو الفوارس المعروف بحيص بيص (٤٩٢-٥٧٤ / ١٠٩٨-١١٧٨): شاعر مشهور من أهل بغداد، كان يلقب بأبي الفوارس. نشأ فقيهاً وغلب عليه الأدب والشعر. وكان يلبس زي أمراء البادية، ويتقلد سيفاً، ولا ينطق بغير العربية الفصحى. وتوفي ببغداد. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٢/ ٣٦٢؛ معجم الأدباء، ٣/ ١٣٥٢؛ الأعلام، ٣/ ٨٧.

(٥) الأبيات لِحَيْصَ بَيْصَ في وفيات الأعيان، ٢/ ٣٦٥؛ ومعجم الأدباء، ٣/ ١٣٥٥. وديوانه ٣/ ٤٠٤.

(٦) في وفيات الأعيان، ومعجم الأدباء: «نعفّ».

وَحَسْبُكُمُ هٰذا التَّفاوُتُ بَيْنَنَا ... وَكُلُّ إناءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

ولأبي الفتح كُشاجَم[(١)]: [الطويل]

ومُسْتَهْجِنٍ مَدْحِي لـه إنْ تَأكَّدَتْ ... لنا عُقْدَةُ الإخْلاصِ وَالْحُرُّ يُمْدَحُ[(٢)]

ويَأْبَى الذي في القَلْبِ إلَّا تَبَيُّناً ... وكُلُّ إناءٍ بِالَّذِي فيه يَنْضَحُ[(٣)]

وقد ذكر الميداني[(٤)] هذا المثل في «أمثاله»[(٥)]، إلا أنه لم يفصله ولم يزد على قوله: كلُّ إناءٍ يَرْشَحُ بما فيه. ويُرْوَى: يَنْضَحُ بما فيه. أي يَتَحَلَّبُ. انتهى.

---

(١) ديوانه، ص. ٩٢.

(٢) في الديوان: «لَنَا عُقَدُ الإِخْلَاص والحَقُّ يُمْدَحُ».

(٣) في الديوان: «فيه يرشحُ».

(٤) هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨/ ١١٢٤): أديب نحوي لغوي. ولد ونشأ وتوفي في نيسابور حاضرة خراسان، ونسبته إلى ميدان زياد محلة فيها. من مؤلفاته: «مجمع الأمثال»، و«شرح المفضليات»، و«نزهة الطرف في علم الصرف». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان،١/ ١٤٨؛ معجم الأدباء، ٢/ ٥١١؛ الأعلام، ١/ ٢١٤؛ معجم المؤلفين،١/ ٢٤٠.

(٥) مجمع الأمثال ٢/ ١٦٢ (٣١٥٩). (ج).

[٥٨]

جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين رحمه الله(١)

نشأ بمكة في تلاع تِهامة ونجد، ففاق طبعه نسيم النرجس والورد، وقد خلعتْ عليه الأيامُ جمالَها، وأفاضتْ عليه فضلَها وأَفْضَالَهَا، فحاز كرماً ومجداً، وفاحتْ سجِيَّتُه عنبراً ونَدًّا: [الطويل]

عَطـاءٌ وَلا مَــنٌّ وَحُكْــمٌ وَلا هَــوَى　　　وَحِلْـمٌ وَلا عَجْـزٌ وَعِـزٌّ وَلا كِـبْرُ(٢)

وهو على فضله وحسبه عصاميٌّ عريق، له مشرب عَذْبٌ لأنه نشأ بين العذيب والعقيق.

وأنا وإن لم أره فقد صحبتُ أخاه عليًّا، فرأيته [٩٣/ب] بفضله وذكائه رفعه الله مكاناً عليًّا. والبيت العصامي بأم القرى، سامي الأساس شامخ الذرى: [البسيط]

جَمالَ ذِي الأَرْضِ كانُوا في الحَياةِ وَهُمْ　　　بَعْـدَ المَـماتِ جَمـالُ الكُتْـبِ وَالـسِّيَرِ(٣)

ومن شعره قوله: [الكامل]

فِنْجـانُ قَهْـوَةِ ذا المَلِـيحِ وَعَيْنُـهُ الــ　　　ــكَحْلاءُ حـارَتْ فِـيهِما الأَلْبَـابُ

فَـــسَوادُها كَـــسَوادِها وَبَياضُـــها　　　كَبَياضِـــها وَدُخانُهـــا الأَهْـــدَابُ

---

(١) جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين، العلامة الإسفرايينيّ (...): عالم وفاضل، نشأ بمكة. انظر ترجمته في ريحانة الألبا، ١/ ٤١٧.

(٢) البيت لابن زيدون في ديوانه، ص. ١٨١، ٢٠٧.

(٣) البيت لأبي العلاء المعري في سقط الزند، ص٥٩؛ كما ورد البيت في ديوان ابن الوردي، ص٣٠٤.

والفِنجان مُعرَّب، قال في كتاب «المعرّب»[١] صوابه فِنجانة، كَوَّنَ إِسقاطُهُ التاء خطأً ولحَنْاً غير مسلّم، وجمعه فناجين.

وعليه قول صاحبنا الأصيلي[٢]: [البسيط]

قُمْ هَاتِهَا قَهْوَةً مِسْكِيَّةً فَضَحَتْ بِنْتَ المُدَامِ وَشَنِّفْ لِي الفَنَاجِينَا
تَدْعُو إِلَى نَحْوِ ما فِيهِ البَقَاءُ وَلَوْ دَعَتْ إِلَى نَحْوِ ما فِيهِ الفَنا جِينَا
وَاللهِ لَوْ أَنَّ أَلْفاً نَحْوَ حانَتِها يَبْغُوا النَّجاةَ وَجَدْتَ الأَلْفَ نَاجِينَا

وكنتُ ذيَّلْتُه بقولي: [البسيط]

فَهاتِها بِرَياحِينِ الحَدِيثِ لَدَى رَوْضِ النَّدامى وإِنْ تَسأَمْ فَنَاجِينَا

وللعِنَاياتِي رحمه الله تعالى: [الخفيف]

قَهْوَةٌ لا صُداعَ فِيها نَعَمْ فِيـ ـها مُزِيلٌ مِنَ الصُّداعِ مُزِيحُ
صِينَ في الصِّينِ مِسْكُها فَحَكاها لَعَسٌ في بَياضِ ثَغْرٍ يَلُوحُ
لَيْلُ وَصْلٍ في صُبْحِ لُقْيَا حَبِيبٍ طابَ مِنْها غَبُوقُها وَالصَّبُوحُ

وللأستاذ محمد البكري، أو لمحمد ماماي[٣] الرومي: [مجزوء الوافر]

أَنَا المَعْشُوقَةُ السَّمْرا وَأُجْلَى فِي الفَنَاجِينِ
وَعُودُ الهِنْدِ لي طِيبٌ وَذِكْرِي شاعَ فِي الصِّينِ

وكتب الجمال العِصامِيّ إلى القُطْبِ المكّي يُهَنِّيه برمضان[٤]: [الكامل]

يا شَيْخَ أَهْلِ العِلْمِ في أُمِّ القُرَى رَمَضانُ هَلَّ بِبَهْجَةٍ لَمْ تُوصَفِ

---

(١) المعرب للجواليقي تحقيق أحمد شاكر: ٢٤٩ (ج).

(٢) ستأتي ترجمته انظر رقم (٨٠).

(٣) في (ظ): «وبدوي لماماي».

(٤) في (ظ): «بشهر رمضان».

فَـتَهَنَّ وَحْـدَكَ إِنَّ ذاتَـكَ أَصْـبَحَتْ هِـــــــيَ أَشْرَفٌ فِي أَشْرَفٍ فِي أَشْرَفِ

[٩٤/أ] فأجازه وأجابه[1] بقوله: [الكامل]

يــا واحِــدَ الفُــضَلاءِ أَنْــتَ جَمالُنــا فَـتَهَنَّ بِالــشَّهْرِ الــشَّرِيفِ الأَشْرَفِ

شِـــعْرٌ بِـــشِعْرٍ لا رِبـــاً فِيـــهِ وَإِنْ زادَ العِيَـــارُ فَـــوَزْنُ هٰـــذا الأَشْرَفِي

الأشرفي عند المُوَلَّدِين هو الدِّينارُ المصرِيُّ نسبةً للملك الأشرف، والناس تغلط فيه فتقول شريفي وتوحيده هنا جرَّتْه القافية، ونحو هذا قول البَبَّغَاء[2]: [الخفيف]

زَمَــنُ الــوَرْدِ أطْيَــبُ[3] الأزْمــانِ وَأَوَانُ الرَّبِيـــــعِ خَـــــيْرُ أَوَانِ

أَشْرَفُ الزَّهْــرِ زَارَ في أَشْرَفِ الدَّهْــ ــرِ فَـصِلْ فِيـهِ أَشْرَفَ الفِتْيَـانِ[4]

ومدح البحتريُّ طاهرَ بنَ إسماعيل الهاشميَّ الأديب، فبعث له بدنانير، وكتب معها[5]: [الخفيف]

لَـوْ يَكُـونُ الحِبـاءُ حَـسْبَ الَّـذِي أنْــ ــتَ لَــدَيْنا لَــهُ مَحَــلٌّ وَأَهْــلُ

لَحُبِيــتَ اللُّجَــيْنَ وَالــدُّرَّ وَالْيــا قُــوتَ حَبْــواً[6] وَكــانَ ذاكَ يَقِــلُّ

وَالــشَّرِيفُ الظَّرِيــفُ يَــسْمَحُ بِالْعُــذْ رِ إذا قَــصَّرَ الــصَّدِيقُ الـــمُقِلُّ

(١) في (ظ): «فأجابه وأجازه».

(٢) عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، أبو الفرج المعروف بالببَّغاء (ت: ٣٩٨/١٠٠٨): شاعر مشهور، وكاتب مترسل، من أهل نصيبين، اتصل بسيف الدولة، ودخل الموصل وبغداد، ونادم الملوك والرؤساء. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته:وفيات الأعيان، ٣/ ١٩٩؛ يتيمة الدهر، ١/ ٢٩٣؛ الأعلام، ٤/ ١٧٧. والأبيات في يتيمة الدهر، ١/ ٣٢٤. وديوانه ٨٤.

(٣) في يتيمة الدهر: «أظرف».

(٤) في (ظ) وفي يتيمة الدهر: «الإخوان».

(٥) ديوانه، ١/ ٣٩٣.

(٦) في الديوان: «حثوا».

فردها وكتب إليه[١]: [الخفيف]

بَــأَبِي أَنْــتَ، أَنْــتَ لِلْــبِرِّ أَهْــلُ وَالْمَــساعِي بَعْــدُ وَسَــعْيُكَ قَبْــلُ
وَالنَّــوالُ القَلِيــلُ يَكْثُــرُ إنْ شــا ءَ مُرَجِّيــكَ وَالْكَثِــيرُ يَقِــلُّ
غَــيْرَ أَنِّي رَدَدْتُ بِــرَّكَ إذْ كــا نَ رِبــاً مِنْــكَ وَالرِّبــا لا يَحِــلُّ
وَإذا مــا جَزَيْــتَ شِــعْراً بِــشِعْرٍ يَبْلُــغُ الحَــقُّ والــدَّنانِيرُ فَــضْلُ

وقريبٌ من قول أبي القاسم الدَّاوديّ[٢]: [الخفيف]

رُبَّــما قَــصَّرَ الــصَّدِيقُ المُقِــلُّ عَــنْ حُقُــوقٍ بِهِــنَّ لا يَــسْتَقِلُّ
وَلَــئِنْ قَــلَّ نائِــلٌ فَــصَفاءٌ في وِدادٍ وَنِيَّــةٌ[٣] لا تَقِــلُّ
أَرْخِ سِــتْرًا عَــلَى حَقــارَةِ بِــرِّي هَتْــكُ بِــرِّ[٤] الــصَّدِيقِ لَــيْسَ يَحِــلُّ

وأصل هذا كله ما نقله الحصري في «زهر الآداب»[٥] وهو أن الشعراء أُدخلوا على [طاهر بن] عبد الله بن طاهر[٦] يهنُّون لمّا وَلِي خراسان، وفيهم تمّام بن أبي تمام، فأنشده قولَه: [السريع]

هَنَّــاكَ رَبُّ العَــرْشِ هَنَّاكَــا يــا[٧] مَــنْ جَزِيـلَ الـمُلْكِ أَعْطَاكَـا

(١) ديوانه، ١/ ٣٩٣.
(٢) الأبيات في يتيمة الدهر، ٤/ ٣٩٥.
(٣) في يتيمة الدهر: «ومنة».
(٤) في يتيمة الدهر: «ستر».
(٥) زهر الآداب، ٢/ ٤٣٠. وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٦) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي (ت: ٢٤٨/ ٨٦٢): أحد الأمراء الولاة. ولي خراسان بعد وفاة أبيه، وتوفي بها. انظر مصادر ترجمته: زهر الآداب، ٢/ ٤٣٠؛ الأعلام، ٣/ ٢٢٢.
(٧) في (ظ): «ما».

[٩٤/ب]
قَـرَّتْ بِـما أُعْطِيـتَ يـا ذا الحِجَـا وَالبَــاسِ[١] وَالإِنْعَــامِ عَيْنَاكَــا
أَشْرَقَــتِ الأَرْضُ[٢] بِــما نِلْتَــهُ وَأَوْرَقَ العُـــودُ بِجَــــدْوَاكَا

فاسْتَضْعفَ الحاضرون شعره، وقالوا: ما أبعده من أبيه! فقال طاهر لشاعر عنده: أجبه، فقال[٣]: [السريع]

حَيَّـاكَ رَبُّ النَّـاسِ حَيَّاكَـا إِنَّ الـذي أَمَّلْـتَ أعْطَاكَـا[٤]
مَـدَحْتَ خِـدْناً مُـتْهَماً مالُـهُ وَلَـوْ رَأَى مَـدْحاً لَوَاسَـاكَا[٥]
فَهـاكَ إِنْ شِـئْتَ بِهـا مِدْحَـةً مِثْلَ الَّذِي أَعْطَيْتَ أَوْلَاكَا[٦]

فقال تمام: أعز الله الأميرَ، إن الشعر بالشعر رِباً، فاجعل بينهما منحاً من الدراهم[٧]، حتَّى يحلَّ لي ولك. فضَحِك وقال: إن لم يكن معه شعر أبيه، فمعه ظرفه. وأمر بإعطائه ثلاثة آلاف درهم... إلى آخر ما ذكره من القصة. ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

(١) في الأصلين: «والناس». والمثبت من زهر الآداب: «والبأس»، في ريحانة الألبا ١/ ٤٢١: «والباس».
(٢) في (ظ): «الدنيا».
(٣) في زهر الآداب، ٢/ ٤٣١.
(٤) في زهر الآداب: «أخطاكا».
(٥) في زهر الآداب: «فقلتَ قولا فيه ما زانهُ ولو رأى مدحا لآساكا».
(٦) في زهر الآداب: «أعطاكا».
(٧) في (ظ، س) صنجاً من الدراهم، والمثبت من الريحانة ١/ ٤٢٢. (ج).

[٥٩]

علي بن صدر الدين العصامي(١)

هو كعبة المعالي، ومَن به حالُ المجد حالي، لا عَيْبَ في ألفاظه إلا أنها أرخصَتِ الياقوتَ والدُّرَّ، ولا عَيْبَ في كرمه الحرِّ، إلا أنه يستَعْبِد كلَّ حُرٍّ.

فهو غرّةُ الجمال، وصورة الكمال، تودُّ العُلى لو كانت له رقيقاً، والزهر لو كان لطبعه شقيقاً، إذا نطق فماء الروض زاره الحيا، وإذا تهلَّلَ فماء النَّهر(٢) حيَّاه بَرْقُ السَّما.

ولَعَمْرِي إنَّ جَدَّه، أسعد الله بجمع شملِ الفضائل جدَّه: [الرجز]

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا ... وَعَلَّمَتْهُ الكَرَّ وَالإقْدَامَا(٣)

وأما هذ الحفيد، فعِقْد المكارم به نَضِيد، نبَع من دَوْحَة النسب، وبَسَق من روضة الحسب، ولم يفتَخِرْ بآبائه، ولم يبتَهِجْ برواء أصله ونَمائه، فاعتصم بعروة الفضل الوُثْقَى، وصعَد إلى رَبْوَة المجد وترقَّى، وقال: أنا عِصامي لا عِظامي،

(١) القاضي علي بن إسماعيل صدر الدين بن العلامة إبراهيم بن محمد عربشاه الشهير بعصام الدين الإسفراييني الشافعي المكي المعروف بالعصامي (ت: ١٠٠٧/ ١٥٩٩): أخو جمال الدين بن صدر الدين العصامي. من رجال البلاغة. تولى قضاء الشافعية بمكة. توفي بمكة ودفن بالمعلاة. له «حاشية على شرح الاستعارات» لجده عصام الدين علي «السمرقندية» في البلاغة. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٢٥؛ خلاصة الأثر، ٣/ ١٤٧؛ هدية العارفين، ١/ ٧٥١؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٤٠٥.

(٢) في (ظ): «الزهر».

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه، ص. ١١٨.

وإن كنتُ لذِمار مآثري حامي.

وألَّف وصَنَّف، ونوَّع قِرَى الأفهام وضيَّف. [٩٥/أ] فأفاد الطلاب، وحلَّت أسنان قلمه عُقَد المشكلات الصِّعاب، وأقام في جِوار بيتِ الله وحِماه، معتزلاً حوادث الدهر ولا بِدْعَ أن يعتزل جار الله.

وكانت بصحبته وَرَتْ زِنادي، وزهرت ناري، وفُكَّ من رِبْقَة الغُموم إساري.

وكانت تزورني بمصر وفد[1] أخباره، وينمُّ لسان النسيم بنشر آثاره، حتى صُمَّ الخبر، وعَمِي الأثر.

وربما دارت بيني وبينه مكاتبات، وتفاوضْنا الحديثَ وأنواعَ المحاورات.

فممّا كتبته له بمصر مع سَمَكٍ أرسلته له:

مولاي أطال الله بَقاك، ورفعك على هام السِّماك، أُنْهِي إليك، بعد نثر جواهر المعذرة بين يديك، أني زرتُ البحر أخاك، ويد الرجاء مدَّتْ إليه إذ بُهِتَتْ عيون الشِّباك. فأهدى إليَّ من الأسماك، ما رفعني على السِّماك، حتى كِدْتُ من المسرَّة، أن أصطادَ حوتَ البروج بشباك المجرة. وأرسل إلى زيارتي أمواجه، وأنساني الخَطْب فلا أدري أأعرض عنّي أم وَاجَهَ. فأعطى وأجدى، وأسدى وأكدى حيتاناً كأنها خَناجِر، قطعت من الجود[2] الحَناجر. فصيَّر جِيدَ أَمَلي حالياً، وأَذْكَرني وما كنتُ ناسيا، بحر عطائك وهو أكبر، والشيء بالشيء يذكر.

فأرسلتُ وإن كنتُ ممّن أَهدى التَّمر لِهَجَر، أو بعثَ إلى الربيع الزاهي الزاهر غَضَّ الزَّهَر، أو زفَّ النجوم للفلك، أو أرسل للبحر السَّمك. والسلام.

---

(١) في (ظ): «وافد».

(٢) في (س): «الجوع».

وذكر في درسه يوماً قول الرئيس ابن سينا في بعض كتبه أنه ورد في الحديث: «إنَّ الحِكْمَةَ لَتَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ، فَلا تَدْخُلُ قَلْباً فيه هَمُّ الغَدِ»[١]. فقلتُ له: إنه لم يُسْنِدْهُ لكنَّه[٢] بما صدَر من مِشْكاة النبوة أشبه.

وقد كنتُ نظمتُه في قولي: [السريع][٩٥/ب]

مَنْ يَتْرُكِ الدُّنيا يَسُدْ أَهْلَها ... ويَقْتَطِفْ زَهْرَتَها بِالْيَدِ
لا تَسْكُنُ التَّقْوَى ولا حِكْمَةٌ ... تَنْزِلُ قلباً فيه هَمُّ الغَدِ

وقريبٌ منه قول الإمام الشافعي رحمه الله[٣]: [البسيط]

كَمْ ضَاحِكٍ والمَنَايَا فَوْقَ هامَتِهِ ... لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْباً مَاتَ مِنْ كَمَدِ
مَنْ كانَ لم يُؤْتَ عِلْماً في بَقَاءِ غَدٍ ... ماذا تَفَكُّرُهُ في رِزْقِ بَعْدِ غَدِ

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) في (س): «لكن».

(٣) في (ظ): «رضي الله عنه». والبيتان في ديوانه، ص. ٣٨.

[٦٠]
علي اليُتَيْم المدني[١] |مصَغَّراً|[٢]

دُرٌّ في حِقاقِ الدَّهرِ يَتِيم، ودَوْحَةُ لُطْفٍ يَهزُّها مرورُ النسيم، طبعه عَذْب سَلْسَل، وبُرْدُ فصاحته في الشعر مُهَلْهَلٌ، وإذا ذكر نسج القريض فهو من الطراز الأول. نشأ بين الضالِ والسَّلَمِ، جارًّا في أودِيَتها رداءَ الظرف والكرم[٣].

فهو تَوْأَمٌ لِنَسائم السَّحَر، وشقيقُ الماء والزهَر، ورَبِيبُ الحسن سُقِيَ بماءِ الصِّبا، وصِنْو الحديقة القادم عليها رسول الصَّبا. [الكامل]

والـرَّوْضُ أَحْـوَى والحَمَائِـمُ هُتَّـفٌ وَالظِّـلُّ أَلْـمَى وَالقِيـانُ شَـوَادِي[٤]

ولم يزل كذلك من لدن عُقَّ عنه قلائد تمائمه، تغذَّى في حجر الفصاحة إلى أن شبَّ عن الطوق عمرو عزائمه، فبَرَع بالشعر[٥]، ونبَغ في حَوْكِ حُلل السحر، وأقلامه النفاثات في العقد، يتعَوَّذ من شرِّ حاسدٍ إذا حسد، بَيْدَ أنَّه اختار الخلاعة والمجون، وارتدى بردائها والحديث شجون، واحتسى عذب راحِها، وغازل عيون نوّارها[٦] وثغور أُقاحها، واغتنم فرص الدهر وانتهز ما أنجز من مواعيد

---

(١) كذا في الأصلين، وفي ريحانة الألبا ١/ ٤٢٨: أحمد المدني المعروف باليُتَيْم (...): ولم أقف على ترجمته في المصادر التي بين يدي.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) سقطت هذه الجملة من (ظ).

(٤) البيت لعبد الله بن أحمد الخازن. يتيمة الدهر ٣/ ٣٨٩. (ج).

(٥) في (ظ): «في الشعر».

(٦) في (ظ): «أنوارها».

العمر، في فتية ينظمهم الطَّرب، نظماً يرقصُ له الحبب[١]: [البسيط]

لا يُجْمِعُــونَ عَــلَى غَــيْرِ الحَــرامِ إذا تَجَمَّعُـواْ كَحَبـابِ الـرَّاحِ وَانْتَظَمُـوا[٢]

فمِنْ دُرِّه اليتيم، وعقده النَّظيم قوله: [الكامل]

لله مُحْكَـــمُ قَهْــــوَةٍ تُجْـــلَى لَـــنا فِي أَبْـيَضِ الـصِّينِيِّ طـابَ شَرَابُهَـا

فَكَـــأَنَّما هِـــيَ مُقْلَـــةٌ مَكْحُولَـــةٌ وَدُخَانُهـــا مِـــنْ فَوْقِهـــا أَهْـــدَابُهَا [٩٦/أ]

وتشبيه الدخان بالأهداب من بديع الإغراب، ومن بابه قول الصَّنَوْبَرِي في مِجْمَرَة[٣]: [السريع]

مِجْمَـرَةٌ طَـافَ بِهَـا الغِلْـمَانُ أَبْـدَعَ فِي صَـنْعَتِهَا الزَّمَـانُ

كَأَنَّهَـا فِـيما حَكَـى العِيَـانُ فَـوَّارَةٌ وَماؤُهـا الـدُّخَانُ[٤]

في بِرْكَـةٍ حَـصْباؤُها نِـيرَانُ إذا تَبَـدَّتْ حَـزِنَ الرَّيْحَـانُ

وَسُرَّتِ الجُيُـوبُ وَالأَرْدَانُ

ونحوه ما قلته أنا وهو[٥]: [الخفيف]

زُرْتُ رَوْضَ الحِمَى الأَرِيضِ سُحَيْراً إِذْ دَعَـــانِي إِلَيْـــهِ سَـــجْعُ الطُّيُـــورِ

وَكَـــأَنَّ الـــشَّقِيقَ تَحْـــتَ ضَـــبابٍ مِجْمَـــرٌ فَوْقَـــهُ بُخَـــارُ البَخُـــورِ

(١) سقطت هذه الجملة اعتباراً من «في فتية» من (ظ).

(٢) البيت في طيب المذاق من ثمرات الأوراق ٣٢٦ من غير عزو. (ج).

(٣) ديوانه، ص. ٤٥٢-٤٥٣.

(٤) في الديوان: «دخان».

(٥) في ريحانة الألبا، ١/ ٤٢٨.

[٦١]

سِراجُ الدين بن عمر الأشْهَل المدَنِي[١]

سِراجٌ وَهَّاجٌ أشرقَتْ منه أنوارُ الفصاحةِ، ولاحَتْ على أبكارِ أفكاره حلل الملاحة، تقطر منه مياه اللُّطف جارية، ما بين رِقَّة الحجاز وظرفِ العِراق وجزالةِ البادية. من قوم تستعير منهم الرقَّةُ أذيال الشمال، وتتعلَّم من أنفاسهم نهب العقول |المدام|[٢] السلسال، ولم يزل في جوار الرسول عليه أفضل تحية إلى أَنْ طفأَ سراجَهُ صرصرُ المنية[٣]: [الطويل]

أَيـا سَـاكِنِي أَكْنَـافِ طَيْبَـةَ كُلُّكُـمْ　　إلى القَلْبِ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ حَبِيبُ[٤]

وقد عقدت حديث: «ما زال يُوصِيني بالجارِ، حتى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[٥].

فقلتُ: [الوافر]

بِحِفْـظِ الجَـارِ أَوْصَى اللهُ حَقًّـا　　شَـفِيعَ الخَلْـقِ مَلْجَـأَ كُـلِّ عَـانِي

فَقُـلْ لِمُجَـاوِرِي الحَـرَمَيْنِ حُـزْتُمْ　　بِفَـضْلِ جِـوَارِكُمْ أَقْـصَى الأَمَـانِي

---

(١) سراج الدين بن عمر الأشهل المدني (...):لم أقف على ترجمته في المصادر ما عدا ريحانة الألبا، ١/ ٤٢٩.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) في (س): «صلصل المنية».

(٤) في نفح الطيب دون ذكر صاحبه، ١/ ٤٥.

(٥) رواه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤)، وأبو داود (٥١٥١)، والترمذي (١٩٤٢)، عن عائشة رضي الله عنها. (ج).

ومن شعره وعقد سحره قوله: [المنسرح]

أَرْسَلْتُ رُسْلِي لِقَهْوَةٍ سَحَراً فَمَا أَتَوا سُرْعَةً مِنَ الكَسَلِ
فَقِيلَ صِفْها فَقُلْتُ مُقْتَبِساً جاءَتْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ

وقوله أيضاً[1]: [مجزوءالكامل]

ما الحالُ قالُوا صِفْ لَنا فَلَعَلَّ ما بِكَ أَنْ يُزَاحْ
فَأَجَبْتُ ما يَخْفاكُمُ حالُ السِّراجِ مَعَ الرِّيَاحْ [٩٦/ب]

وللسراج الورَّاق[2] معان كثيرة بديعة في لقبه كقوله|في ولده|[3]: [المتقارب]

بُنَيِّي اقْتَدَى بِالْكِتابِ العَزِيزِ فَزِدْتُ سُرُوراً وَزادَ ابْتِهَاجَا[4]
فَما قالَ لِي أُفٍّ فِي عُمْرِهِ[5] لِكَوْنِي أَباً وَلِكَوْنِي سِرَاجَا

---

(١) ساقط من (ظ).

(٢) هو عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، المعروف بالسراج الوراق (٦١٥-٦٩١ / ١٢١٩-١٢٩٢): شاعر مصر في عصره، كان كاتباً لواليها الأمير يوسف بن سباسلار، توفي بالقاهرة. له «ديوان شعر» كبير، في سبعة مجلدات. انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٣/ ١٤٠؛ الأعلام، ٥/ ٦٣.

(٣) زيادة من (ظ). والبيتان في فوات الوفيات، ٣/ ١٤٠-١٤١.

(٤) في فوات الوفيات: «وراح لبرِّيَ سعيا وراجا».

(٥) في فوات الوفيات: «فما قال لي أفٍّ مذ كان لي».

[٦٢]
شاعر عصري مكي[(١)]

أُنشدتُ له شعراً تهز له الفصاحة أعطافَها، من كلماتٍ إذا انتسبتْ عدَّتِ الدرَّ أسلافها، إلا أنَّ اسمه ورسمه نسجتْ عليه العناكب، وهبّت على دارس رسمه الصَّبا والجنائب، والذي أنشدته قوله: [مجزوء الكامل]

حَلَـفَ المُتَـيَّمُ أنْ يَـوَدَّهْ ... بَلَـغَ المُنـىَ أو نـالَ صَـدَّهْ
عَكَفَـتْ عليـه العـاذِلا ... تُ يَلُمْنَـهُ وَيُـرِدْنَ رَدَّهْ
واللهُ يَعْلَـمُ أَنَّهُـنَّ ... بِعَـذْلِهِنَّ يَـزِدْنَ وَجْـدَهْ
سَلَبَ الفُؤادَ وَلَـيْسَ مِـنْ ... شَرْطِ المَلاحَـةِ أَنْ يُـرَدَّهْ

(١) ذكره الخفاجي في ترجمة محمد بن ياسين المنوفي لدى إنشاده هذه الأبيات الواردة في النص ويقول: «وهذا الشعر ليس له، وإنما هو لشاعر مكي عصري، إلا أن اسمه نسجت عليه العناكب، وهبت على رسمه الصبا والجنائب». ريحانة الألبا، ٢/ ١٤.

[٦٣-٦٤]

عبد الرحمن، وعلي[1] ابنا كثير المَكِّيّان

أديبان هما في وجه الكمال غرَّة، وجوادان سماءُ كَرمِهما للعافين ثَرَّة، اِمْتَطَيا ظَهْر المجد، ونزلا بَطْن تِهامَة وظهر نَجْد، بهمة إذا غزَتْها النَّوائِب، كانت عن حدِّ المُرْهَفاتِ نَوائِب، وكانا في العهد الحَسَني[2] طراز الدول، فأَوَيا حيث لا عاصِمَ من طوفان الخُطوب غير ذلك الجبل. فأصبحَتْ يدُ الجود لأسباب الغِنى رابطة، ونُظِمَتْ عقودُ الكرَمِ في جِيد أملهما بلا واسطة، ففي تلك الأكُفِّ بِحارٌ تَغْرَقُ فيها الآمال، ويرشَحُ من عَرَقِ الخجَل لها جَبِينُ السَّحاب الهطَّال، من كلِّ مَنْ مسَحَتْ راحةُ إحسانه، قَذى عين زمانه، ونادى كماله بلسان العَيان، وضَحَ الصبحُ لمن له عينان، فمما أنشدته لعَليٍّ قوله: [المتقارب]

صَحِبْتُ الأَنامَ فَأَلْفَيْتُهُمْ ... وَكُلٌّ يَمِيلُ إِلَى شَهْوَتِهْ

وَكُلٌّ يُرِيدُ رِضَى نَفْسِهِ ... وَيجْلِبُ ناراً إِلَى بُرْمَتِهْ [٩٧/أ]

فَلِلّهِ دَرُّ فَتىً عارِفٍ ... يُدارِي الزَّمانَ عَلَى فِطْنَتِهْ

يُجازِي الصَّدِيقَ بِإحْسانِهِ ... وَيُبْقِي العَدُوَّ إِلَى قُدْرَتِهْ

وَيَلْبَسُ لِلدَّهْرِ أَثْوابَهُ ... وَيَرْقُصُ لِلْقِرْدِ فِي دَوْلَتِهْ

وقوله: «ويُجْلبُ النارَ إلى بُرْمَته» كقول المولَّدين في أمثالهم: «كل أحدٍ يَجُرُّ النارَ إلى قُرْصِهِ» والبرمة بالضم: قِدر معروف. والقرص: الرغيف من العجين.

---

(١) لم ترد ترجمتهما في المصادر ما عدا ريحانة الألبا، ١/ ٤٣١.

(٢) في (ظ): «الحسن».

وللقاضي في يوم برد وأجاد قوله: [السريع]

وَيَـــوْمِ قَـــرٍّ بَـــرْدُ أَرْواحِـــهِ[١] يُخَمِّـــشُ الأَبْـــدانَ مِـــنْ قَرْصِـــهَا
يَـــوْمَ تَـــوَدُّ الـــشَّمْسُ مِـــنْ بَـــرْدِهِ لَـــوْ جَـــرَّتِ النَّـــارَ إِلَى قُرْصِـــهَا[٢]

ومن شعر عبد الرحمن قوله: [الوافر]

كِبـــارُ زَمانِنـــا أَضْـــحَواْ صِـــغاراً وَقَـــدْ غَـــضِبَ الزَّمـــانُ عَـــلَى الكِبَـــارِ
كَـــأَنَّ زَمانَنـــا مِـــنْ قَـــوْمِ لُـــوطٍ لَـــهُ وَلَـــعٌ بِتَقْـــدِيمِ الـــصِّغَارِ

وقد قلت في هذا المعنى: [الخفيف]

وَزَمـــانٍ فِيـــهِ الـــصَّغيرُ تَقَـــدَّمْ أَتُـــراهُ لِـــذٰلِكَ الـــذَّنْبِ يَنْـــدَمْ
لَعَـــنَ اللهُ قَـــوْمَ لُـــوطٍ فَهُـــمْ قَـــدْ عَلَّمُـــوهُ التَّقْـــدِيمَ حَتَّـــى تَقَـــدَّمْ

وقلت أيضاً: [الطويل]

أَقُـــولُ لِهٰـــذا الـــدَّهْرِ عَتْبـــاً عَـــلامَ لا تُقَـــدِّمُ مَـــنْ قَـــدْ قَدَّمَتْـــهُ الـــوَرَى حَقَّـــا
فَهَـــمَّ بِتَقْـــدِيمِ المُقَـــدَّمِ نَوْبَـــةً فَكـــانَ الَّـــذِي قَـــدْ رامَ تَقْدِيمَـــهُ عِلْقَـــا

ومن هذا النمط ما أنشده الثعالبي[٣] لعمر السجزي في الأمير خلف: [الوافر]

لَـــكَ الـــدُّنْيا وَمَـــنْ فِيهـــا بِـــلادٌ[٤] تُلاحِظُهـــا بِعَيْنَيْـــكَ احْتِقَـــارَا
تَكَـــبَّرَ ذا الزَّمـــانُ عَـــلَى بَنِيـــهِ فَعِـــشْ حَتـــىَّ تُعَلِّمَـــهُ الـــصَّغَارَا
وَصـــارَ صِـــغارُهُمْ فِيـــهِ كِبـــاراً فَـــدُمْ حَتـــىَّ تَـــرُدَّهُمْ صِـــغَارَا

---

(١) كذا في (ظ، س). وفي ريحانة الألبا ١/ ٤٣٣: زاد أرياحه. (ج).

(٢) البيتان لعلي بن يوسف ابن الصفار المارديني. فوات الوفيات ٣/ ١٢٢. وبه: ويوم قرّ بردُ أنفاسه يمزّق الأوجه. (ج).

(٣) يتيمة الدهر: ٤/ ٣٩٣. (ج).

(٤) في اليتيمة: لك الدنيا ومن فيها ولكن. (ج).

خَـدَمْتُ لَـكَ الْمُلُـوكَ أَرُوضُ نَفْـسِي لآمَـــنَ تَحْـــتَ خِـــدْمَتِكَ العِثَـــارَا
وَلَـــوْ كانَـــتْ لَنَـــا الـــدُّنْيا جَعَلْنَـــا لَـــكَ الـــدُّنْيا وَمَـــنْ فِيهـــا نِثَـــارَا [٩٧/ب]

ومما يحسن إيراده هنا وإن كان في معنى آخر قول المعمار[١]: [السريع]

أَيْـــرِيَ مُغْـــرًى بِـــاللِّواطِ الَّـــذِي يقـــبحُ لاسِـــيما عَـــلَى مِثْلِـــهِ
أَوْقَـــفَ حـــالِي لا تَـــسَلْ مـــاجَرَى قَدْ[٢] صِرْتُ خَلْفَ النّاسِ مِنْ أَجْلِهِ

وقول الوَداعِي[٣]: [الخفيف]

قِيـــلَ إِنْ شِـــئْتَ أَنْ تَكُـــونَ غَنِيًّـــا فَتَـــزَوَّجْ تَكُـــنْ مِـــنَ الْمُحْـــصَنِينَا
قُلْـــتُ: مـــا يَقْطَـــعُ الإِلٰـــهُ بِحُـــرٍّ لَمْ يَـــضِعْ بَـــيْنَ أَظْهُـــرِ الْمُـــسْلِمِينَا[٤]

---

(١) هو إبراهيم الحائك، المعمار، أو الحجار (ت: ٧٤٩/ ١٣٤٨): غلام النوري المصري. عامي مطبوع تقع له التوريات المليحة المتمكنة، لاسيما في الأزجال والبلاليق. انظر ترجمته: فوات الوفيات، ١/ ٥٠.

(٢) في (ظ): «وقد».

(٣) هو علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد، علاء الدين الكندي المعروف بالوداعي (٦٤٠-٧١٦ / ١٢٤٢-١٣١٦): شاعر، له علم بالحديث، وعلوم بالقرآن. ولد بحلب، وتوفي بدمشق، ودفن بالمزة. من مؤلفاته: «التذكرة الكندية» في خمسين مجلداً فيها علوم جمة أكثرها أدبيات، و«ديوان شعر» في ثلاث مجلدات. انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٣/ ٩٨؛ شذرات الذهب، ٨/ ٧١؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥٣٢.

(٤) ورد البيت في ديوان ابن نباتة المصري ص٥٣٥ بهذا الشكل:

«قلتُ دع نصحك واعْلم أنني لم أضع بين ظهور المسلمينا».

[٦٥]

محمد بن أبي الخير بن حجر الهيتمي[1]

نزيل مكة

بليغٌ عَذْبُ اللسان، نجيبٌ سَبْطُ البنان، بل غُرَّةٌ في جبهة الأيام، أشرقت تحت طُرَّة الظلام.

رأيته بالحجاز، وليس بينه وبين الكمال حجاز، فأنشدني من شعره ما يجلو على المحزون طيف السرور، ويذكر عهود الصِّبا في ظلال الهنا والحبور، إلا أنه لم يُقَيَّدْ بسلاسل السطور، فذهب في فَيافي النسيان بين الصَّبا والدبور.

ومنها قوله في مَلِيح اسمه علي: [مجزوء الخفيف]

لِعَلِيٍّ مَحَاسِنٌ ... مَا لَهَا قَطُّ مُشْبِهُ

وَبِشَامَاتِ خَدِّهِ ... كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ

وكان أنشدني شعراً له ضمَّن فيه حديثَ: «الحبَّةِ السَّوداء شفاءً من كلِّ داء»[2] فأنشدتُه لنفسي ارتجالاً: [السريع]

يا ذا الذي مِن خالِه حَبَّةٌ ... سَوْدَاءُ في الخَدِّ الشَّدِيدِ الصَّفا

دَعْنِي أُقبِّلْها تَزُلْ عِلَّتِي ... فالْحَبَّةُ السَّوْداءُ فيها الشِّفا

وكان على ما فيه من الحجا، مولعاً بالذمِّ لا يقرأ غير حروف الهجا، فكنتُ في

---

(١) في (ظ): «الهيثمي». لم أقف على ترجمته في المصادر ما عدا ريحانة الألبا، ١/ ٤٣٤.

(٢) رواه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥)، والترمذي (٢٠٤١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. والحبة السوداء: الشونيز. (ج).

شرخ الشباب، واجْتِناءِ ثمرِه المسْتَطاب، قبل أن يعضَّني الدهر بنابه، وينشب بسوانح صفوي مخالب كلابه، ألومه في قرضِ الأعراض، وأَميلُ عنه بوجه الإعراض، حتّى ابتليتُ، وقد قيل: من عَيَّر ابْتُلي، وناداني لسان الحال: أين الشَّجيُّ من الخلي؟ لما رأيتُهُ [٩٨/أ] في هذا العصر من تفويضٍ على المراتب لغير أهلها، وتقديم كلِّ جاهلٍ مجهول على مالك أزمَّة فضلها، والليالي مقدِّماتٌ نتيجتها الضَّنا، حبالى؛ لكنَّها لا تلد إلَّا أولاد الزنى، والأيامُ مطايا، لا تحمل إلَّا الخزايا: [الطويل]

لَقَـدْ هَزُلَـتْ حتّـى بَـدَا مِـنْ هُزَالِهَـا كُلاهـا وحَتَّـى سَـامَهَا كُـلُّ مُفْلِـسِ(١)

فبينما أنا أتعجَّبُ من ارتفاع كلِّ أسفل، واتّباع النتيجة للأخَسِّ الأرذل، إذ فوضت صدارة العلماء، ووجهت قيادة الفضلاء، إلى شخصٍ يلقَّبُ بأسود الخصى، يفنى دون عدِّ معايبه الرمل والحصى، فلم يجد غيري لتجريب سيف بطشه محلًّا، فحمدتُ الله أن عَلِمْتُ بِعُدْوان(٢) مثله أن الله منحني فضلاً، وقمتُ منتصباً على الحال، فقلتُ في ذلك فصلا و|ها|(٣) أنا أورده وإن طال.

وهو هذا: اللهم، إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، وألوذ بك يا نور النور إذا دجتْ ظلماتُ الحوادث، ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ويبينُ لكلِّ منقوصٍ حتَّى يفرَّ منه أبوه وأخوه، فإنَّه مما صبّ من المصائب، أن حمل على كاهل الدهر عيبة المعايب، نسخة القبائح، سورة الفضائح، جريدة العيوب،

(١) أقول(ج): بيت ضمنه الحسين بن سعد الآمدي، ذكر في معجم الأدباء ٣/ ١٠٦٣، والوافي بالوفيات ١٢/ ٣٦٨، وقبله:

فحـق لأهـلِ العلـمِ أنْ يَتمثَّلـوا ببيـتٍ قـديمٍ شـاعَ في كـلّ مجلـسِ

(٢) في (ظ): «بعداوة».

(٣) زيادة من (ظ).

تمثال الذنوب، إكسير الفساد، شماتة الحساد، وأنموذج الهموم، وليل الغموم، قحط الرجال، مقدمة جيش الدجال، قبيح الفعل والقول، إذا اعتذر عن مساءة فكأنما غسل الغائط بالبول، لئيم غير ملوم، أَجْوَرُ من قاضي سَدُوم[١]، فما صدارته إلَّا هجو الزمان، وإظهار لأنه عدوُّ الأعيان[٢]، فلو لم يخسف بأهاليه، لما ارتفعتْ أسافله على أعاليه: [الكامل]

كَالْبَحْرِ يَرْسُبُ فِي أَسافِلِهِ[٣] دُرٌّ[٤] وَتَعْلُو[٥] فَوْقَهُ جِيَفُهْ[٦]

جُعَلٌ[٧] خُرْءٍ من بستان مُزْبَلٍ، إذا أثمرتِ البساتينُ حَنْظَل. إن لاحَ بستانُ جهل فهو لَعِيْنُهُ، أو إبليسُ تَلْبِيس فذاك أستاذه [٩٨/ب] وقرينه. فلو عاين أحمد خِدَاعه[٨] لحيّاه. وأنشد: [المتقارب]

فَلَمّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ النُّهَى كُلَّها فِي الخُصَى[٩]

ريقه الزَّقُّوم، وأنفاسُه السَّموم. فهو لِعَيْنِ الدهرِ قَذَى، لا يَنْطِقُ بغيرِ فُحْشٍ

(١) سَدُوم: مدينة من مدائن قوم لوط، وهي بأرض الشام، كلها خراب لا أنيس بها، ويضرب المثل بجور أحكام قاضي سدوم. انظر الروض المعطار، ص. ٣٠٨.

(٢) وردت هذه الجملة في (ظ) هكذا: «وإظهاره ظهور عداوة الأعيان».

(٣) في الديوان: «فيه لؤلؤه».

(٤) في (ظ): «درر».

(٥) في الديوان: «سُفْلاً وتطفو».

(٦) البيت لابن الرومي في ديوانه، ٢/ ٦١٠، ٦٢٨.

(٧) في (ظ): «جعلي».

(٨) ساقط من (ظ).

(٩) البيت للمتنبي في ديوانه، ١/ ١٤١.

وأذَى. الجهل رواؤه، والجُذامُ[1] حِلْيَتُه وبهاؤه. والجُنُون مِجَنَّةٌ من الأعداء، فذاتُه المكروهة عينُ السوداء. وليس في خَلْقِه من الحكم والإعراض، إلَّا أنْ يقِفَ به الأطباءُ على ما جُهِلَ من الأمراض. وتتَّضِحُ به دقائق التشريح، ويُكْثِرُ رَائِيه من الاستعاذة والتَّسْبِيح. تخرَّق منه الجسد، فكلُّه عُيونٌ تَنْظرُ من الحسد. فعِرْضُه دَنِسٌ مُشَقَّق، ووَجْهُه كقِرْطاسِ الرُّماةِ مُخَرَّق. أقبحُ من عُسْرٍ بعْدَ يُسْرٍ، لا يُعْرَفُ أنهُ إنسانٌ إلَّا بأنَّه في خُسْر[2]. كلُّه مُنْتِن إلَّا فاه، فَاسْتَثْنِهِ بخلاه، وجُلُّه بلاءٌ، لو سُئِلَ عنه إبليس لقال: بَلَى. يغلبُ بسلاحِ الوَقاحَةِ في المبارزةِ، ويظُنُّ الرشوةَ مَباحَة لأنها تسمى جائزة. ويَزْعُمُ لنُفوذِ أمرِه لخرق الأيام، إن المثَلَ ما قالَتْ جَدام لا ما قالَتْ حَذَام. أشأمُ من طُوَيْس، وأثقل في السَّمْعِ من ليس[3]، ومُغَنٍّ[4] يَحْمِلُ لِحْيَةَ التَّيْس. فَيا عَيْنَ الشُّوم، وخليفَةَ البُوم. وسَلْحَةَ الزمانِ، ونَجاسةَ الديوان. ألم يَدْرِ مَنْ صَدَّرَك، ولم يَخْشَ عُجَرَك وبُجَرَك[5]، أَنَّ زَوالَ الدُّوَل باصطناعِ السَّفَل: [الوافر]

وَمَــنْ يَكُــنِ الغُــرابُ لَــهُ دَلِــيلاً يَمُــرُّ بِــهِ عَــلَى جِيَــفِ الكِــلَابِ[6]

يا خَيْبَةَ الآمل، ومجمع الأسافل، ونتيجة السُّقْم، وحسن العُقْم، وعدُوَّ الأدب، وأسودَ اللَّقَب؛ أما يستحي زمانٌ حلَّ في صدره الخُصَى، وأصبح لقدر

(١) في (ظ): «الجدام».

(٢) إشارة لقوله تعالى في سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ (ج).

(٣) سقطت هذه الجملة من (ظ).

(٤) في (س): «معنى».

(٥) عُجَرُهُ وبُجَرُهُ: عيونه وأحزانه، وما أبدى وما أخفى.

(٦) ذكر من غير عزو في حياة الحيوان ٣/ ٣٧٨، وزهر الأكم ١/ ٢٢٠، والمستطرف ١/ ١٢٢. (ج).

المعالي مُرْخِصا. من مَادِرٍ[١] لديه حاتم، والحجَّاج أعدل حاكم: [السريع]

لَــوْ كــانَ يَــدْرِي جَــدُّهُ أَنَّــهُ يَخْـرُجُ مِــنْ إحْلِيلِــهِ لاخْتَــصَى[٢]

[٩٩/أ] قربُه أقبح من الحِرْمان، وبُعْدُه ألذُّ من وَصْلِ الحِسان. قد نَجَّس الأرض نجاسة لا يطَهِّرُها الطوفان، قرَّةُ عَيْن أبي جهل، فهو ينشد له بكل لسان: [المجتث]

نَعْــلايَ أَطْهَــرُ مِنْــهُ وَالْكَلْــبُ أَطْهَــرُ مِنِّــي

لا يهتدي إلى صواب، حتى يشيب الغُراب، أو يَسْتَضِيءَ شيطانٌ بشهاب. سَفِيهُ الذَّمِّ جِبِلَّةً فيه، وكلُّ إناءٍ يرشَحُ بما فيه. أسجد من هُدْهُد في خَلْوَتِه، خبير بأنْ يُخَبِّئَ[٣] العَصا لسائرِ خَدَمَتِهِ. نَحْوِيٌّ كم نصَبَ وجَرّ، وداوم على مذاكرةٍ مشتَقَّةٍ من الذَّكَر. رئيسٌ له صِيتٌ وسُمْعَة، لم يَبِتْ إلا وفي دِهْلِيزه شَمْعَة. له أنف بالعُجْبِ في السماء، واسْتٌ من الأُبْنَةِ في الماء: [الكامل]

وَكَأَنَّــهُ فِرْعَــوْنُ إلَّا أَنَّــهُ مِــنْ جانِــبِ الوَجْعَــاءِ ذُو الأَوْتَــادِ[٤]

كذَّابٌ فانظرْ وجْهَهُ وسَوادَه، فإنما أُلْبِسَ الدِّينُ به حدادَهُ. عارٌ على السَّلَف والخَلَف، أكذبُ ما يكون إذا حَلَف. حَرَّاقَة[٥] فساد، قَدَحَ شَرَرَ شَرّهِ فساد، فإن كان أصلُهُ من النارِ فهذا الخَلْف رَماد. مُفْلِس من دِينه وعَقْلِه، يقول إبليس: إنما تركتُ السُّجودَ لآدم؛ لأنه من نَسْلِه. أقبحُ من النِّقَم، وأسوأُ من زَوالِ النِّعَم. أزنى من ظُلْمَة، وأَمَرُّ من غُمَّة[٦] على غمة. لا خيرَ فيه إلَّا أنه لا يأثَمُ له مُغْتاب،

(١) رجل من بني هلال اسمه مخارق يضرب به المثل في البخل. ثمار القلوب ٢٣٢. (ج).

(٢) البيت في معاهد التنصيص ١/ ٩١ لأبي نواس، وفيه: يدري أنه خارج مثلك. (ج).

(٣) كناية عن أنه يلاط به. (ج).

(٤) البيت للباخرزي في ديوانه، ص. ٩٩.

(٥) في (ظ): «حرافة».

(٦) في (ظ): «غمه».

بل يُحْمَدُ ويُجازَى بِجَزيلِ الثَّواب. لم يُثْلَبْ وهو بِهُجْرِ القولِ مُغْرَمٌ صَبّ
ومَنْ ذا يَعُضُّ الكَلْبَ إنْ عَضَّه الكَلْبُ(١)

[البسيط]

إِنْ تَهْجُهُ تَهْجُ مَنْ فِي الأَرْضِ قاطِبَةً لأَنَّهُ مِنْ مِياهِ الخَلْقِ قَدْ جُمِعَا

فإن كان ذَمُّ الناسِ مُناه، فما الناس إلَّا هو لا سِواه. لم تُبْقِه لِصِحَّةِ مِزاجه السّنُون، وإنما ذلك لأنه(٢) عافَتْهُ المَنُون. وقد رُفِعَ عن هذه الأمة المسخُ فما باله عاد ممسوخاً، وتناهى النَّسْخُ فما للشرع بصدارته منسوخاً. قاضٍ لم يَدْرِ حُجَّةً فما أحْوَجَه [٩٩/ب] إلى الصَّكِّ، وسواد في صحيفة الدهر مُفْتَقِرٌ إلى المَحْوِ والحَكّ. نوَّر به المَانَوِيَّة الكلامَ، على أنَّ مُوجِدَ الشَّرِّ الظلام. والتَّناسُخِيُّ البَيانَ، على أنَّ(٣) روحَ الإنسان تحُلُّ في الإنسان(٤). فلو لم يَنْقَرِضْ نَسْلُ آدَم، لما حُكِّمَ هذا القِرْدُ في العالم: [الطويل]

فَإِنْ لَقَّبُوهُ بِالرَّئِيسِ سَفاهَةً فَإِنَّ الخصَى تُدْعَى رَئِيساً مِنَ الأَعْضَا

وإذا كان من الدِّينِ، إعلانُ النصيحة لعامَّةِ المسلمين، فعَلَيْكَ بالرأي الأسدِّ: «فِرَّ من المَجْذُوم فِرارَكَ من الأسَد»(٥). لأنه محذوم ومجذوم، ليس فيه من صِفات العلماء إلا أن لحمه مَسْمُوم. حَمَى اللهُ مِزاجَ العصر من سارِي مَرَضه، وصانَ جوهرَ الدهر عن عَرَضِهِ. وأنارَ بالزَّوال كُسوفَه، وصرَفَ بيَدِ الموت زُيُوفَه.

---

(١) هذا عجز بيت لابن الوردي، وصدره: «أُنَزِّهُ نفسي عن مساواةِ سِفْلَةٍ». ديوانه، ص. ٢٠١.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في (ظ): «أنه».

(٤) في (ظ): «الحيوان».

(٥) حديث رواه الإمام أحمد في المسند ١٥/ ٤٤٩، والبيهقي في شعب الإيمان ٨/ ١٣٢ عن أبي هريرة. (ج).

[٦٦]
شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي
شيخ الإسلام[١]

|نزيل مكة|[٢] والد المار ذكره[٣] علّامة الدنيا حتّى الحجاز، ومن إذا نُشرت حللُ الفضل فهو دارُ[٤] الطِّراز، حجّتْ وفود الفضائل[٥] إلى كعبته، وتوجّهت وجوه الآمال لقبلته[٦]، إنْ حدَّثَ عن الفقه والحديث، لم تتقرَّطِ الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث، فهو العلياء والسند، ومن تفُكُّ سهام أفكاره الزَّرَد،

(١) هو شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الملقب بأبي العباس (٩٠٩-٩٧٤ / ١٥٠٤-١٥٦٧): فقيه، باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر، وإليها نسبته. والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشرقية بمصر. تلقى العلوم في الأزهر، وتوفي بمكة، ودفن بالمعلاة في تربة الطبريين. له مؤلفات كثيرة، منها: «الجوهر المنظم» رحلة إلى المدينة، و«تحفة المحتاج لشرح المنهاج» في فقه الشافعية، و«المنح المكية» في شرح همزية البوصيري، و«شرح الأربعين النووية». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٣٥؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٦٢؛ ديوان الإسلام، ٢/ ٢٠٠؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٥٤١؛ البدر الطالع، ص. ١٢٤؛ تاريخ النور السافر، ص. ٢٨٧؛ الكواكب السائرة، ٣/ ١١١؛ هدية العارفين، ١/ ١٤٦؛ الأعلام، ١/ ٢٣٤.

(٢) زيادة من (ظ).

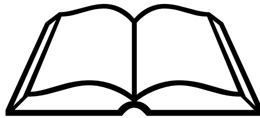
(٣) ساقط من (ظ).

(٤) في (ظ): «طراز».

(٥) في (س): «الفضل».

(٦) في (س): «قبلته».

وتآليفُه غُرَرٌ منيراتٌ، أضاءت في وجوه دُهْمِ المشكلات، فوَلُودُ الليالي عن مثله عقيم، ودرياق نفثاته السليمة شفاءُ كلِّ سليم(١)، نُشِرَتْ على الدنيا به خِلَعُ الفرح، وتزيَّنت ببديع صفاته المدح، وأقلام فتواه مفاتيح ما أُرتجَ من المسائل المُشْكِلَة، والعلم باب مقفلٌ مفتاحه المسألة، وهو ممن قرأ عليه والدي، الذي وَرِثْتُ منه طريفي وتالدي| رحمه الله تعالى|(٢).



(١) في (ظ): «سئيم».

(٢) زيادة من (ظ).

[٦٧]
علاء الدين بن عبد الباقي المكِّي[1]

صاحب كتاب «الطِّرازُ المَنْقُوشِ في مَحاسِنِ الحُبُوشِ».

أديب خليعٌ عذبُ البيان بديعٌ، وكتابه المذكور في وجه الدهر شامة، [١٠٠/أ] جعله إنسان الزمان فنظر به إلى محيا[2] الأدب وشامه، وله ربيع أدبٍ ورِيقٍ، وسُلافةُ خَلاعةٍ ورِيق.

وقد رأيتُهُ وطالعتُ كتابه، وهو بأهداب السحر تمسّك، وبمسك الحبشة الذي هو لمى الجمال تمسّك، فكأنه بسوادِ الحدق مكتوب، وهو مُنقَّطٌ بِنُقَطِ الخيلان وسداد القلوب. [السريع]

مُصَوَّرٌ مِنْ حَدَقِ الحِسَانِ ... مُرَكَّبٌ مِنْ مُلَحِ الخِيلَانِ
كَأَنَّهُ فِي نَاظِرِ الإِنْسَانِ ... إِنْسَانُ عَيْنِ الحُسْنِ فِي الزَّمَانِ

* * *

(١) علاء الدين محمد بن عبد الباقي البخاري المكي (...): خطيب المدينة. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٣٧؛ كشف الظنون، ٢/ ١١٠٩؛ هدية العارفين ٢/ ٨٢.

(٢) في (ظ): «محياه».

[٦٨]
قاضي القضاة[١] حسين المكِّيّ المالكي[٢]

سماءُ سَحابَةِ الكرمِ، وصائدُ قَنَص المعالي في حِمَى الحرَم، إذا نُشِرَتْ صحائفُ نَداه طُوِي ذكرُ حاتَم طَيّ، أو رُفِعتْ راياتُ عُلاه كان لها السُّؤْدَد مكان الفَيّ[٣]، إذا ذُكر الكرامُ فهم له خدَم، وإذا أينعتْ رِياضُه دارَتْ حولها أنهار سيبه كالخدم، ذو همَّة نَظَمتْ على رغم أنف الزمان، ما بدَّدته الخطوبُ من عقود الخلط والندمان، مع لطفٍ أرقُّ من ممازحة[٤] الحبيب، وأعذبُ من محادثة[٥] الصديق الأريب، وعزَّةٍ أشهرَ[٦] مِنْ مثَل، وعن الملوك فلا تَسَلْ، وهو شريفُ النَّسَب، سَرِيُّ الحسَب، إذا أَخْصَبتْ بمياه النَّدى عذَباتُه الخُضْر، أجدبتْ خزائنُه[٧] من الحُمْر[٨] والصُّفْر، وإذا زحفت كتيبة[٩] معاليه الخضراء، أينعت دوحته النبوية المنتمية أعراقها إلى الزهراء، فأشرق نور النبوة من بارق أَسِرَّته، وسطعتْ بُدُور

(١) في (س): القاضي بدل قاضي القضاة.

(٢) لم أقف على ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ١/ ٤٣٨.

(٣) يريد الفيء، الغنيمة.

(٤) في (ظ): «ممازجة».

(٥) في (ظ): «مصادقة».

(٦) في ريحانة الألبا: وغُرَّة أشهر.

(٧) في (ظ): «خزانته».

(٨) في (ظ): «البيض».

(٩) في (س): «زحف كتائب».

الهدى من هالة أُسرته، ولم تزل السعود في خدمته قائمة، وعيون الحدثان عن ملاحظة حظه نائمة، سالكاً في طرق المعالي نهجها، راقياً في مطالع الكمال أوجها، فتبدى محيا من سنا البدر أَوْجَهَا، إلى أن تولى قضاء طَيْبَةَ الطَّيِّبَة، وأمست خيام مجده على هام الفلك مُطنَّبة، حتى بدا مِحاقُ بَدْره [١٠٠/ب] وختمت صحائف عمره، ويقال: إنّه هبّت عليه من المنية عواصفُ سمومها، وجرّعته بيد ساقي[١] الحِمام كأس سمومها، فناجى عمره حتفه، ونادى أجله: لأمرٍ ما جدع[٢] قصيرٌ أنفه، وهكذا جيوش الخطوب، تبارز كميتها إذا بدتْ شَعُوبُ، وكان في شَرْخ شبيبته، وإقبال راية طليعته، متعكّفاً في حرم الخمول، مُحَلًّى بجواهر القبول، لا يفْرَقُ لحوادث الدهر، ولا يجزع من مرارة القهر، يُري الدهرَ الصبرَ كيف يكون، وبغَزْو الخُطوب عليه تَهُون، لتفرسه أنها مقدمات منتجة للمعالي، وبراهين لها الإقبال تالي: [الكامل]

هِمَمُ الفَتىَ فِي الأَرْضِ أَغْصانُ الغِنىَ[٣] غُرِسَتْ وَلَيْسَتْ كُلَّ حِينٍ تُورِقُ[٤]

والأغصان إذا قُلّمت، ارتفعت أغصانها ونمتْ.

وله قلائد شعر نُظِمتْ في جيد الدهر[٥]، جاد بها طبعه كما جاد لسؤَّاله، فكأنها[٦] ألفاظه من ماله.

(١) في (س): «ساق».

(٢) في (س): «جذع».

(٣) في (ظ): «المنى».

(٤) البيت لأبي تمام، الديوان ٤/ ٣٩٥. (ج).

(٥) في (س): «السحر».

(٦) في (س): «فكأنها».

[٦٩]

شيخ الإسلام علي بن جار الله الحنفي المكي(١)

مفتيها وخطيبها، خطيبٌ مِصْقَعٌ، وبليغ لفظه مُوَشًّى مُوَشَّع، إذا انحدر في أودية الكلام ماءُ بلاغته، وسال في بِطاحها سلسال فصاحته، شهد بفضله الناس من فاجِر ومن بَرٍّ، وكاد أن يَخْضَرَّ، وتُورِقَ(٢) أعوادُ كلِّ مِنْبَرٍ: [الطويل]

وَتَهْتَــزُّ أَعْــوادُ المَنَــابِرِ بِاسْــمِهِ … فَهَـلْ ذَكَـرَتْ أَيَّامَهـا وَهْـيَ أَغْـصَانُ(٣)

وله آثار يتحلّى بعذوبتها فم اللسن، وعقود سجع نظمها يد فضله في لبات الزمن، رأيته وقد طعنَ في السنِّ، وما له إلّا العصا قَنَا، ورَقِيَ شرفَ التسعين وهي آخرُ سلّم الفنا. وهو ينثرُ في ناديه، حبرَ الربيع الأثيث، وتُرفع إليه في كلِّ نادٍ أسانيد الحديث ووردتُ مع الناس موردَ إفادته رائقاً، وأطلع بفتواه على مذهب النعمان في روض الدهر شقائقاً، وآثار أقلامه تحسدها [١٠١/أ] الحور واللَّمى، ويعرق خجلاً منها خدُّ الروض بالندى(٤): [البسيط]

أَبْـدَى صَـنِيعُكَ تَقْـصِيرَ الزَّمـانِ فَفِـي … خَـدِّ الرَّبِيـعِ طُلُـوعُ الـوَرْدِ مِـنْ خَجَـلِ

---

(١) القاضي علي بن جار الله بن محمد بن أبي بكر بن علي المخزومي الظهيري الحنفي المعروف بابن ظهيرة (ت: ١٠١٠/ ١٦٠١): أستاذ الخفاجي، الخطيب، ومفتي الحرمين الشريفين. كان منشغلا بالعلم والعرفان. توفي بمكة بعد أن كف بصره، وقد جاوز التسعين. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته ريحانة الألبا، ١/ ٤٤٠؛ خلاصة الأثر، ٣/ ١٥٠؛ هدية العارفين، ١/ ٧٥١.

(٢) في (ظ): «يورق».

(٣) البيت لبهاء الدين زهير في مدح الملك المسعود صلاح الدين أبي المظفر لما قدم من اليمن سنة ٦٢٠/ ١٢٢٣. ديوانه، ص. ٣٣٠. وفيه: وهي قضبان.

(٤) البيت للأرجاني في مدح الوزير كمال الدين أبي طالب بن أحمد السُّمَيرَمي قبل وزارته، ديوانه، ٣/ ١١٩١.

[٧٠]
علي الكيزواني(١)

مريد المَقَّري(٢)، ونزيل مكة المشرفة صوفيٌّ، أقام بمكّة معتكفاً في حرم العِبادة، وأحرمَ بالتجرُّد عن ثياب الحياة والإرادة، لابساً رداء التُّقَى ضافيا، في تصفية موارده عن قذى الريا، حتى دعاه داعي الحقِّ لداره، فوجده(٣) على جناح سفر طائراً لفرحه بجواهره.

وله شعر منه قوله: [الكامل]

رَاقَ الـــشَّرابُ وَراقَــتِ الكاسَــاتُ فَتَـــشابَهَتْ فَأَضـــاءَتِ المِـــشْكَاةُ

---

(١) في (ظ): «السيد علي بن ميمون المغربي». وهو علي بن أحمد بن محمد الكيزواني الحموي الصوفي المسلِّك المربي الشاذلي (٨٨٨-٩٥٥ / ١٤٨٣-١٥٤٨): منسوب إلى كازُوا، فقياس النسبة الكازُواني، ولكنه اشتهر بالكيزواني. توجه صحبة الشيخ علوان الحموي إلى بورصة من بلاد الروم، وأقام في صحبته عند سيدي علي بن ميمون، وانتفع به، وتهذب بأخلاقه. ودخل حلب، وجلس في مسلك التسليك، فاجتمع عليه خلق كثير. ودخل دمشق، ونزل بالصالحية. وكان له اطلاع على الخواطر، عابدا، قانتا. توفي بين مكة والطائف، وحمل إلى مكة، ودفن بها. من مؤلفاته: «آداب الأقطاب»، و«السر الساري في معاني أحاديث منتخبة من البخاري»، و«نثر الجواهر في المفاخرة بين الباطن والظاهر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٤١؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٤٤٠؛ الكواكب السائرة، ٢/ ٢٠١؛ ديوان الإسلام، ٤/ ٧٣؛ الشقائق النعمانية، ص. ٣٢٥؛ در الحبب، ١/ ٩٠٦؛ إعلام النبلاء، ٥/ ٥١٧؛ كشف الظنون، ١/ ٩٤٧؛ هدية العارفين، ١/ ٧٤٥؛ الأعلام، ٤/ ٢٥٨.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في (ظ): «فوجد».

اِشْرَبْ هَنِيًّـــا إِنْ فَهِمْـــتَ حَـــدِيثَنا أَنْـــتَ الكَلِـــيمُ وَذاتُـــكَ المِيقَـــاتُ

وهو كقول ابن عَبّاد[1]: [الكامل]

رَقَّ الزُّجـــاجُ وَراقَـــتِ الخَمْـــرُ وَتَـــشابَها وَتَـــشاكَلَ الأَمْـــرُ

فَكَـــأَنَّما خَمْـــرٌ وَلا قَـــدَحٌ وَكَـــأَنَّما قَـــدَحٌ وَلا خَمْـــرُ



[نفحة من نفحات اليمن ومن بلغنا خبره في هذا الزمن][2]

(١) البيتان للصاحب ابن عباد، ديوانه ١٧٦.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من ريحانة الألبا ١/ ٤٤٩.

[٧١]

عبد الله بن شمس الدين بن مُطَهَّر اليَمَنِي الشريف[١]

فرعٌ من ذؤابة هاشم، ونبعةٌ من وشيج المكارم، من آل مُطهَّر وهم ملوك مُكرمون، لا يمسُّ صحائفَ مجدهم إلا المطهَّرون، قضوا للعلياء وطَرَها، وتلوا عليها آيات المجد وسُوَرها، وقد عبقتْ منهم أنفاس النبوَّة، وجرّتْ على وجه البسيطة أذيالَ الفُتُوَّة، فلا تُمْحَا محاسنهم من صحائف الليالي والأيام، ولا تثمر[٢] بمثلها[٣] في دَوْح الطروس أغصان الأقلام: [الطويل]

مَغارِسُ طالَتْ فِي رُبا المَجْدِ فَالْتَقَتْ عَـــلَى أَنْبِيـــاءِ اللهِ وَالْخُلَفَـــاءِ
إذا حَمَـلَ النّـاسُ اللِّـواءَ عَلامَـةً كَفـاهُمْ مُثـارُ النَّقْـعِ كُـلَّ لِـوَاءِ[٤]

فلم يزالوا كذلك حتى غارت عليهم الجيوش العثمانية، فذَوى ذلك الثمر، ونضبت مياه فضلهم ولم يبق من سؤر [١٠١/ب] شرابهم إلا الكدر، فالتجأ إلى جبل كوكبان[٥]، واستظل به من هجير حوادث الحدثان، وهو جبل يضيء فيه قناديل النجوم، ويلتفُّ على هامته أذيال الغيوم، يزاحم[٦] الأفلاك بالمناكب،

---

(١) لم أقف على ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ١/ ٤٥١.

(٢) في (ظ): «يثمر».

(٣) في (ظ): «مثلها».

(٤) البيتان للشريف الرضي، الديوان ١/ ١٠. (ج).

(٥) كوكبان: جبل قرب صنعاء. معجم البلدان. (ج).

(٦) في (س): «تزاحم».

ويكاد أن يلتقط سكانه درر الكواكب: [الكامل]

عـــالٍ كَـــأَنَّ الـــجِنَّ إِذْ مَـــرَدَتْ جَعَلَتْـــهُ مَرْقَـــاةً إِلَى الـــسِّرِّ[١]

وهو الآن فيه تاجٌ على هامة الزمن، وخالٌ تَتزيَّنُ به وجَنات اليمن، فكأنما شمخ كِبراً بمجاورة ذلك الأجل، فأصبح

كبير أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ[٢]

تُحْيَى به آثارُ آبائه بعد مماتها، ويردُّ روحُ المكارم إلى جسدها بعد فواتها ووفاتها.

فمما التَقطَتْه سيّارةُ أخباره، وأهداه لي بريد الدهر من آثاره، قوله من قصيدةٍ مدحَ بها أخاه عِزَّ الدين[٣]: [الكامل]

خَطَرَتْ فَقالَ الغُصْنُ صَلِّ عَلَى النَّبِي وَبَـدَتْ فَقالَـتْ لِلـشُّمُوسِ تَحَجَّبِـي

وَسُـــمُوطُها دارَتْ عَـــلَى لَبَّاتِهـــا وَزَهَـــتْ فَقُلْنـــا لِلنُّجُـــومِ تَغَيَّبِـــي

لاحَـتْ لَنـا كَالْبَـدْرِ ثُـمَّ تَبَرْقَعَـتْ فَرَأَيْـتُ بَـدْراً حَـلَّ قَلْـبَ العَقْـرَبِ

وَبِخَـــدِّها خَـــالٌ أَراهُ عَمَّـــهُ حُـــسْناً وَناسَـــبَهُ بِلَـــوْنٍ أَجْنَبِـــي

فَلِطَرْفِهَـــا عِـــزُّ انْكِـــسَارِ جُفُونِهَـــا وَلِعِطْفِهـــا تِيـــهُ الْمُـــدِلِّ الْمُعْجَـــبِ

ومنها:

مُنِّـــي عَـــلَيَّ بِـــزَوْرَةٍ أَحْيَـــا بِهـــا فِي أُنْـسِ قُرْبِـكِ أَوْ عِـدِينِي وَاكْـذِبِي

---

(١) البيت للوزير ابن عمار في وصف شَقُورة بالأندلس. المغرب في حلى أهل المغرب: ٢/ ٦٥. (ج).

(٢) عجز بيت من معلقة امرئ القيس، الديوان ٢٥. صدره: كأنّ أبانا في أفانين ودقه. (ج).

(٣) هو السيد عز الدين بن دريب بن المطهر بن دريب بن عيسى الملقب بالمعلم (ت: ١٠٦٠ / ١٦٥٠): كان سيداً سرياً فاضلاً عارفاً بالفقه. انظر خلاصة الأثر، ٣/ ١١٠. والأبيات في ريحانة الألبا، ١/ ٤٥٢-٤٥٣.

رِقِّـــي بِعِـــزِّكِ يَـــا سُـــعادُ لِـــذِلَّتِي ... مُنِّـــي وَمَنِّينِـــي أَمـــانِي أَشْـــعَبِ
مـا أَحْـسَنَ الأَطْـماعَ يُرْجَـى نَيْلُهـا ... وَالـصَّبُّ بَـيْنَ مُـصَدِّقٍ وَمُكَـذِّبِ

ومنها:

يـا لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ أَفُـوزُ بِمَطْلَبِي ... مِـنْ لَـثْمِ ذَيَّـاكَ الخُدَيْـدِ المُـذْهَبِ
مَـــنْ لي بِشَمْـــسِيِّ الجَـــمالِ مُمَنَّـــعٍ ... مـــا دُونَـــهُ لِمُحِبِّـــهِ مِـــنْ مَـــذْهَبِ
مُتَلَـــوِّنٍ كَمَـــدامِعِي فَوُعُـــودُهُ ... لَقَّبْنَنِـــي بِالخَـــائِفِ المُتَرَقِّـــبِ

ومنها:

يا قَلْبُ ما لَكَ مـا انْقَلَبْتَ عَـنِ الهَوَى ... وَالْقَلْــبُ قَــدْ قَــالُواْ: كَثِـيرُ تَقَلُّــبِ
خَـلِّ النَّسِيبَ فَقَـدْ أَطَلْـتَ وَعَـدِّ عَـنْ ... ذِكْــرِ الــصَّبابَةِ وَاشْــتَغِلْ بِالأَنْــسَبِ
[١٠٢/أ] كَفِّـــرْ زَخـــارِفَ زُورِ لَهْـــوٍ بِالثَّنَـــا ... وَانْـشُرْ مُـلاءاتِ الحَـدِيثِ الأَطْيَـبِ
بِـصِفاتِ عِـزِّ الـدِّينِ وَالـدُّنْيا وَمَـنْ ... مـا قُلْـتَ فِيـهِ مِـنَ الثَّنـا لَمْ تَكْـذِبِ
حَدِّثْ وَقُلْ ما شِئْتَ مِنْ أَوْصافِهِ الـ ... ـحُسْنَى تَجِيءُ بِكُـلِّ فَـنٍّ مُعْجِـبِ(١)
أَسَــدٌ تَخــافُ الأُسْــدُ ثَعْلَــبَ رُمْحِـهِ ... وَعَجِبْتُ مِنْ خَوْفِ الأُسُودِ لِثَعْلَبِ

تذييل وتكميل

قوله: «صَلِّ على النَّبِي» تعجّبٌ، استعمله المولَّدون، والوارد منه في الكلام الفصيح (سبحان الله) كما بيَّنُوه، وأما هذا لم يرد في كلام العرب ولا كلام من يعتد به من الفصحاء، وكثرَ في كلام المتأخرين، وشاعَ في لسان العامَّة كقول عرقلة الدمشقي(٢): [المنسرح]

(١) في ريحانة الألبا ١/ ٤٥٣: وحيٍّ بكل فنٍّ.
(٢) هو أبو الندى حسان بن نُمَير الملقب بعَرقَلَة الكَلبِيّ (٤٨٦-٥٦٧ / ١٠٩٣-١١٧١): شاعر =

أَقْبَـــلَ يَهْتَـــزُّ في غُلالَتِـــهِ[1] مَـــنْ لَـيْسَ يَـشْفِي لِعاشِـقٍ غُلَّـهْ
فَقـــالَ كُـــلُّ امْـــرِئٍ يُـــشَاهِدُهُ[2] أَلْـــفُ صَـــلاةٍ عَـــلَى رَسُـــولِ اللهْ

وقد صرَّح الإمام النَّوَوِيُّ رحمه الله في «الأذكار» وغيره: أنّه ممنوع شرعاً، وقالوا: الواردُ فيه (سبحان الله). وغيرُهُ كالحَلِيمِيِّ[3] من الشافعية أيضاً رواه جائز من غير كراهة، وفصلوا الكلام عليه في فروعهم ولم أرَ مَنْ تعرض له من الحنفية، لكن الظاهر جوازه. وقد قلتُ في قصيدة لي: [المنسرح]

ظَبْـيٌ عـلى الـصَّبِّ حِينَ سَـلَّمْ صَلَّى الله عـلى المصطفى وسَـلَّمْ
مُدْنَفُـــهُ والـــدُّمُوعُ بَحْـــرٌ بِـــتُرْبِ[4] أَقْدامِـــهِ تَـــيَمَّمْ

ومما يناسب هذا قول الشعراء في مقام المدح والتعجب «الله أكبر» والناس تستعمله كثيراً. وأول من استعمله في شعره علي بن الجَهْم قال في قصيدة مدح بها بعض الخلفاء[5]: [الكامل]

= من الندماء، كان من سكان دمشق، واتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي فمدحه، ونادمه. ووعده السلطان بأن يعطيه ألف دينار إذا استولى على الديار المصرية، فلما احتلها أعطاه ألفين، فمات فجأة قبل أن ينتفع بفجأة الغنى. انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ١/ ٣١٣؛ شذرات الذهب، ٦/ ٣٦٥؛ الأعلام، ٢/ ١٧٧. البيتان في ديوانه، ص. ٧٢.

(١) في الديوان: «غلائله».

(٢) في الديوان: «تأمَّله».

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني (٣٣٨-٤٠٣ / ٩٥٠-١٠١٢): فقيه شافعي، قاض. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته ببخارى. من مؤلفاته: «المنهاج». انظر ترجمته: الأعلام، ٢/ ٢٣٥.

(٤) في (ظ): «لترب».

(٥) ديوانه، ص. ١٢٤.

اللهُ أَكْـــــبَرُ وَالنَّبِـــــيُّ مُحَمَّـــــدُ وَالحَــقُّ أَبْلَــجُ وَالخَلِيفَــةُ جَعْفَــرُ

فاستقبحه الناس حتى قال مروان[1] يهجوه بهذا: [الكامل]

لَـمَّا وَصَـلْتَ إلى الإمـامِ عَـشِيَّةً وَكَذَبْتَــهُ وَمَدَحْتَــهُ بِــأَذَانِ

وقال أيضاً: [الطويل]

أَرادَ عَـــلِيٌّ أَنْ يَقُـــولَ قَـــصِيدَةً بِمَـــدْحِ أَمِـــيرِ المُـــؤْمِنِينَ فَأَذَّنَـــا

فَقُلْــتُ لَــهُ لا تَعْجَلَــنْ بِإقامَــةٍ فَلَـسْتُ عَـلَى طُهْـرٍ فَقـالَ ولَا أَنَـا [١٠٢/ب]

ثم تابعه كثير من غير استنكار فيه كقول ابن النَّبِيه[2]: [البسيط]

اَللهُ أَكْــبَرُ لَـيْسَ الحُـسْنُ فِي العَـرَبِ كَمْ تَحْتَ كُمَّـةِ ذا التُّرْكِيِّ مِنْ عَجَـبِ

وقوله: «ثَعْلَبَ رُمْحِهِ» فيه إيهام لطيف فإن الثعلب الحيوان المعروف، والمقصود هنا طرف الرمح الداخل في السنان؛ فإنه مشترك بينهما. ومثله قول ابن الساعاتي[3]: [الطويل]

(١) هو مروان بن يحيى بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة المعروف بابن أبي الجَنُوب (ت: نحو ٢٤٠/ ٨٥٥): والٍ، كان من شعراء عصره المشاهير المقدمين. كنيته أبو السمط، ويلقب بغبار العسكر لبيت قاله. ويعرف بمروان الأصغر تمييزا له عن جده. سلك سبيل جده في الطعن على آل علي بن أبي طالب مع قلة حظه من جيد الشعر، وحسنت حاله عند المتوكل وخص به ونادمه، وقلده المتوكل اليمامة، والبحرين، وطريق مكة. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٥/ ١٩٣؛ الأعلام، ٧/ ٢٠٩.

(٢) ديوانه ٢٣٤. (ج).

(٣) هو علي بن محمد بن رستم بن هَردوز، أبو الحسن، بهاء الدين المعروف بابن الساعاتي (٥٥٣-٦٠٤ / ١١٥٨-١٢٠٧): شاعر مشهور، خراساني الأصل، ولد ونشأ في دمشق. وكان أبوه يعمل الساعات بها. برع في الشعر، ومدح الملوك، وتعانى الجندية، وسكن مصر. وتوفي بالقاهرة. له: «ديوان شعر» في مجلدين. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٣/ ٣٩٥؛ سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٨٣٥؛ الأعلام، ٤/ ٣٣٠.

وَلَـوْ يَمْلِـكُ المَلْـكُ الأَهِلَّـةَ عِنْـدَهُ[١] تَفاخَرَهــا[٢] إلَّا نِعــالُ بِجُــرْدِهِ
إذا مَــدَّ جَيْــشاً لِلْعَــدُوِّ تَلاعَبَــتْ ثَعالِــبُ أَطْــرافِ الرِّمــاحِ بِأُسْــدِهِ

وقوله: «أو عديني واكذبي»، روض أنيق، وبرد رقيق، يقطر منه ماء اللطافة، ويدير على مسامع الأدباء أعذب سُلافَة، كقول مهيار[٣]: [السريع]

يــا مــاطِلِي بِالــدَّيْنِ ماســاءَنِي إلَيــكَ تَــرْدَادُ[٤] المَوَاعِيــدِ بِي
إنْ كُنْـتَ تُنْجِـزْ[٥] ثُـمَّ لا نَلْتَقِـي فَـدُمْ عَـلَى المَطْـلِ وَقُـلْ[٦] وَاكْـذِبِ

وقول الشريف الرضي[٧]: [السريع]

يُعْجِبُنِــي مَطْــلُ غَــرِيمِ الهَــوَى لِطُــولِ تَــرْدادِي إلى الماطِــلِ

وللتِّهامي[٨]: [الكامل]

عَــذُبَ المِطــالُ لِأَنَّــهُ مِــنْ عِنْـدِها وَلَــوْ انَّــهُ مِــنْ غَيْرِهــا لَمْ يَعْــذُبِ

---

(١) سقط هذا الشطر من (س).

(٢) كذا في الأصلين.

(٣) ديوانه، ٢/ ٧٠.

(٤) في الديوان «ترديد».

(٥) في الديوان «تقضي».

(٦) في الديوان «وعِدْ».

(٧) ديوانه، ٢/ ٢٦١.

(٨) هو أبو الحسن علي بن محمد بن فهد المعروف بالتِّهامي (ت: ٤١٦/ ١٠٢٥): من كبار شعراء العرب. ولد باليمن، وقدم الشام، والعراق، والجبل. وامتدح ابن عباد، وصار معتزليًّا، ثم ولي خطابة الرملة، وزعم أنه علوي، وذهب إلى مصر بخير لحسان بن مفرِّج، فقتل في سجن القاهرة سرًّا. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٣/ ٣٧٨؛ سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٨٥٠؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥١٧. البيت في ديوانه، ص. ٦٩.

وللطُّغْرائِي[(١)]: [الوافر]

وَتُعْجِبُنِـــي المَواعِـــدُ كاذِبـــاتٍ لِـــتَرْدادي إِلَيْـــهِ عَـــلَى المِطَـــالِ

وللحاجري[(٢)]: [الخفيف]

لِيَ بِـــالجَزْعِ حاجَـــةٌ لَـــيْسَ تُقْـــضَى وَغَـــرِيمٌ يَلَـــذُّ مِنْـــهُ المِطَـــالُ

ولابن الفارض[(٣)]: [الطويل]

عِـــدِينِي بِوَصْـــلٍ وَامْطُـــلِي بِنِجَـــازِه فَعِندِي إِذا صَـحَّ الهَوَى حَسُنَ المَطْلُ



(١) ديوانه، ص. ٣١٩.

(٢) عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمارتكين بن طاشتكين الأربلي، حسام الدين، المعروف بالحاجري (٥٨٢-٦٣٢ / ١١٨٦-١٢٣٥): شاعر، أديب من أولاد الأجناد. عاش منحوساً ومات مقتولاً، ولد ونشأ في إربل، ولم يشارك في الأحداث التي جرت في حياته. وقد كان ملماً بفروع الثقافة العربية، وكان غزير الشعر، شهد له الكثير من الأدباء وكتاب التراجم بأنه شاعر مجيد. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته:سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٩٨٧؛ وفيات الأعيان، ٣/ ٥٠١؛ الأعلام، ٥/ ١٠٣؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥٩٤.

(٣) شرح ديوان ابن الفارض، ٢/ ١٨٨.

[٧٢]
السيد حسين بن مُطَهَّر اليَمَنِي[١]

|سقى الله ثراه|[٢]. [١٠٣/أ] هو من أهل العصر.

وقد رأيتُ له شعراً يفوح منه نشرُ تِهامة ونجد، ويترجم عمّا فيه من الكرم والمجد، وهو قصيدة اخترتُ منها قوله: [الكامل]

مِــنْ أَيْــنَ يَخْلَــقُ وَجْــدُكَ الْمُتَجَــدِّدُ ... وَيَــزُولُ عَنْــكَ حَنِينُــكَ الْمُــتَرَدِّدُ

وَقَــدِ اسْــتَفَزَّكَ بِالرَّحِيــلِ مُــوَدِّعٌ ... قالَ[٣]: الرَّحِيلُ غَدًا، عَدِمْتُكَ يا غَدُ

يــا نــازِلِينَ عَــلَى العُــذَيْبِ وَثَهْمَــدٍ ... بِــأَبِي وَبِي كَيْــفَ العُــذَيْبُ وَثَهْمَــدُ

أَخُزامُــــــهُ وَبَــــــشامُهُ وَأَراكُــــــهُ ... خَــضِرٌ عَــلَى مــا تَعْهَــدُونَ وَأَعْهَــدُ

ومن مَدْحِها قوله فيها: [الكامل]

اَلْحَــجُّ يُقْــصَدُ كُــلَّ عــامٍ مَــرَّةً ... وَلَــكَ العَــوالِمُ كُــلَّ حِــينٍ تَقْــصِدُ

وهو معنى حسن كقول بعض أهل العصر:[الخفيف]

كَعْبَــةٌ أُسِّــسَتْ عَــلَى الفَـضْلِ لــٰكِنْ ... كُــلَّ وَقْــتٍ لَهَــا تَحُــجُّ الوُفُــودُ

وقد سبقه إلى هذا القائل لمّا طافوا بجنازة الوزير المعروف بالجواد[٤] حول

---

(١) السيد حسين بن المطهر اليمني (...): أديب، شاعر من أهل اليمن. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٥٨؛ سلافة العصر، ص. ٤٤٩.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) في (ظ): «قالوا».

(٤) هو أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الملقب بجمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني =

الكعبة(١): [السريع]

يـا كَعْبَـةَ الإسْـلامِ هٰـذا الَّـذِي جـاءَكِ يَـسْعَى كَعْبَـةُ الجُـودِ
قُـصِدْتِ فِي العـامِ وَهٰـذا الَّـذِي لَمْ يَـكُ(٢) يَوْمـاً غَـيْرَ مَقْـصُودِ

وللأرَّجاني من قصيدة(٣): [الطويل]

وَمَـا(٤) أَنْـتَ إلَّا بَيْـتُ مَجْـدٍ وَسُـؤْدَدٍ لِلُقْيـاهُ يُـسْرَى دائِـماً وَيُـسَارُ
عَـلَى أَنَّ حَـجَّ البَيْـتِ فِي العـامِ مَـرَّةً وَحَجُّـكَ في اليَـومِ القَـصِيرِ مِـرَارُ

ومثله قول بعض الندماء لسعيد بن سلام في بستانه، وقد أعجبه، وقال له: هل رأيتَ أحسن من هذا البستان؟ فقال: أنتَ أحسن منه، لأنه يُؤْتِي أُكُلَه في العام مرةً، وأنتَ تُؤْتِي أُكُلَكَ في كل حين. |فأعجبه|(٥).

= (ت: ٥٥٩/ ١١٦٤): وزير صاحب الموصل أتابك زنكي بن آق سنقر. ولمّا قتل أتابك على قلعة جعبر، توجه الجواد إلى الموصل، فأقره سيف الدين غازي بن أتابك على وزارته وفوض إليه الأمور، فأقام إلى أن مات سيف الدين وولي أخوه قطب الدين مودود بن أتابك، فلم يألفه، فقبض عليه سنة ٥٥٨/ ١١٦٢، وسجنه في قلعة الموصل إلى أن توفي سجيناً. ونقل إلى المدينة فدفن في البقيع. وكان من الأجواد المبالغين في الإنفاق، أبقى آثاراً منها أنه أجرى الماء إلى عرفات من مكان بعيد، وبنى سور المدينة المنورة. انظر مصادر ترجمته في وفيات الأعيان، ٥/ ١٤٣؛ شذرات الذهب، ٦/ ٣٠٨؛ الأعلام، ٦/ ٢٧٨.

(١) البيتان في وفيات الأعيان، ٥/ ١٤٣.

(٢) في وفيات الأعيان: «لم يخل».

(٣) ديوانه، ٢/ ٥٨٩.

(٤) في الديوان: «لمَا».

(٥) زيادة من (ظ).

[٧٣]
العارف بالله عبد الوهاب السُّودِي اليماني[(١)]

الجامع في أردان الألفاظ ثمار المعاني، وهو في اليمن شيخُ الطريقة، العابر من قنطرة المجاز إلى ساحل الحقيقة، جمع من بضائع الأدب ما راق صنعاً، وحسدته لرقَّة وشيه برود صنعا، وقد [١٠٣/ب] نسج من مهلهل الأشعار في السلوك، ما كان قلمه له على منوال طرسه مكوك: [الوافر]

رِيـــاضٌ بَنَفْـــسَجٍ خَـــضِلٍ نَـــداهُ ... تَفَـــتَّحَ بَيْنَـــهُ نَـــوْرُ الأَقَـــاحِي[(٢)]

حباه الله بأنواع الكرامات، فأحيا الليالي بمجاهدته فيها والكرى مات، وشعره مطبوع، وعلى أكفِّ القبول مرفوع ، تلذُّ به الأسماع، وتطرب على السماع، وأكثره على لسان العرفان، الذي هو للحضرة المقدسة ترجمان.

كقوله في ديوانه وهو مشهور[(٣)]: [المديد]

---

(١) محمد بن علي بن محمد الشهير بالهادي (عبد الوهاب) السودي الصنعاني (ت: ٩٣٢/ ١٥٢٥): متصوف، شاعر مشهور. في شعره جودة وطلاوة، وأكثره على طريقة أهل التصوف. نشأ بصنعاء، وقرأ بها الفقه وغيره، ثم لحقته جذبة، فخرج هائما من صنعاء، وسكن مدينة تعز، وذكر الإمام شرف الدين أنه إنما حصل له الهيام بسبب أكله للقات. توفي بتعز. له «ديوان شعر» أسماه «بلبل الأفراح وراحة الأرواح» انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٦٠؛ البدر الطالع، ص. ٤١٤؛ تاريخ النور السافر، ص. ١٥٥؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٤٩٤، ٥٢٨؛ الأعلام، ٦/ ٢٨٩.

(٢) البيت لابن المعتز، الديوان ٢/ ١٧٠، وفيه: ورد الأقاحي. (ج).

(٣) في ريحانة الألبا، ١/ ٤٦٠؛ والبدر الطالع، ص. ٤١٣؛ وتاريخ النور السافر، ص. ١٥٩.

كَيْفَ حارُوا فِيكَ وَا عَجَبَا ... يا مُنَى سَمْعِي وَيا بَصَرِي
أَنْتَ لا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ... غَيْرَ أَعْشَى[1] الفِكْرِ وَالنَّظَرِ
حِيرَةٌ عَمَّتْ فَأَيُّ فَتًى ... رام عِرْفاناً وَلَمْ يَحَرِ

وقوله: [المديد]

عاذِلِي فِي الحُبِّ أَوْ خَطَرِهْ ... لَسْتَ مِنْ لَيْلِي وَلا سَمَرِهْ
أَنَا فِي وادٍ[2] أَظُنُّكَ ما ... قِلْتَ فِي الأَفْيَاءِ مِنْ شَجَرِهْ
لا تُطِلْ فِيهِ المَلامَ إلى ... أَنْ تَذُوقَ الحُلْوَ مِنْ ثَمَرِهْ
إِنَّ سَمْعِي اليَوْمَ فِي صَمَمٍ ... عَنْ عَذُولٍ زادَ فِي هَذَرِهْ
يا حَلُولَ الشِّعْبِ مِنْ إِضَمٍ ... أَنْشِقُونِي النَّشْرَ مِنْ زَهَرِهْ
وَانْظِمُواْ فِي عَقْدِ قُرْبِكُمُ ... يا مُنَاهُ دُرَّ مُنْتَثَرِهْ[3]

وهي عروض قصيدة أبي نواس المشهورة، وهي من غُرره، وأولها[4]: [المديد]

أَيُّها المُنْتابُ مِنْ[5] عُفُرِهْ ... لَسْتَ مِنْ لَيلِي وَلا سَمَرِهْ
كَمَنَ الشَّنْآنُ فيهِ لَنا ... كَكُمُونِ النَّارِ فِي حَجَرِهْ
لا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ ... قَدْ بَلَوْتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ

---

(١) في البدر الطالع: «أعمى»، وتاريخ النور السافر: «عشق».

(٢) في (س): «وادي».

(٣) سقط هذا البيت من (ظ).

(٤) ديوانه، ص. ٢٥٥-٢٥٦.

(٥) في الديوان: «عن».

وهو عارض علي بن جَبَلَة(١) في قصيدته التي مدَح فيها أبا دُلَفٍ(٢)، ومنها:(٣) [المديد]

يـــا دَواءَ الأَرْضِ إِن فَـــسَدَتْ ... وَمُـــديلَ اليُـــسْرِ مِـــنْ عُـــسُرِهْ

كُـلُّ مَـنْ فِي الأَرْضِ مِـنْ عَـرَبٍ ... بَـــيْنَ بادِيـــهِ إِلَى حَـــضَرِهْ

ومنها(٤): [١٠٤/أ]

مُـــسْتَعِيرٌ مِنـــكَ مَنْقَبَـــةً ... يَكْتَـــسِيها يَـــوْمَ مُفْتَخَـــرِهْ

و(٥)منها:

إِنَّـــما الـــدُّنْيا أَبُـــو دُلَـــفٍ ... عِنْـــدَ مَـــسْراهُ وَمُحْتَـــضَرَهْ

فَـــإِذا وَلَّى أَبُـــو دُلَـــفٍ ... وَلَّـــتِ الـــدُّنْيا عَـــلَى أَثَـــرِهْ

وهي مشهورة أيضاً.

(١) هو علي بن جَبلة بن مسلم الخراساني بن عبد الرحمن الأبناوي المعروف بالعَكَوَّك (١٦٠-٢١٣ / ٧٧٦-٨٢٨): شاعر عراقي مجيد، أعمى، أسود، أبرص، من أبناء الشيعة الخراسانية. ولد بحيّ الحربية في الجانب الغربي من بغداد، ويلقب بالعَكَوَّك، وبه اشتهر ومعناه القصير السمين. وكان قد امتدح الخلفاء ومنهم الرشيد الذي أجزل له العطاء. اختلف في سبب وفاته فمنهم من يقول إن المأمون هو الذي قتله لأنه بالغ في مدح أبي دلف العجلي وحميد الطوسي ويخلع عليهما صفات الله. ومنهم من قال إنه توفي حتف أنفه. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٧٤٧؛ وفيات الأعيان، ٣/ ٣٥٠؛ الأعلام، ٤/ ٢٦٨.

(٢) هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير العجلي المعروف بأبي دُلَف (ت: ٢٢٦/ ٨٤١): أحد قواد المأمون، ثم المعتصم بعده. له صنعته في الغناء أخذ عنه الأدباء والفضلاء، وتوفي ببغداد. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٤/ ٧٣؛ سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٠٦٧؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٦٤٦.

(٣) من قصيدة طويلة في ديوانه ٦٥-٧٠. (ج).

(٤) ساقط من (ظ).

(٥) ساقط من (ظ).

[٧٣]

إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل ابن عبد اللّه بن عبد الرحمن[١]

العَلَوِيُّ الزَّبِيدِيُّ، شارحُ «جامع ابن هشام»، وصاحب التَّآليف الجليلة.

أغَرُّ يَمانِي، منه تُجْتَنى[٢] ثمر الأماني، ومُزْنَة وَطْفاء الأهداب، يهب بها رياض المعاني والآداب، ونَقَّابٌ محدِّثٌ ينِمُّ أفكاره على أسرار الغيوب، وربيع مَرِيع إذا أنْبَتَ الربيع البَقْلَ أنبتَ حياةَ القلوب.

وُلِدَ بزَبِيد، وبيت شرفه بها مشيد، وكانت للدهر فيه عِداتٌ لا تقبل المَطْلَ، ومقدّمات مرتّبة لنتائج الفضل، حتى ظهرت له اليدُ الطولى في جميع الفنون العقلية والنقلية، لاسيما ما أبدعه من دقائق العربية، فكم شفى أقواماً مِراضاً قلوبُها.

وما يعرف الأدواء إلَّا طبيبها[٣]

كما قال تلميذه الصدر في قصيدة مدحه بها: [السريع]

فَــإِنْ يَكُــنْ لِلنَّحْــوِ أَصْــلاً فَــلا   غَــرْوَ فَإِسْــماعيلُ أصْــلُ العَــرَبْ

مع شرفِ النَّسبِ وعُلُوِّ الحَسبِ، فهو المتكرم المتفضّلُ[٤]، المُعِمُّ[٥] المُخْوِلُ،

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي العلوي الزَّبِيدي الشافعي (...): ولد بزبيد، من ذرية اليمني، من شراح «الكشاف». انظر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٦٢.

(٢) في (س): «تجتلى» وهو خطأ من الناسخ.

(٣) عجز بيت لابن الدمينة، وللقتال الكلابي، صدره: بهنّ من الداء الذي أنا عارف. (ج).

(٤) في (س): «المفضل».

(٥) في (ظ): «المنعم».

والفخار فنون، والحديث شجون، والأخبار كلها إلى محاسنه عيون، فعرائس أفكاره لا ترضى الثريا قُرْطاً، وخرائد آثاره لا تلبس المجرَّة رِداءً ومِرْطا، ككتابه المسمى بـ«التعريف والبيان في شرح لَقْطَة العَجْلان» للزَّرْكشي[١] في علم المناظرة، وفنون المحاورة المشتمل على الأصلين، المنطق والجدل وغيرها من الفنون.

كما مدحه نسيبه الفقيه النبيه الجامع أشتات الفضائل المشتمل بلطيف [١٠٤/ب] الشمائل، عبد الحميد عفيف الدين ويس - وهو من علماء العصر وشعرائها باليمن إلَّا أنّي لم أقفْ على ترجمةٍ له[٢] - بقوله رحمه الله تعالى[٣]: [الكامل]

يا سائِلي جَهْلاً بِإسْماعِيلَ عَنْ ... مِقْدارِ رُتْبَتِهِ وَرِفْعَةِ شَأْنِهِ
أَنْصِتْ تَجِدْ تَعْرِيفَهُ وَبَيانَهُ ... كافِيكَ عَنْ تَعْرِيفِهِ وَبَيَانِهِ
أَوْ لا فَعُذْرُكَ فِيهِ عُذْرٌ واضِحٌ ... وَالشَّيْءُ قَدْ يَخْفَى لِبُعْدِ مَكَانِهِ

وممن مدحه أيضاً من شعراء العصر وفضلائه - ولم أقف على أحواله أيضاً - عامر بن هارون المَوْزَعِيّ[٤]، فإنه مدحه بقصائد، منها قوله في بعض قصائد |فيه|[٥]: [الوافر]

(١) هو أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٤٥-٧٩٤/ ١٣٤٤-١٣٩٢): أصولي، محدث، أديب. ولد بمصر، وتوفي بالقاهرة، ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة بكتمر الساقي. له مؤلفات كثيرة، منها: «لقطة العجلان وبلة الظمآن» في أصول الفقه، و«البحر المحيط» في أصول الفقه. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٨/ ٥٧٢؛ الأعلام، ٦/ ٦٠؛ معجم المؤلفين، ٣/ ١٧٤.

(٢) ورد «له» في (ظ) بعد «لم أقف».

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) زيادة من (ظ).

رَأَوْكَ فَضَلْتَهُمْ أَدَباً وَسَمْتاً فَنالُوا مِنْكَ عُدْواناً وَبُهْتَا
وَرامُوا النَّقْصَ مِنْكَ فَأَكْذَبَتْهُمْ ظُنُونُهُمُ وَعادَ الذَّمُّ نَعْتَا
حَماهُمْ نَجْمُ سَعْدِكَ أَنْ يَحُلُّوا مَحَلَّكَ أَوْ يَحُومُوا حَيْثُ حُمْتَا
تَصَرَّفْ يا بْنَ إبْراهِيمَ فِيما حَوَيْتَ مِنَ المَعارِفِ كَيْفَ شِئْتَا
وَكَيْفَ يَسُومُكَ الحُسَّادُ خَسْفاً وَأَنْتَ أَجَلُّهُمْ حَظًّا وبَخْتَا
وَأَبْرَعُ مَنْ تَلَفَّتَتِ المَعالِي إلَيْهِ وَمَنْ بَرَى قَلَماً وَأَفْتَى
فَسِرْ قُدُمًا فَقَدْ نادَيْتُ رَبِّي بِما ناداهُ ذُو النُّونِ بْنِ مَتَّى
بِأَنْ يَكْفِيكَ عادِيَةَ اللَّيالِي وَتَصْحَبَكَ السَّلامَةُ حَيْثُ كُنْتَا
وَقَدْ أُوْتِيتُ سُؤْلِي فِيكَ إذْ لَمْ تَزَلْ فَوْقاً وَمَنْ عاداكَ تَحْتَا
فَدُونَكَها عَرُوساً مِنْ صَدِيقٍ تَمُتُّ[١] بِصُحْبَةِ الآباءِ مَتَّا
وَخُذْها غَضَّةً مِنْ مَنْطَقٍ لا بِأَلْثَغَ لا يَبِينُ وَلا أَرَتَّا
رَبَطْتُ بِها مَعالِي الشَّمْسِ قَسْراً وَقَوَّمْتُ القَوافِي فِيكَ نَحْتَا
يَوَدُّ البَدْرُ لَوْ تَرْضَى بِهِ أَنْ يَكُونَ لَها أَخاً وَالشَّمْسُ أُخْتَا

وطالما عبقت له ريحانةٌ عنبرية الشميم، وتنفَّست في الأخبار[٢] بأنفاس النسيم، فلو وضعت صنجاتُ النجوم في ميزان السما، لم تعادل شرفه الذي على هامة السماء سما، فيا له من راجح زاد [١٠٥/أ] ارتفاعاً، فانخفض كلُّ راجح لعلاه اتضاعاً، مع زهدٍ ليس[٣] طَرْفُهُ لعَروسِ الدُّنيا بِراني، ولا بدع فالحكمة يمانية،

(١) في (ظ): «يمت».
(٢) في (ظ): «الأخيار».
(٣) في (ظ): «لبس».

والإيمان يماني.

وهو من طينة الفضل مخلوق، حتى كأن النسيمَ من رقَّة طبعه مسروق، وأيامه عيدان[١] والناس من الفضل صيام، وبدر تمامه لاح في سرار الأيام، وعلى ذلك لم يجلبْ إلى سوق الكساد منه بضاعة، فإنه قيل من أسماء الذل التواضع والفقر[٢] القناعة، وقد جمع الله به في عصره شمل المحاسن، وأجرى به ماء المكارم غير آسن، مذ ناط تمائم المجد في جيد وجوده، وأطلع له طالع السعد من أفق آبائه وجدوده.

وله من التصانيف كلُّ حسنٍ لم تنتطق بفضول الملام، ولم تستطع لفخامتها أن ترمقها عيون الأفهام، ومنهل إفادة عذب، وحيها[٣] أنضر من عود الشباب الرطب، وقد ملك ربع الفضل إذ عمره وأهله، ولا بدع فمن أحيا مواتاً فهو له.

* * *

خاتمة خيرٍ تليق بهذا المقام: وقع في «شرح البردة» لابن مرزوق، وفي «شرح الهمزية» لشيخ والدي الشهاب الهيتمي في ذكر بدر أنَّ بها آيةً باقية من آيات النبوة، وهي سماعُ صوتٍ هائل كصوت طبل الحرب، شاع على الألسنة أنّه لأجل نُصرة النبي ﷺ فرحاً به، وأنكره قوم، وقالوا: لا حقيقة له، وإنَّما هو صوت ريح تُسمع في ذلك الوادي وقت هبوبها، وبها جبلا رمل عظيمان، إذا تحرك الناس بينهما، وعصفتِ الريح سُمع ذلك الصوت، وذهب آخرون أن له حقيقةً، وقد

(١) في (ظ): «عيد أتى».

(٢) في (ظ): «العز القناعة».

(٣) في (ظ): «وجيها».

سُمع ذلك والجو ساكن، وتكرَّر سماعُنا له بلا ريب وقال من يسكن ثمّة: إنَّه يسمع كثيراً، وإنَّه يكثر في ليلة الاثنين والجمعة، وقالوا: إنّ قوماً من مؤمني الجنِّ يفعلونه فرحاً بنصرة النبي ﷺ بها.

أقول: قال الجاحظ في كتاب «الحيوان»[1]: [١٠٥/ب] قال أبو إسحاق: قد يوجدُ لأوساط الفيافي، والرمال، والحرار[2] في أنصاف النهار دَوِيٌّ كصوت الطبل، ولذا قيل للفلاة ذو دوية. والعربُ تزعم أنّه صوت الجن، وإنما هو من طبع ذلك المكان، والزمان لما يعرض له، وعلى زعمهم قال ذو الرمة[3]: [الطويل]

وَرَمْلٍ عَزِيفُ الجِنِّ في عَقِداتِهِ هَريرٌ[4] كَتَضْرابِ المُغَنّينَ بِالطَّبْلِ

انتهى.

* * *

وقال ابن عربي في «شرح ديوان ترجمان الأشواق» في قوله[5]: [مجزوء الرجز]

قَدْ تَكْذِبُ الرِّيحُ إِذا تُسْمِعُ ما لَمْ تَسْمَعِ

مثاله: الريح إذا هبت ببدر وحُنين فتسمع آذانُ الناس كوساتٍ، ومعلوم أنه ما ثمة كوسٌ تُضرب ولا طبل، وإنّما تلك الأصواتُ للريح وانزعاجها في الهبوب في أماكن مجوفة تعطي تلك الأصوات، فعلى الحقيقة إنَّما الريحُ أعطت صوتاً في آذان السامع لا غير. والحاكم عليها بأن ذلك صوتُ طبلٍ أو غيره ليس

(١) كتاب الحيوان ٦/ ٢٤٨. (ج).

(٢) في (ظ): «الجزر». وفي (س): الجراد. والمثبت من كتاب الحيوان. (ج).

(٣) ديوانه، ص. ٥٥.

(٤) في الديوان: «هزيز».

(٥) ترجمان الأشواق، ص. ١٢٢.

ذلك؛ وإنما أخطأ الحاكم على ذلك الصوت بأنَّ كذا وهكذا كلما يعطيه الحسُّ من المغاليط، وليس على الحقيقة نسبة الغلط إلى الحسِّ؛ وإنما الغلط للحاكم به[١] وهو إدراك آخر وراء الحس. انتهى.

يعني أن هذا من أغلاط الحسِّ، ولا يختصُّ بهذا المكان، فقد شاهدناه في مَهامِهَ شتّى، وفي بدر وغيره |و|[٢] للنبيِّ ﷺ آياتٌ غنية عن دق الطبول ونداء منادي الهواء على التلول، كما قلت في رباعية: [الدوبيت]

ما دَقَّ بِبَدْرٍ مِنْ صَدَى الأَهْوَاءِ طَبْلٌ فَرَحاً بِباهِرِ الأَنْبَاءِ
يَكْفِيهِ البَدْرُ دَفُّهُ مَضْرُوبُ مُذْ شَقَّ وَدْقَهُ عَصَا الجَوْزَاءِ

ولو كان هذا من جملة الآيات ما غفلَ عنه أهلُ العصور الأُول إلى زماننا مع شغفهم بآياته وافتخارهم بباهر معجزاته. [١٠٦/أ]



(١) ساقط من (ظ).
(٢) زيادة من (ظ).

القسم الثالث

في أعيان الأدباء الفضلاء بمصر ونواحيها
والقاطنين بها والواردين عليها

[٧٥]

الأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي[1]

نادرة الدهر، غُرَّة وجْهِ العصرِ، إنسانُ عينِ الأقاليم، فريدةُ عِقْدِ المجد النظيم، مَوْردُ فضلٍ عذُبَتْ مناهلُ وُرودِه، وربيعُ كرم قطف بيد الأمل غَضَّ وُروده، فسائله يَرْفُلُ في برودِ الغِنى حاليا، ويكفيه السلام عليه تقاضيا، والنيل يشيرُ بالأصابع إلى وفائه، والعَنْبَرُ الرَّطْبُ عبدٌ لحرٍّ ثنائه: [مجزوء الكامل]

إِذْ لَـيْسَ يَـشَرَقُ بِالـسُّؤا لِ وَلا يَغَصُّ مِنَ النَّدامَهْ

وهو جامع لما تفرَّق من شمل الفضائل، وتهزُّه الأريحيَّةُ بشمائل الشمائل، مالك أزِمَّةِ البيان، إذا تجارتْ في مضماره الفرسان، أوحد الفضلاء مجداً، وأصفاهم من قذى الرياء وِرْداً، حديث أخلاقه الغر، وغرر سماته الزُّهْر، عنوان كتاب المكارم، ورياض فضائله الخضر، ورقيق نائله الحرّ لمآثر حاتم خاتم، ناظم ما انتثر من المآثر، فَذْلَكَةُ كمال الأوائل والأواخر، تِرْبُ الحدائق جرَّ عليها النسيمُ أذياله، فتنبَّهتْ عيونُ أنوارها، وتثنَّتْ قدودها الميَّادة الميّالة، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٢]، الأرض[2] بمسِّ نعاله يفاخر العنبر الرطب ثراها،

---

(١) محمد بن محمد أبي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي، أبو المكارم شمس الدين (٩٣٠-٩٩٣ / ١٥٢٤-١٥٨٥): فقيه، صوفي، أديب، شاعر، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بمصر، وأخذ عن والده، والقاضي زكريا، وغيرهما. وتوفي بمصر. من مؤلفاته: «شرح مختصر أبي شجاع» في فقه الشافعية، و«ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٢٢٠ و٢٢٣؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦٣٢؛ تاريخ النور السافر، ص. ٤١٤؛ الأعلام، ٧/ ٦٠؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٦٨١.

(٢) في (ظ): «للأرض».

فعلمه حدّثْ عن البحر ولا حرج، وبراعته تسلب الألباب والمهج، مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الأبصار، وفيضِ نوالٍ تضطرب لغيرتها منه البحار، سارت الصَّبا بنشره، وانتشر له صيتٌ طوى ذكر حاتم[١] طي بنشره.

وكان يسير سيرة الملوك، وعن الملوك فلا تسل، وينثر فرائد النصائح من أسلاك السلوك، ليحسن نظمها يد العلم والعمل: [المنسرح]

لَـوْ تَفْهَـمُ الـوُرْقُ سَـجْعَهُ خَلَعَـتْ عَلَيْـــهِ أَطْواقَهـــا مِـــنَ الطَّـــرَبِ

واجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الأمثال، إن ذكر جوده فما [١٠٦/ب] حاتم الطائي، أو فصاحته فما [أبو تمام] الطائي[٢]، أو حدّة ذكائه فما إياس[٣]، أو همته العربية فما أبو فراس، وأبو نواس[٤].

وقد رزق أبناء ورثوا الكمال لفظاً ومعنى، لو تقادم عهدهم كانوا عنوان كتاب (نجباء الأبناء)، وكان زمانه عرسَ الفلك، فكأنّما ناداه الدهر؛ أما الكمال فلك.

وقد رأيته إذ شدت بالصِّبا أمراسي، وطيلسان رأسي عباسي[٥]، وتميمةُ الصبيّ في جيد عُمري، وما شبَّ عن الطَّوق عَمري، ولم يزل كذلك حتى غربت أنوار شمسه، فتوارت في عين حميئة من رمسه.

فمن مونق أنواره، ومشرق أنواره قوله: [السريع]

يـــا يَـــوْمَ بُـــولاقٍ وَأُنْـــسِي بِـــهِ حَكـــاكَ مِـــنْ شَـــوَّال يَـــوْمُ الهِـــلَالْ

---

(١) في (س): «خاتم».

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من ريحانة الألبا ٢/ ٢٢٥. (ج).

(٣) هو إياس بن معاوية، يضرب المثل بذكائه. (ج).

(٤) ساقط من (ظ).

(٥) رايات بني العباس كانت سوداء.

إذْ أَقْبَــلَ النِّيــلُ جَنُوبــاً وَمــا مِــنْ عــارِضٍ إلَّا نَـسِيمُ الـشَّمالْ
يــا عارِضــاً أَوْجَــبَ لِلنِّيــلِ مــا سَلْــسَلُهُ وَهْــوَ طَلِيــقُ المَجَــالْ
وَقَهْــــوَةً تَنْــــضَحُ مِـــسْكاً وَلا بِــدْعَ فَفِــي الفِنْجـانِ شَـكْلُ الغَـزَالْ
حَبابُهـــا مِـــنْ فَوْقِهــا مــانِعٌ نِفــارَهُ فَهْـــوَ شِـــباكُ الـــلَّآلْ
تُـــدِيرُها هَيْفـــاءُ مَمْـــشُوقَةٌ خَــوْدٌ تَثَنَّــتْ فِي بُــرودِ الــدَّلَالْ
كــادَ حِجَــا مَــنْ أَقْبَلَــتْ نَحْــوَهُ يُــذْهَبُ مِــنْ رَنَّـاتِ ذاتِ الحِجَـالْ
بِغُــــرَّةٍ أَوْ طُــــرَّةٍ وَزَّعَــــتْ أَفْكارَنــا بَــيْنَ الهُــدَى وَالــضَّلَالْ
تَقُــولُ لِلــشَّمْسِ وَقَــدْ أَقْبَلَــتْ تَلَثَّمِــي مــا أَنْــتِ إلَّا خَيَــالْ

قوله: «حَبابها... إلخ» هو كقول ابن حَمْدِيس[١]:[البسيط]

بِكْــرٌ حَـصانٌ إذا مـا المـاءُ واقَعَهـا أَبْـدَتْ لَنـا زَبَـداً مِـنْ شِـدَّةِ الغَـضَبِ
كـادَتْ تَطِـيرُ نِفـاراً حِـينَ نافَـسَها[٢] لَوْلَا الشِّباكُ الَّتِي صِيغَتْ مِنَ الحَبَبِ

ومنه أخذ القِيرَاطِي[٣] قوله[٤]: [الرمل]

---

(١) هو عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي أبو محمد (٤٤٧-٥٢٧ / ١٠٥٣-١١٣٣) شاعر مبدع، ولد وتعلم في جزيرة صقلية، ورحل إلى الأندلس، فمدح المعتمد بن عباد فأجزل له عطاياه. وانتقل إلى إفريقية. وقد فقد بصره، توفي بجزيرة ميورقة عن نحو ثمانين عاماً. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ديوانه (دراسة المحقق)، ص. ٣؛ وفيات الأعيان، ٣/ ٢١٢؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٤٦. لم يرد البيتان في ديوانه.

(٢) الشطر في (ظ) هكذا: «كادت تطير وقد طرنا به فرحا».

(٣) هو برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن بحر بن سادن بن هلال القيراطي (٧٢٦-٧٨١ / ١٣٢٦-١٣٧٩): شاعر أديب. وتوفي بمكة. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٨/ ٤٦٥؛ إيضاح المكنون، ٢/ ٥٠١؛ معجم المؤلفين، ١/ ٣١، ٤١.

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٢٧.

صُبَّ في الكَأْسِ عَقِيقٌ فَجَرَى ... وَطَفا الدُّرُّ عَلَيْهِ فَطَفَحْ
نَصَبَ السّاقِي عَلَى حافاتِهِ ... شَبَكَ الفِضَّةِ فَاصْطادَ الفَرَحْ

[١٠٧/أ] ومن شعره أيضاً قوله: [السريع]

اَلْجِسْرُ فِي الماءِ وَقَدْ كادَ أَنْ ... يَخْفَى وَضَوْءُ الشَّمْسِ أَمْرٌ عَجَبْ
خَطٌّ مِنَ العَنْبَرِ فِي لُجَّةٍ ... مِنْ زَيْبَقٍ قَدْ مُوِّهَتْ بِالذَّهَبْ

وللقاضي ناصح الدين الأرَّجاني من قصيدة(١): [الكامل]

وَالْجِسْرُ تَحْسَبُهُ طِرازاً أَسْوداً ... قَدْ لاحَ فَوْقَ مُلاءَةٍ بَيْضَاءِ
واللَّيْلُ قد نَسَخَ الكواكِبَ نُسْخَةً ... لِلأَرْضِ غَيْرِ سَقِيمَةٍ للرَّائِي(٢)
والأَصْلُ لِلْخَضْراءِ، فهْوَ بِكَفِّها ... وبِهِ يُقابِلُ(٣) نُسْخَةَ الغَبْرَاءِ
أمْسَى وقَدْ نَسَخَ السَّماءَ جَمِيعَهَا ... مِنْ حِذْقِهِ(٤) في صَفْحَةٍ للماءِ

وقوله رحمه الله تعالى(٥): [السريع]

ما أَرْسَلَ الرَّحْمٰنُ أَوْ يُرْسِلُ ... مِنْ رَحْمَةٍ تَصْعَدُ أَوْ تَنْزِلُ
فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَوْ مُلْكِهِ ... مِنْ كُلِّ ما يَخْتَصُّ أَوْ يَشْمَلُ
إِلَّا وَطٰهَ المُصْطَفَى عَبْدُهُ ... نَبِيُّهُ مُخْتارُهُ المُرْسَلُ

---

(١) ديوانه، ١/ ٣٥-٣٦.
(٢) في الديوان: «الأضواء».
(٣) في الديوان: «تقابل».
(٤) في الأصل: «من حدقة».
(٥) في (ظ): «قدس الله سره» بدلا من «رحمه الله تعالى». والأبيات في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٢٧-٢٢٨؛ وتاريخ النور السافر، ص. ٤١٩-٤٢٠؛ وشذرات الذهب، ١٠/ ٦٣٣، فيه الأبيات الأربعة الأولى.

واسِـــطَةٌ فِيهـــا وَأَصْـــلٌ لهَـــا يَعْلَـــمُ هٰـــذا كُـــلُّ مَـــنْ يَعْقِـــلُ
فَلُـــذْ بِـــهِ فِي كُـــلِّ مـــا تَرْتَجِـــي فَهْـــوَ شَـــفِيعٌ دائِـــماً يَقْبَـــلُ
وَعُـــذْ بِـــهِ مِـــنْ كُـــلِّ مـــا تَخْتَـــشِي فَإِنَّـــــهُ المَرْجِـــــعُ وَالمُوْئِـــــلُ
وَحُـــطَّ أَثْقـــالَ الرَّجـــا عِنْـــدَهُ فَإِنَّـــــهُ المَـــــأْمَنُ وَالمَعْقِـــــلُ
وَنـــــادِهِ إِنْ أَزْمَــــــةٌ أَنْــــشَبَتْ أَظْفارَهـــا وَاسْـــتَحْكَمَ المُعْـــضِلُ
يـــا أَكْـــرَمَ الخَلْـــقِ عَـــلَى رَبِّـــهِ وَخَـــيْرَ مَـــنْ فِـــيهِمْ بِـــهِ يُـــسْأَلُ
قَـــدْ مَـــسَّنِي الكَـــرْبُ وَكَـــمْ مَـــرَّةٍ فَرَّجْـــتَ كَرْبـــاً بَعْـــضُهُ يُـــذْهِلُ
وَلَـــنْ تَـــرَى أَعْجَـــزَ مِنِّـــي فَـــما لِـــــشِدَّةٍ أَقْـــــوَى وَلا أَحْمِـــــلُ
فَبِالَّـــذِي خَـــصَّكَ بَـــيْنَ الـــوَرَى بِرُتْبَـــــةٍ عَنْهـــا العُـــلا تَنْـــزِلُ
عَجِّـــلْ بِإِذْهـــابِ الَّـــذِي أَشْـــتَكِي وَإِنْ تَوَقَّفْـــــتَ فَمَـــــنْ أَسْـــــأَلُ
فَحِيلَتِـــي ضـــاقَتْ وَصَـــبْرِي انْقَـــضَى وَلَـــسْتُ أَدْرِي مـــا الَّـــذِي أَفْعَـــلُ
[١٠٧/ب] فَأَنْـــــتَ بــــابُ اللهِ أَيُّ امْـــرِىءٍ أَتـــاهُ مِـــنْ غَـــيْرِكَ لا يَـــدخُلُ
صَـــلَّى عَلَيْـــكَ اللهُ مـــا صـــافَحَتْ زُهْـــرَ الـــرَّوابِي نَـــسْمَةٌ شَـــمْأَلُ
مُـــسَلِّماً مـــا فـــاحَ عِطْـــرُ الحِمَـــى وَطـــابَ مِنْـــهُ النَّـــدُّ وَالمَنْـــدَلُ
وَالآلِ وَالأَصْـــحابِ مـــا غَـــرَّدَتْ ســـاجِعَةٌ(١) أُمْلُودُهـــا مُخْـــضَلُ

ومما يقطر منه ماء الفصاحة، وتشرق منه مخايل الملاحة، قوله في بعض مناجاته، وظهور أنوار التجلي من مشكاته: [الخفيف]

رَبِّ إِنِّي عَبْـــدٌ ذَلِيـــلٌ ضَـــعِيفٌ فَلِحـــالِي بِـــاللُّطْفِ مِنْـــكَ تَـــدارَكْ

---

(١) في (ظ): «قمرية».

كُلُّ قَطْرٍ أَصابَنِي مِنْكَ بَحْرٌ كَيْفَ وَالْحالُ فِيَّ تَجْرِي بِحَارُكْ
كُلُّ جُزْءٍ مِنِّي لِشُكْرِكَ دارٌ عَمَّرَ اللهُ يا حبيبِي دِيارَكْ

وهذا كقول العارف بالله(١): [الخفيف]

بِانْكِسارِي بِذِلَّتِي بِخُضُوعِي بِافْتِقَارِي بِفاقَتِي بِغِنَاكَا
لا تَكِلْنِي إِلَى قُوَى جَلَدٍ خَانَ(٢) فَإِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ضُعَفَاكَا

وله أيضاً رحمه الله تعالى: [مجزوء الرمل]

لِي فِي الشَّارُوخِ مَعْنًى هُوَ لِلنَّاظِرِ عِبْرَهْ
حِينَ يَعْلُو فَهْوَ فَرْدٌ وَهْوَ إِذْ يَسْفُلُ كَثْرَهْ

وهو معنى بديعٌ، والشاروخ لفظ مولَّد وهي قصبة يشد في طرفها ورق مملوء بما يشتعل ناراً كما هو معروف(٣).

ونزل يوماً بمستَنْزِهٍ نضر، تلاقى في شاطئه ماء الحياة والخضر، وتراءت منازله تَرَائي الزهر في المجرّة، والنيل مضطرب لمفارقة ما في مواطنه من المسرَّة، ولسان النسيم يصف نشره، ويعطّر بثنائه برَّه وبحره.

فكتب للعُسَيْلي يستدعيه إلى نزول بدره في بروج تلك المنازل، ويسلّيه عن عَرَضٍ ألمَّ بجوهر ذاته من الدمامل، بقوله: سيدنا البرّ الذي يجري بحرُ الفضائل من بره ويعذبُ الوِرْدُ والصدر بما يصدر عن صدره، [١٠٨/أ] ويفيض إحسانُه فلا نهر لراجيه وآمله، وتبتدر الأنامل له لتلقي تيار أنامله، وتتزاحم على سيف

(١) هو عمر بن الفارض، والبيتان في شرح ديوان ابن الفارض، ١/ ٣٢٥.

(٢) في (ظ): «خال».

(٣) في ريحانة الألبا ٢/ ٢٤٠: الشاروخ: لفظة مصرية، وهي نوع من ملاعب النيران معروف. (ج).

زخّارِ علومه رقابُ أعدائه على سيفه، وتخضرُّ خَضارة الدَّوِّ وقد أسبل عليها من صوْبِ مَدَده رداء الجو لينام الأنام من ظلِّه بوَرِيفه.

أبقاك الله وبحرُ أفضالك في مزيدٍ يُشارُ إليه بالأصابع، والوفاء طباعك، فغيَّرَك المُخْلَق بُرْدُه إذا تخَلَّق مقياسك لكلِّ أصفر فاقع، والخبر يمتاح من كَسْرِ عدوِّك بِعامِل الجرِّ من الرفع إلى الخفض، فالمدُّ والإطناب والوصل بهمز القطع بالطول والعرض، ممّا لم يدركْه فَلَكِيٌّ ولو طرح في نهر المجرَّة شباكَ الجداول، ولا رَصْدِيٌّ ولو تجاوز السرطان والسماك من المنازل.

علم سيدنا لا زالتْ أمواج فضله تنثرُ بالعقيان لآلىء الإحسان وتنثُل، ولا فَتِيءَ نهرَ الله إذا كان غيره نهر مَعْقِل. محيط بأن مدينة بولاق هي الآن مجتمع البحور، ومدارُ فَلَك السرور بفُلك الحُبور، طفَحت بالنيل ولا جُزِر عن الجزر والجزر لمدِّه المديد، واستلَّتْ سيف النهر لقطع حروف الجروف من أقصى الصعيد، والمنتهى سعيدٌ الرشيد، غير أنها على طَمْوِ بِحارِها اشتاقتْ إلى مدد تلك العين، وقالت: اسْتَفْتِ قلبك هل مدٌّ يشغل عن هذا البحر الذي تقصر عنه الأنهار من أين إلى أين؟

على أني أقسم بالفجر إنَّ الفرج لحاصل، وأن معدَّل السطح لا يظهر فيه للكُرَة أثر هائل، والله جلَّ كبرياؤه مصغِّر الكبير بفضله، فلا حاجة للعصر وأهله، وعلينا أن نُلقِيَ[1] دَلْوَ الطلب ولو إلى ما تحت الحوت، عسى يفيض فتجري البحور في البيوت، ويحصل توشيح هذا البيت بكلِّ خَرْجَةٍ[2] داخلة في الطرب،

(١) في (ظ): «نلق».

(٢) الخرجة هي الخاتمة العاميّة في الموشحات. وانظر صفحة (٤٣٨). (ج).

نادرةٍ على لزومها المَقِيس ولا يقاس عليها وهذا من العجب، والسلام.

وقوله: (الفجر) كقول ابن نُباتَة المصري [رحمه الله تعالى][(١)]: [الكامل][١٠٨/ب]

لا تَخْشَ مِنْ هَمٍّ[(٢)] كَغَيْمٍ عارِضٍ ... فَلَسَوْفَ يُسْفِرُ عَنْ إضاءَةِ بَدْرِهِ
إنْ تُمْسِ عَنْ عَبَّاسِ حالِكَ راوِياً ... فَكَأَنَّني بِكَ راوِياً عَنْ بِشْرِهِ
وَلَقَدْ تَمُرُّ[(٣)] الحادِثاتُ عَلَى الفَتَى ... وَتَزُولُ حَتَّى لا تَجُولَ[(٤)] بِفِكْرِهِ
وَلَرُبَّ لَيْلٍ فِي الهُمُومِ[(٥)] كَدُمَّلٍ ... صابَرْتَهُ حَتَّى ظَفِرْتَ بِفَجْرِهِ

«ونهر معقل» بالبصرة وهو معقل بن يسار المزنيَّ الصحابي، وإليه ينسب التَّمْرُ المعقلي، وفي المثل: إذا جاء نهر الله بطَل نهر معقل. ونهر الله ما يأتي به المد فيَطُمُّ على أنهارها كلّها، وله أيضاً: [المتقارب]

أَقُولُ وَقَدْ قِيلَ لِي كَمْ[(٦)] مَضَى ... أَدِيبٌ لَهُ حُسْنُ نَظْمٍ جَلِيلِ
دَعُوا كُلَّ ذِي أَدَبٍ يَنْقَضِي ... ويَحْيَى العُسَيْلي[(٧)] ويَحْيَى الأصيلي[(٨)]

وكان - قدس الله سره - سمح البديهة، جواد الطبيعة، وله في ذلك مناقب مشهورة، وبدائع مأثورة، كما اتفق له أنه أراد كتابة رقعة[(٩)] شفاعة، فلمّا أخذ القلم

---

(١) زيادة من (ظ). والأبيات في ديوانه، ص. ٢٩-٣٠.

(٢) في الديوان: «غم».

(٣) في (ظ): «تمر على».

(٤) في (ظ) وفي الديوان: «ما تمر».

(٥) في (ظ): «للهموم».

(٦) في (س): «قد».

(٧) ستأتي ترجمته تحت رقم [٧٩].

(٨) ستأتي ترجمته تحت رقم [٨٠].

(٩) في (ظ): «رفعة».

سقط من يده، فقال بديهة: [الوافر]

وَلَمَّـا ضَـاقَ عَنْـهُ الطِّـرْسُ وَصْـفاً   جَعَلْـتُ لَـهُ بَـسِيطَ الأَرْضِ طِرْسَـا

وهذا من بدائع البدائه[1] التي يظمأ التَّرَوي إليها، ويقف الحسن مُتحيِّراً عليها، وفي معناه قول البَحَّاثِي[2] في مرثية غريق. [الوافر]

وَلَمَّـا لَمْ يَـسَعْهُ الـبَرُّ قَـبْراً   غَـدا البَحْـرُ المُحِـيطُ لَـهُ ضَرِيحَـا

وهو من قول ابن الأنباري[3] في الوزير ابن بَقِيَّة[4] إذ صلب، في القصيدة المشهورة[5]: [الوافر]

وَلَمَّـا ضَـاقَ بَطْـنُ الأَرْضِ عَـنْ أَنْ   يَـضُمَّ عُـلاكَ مِـنْ بَعْـدِ المَـمَاتِ

---

(١) في (س): «البديهة».

(٢) هو محمد بن إسحاق بن علي بن داود بن حامد الزوزني البحاثي أبو جعفر (ت: ٤٦٣/ ١٠٧١): أديب، شاعر، من القضاة. توفي بغزنة. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: معجم الأدباء، ٦/ ٢٤٢٧؛ إيضاح المكنون، ١/ ١٦٥، ٦٢٩؛ الأعلام، ٦/ ٢٩؛ معجم المؤلفين، ٣/ ١٢٢.

(٣) هو محمد بن عمر بن يعقوب، أبو الحسن بن الأنباري (ت: ٣٨٠/ ٩٩٠): شاعر مقل، من الكُتاب. كان أحد العدول ببغداد. وكان صوفياً واعظاً. اشتهر بقصيدته في رثاء الوزير ابن بقية. انظر ترجمته: الأعلام، ٦/ ٣١٢.

(٤) هو محمد بن محمد بن بَقِيَّة بن علي، نصير الدولة أبو الطاهر الوزير (٣١٤-٣٦٧ / ٩٢٦-٩٧٨): وزير من الأجواد. تنقلت به الأحوال، ووزر لمعز الدولة بن بويه. وقد كان أبوه فلاحاً، ثم عزل، وسُمل، ولما تملك عضد الدولة قتله وصلبه في شوال، ورثاه أبو الحسن الأنباري بقصيدته التائية المشهورة، ولم يزل ابن بقية مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة، فأنزل عن الخشبة، ودفن في موضعه. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٥/ ١١٨؛ شذرات الذهب، ٤/ ٣٦٤؛ نزهة الجليس، ١/ ٣١٤؛ الأعلام، ٧/ ٢٠.

(٥) الأبيات في وفيات الأعيان، ٥/ ١٢٠؛ وشذرات الذهب، ٤/ ٣٦٤؛ ونزهة الجليس، ١/ ٣١٥.

أَنَــابُوا[1] الجَــوَّ قَــبْرَكَ وَاسْــتَنابُوا عَــنِ الأَكْفــانِ ثَــوْبَ الــسَّافِيَاتِ

ومثله قول صاحبنا المنوفي في رأسٍ على رمحٍ: [الخفيف]

هامَــةٌ فِي الحَيَــاةِ طاوَلَــتِ الــشُّهْـ ــبَ وَمــا نالَهَــا هُبُــوبُ الرِّيَــاحِ
أنِفَــتْ بَعْــدَ مَوْتِهــا الــتُّرْبَ فَاخْتَــا رَتْ لَهَــا مَــسْكَناً رُؤُوسَ الرِّمَــاحِ

ومن قصيدة له[2]: [الخفيف] [١٠٩/أ]

يَــا ظِبــاءً بِقاعَــةِ الوَعْــسَاءِ وَمِلاحــاً بِــأَيْمُنِ الجَرْعَــاءِ
نَزَلُــواْ بِــالْعَقِيقِ أَزْهَــرَ رَوْضٍ نَــسَجَتْ بُــرْدَهُ يَــدُ الأَنْــوَاءِ
باكَرَتْــهُ هَواطِــلُ المُــزْنِ فَــافْتَرَّ يُرِينــا لآلِــئَ الأَنْــدَاءِ
مــا خِيــامٌ عَــلَى النَّقــا وَالمُــصَلَّى وَقِبــابٌ بِالْحِلَّــةِ الفَيْحَــاءِ
وَالــتَّحَلِّي سَــناءُ نُــورِ الــتَّجَلِّي وَسَــبِيلُ البَقــاءِ وَصْــفُ الفَنَــاءِ[3]
فَتَــسَنَّمْ صَــفْواتِهِ[4] الغُــرَّ مَلْــسَا ءَ وَبَــادِرْ لِلْهَــضْبَةِ القَعْــسَاءِ

ومنها: [الخفيف]

أَنَــاْ مَــنْ حَجَّــتِ القُلُــوبُ إِلَيْــهِ أَنَــاْ مَــنْ صــارَ قِبْلَــةَ الأَصْــفِيَاءِ
يَــا مُلُــوكَ الجَــمالِ إِنِّي أَسِــيرٌ فِي يَــدَيْكُمْ وَقَــدْ عَــدِمْتُ فِــدَائِي
وَدَوائِــي طِيــبُ الوِصــالِ وَلِمْ لا وَمِــنَ البَحْــرِ[5] وَالــصَّبابَةِ دَائِــي

(١) في وفيات الأعيان، وشذرات الذهب، ونزهة الجليس: «أصاروا».

(٢) في (ظ): «وله رحمه الله من قصيدة». والأبيات الأربعة الأولى في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٣٢.

(٣) سقط هذا البيت من (ظ).

(٤) في (ظ): «صهواته».

(٥) في (ظ): «الهجر».

و[له](١) من أخرى: [الطويل]

كُــلُّ مَــنْ قــالَ أَنَّــهُ عــارِفُ الوَقْــ ـــتِ فَهٰـــذا الكُمَيْـــتُ وَالْبَيْـــدَاءُ

ومن أخرى: [الطويل]

أَما وَنَسِيمِ الـرَّوْضِ يَـنْفَحُ عَـنْ نَـدٍّ وَرِيحِ الـصَّبا [يثني](٢) بِأَعْطافِهِ المُلْدِ

لَقَــدْ نَعِمَــتْ نَفْــسِي بِغُــرَّةِ لَيْلَــةٍ وَحَـدِّثْ بِـها تَخْتـارُ عَـنْ زَمَـنِ الـسَّعْدِ

وَباتَــتْ تُعــاطِينِي المُــدامَ وَتــارَةً حَـدِيثاً كَـما هَـبَّ النَّـسِيمُ عَـلَى الـوَرْدِ

ومن أخرى(٣): [الطويل]

جَـرِيحُ ظُبـا تِلْـكَ العُيُـونِ النَّـواعِسِ طَعِـينُ قَنَـا تِلْـكَ القُـدُودِ المَـوَائِسِ

تَزايَـــدَ فِي لُبْنَـــى هَـــواهُ وَبَثُّـــهُ فَـصَيَّرَ قَيْـساً ضُـحْكَةً فِي المَجَـالِسِ

و[له](١) من أخرى: [الخفيف]

مــا رَأَتْــهُ العُيُــونُ إِلَّا وَقالَــتْ صَـــلَواتٌ عَـــلَى البَهـــا وَسَـــلامُ

ومن أخرى: [الخفيف]

يـا نَـسِيماً سَرَى يُحَـدِّثُ عَـنْ رَوْ ضِ الأَمــانِي بِأَلْــسُنِ الأَرْوَاحِ

كَيْـفَ قالَـتْ حَمامَـةُ الأَيْـكِ لَـمّا غَــــرَّدَتْ في إِمالَــــةِ الأَرْوَاحِ

إِنْ يَكُـنْ شَـجْوُها بِـذِكْرِي فَيـا طِيـ ـــبَ زَمــانِي وَغايَــةَ الأَفْــرَاحِ

ومن أخرى: [الوافر]

أَلا فَانْـــصَحْهُمُ يـــا دَهْـــرُ عَنِّـــي وَقُـلْ لَهُـمُ يتوبـوا(٤) عَـنْ شِـقَاقِي

(١) زيادة من (ظ).

(٢) ما بين معقوفين مستدرك للوزن والمعنى. (ج).

(٣) في (ظ): «وله من قصيدة».

(٤) في (س): «ينيؤوا».

ومن قصيدة له(١): [السريع]

حَـــدَّثَنا نَفْـــحُ عَبِـــيرِ الخُـــزَامْ عَــنْ وَجْنَــةِ الــوَرْدِ سَــقاها الغَــمَامْ
عَـــنْ عَـــذَباتِ الرَّنْـــدِ مَـــسْدُولَةً عَــنْ قامَــةِ الغُــصْنِ رَشِــيقِ القَــوَامْ
عَـــنْ نَعَـــسِ الأَعْـــيُنِ مَكْحُولَـــةً عَـــنْ لَعَـــسٍ يَهْـــواهُ كَـــأْسُ المُـــدَامْ [١٠٩/ب]
أَنَّ سُـــلَيْمَى أَسْـــعَفَتْ بِـــالمُنَى وَأَسْـــعَدَتْنا بِبُلُـــوغِ المَـــرَامْ
فَالْحَمْـــدُ للهِ بَلَغْـــتُ الهَنَـــا حَتَّـــى كَـــأَنِّي بِجِنـــانِ الـــسَّلَامْ

ومن شعره أيضاً قوله(٢): [الطويل]

أَلَا فِي سَـــبِيلِ اللهِ عُمْـــرِي مُـــضَيَّعُ وَفِكْـــرِي بِـــأَنْواعِ الأَمَـــانِي مُـــوَزَّعُ
أَمَـــا آنَ مِـــنْ خَمْـــرِ المَعَـــاصِي إِفَاقَـــةٌ أَمَـــا آنَ عَـــنْ ذُلِّ الـــذُّنُوبِ تَرَفُّـــعُ

وقوله(٣): [الخفيف]

خَمْـــرَةٌ كَالنَّـــسِيمِ لُطْفـــاً وَكَالمْـــا ءِ صَـــفاءً فَـــدَيْتُها مِـــنْ زُلَالِ
عَـصَرَتْها الـسُّقاةُ مِـنْ كَرْمَـةِ القُـدْ سِ بِأَيْـــدِي التَّفْـــصِيلِ وَالإِجْمَـــالِ

ومن قصيدة له(٤): [الخفيف]

رُبَّ وَرْدٍ قَطفْتُـــهُ بِيَـــدِ اللَّثْـــــ ــمِ مِــنَ الــوَجْنَتَيْنِ وَرْدِ الخُــدُودِ
وَقَـــضِيبٍ عَطَفْتُـــهُ بِيَـــدِ الـــضَّمِّ رَشِـــيقٍ مُهَفْهَـــفٍ أُمْلُـــودِ
يـــا سَـــقَى اللهُ يَوْمَنـــا وَالأَمـــانِي مُنْجِـــزاتٌ لَنـــا كَـــرِيمَ الوُعُـــودِ

---

(١) الأبيات الأربعة الأولى في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٤٣.

(٢) في (ظ): «وله سقى الله مثواه» بدلا من هذه الجملة.

(٣) في (ظ): «وله عفا الله عنه».

(٤) في (ظ): «وقال من قصيدة له».

حَيْـــثُ كُنّـــا بِـــلا رَقِيـــبٍ وَنِلْنـــا   كُـــلَّ مـــا نَبْتَغِـــي بِغَـــيْظِ الحَـــسُودِ

وقوله رحمه الله(١): [المجتث]

مـا فِي الرِّيـاضِ شَـقِيقٌ   يَحْكِـي شَـقِيقَ الخُـدُودِ
وَلا قَـــضِيبٌ رَشِـــيقٌ   حَكَـى رَشِـيقَ القُـدُودِ
فَبِـــالجَمالِ لَبِـــسْتُمْ   مِنْـــهُ بَـــدِيعَ الـــبُرُودِ
وَبِـــالْكَمالِ مَلَكْـــتُمْ   زِمامَـــهُ فِي الوُجُـــودِ
رُدُّوا لَيـــالِيَ وَصْـــلِي   بِـرَغْمِ أَنْـفِ الحَـسُودِ

وقوله رضي الله عنه(٢): [المجتث]

يـا أَيُّهـا القَـدُّ جـاوَزْ   تَ فِي التَّمايُـلِ حَـدَّكْ
كَـمْ ذا تَتِيـهُ عَـلَى مَـنْ   يَرْعَـى لَـكَ الـدَّهْرَ وُدَّكْ
وَاللهِ مُـذْ مـالَ قَلْبِـي   إِلَيْـكَ مـا خُنْـتُ عَهْـدَكْ
كَـمْ بِـتَّ عِنْـدِي أَجْنِـي   مِنْ رَوْضِ خَدِّكَ وَرْدَكْ
وبِـتَّ تَـشْرَبُ نَفْـسِي   وَبِـتُّ أَشْرَبُ خَـدَّكْ

[١١٠/أ] وقوله أيضاً(٣): [الخفيف]

وَحَيـاةِ العُيُـونِ تَنْفُـثُ سِـحْرَا   وَغُـصُونِ القُـدُودِ تُثْمِـرُ بَـدْرَا
وَيَمِينـاً بِمَنْطَـقٍ يَنْثُـرُ الـدُّرْ   رَ عَـلَى مَفْـرِقِ البَلاغَـةِ نَثْـرَا
وَجَمـالٍ يَـسْبِي عُقُـولَ البَرايـا   فَهْـيَ سَـكْرَى بِـهِ وَلَيْـسَتْ بِـسَكْرَى

(١) في (ظ): «وله قدس الله سره».
(٢) في (ظ): «وله» بدلا من هذه الجملة.
(٣) ساقط من (ظ).

لا أَرَى فِي الفُـؤادِ غَـيْرَكَ وَأشْـهَدْ ... يـا حِبيبِـي فَـصاحِبُ البَيْـتِ أَدْرَى

وقوله أيضاً[١]: [الطويل]

مُلُـوكُ جَمـالٍ قَـدْ مَضَواْ دُونَ ذِكْـرِهِمْ ... وَما كُلُّ شَـخْصٍ غـابَ يَبْقَى لَـهُ ذِكْـرُ

وقوله[٢]: [الكامل]

لا يَحْجُبَنَّـكَ زُخْـرُفٌ لُمَـوِّهٍ ... أَحْوالَـهُ، أَيْـنَ[٣] الهِبـاتُ مِـنَ الهَبَـا

وله: [الخفيف]

بَـيْنَ أَهْـلِ القُلُـوبِ وَالْحَـقِّ حَـالٌ ... هُـوَ سِرٌّ يَـضِيقُ عَنْـهُ المَقَـالُ

ومن أخرى: [الخفيف]

أَتُـرَى الـرَّوْضَ مُزْهِـراً فِي وُجُـودِي ... ثُـمَّ أَسْـعَى أَبْغِـي أَراكَـةَ وادِي

ومن أخرى: [الرجز]

يـا مَرْبَعـاً تَزْهُـو بِـهِ المَنـازِلُ ... صَـبَّحَكَ الغَيْـثُ المُلِـثُّ الهَاطِـلُ

وَلا بَرِحْـتَ رَوْضَـةً بِزَهْرِهـا ... حاليـةً إذ الـدِّمَى عَوَاطِـلُ

هَلْ[٤] خَبَرٌ عَنْ سَرْحَةِ الـوادِي الَّتِي ... غَنَّـتْ عَـلَى أَفْنانِهـا البَلابِـلُ

وَهَـلْ كَـما أَعْهَـدُهُ غَـدِيرُها ... كَالـسَّيْفِ زانَـتْ مَتْنَـهُ الـصَّيَاقِلُ

حَـصْباؤُهُ اليـاقُوتُ إلَّا أَنَّـهُ ... وَحالُـهُ هٰـذا فَقِـيرٌ سَـائِلُ

ومن أخرى: [الوافر]

---

(١) في (ظ): «وله رضي الله عنه».

(٢) في (ظ): «وله».

(٣) في (ظ): «ابن».

(٤) في (ظ): «عن».

وَاسْـمَعِ الألْحـانَ مِـنْ مُـسْمِعِها فبـه تَـسْمَعُ مَغْنًـى وتَـرَا

وقوله[١]: [المديد]

وَقَـضَى يَعْقُـوبُ حاجَتَـهُ وَانْتَهَـى زَيْـدٌ إلى الـوَطِرِ

وله[٢]: [الخفيف]

فـاتِقُ الرَّتْـقِ راتِـقُ الفَتْـقِ بِالْحَقْـ ـقِ وَمِـصْباحِ مَـسْجِدِ الإِتْقَـانِ

وقوله[٣]: [المجتث]

وَانْهَـضْ إِلَيْنـا فَهٰـذا يَـوْمٌ مِـنَ العُمْـرِ يُحْـسَبْ

وقوله[٤]: [البسيط]

فِيهِمْ تَجَرَّدْتُ عَنْ وَهْـمٍ وَعَـنْ شَبَهٍ ِللهِ أَحْرَمْـتُ وَالتَّوْحِيـدُ مِيقَـاتِي

وقوله[٥]: [البسيط]

يـا نَفْحَـةَ الـوَرْدِ وَالنِّـسْرِينِ وَالآسِ أَنَـا المَـرِيضُ فَهَـلَّا كُنْـتَ لِي آسِي

أَنَـا المُقِـيمُ عَـلَى العَهْـدِ القَـدِيمِ وَلا أَنْـساكَ لٰكِـنْ أَراكَ اليَـوْمَ لِي نَـاسِي

هٰـذا وَأَنْـتَ مُنَـى قَلْبِـي وَمُنْيَتَـهُ وَأَنْـتَ ذِكْـرِي إذا حَـدَّثْتُ جُـلاّسِي

ومن المثل السائر الذي أرسله قوله[٦]: [الخفيف][١١٠/ ب]

كَحِـمارِ الرَّحَـى يَـدُورُ وَلا يَـدْ رِي أَبُـرٌّ طَحْنَتُـهُ أَمْ شَـعِيرُ

---

(١) في (ظ): «ومن أخرى».

(٢) في (ظ): «ومن أخرى».

(٣) في (ظ): «ومن أخرى».

(٤) في (ظ): «وله».

(٥) في (ظ): «وله رحمه الله».

(٦) في (ظ): «ومن إرساله المثل قوله» بدلا من هذه الجملة.

وقوله[١]: [المتقارب]

وَعَبْـــدٌ يُـــرادُ وَعَبْـــدٌ يُرِيـــدُ وَعَبْـــدٌ يُقـــالُ لَـــهُ مَرْحَبَـــا

وقوله[٢]: [الكامل]

إنْ قِلْــتُ فِي رَوْضِ الجَــمالِ فَــإنَّ لِي ثَمَــرُ القُلُــوبِ وَغَــيْرِيَ الأَوْرَاقَــا

ومن رباعياته قوله[٣]: [الدوبيت]

أَهْــوَى رَشــاً لَــهُ فُــؤَادِي مَثْــوًى بَلْــوَايَ بِحُبِّـــهِ أَرَاهُ حَلْـــوَى

لا نِلْــتُ مِــنَ الوِصَــالِ مَــا أَطْلُبُــهُ إنْ كُنْــتُ أَرَدْتُ عَــنْ هَــوَاهُ سَــلْوَى

وقوله أيضاً[٤]: [الطويل]

بَلَغْـــتُ بِحَمْـــدِ اللهِ أَشْرَفَ رُتْبَـــةٍ وَقالَــتْ لِيَ الأَسْرارُ أَهْــلاً وَمَرْحَبَـا

وله: [الكامل]

لِي عِنْــدَ سُــكَّانِ الحِجــازِ وَدِيعَــةٌ أَوْدَعْتُهــا يَــوْمَ الرَّحِيــلِ مُــوَدِّعِي

وَأَظُنُّهـــا لا بَـــلْ يَقِينـــاً أَنَّهـــا قَلْبِـــي فَـــإنِّي لا أَرَى قَلْبِـــي مَعِـــي

وله أيضاً[٥]: [الخفيف]

إنْ أُدِيــرَتْ عَــلَى سِــوانا كُــؤُوسٌ مِـــنْ شَرابٍ مُعَتَّـــقٍ فِي الـــدِّنَانِ

فَعَلَيْنـــا دارَتْ كُـــؤُوسُ فُنُـــونٍ عَـــصَرَتْها لَنـــا يَـــدُ العِرْفَـــانِ

(١) في (ظ): «وله».

(٢) في (ظ): «وله».

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) في (ظ): «وله من قصيدة».

(٥) في (ظ): «وله أكرم الله وجهه».

وله أيضاً[(١)]: [مجزوء الكامل]

أَأَكُونُ وافِدَ ساحَتِكْ وَنَزِيلَ دَارَ كَرامَتِكْ
وَيُصِيبُنِي أَدْنَى أَذًى كَلاَّ وَحَقِّ سِيادَتِكْ

|وله: [مجزوء الخفيف]

صَوَّحَ النَّبْتُ فَاسْقِهِ قَطْرَةً من سَحَائِبِكْ
وَأَغِثْنَا فَإِنَّنا في تَرَجِّي مَوَاهِبِكْ|[(٢)]

وله أيضاً: [الوافر]

أَقِلْنِي عَثْرَةً عَظُمَتْ فَإِنِّي إِلٰهَ العَرْشِ مُعْتَرِفٌ بِذَنْبِي
وَجُرْمِيَ إِنْ تَزايَدَ كُلَّ وَقْتِ فَحَسْبِيَ حُسْنُ ظَنِّي فِيكَ حَسْبِي

وله|من أخرى|[(٣)]: [البسيط]

وَبِي مَلِيحٌ كَغُصْنِ البانِ ذُو هَيَفٍ سَقَيْتُهُ الدَّمْعَ حَتَّى أَثْمَرَ القُبَلا

وله أيضاً[(٤)]: [الطويل]

أَوَدُّ مِنَ الدُّنْيا صَدِيقاً مُوافِياً وَفِيًّا بِما أَرْضاهُ يَرْضَى وَيَنْشَرِحْ
[١١١/أ] فَإِنْ لَمْ أَجِدْ أَعْرَضْتُ عَنْ كُلِّ كائِنٍ وَقُلْتُ لِقَلْبِي قَدْ خَلا الكَوْنُ فَاسْتَرِحْ

وكان في عصره مكرّماً، تعد أنفاسه مغنماً، فلا يراه أحد إلّا التمس مدده، وقبَّلَ بفم الخضوع يده، على عادة السلف ومن أتبعهم من الخلف، كما كان

---

(١) ساقط من (ظ).

(٢) هذان البيتان زيادة من (ظ).

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) في (ظ): «وله رضي الله عنه».

عيسى بن حجاج اليمني وهو من كبار الأولياء كلُّ من دخل عليه وخرج يُقبّلُ يده، فأنكر عليه بعضُهم ذلك، فقال: العبد المؤمن ريحانة الله في أرضه، ولا بأس في ضمِّ[1] الريحان في الدخول والخروج.

وقد قلت في هذا المعنى: [السريع]

قَبِّلْ يَدَ الخِيرَةِ أَهْلِ الهُدَى ... وَلا تَخَفْ طَعْنَ أَعادِيهِمُ
رَيْحانَةُ الرَّحْمٰنِ عُبَّادُهُ ... وَشَمُّها لَثْمُ أَيادِيهِمُ

وفروعه بسقت من دوحة المجد، ونمتْ في رُباه ما بين تِهامة ونجد، من كلِّ من نما بمهد المجد في صِباه، ولاحت عليه تمائم المكارم وعوّذت[2] عُلاه، حتى تدرّع برود جده، الموروثة عن أبيه وجده، وسطع من جبينه نور النسب[3]، يُخبرُ أنَّ خلف الدخان لهب، وتحت الرغوة الفصيح، من اللبن الصحيح، وقد جرت بينهم منافسات. وأمور تسكب عندها العبرات، كما قيل: [السريع]

داءٌ دَوِيٌّ ما لَهُ دَواءُ ... عَداوَةٌ ظاهِرُها إِخاءُ

فلم يزلْ كلٌّ [منهم][4] ينقص أخاه ويغض منه، ويقول محذِّراً[5]: أخوك البكري لا تأمنه.



---

(١) في (ظ): «بشم».

(٢) في (ظ): «وعوذة».

(٣) في (ظ): «نسب».

(٤) زيادة من (ظ).

(٥) في (س): «محدرا».

وكان

[٧٥]
أبو السرور[1]

نور غرَّتهم، وقائدَ جيش عُسرتهم[2]، فلم يزل سمحَ الطبيعة، رحبَ الدريعة، لا تلين قناته لغامزٍ حتَّى كسرتها الرزايا، ورمت أغراضَهُ مُصيباتُ المنايا، فاحتضر وعود شبابه نضر، فنضبتْ جداوله، واستراحت حسّادُه وعواذله، وصمَّ صدَاه، وسُرَّ عداه.

(١) أبو السرور بن محمد بن علي البكري الصديقي القاهري الشافعي (ت: ١٠٠٧/ ١٥٩٨): ولد في دولة أبيه، وتربى في حجر الفضل والصلاح. وكان له الذوق الصحيح في معارف الصوفية، والبلاغة الكاملة في التقرير. وهو أنبل إخوته وأفضلهم وأكثرهم مداومة على الإفادة، وإلقاء الدروس. وكان له اتساع في الدنيا ومخالطة الحكام، ومداخلة في أمور كثيرة. ودرس بالخشابية بعد موت شيخ الشافعية الشمس محمد الرملي. وكان ينظم الشعر، وشعره لطيف. من مؤلفاته: «رسالة» تتعلق بمباحث آيات السبع المثاني، و«الكوكب الدري في مناقب الأستاذ محمد البكري». انظر مصادر ترجمته: تراجم الأعيان، ١/ ٣٥٦؛ خلاصة الأثر، ١/ ١١٧؛ سانحات دمى القصر، ٢/ ١٩؛ هدية العارفين، ١/ ٢٤٢؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٥٤.

(٢) في (ظ): «أسرتهم».

و:

[٧٦]

زين العابدين(١)

أظهر سلوك الطريقة، وسلَكَ المجازَ لبابِ الحقيقة، وتعاطى حرفة الزهادة، وفتح حانوت السجادة، وادَّعى الكرامات، وقصّ منامات لها الكرى مات.

[١١١/ب] وممّا اتفق في زمانه أن الناس خرجوا للدعاء بالاستسقا، وقد رعى القحطُ البلاد فلم يدع ثمراً ولا ورقاً، والجو بالغمام مطبق، وجفن السحب بدمع القطر مغرورق، فلمّا دعى تجلّى، و﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ [عبس: ١] فقمت على ساق الارتجال، وأنشدت أصحابي في الحال: [الخفيف]

وَوَلِيٌّ قُطْــبٌ لِــرَبِّ الــسَّمَاءِ ... أَسْرَعَ الــصَّحْوُ إِذْ دَعَـا بِالْمَـاءِ

فِي صُراخٍ وَأَدْمُـعٍ وَهْـوَ يُغْنِـي ... عَـنْ رُعُـودٍ مُنْهَلَّـةِ الأَنْـوَاءِ

كَـانَ فِي الجَـوِّ لِلْغَـمامِ ازْدِحَـامٌ ... فَـاخْتَفَى وَهْـوَ مُعْلِـنٌ بِالـدُّعَاءِ

فَكَـأَنَّ الـسَّحابَ كَـانَ مَرِيـضاً ... مَـاتَ لَمَّـا دَعَـا بِالاسْتِـسْقَاءِ

[وقيل من الطويل](٢):

---

(١) زين العابدين بن محمد بن علي البكري الصديقي القاهري الشافعي (ت: ١٠١٣/ ١٦٠٤): عالم مشارك في العربية، والتفسير، وعلوم البلاغة. قام مقام أبيه من بعده، ودرس، وأفتى وأفاد، وكان في مصر مالك أزمة الوجاهة، وسالك رتبة البراعة واليراعة. له«رسالة الأترج»، و«شعر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٢٢٢؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٩٦؛ سانحات دمى القصر، ٢/ ١٨؛ هدية العارفين، ١/ ٣٧٩؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٤٤.

(٢) البيتان لأبي علي المحسن التنوخي: يتيمة الدهر ٢/ ٤٠٥، ومعجم الأدباء ٥/ ٢٢٨١. (ج).

خَرَجْنـا لِنَسْتَـسْقِي بِـيُمْنِ دُعائِـهِ وَقَدْ كادَ هُدْبُ الغَيْمِ أَنْ يُلْحِفَ(١) الأَرْضَا
فَلَـمّا ابْتَـدَا يَـدْعُو تَكَـشَّفَتِ(٢) السَّما فَـما تَـمَّ إِلَّا وَالْغَـمامُ قَـدِ انْفَـضَّا

وقول [سليمان بن] محمد بن الطراوة الأندلسي(٣): [الكامل]

خَرَجُـواْ لِيَسْتَـسْقُواْ وَقَـدْ نَجَمَـتْ غَرْبِيَّـةٌ قَمِـنٌ بِهـا الـسَّحُّ
حَتَّـىَّ إذا اصْـطَفُّواْ لِـدَعْوَتِهِمْ وَبَـدا لأَعْيُـنِهِمْ بِهـا رَشْـحُ
كُـشِفَ الـسَّحابُ إجابَـةً لَهُـمْ فَكَـأَنَّما خَرَجُـوا لِيَسْتَـصْحُوا

وقول ابن لؤلؤ: [الكامل]

لَـمّا بَـدا وَجْـهُ الـسَّماءِ لَهُـمْ مُـتَجَهِّماً لَمْ يُبْـدِ أَنْـوَاءَ
قـامُواْ لِيَسْتَـسْقُواْ الإِلٰـهَ لَنـا غَيْثـاً فَـما أَسْـقاهُمُ المَـاءَ(٤)

ومما يضرب به المثل في الشآمة قميص إسماعيل، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدَوَيْه(٥) رئيس الزنادقة في عهد الرشيد، وكان محدوداً غير مجدود، ولم يملك غير قميص، وكان إذا غسله قفل بابه وجلس عرياناً حتى يجفَّ، فاتَّفق أنَّه كان يوم غسله فيه أمطرت السماء وغابت الشمس يومئذ، حتى كان جالساً في بعض الأيام

(١) في يتيمة الدهر، ومعجم الأدباء: «أن يبلغ».
(٢) في يتيمة الدهر، ومعجم الأدباء، وشذرات الذهب: «تقشعت».
(٣) هو سليمان بن محمد المالقي، أبو الحسين ابن الطراوة (٥٢٨هـ) أديب من كتاب الرسائل، له شعر، وله آراء في النحو تفرّد بها. والأبيات في خريدة القصر (قسم الأندلس) ٢/ ٦٥٦. (ج).
(٤) البيتان ليسا في ديوانه. (ج).
(٥) هو إسماعيل بن إبراهيم الحَمْدَويه (توفي نحو: ٢٦٠/ ٨٧٤): شاعر عباسي، نسبه إلى جده ابن حمدويه. نشأ في البصرة، وهو مليح الشعر حسن التضمين. اشتهر بقوله في «طيلسان أحمد بن حرب»، وله هجاء في الجاحظ والمبرد. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ١/ ١٧٣؛ الأعلام، ١/ ٣٠٧.

وقد رجع الناس من الاستسقاء، فسمعهم [١١٢/أ] يقولون: الشكر لله، إذ أنزل الغيث إجابة لدعائنا. فقال: اشكروا قميصي، وادْعوا له؛ فإنَّها أُمطرتم به. وفي ذلك يقول[١]: [الكامل]

قَدْ قُلْتُ إذْ خَرَجُواْ لِيَسْتَمْطِرُواْ لا تَقْنَطُواْ وَاسْتَمْطِرُواْ بِثِيَابِي
لَوْ فِي حَزِيرانٍ هَمَمْتُ بِغَسْلِها غَطَّى ضِياءَ الشَّمْسِ ثَوْبُ سَحَابِ
فَكَأَنَّهَا العَبَّاسُ يَسْتَسْقِي بِهِ عُمَرٌ يَرَوْنَهُمُ دُعَاءَ مُجَابِ

وتبعه ابن نُباتة المصري في قوله[٢]: [البسيط]

أَقُولُ وَالْغَيْثُ هَطَّالٌ بِسَفْرَتِنا[٣] اَلْحَمْدُ لله بِي يُسْتَنْزَلُ المَطَرُ

إسماعيل هذا شاعر مجيد له أشعار مستطرفة والشيء بالشيء يذكر.

(*) اتفق في عهدنا أنَّ قاضياً أخطأ في ثبوت غرّةِ شهر رمضان والعيد، خطأً فما مثلُهُ من مثلِهِ ببعيد، فضجَّ الناس واستغاثوا من حياته بمماته، ولم يسترحْ أحدٌ في ذلك الوقت غير الملائكة الكاتبين لحسناته، إذ كسرَ طوقُ الهلال من جيد الدهر، ونقصَ من شهرٍ ما زاد في شهر، وسرقَ العيد، واختلس بُرْدَه الجديد، كأنَّ العيد أموالُ اليتامى فقتل جنين الهلال من غير غرَّة، وسلخ ذلك الشهر سلخاً يلعن من غرة، فلمَّا اسودَّتِ الشمس كمداً بالكسوف، وتوارى القمرُ خلف مجنِّها لخوف الحتوف، قال العيد: الله أكبر، على من طغى وتجبَّر، وجاء شوال باكياً، ورفع رقعةً[٤] للملك شاكياً، وهي: [الخفيف]

(١) الأبيات لإسماعيل بن إبراهيم الحَمْدَويه المذكور آنفا.

(٢) ديوانه، ص. ٢٥١.

(٣) في الديوان: «هناك تلقى غوادِي المزْن هاطلةً».

(٤) في (ظ): «قضية».

قِـصَّتِي قَـدْ أَتَـتْ هُمامـاً إمَامَـا تَـشْتَكِي الظُّلْـمَ حِـينَ صِرْتُ مُـضَامَا
رُقْعَـةٌ فِي يَـدِ الهِـلالِ طَواهـا لِيَراهـا المَلِيـكُ فِي العِـزِّ دَامَـا
أَنَـا شَـوّالُ الفَقِـيرُ الَّـذِي قَـدْ خُـصَّ بِالْعِيـدِ وَالـصَّلاةِ دَوَامَـا
بَعْـدَ شَـهْرِ الـصِّيامِ قَـدْ زُرْتُ قَوْمـاً جائِعـاً أَبْتَغِـي لَهُـمْ إِكْرَامَـا
وَلِيَ العَيْـدُ حُلَّـةٌ وَهِـلالِي لِيَ طَـوْقٌ مِـنْ فَـوْقِ جِيـدٍ تَـسَامَى
رَمَـضانُ اعْتَـدَى عَـلَيَّ وَأَمْـسَى غاصِـباً ذاكَ لا يَخـافُ مَلَامَـا
[١١٢/ب] أَتَقَـاضَى مـا كـانَ شَـعْبانُ مِنْـهُ سـارِقاً فَاعْتَـدَى عَـلَيَّ انْتِقَامَـا[١]
أَخْتَـشِي[٢] ذَبْحَـهُ بِنَـصْلِ هِـلالِي ثُـمَّ سَـلْخاً لَـهُ وَتَرْكِـي الْمُقَامَـا
لا تُـضَيِّعْ حَقِّـي بِـشاهِدِ زُورٍ هُـوَ أَعْمَـى بَـصِيرَةٍ أَوْ تَعَـامَى
جَبْهَـةَ الـشَّاهِدِ اكْوِهـا فَهْـوَ وَسْـمٌ لِكَـذُوبٍ عَـنْ زُورِهِ مـا تَحَـامَى
إِنَّ كَـيَّ الخُـسُوفِ لِلـشَّمْسِ ظُلْـمٌ وَكَـذا الـدَّهْرُ لَمْ يَـزَلْ ظَلاَّمَـا

ومما يضاهى هذا قول أبي الحسين الجزار[٣] على لسان سجادةٍ أرسلها هدية لابن العديم[٤] ....

(١) سقط هذا البيت من (ظ).

(٢) في (ظ): «أرتجي».

(٣) هو يحيى بن عبد العظيم بن يحيى محمد، أبو الحسين الجزار، جمال الدين (٦٠١-٦٧٩ / ١٢٠٤-١٢٨٠): شاعر مصري ظريف. كان جزاراً بالفسطاط، وأقبل على الأدب، وأوصله شعره إلى السلاطين والملوك، فمدحهم وعاش بما كان يتلقى من جوائزهم. وكانت بينه وبين السراج الوراق وغيره مداعبات. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٧/ ٦٣٦؛ فوات الوفيات، ٤/ ٢٧٧؛ الأعلام، ٨/ ١٥٣.

(٤) هو عمر بن أحمد بن هبة اللهّ بن أبي جرادة العقيلي، المعروف بكمال الدين ابن العديم =

وأجاد[١]: [الخفيف]

أَيُّهـا الـصّاحِبُ الأَجَـلُّ كَـمالُ الـدْ ـــدِينِ لا زِلْــتَ مَلْجَـأً لِلْغَرِيـب
كُــنْ مُجِـيرِي لأَنَّنِــي قَــدْ تَغَرَّبْـ ـتُ لِكَـوْنِي وَقَعْـتُ عِنْـدَ الأَدِيـبِ
أَنــا سَــجَّادَةٌ سَـئِمْتُ مِـنَ الطَّـيِّ م فَهَــبْ لِي نَــشْراً فَنَــشْرُكَ طِيبِــي
طـالَ شَـوْقِي إِلَى الـسُّجُودِ وَكَـمْ لِي مِــنْ شُرُوقٍ فِي بَيْتِــهِ وَغُــرُوبِ
وَإذا مـــا أَتــــاهُ ضَـــيْفٌ أرانِي مِنْـهُ عِنْـدَ الـصَّلاةِ وَجْـهَ مُرِيـبِ
فَأَقِـــلْ عَثْـــرَتِي وَوَفِّــرْ بِإِحْـــسا نِـكَ مِـنْ وَجْهِـكَ الكَـرِيمِ نَـصِيبِي

فصل

ما نحن فيه من الاستعارة التمثيلية بالحكاية على ألسنة الحيوانات بل الجمادات[٢]، فن بديع وقع في سائر الألسنة، والكتب الإلهية كقولهم: قال الحائط للوتد: لم تشقّني؟ فقال: سل من يدُقُّني. وقد تصرّفوا فيه وتطرفوا، حتى صاغوا على ألسنتها شكايات وحكايات.

= (٥٨٨-٦٦٠ / ١١٩٢-١٢٦١): مؤرخ، محدث، من الكتاب، له شعر حسن، ولد بحلب، ورحل إلى دمشق، وفلسطين، والحجاز، والعراق، وتوفي بالقاهرة. من مؤلفاته: «بغية الطلب في تاريخ حلب» كبير جداً، اختصره في كتاب آخر سماه «زبدة الحلب في تاريخ حلب»، و«الدراري في الذراري»، و«دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري». انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٧/ ٥٢٥؛ معجم الأدباء، ٥/ ٢٠٦٨؛ در الحبب، ١/ ١٠؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥٥٣.

(١) الأبيات في فوات الوفيات، ٤/ ٢٩٢.

(٢) ساقط من (ظ) بما فيه «بل».

فمن ذلك ما كتبه الوَهْراني(١) على لسان بغلة للأمير عز الدين موسك(٢)

[المملوكة ريحانة] تقبِّلُ الأرض بين يدي الأمير عز الدين حسام أمير المؤمنين(٣). نَجَّاه الله من حَرِّ السَّعير، وعطَّر بذكره قوافل العِير، ورزقه من القرط والتِّبْن والشعير، وسق مئة ألف بعير، واستجاب فيه صالح أدعية الجمّ الغفير، من الخيل والبغال والحمير. وتُنهي إليه ما تُقاسيه من مواصلة الصيام، وسوء القيام والتعب في الليل والناس نيام(٤).

قد أشرفَتْ مملوكتُه على التلف، [١١٣/أ] وصاحبها لا يحمل الكُلَف، ولا يوقن(٥) بالخلَف، ولا يقول بالعَلَف، لأنه في بيته مثل المسك والعنبر، والأطريفل(٦) الأكبر، أَقَلُّ من الأمانة في الأقباط، والعقلِ في رأس قاضي سُنْباط(٧). فشَعِيره أبعد

(١) هو محمد بن محرز بن محمد، أبو عبد الله الوهراني الملقب ركن الدين (ت: ٥٧٥/ ١١٧٩): منشئ، من أكابر الظرفاء. أصله من وهران. قدم الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين، فاجتمع فيها بالقاضي الفاضل، والعماد الأصبهاني وغيرهما من أئمة الإنشاء. ولم يكن من طبقتهم، فعدل عن طريق الجد، وسلك مناهج الهزل، فأقبل الناس على أقواله ورسائله. ثم تنقل ببلاد الشام، وأقام في دمشق زمنا، وتولى الخطابة بداريا، وتوفي بها، ودفن بتربة الشيخ أبي سليمان الدارانيّ. من مؤلفاته: «الرسائل» تعرف بمنشآت الوهراني، و«المنامات». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٤/ ٣٨٥؛ شذرات الذهب، ٦/ ٤١٧؛ الأعلام، ٧/ ١٩.

أقول (ج): والرقعة ذكرها المحبي في نفحة الريحانة ٢/ ٢١٠. وما بين معقوفين مستدرك منها.

(٢) هو الأمير عز الدين موسك الصلاحي من أمراء بني أيوب. انظر: وفيات الأعيان، ٣/ ٢٤٨.

(٣) ساقط من (ظ) بما فيه «أمير».

(٤) في النفحة: والدواب نيام. (ج).

(٥) في (ظ): «يوفي». وفي (س): يوقي. والمثبت من النفحة.

(٦) في (ظ): «والأطريف».

(٧) سُنباط: بلدة من أعمال المحلة بمصر. القاموس المحيط، ص. ٦٧٢. وفي معجم البلدان، =

من الشِّعْرَى العَبور، ولا وصولَ إليه ولا عبور. وقُرْطه أعزُّ من قُرْطَيْ مارِيَة[١]، ولا يخرجه صدقةً ولا هبةً ولا عارية.

والتِّبْنُ أحبُّ إليه من الابن، والجُلُبَّانُ أعز من دُهْن البَان. والقَضيم، بمنزلة الدُّر النظيم[٢]. والفِصَّةُ[٣] أجمل من سبائك الفضة. وأمّا الفول، فمن دونه ألفُ باب مقفول. فما يهون عليه أن يعلف الدَّواب، إلا بعيون الآداب[٤] والفقه اللُّباب، والسؤال والجواب، وما عند الله من الثواب.

ومعلوم يا سيدي أنَّ البهائم لا تُوصف بالحلوم،ولا تعيش بسلام العلوم[٥]. ولا تطرب إلى شعر أبي تمام، ولا تعرف الحارث بن هَمَّام[٦]. ولاسيما البغال، التي تشتغل في جميع الأشغال، وشَبْكَةٌ من القصيل، أحبُّ إليه من كتاب «التحصيل»، وقُفَّةٌ من الدَّرِيس، أشهى إليه من فقه ابن إدريس[٧]. ولو أكل البغلُ كتاب

= ٣/ ٢٦١: سَنباط بفتح السين ويسمى أيضا سَنْبوطية وسَنْموطية، وهي بلدة جميلة في جزيرة قوسَنيا من نواحي مصر.

(١) قُرْطَا مارِيَة: من أمثال العرب: «خذه ولو بقرطَيْ مارية». وهي مارية بنت وهب بن الحارث ابن معاوية الكندي. وكان قرطاها دُرَّتين كبيض الحمام، لم يُرَ مثلُهما، ولا يُدرَى ما قيمتهما، فضربهما الناسُ مثلاً. ثمار القلوب، ٢/ ٨٩٦-٨٩٧.

(٢) سقطت جملتان من (ظ) اعتبارا من «والجلبان».

(٣) في الأصلين: (القِصَّة)، والمثبت من النفحة. (ج).

(٤) في النفحة: (بفنون الآداب). (ج).

(٥) في النفحة: (بسماع العلوم). (ج).

(٦) الحارث بن هَمَّام البصري: هو شخصية يسند إليها الحريري رواية مقاماته، يعني به نفسه؛ وقد أخذ ذلك من قول النبي ﷺ: كلكم حارث وكلكم هَمَّام؛ والحارث الكاسب (الساعي في الرزق)؛ والهَمَّام الكثير الاهتمام. تاريخ الأدب العربي، ٣/ ٢٤٠.

(٧) أي الإمام محمد بن إدريس الشافعي.

المقامات، مات. وإنْ لم يجد إلّا كتاب الرضاع، ضاع. وإن قيل له: أنت هالك، إن لم تأكل «موطأ» مالك، ما قبلَ ذلك.

وكذلك الجَمَل لا يتغذى بشرح أبيات «الجُمَل». وحزمة من الكلا، أَحبُّ إليه من شعر أبي العلا. وليس عنده طيِّب، شعرُ أبي الطيب.

وأمّا الخيل، فلا تطرب إلّا بسماع الكَيل، ولو أكلت كتاب «الذَّيل»، ماتت في النهار قبل الليل، فالويل لها ثم الويل.

ولا تستغني الأكاديش، عن أكل الحشيش، وكل ما في «الحماسة» من شعر أبي الجَرِيش.

وإذا أطعمت الحمار شعر ابن عمّار[1]، حلَّ به الدّمار، وأصبح منفوخاً كالطبل على باب الإصطبل.

وبعد هذا كلِّه قد راح صاحبها إلى العلّاف، وعرض عليه جملاً من مسائل الخلاف، [١١٣/ب] وطلب من تبنه خمس قفاف، فقام إليه بالخِفاف. فخاطبه بالتقرير، وفسَّر له آية التعبير[2]، وطلب منه ويبة شعير، فحمل على عياله ألف بعير.

فانصرفَ الشيخُ منكسر القلب مغتاظاً من الثَّلْب، وهو أنجس[3] من ابن بنت الكلب. فالتفتَ إلى المسكينة، وقد سلبه الغيظُ ثوب السَّكينة. وقال لها: إن شئتِ أن تَكدِّي فكُدِّي، لا ذقت شعيراً ما دُمْتِ عندي. فبقِيَت المملوكة حائرة، ولا قائمة ولا سائرة. فقال لها العلّاف: لا تجزعي من خياله، ولا تلتفتي على

(١) هو أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي ذو الوزارتين، قتله المعتمد سنة ٤٧٧هـ. (ج).

(٢) في (س): «بالسعير». وفي النفحة: فخاطبه بالتقصير، وفسّر له آية العير. (ج).

(٣) في (ظ): «أنحس».

سِبَاله[١]، ولا تنظري إلى نفقته، ولا يكون عندك أخسَّ من عَنْفَقَتِه[٢]، هذا الأمير عزُّ الدين أندى من الغمام، وأمضى من الحسام، وأبهى من البدر التمام. يرثي للمجروب، ويُفرّجُ عن المكروب، وهو من بني أيوب، لا يرد قائلاً، ولا يخيِّبُ سائلاً. فلمّا سمعت المملوكةُ هذا الكلام، جذبت[٣] الزِّمام، ورفَسَتِ الغلام، وقطعت اللِّجام، وشقّت الزّحام، حتَّى طرحت خدَّها على الأقدام، ورأيك العالي والسلام.

* * *

وقال أبو الحسين الجزار يرثي حماره: [الكامل]

مـا كُـلُّ حِـينٍ تَـنْجَحُ الأَسْـفَارُ ... نَفَـقَ الحِـمارُ وَبـارَتِ الأَشْـعَارُ
خُرْجِـي عَـلَى كَتِفِـي وَهـا أَنَـا دائِـرٌ ... بَـيْنَ البُيُـوتِ كَـأَنَّنِي عَطَّـارُ
مـاذا عَـلَيَّ جَـرَى لأجْـلِ فِراقِـهِ ... وَجَـرَتْ دُمُـوعُ العَـيْنِ وَهْـيَ غِـزَارُ
لَمْ أَنْـسَ حِـدَّةَ نَفْـسِهِ وَكَأَنَّـهُ ... مِـنْ أَنْ تُـسابِقَهُ الرِّيـاحُ يَغَـارُ
وَتَخالُـهُ فِي القَفْـرِ جِنًّـا إِنَّـما ... مـا كُـلُّ جِـنٍّ مِثْلُـهُ طَيَّـارُ
وَإذا أَتَـى لِلْحَـوْضِ لَمْ يُخْلَـعْ لَـهُ ... فِي المـاءِ مِـنْ قِبَـلِ الـوُرُودِ عِـذَارُ
وَتَـراهُ يَحْـرُسُ رِجْلَـهُ مِـنْ زَلَّـةٍ ... بِرَشاشِـها تَتَـنَجَّسُ الأبـرارُ[٤]
وَيَلِـينُ فِي وَقْـتِ المَـضِيقِ وَيَلْتَـوِي ... فَكَـأَنَّما بِيَـدَيْكَ مِنْـهُ سِـوَارُ
وَيَـسِيرُ فِي وَقْـتِ الزِّحـامِ بِرَأْسِـهِ ... حَتـىَّ يَحِيـدَ أَمامَـكَ الحُـضَّارُ

(١) السبال: جمع السبلة، مقدم اللحية.
(٢) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.
(٣) في (ظ): «جنيت».
(٤) في (س): «الحضّار».

لَمْ أَدْرِ عَيْباً فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ ... مَعْ ذا الذَّكاءِ يُقالُ فِيهِ حِمَارُ
[١١٤/أ] وَلَقَدْ تَحامَتْهُ الكِلابُ وَأَحْجَمَتْ ... عَنْهُ وَفِيهِ كُلَّ ما تَخْتَارُ
راعَتْ لِصاحِبِهِ عُهُوداً قَدْ مَضَتْ ... لَمَّا عَلِمْنَ بِأَنَّهُ جَزَّارُ

ولشرف الدين البوصيري يعزِّي مَنْ ماتَ حمارُه(١): [المتقارب]

فَلا تَيْأَسَنْ أَيُّهذا اللَّبِيبُ ... عَلَيْهِ فَلِلْمَوْتِ ما يُولَدُ
إذا أَنْتَ عِشْتَ لَنا بَعْدَهُ ... كَفانا وُجُودُكَ ما يُفْقَدُ

واستعار منه صديقٌ له حمارةً، فأعجبته، فأرسل له ثمنَها، فكتب له |على لسانها|(٢): المملوكة حمارة الأبوصيري(٣): [المنسرح]

يا أَيُّها السَّيِّدُ الذي شَهِدَتْ ... أخلاقُهُ(٤) لي بأَنَّه فاضِلْ
مَا كَانَ ظَنِّي يَبِيعُنِي أَحَدٌ(٥) ... قَطُّ ولكِنْ صَاحِبِي(٦) جاهِلْ
لَوْ جَرَّسُوهُ عليَّ مِنْ سَفَهٍ ... لَقُلْتُ غَيْظاً عَلَيْهِ يَسْتاهِلْ
أَقْصَى مُرَادِي لَوْ كُنْتُ في بَلَدِي ... أَرْعَى بِهَا في جَوَانِبِ السَّاحِلْ(٧)
وبَعْدَ هَذَا فَمَا يَحِلُّ لكُمْ ... أَخْذِي لأَنِّي(٨) مِنْ سَيِّدِي حَامِلْ

وأمثاله كثيرة، عوداً على بدء.

---

(١) لم يرد البيتان في ديوانه.
(٢) زيادة من (ظ).
(٣) هو محمد بن سعيد بن حماد البوصيري، الأبيات في ديوانه، ص ١٨٩-١٩٠.
(٤) في الديوان: «ألفاظه».
(٥) في الديوان: «ما كان ظني يعيره أحد».
(٦) في الديوان: «سيدي».
(٧) في الديوان: «وبغيتي أن أكون سائبة ... من بلدي في جوانب الساحل».
(٨) في الديوان: «فإني».

ومنهم:

[٧٨]
أبو المواهِب[1]

وهو مسك الختام وفذلكة أولئك الكرام، وله شعر هو واسطة عقده، وتميمةٌ في جيد مجده، كقوله في مليحٍ اسمه عبد النَّبي[2]: [مجزوء الرمل]

عَبْـــدُ النَّبِـــيِّ قـــاتِلِي ... بِعَيْنِـــــهِ وَحَاجِبِـــــهْ
وا عَجَبـــــاً لِعَبْـــــدِهِ[3] ... يَقْتُـــلُ نَجْـــلَ صـــاحِبِهْ

نكتة

من ألفاظ التوكيد: (نفسه، وعينه) وقد تدخلهما الباء، فيقال: بنفسه وبعينه. والمحدثون يقولون: بعينه وحاجبه تظرفاً، لتوهّم أنّ العين فيه بمعنى الجارحة؛

---

(١) أبو المواهب بن محمد بن علي بن عبد الرحمن البكري الصديقي الشافعي المصري (٩٧٣-١٥٦٥ / ١٠٣٧-١٦٢٧): كان في بداية أمره مائلا إلى الخلاعة، وكانت مجالسه مشحونة بأنواع الطرب، وصنوف الملاهي. وكان لما توفي والده جرى بينه وبين إخوته منافسات، وأمور تسكب عندها العبرات حتى استقر الأمر لزين العابدين إلى أن وقع قلبه، وكان أبو السرور مات قبله، فسمت الرتبة إلى أبي المواهب. وتصدر للتدريس، وإملاء التفسير، ودرس بالمدرسة الشريفة المشروطة لأعلم علماء الشافعية تلقاها عن والد زوجته الشمس محمد الرملي، وكان ينظم الشعر، وله «ديوان شعر» يشتمل على دقائق ورقائق فنه. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٢٢٣؛ تراجم الأعيان، ١/ ٢٥٨؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٤٥؛ سانحات دمى القصر، ٢/ ٢١؛ سلافة العصر، ص. ٤٠٨.

(٢) البيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٢٣؛ وخلاصة الأثر، ١/ ١٤٨.

(٣) في (ظ): «لعيده».

وإنما هي بمعنى الذات كقول البدر الدماميني[(١)]: [مجزوء الرجز]

بَــدا وَقَــدْ كــانَ اخْتَفَــى وَخــافَ مِــنْ مُرَاقِبِــهْ
فَقُلْـتُ هٰـذا قـاتِلِي بِعَيْنِــهِ وَحَاجِبِـــهْ

ومن لطائف أبي الفضل الوفائي[(٢)] هنا قوله[(٣)]: [الكامل][١١٤/ب]

فَعَــلَى مُحَيَّــاكَ الــسَّلامُ فَدَيْتُــهُ بِــالنَّفْسِ بَــلْ وَالْعَــيْنِ فَهْــوَ مُؤَكَّــدُ

وأحسن منه قولي في قصيدة نبوية: [الطويل]

فَــدَيْتُكَ يــا رُوحِــي فِــداءً مُؤَكَّــداً بِنَفْــسِي وَعَيْنِــي لا بِعَــيْنٍ وَدِرْهَــمِ

* * *

(١) محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر القرشي المخزومي المعروف ببدر الدين الدماميني (٧٦٣-٨٢٧ / ١٣٦٢-١٤٢٤): أديب، ناثر، نحوي، عروضي، فقيه. مشارك في بعض العلوم. ولد بالإسكندرية، واستوطن القاهرة، ولازم ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق. ومنها حج وعاد إلى مصر. فولي فيها قضاء المالكية. وتوفي بكلبرجا من الهند. من مؤلفاته: «شرح مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام الأنصاري، و«شرح لامية العجم» للطغرائي. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٩/ ٢٦٢؛ بغية الوعاة، ١/ ٦١؛ معجم المؤلفين، ٣/ ١٧٠. وله ترجمة في رحلة ابن معصوم المدني.

(٢) هو محمد أبو الفضل الوفائي الشاذلي المالكي المصري (ت: ١٠٠٨/ ١٥٩٩): عالم، أديب. من بني وفا. توفي بمصر. وله «ديوان شعر». انظر ترجمته: خلاصة الأثر، ٤/ ٢٨٦.

(٣) في خلاصة الأثر، ٤/ ٢٨٧.

[٧٩]
نور الدين علي العُسَيْلِيّ[١]

نُورُ حدقَةِ الزمان، ونَور حديقة الحسن والإحسان، وإنسان طَرْف الظرف، وعارِضُ وجنات اللطف، وكعبة وفود الفضلاء، وفاكهة الدهر والنُّدَماء، وريحانة الأدب، وشُمامة الطرب.

كان في ريعان عمره، يجني بالجامع الأزهر من الفضل يانع زهره وثمره، في ربوة ذات قرار، وجنةٍ تجري من تحتها الأنهار، ومياه المجد تسيل من أعطافه، ونسمات النَّدِّ تَعْبِقُ من أردان أوصافه.

فلما كابد الأَمَرَّينِ الفقر والهرم، اللَّذَينِ هما أسوأ من الفَضيحتين المعصية والنَّدم، التجأ إلى سدة الأستاذ البكري[٢]، واعتكفَ منها في أجلّ حرم، فحلَّ منها محلَّ النوم من الأحداق، والراح من الأقداح[٣]. فتوجَّه وجه أمله بعدما أحرم من ميقات الرجاء، إلى كعبة الفضل والنَّدى، فشغف به شغف المحب بالحبيب، والمريض بالطبيب. وقابله بوجه طليق، واهتز من أمله كلُّ غصن

---

(١) نور الدين علي بن محمد العسيلي المصري الشافعي (توفي نحو: ٩٩٤/ ١٥٨٥): عالم، أديب، مشارك في بعض العلوم النقلية والعقلية. من مؤلفاته: «حاشية» على مغني اللبيب لابن هشام. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٩٧؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦٣٧؛ الكواكب السائرة، ٣/ ١٨٠؛ هدية العارفين، ١/ ٧٤٨؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥١٤.

(٢) هو الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري الذي سبقت ترجمته تحت رقم [٧٥].

(٣) السجعة في ريحانة الألبا: الأقداح، وتوجه وجه أمله بعدما أحرم من الرجاء إلى كعبة المجد والسماح. (ج).

وريق، فلمعت غرَّة زمانه من تحت طرّة إحسانه: [الوافر]

عُقُـــودٌ فِي طَـــلَى الأَيَّـــامِ تُجْـــلَى ... وَطَـــرْزٌ فَـــوْقَ أَكْـــمامِ اللَّيَـــالِي

حتى نمَّ عليه الكمال نميم ثغر النور بلسان النسيم، ونثَرَ كفُّ الشباب عِقْدَ ذلك الاجتماع النظيم، فأطفأ إعصارُ المنية أنوارَه، ومحا عينه وإن لم يمح آثارَه.

وله تصانيف مفيدة كـ«شرح مغنى اللبيب» و«قواعد الإعراب».

وله مقامات عدة، وأشعاره كثيرة[١] كقوله: [رحمه الله][٢] [البسيط]

هَـلْ بِـالحِمَى مِـنْ بُـدُورِ الـتِّمِّ سُـكَّانُ ... أَمْ فِي خِـلالِ بُيُـوتِ الحَـيِّ غِـزْلانُ

[١١٥/أ] أَمِ الغَـوانِي تَهـادَى وَهْـيَ سـافِرَةٌ ... أَمِ الـشُّمُوسُ أَقـامَتْهُنَّ أَغْـصَانُ

سَـقَى الحِمَـى وَلَيالِيـهِ الَّتِـي سَـلَفَتْ ... مِـنْ أَدْمُعِـي وَمِـنَ الوَسْـمِيِّ هَتَّـانُ

حَيْثُ الرَّقِيبُ عَمٍ وَالـضِّدُّ ذُو صَمَمٍ ... وَالحِـبُّ[٣] ذُو كَـرَمٍ وَالْوَقْـتُ إِمْكَـانُ

وَحَيْــثُ تَرْفُــلُ فِي بُــرْدِ الـشَّبابِ إلى ... تِلْـكَ القِبـابِ وَغُـصْنُ العَـيْشِ رَيَّـانُ

يـا صـاحِ إنْ لَمْ تَمُتْ مِـنْ بَعْدِها أَسَفاً ... فَـإِنَّ عَيْـشَكَ بَعْـدَ اليَـوْمِ خُـسْرَانُ

لِي بِالـدِّيارِ سَـقاها المُـزْنُ صَـيِّبَةً ... غَـزالُ حُـسْنٍ بَـدِيعُ الخَلْـقِ فَتَّـانُ

يا رَبربَ الحُسْنِ قَدْ أَسْرَفْتَ فِي تَلَفِي ... أَمـا لِبَحْـرِكِ يـا لَـمْياءُ هِجْـرَانُ

هَـلاَّ نَظَـرْتِ إِلَى مُـضْناكِ راحِمَـةً ... فَكـانَ يَـشْفَعُ مِنْـكِ الحُسْنَ إِحْـسَانُ

ومنها:

وَلائِـمٍ ظَـلَّ يَهْـدِي لِي نَـصِيحَتَهُ ... لَـوْ لَمْ يَمُـجَّ مُجـاجَ[٤] اللَّـوْمِ آذَانُ

---

(١) في (ظ): «وأشعار كثير».

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) الحِب: المحبوب، مؤنثه حِبة جمعهما أحباب.

(٤) في (س): «لم يمج أجاج».

وَكـــانَ ظـــاهِرُهُ عُنْـــوانَ باطِنِـــهِ وَالْوَجْـهُ لِلْقَلْـبِ فِـيما قِيـلَ عُنْـوَانُ
إِنِّي امْـرُؤٌ ماحَيِيـتُ الـدَّهْرَ أَمْـدَحُكُمْ لَعَـــلَّ جـــائِزَتِي عَفْـــوٌ وَغُفْـــرَانُ
حَسَّنْتُ ظَنِّي وَمَدْحِي فِيكُمُ فَعَسَى يُقـــالَ إِنِّي عَـــلَى الحـــالَيْنِ حَـــسَّانُ

ومن مقطعاته قوله: [مجزوء الرجز]

صَــحِيفَةُ الخَــدِّ الَّتِــي لِلْحُــسْنِ فِيهــا سُــوَرُ
مُــذْ حُـشِيتْ بِعــارِضٍ لَمْ يَبْــقَ فِيهـــا نَظَـــرُ

وفيه توجيهٌ وجيهٌ، كقول ابن النَّبيه[1]: [المنسرح]

كَـــأَنَّ ذاكَ العِـــذارَ حاشِـــيَةٌ خَرَّجَهـــا كاتِـــبٌ لِنِـــسْيانِهِ

وفي معناه قولي في رباعياتي: [الدوبيت]

أَهْـــوَى غُـــصْناً لَـــهُ المَعـــالِي ثَمَـــرُ يُجْنَـــى وَنَظَـــلُّ دائِـــماً نَعْتَـــذِرُ
لَمْ نَلْــقَ شَــبِيهَ وَجْهِــهِ مِــنْ أَحَــدٍ إِلَّا المِـــرْآةَ صَـــفَتْ وَفِيهـــا نَظَـــرُ

وقوله: [مجزوء الرجز]

دَبَّـــتْ لَـــهُ ذُؤابَـــةٌ كَحَيَّـــةٍ مِـــنْ خَلْفِـــهِ
تَحْمِي ضَعِيفَ خَصْرِهِ مِــنْ خـــارِجِيِّ رِدْفِـــهِ

وقوله: [الطويل]

كَـأَنَّ الَّـذِي أَهْـوَى عَـلَى نَفْسِهِ جَنَى فَـمالَ عَـلَى تِلْـكَ المَحاسِـنِ بِالْفَتْـكِ
فَـــأَغْرَقَ خَدَّيْـــهِ بِـــماءِ جَمالِـــهِ وَأَوْقَـعَ فِي الظَّلْـماءِ نـاظِرَهُ التُّرْكِـي [١١٥/ب]
وَأَلْقَـــى بِنـــارِ الخَـــدِّ خـــالاً كَأَنَّـــهُ مِنَ المِسْكِ مَطْبُوعاً فَنادَيْتُ يا مِسْكِي
وَهـا جَفْنُـهُ يَبْكِـي عَلَيْـهِ مِـنَ الـضَّنَا وَهـا خَصْرُهُ مِنْ ثِقْلِ أَرْدافِهِ يَشْكِي

---

(١) الديوان ١٤، وفيه: خرّجها ناسخ.

وقوله أيضاً: [السريع]

وَفاعِـــــلٍ يَتْرُكُنِـــــي عامِـــــداً وَهْــوَ لِرِقِّــي فِي الهَــوَى مَــالِكِي[١]
أَقُــــولُ لِلنّـــــاسِ أَلَا فَــــاعْجَبُوا مِــنْ صُــنْعِ هٰــذا الفاعِــلِ التَّــارِكِ

والفاعل: عند المولدين، خادم البناء، وهو لغة صحيحة ذكرها الأزهري في «التهذيب»، والفاعل التارك ممّا تداولوه[٢]، كنايتها عمّا لا يُحصى، كما يقال كيت وكيت، وقوله أيضاً: [الطويل]

بِكَفِّـكَ طُوفـانٌ تُـرَوِّي بِها الـوَرَى وَعَهْــدِيَ بِالطُّوفــانِ يَــأْتِي بِتَنْكِيــدِ
وَلا غَـرْوَ أَنْ أَرْسَـتْ بنا سُـفُنُ الرَّجا بِبابِـكَ يـا مَـوْلَى النَّـوالِ عَـلَى الجُـودِي

وكان له عبد زنجي |صُنِعَ من قلبِ الحقود، وأُلبس صورةً أفكارِ الحسود|[٣] اسمه فرج لكنه عين الشدّة |ورسولُ نكب الدهر المعدّة|[٤] له فيه أهاجٍ[٥] منها قوله: [البسيط]

|إِنِّي ابْتُلِيـــتُ بِزَنْجِـــيّ قَبَائِحُـــهُ لَيْسَتْ تُعَدُّ عـلى مـا فيـه مِـنْ عِـوَجِ|[٦]
كُـلُّ الأُمُـورِ إذا ضـاقَتْ لَهـا فَـرَجٌ إِلَّا أُمُـورِي إذا ضـاقَتْ فمـن فَرَجِـي

وقوله: [المجتث]

---

(١) في (ظ): «مالك».

(٢) في ريحانة الألبا ٢/ ٢٠١: الفاعل بلغة أهل مصر خادم البناء. ويُقال الفاعل التارك عندهم كناية عن القبائح. ففيه إيهام ظاهر. (ج).

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) زيادة من (ظ).

(٥) في (س): «أهاجي».

(٦) هذا البيت زيادة من (ظ).

يــا بَحْــرَ جُــودِ نَــوالٍ نَــداهُ لِلنّــاسِ مَطْمَــعْ
لا تَخْشَ فِي الـدَّهْرِ سُـوءاً إِنَّ انْحِــدارَكَ يقْلــعْ

وهذا على ما تعارفه أهل مصر من قولهم للمريض المسمى نزلة: حادر وانحدار، وهو أيضاً عندهم هبوط السفن، كما أن الإقلاع مقابله، ففيه إيهام. لكنه استعمال مولد غير فصيح[1].

* * *

(١) انظر ريحانة الألبا ٢/ ٢٠١.

[٨٠]
يحيى الأصيلي[1]

أديب ماهر وشاعر ساحر، عَبِقَتْ بالدِّيار المصريَّة، أنفاسه النَّديَّةُ النَّدِّيَّة. بطبع يعيرِ العيون سِحْرَه، ويفوق النسيمَ المُنَبِّهَ لعيون الأنوار سُحْرَة. وخُلُقٍ مهذّبٍ، لكلِّ أمر متدرّب، ولم يخبرْكَ مثلُ مجرّب.

نشأ بدمياط، فبسم لمحياه ثغرها، ودرت عليه سحائب النعم بها فلله دَرُّها، في قوم كرام، وهضاب منيع المرام: [الطويل]

فَقِـــيرُهُمُ مُبْـــدِي الغِنَـــى وَغَنِـــيُّهُمْ   لَـــــهُ وَرَقٌ لِلـــــسّائلِينَ رَطِيـــــبُ[2]

[١١٦/أ] ثم أتى مصر وشبابه خضر، وروض صباه نضر، فتخرّج على العُسَيْلِيّ حين حَلَتْ موارد آدابه، فتغذى بلبان لبابه[3]، وشرب عذب خطابه.

وكان فرداً في الموسيقى وفنون الطرب، فإذا ترنَّم أسكرَ في مجالس الأنس ابنة العنب، فيُميتُ الهمومَ، ويبعثُ الأشجان، فتخاله نسيمَ الصَّبا والناس أغصان.

ولم يزل بمصر يدير علينا سلافة اللطافة، ويحل في ديوان الأدب محلّ خلافة، لا يرضى خلافَهُ.

---

(١) هو يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد، شرف الدين الأصيلي (ت: ١٠١٠/ ١٦٠١): شاعر مصري، ولد ونشأ بدمياط. ثم هاجر إلى مصر فتخرج بنور الدين العسيلي حتى حلا في ذوقه شهد آدابه، وتزينت حقائق أفكاره بفرائد خطابه، وكان يتغنى بالقرآن، فاشتهر في فنون الغناء والطرب، وتوفي بمكة حاجاً. له «تذكرة». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٣٨-٤٦؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٠؛ سلافة العصر، ص ٤٠٦؛ الأعلام، ٨/ ١٦٩؛ معجم المؤلفين، ٤/ ١١٤.

(٢) البيت لجزء بن ضرار، شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٤٥. (ج).

(٣) في (س): «فتغذى لبابه».

ويقطف ثمر المنى، ويَقِيل تحت ظلال الهنا، ما بين لهو ومآرب. فلّله منه جانب، [و]للخلاعة جانب، حتّى ارتحل لشريفِ مكة يؤمِّلُ تنويلَهُ، ولم يدر ما في ضمائر الأيام وما تنوي[1] له، فلمَّا حلَّ نطاقَه بها وألقى عصا تسياره، وحطَّ[2] رحال ترحاله بجواره، استقرَّتْ به النوى، وقضى من مناسكه ما أَخلصه لله إذ نوى، نقله اللهُ من داره[3]، بعدما هيَّأ نزلَ الرحمة له في جواره، فما أتمَّ حجَّه وعمره، حتى أتمَّ حججه وعُمْرَهُ، واقفاً في مِنى المُنى، وعرفة إحسانه، مُحْرِماً في إزار ثوابه وأكفانه: [المتقارب]

والله لا يَـــــــــدْعُو إلى دارِهِ إلَّا مَنِ اسْتَصْلَحَ مِـنْ ذَا العِبَادْ

فَمِنْ ثَمرِ غُصْنِ قَلمِه ونَوْرِ كِمامِ كَلِمِه، قوله: [مجزوء الكامل]

مَـنْ مُنْـصِفِي مِـنْ ظَـالِمٍ بَيْـــتُ المَظَـــالِمِ بَيْتُـــهُ
أُخْفِيـــهِ خَـــشْيَةَ بَأْسِـــهِ وَأَوَدُّ لَـــــوْ سَـــــمَّيْتُهُ

وهو كقول السِّراج الوَرَّاق: [السريع]

رُزِقْـــتُ بِنْتـــاً لَيْتَهـــا لَمْ تَكُـــنِ فِي لَيْلَـــةٍ كَالـــدَّهْرِ قَـــضَّيْتُها
فَقِيـــلَ مـــا سَـــمَّيْتَها قُلْـــتُ لَـــوْ مُكِّنْـــتُ مِنْهـــا كُنْـــتُ سَـــمَّيْتُها

وقد قال عليه بعض الأدباء: إنَّه إنّما يُقال من السم سممتها، فهو لحن، واعتذر عنه بأنّه من إيهام التورية، فيغتفر فيه مثله، والمخطىء مخطىء، فإنَّ أصله سممتها من التفعيل، ومثله لتوالي الأمثال فيه يبدَّلُ ثالث حروفه حرف علة،

(١) في (س): «ينوي».
(٢) في (س): «وألقى».
(٣) في (ظ): «دياره».

وهي الياء والألف كما يقال في [١١٦/ب] تقضض البازي: تقضّى[١]، وقد قال بعض النحاة: إنّه مطرد.

وممّا أنشدني له من قصيدة في مدح الأستاذ البكري: [الطويل]

أَلا إنَّ لِي مِـــنْ آلِ صِـــدِّيقَ أَحْمَـــدٌ لَشَمْسُ هُدًى مِنْهُمْ بِهِ الكَرْبُ يَنْجَلِي[٢]

فَـلِي مِنْـهُ أُسْـتاذٌ وَلِي مِنْـهُ مُرْشِـدٌ وَلِي مِنْـهُ قُطْـبٌ وَاتِّـصالٌ وَلِي وَلِي

وهذا نوع من البديع سماه ابن الوردي إيهام التأكيد، وادعى التفرُّدَ به، كقول ابن مَكَانِس[٣]: [مجزوء الرجز]

نَعَـمْ نَعَـمْ مَحَـضْتُهُمْ صِـدْقَ الـوَلا تَطَـوُّلا

فَـما رَعَـوا عَهْـداً وَلا مَـــــوَدَّةً وَلا وَلا

وله أيضاً يتشكّى من صديقٍ له كثير التمارض: [مجزوء الكامل]

لِي صـاحِبٌ مُتَمَـرِّضٌ مُتَقَلِّــقٌ فِي ذاتِـــهِ

يـا رِبِّ صَـبِّرْنِي عَـسَى أَقْـوَى عَـلَى مَرْضَـاتِهِ

ومثله قولي في بعض الصُّدور إذ كثرت أمراضه والعيادة له حتى ملَّه الناس: [مجزوء الرمل]

---

(١) في (س): «تقض».

(٢) في (ظ): «تنجلي».

(٣) هو فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس الحنفي (ت: ٧٩٤/ ١٣٩١): الكاتب الناظم الناثر المشهور. ولي نظر الدولة مراراً، وتنقل في الولايات، وولي وزارة دمشق أخيراً، ثم استدعي إلى القاهرة ليستقر وزيراً بها، فاغتيل بالسم في الطريق، فدخل القاهرة ميتاً. كان ماهراً في الكتابة، عارفاً بصناعة الحساب، أعجوبة في الذكاء، وله شعر. انظر ترجمته: شذرات الذهب، ٨/ ٥٧٠. البيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٤١؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٣.

يـا طَوِيـلَ الـسُّقْمِ حَتـىَّ وَمَتَـى عَـرْضُ الوِسـادَهْ
أَنْـصِفِ النّـاسَ بِمَـوْتٍ فَلَقَــدْ مَلُّــواْ العِيــادَهْ

وله أيضاً: [مجزوء الكامل]

لا بُــدَّ يــا مَــوْلايَ أَنْ تَـسْمُو لَـدَيْكَ مَوَاكِـبُ
إِنِّي رَأَيْتُــكَ كاشِــفاً وَأَنَــا وَراءَكَ رَاكِــبُ

وقوله أيضا[(١)]: [مجزوء الرجز]

وَبِي عَــــــرُوضِيٌّ إذا أَبْـصَرَهُ البَـدْرُ احْتَجَـبْ
أَعْطافُــــهُ[(٢)] لِــــصَبِّهِ فَاصِــلَةٌ بِــلا سَــبَبْ

وله أيضاً[(٣)]: [مجزوء الكامل]

يــا ذا العَــرُوضِيَّ الَّــذِي أَضْحَى بَسِيطَ الحُسْنِ كَامِلْ
وَعَــنِ ابْــنِ قَطّــاعٍ رَوَى هَلاَّ رَوَيْتَ عَنِ ابْنِ وَاصِلْ

وقوله أيضاً[(٤)]: [السريع]

يــا حُـسْنَ جَنَّـانٍ لَـهُ وَجْنَـةٌ مِــنْ وَرْدِهــا بِــاللَّثْمِ جَنَّــانِي
أَلْحَقَنِــي يَوْمــاً بِــما راقَنِــي مِــنْ رُطَــبٍ حُلْــوٍ وَحَيَّــانِي

وله أيضاً[(٥)]: [المتقارب]

---

(١) في (ظ): «رحمه الله».

(٢) في (ظ): «ألحاظه».

(٣) في (ظ): «سامحه الله». والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٤١؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٤.

(٤) في (ظ): «أسكنه الله الجنة».

(٥) ساقط من (ظ). والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٤٢؛ وشفاء الغليل، ص.٢٣٤؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٣.

أَتَيْـــــتُ جُنَيْنَـــــةَ أُسْــــــتاذِنا وَقَــدْ جَمَعَــتْ كُــلَّ مَعْنًــى كَمُــلْ
بِهــــــا أَيُّ وَرْدٍ وَآسٍ بِــــــــهِ تَفَــــرَّقَ شَـــمْلُ عِـــداهُ وَفُـــلْ

[١١٧/أ] «الفُلُّ» بضم الفاء، وتشديد اللام: نوعٌ من الزهور يشبه الياسمين إلَّا أنه أحسن منه وأقوى رائحة، وهو شائع في لغة أهل اليمن والحجاز، والظاهر أنه عربيٌّ؛ لكن أهل اللغة لم يذكروه، وسماه ابن البيطار(١) في «مفرداته»(٢) النمارق.

ومن شعره ما كتبه لخاله بالإسكندرية(٣): [الطويل]

لِخَــــالِيَ فِي الإسْـــكَنْدَرِيَّةِ رَغْبَــــةٌ وَمِنْ بَعْدِهِ قَدْ حالَ لِي فِي الهَوى خَالُ
فَـإِنْ يَـكُ أَضْـحَى ثَغْرُهـا مَوْطِنـاً لَـهُ فَيـا حبَّـذا فِي ذٰلِـكَ الثَّغْـرِ لِي خَـالُ

ولَمَّا قدِم الفاضل محمد الصالحي مصرَ ذهب إليه وكتب له يستأذنه في الدخول عليه لأنه كان شديد التوحش كارهاً للاختلاط(٤): [المتقارب]

عَــلَى البــابِ مَــنْ كــادَ مِــنْ شَــوْقِهِ يَمُــوتُ وَذٰلِــكَ يَحْيَــى الأَصِــيلِي
أَتَـــــى يَتَغَنَـــــىَّ بِأَوْصــــــافِكُمْ فَهَـــلْ تَـــأْذَنُونَ لَـــهُ فِي الــدُّخُولِ

فأذِن له وأجابه بديهة بقوله: [المتقارب]

---

(١) هو عبد الله بن أحمد المالقي النباتي الطبيب المعروف بابن البيطار (ت: ٦٤٦/١٢٤٨): عالم بالنبات والطب. كان أوحد زمانه في معرفة النبات، ولد في مالقة بالأندلس، وتوفي بدمشق. من مؤلفاته: «الجامع في الأدوية المفردة»، و«الأفعال العجيبة والخواص الغريبة». انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٣٤٢؛ نفح الطيب، ٢/ ٦٩١؛ فوات الوفيات، ٢/ ١٥٩؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٢٢٢.

(٢) مفردات ابن البيطار ٤/ ١٨٣. (ج).

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ٤٢؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٤-٤٨٥.

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ٤٢؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٣.

لَمَوْلايَ يَحْيَى رَقِيقُ الطِّبَاعِ ... وَلُطْفُ السَّماعِ[١] وَحُسْنُ القَبُولِ
أَمَوْلايَ هَلْ خارِجٌ ضَرْبُكُمْ ... لِتَحْتاجَ لِلإِذْنِ عِنْدَ الدُّخولِ

الدخول أحسن أصوات في الغناء، وضدُّه الخروج. وهذه لغة مولدة، كما يقال للغناء سماع، ولميزان النغم ضربٌ وأصولٌ[٢] وإيقاع.

ولأبي الحسين الجزار في معناه قوله: [المتقارب]

أَمَوْلايَ ما مِنْ طِباعِي الخُرُوجُ ... وَلٰكِنْ تَعَلَّمْتُهُ فِي خُمُولِي
أَتَيتُ لِبابِكَ أَرْجُو الغِنَى ... فَأَخْرَجَنِي الضَّرْبُ عِنْدَ الدُّخولِ

ومن شعره أيضاً[٣]: [مجزوء الرمل]

قِيلَ لِي إنَّ فُلاناً ... قَدْ تَعالَى وَتَكَبَّرْ
وَلِمَنْ قَدْ ساءَ رَأْسٌ ... قُلْتُ لا بَلْ رَأْسُ مَنْسَرْ[٤]

المنسر: طائفة تجتمع من اللصوص والخوارج؛ ولكنه جرى فيه على استعمال أهل مصر ليتمَّ له ما قصد، والمذكور في اللغة أنه بكسر السين، وكان له اطلاع كثير عل اللغة فلعله ظفر به.

ومن مقطعاته قوله: [مجزوء الرمل]

شَفَّنِي[٥] فَاحِمُ شَعْرٍ ... حَسَنُ الجُمَّةِ سَبْطُ

---

(١) في (ظ): «النسيم».
(٢) ساقط من (ظ).
(٣) ساقط من (ظ). والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٤٣؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٤.
(٤) المنسر: الجماعة من قطاع الطرق، وبه يتم الإيهام، والكلمة المركبة من (من) الموصولة، والفعل (سر). (ج).
(٥) في (ظ): «شقني».

شَــجَنِي يُمْــلِي عَلَيْــهِ وَهْــوَ فِي الأَرْضِ يَخُــطُّ

[١١٧/ب] وهو كقول مهيار(١): [الوافر]

بَعِيــدَةُ مَــسْقَطِ القُــرْطَيْنِ تُقْــرَا خُطُــوطُ ذُؤابَتَيْهـــا فِي الـــتُّرَابِ

ولابن سَناء المُلْك(٢): [الطويل]

وَأَشْــكُو إلى لَيْــلِ الغَــدائِرِ غَــدْرَهَا وَأُمْلِي عَلَيْهَا وَهْيَ في الأَرْضِ تَكْتُبُ(٣)

ولا يخفى [أَنَّ] ما قاله صاحبنا أحسن، لأنه يقال خطَّ إذا مشى أوجُرَّ مشياً على التراب، فلذلك استحقَّه.

ومن شعره أيضاً قوله(٤): [مجزوء الرمل]

مُذْ بانَ مَنْ أَهْـوَى همَـتْ عَيْنِــي بِـــماءٍ مُنْهَمِـــرْ
فَقُلْـــتُ لِلْقَلْــبِ إذا لَمْ تُلْـفِ صَـبْراً فَاسْـتَعِرْ

وله أيضاً(٥): [مجزوء الرمل]

رُبَّ قـاضٍ قَبـلَ الرِّشْـ ـــوَةَ لَـــمّا أَنْ تَمَلَّـــكْ
قـــالَ لِلظَّـــالِمِ إنِّي سَـــأُنَجِّيكَ وَأَهْلَـــكْ

وقوله أيضاً(٦): [السريع]

رِســـالَةٌ مِـــنْ لُطْفِهـــا أَشْـــبَهَتْ رِيــحَ الــصَّبا مَــرَّتْ بِزَهْــرِ الرُّبَــى

(١) ديوانه، ١/ ٣٦.
(٢) ديوانه، ٢/ ٥.
(٣) في الديوان: «وأُمْلي عليه وهْوَ في الأَرْضِ يَكْتُبُ».
(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ٤٤؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٤.
(٥) ساقط من (ظ). والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٤٣؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٤.
(٦) في ريحانة الألبا، ٢/ ٤٣-٤٤؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٨٤.

وَلَمْ يَـزَلْ مـا بَـيْنَ أَهْـلِ الهَـوَى رَسـائِلُ العُـشّاقِ رِيـحُ الـصَّبا

وممّا قلته في الصَّبا في إبّان الصِّبا: [السريع]

يـا يُوسُـفَ الحُـسْنِ الَّـذِي لَمْ يَـزَلْ يَـسْرِي نَـسِيمٌ مِنْـهُ لِي أَطْرَبَـا
لَـوْ لَمْ أَكُـنْ يَعْقُـوبَ حُـزْنٍ لَمـا بَـرَّدَ أَشْـجانِي نَـسِيمُ الـصَّبَا

ومن مرثيته للعلامة مفتي الحنفية النِّحْرِيرِيّ[1]: [الخفيف]

إنْ عَـصانِي شِـعْري لِفَقْـدِ شُـعُورِي فَـدُمُوعِي تَرْثِيـكَ بِـالمُنْثُورِ
يـا إمامـاً لَمّـا سَـكَنْتَ جِنانـاً فـاضَ دَمْعِـي عَلَيْـكَ فَيْضَ البُحُـورِ

ومنها:

وَبَكَـى الأَزْهَـرُ المُعَمَّـرُ بَحْـراً كـانَ فِي اللهِ رَبَّ دَمْـعٍ غَزِيـرِ
فَمَـصابِيحُهُ بِأَحْـشائِها النّـا رُ عَلَيْـهِ مِـنْ لَوْعَـةِ التَّـذْكِيرِ
وَمَحارِيبُـهُ لِفُرْقَـةِ ذاكَ الـصْـ ـصَدْرِ أَضْـحَتْ مُقَوَّسـاتِ الظُّهُـورِ

قلت هذا مأخوذ من مرثية لابن نُباته المصري أولها[2]: [الطويل]

عَـلَى مِثْلِهـا فَلْـتَهْمِ[3] أَعْيُنُنـا العَـبْرَى وَتُطْلِـقُ فِي مَيْـدانِها الـشُّهُبَ الحَمْـرَا

[١١٨/أ] ومنها:

كَـأَنَّ المَحارِيـبَ القِيـامَ بِـصَدْرِهِ لِفُرْقَةِ ذاكَ الصَّدْرِ قَدْ قُوِّسَتْ ظَهْرَا
كَـأَنَّ مَـصابِيحَ الظَّـلامِ بِأُفْقِـهِ لِفَقْـدِكَ نِـيرانُ الـصَّبابَةِ وَالـذِّكْرَا

* * *

(١) ستأتي ترجمته تحت رقم [٨١].

(٢) ساقط من (ظ). والأبيات في ديوانه، ص. ٢٢٠.

(٣) في (ظ): «فليتك».

[٨١]

محمد النِّحْرِيرِيّ الضَّرِير[1]

محمد النحريري الضرير المذكور، علم فضله على عاتق الخافقين منشور.

وهو خاتمة المفسرين والقراء، وطراز بُرد المحدّثين والفقهاء، ذو بيان عذب رقيق، وروض فضل هو للنُّعمان شقيق، إذا وعظ تفجّر ينبوع الحكمة مَعيناً، ونادى المصيخ له: لو كُشِف الغطاء ما ازْدَدْتُ يقينا[2]، ففي قلب كلِّ عبارةٍ له براعة، وفي كلِّ مجلسٍ له بُرْءُ ساعة، فكم جرَّ ذيل فضل سابغ، لو رآها جار الله[3] قال: هذه هي الكلم النوابغ.

وكان في إقبال أمره، وطلائع عمره، مُعانِقاً للفقر في زوايا الخُمول، مشتَّت البال تَشتُّت أوراق الخريف يخطبها الصَّبا والقبول: [الكامل]

وَيَرُوقُـــهُ خَـــدْعُ الْمُنَـــى وَكَأَنَّهَـــا ... حَـــقٌّ وَكـــاذِبُ وَعْـــدِهِ مِيثَـــاقُ

وله صنوٌ شقيق، هو في الثروة عريق، فاتفق أن زاره الحِمَام، وحيّاه طارقه بسلام، فقدّم روحَه لِقِرَاه، ولا وارث له سواه، فأثمرتْ له رياضُ المنى، وبُدِّلتْ العنا بالغنى: [الطويل]

---

(١) شمس الدين محمد النِّحْرِيرِيّ الضَّرِير (...): مفسر، محدث، فقيه. انظر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٤٧.

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء من قول الربيع بن خيثم. (ج).

(٣) جار الله: هو الإمام الزمخشري. (ج).

بِـذا قَـضَتِ الأَيّـامُ مـا بَـيْنَ أَهْلِهـا   مَـصائِبُ قَـوْمٍ عِنْـدَ قَـوْمٍ فَوَائِـدُ[1]

وقد رأيته وهو يُملي التفسير، ويَقْرِي الأسماع بألوان التقرير والتحرير، ويوشِّي ديباجته بطراز الحقيقة، وينثر على حاضريه أنوارها الأنيقة.

ثم يجود بعبرةٍ يعشبُ بها واديه، فيرعى فيه سرح حاضره وباديه، حتّى تودُّ كلُّ الأعضاء لو أنها مسامع، وصحائف الأذهان لو أنها دفاتر ومجامع.

وبالجملة هو نتيجة الدهر، وفذلكة كتاب العصر[2]، كأترابه من علماء الحنفية في عصرنا من كلِّ شهم ذي بسالة، لم ير ناظرُ الزمان مثاله، فمنهم: [١١٨/ب]



(١) البيت للمتنبي في ديوانه، ١/ ٢٩٨.

(٢) في (س): «السحر».

[٨٢]

محمد المعروف بالذئب[١]

وهو البحر الذي منه يُروى، وعنه تُنقل بدائع الشعر وتُروى، إذ ارتفع من حضيض التقليد إلى أوج الفضل وذروته، وبرز في حلبة رهانه حتى فات أهل جلدته، فبحره لا تُكَدِّرُه الدِّلاء، وموردُه لا يَنْزَحُه الرِّكاء.

وقد صحبت نجله السَّرِيَّ فرأيته سرى للمجد فباكَرَه فلاحاً[٢]، إذ حطَّ رجلَه في نادي الكرم، وما ترك من أبيه مغدًى ولا مراحاً[٣]. [الرجز]

«ومَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ[٤]»

فقد أفتى ودرَّس، ونزل ساحة المجد فعرَّس، كما قلت فيه[٥]: [مجزوء الرجز]

لِلْــذِئْبِ نَجْــلٌ فَــضْلُهُ　　　لاحَ عَــلَى خَــيْرِ نَمَــطْ

حــاكَى أَبــاهُ فِي العُــلَا　　　فَهَـلْ رَأَيـتَ الـذِّئْبَ قَـطّ

وهذا نوع من التشبيه، والبديع وقد أشار إليه المبرِّد في «الكامل»[٦]، وسماه

---

(١) محمد الحنفي المفتي المعروف بالذئب (...): من علماء العصر وأدبائه. انظر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٤٩.

(٢) في (ظ): «صباحا».

(٣) في (ظ): «رواحا».

(٤) هذا بيت لرؤبة بن العجاج، ويليه: «بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَمْ». شرح ابن عقيل، ١/ ٥٠.

(٥) في ريحانة الألبا، ٢/ ٤٩.

(٦) الكامل ١/ ٤٠. (ج).

الإيماء ومنه قول الحِجازي: [مجزوء الرجز]

وَبَـدْرِ تِـمٍّ قَـدْ سَـعَى بِكَـأْسِ راحٍ وَانْبَـسَطْ
حَيّـا وَقَـطَّ كَأْسَـهُ فَهَلْ رَأَيْتَ البَدْرَ(١) قطّ

ومعنى قوله (قَطَّ) شرب جميع ما في إنائه، وهي لغة عامية شائعة، ولم أر لها أصلاً في اللغة.

ولابن لؤلؤ الذهبي(٢): [مجزوء الرجز]

وَذِي قَـوَامٍ أَهْيَـفٍ بَـيْنَ النَّـدَامَى قَـدْ نَـشَطْ
قَـامَ يَقُـطُّ شَـمْعَةً فَهَـلْ رَأَيْـتَ البَـدْرَ قَـطّ

وممّا قلته في طرزه(٣): [مجزوء الرجز]

وَكاتِـبٍ كَأَنَّـهُ غُـصْنُ النَّقَـا إذا نَـشَطْ
يَقُـطُّ أَقْلامـاً لَـهُ فَهَلْ رَأَيْـتَ الغُصْنَ قَطّ

* * *

(١) في (ظ): «الظبي».
(٢) ديوانه صفحة ٥٥. (ج).
(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ٥٠.

[٨٣]

يوسف المغربي الحربي[١]

عزيز مصره بناناً وبياناً، ويوسف عصره حسناً وإحساناً.

نشأ بمصر يتعاطى حرفة الأدب، ويربط بأوتاد شعره كلَّ سبب، ويشارك من تجارة الفضل بنصيب، ويرمى أغراضها بكلِّ سهمٍ مصيب، بطبعٍ ألطف من نسيم الشمال، إذا سرَتْ سُحْرةً بَلِيلَة الأذيال، متتابعةَ الأنفاس، منبّهةً عيون النور من النعاس، فألقى العنبر الرَّطبُ نفسه في النار من حسدٍ عليه، وتفَتَّتَتْ سُوَيْداءُ المسكِ الشِّحريِّ، إذ لم تصل إليه.

وقد جريت[٢] معه[٣] في حلبة [١١٩/أ] التَّصابي، قبل أن يُمزِّقَ رداء شبابي، فرَوِيْنا عن الزَّمن، كلَّ حديثٍ حسن، وأغصان الشباب رطاب، ومنازل الآمال فسيحة الرِّحاب.

---

(١) يوسف بن زكريا المغربي (ت: ١٠١٩/ ١٦١٠): نزيل مصر، أديب شاعر. أخذ بمصر عن يحيى الأصيلي، وبه تخرج، والبدر القرافي، وأبي النجا سالم السنهوري، والأستاذ محمد البكري. توفي بمصر. من مؤلفاته: ديوان شعر سماه: «الذهب اليوسفي»، و«رفع الإصر عن كلام أهل مصر» رسالة في العامية المصرية، و«تخميس لامية ابن الوردي»، و«بغية الأريب وغنية الأديب». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٣٢؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٥٠١؛ هدية العارفين، ٢/ ٥٦٦؛ الأعلام، ٨/ ٢٣١؛ معجم المؤلفين، ٤/ ١٦١.

(٢) في (ظ): «جربت».

(٣) ساقط من (ظ).

وله ديوان سماه: «الذَّهَبُ اليُوسُفِيُّ ومورد العذب الصَّفِّي».

فمن خالص ذهبه، وغض أدبه، قوله من قصيدة(١): [الكامل]

هٰـــذِي كُنُـــوزٌ فُتِّحَـــتْ أَمْ مَبْـــسَمُ وَالْـــبَرْقُ لاحَ أَمِ الغَـــوانِي تَبْـــسِمُ

هٰــذِي شَــمائِلُ مَــنْ نَــزَلْنَ جَــوانِحِي وَجَــوارِحِي يَبْقَــى النَّزِيــلُ وَيَــسْلَمُ

وله(٢) من أخرى(٣): [السريع]

اِشْرَبْ وَلا تَعْتَــبْ عَــلَى عــاذِلٍ فَمِثْلُــهُ فِي النّــاسِ لَمْ يُعْتَــبِ

وَإِنْ تَكُــنْ يــا سَــيِّدِي طالِبــاً دُرًّا وَياقُوتــاً مِــنَ المَطْلَــبِ

فَالْكَــأْسُ وَالــصَّهْباءُ فِيهــا الغِنــىَ فَخُــذْ حَــدِيثَ الكَنْــزِ عَــنْ مَغْــرِبِي

وله من أخرى(٤): [الكامل]

جَعَلُـواْ الـشُّعُورَ عَـلَى الخُـصُورِ بُنُـودَا وَالــرّاحَ رِيقــاً وَالــشَّقِيقَ خُــدُودَا

جَعَلُـواْ الـصَّباحَ مَباسِـماً ثُـمَّ الظَّـلا مَ ضَــفائِراً ثُــمَّ الرِّمــاحَ قُــدُودَا

وَالْــوَرْدَ خَــدًّا وَالْغُــصُونَ مَعاطِفــاً وَالــشَّمْسَ فَرْقــاً وَالْغَزالَــةَ جِيــدَا

وهو كقول(٥) ابن قلاقس(٦) ....

---

(١) في ريحانة الألبا، ٢/ ٣٣.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ٣٣-٣٤؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٥٠١.

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ٣٣؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٥٠١.

(٥) في (ظ): «من قول».

(٦) هو نصر بن عبد الله بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الأزهري الإسكندري (٥٣٢-٥٦٧ / ١١٣٨-١١٧٢): الملقب بالقاضي الأعز، كان شاعراً مجيداً وفاضلاً نبيلاً، وكان من كبار الكتاب المترسلين. ولد ونشأ بالإسكندرية، وانتقل إلى القاهرة، فكان فيها من عشراء الأمراء. =

في القصيدة المشهورة[1]: [الكامل]

عَقَدُوا الشُّعُورَ مَعاقِدَ التِّيجَانِ وَتَقَلَّدُوا بِصَوارِمِ الأَجْفَانِ
وَمَشَوْا وَقَدْ هَزَّ الشَّبابُ قُدُودَهُمْ هَزَّ الكُماةِ عَوالِيَ المُرَّانِ
جَرُّوا الذَّوائِبَ وَالذَّوابِلَ وَانْثَنَوْا فَثَنَوْا عِنانَ[2] مُحْصَّنٍ وَحَصَانِ
وَتَوَشَّحُوا زُرُداً فَقُلْتُ أَرَاقِماً[3] خَلَعَتْ مَلابِسَها عَلَى كُثْبَانِ[4]
وَلَرُبَّما عَطَفُوا الكِعابَ[5] فَواصَلُوا ما بَيْنَ لَيْثِ الغابِ وَالثُّعْبانِ
فِي حَيْثُ أَذْكَى السَّمْهَرِيُّ قَوامَهُ[6] رَفَعَ الغُبارُ لَهَا مَثارَ دُخَانِ
وَعَلا خَطِيبُ السَّيْفِ مِنْبَرَ راحَةٍ يَتْلُو عَلَيْهِ مَقاتِلَ الفُرْسَانِ
يا مُرْسِلَ الرُّمْحِ الصَّقِيلِ سِنانُهُ أَمْسِكْ فَلَيْسَ اليَوْمُ يَوْمَ طِعَانِ
[١١٩/ب] هاتِيكَ شَمْسُ الرّاحِ يَسْطَعُ ضَوْءُها مِنْ خَلْفِ سُحْبِ أَبارِقٍ وَقَنانِي[7]
وَهِلالُ شَوّالٍ يَقُولُ مُصَدِّقاً بِيَدِي غَصَبْتُ النُّونَ مِنْ رَمَضَانِ

= ودخل عدن سنة (٥٦٥) ثم غادرها بحراً في تجارة. وكان له رسائل كثيرة مع عدد من الأمراء. وكان يطوف بين زبيد وعدن. واستقر بعيذاب لتوسطها بين مصر، والحجاز، واليمن، تبعاً لاقتضاء مصالحه التجارية، وتوفي بها. من مؤلفاته: «ديوان شعر» مطبوع. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٥/ ٣٨٥؛ الأعلام، ٨/ ٢٤؛ معجم المؤلفين، ٤/ ٢٧.

(١) ديوانه، ص. ٥٣٧-٥٣٨.

(٢) في الديوان: «عناني».

(٣) في الديوان: «أراقم».

(٤) في (ظ) وفي الديوان: «عقبان».

(٥) في الديوان: «الكعوب».

(٦) في الديوان: «شراره».

(٧) في (ظ): «وقنان».

وقوله أيضاً[(١)]: [مجزوء الرجز]

أُوصِيكَ إنْ شَخْصٌ غَدا يَضْحَكُ أَنْ مَرَّ بِكَا

لا تَغْتَرِرْ بِضِحْكِهِ فَإِنَّ هٰذا كَلْبُكَا

وقوله [في مليح اسمه رمضان][(٢)]: [الخفيف]

رَمَضانُ مُذْ زارَ فِي رَمَضَانِ وَهْوَ بَدْرٌ يَفُوقُ كُلَّ الحِسَانِ

قُلْتُ صِلْنِي فَقالَ هٰذا عَجِيبٌ أَيَجُوزُ الوِصالُ فِي رَمَضَانِ[(٣)]

وهذا كقول الآخر[(٤)]: [الوافر]

بُلِيتُ بِهِ فَقِيهاً ذا جِدَالٍ يُجادِلُ بِالدَّلِيلِ وَبِالدَّلَالِ

طَلَبْتُ وِصالَهُ وَالْوَصْلُ حُلْوٌ فَقالَ نَهَى النَّبِيُّ عَنِ الوِصَالِ

وقوله معرضاً بشخص يقال له العاملي: [السريع]

إنَّ اليَهُودِيَّ غَدا عامِلاً فِي النّاسِ بِالْحَقِّ[(٥)] وَبِالْبَاطِلِ

يَعْمَلُ فِي الدِّينِ بِما يَشْتَهِي فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى العَامِلِي

وله يمدح يحيى الأصيلي: [الوافر]

مَدَحْتُ البَحْرَ إذْ أَضْحَى يُحاكِي عُلُومَ البَرِّ ذِي القَدْرِ الجَلِيلِ

وَإِنِّيَ إنْ مَدَحْتُ البَحْرَ يَوْماً فَمَدْحِي فِيهِ لِلْبَرِّ الأَصِيلِي

---

(١) ساقط من (ظ).

(٢) البيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٥٠١. وما بين معقوفين مستدرك من الريحانة.

(٣) في البيت تورية، فالوصال في الحب معروف، والوصال أن يوصل المرءُ الصيام يومين أو ثلاثة، وهو منهي عنه. (ج).

(٤) البيتان بلا نسبة في تذكرة ابن العديم ١٣٠، وخلاصة الأثر ٤/ ٥٠١. (ج).

(٥) في (ظ): «الجور».

وهذا مثل للعامة بمصر تقول: فعل كهذا البَرِّ الأصيل[١] إذا بلغ نهايته، والمراد بالأصيل ما ليس بساحل للجزائر. ووجه الاستعارة فيه ظاهر.

وسألني فأجبته مقرِّظاً ومخمِّساً لهذه المقطوعة بقولي: حمداً لمن أطْلَعَ من الأفق الغربيِّ بدرَ البلاغة مشرقاً، وشكراً له إذ أبدع جمال دينه بما أودع فيه من الكمالات التي زيَّنتْ مغرِباً، ومشرِقاً.

وصلاةً وسلاماً لمن أضاء الوجودَ برسالة متألِّقاً[٢]، [١٢٠/أ] حبيبِ الله عز وجل الذي أمتعه بدوامِ وُصْلَته بلقائه، فلم يقل متى اللقاء، وأرشد أمته إلى حسن الأدب بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وبعد؛ فإن الأديب الفاضل الأريب، الكامل الكاتب، الشاعر الناظم الناثر، ذا النِّظام الجوهري، والنَّثار الذهبي أدام الله عز وجل كمالَ محاسنه ومحاسن كماله، وأمدَّ جمالَ[٣] رونقِه ورونق جماله، ممّن جمع اللهُ له بين الحسن والإحسان، ويراعة البنان، وبراعة البيان، قد أَرْبى بنضارة كلامه على زهرِ الخميلة، ورقَتْ دقائقُ بديعه على درجِ المعاني الجميلة الجليلة، حتى صار مع صغر سنِّه شيخَ الآداب، وظهر فضلُه كالشمس وقت الظهر في عصر الشباب.

وكان كثير ما يُجاملني بحُسن المجالسة، ويُعاملني بلطف المؤانسة، ويُنْعِم باجتلاء جواهر محاضراته، واجتناء زواهر محاوراته، فتفضَّل بإهداء بيتين مُطْرِبين، ولا طرَب المثالِث والمثاني، مُغْنِيَيْنِ ببديع الحسن عن أجمل الغواني، جلا فيهما

(١) في الريحانة ٢/ ٣٧: أهل مصر تقول لِمَا بلغ الغاية: راح للبرِّ الأصيل. (ج).

(٢) في الريحانة: برسالته متألقا. (ج).

(٣) في الريحانة ٢/ ٣٦: وأَبَّدَ جمال. (ج).

عرائس صفاته في مرآتي، وأشرقَ مصباحُ ذاته في مشكاتي. فأوسعني، أوسعه الله[1] من فضله المزيدَ مُجابرةً وتأنيساً، والتمسَ منّي، حرسه الله بسِرِّ التوّحيد أن أجعل لهما تخميساً، قاصداً بذلك - أنجحَ الله مقاصدَه، وكثَّر فوائده - تنويه ذكري، وتنبيه خلل فكري، فأجبتُه لذلك مُطيعاً لأمره، حافظاً - ولا أقول مضَيِّعاً - لطيب ما انْطَوَى فيهما من عاطر نشره، [ولا فظاً][2]، معترفاً بأنَّ نظمه لم أكن من بَزِّه، ووَشْيَ فكري مقصورٌ على رقيم خَزِّه. فأبقاه الله عزّ وجل لإعلاء أعلام العلوم، وتحلية أجياد الآداب بجوامع المنثور والمنظوم.

والبيتان العامران، بل الروضان المزهران، والكوكبان الزاهران، هما «مَدَحْتُ البَحْرَ إذْ أَضْحَى يُحَاكِي» البيتين، والتخميس المذكور هو قولي[3]: [الوافر][١٢٠/ب]

رَأَيْتُ الشَّيْءَ يُمْدَحُ بِاشْتِرَاكٍ لآخَرَ فِي صِفاتِ المَدْحِ زَاكِي
أَلَمْ تَرَنِي بِعَزْمٍ وَانْهِمَاكٍ مَدَحْتُ البَحْرَ إذْ أَضْحَى يُحَاكِي
عُلُومَ الحِبْرِ ذِي الفَخْرِ الجَلِيلِ
أَصِيليٌّ جَفا فِي العِلْمِ نَوْمَا وَبَرٌّ قَدْ غَلا فِي المَجْدِ سَوْمَا
وَلَجَّجَ فِي بِحارِ الفَضْلِ عَوْمَا وَإِنِّي إنْ مَدَحْتُ البَحْرِ يَوْمَا
فَمَدْحِي فِيهِ لِلْبَرِّ الأَصِيليّ

(*) وكتب إليَّ[4] رحمه الله سؤالاً أدبياً صورته: أيها الشقيقُ الشفيق، والرفيق الرقيق، والإمام الهُمام، الهادي لسابلة الأفهام، إذا ضلّت في مَهامه الأوهام، إنِّي

(١) ساقط من (ظ).
(٢) زيادة من (ظ).
(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ٣٧.
(٤) انظر السؤال وجوابه في نفحة الريحانة ٤/ ٤٠٦. (ج)

أشكلَ عليَّ قولُ أبي منصور الثعالبي، في «اليتيمة»: اتفق لي في أيام الصَّبا معنى بديع حسبت أني لم أسبق إليه، وهو[١]: [مجزوء الرجز]

قَلْبِـــيَ وَجْـــداً مُـــشْتَعِلْ وبِـــالْهُمُومِ مُـــشْتَغِلْ[٢]
وقَــدْ كَــسَتْنِي في الهَــوَى[٣] مَلابِــسَ الــصَّبِّ الغَــزِلْ
إِنْــــــسَانَةٌ فَتَّانَــــــةٌ بَدْرُ الدُّجى[٤] منها خَجِلْ[٥]
إذا زَنَـــتْ عَيْنِـــي بِهـــا فَبِالـــدُّمُوعِ تَغْتَـــسِلْ

هل استعارته لنظر الحبيب الزِّنا، ممّا يعدُّ في الأدب معنى حسنا، أوهو ممّا يجاوز الحدَّ، فاستحقَّ بالزنا الحد.

فكتبت له مجيباً: أيها الأخ قرة العين، وبدر هالة المجالس الذي هو لها زين، إنّه من المعاني القبيحة، المورثة للفضيحة، وقد سبقت له ابن هندو[٦] في قوله[٧]: [الطويل]

يَقُولُـونَ لِي مَـا بَـالُ عَيْنِـكَ مُـذْ[٨] رَأَتْ مَحَاسِـنَ هَـذَا الظَّبْـيِ أَدْمُعُهَـا هُطْـلُ[٩]

(١) الأبيات في يتيمة الدهر، ٣/ ٤٦١؛ وفوات الوفيات، ٣/ ١٦.

(٢) في يتيمة الدهر، وفوات الوفيات: «مشتمل».

(٣) في فوات الوفيات: «وقد كست جسمي الضنى».

(٤) في فوات الوفيات: «بدر السما».

(٥) في يتيمة الدهر: «حجل».

(٦) هو علي بن الحسين بن هندو البغدادي، أبو الفرج (ت: ٤٢٠/ ١٠٢٩): طبيب، حكيم، أديب، كاتب، شاعر. توفي بجرجان. من مؤلفاته: «ديوان شعر»، و«مفتاح الطب». انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٣/ ١٣؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٤٣٦.

(٧) البيتان في يتيمة الدهر، ٣/ ٤٦١.

(٨) في فوات الوفيات: «إذ».

(٩) في يتيمة الدهر: «مطل».

فَقُلْتُ زَنَتْ عَيْنِي بِطَلْعَةِ[1] وَجْهِهِ فَكَانَ لَهَا مِنْ صَوْبِ أَدْمُعِهَا غُسْلُ

وهو معنى قبيح، واستعارة بشعة، ألا ترى ما قيل في الذم: [الرمل]

أَيُّهَا النَّاكِحُ بِالْعَيْـ ـنِ جَوارِي الأَصْدِقَاءِ

وقول صَرَّدُرَّ قصيدته المشهورة[2]، وإن كان معنى آخر: [الكامل] [١٢١/أ]

يَا عَيْنُ مِثْلُ قَذَاكِ رُؤْيَةُ مَعْشَرٍ عَارٍ عَلى دُنْيَاهُمُ وَالدِّينِ

نَجَسُ العُيُونِ فَإِنْ تَرَاهُمْ[3] مُقْلَتِي طَهَّرْتُهَا فَنَزَحْتُ مَاءَ عُيُونِي[4]

وكيف يَتأَتَّى لهؤلاء ما قالوه بعد قول يزيد بن معاوية في شعره المشهور[5]: [الطويل]

وَكَيْفَ تَرَى لَيْلَى بِعَيْنٍ تَرَى بِها سِواها وَما طَهَّرْتَها بِالْمَدَامِعِ

أُجِلُّكِ يا لَيْلَى عَنِ العَيْنِ إِنَّما أَراكِ بِقَلْبٍ خاشِعٍ لَكِ خَاضِعِ

ومنه أخذ العفيف التِّلِمْساني[6]: [الكامل]

---

(١) في فوات الوفيات: «برؤية».

(٢) ديوانه، ص. ٥٤.

(٣) في الديوان: «رأيتهم».

(٤) في الديوان: «جفوني».

(٥) البيتان في ديوانه، ص. ٢٠-٢١؛ ووفيات الأعيان، ٤/ ٣٥٥.

(٦) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني المعروف بالعفيف التلمساني (٦١٠-٦٩٠ / ١٢١٣-١٢٩١): شاعر، كومي الأصل من قبيلة كومة، تنقل في بلاد الروم، وكان يتصوف ويتكلم على اصطلاح القوم، يتبع طريقة ابن العربي في أقواله وأفعاله. واتهمه فريق برقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية. ابنه الشاب الظريف أشعر منه، مات في دمشق، ودفن بمقابر الصوفية. من مؤلفاته: «ديوان شعر»، و«شرح فصوص الحكم» لابن عربي. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٧/ ٧١٩؛ فوات الوفيات، ٢/ ٧٢؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٩٤؛ الأعلام، ٣/ ١٣٠.

قـــالُوا أَتَبْكِـــي مَـــنْ بِقَلْبِـــكَ دارُهُ جَهِـــلَ العَـــواذِلُ دارَهُ بِجَمِيعِـــي

لَمْ أَبْكِـــهِ لٰكِـــنْ لِرُؤْيَـــة حُـــسْنِهِ طَهَّـــرْتُ أَجْفـــانِي بِفَـــيْضِ دُمُـــوعِي

وقال ابن رشيق في كتاب «بدائع الأسفار»[1] قال أبو علي الفارسي[2]: ليس العجب من توارد الثعالبي مع ابن هندو، وإنّما العجَبُ من قوله: لم أُقَدِّرْ أني سُبقت إليه، وأبو الطيب يقول في الحُمَّى[3]: [الوافر]

إِذا مـــا فـــارَقَتْنِي غَـــسَّلَتْنِي كَأَنّـــا عاكِفـــانِ عَـــلَى حَـــرَامِ

وهل هذا إلَّا ذاك بعينه، وأبو الطيِّب أحسنُ لفظاً، وأصحُّ معنًى، لذكره ذَكراً وأنثى يقع الزنا بينهما، بخلاف ما ذكراه؛ وفي نقده نقدٌ تركناه خوفُ الملل والسآمة هذا ما سنحَ للخاطر، والسلام.



---

(١) ورد هذا لابن رشيق في كتابه قراضة الذهب ٤٤-٤٥. (ج).

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي المعروف بأبي علي الفارسي (٢٨٨-٣٧٧/ ٩٠٠-٩٨٧): أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا من أعمال فارس، تجول في كثير من البلدان. قدم حلب فأقام مدة عند سيف الدولة. وعاد إلى فارس، فصحب عضد الدولة بن بويه، وتقدم عنده. ثم رحل إلى بغداد، فتوفي بها، ودفن بالشُّونيزِية. من مؤلفاته: «التذكرة» في علوم العربية، و«تعاليق سيبويه». انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٤/ ٤٠٧؛ وفيات الأعيان، ٢/ ٨٠؛ الأعلام، ٢/ ١٧٩.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي ٢/ ٤٧٨.

[٨٤]
إبراهيم بن المُبَلِّط[1]

أديبٌ أدار رحيق الأدب مُصَفّى، فإن قصَّر فيه سواه فإبراهيم الذي وفَّى، شاد بيوته جوهراً[2] وياقوتاً، وغيره ينحت من الجبال بيوتاً، فبان له في محاسن الآثار، قصورٌ تنادي بقصور المعمار.

وكان يَتعاطى صناعة الوِراقة، ويصون بها ماء وجهه عن الإراقة، ويزفُّ في نادي الأدب على الأشراف، عرائسَ خدورُها الطُّروسُ ولآلىءَ لها الآذانُ أصدافٌ.

وقد تولّى مشيخةَ سوق الكتب بالقاهرة، فزهتْ ثماره بين أوراقها الزاهية الزاهرة.

وقد رأيت [١٢١/ ب] «ديوانه»، الذي شيَّدَ بنيانه، فمن قوله فيه: [السريع]

يـــا شُـــعَراءَ العَـــصْرِ لا تَمْـــدَحُوا   شَخْـــصاً وَلَـــوْ أَنَّكُـــمُ مُعْـــسِرُونْ
فَـــاللهُ رَبُّ العَـــرْشِ سُـــبْحانَهُ   يَـــرْزُقُكُمْ مِـــنْ حَيْـــثُ لا تَـــشْعُرُونْ

وهذا ممّا سبقه إليه كثيرٌ من الشعراء، وللشهاب المنصوري: [السريع]

لا أَطْلُـــبُ الـــرِّزْقَ بِـــشِعْرٍ وَلَـــوْ   كُنْـــتُ عَـــلَى جَيِّـــدِهِ أَقْـــدِرُ
كَيْـــفَ وَعِلْمِـــي أَنَّ لِي سَـــيِّداً   يَرْزُقُنِـــي مِـــنْ حَيْـــثُ لا أَشْـــعُرُ

---

(١) برهان الدين إبراهيم بن المبلط القاهري (ت: ٩٩١/ ١٥٨٣): شاعر، أديب مصري. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٢٢؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦٢٢؛ الكواكب السائرة، ٣/ ٩٢.

(٢) في (ظ): «جواهرا».

ومن قصيدة له رثى بها بعض أحبابه: [الخفيف]

لَوْ عَلِمْنا أَنَّ البُكاءَ مُفِيدٌ لَفَجَرْنا مِنَ العُيُونِ عُيُونَا
وَقَبِيحٌ بُكاؤُنا لَكَ بِالدَّمْـ ـعِ وَلَوْ كانَ لُؤْلُؤاً مَكْنُونَا
إِنَّما الحُزْنُ أَنْ نَشُقَّ قُلُوباً كانَ فِيها لَكَ الوِدادُ كَمِينَا

وأحسن من هذا قولي في مرثية والدي: [الخفيف]

أَيُّها اللاَّئِمِي عَلَى شَقِّ ثَوْبِي قائِلاً ما الذُّنُوبُ لِلأَبْرَادِ
لَيْسَ شَقُّ القَمِيصِ وَقْتَ مُصابِي ضَنَّةً بِالصُّدُورِ أَوْ بِالْفُؤَادِ
بَلْ لأَنِّي أَصُونُهُ خَشْيَةً مِنْ ضَيْعَةٍ لِلْهَوَى وَحَقِّ الوِدَادِ

وقوله مضمناً: [الطويل]

يَقُولُ عَذُولِي قَهْوَةُ البُنِّ مُرَّةٌ وَشَرْبَةُ حُلْوِ الماءِ لَيْسَ لَهَا مِثْلُ
فَقُلْتُ عَلَى ماعِبْتَها مِنْ مَرارَةٍ قَدِ اخْتَرْتُها فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ ما يَحْلُو[1]

وقوله أيضاً: [مجزوء الرجز]

يا نائِماً وَقِنُّهُ مِنْ فَوْقِهِ كَفَحْلِ جِنْ
يَحْقِنُهُ بِمائِهِ ما لِي أَراكَ تَحْتَقِنْ[2]

ولابن هندو في هذه الحقنة: [الكامل]

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَما أَراهُ فارِغاً مِنْ حُقْنَةٍ تَشْفِيهِ مِنْ قُولَنْجِهِ

(١) البيتان في شذرات الذهب، ١٠/ ٦٢٢؛ والكواكب السائرة، ٣/ ٩٢.
أقول (ج): والتضمين من قول ابن الفارض، الديوان ١٣٤:
نصحتك علماً بالهوى والذي أرى مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو.

(٢) في (ظ): «تحتقن وتحت قن».

وقوله أيضاً: [المتقارب] [١٢٢/أ]

عَجِبْــتُ لِقُــوْلَنْجِ هٰــذا الوَزِيـــ ـــرِ كَيْفَ اعْــتَراهُ وَأَنَّـــى حَــدَثْ
وَفِي كُـــلِّ يَـــوْمٍ لَـــهُ حُقْنَـــةٌ بِـــأَيْرٍ يُقَـــرِّعُ بـــابَ الحَـــدَثْ

انظر هذا مع قولي: [الخفيف]

فَقحـــةٌ قَـــدْ حَـــوَتْ بِحـــارَ مَنِـــيٍّ طاغِيـــاتٍ طُغْيـــانَ بَحْـــرٍ عُبَـــابِ
وَلِخَـــوْفِ الحِقـــانِ يَغْـــرَقُ فِيهـــا لَـــيْسَ يَـــأْتِي لَهَـــا بِغَـــيْرِ جِـــرَابِ

ومن قصيدة له[١] رثى بها النجم القبطي رحمه الله[٢] |وأجاد|[٣]:[الخفيف]

لا تَظُنُّـــوا أَنَّ المَنُـــونَ دَهَتْـــهُ بَـــلْ دَعَتْـــهُ إِلَى الـــشَّهادَةِ حَقَّـــا
خَطَبَتْـــهُ حُـــورُ الجِنـــانِ وَجـــاءَتْ مُـــسْفِراتٍ فَـــماتَ فِـــيهِنَّ عِـــشْقَا

والنجم هذا خاتمة المحدثين، وإليه انتهت رئاسة العصر فضلاً وسنداً. وهو شيخُ مشايخنا، وتصانيفه مشهورة في ديارنا. وسأذكرُ من حاله ما تقرُّ به عين الطالب[٤] إن شاء الله تعالى[٥].

* * *

(١) في (ظ): «وله من قصيدة».
(٢) ساقط من (ظ).
(٣) زيادة من (ظ).
(٤) كذا ذكر؛ لكنه لم يأت بما وعد به. (ج).
(٥) ساقط من (ظ).

[٨٥]
محمد بن أحمد الحَتَاتِيّ[١]

أديب فاضل، رقيق شملة الشمائل، جمُّ المناقب، صنو دراري الكواكب، إن كان الأدب روضاً فهو نوّاره، أو الفضلُ يداً أو ساعداً فهو سواره، قطف ثمر المجد غضَّ الجنى، وكلُّ من عَجَّلَ الغِراسَ اجتنى، وهو مع أن ربع الكرم هشيم الحطام مجدبٌ، جُودُ[٢] ربيعِهِ وساحةُ معاليه مغدقٌ مخصبٌ.

وله في الطب يد كثيرة الأيادي، وطبعٌ معتدل العناصر والمبادي، وبدائع مجربات، شهدت لها الأسباب والعلامات وفكر ألمعيّ لم يلمَّ به ألم عيّ، وموثق[٣] خط مسند[٤]، وحديث مجدٍ إلى المعالي مسند، وشعر رقيق، ونثر هو المسك الفتيق، وأدب يملى ولا يُمَلُّ، كتنفس الريحان إذا بكى الطلُّ، يتغنّى به كلُّ حادٍ

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد الحتاتِيّ المصري الخلوتي النقشبندي (ت: ١٠٥١/١٦٤١): أديب، شاعر، كاتب. كان من أعيان الفضلاء، وبلغاء الشعراء، وله شعر رقيق في نهاية الحسن والجودة. وكان ظريف الطبع، وله في الطب باع طويل، أخذ عن علماء مصر ثم دخل الروم، وأقام بها مدة طويلة، ولي قضاء أسيوط، والجيزة، وتوفي بالجيزة وهو قاض بها. من مؤلفاته: «الدليل الهادي والعقل المعادي»، و«حسن الصياغة في بيان مقدمات علمي البلاغة». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٧٤؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٣٦٦؛ سلافة العصر، ص. ٤١٧؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٨٠؛ الأعلام، ٦/ ٩؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٩٩.

(٢) في (س): «جو».

(٣) في (ظ): «ومونق».

(٤) في (ظ): «مجود».

ومَلَّاح، ويترقرق ترقرق الدموع في خدود الملاح.

وكان في صباه [١٢٢/ب] بمصر لا زالت السحب تحطُّ بحماها أثقالها، مجدًّا في كسب المحامد والمعالي لا ترد سؤالها، ثم اتهمَ وأنجد، وديباجةُ حاله بالرحيل تجدد، فلم يزل مغرباً ومشرقاً، حتى اتخذ الرومَ لشمسه أفقاً، فنعمت فيها باجتناء فواكه محاوراته، فطوّقني طوقاً من مدائحه، وعِقداً من مطارحاته، أذرف من زهر العلوم مونقه[1]، أكسد موق الدر ما ينمّقه[2]، ما بين جدٍّ أسكر بحميّاه ابنة الزرجون، وهزلٍ اغتبقت واصطبحت منه سلافة[3] المجون، [المتقارب]:

هو الضيف سمعي له منزل وقلبي فرش وحبي قرى

مما دار عليَّ من راحه، وانهل من ماء سماحه، قوله وهو معنى بديع: [السريع]

عُمْرُ الفَتَى قالُوا زَمانُ الرِّضَا بِصَفْوَةِ الأَحْبابِ فِي اليُسْرِ
صَدَّقْتُ ما قالُوهُ كَيْ يُقْبِلُوا لِيَنْظُروا شَيْخاً بِلا عُمْرِ

وقوله أيضاً[4]: [الوافر]

أَجَلَّ اللهُ أَعْطافَ الحَبِيبِ وَأَيْنَعَ قامَةَ الغُصْنِ الرَّطِيبِ
وَأَنْبَتَ وَرْدَها غَضًّا طَرِيًّا وَسَيَّجَهُ بِرَيْحانِ القُلُوبِ
وَلا زالَتْ شَمائِلُهُ نَشاوَى مُرَنَّحَةً كَغُصْنٍ فِي كَثِيبِ
وَعَطَّفَها نَسِيمُ الشَّوْقِ حَتَّى تَمِيلَ إِلَى مُعانَقَةِ الكَئِيبِ

---

(١) وردت هذه الجملة في (ظ) بعد عبارة «محاوراته».

(٢) في (ظ): «قد نمقه».

(٣) في (س): «بسلافة».

(٤) ساقط من (ظ).

وَرَوَّى أَرْضَهَا سَحًّا مَطِيراً ... بِغَيْثٍ مِنْ سَما جَفْنٍ صَبِيبِ[١]

وقوله من قصيدة[٢]: [الكامل]

نُعْمٌ أَتَتْكَ فَلا خِضابُ المَوْعِدِ ... مُتَنَصِّلٌ بِنَدَى اعْتَذارِ المُجْتَدِي

جاءَتْكَ تَدَّرِعُ السُّعُودَ كَأَنَّها ... غُصْنٌ مِنَ الياقُوتِ تَحْتَ زَبَرْجَدِ

ومما زفَّهُ إليَّ من عقائله قوله[٣]: [البسيط]

أَسْتَرْجِعُ اللهَ أَحْلاماً مَضَيْنَ لَنا ... فِي غَفْلَةِ الدَّهْرِ أَوْ فِي يَقْظَةِ العُمُرِ

حَيْثُ التَّصابِيُّ مَعْقُودُ اللِّواءِ عَلَى ... جَيْشٍ مِنَ اللَّهْوِ بَيْنَ الأَمْنِ وَالظَّفَرِ

[١٢٣/أ] أَيَّامَ كانَت[٤] شُمُوسُ الصَّفْوِ تَلْمَعُ مِنْ ... أُفْقِ الأَسارِيرِ وَالكاساتِ وَالثُّغَرِ

وَالأُنْسُ تَطْفَحُ عِنْدِي صَفْحَتاهُ وَإِنْ ... طَغَى رَقِيبِي رَماهُ الكَأْسُ بِالشَّرَرِ

كَأَنَّنِي كُنْتُ فِي دارِ النَّعِيمِ مُنىً ... ما جالَ لِلنَّفْسِ إِلَّا لاحَ لِلنَّظَرِ

لا غَوْلَ فِيها وَلا لَغْوٌ[٥] وَلا كَدَرٌ ... سِوَى السُّلافُ وَصَوْتُ النّايِ وَالْقصرِ

فَكَمْ لَيالٍ كَسَتْ بَدْرَ الدُّجَى شَرَفاً ... تَمَنَّتِ الشَّمْسُ فِيهِ رُتْبَةَ القَمَرِ

أَهْدَى لَنا ضَوْؤُهُ لُحُفاً بَطائِنُها ... رِيحُ الصَّبا وَافْتَرَشْنا زَهْرَةَ الزَّهَرِ

وَكَمْ رَكِبْنا بِها دُهْماً قَلائِدُها ... شُهْبُ النُّجُومِ عَلَى الأَحْجالِ وَالْغُرَرِ

بَنَيْتُ فِيها[٦] نَشاوَى خَمْرَةٍ وَصِبَى ... غَرْقَى المَسَرّاتِ فِي وِرْدٍ وَفِي صَدَرِ

(١) في (س): «مجيب».

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ٧٥؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٣٧٤.

(٣) في خلاصة الأثر، ٣/ ٣٦٧-٣٦٨، إلا أن الأبيات الأربعة الأخيرة لم ترد.

(٤) في (س): «كان».

(٥) في (ظ): «لهو».

(٦) في (ظ): «منها».

لا تَعْـرِفُ الحِقْـدَ إلَّا لِلـصَّباحِ وَقَـدْ … أَضْـحَتْ تَـنُمُّ عَلَيْنـا نَـسْمَةُ الـسَّحَرِ
وَكـانَ يَرْقُـبُ لَـيْلاتِي وَيَـسْبِقُها … عَـلَى المَجِـيءِ وَإنْ لَمْ تَمْـضِ لَمْ نَـسِرِ
تِلْكَ اللَّيالِي الَّتِي لَوْ أَنْصَفَتْ وَصَلَتْ … بِـالرُّوحِ بَعْـدَ سُوَيْدا القَلْبِ وَالْبَـصَرِ
مَـضَتْ سِراعـاً بِأَحْبـابٍ عَرَفْـتُ بِهِـمْ … حـالَ المَـوادِّ إذا حالَـتْ عَـنِ الـصُّوَرِ
وَاسْـوَدَّ وَجْـهُ شَـبابِي بَعْـدَ نُـضْرَتِهِ … بِـأَبْيَضِ الـشَّيْبِ لا بِـاللُّؤْمِ وَالخَـوَرِ
أَرَى حِــدادَ اللَّيــالِي بَعْــدَ بَيْــنِهِمُ … شَـيبَتِي وَحِـدادِي أَبْـيَضُ الـشَّعَرِ
أَبْكِـــيهِمُ وَيُبَكِّـــيهِمْ إذا ذُكِـــرُوا … بَـأَعْيُنِ الـنَّجْمِ دَمْـعُ الهاطِـلِ المَطِـرِ
فَلَـمْ يُعِـضْ عَـنْهُمُ نَجْـمٌ وَلا قَمَـرٌ … وَلا شُـمُوسٌ وَلا زاكٍ مِـنَ البَـشَرِ
سِوَى الـشِّهابِ إلَى العَلْياءِ سَيِّدِنا الـ … ـمَوْلَى المُفَـدَّى بِصِيْدِ البَـدْوِ وَالحَـضَرِ
يَحْيَـا بِـهِ دارِسٌ لِلْعِلْـمِ حِـينَ غَـدا … مُجَــدِّدَ الــدِّينِ وَالآدابِ وَالفِقَــرِ
لَوْ عـاصَرَ الأَرْبَعَ الأَوْتـادَ لانْعَقَـدَ الـ … ـإجْماعُ مِـنْهُمْ عَـلَى آرائِـهِ الغُـرَرِ
شَـقِيقُ نُعْـمانَ[1] لَـوْلا وَرْدُ بَهْجَتِـهِ … يَـأْبَى الـشَّقِيقَ وَجُمْـرَ[2] الخـاطِرِ العَطِرِ
تُرِيــكَ أَنْفاسُــهُ نَفْــساً مُقَدَّسَــةً … لِلْعَقْـلِ بِالْفِعْـلِ رُوحـاً[3] غَـيْرَ مُـسْتَتِرِ
يُعْطِيــكَ ماهِيــةَ الأَشْــيا وَيَـسْلُبُها … سِــحْرَ المَجــازِ بِمَعْنــىً فِيــهِ مُبْتَكَــرِ
لَمْ أَلْـقَ فِي العـالَمِ الـسُّفْلِي وَفِي المَـلأِ الـ … ـأَعْلَى لَـهُ شَـبَهاً فَاسْـتَقْصِ وَاخْتَـبِرِ
[١٢٣/ب] عَلاَّمَـةُ الـدَّهْرِ فِي كُـلِّ العُلُـومِ لَـدَى … كُـلِّ العُـصُورِ وَلَـيْسَ الخُـبْرُ كَـالخَبَرِ
عَرَفْتُــهُ سَــيِّدًا مَــوْلًى أَصُــولُ بِــهِ … عَـلَى الزَّمـانِ وَأَغْـدُو خَـيْرَ مُنْتَـصِرِ

---

(١) يراد به النعمان أبا حنيفة.

(٢) في (ظ): «جمر».

(٣) في (ظ): «روح».

إيهٍ نَصَحْتُكَ قَلْبِي فَهْوَ عُرْوَتُكَ الـ ـوُثْقَى تَمَسَّكْ بِهِ فِي الخَطْبِ وَاقْتَصِرِ
وَنادِ نَفْسَكَ إنْ جاشَتْ لِنائِبَةٍ وَاسْتَبْدَلَتْ لِعُلاها البَأْسَ بِالْوَطَرِ
لا يُذْهِبُ الصَّبْرَ ما لاقَيْتِ وَاعْتَمِدي عَلَى مَعالِيهِ بَعْدَ اللهِ وَالْقَدَرِ
وَاسْتَقْبِلِي المَجْدَ مِنْ عَلْياءِ هِمَّتِهِ فَإِنَّها فِي مَضاءِ الصّارِمِ الذَّكَرِ
طَلْقُ الجَبِينِ بِهِ اسْتَغْنَى زَمانُكِ عَنْ شَمْسِ الضُّحَى وَأَبِي إِسْحاقَ وَالْقَمَرِ
وَاسْتَوْكِفِي سَيْبَ كَفَّيْهِ يُغِثْكِ بِما مِنَ البُحُورِ تَمَنَّتْ زِينَةُ المَطَرِ
إنْ تَطْلُبِي الدَّهْرَ قِنًّا مِنْهُ جادَ بِهِ وَبِالأَثِيرِ وَبِالحاوِي عَلَى الأَثَرِ
خُذِي الأَمانِي مِنَ الدُّنْيا بِغُرَّتِهِ كَما تَرُومِينَ لا تُبْقِي وَلا تَذَرِي
تَمَتَّعِي مِنْ مَساعِيهِ بِكُلِّ عُلاً وَانْهِي بِما شِئْتِ عَمّا شِئْتِ أَوْ فَمُرِي
وَحَيْثُ جادَتْ بِهِ الأَيّامُ وَاعْتَذَرَتْ عَمّا مَضَى مِنْ ذُنُوبِ الدَّهْرِ فَاغْتَفِرِي[1]

وكنت نظمت بالشام قصيدة طائية طويلة مطلعها[2]: [الوافر]

تَثاءَبَ[3] نَوْرُ دَوْحٍ قَدْ تَمَطَّى وَأَلْقَى بُرْدَهُ صُبْحٌ تَغَطَّى
وَقَدْ عَطَسَ الصَّباحُ فَشَمَّتَتْهُ حَمائِمُ قَدْ كَساها الخَزُّ[4] مِرْطَا

فلمّا وقف عليها أُعجب بها وعارضها بقصيدة بديعة، وأرسلها إليَّ، وهي هذه[5]: [الطويل]

كَسَا الرَّوْضَ مِنْ رَيّاهُ رِيحُ الصَّبا فَأَثْقَلَهُ وَاعْتَلَّ فَاعْتَمَدَ الإِبْطَا

---

(١) في (س): «فاغتفر».
(٢) في خلاصة الأثر، ٣/ ٣٦٨.
(٣) في خلاصة الأثر: «نثار».
(٤) في (ظ): «الحزن».
(٥) في خلاصة الأثر، ٣/ ٣٦٨-٣٧٠.

أَرَى الدَّوْحَ مَفْتُولَ النَّسِيمِ فَراقِصٌ ... يُصَفِّقُ إنْ وافَى وَيُطْرِقُ إنْ شَطَّا
يَمُدُّ لَهُ مِنْ حَلْيِهِ وَثِيابِهِ ... وَتِيجانِهِ مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِهِ بُسْطَا
وَكَمْ مِنْ أَيادٍ لِلنَّسِيمِ عَلَى الرُّبَى ... فَتُرْقِدُها مَشْطاً وَتُوقِظُها نَشْطَا
يُهَذِّبُها بِالْغَيْثِ تَهْذِيبَ مُصْحَفٍ ... فَيُعْرِبُها شَكْلاً وَيُعْجِمُها نَقْطَا
لِذاكَ نَباتُ الأَرْضِ شَقَّ عَلَى الهَوَى ... جُيُوباً وَحَلَّتْ عَقْدَ أَزْرارِها شَرْطَا
لِتُلْثِمَهُ خَدًّا وَتُرْشِفَهُ فَماً ... وَتُنْشِقَهُ ما المِسْكُ عَنْ عَرْفِهِ انْحَطَّا
[١٢٤/أ] وَمِنْ قَبْلِ شَرْطِ العَقْدِ بُثَّ أَرِيجُها ... وَشَرْطُ الهَوَى أَنَّ الجَزا يَسْبِقُ الشَّرْطَا
كَأَنَّ الغُصُونَ العُرْسُ وَالرِّيحَ بَعْلُها ... إذا اعْتَنَقا اهْتَزَّ أَوْراقُها تَلْطَى
وَإنْ جَمَحَتْ عَنْها ثَناها لِفَرْعِها ... إلَيْهِ وَأَدْناها وَأَضْجَعَها ضَغْطَا
تُجاوِبُ ذاتَ الطَّوْقِ لٰكِنْ تَهُزُّها ... وَتُسْمِعُها هُزْءاً قَلائِدُها الغَطَّا
وَمُذْ صارَ خَلْخالاً لَها النَّهْرُ لَمْ تَنَمْ ... وَمَنْ شَطُّه بِالسّاقِ دارَ وَما عَطَّا
وَهُمْ زَعَمُوا أَنَّ الكَواكِبَ حَلْيُها ... يَهِيمُ وَلَمْ يَرْقُدْ فَما بالُهُ غَطَّا
رَعَى اللهُ لَيْلاً باتَ لِلنَّهْرِ وَالهَوَى ... وَلِلْحُبِّ أَرْضاً قَدْ عَشِقْتُ بِهِ السُّخْطَا
أَرَدْتُ بِلا شَطٍّ أَراهُ وَمَنْ يَبِتْ ... عَلَى النَّهْرِ مِمَّنْ يَشْتَهِيهِ يَرَى الشَّطَّا
غَزالٌ بِفِيهِ المِسْكُ وَالشَّهْدُ وَالطِّلا ... فَلَوْ ذُقْتَهُ اسْتَبْشَعْتَ قَوْلَهُمُ اسْفَنْطَا
رَشًا شَعْرُهُ لَمّا بَدا مِنْ خِلالِهِ ... وَمِيضُ الطِّلا[1] وَانْسابَ كَالحَيَّةِ الرَّقْطَا
طَوِيلٌ دَجُوجِيٌّ كَحَظٍّ عَمِيدِهِ ... وَلَيْلَتُهُ إنْ غابَ أَوْ مَنَعَ الوَأْطَا
لِحاجِبِهِ المَجْدُوبِ رَأْيٌ مُمانِعٌ ... وَمُقْلَتُهُ تَرْمِي فَتُجْدِبُنا قِمْطَا

---

(١) ساقط من (ظ).

يُلاطُ بِمِغْناطِيسِها القَلْبُ وَالنُّهَى الـ ـحدِيدُ وَإنْ(١) تُفْكِكْـهُ عَنْـهُ بِـهِ لُطَّـا
تَعُودُ لَدَيْهِ الشَّمْسُ كَالنَّجْمِ عِنْدَها وَتَبْـدُو إذا لانَـتْ أَشِـعَّتُه(٢) مِرْطَـا
بِثَغْـرٍ يُعِيـدُ اللَّيْـلَ صُـبْحاً كَـأَنَّما حَباهُ شِهابُ الدِّينِ مِنْ شِعْرِهِ سِمْطَا
مَلِيكُ العُلَى إنْ كُنْتَ تَعْرِفُ ما العُلَى وَإلَّا فَبَحْرُ الفَضْلِ إنْ كُنْتَ مُشْتَطَّا
هُمـامٌ لَـهُ سَـبْقُ الأَوائِـلِ آخِـراً وَرَحْلُ العُلا وَالْعِلْمِ فِي بابِـهِ حَطَّـا
مُجِيدٌ كَأَنَّ العَقْلَ عَكْسُ أَشِعَّةِ اخـ ـتِياراتِهِ الَّلاتِي غَدَتْ خُلُقاً سَبْطَا
بَلِيغٌ بِغَيْرِ الذِّكْرِ لَوْ جَوَّزَوا لِذِي صَـلاةٍ لَصَلَّيْنا بِأَقْوالِـهِ الوُسْـطَى
فَقُـسٌّ لَدَيْـهِ باقِـلٌ وَقُدامَـةٌ إذا مـا رَآهُ امْتـازَ مِـنْ دُرِّهِ لَقْطَـا
وَلَوْ حَذْوَهُ يَحْذُو(٣) الإمامُ أَبُو العَلا لَأَوْرَى لَهُ الزَّنْدُ الكَواكِبَ لا السّقْطَا
كَذٰلِكَ كَعْبٌ وَامْرُؤُ القَيْسِ لَوْ دَرَى طَرِيقَتَـهُ المُثْلَى لَما نَدَبَ السَّقْطَا
لَئِنْ عَلَّقُوا بِالْبَيْتِ شِعْراً فَشِعْرُهُ تَعَلَّقَـتِ الأَفْـلاكُ فِي بَيْتِـهِ رَبْطَـا
[١٢٤/ب] وَلَوْ كانَ عَقْدُ الدَّهْرِ جَيِّدَ شِعْرِهِمْ لَكانَتْ بِهِ أَشْعارُهُ الدُّرَّةَ الوُسْطَا
هِيَ التّاجُ وَالإكْلِيلُ فِي مَفْرَقِ العُلا وَفِي أُذُنِ الأَيّـامِ أَعْرِفُهـا قُرْطَـا
وَمَنْ لِي بِأَنْ أُحْصِي ثَناهُ وَقَدْ غَدا كَمالُ الوَرَى مِنْ عُشْرِ أَوْصافِهِ قِسْطَا
أَمَـوْلايَ إنَّ الشِّعْرَ عَبْـدٌ مَلَكْتَـهُ فَفِـي مَذْهَبِ الآدابِ تُحْرِزُهُ ضَبْطَا
لِمَجْدِكَ حَمْدٌ مِنْ مَعانٍ وَهَبْتَها الـ ـبَلاغَةَ لَمْ تَرْضَ النُّجُومَ لَها رَهْطَا
يَصِيحُ عَلَى الكِنْدِيِّ يا لَخَفاجَةٍ وَيَسْحَبُ سَحْبانٌ(٤) عَلَى وَجْهِهِ مِرْطَا

---

(١) في (ظ): «فإن».

(٢) في (ظ): «أشعتها».

(٣) في (ظ): «ولو حدوه يحدو».

(٤) في (ظ): «سحبانا».

وَعُـذْراً وَحَيْـدَ النَّـسْجِ إنَّ بِمُهْجَتِـي ضَنًى مِنْ أَسَى الأَيَّامِ أَحْرَقَها حَمْطَا[1]
فُـؤادٌ كَبَيْـتِ العَنْكَبـوتِ مُقَلَّـبٌ عَلَى الجَمْرِ مَحْرُوقٌ[2] بِسَيْفِ القِلى قُطَّا
وَبِي مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ ما المَوْتُ دُونَهُ وَما المَوْتُ عَنْ خَطْبٍ وَلَوْ هالَ مُنْحَطَّا
زَمـانٌ لَـهُ حِقْـدُ القَـدِيرِ فَبـاطِشٌ بِنـا لا يَـرَى شَـيْخاً وَلا لِحْيَـةً شَـمْطَا
مَشَى القَهْقَـرَى كَـيْ يَبْـدَأَنَّ بِنـاقِصٍ كَـأَنْ قَلَّـدَ الحُسَّابَ فِي الخَـطِّ وَالقِبْطَا
فَـما الرَّجُـلُ المَكْتُـوفُ مُلْقًـى بِزاخِـرٍ خِـضَمٍّ وَلَمَّـا يَقْـضِ مُـضْطَرِباً خَبْطَا
بِـأَنْكَسَ مِـنْ حالِي وَقَـدْ ظَلَّ مَطْلَبِي رَهِـينَ لَئِـيمٍ يَمْلِـكُ المَنْـعَ وَالإعْطَا
يُـدافِعُنِي عَنْـهُ مُدافَعَـةَ النَّـوَى وَلَـوْ أَمْكَنَتْـهُ فُرْصَـةٌ غَـالَنِي سرطَـا
وَما سائِحٌ فِي بَحْرِ بَيْداءَ مَوْجُها الـ ـهَجِيرُ صَـديٌّ لَمْ يُـصادِفْ بِها وَقْطَا
عَـلَى فَـرَقٍ إنْ سـارَ أَوْ عـادَ أَوْ ثَـوَى وَحِيداً بِها وَالْوَحْشُ فِي صَحْبِهِ غَطَّى
بِـأَخَيْرَ منـى بَـيْنَ قَـوْمٍ أَبَـرُّهُم تَضِيعُ[3] حُقُوقُ الفَضْلِ مِنْ عُذْرِهِ غَمْطَا
عِـصابَةُ سَـوءٍ بَـيْنَ جَهْـلٍ مُـشَيَّدِ الـ ـمَبانِي وَلُـؤْمٍ حَـطَّ قَـدْرَ العُـلَى حطَّا
وَقَـدْ قَـرَأُوا أَنْ لا تُـؤَدُّواْ، مَكـانَ أَنْ تُـؤَدُّوا وَقـالُوا: إنَّ لا حُـذِفَتْ خَطَّا[4]
فَلَوْ أَنْصَفُوا غَيًّا وَدَعْ عَنْكَ عدلَـهُمْ[5] لِما ضِقْتُ ذَرْعاً إذْ أَتَـى جَـوْرُهُمْ فَرْطَا
فَـإنْ خَـذَلُوا فَـاللهُ بِالنَّـصْرِ مُـدْرِكٌ وَقَـدْ تَهَـبُ الأَيّـامُ فِي قَبْـضِها بَـسْطَا
وَلَـسْتُ بِمَـنْ يَبْكِـي عَـلَى حُلُـمٍ يُـرَى وَيَمْضِي وَقَدْ أَبْقَى لَـهُ الـوِزْرَ وَالوَهْطَا

(١) في (ظ): «خمطا».
(٢) في (س): «محزون».
(٣) في (ظ): «يضيع».
(٤) من قوله تعالى في سورة النساء ٥٨: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾.
(٥) في (س): «عدهم».

يُمَــوِّهُ وَجْــهَ الــذُّلِّ بِــالْعِزِّ خُدْعَــةً وَمِنْ قَبْلُ ما أَعْطاهُ يَأْخُذُ ما أَعْطَا
[١٢٥/أ] فَمَـنْ عَـرَفَ الـدُّنْيا اطْمَـأَنَّ لَنـا بِهـا وَذُو العَقْلِ لا يَبْكِي دُنُوًّا وَلا شَحْطَا
وَعَفْـواً فَـدَتْكَ الـنَّفْسُ يـا خَـيْرَ سَـيِّدٍ وَيـا عالِمـاً وَالَى النَّبِيِّـينَ وَالـسِّبْطَا
فَـما نَفْثَـةُ المَـصْدُورِ مِمّـا تَعافُهـا الـ ـكِرامُ وَلَـوْ أَلْـوَتْ عَلَى وَجْهِهِ أَرْطَا
وَدُمْ باقِيـاً لِلـنَّظْمِ وَالنَّثْـرِ وَالنَّـدَى فَلَـوْلاكَ لِلآدابِ غَيْثاً قَضَتْ قَحْطَا
تَـدُورُ رَحَـى الأَفْلاكِ دَهْـراً بِـما تَـرَى وَما تَـشْتَهِي إِنْ كـانَ رَفْعاً وَإِنْ حَطَّا
وَعُمِّـرْتَ أَعْـمارَ النُّـسُورِ عَـلَى رِضًى وَبُلِّغْـتَ حُـسْنَ الخَتْمِ ما قَلَـمٌ خَطَّا

ولما أنفذها إليَّ كتبت له[١]: [المتقارب]

أَيـا بَحْـرَ فَـضْلٍ مِـنَ اللُّطْـفِ يَـصْفُو حَـلَى بِفَـمِ الـسَّمْعِ لِي مِنْـهُ رَشْـفُ
لَقَـدْ حُكْـتَ شِـعْراً رَقِيـقَ المَبـانِي رَقِيـقَ المَعـانِي عَلَيْـهِ يُـشَفُّ
عَـرُوسٌ أَحَلَّـتْ نِكـاحَ الـشِّغارِ[٢] بِغَـيْرِ مُهـورٍ إِلَيْنـا تُـزَفُّ
وَقَـدْ رَسَـبَ الـدُّرُّ مِـنْ خَجْلَـةٍ لَـهُ إِذْ رَأَى فَوْقَـهُ الـدُّرَّ يَطْفُـو
بِطِبِّـكَ يُـشْفَى مِـزاجُ الـودادِ بِغَـيْرِ عِـلاجٍ وَمـا فِيـهِ ضَـعْفُ
وَمـا اعْتَـلَّ رِيـحُ الـصَّبا مُـذْ غَـدَا رَسُـولِيَ لٰكِنَّـهُ فِيـهِ لُطْـفُ
لِبَحْـرِكَ وِرْدٌ حَـلَى لِلنُّهَـى عَلَيْـهِ القُلُـوبُ طُيُـورٌ تَـرِفُّ
فَيَأْخُـذْنَ رُوحِـي وَمِـنْ شُـكْرِهِ يُقَـصِّرُ عَنْـهُ نُعُـوتٌ وَوَصْـفُ
لَأَنْـتَ حَيـاتِي وَلٰكِنَّهـا تُبَـدِّلُ مِنْهـا عَلَى اليَـأْسِ حَـرْفُ
وَقَـدْ جُـدْتَ لِي بِنُـضارِ القَـرِيضِ وَلِلْفِكْـرِ نَقْـدٌ وَلِلـدَّهْرِ صَرْفُ

(١) في خلاصة الأثر، ٣/ ٣٧٠-٣٧١.
(٢) في (ظ): «السفار».

وَقَــدْ خَــفَّ وَزْنــاً عَــلَى أَنَّــهُ عَــلَى ذاكَ يَعْلُــو وَلا يَــسْتَخِفُّ
تَــرَنَّمَ فِيــهِ هَــزارُ المَعــانِي وَأَقْفاصُــهُ فِي سُــطُورٍ[1] تُــصَفُّ
وَشِــعْرٌ بِــشِعْرٍ رِبًــا لَمْ يَجُــزْ وَلٰكِــنَّ مَــوْلايَ لِلْفَــضْلِ يَعْفُــو
فَقابِــلْ رَياحِينَــهُ بِــالْقَبُولِ كَـما سُـنَّ مـا طـابَ لِلشُّكْرِ عُـرْفُ
وَإِنْ كُنْــتُ قَــصَّرْتُ فِيـما أَتَيْــتُ فَلُــمْ لَــوْمَ دَهْــرٍ عَــلَى الحُــرِّ يَجْفُــو
فَــلا زِلْــتَ رَوْضــاً بِــهِ أَيْنَعَــتْ ثِــمارُ الأَمــانِي وَلِي مِنْــهُ قَطْــفُ

[١٢٥/ ب] فأجاب سلمه الله تعالى[2]: [المتقارب]

أعَــذْبٌ نَمِــيرٌ مِــنَ الــوُدِّ يَــصْفُو عَلَيْــهِ مُنِــيرٌ مِــنَ الــدُّرِّ يَطْفُــو
أَلِلْكَــأْسِ صِــيغَتْ عُقُــودٌ حَبابــاً سَــناها خِــداعاً مُــدامٌ وَعَــرْفُ
أَشِــعْرٌ لَــهُ نَــشْأَةُ الخَمْــرِ مِنْــهُ لِقَلْبِــي وَلُبِّــي بِــأُذْنِيَ رَشْــفُ
أَمِ الــرَّوْضُ وَشَّــتْهُ سُــحْبٌ وَإِلَّا عَـلَى وَجْنَـةِ الـوَرْدِ لِلطَّـلِّ لُطْـفُ[3]
عَبِــيرٌ أَمِ العَنْــبَرُ الرَّطْــبُ أَمْ نَفْــ ــحَةُ المِسْكِ أَمْ فـاحَ[4] لِلزَّهْـرِ عَـرْفُ
أَخِــيْلانُ أَمْ ذِي عَــرُوسُ القَــوافِي عَلَيْهــا مُلُــوكُ المَعــانِي تُــصَفُّ
أَصَــبٌّ صَــبا أَمْ مَــشَتْ جَنَّــةُ الخُلْــ ــدِ أَمْ أَعْــيُنُ العِــيْنِ حُــورٌ وَوُطْـفُ
حِسانٌ سَبَتْ سِـحْرَ هـارُوتَ مَعْنًـى لَهــا كُــلُّ قَلْــبٍ أَسِــيرٌ وَإِلْــفُ
أَنَظْــمٌ بَــدا أَمْ عُقُــودُ الَّــلآلِي وَصَــفْوُ اللَّيــالِي وَهَيْهــاتَ تَــصْفُو

---

(١) في (ظ): «صدور».
(٢) في خلاصة الأثر، ٣/ ٣٧١-٣٧٣.
(٣) في (ظ): «عطف».
(٤) في (ظ): «قاح».

أَفِي قالَبِ الشِّعْرِ قَدْ أُفْرِغَ الحُسْـ ـنُ أمْ صارَ وَجْهاً لَهُ الشِّعْرُ طَرْفُ
أَمِ السَّبْعَةُ الشُّهْبُ أَمْسَتْ قَرِيضاً وَإِلَّا أَتَتْنَا مِنَ الشَّمْسِ صُحْفُ
وَإِلَّا أَتَانا مِنَ العَرْشِ شِعْرٌ وَإِلَّا اصْطَفَانا مِنَ الوَحْيِ صِنْفُ
تَحَدَّى العُقُولَ بِإِعْجازِ شِعْرٍ زَهَا لَمْ يُعارِضْهُ شَرْعٌ وَعُرْفُ
أَأَنْفاسُ عِيسَى وَآياتُ مُوسَى أَمِ الطُّورُ وَالنُّورُ مَعْنًى وَحَرْفُ
مَتِينُ المَعانِي رَصِينُ[1] المَبانِي عَلَيْهِ مِنَ المَجْدِ ثَوْبٌ يُشِفُّ
بِهِ الرَّوْضُ[2] حَيًّا فَأَهْدَى حَياتِي وَمِنْهُ حَياتِي[3] عَلاهُ مِحَفٌّ[4]
وَلا بِدْعَ أَنْ تُولِيَنِّي حَياةً بِهِ مِنْهُ حازَتْ فُؤاداً يَرِفُّ
مَلِيكٌ عَلَى الفَخْرِ ما مِنْ كَمالٍ لَدَى النّاسِ إِلَّا لِعَلْياهُ وَصْفُ
بَلِيغٌ بِأَشْعارِهِ تَنْطِقُ البُكْـ ـمُ لٰكِنْ لَدَيْهِ لَها العُرْبُ غُلْفُ
فَصِيحٌ نُداوِي بِأَلْفاظِهِ الصُّـ ـمَّ وَالمَيْتُ يُحْيِيهِ مِنْ فِيهِ هَتْفُ
فَلَوْ شاءَ بِالشِّعْرِ إِنْباتَ رَوْضٍ عَلَى اليَمِّ أَضْحَى وَلِي مِنْهُ قَطْفُ
وَلَمْ تَلْقَ كُفْؤاً بَناتٌ يَراهَا لَها الشَّمْسُ أَيْدٍ بِها البَدْرُ وَقْفُ
[١٢٦/أ] فَكَمْ مِنْ فُحُولٍ أَنابَتْ لَدَيْها وَكَمْ مِنْ مَلِيكٍ لَدَيْها مُسِفُّ
وَأَهْلُ المَعانِي كَأَهْلِ الغَوانِي إذا مَسَّ قَحْطٌ لِعِنِّينَ زُفُّوا
أَمَوْلايَ مَنْ لِلْمَوالِي عِمادٌ وَلِلْفَخْرِ وَالمَجْدِ نَجْدٌ وَكَهْفُ

(١) في (س): «رصيف».
(٢) في (ظ): «الروح».
(٣) في (ظ): «حباني».
(٤) في (ظ): «مخف».

رَأَيْنـا بِـكَ الـشِّعْرَ فَـوْقَ الثُّرَيّـا فَلَـمْ يُـدْنِنا مِنْـهُ وَزْنٌ وَزَحْـفُ
وَأرْصَـدْتُ مِنْـه عَليهـا شِـهاباً فَلَـمْ يَـسْتَقِمْ لِلـشَّياطِينِ خَطْـفُ
وَلَـوْ أَحْـسَنَتْ صُـنْعَها لِي اللَّيـالِي وَأَصْـبَحْتُ خُلْـواً وَفـازَ المُخِـفُّ
لَمـا أَدْرَكَـتْ عَـيْنُ فِكْـرِي ثَـراهُ فَهَيْهـاتَ مِنْهـا وَلِلـدَّهْرِ عُنْـفُ
وَلَـوْ سـاجَلَتْنا حُـرُوبٌ لَدَيْـهِ وَلٰكِـنْ عَلَيْنـا إذا رَقَّ ضَـعْفُ
وَلَـوْلاكَ[1] مـا فُهْـتُ[2] بِالـشِّعْرِ كَـلاَّ وَلا كـانَ قَلْبِـي إِلَى الـنَّظْمِ يَهْفُـو
وَلٰكِنَّنِـي قَـدْ شَـمَمْتُ انْتِـصاراً بِعَلْيـاكَ إِنِّي لِلُقْيـاكَ حِلْـفُ
يُناجِيـكَ قَلْبِـي فَتَجْلُـو دُجـاهُ وَلِلْخَطْـبِ بِـالْبِيضِ إنْ يُـرْجَ كَـشْفُ
وَلاحَـتْ بِفِكْـرِي مَعانِيـكَ بِيْـضاً كَـما لاحَ لِلـبَرْق فِي اللَّيْـلِ سِـجْفُ
أَمَـوْلايَ لَـوْ لانَ لِلـدَّهْرِ عِطْـفٌ أَمـا آنَ مِنْـهُ عَـلَى المَجْـدِ عَطْـفُ
وَقَبْـلُ تَمَنَّـى ذَوُو الفَـضْلِ مِنْـهُ جُنُونـاً فَقـالُوا عَـسَى الـدَّهْرُ يَـصْفُو
أَبـى العَـدْل وَزْنـاً وَأَوْلَى صُرُوفـاً وَبِي مِنْـهُ صَـدْعٌ وَمَنْـعٌ وَصَرْفُ
وَذَنْبِـي لَدَيْـهِ لِـسانٌ قَـؤُولٌ وَأَمّـا ضَـمِيرِي فَـوَاللهِ عَـفُّ
وَأَشْـنَى مِـنَ الـدَّهْرِ أَهْلُـوهُ غُـدْراً قَرِيـرَ هَـواءٍ[3] وَفِي الخُـبْرِ حَتْـفُ
فَكَـمْ مِـنْ مَـسِيرٍ[4] عَلَى الحُبِّ بُغْـضاً وَكَـمْ مِـنْ قَبِـيحٍ عَـلَى الحُسْنِ يَجْفُـو
فَمَعْنَـى صَـدِيقٍ عَـدُوٌّ مُـداجٍ وَمَعْنَـى رَفِيـقٍ حَنِـينٌ وَخَـفُّ

(١) في (ظ): «ولولاه».
(٢) في (ظ): «فهمت».
(٣) في (ظ): «رواء».
(٤) في (ظ): «مشي».

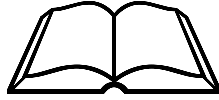
وَمَعْنَى كَبِيرٍ دَنِيٌّ وَكِبْرٌ فَفِي المَاءِ سُرْمٌ وَفِي الأَوْجِ أَنْفُ
وَمَعْنَى عَظِيمٍ طَوِيسُ بِغَاءٍ[1] لَهُ إذ يَرَى الأَيرَ غَشْيٌ وَنَزْفُ
وَمَعْنَى عَلِيمٍ جَوادٌ وَطِيٌّ وَتَيْسٌ لَدَيْهِ كِتَابٌ وَعُرْفُ
سَقَى اللهُ عَصْراً تَسَنَّمْتُ فِيهِ نُجُومَ الأَمَانِي بِوَطْءٍ يَخِفُّ
[١٢٦/ب] وَقَوْماً إِنِ الوَعْدُ يَلْثِمْ ثَرَاهُمْ يُقَبِّلْ ثَرىً[2] مِنْهُ فَوراً[3] وَكَفُّ
كِراماً لَدَيْهِمْ تُقَاض المَعَالِي بُحُوراً[4] لَهَا بِالمُرُوءاتِ قَذْفُ
وَلَيْلاً تَمَتَّعْتُ فِيهِ بِصَحْبٍ كَصُبْحٍ لَهَا اللُّطْفُ وَالمَجْدُ ظَرْفُ
وَحُورٌ وَعِينٌ وَدَهْرٌ مُعِينٌ بِنَجْمٍ وَبَدْرٍ وَشَمْسٍ تُزَفُّ
زَمانٌ كَما شِئْتُ طَلْقُ المُحَيّا وَرَيْعانُ عُمْرٍ عَلَى الصَّفْوِ وَقْفُ
فَعُوِّضْتُ عَنْ أُنْسِهِ وَحْشَةً فَما تَنْتَهِي تَبْتَدي لا تَلُفُّ
فَرَعْياً وَسُقْيا[5] لَهُ مِنْ زَمانٍ تُبَكِّيهِ عَيْنٌ دَماً لا يَجِفُّ
فَيا حَسْرَتِي هَلْ لِماضِيهِ عَوْدٌ وَيا لَهْفَ قَلْبِي وَلَمْ يُجْدِ لَهْفُ
لَقَدْ كانَ سَوْحُ الرِّضا بَوْحَ عُمْرِي وَعَيْشُ الفَتَى إنْ نَأى الصَّفْوُ كَسْفُ
مَضَى فَابْقَ لِي عَنْهُ دَهْراً وَفِيًّا ومَوْلًى صَفِيًّا تَفْدِّيهِ أَلْفُ
إمامٌ عَلَى النَّثْرِ وَالنَّظْمِ بَرًّا وَبَحْراً[6] لَنا مِنْ لآلِيهِ غَرْفُ

---

(١) في (ظ): «بغاه».
(٢) في (س): «ثراي».
(٣) في (ظ): «فور».
(٤) في (ظ): «بحور».
(٥) في (ظ): «فسقيا ورعيا».
(٦) في (ظ): «بر وبحر».

وَدُمْ تَكْـسُ شِـعْرِي بِمَـدْحِكَ عَلْيـا وَإنْ أَجْـنِ ذَنْبـاً فَـلا زِلْـتَ تَعْفُـو[1]

وَلا زِلْــتَ تَغْــدُو بَــدِيعَ المَعــانِي بَيانــاً وَيَغْــدُو لَهَــا مِنْــكَ لُطْـفُ



(١) في (س): «تعف».

[٨٦]
عبد القادر الطُّوريّ[١]

عبد القادر الطوري ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾ [الطور: ١-٢]، لَهُوَ صديق لي صدوق يناجيني من طوره الحبور، وروض أدب ناضر، وبحرُ شعرٍ كامل وافر، لكن طبعه أُمُّ الصقور[٢] مِقْلاةٌ نَزور.

وقد كنت أنا وهو في الطلب شريكي عنان، وجوَادَيْ حلبة ورهان، لكنه احتضر، ودعاه إلى الجنان مليك مقتدر.

فممّا علق بحفظي من آثاره قوله[٣]: [الوافر]

تَنَـــوَّرَ مُنْيَتِـــي بِلَطِيـــفِ صُـــنْعٍ ... مَعَـــانِي حُـــسْنِهِ أَضْـــحَتْ غَزِيـــرَهْ

لَـــهُ قَـــدٌّ رَشِـــيقٌ ثُـــمَّ جِـــسْمٌ ... عَلَيْـــهِ حِـــينَ لاحَ رَأَيْـــتُ نُـــوْرَهْ

قلت: في «تحرير التحريف وتصحيح التصحيف»[٤]، يقولون: تنوَّر الرجل من النُّورة، والصواب انْتَور، ولا يقال تنوّر إلا إذا أبصر النور، [١٢٧/أ] كقول

---

(١) عبد القادر بن عثمان القاهري الحنفي الشهير بالطوري (كان موجودا في: ١٠٢٦/ ١٦١٧): مفتي الحنفية بمصر، وكان عالماً فاضلاً، فقيهاً، أديباً. كان مشاركاً في أنواع من العلوم، وكان ملازماً على الإفتاء والتدريس بالجامع الأزهر. من مؤلفاته: «شرح على الكنز» في الفقه، و«تكملة البحر الرائق». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٥٥؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٤٤٢.

(٢) أقول (ج): قال العباس بن مرداس (شرح الحماسة للمرزوقي ٣/ ١١٥٤):

بغـــاثُ الطـــير أكثرهـــا فراخـــاً ... وأمُّ الـــصقرِ مِقـــلاة نَـــزورُ

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٥٥-١٥٦؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٤٤٣.

(٤) تصحيح التصحيف ١٩٣. (ج).

امرئ القيس[(١)]: [الطويل]

تَنَوَّرْتُها مِنْ أَذْرِعاتٍ وَدارُهَا[(٢)] بِيَثْرِبَ أَعْلَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي[(٣)]

وانتور بهمزة وصل وتقديم النون على التاء انتهى.

وما أنكره أثبته كثير من أهل اللغة، فلا خطأ فيه، وليس هذا محلُّ تفصيله.

ومما كتبته إليه قولي مضمناً[(٤)]: [السريع]

أَيا صَدِيقاً عَرْفُهُ نَدِيٌّ وَكَفُّهُ مِنَ النَّدا نَدِيُّ

لَمْ يَحْلُ مِنْ بَعْدِكَ لِي نَدِيٌّ (وَبَلْدَةٌ لَيْسَ بِها طُورِيُّ)[(٥)]



(١) ديوانه، ص. ٦٠.

(٢) في الديوان: «وأهلُها».

(٣) في الديوان: «بِيَثْرِبَ أدنى دارِها نَظَرٌ عالِ».

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٥٨.

(٥) من قول العجاج، الديوان ١/ ٤٩٨، وفيه

وخفقةٍ ليس بها طُوئيُّ

وفي أمالي القالي ١/ ٢٤٨، والخزانة ٣/ ٣٨٥. كما ورد هنا.

قال ابن منظور في اللسان: والعرب تقول: ما بالدار طوري، أي أحد. (ج).

[٨٧]
مَدْيَن بن عبد الرحمن القُوصُونِي(١)

رئيس الأطباء بمصر الآن، هو فاضل كان سميراً لي في نادي الطلب، فكم نافثته في إبان الاشتغال بالطبِّ والأدب، وكانت بيني وبينه عشرة، لم تخرج لها من القشرة، أعد كلّ يوم منها غرة وجه الزمان، وعيداً تتهاداه الأيام على رغم النوروز والمهرجان، والعمر طرير، ما بين روضة وغدير.

وله يدٌ طائلة في الفنون الفاضلة، فإذا ضمخ كافور قرطاسه، بمسك مداده وأنقاسه، أنكر المسك دارين وخطا، وعد انتسابه لسواه خطا، فكم فاح منه عنبر اليَراعة، وقطرت مياه الفصاحة من ميزاب البراعة.

وفي عودتي لمصر عرض علي كتاباً جليلاً(٢) له سماه «قاموس الأطباء»، وسألني أن أقرّظه، فكتبت عليه ما هذا صورته(٣): ما طُرِّزتْ حللُ الثناء، وزهت رياض البراعة بثمراتٍ غضَّة الجناء، إلا لتكونَ لباساً لأبكار المحامد، ومرتعاً لأفكار كل شاكر وحامد، فالحمدُ لمولى الحمد على ما علَّم من اللغات والبيان، وأنعم بتلقينها لأطفالِ الأرواح في مكاتب الأبدان، وألهمها استخراجَ درر المعاني من أصدافِ الحروف، ليُنظم منها في الصدور، وتعلق في الآذان أبهى

---

(١) مَدْيَن بن عبد الرحمن القوصوني (٩٦٩- بعد ١٠٤٤ / ١٥٦٢- بعد ١٦٣٤): رئيس الأطباء بمصر في عصره. له باع في الأدب والتاريخ. توفي بمصر. من مؤلفاته: «ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب»، و«قاموس الأطبا وناموس الألبا» في المفردات الطبية، و«طيبات الأنباء في طبقات الأطباء». انظر مصادر ترجمته: خلاصة الأثر، ٤/ ٣٣٣؛ هدية العارفين، ٢/ ٤٢٣؛ الأعلام، ٧/ ١٩٨.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) نفحة الريحانة ٤/ ٤٠١.

عقود وشنوف، وأزكى صلاةٍ وسلام على [١٢٧/ب] أَفصح من نطق بالضاد، فروَّى من عينِ فصاحته كلَّ صاد، وشفا بطبِّ هدايته مريضَ كلِّ قلب، وهدى بمفردات حكمته كلّ ذي جهل مركب، وعلى آله وأصحابه مدائن العلم والحكم، ورؤساء أطباء الأبدان والأديان من سائر الأمم، لاسيما الأربعة الذين درياقهم العتيق، وفاروقهم حافظ صحة مزاج الدين بكلِّ ماضي الشفرتين رقيق، ما دامت الدُّنيا دارَ الشفا، وصحَّ مزاج الدهر من الأَعراض واشتفى.

هذا وإنَّ أخي شقيقَ الروح وقرة العين، وصفوة الحياة، ومَنْ كفايةُ محبَّته عليّ فرض عين، لَمَّا أتحفني في قدومي للقاهرة، بكتابه «قاموس الأطباء» وجدته الدرةَ الفاخرة، والروضةَ التي تفتَّحت فيها عيون أنواره الزاهية الزاهرة، ظنًّا منه أنّي شُعيب مَدْيَنِهِ، وما أنا إلا سُليمان بيته؛ بل أشعب موائد كرمه ومننه، فإذا هو بُرْدٌ مُحبّر، وروضٌ مُنوّر، وعِقدٌ كلُّه جوهر، وكتابٌ جميعه مفردات، ولغةٌ لو رآه الجوهري قال: هيهات العقيق هيهات، أو الخليل «بعينه»، فداه بعينه، أو جار الله لقال: هذا هو «الفائق»، أو ابن البيطار ودَّ لو طابقه مطابقة الفعل بالفعل(١) لما فيه من الدقائق، أو صاحب «القاموس» لقال: هذا هو المجد، الذي ارتضع درَّ العربية ما بين تهامة ونجد، فلله درُّ مُصنِّفه فقد أرانا في الرجال بقايا، وفي الزوايا خبايا، وأنار فكرُهُ ظلمةً وَقَدْ وَقَدَ، وروى ظمآن الفكر فيما ورد ورد، وحقّق ما قيل: من دقَّ الباب ولَّج ولج، ومن جَدَّ وجد، وقد قلت فيه ارتجالا(٢): [مجزوء الكامل]

دَهْـــرٌ يَجُـــودُ بِمِثْلِـــهِ أَنْعِـــمْ بِـــهِ دَهْـــراً وَفِي
رَوَّى بِكَـــأْسِ عُلُومِـــهِ وَخِتَامُـــهُ مِـــسْكٌ وَفِي

مع كلمات أخر تركت خوف الإطالة. [١٢٨/أ]

(١) في النفحة ٤/ ٤٠٣: مطابقة النعل بالنعل.

(٢) في خلاصة الأثر، ٤/ ٣٣٤.

[٨٨]
محمد بن يس المُنُوفي[١]

كاملٌ جسيم الفضل والإِفضال، فما سحر بابل عنده إلَّا من أوهام الخيال، كأنما حاكَ[٢] هاروت نفثات عقد بنانه في الطّروس، فَعُلِّقَ في غيابته[٣] وهو منكوس، مع أدبٍ تزيَّنت بحلله[٤] مجلَّلة[٥] محاسنُ الآداب، وشربت بأفواه الآذان منه سابلة الألباب، فزهتْ نضارةُ ديباجته في عيون الأفهام، ونمت على أسرار معانيه ألسِنةُ الأقلام، فكم حلَّ عُرَى النوم عن مقلته، لاقتناص الأوابد ببازي همّته[٦]: [البسيط]

---

(١) محمد بن يس المنوفي الشافعي (ت: ١٠٤٢/ ١٦٣٢): العالم الفاضل البارع الكامل، ولد بمصر ونشأ بها، واشتغل بالعلوم اشتغالاً تامًّا، وأخذ عن جمعٍ منهم: أبو بكر الشنواني، ومحمد الميموني، ومحمد الخفاجي، وغيرهم. ورحل إلى الديار الرومية، وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة، وتولى بنواحي مصر المناصب العديدة، ثم ترك القضاء وعكف على عبادة الله، واعتزل الناس إلَّا قليلاً منهم، وترك النظم، إلَّا ما كان استغاثة، أو مدحاً في النبي ﷺ. توفي بمصر ودفن بالقرافة الكبرى جوار السادة الوفائية. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٨؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٢٦٦.

(٢) في (ظ): «حاكى».

(٣) في (س): «غابته».

(٤) في (س): «بأدبه».

(٥) ساقط من (ظ).

(٦) البيت للأرجاني في ديوانه، ٣/ ١١٩١.

حتـى تَبَـيَّنَ[١] تَقْـصِيرُ الزَّمـانِ فَفِـي خَـدِّ الرَّبِيـعِ طُلُـوعُ الـوَرْدِ مِـنْ خَجَـلِ

حتَّى[٢] مضتْ لي معه أويقات، هي في صحائف العمر حسنات، في مطلع قصيدةِ العمر، والشباب، نافذ[٣] النهي والأمر، وماءُ الحياة مغدق، وروح المسرَّة مثمر مُورق، وقد قِلْنا في هاجرِة التحصيل في ظلال الهنا، وارتدينا برداء الشبيبة والمنى، إذ لا عليل ولا سقيم، غير جفون الغيد والنسيم، ولا باكي إلَّا جفون الأنوار من دموع الأمطار، والدهر دمثُ الأخلاق، ذو حواشٍ[٤] رقاق.

فممَّا جاد به طبعه المريع، وسمحَ به فكره الذي هو أبهى من مطارف الربيع، قوله في قصيدةٍ رثى بها والدي في سنة إحدى عشرة بعد[٥] الألف: [الكامل]

مـا بـالُ أَيْـدِي النّائِبـاتِ تَخُـونُ وَتُـدِيمُ رَضْـفَ المَجْـدِ وَهْـوَ رَصِـينُ

منها:

يـا دَهْـرُ لا عُتْبَـى عَلَيْـكَ وَلا رِضًى كُـلُّ المَـصائِبِ بَعْـدَ ذاكَ تَهُـونُ

تَعِدُ الوَرَى البُؤْسَى فَيُسْرِعُ[٦] صِدْقُها وَإذا وَعَـدْتَ بِـما يَـسُرُّ تَمِـينُ

لَـوْ كـانَ يُجْـدِي النَّـوْحُ مَيْتـاً قَبْلَـهُ نَفْعـاً لَناحَـتْ أَعْـصُرٌ وَقُـرُونُ

يـا واعِظـاً بِـسُكُونِهِ حَرَكاتُنـا وَلأَنْـتَ بِـالوَعْظِ المُفِيـدِ قَمِـينُ

أَمْـسَى ضَـجِيعَ الـرَّمْسَ إلَّا أَنَّـهُ فِي قَلْـبِ كُـلِّ مُوَحِّـدٍ مَـدْفُونُ

(١) في الديوان: «أبدى صنيعك».

(٢) في (ظ): «وقد».

(٣) في (س): «نافد».

(٤) في (س): «وحواشي».

(٥) في (ظ): «و».

(٦) في (ظ): «فتسرع».

ومنها في الختام: [١٢٨/ب]

حَفَّتْكَ رَحْمَةُ ذِي الجَلالِ وَعَفْوُهُ وَسَقَى ثَرَى جَدَثٍ حَواكَ هَتُونُ
وَسَرَتْ مَحاسِنُ ما صَنَعْتَ حَوامِلاً حُسْنَ الثَّناءِ يَحُثُّها التَّأْمِينُ

وقوله أيضاً من أخرى[1]: [المنسرح]

تائِهَةٌ بِالدَّلالِ يَثْنِيها عَنْ حائِرٍ فِي الهَوَى تَثَنِّيها
قَرَّحَ فَيْضُ الدُّمُوعِ مُقْلَتَهُ فَاشْتَبَكَ الماءُ فِي مَآقِيها
وَمَنْ نَمَتْ في سَوادِ مُهْجَتِهِ لَواعِجُ الشَّوْقِ كَيْفَ يُخْفِيها
يُبْعِدُها الصَّدُّ وَالهَوَى مِحَنٌ عَنْ ناظِرِي وَالْغَرامُ يُدْنِيها
هَلْ بارِقٌ ما أَرَى أَمِ ابْتَسَمَتْ فَانْتَظَمَ الدُّرُّ فِي تَراقِيها
عَنْ فَتْكِها قَدُّها يُحَذِّرُها وَحُسْنُها[2] بِالصُّدُودِ يُغْرِيها
إنْ سَفَرَتْ فَالهِلالُ طَلْعَتُها أَوْ خَطَرَتْ فَالْغُصُونُ تَحْكِيها
أَوْ نَظَرَتْ فَالظِّباءُ فِي خَجَلٍ أَوْ نَكَهَتْ فَالْعَبِيرُ فِي[3] فِيها
أَسْخَطْتُ فِي حُبِّها وَقَلَّ لَها[4] كُلَّ صَدِيقٍ عَساهُ يُرْضِيها
لَوْ سَمَحَتْ بِالْكَرَى لأَرَّقَنِي وَهْناً مِنَ اللَّيْلِ خَوْفَ واشِيها
أَوْ بَعَثَتْ طَيْفَها لَعَرَّفَها ما ذاقَهُ الصَّبُّ مِنْ تَجَنِّيها
شُقَّةُ بَيْنٍ لِهَجْرِنا نُشِرَتْ فَلا يَكادُ الزَّمانُ يَطْوِيها

---

(١) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٠-١١؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٢٦٧.

(٢) في (ظ): «يحدرها وحسنها».

(٣) في (ظ): «من».

(٤) في (ظ، س): «وقيل لها». والمثبت من ريحانة الألبا ٢/ ١١.

جَرَّعَنِي الدَّهْرُ بَعْدَها غُصَصاً أَكْتُمُها[(١)] تارَةً وَأُبْدِيها

يا بائِعاً نَفْسَهُ بِلا ثَمَنٍ أَرْخَصْتَها فَالهَوانُ يَشْرِيها

ما بالُ هٰذا الزَّمانِ يُتْحِفُنِي بِمُصْمِياتٍ إِلَيَّ يُهْدِيها

طَلائِعاً[(٢)] لِلْمَشِيبِ ضاحِكَةً بِعارِضِي وَالشَّبابُ يَبْكِيها

ومنها في حسن الختام:

خُذْ رَوْضَةً فِيكَ طابَ مَغْرِسُها فِيها ثِمارُ المَدِيحِ تَجْنِيها

فِي لَهَواتِ الرِّجالِ[(٣)] أَنْبَتَها ذِكْرُ عُلاكَ الَّذِي يُرَوِّيها

وقوله أيضاً[(٤)] من أخرى[(٥)]: [الخفيف] [١٢٩/ أ]

ما لِعَصْرِ الشَّبابِ رَثَّتْ بُرُودُهْ وَلَوَتْ جِيدَها عَنِ الوَصْلِ رُودُهْ

وَلَمِيَّادِهِ وَما طالَ عَهْدٌ مِنْ سَقِيطِ النَّوَى ذَوَى أُمْلُودُهْ

وَسَوادُ العِذارِ عادَ مَرِيضاً فَأَتَى ناصِعُ البَياضِ يَعُودُهْ

ما لِحِبٍّ يَحْنُو عَلَيْهِ وَلٰكِنْ بِزِمامٍ إِلَى الحِمامِ يَقُودُهْ

وممَّا أنشدني لنفسه قوله[(٦)]: [الوافر]

وَمَنْ تُخْطِئْهُ نِيرانُ القَوافِي فَسَوْفَ يُصِيبُهُ أَلَمُ الدُّخانِ

وَأَبْلَغُ مِنْ مَذاقِ المَوْتِ يَأْسٌ جَناهُ المَرْءُ مِنْ رَوضِ الأَمانِي

(١) في (ظ): «أكتمه».

(٢) في (ظ): «طلائع».

(٣) في (ظ): «الرواة».

(٤) ساقط من (ظ).

(٥) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٢؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٦) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣.

فأنشدته قولي في معنى بيته الأول[١]: [الوافر]

أَقُــولُ لَــهُ تَنكَّــبْ عَــنْ مَرَامِــي ... يَنَلْــكَ الــذَّمُّ وَاحْــذَرْ شَرَّ دَائِــي
فَمَــنْ يُبْعِــدْ عَــلَى طُــرُقِ القَــوافِي ... تَمُــــرُّ عَلَيْــــهِ قافِيــــةُ الهِجَــــاءِ

ولما وقف على مقصورتي النبوية التي أولها[٢]: [الرجز]

أَيــا شَــقِيقَ الــرَّوْضِ حَيَّــاهُ الحَيَــا ... فَــاحْمَرَّ خَــدُّ وَرْدِهِ مِــنَ الحَيَــا

كتب إلي أبقاه الله تعالى[٣]:

أَسْقَى[٤] الإِلٰـهُ إِنْ سَقَى الأَرْضَ الحَيَا ... حَوامِــلَ المُــزْنِ رُبَــى أُمِّ القُــرَى
وَجــادَ دَفّــاقُ النِّعــافِ[٥] مُرْدِفــاً ... بِمِثْلِــهِ ظَهْــرَ الحُجُــونِ فَكُــدَى
فَــبَطْنَ نُعْــمانِ الأَراكِ فَالــصَّوى ... فَــالْبِرْكَ فَــالتَّنْعِيمَ فَالهُــضْبَ الــدُّنَى
فَــذاتَ عِــرْقٍ فَالْبِطــاحَ دُونَــهُ ... إِلَى حِــــرًى فَطَيْبَــــةً دارَ المُنَــــى[٦]
وَجَلَّلَــتْ أَيْــدِي الــسَّحابِ فَكَــسَتْ ... أَنْوارُهــا صُــلْعَ الهِــضابِ فَــالرُّبَى
وَقارَبَــــتْ وَقْــــعَ الخُطــــا غَمائِــــمٌ ... تَــدْعُو عَــن البهــا النبــات الجُفَّــلا[٧]
يَحُثُّهــــا حــــادٍ مُــــرِنٌّ خَلْفَهــــا ... فَهْــيَ لِــذاكَ الحَــثِّ تَــدْعُو الحُيَّــدَا
تَكــــادُ أَنْ تُخْطِــــئَ فِي مَــــسِيرِها ... وَهْــيَ المُــصِيبُ سَــيْرُها مِــنَ الــوَجَى
فَــاطَّرَحَ الجَــذْبَ وَكــانَ آيِــساً ... مِــنَ ارْتِجــاعِ الخَطْــبِ أَطْــمارَ الــسّفَا

(١) في خلاصة الأثر، ٤/ ٢٧٠. وفيه: تنالُ الذمَّ واحذر.... فمن يتعدَّ على طرق (ج).
(٢) في خلاصة الأثر، ٤/ ٢٦٧.
(٣) في خلاصة الأثر، ٤/ ٢٦٧-٢٦٩.
(٤) في (ظ): «سقى».
(٥) في (ظ): «الغمام». والنَّعْف: ما انحدر من حزونة الجبل. القاموس.
(٦) في (ظ): «الهدى». وفي خلاصة الأثر: إلى حرا.
(٧) في خلاصة الأثر: عن البهاء ألبان الجفا.

وَنَـــسَجَتْ مِـــنْ كُـــلِّ وَشْيٍ حِـــبَراً فَالْتَأَمَـــتْ لُحْمَتُهـــا مَـــعَ الـــسُّدَى

[١٢٩/ب] وَماسَـــــتِ الوِهـــــادُ في مَلابِـــسٍ مُخْـــضَرَّةٍ مِـــنَ الحُـــلِيِّ وَالحُـــلَى

فَـــسُوْقُها في لُجَـــجٍ مِـــنْ زِيْبَـــقٍ تَخْفَـــى بِهـــا طَـــوْراً وَطَـــوْراً تُجْـــتَلَى

وَهامُهـــا يَحْمِلْـــنَ مِـــنْ زَبَرْجَـــدٍ عَمائِـــماً تَلُوثُهـــا أَيْـــدِي الـــصَّبَا

وَطَبَّـــقَ العَنْـــبَرُ أَطْبـــاقَ الثَّـــرَى وَمَـــلأَ العَبْهَـــرُ أَطْـــرافَ المَـــلا

لا يَهْتَـــدِي نَجْـــمُ الـــسَّماءِ أَنْ يَـــرَى نَجْـــمَ المَجـــابِي[1] بَـــيْنَ فَـــذٍّ وَثُنَـــا

يَـــصِيرُ فِيهـــا الخازبـــاز مُـــصْغِياً فَلَـــمْ يَـــصِحْ[2] مِـــنْ وَفْـــرَةِ النَّـــدا الـــصَّدَا

أَضْـــحَتْ وَكـــانَ الـــوَحْشُ لا يَـــسُوفُها خَوفـــاً وَلا يَـــسْلُكُها ضَـــبُّ الكَـــدَا

مَـــــسْرَحُ آرامٍ وَغَيْـــــلُ أَشْـــــبُلٍ وَحِـــصْنُ رَبْـــلاتٍ وَأُفْحُـــوصُ قَطَـــا

يَرْمُقُهـــا الـــبَرْقُ فَيُغْـــضِي خَجِـــلاً وَالطَّـــرْفُ يَـــدْرِي مـــا تَـــرَى إذا رَنَـــا

كَأَنَّـــــهُ صَـــــحِيفَةٌ يُغْمِـــــدُها في جَفْنِـــــهِ صَـــــيقَلها فيُنْتَـــــضَى

أَوْ نِـــصْفُ مِـــرْآةٍ بِكَـــفِّ مـــاجِنٍ يُـــدِيرُها مِـــنْ وَجْهِهـــا إلَى القَفَـــا

أَذْكَـــرَنِي وَمـــا نَـــسِيتُ خُلَـــساً للهِ مـــا هَـــيَّجَ لِي بَـــرْقُ الـــدُّجَى

أَيّـــامَ خِلْـــصانِي الأُولَى عَهِـــدْتُهُمْ لا يَنْقُـــضُونَ لِلْمُهِـــمّاتِ الحَبَـــا

مِـــنْ كُـــلِّ فَيْنـــانِ الـــشَّبابِ عاقِـــدٍ يُمْنـــاهُ بِالمَجْـــدَيْنِ عِلْـــمٍ وَعُـــلا

إنْ رِيّـــقُ الأفـــواه في الأمـــر اهتـــدى لِغـــامِضٍ يَـــدُقُّ عَـــنْ دَرْكِ القُـــوَى

تَطـــارَحُوا جَنَـــى العُقُـــولِ بُرْهَـــةً وَبَعْـــدَهُ تَفَرَّقُـــوا أَيْـــدِي سَـــبَا

فَبَعْـــضُهُمْ فَـــوْقَ الأَثِـــيرِ هِمَّـــةً وَبَعْـــضُهمْ جُثْمانُـــهُ تَحْـــتَ الثَّـــرَى

---

(١) في (ظ): «المجاني».

(٢) في (ظ): «يصخ».

لَــوْلا الخَفــاجِيُّ الــشِّهابُ أَحْمَــدُ عُــصارَةُ الــشُّمِّ العَــرانِينِ الأُولَى
تَفَيَّـــؤُوا في ظِـــلِّ كُـــلِّ شـــاهِقٍ مِــنَ الكَــمالِ وشــناخيبِ[1] الــذُّرَى
مُزاحِمِـــي الأَفْـــلاكِ فِي مَـــدارِها بِهِمَّـــةٍ لَمْ يَرْضَـــهُنَّ مُـــسْتَوَى
أَبُـــوهُ شَـــيْخٌ حالُـــهُ وَخالُـــهُ عَلّامَـــةُ الـــدُّنْيا أَتَـــى ثُـــمَّ مَـــضَى
ثَـــوَى أَبُـــو بَكْـــرٍ لَـــدِيغَ حَـــسْرَةٍ لِفَقْـــدِهِ مُحَمَّـــداً بَعْـــدَ الرُّقَـــى
كـــانَ[2] لِجِيـــدِ العِلْـــمِ عِقْـــدَ جَـــوْهَرٍ وَزِينَـــةَ الكَـــوْنِ وَأَرْبـــابِ النُّهَـــى
[١٣٠/أ] تَـــشارَفَتْ مِـــنَ الـــذُّرَى إِذْ لا رَوَى مَغـــارِس الآدابِ أن لا يُجْتَنَـــى
نَتِيجَـــةَ الـــدَّهْرِ وَحَـــشْوُ بُـــرْدِهِ وَلَـــذَّةُ العَـــيْشِ وَرَيْعـــانُ المُنَـــى
طَـــوَّفَ آفـــاقَ الـــبِلادِ لِـــيَرَى لَـــهُ نَظِـــيراً فِي الكَـــمالِ وَالْعُـــلا
أَشْرَقَ فِي الـــرُّومِ فَعَـــيْنُ مِـــصْرِهِ لِبُعْـــدِهِ مَمْلُـــوءَةٌ مِـــنَ القَـــذَى
وَالجـــامِعُ الأَزْهَـــرُ وَالْفَتْـــوَى مَعـــاً حَـــنَّ[3] إِلَى ذاكَ البَيـــانِ وَاللُّغَـــى
كانَـــتْ بِـــهِ مِـــصْرُ تَجُـــرُّ ذَيْلَهـــا تِيهـــاً وَإِعْجابـــاً عَـــلَى كـــلِّ القُـــرَى
سَـــقَتْهُ دَرَّ المَجْـــدِ مِـــنْ ثَـــدْيٍ لهـــا فَـــشَبَّ فِي حِجْـــرِ العُلُـــومِ وَنَمَـــى
ضَـــنَّتْ بِـــهِ نَفاسَـــةً لِقَـــدْرِهِ وَالـــشَّيْءُ يَغْلُـــو قِيْمَـــةً فَيُـــصْطَفَى
صَـــوْناً لَـــهُ عَـــنْ أَنْ يُـــرَى لِغَيْرِهـــا فَـــشارَكَتْها فِيـــهِ أَسْـــبابُ النَّـــوَى
أَلْقَـــى بِقُـــسْطَنْطِينَةٍ جِرانَـــهُ وَفـــازَ فِيهـــا بِـــالْقَبُولِ وَالرِّضَـــا
وَنـــالَ مِنْهـــا حُظْـــوَةً لَـــوْ قُـــسِّمَتْ مَـــعَ اسْـــتِواءِ الحَـــظِّ عَمَّـــتِ الـــوَرَى

(١) في (ظ): «سنا». الشُّنخوب: بالضم أعلى الجبل. القاموس. (ج).

(٢) في (ظ): «كانا».

(٣) في (ظ): «حنا».

أَحْيـا بِهـا مَيْـتَ العُلُـومِ فَاسْـتَوَتْ ... يَـنْفَضُ عَـنْ أَكْفانِـهِ تُـرْبُ الـبِلَا
يَعْتَقِـــدُ البَعْـــثَ وَلاتَ مَبْعَـــثٌ ... وَالـــرُّوحُ مِنْــهُ بَــيْنَ ثَغْــرٍ وَلَهَــا
وَســاقَ فِي سُــوقِ الرِّهــانِ حَلْبَــةً ... مِــنَ البَيــانِ بِــالنُّفُوسِ تُــشْتَرَى
يَــنْظُمُ فِي الأَسْــماعِ مِــنْ مَحْفُوظِــهِ ... جَــواهِرَ اللَّفْــظِ بِأَجْيــادِ الــدُّمَى
كَــمْ رَوْضَــةٍ دَبَّجَهــا يَراعُــهُ ... فَــأَيْنَعَ الزَّهْــرُ وَطــابَ المُجْتَنَــى
مـا زالَـتِ الرُّكْبـانُ تُطْـرِي بَعْـضَ مـا ... ضَـمَّ رَحِيـبُ صَـدْرِهِ وَمـا حَـوَى
تُطْــوَى دَيــامِيمُ الــدُّجَى بِــذِكْرِهِ ... إنْ رَنَّـقَ النُّعـاسُ فِي جَفْـنِ الـسُّرَى
حَتَّـى التَقَيْنـا فَالْتَقَطْـتُ الـدُّرَ مِـنْ ... أَلْفاظِـــهِ الغُـــرِّ فُـــرَادى وَزَكَـــا
رَأَيْتُـــهُ البَـــدْرَ إذا البَـــدْرُ سَرَى ... وَخِلْتُـــهُ البَحْـــرَ إذا البَحْـــرُ طَمَـــى
فَهْـــوَ الـــسِّنانُ هِـــزَّةً إذا سَـــطَى ... وَهْـــوَ الزَّمـــانُ هِمَّـــةً إذا اعْـــتَلَى
شَـــفَى الفُـــؤادَ لَحْظُـــهُ وَلَفْظُـــهُ ... وَكـــانَ قَبْـــلَ المُلْتَقَـــى عَـــلَى شَـــفَا
ذُو مَنْطِـقٍ لَـوْ صـادَفَ البَحْـرَ حَـلا ... وَلَـوْ فَـرَى بِـهِ الحُـسامَ لانْفَـرَى
[١٣٠/ب] وَهاكَهـــا عَـــلَى عُـــلاك وَحْـــدَهُ ... مقـصورةٌ مـا لاكهـا ابـن الخَطْفَـى[١]
لَمْ تَـــدْعُها ضَرُورَةٌ لِقَـــصْرِها ... مَـدُّوهُ بَـلْ جـاءَتْ بِأَحْكَـامِ البِنَـا
حَرَّكَنِـــي إلَى اخْـــتِراعِ وَزْنِهـــا ... أَيـا شَـقِيقَ الـرَّوْضِ حَيَّـاهُ الحَيَـا
طَلِيعَـــةٌ يَتْبَعُهـــا مَقانِـــبٌ ... مِـنَ القَـرِيضِ القُـحِّ إنْ طـالَ المَـدَى
رَقَـــى لِمَمْـــدُودِ القَـــوافِي وَقَـــراً ... وَغَـــصَّةً لِلْحاسِـــدِينَ وَشَـــجَا

وكتب لبعض الصدور في أمرٍ اقتضاه ما صورته: [البسيط]

(١) هو الشاعر الأموي جرير بن عطية بن الخطفى. (ج).

إنِّي تَحَقَّقْتُ مُذْ أَنْزَلْتَنِي كَرَماً بِدارِ سَعْدِكَ مَوْصُولٌ بِهِ المَدَدُ
إِنِّي أَعُودُ وَكُلِّي بِالثَّناءِ فَمٌ كَما أَتَيْتُ وَكُلِّي بِالرَّجاءِ يَدُ

يا وليَّ نعمتي وأستاذي، ومن هو في كلِّ الأُمور ملاذي، سدّد الله للقاصدين دولتك، وشدَّد على الحاسدين صولتك، وأبقاك متحلّياً من السعادة أرفعها حللا، متبوِّءاً من السيادة أمنعها حللا، ووصل إقبالك وسعدك، وأورى في كلِّ صالحة زندك، وقرنَ بك من التوفيق جاراً ومصاحباً، وسربلك من التحقيق برداءٍ جارًّا ذيله وساحباً، وأدام لك ما منحك من الجلال، وخلّد ما جمع فيك من محاسن الخلال، حسن ظني فيك جرَّأني عليك، ومزيدُ توقي بك ساقني إليك، وطالعُ سعدي أوقفني بين يديك، علماً منه بأنك تقيل[1] عثاري، وتأخذُ لي من الدهر بثاري، وقد وكلت السها إلى القمر، ونبهت له من طَرَفٍ عُمر، وليس من الأدب إعلامُك بحالي، وأنت أَعلمُ به منّي والإفصاح بسؤالي، مع ترديد سؤالك عنّي غير أنَّ الله تعالى أمرَ عباده بالسؤال، وهو أعلمُ بحقائق الحال، وقال عليه الصلاة والسلام: «أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام»[2].

وقصد العبد من العرض، بعد التشرّفِ بلثم الأرض. إظهارُ الخشوع والافتقار، وإدرار الخضوع والانكسار، [١٣١/أ] بين يدي سيّده ومولاه، ووليِّ نعمه الذي والاه[3]، وتوليه وإعلامه أن سلفه الذي تقدمه من الحكام، ونظروا

---

(١) في (ظ): «ثقيل».

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٩/ ١٣٨، والترمذي (٣٥٢٤)، وأبو يعلى في المسند ٦/ ٤٤٥.
وألظوا: الزموا وأكثروا منها. (ج).

(٣) في (ظ): «أولاه».

بعين بشار في مرآة الأحكام، مع قطع النظر عن الاستحقاق والانتساب، والتنَزه عن مظان الشبه والارتياب، وعن نظم الفرائد بأيدي اللسان درراً، ورقم الشوارد بأيدي البيان خبراً[١].

فهذه كَلَّلَها الإجرام عقوداً، وتلك تجللها الأيام بروداً، وشجرة المنع ولله الحمد اجتثت وزالت، ودوحة الشرع بك أينعت وطالت، وقد خُلق الإنسان من عجل، والطالب وإن وثق على وجل[٢]: [المتقارب]

إليــكَ التجَــأْتُ مِــنَ الحادِثــاتِ[٣] وَمَنْفَعَــةُ الغَــوْثِ قَبْــلَ العَطَــبْ

فمثلك من أورى زند اقتداحي، وأنار ببيض أياديه مسائي وصباحي، وراش بأنعامه مهيض جناحي[٤]، وأعلن مؤذن صلاته بِحَيَّ عَلَى فَلَاحِي: [الكامل]

إِنِّي أَتَيْــتُ إِلَيْــكَ مِــلْءُ جَــوانِحِي أَمَــلُ المُــدِلِّ وَخِيفَــةُ المَــدْلُولِ
وَالأَمْــرُ فِي كِلْتَــا يَــدَيْكَ فَــلا أَرَى عُــذْراً يَعُــزُّ إِلَيْــهِ غَــيْرَ خُمُــولِي[٥]
لابُــدَّ مِــنْ عَــوْدِي فَإِمَّــا شــاكِراً جَــدْواكَ لِي أَوْ ســاخِطاً لِقُفُــولِ[٦]
وَمِــنَ الــشَّقاوَةِ أَنْ يَــؤُوبَ مُؤَمِّــلٌ عِــزَّ الكَرامَــةِ فِي إِهــابِ ذَلِيــلِ

وحُقَّ لمن استند إلى مجدك المؤثّل، وجعل على رحيب كرمك المعوّل، أن يدركَ من سيبك مأمولا، ولا يلتحف من هذه الدولة خمولا[٧]، وحاشاه أن يطأ

(١) في (ظ): «حبرا».
(٢) البيت للمتنبي في ديوانه، ١/ ١٨٤.
(٣) في الديوان: «سَبَقْتَ إِلَيهِم مَناياهُمُ».
(٤) سقطت الجملتان اعتبارا من «وأنار» من (ظ).
(٥) في (س): «خمول».
(٦) في (ظ): «لقفولي».
(٧) في (ظ): «خمولا».

دون غمارها، أو يضل وهو عاش بأنوراها: [الطويل]

إذا لَمْ أَنَـلْ فِي هٰـذِهِ الدَّوْلَـةِ الغِنَـى وَلَمْ تَلْقَنِـي الآمـالُ باسِـمَةَ الثَّغْـرِ

فَبِـئْسَ رُجُـوعِي قـائِلاً لِـمُؤَنِّبِي رَمَتْنِـي يَـدا ظَنِّـي بِقاصِـمَةِ الظَّهْـرِ

وأدنى مراتبِ حرمان المؤمّل، وكفّ يد الراجي عن بسط كفِّ المتطوّل، أن يعودَ باللائمَيْنِ على نفسه، وأن يُحتقر بين أبناء جنسه، وبئستِ الخصلتان الحقارة والحرمان، ومن الأمثال المشهورة، [١٣١/ب] وأقوال الفصحاء المأثورة: من أجدب انتجع، ومن نادى مصيخاً استمع، وجاوز الحزام الطُّبيين، ورجع فلان بِخُفَّي حُنَيْن، وانتهز فرصة الإمكان ما ساعدك ساعد الزمان.

وقد أقسمت بكرمك تجاربي أني أظفر منك ببلوغ مآربي: [الكامل]

أَيَجِـفُّ رَوْضِي وَهْـوَ غَرْسُـكَ أَوَّلاً حاشـا عُـلاكَ وَرَوْضُ غَـيْرِي مُمْـرِعُ

فأنبأَنِي بما لم أستطع عليه صبراً، وأنشدك لسان تأميلي سأشكر عمراً، ولا غَرْوَ أن أغرِّدَ بمدحك، وأصدحَ بأعلى صرحك: [الوافر]

وَآوانِي جَنابُـكَ فِي مَحَـلٍّ بِـهِ اسْـتَخْفَيْتُ عَـنْ نُـوَبِ الزَّمَـانِ

فَلَـسْتُ مُـذَكِّراً مَـنْ لَـيْسَ يَنْـسَى عَـلَى بُعْـدٍ فَكَيْـفَ مَـعَ التَّـدَانِي

وإن تعذَّر مطلبي، وتكدَّرَ بعد ورودي مشربي، فالأمر منوطٌ بفكرك الثاقب، ومفوَّضٌ إلى رأيك الصائب، لا زالت الآمالُ بك منوطة، ويدُ الخيرات مبسوطة، وأقلام الثناء لك ناطقة، وأعلام البقاء عليك خافقة: [الطويل]

إذا مـا تَـسامَى أَوْ تَـشَفَّعَ طالِـبٌ نَـدًى رُتْبَـة رَحْـب الجَنـابِ رَفِيـعِ

فَجاهُـكَ لِي عِـزٌّ وَوَجْهُـكَ مَطْلَـبٌ وَدارُكَ لِي مَثْـوًى وَأَنْـتَ شَـفِيعِي

وحسبي ركنُ مجدك ناصراً لي وشافعاً، وحسنُ نظرك ناظراً لي وسامعاً، وحسبي منك ما يُرضيك عنّي، وهو غاية ما تصل إليه قدرتي، وتنقدح له فكرتي، مع اعترافي بالعجز عن الوصول، أن أصرح بالثناء عليك فأقول: [البسيط]

لأَنْظِمَنَّ عُقُوداً فِيكَ جَوْهَرُها ... لَهُ عَلَى جَبْهَةِ الأَفْلاكِ تَخْلِيدُ

بِهِ يُقَرَّطُ حسنُ السبكِ أَصمخةً ... صمًّا وتُنْشِدُهُ الرُّكْبانُ وَالْبِيدُ

لِلسَّمْعِ وَالْعَيْنِ إِنْ نَشْد[وا] وَإِنْ تَرَهُ ... خَطانَ لَمْ يُرْوِها مُطْرٌ وَغِرِّيدُ

إِذْ كُلُّ مَطْلُوبَةٍ مِنْ عِرْضِهِ نِعَمٌ ... وَكُلُّ مَجْلُوبَةٍ مِنْ أَرْضِهِ رُودُ

[١٣٢/أ] وليس في وسعي وإن ضجرتِ الخواطرُ أن أخاطبَكَ شفاها، وأن بعدتِ الشُّقة وطالَ مداها، والآن أُظهرُ الضمائر الواجبة الاستتار، والآن أُقيم برهاناً على وجود الشمس رابعة النهار، إذْ هيبتك ترعفُ منها أنوفُ الأقلام، وهيئتك(١) ترشف فيها صروف الأيام والسلام. انتهى.

والقطرةُ تدل على الحياض، والزهرةُ تخبر بنفحتها عن الرياض، وعلى ضجرة الخاطر فلنذكر ما في «الخريدة»(٢) العمادية فإنه أنشد للسِّنْبِسي(٣) وأعجب به قوله: [الطويل]

وَلَوْ يَعْلَمُ الواشُونَ ما كانَ بَيْنَنا ... مِنَ السِّرِّ لَوْلا ضَجْرَةٌ فِي المَدَامِعِ

وهي لعمري استعارة باردة واستحسانها أبرد منها وأقبح.

---

(١) في (ظ): «وهبتك».

(٢) الخريدة، قسم العراق ٢/ ٢٠١. (ج).

(٣) في (ظ): «للسبيني». وفي (س): للسبيبي. والمثبت من الخريدة. وهو محمد بن خليفة العراقي السنبسي، نسبة إلى سنبس بوزن سمسم قبيلة من طي. توفي ببغداد ٥١٥هـ. (ج).

وقد قلت في قصيدة لي: [الكامل]

أَقْسَمْتُ لَوْلا ضَجْرَةُ الزَّفَراتِ   وتَزاحُمُ الأَجْفانِ بِالْعَبَرَاتِ
لَمْ تَعْرِفِ الأَحْزانُ أَيْنَ مَحَبَّتِي   وَلَمَا اهْتَدَى[1] لِجَوَى الفُؤادِ وُشَاتِي

ومثلُ قوله: (أظهر الضمائر...) إلخ.

قولي في فصلٍ منه: العاقل من اعتبر، ورضي ما يرضاه القدر، فللهِ في أمره مُضمراتٌ مستترة، مؤكّدة بمرادِفاتها المظهرة، للعطف عليها، ورجوع الضمائر إليها، فليبنْ الأمرُ على السكون، فهو مقدرٌ سيكون، إن المقدر كائن ولك الأمان من الذي[2].



(١) في (ظ): «اهتدت».

(٢) أقول (ج): انظر المقامة الرومية في كتابنا هذا صفحة (٧٤٤) وقوله:

ما قد قضى سيكون فاصطبرن له
ولك الأمانُ من الذي لم يقدرِ

[٨٩]
بدر الدين القَرافِيّ المالكيّ[١]

بدر كماله من أفق المعالي مشرق، وجو مجده بسحب الفضائل مغدق.

وقد رأيتُهُ ولياليه محمرَّةُ الخدود بالشفق، والنجمُ في خدمة بيت سعده لا يملُّ من الأرق، وقد طلع بدرُهُ في هالة التدريس، وأحاطت به مناطق الطلبة والفضلُ جليس وأنيس، وأقلام الفتوى تسعى لخدمته على رأسها، ووجه طِرس كعبته مجلّلة بسواد أنقاسها[٢]، تحُجُّ له الأبصارُ والبصائر، وتعتكِفُ في حرم إِفَادتِه الأسماع والضمائر.

وله في فقه مالك آثار مُدوَّنة، وفضائل بـ«مُوَطَّأ» أخلاقه معنونة، [١٣٢/ب] وقد شرح «مختصر خليل»[٣]، شرحاً شفى به كلَّ عليل.

وله حاشية على «القاموس»، وغير ذلك، ممّا هو في دفتر فضله فذالك.

وكان يتولّى القضاء لسنن السلف الصالح سالكاً، ولتنفيذ أوامره ونواهيه مالكاً، حتّى أظهر فيه اليدَ البيضاء، ولم يتلوَّنْ فيه للبيضاء والصفراء، سمين

---

(١) محمد بن يحيى بن عمر القاضي بدر الدين القَرافِيّ المالكيّ (٩٣٩-١٠٠٨ / ١٥٣٣-١٦٠٠): من القضاة، فقيه مالكي، لغوي من أهل مصر. ولي القضاء بالباب، وتوفي بمصر، ودفن بالصحراء بالقاهرة. من مؤلفاته: «شرح ابن الحاجب»، و«ذيل الديباج» لابن فرحون، و«شرح الموطأ»، وله أيضا نظم ونثر. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٠٤؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٢٥٨؛الكواكب السائرة، ١/ ١٣؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٦٣؛ الأعلام، ٧/ ١٤١؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٧٦٩.

(٢) النِّقْسُ: المداد، جمع أنقاس، القاموس. (ج).

(٣) مختصر خليل بن إسحاق في فروع المالكية. وفي (س): «مختصراً جليلاً». (ج).

الأمانة، أَعجف الخيانة: [السريع]

فَـــما سَـــمِعْنَا قَـــطُّ مِـــن اِمْـــرِئٍ أهْــدَى لَــهُ شَــيْئاً وَلا قَــدْ رَشَــاهْ[١]

ولم يزل كذلك حتى غاب بدرُهُ، وانقضى دوره، وتمَّ عمره، فبدَا زواله، وكسف كماله: [البسيط]

إنَّ فِـــــراقَ الكَـــــمالِ صَـــــعْبٌ حَتَّـــى عَـــلَى البَـــدْرِ فِي الـــسَّمَاءِ

وله في النظم والنثر فنون إلَّا أنها

كبيْتِ حسانٍ في ديوان سحنون[٢]

كقوله[٣]: [البسيط]

مِنْـكَ البَـداءَةُ بِالإحْـسانِ حاصِـلَةٌ مَلَّكْتَنِي الرِّقَّ فَضْلاً مِنْكَ لِي سَارِي

أَلْهَمْتَنِـــي بَعْــدَهُ عِتْقــاً لِتُكْرِمَنِــي فَـاخْتِمْ بِخـيْرٍ بِـهِ عِتْقِـي مِـنَ النَّـارِ

وهو كقول والد ابن حجر العسقلاني[٤]: [الكامل]

يــا رَبِّ أَعْــضاءُ الــسُّجُودِ عَتَقْتَهَــا مِــنْ فَـضْلِكَ الـوافِي وَأَنْـتَ الـوَاقِي

وَالْعِتْـقُ يَـسْرِي فِي الغِنَـى يـا ذا الغِنَـى فَــامْنُنْ عَــلَى الفــانِي بِعِتْــقِ البَـاقِي

ومثله قول الآخر: [البسيط]

إنَّ الكِـــرامَ إذا شـــابَتْ عَبِيـــدُهُمُ فِي رِقِّهِـــمْ عَتَقُـــوهُمْ عِتْـــقَ أبْـــرَارِ

وَأَنْــتَ يــا خــالِقِي أَوْلَى بِــذا كَرَمــاً قَدْ شِبْتُ فِي الرِّقِّ فَاعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ

---

(١) قد رشاه من الرشوة، وقدر شاه أي قيمة شاه.(ج).

(٢) انظر صفحة (٤٩). (ج).

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٠٥؛ وخلاصة الأثر، ٢/ ٢٩٨.

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٠٦؛ وخلاصة الأثر، ٢/ ٢٩٨.

[٩٠]
عبد الوهاب المحلِّي الحنفي(١)

شابٌّ غَضُّ الشباب، قدِم من المحلة لمصر مرتدياً رداء الاغتراب، وكان قبلُ بالمحلَّة، يراها أهلَهُ ومحَلَّه، وقد نُسجت بأيدي ربيع المحاسن خمائلُه، وغرّدت في رياض المحامد بلابلُه، وسيفُ طبعه المشحوذ معلَّقة بجيد الدهر حمائلُه(٢)، فلفظه يفعلُ ما لا يفعل المسكران الشَّراب والشَّباب، ويؤثر ما لا يؤثره السِّحران، النفثات والكلمات العذاب.

وبينا هو وتباشير صبحه باسمة [١٣٣/أ] الثنايا، وصاعدُ همّته ونجابته طلّاع الثنايا، وظلّه سَجْسَج(٣)، وروضه يانع مدبج، ووطفُ سحبه روتْ ظمآن الثرى، فأيقظتْ أحداق نوره من الكرى، احتضره الموت فأسرعَ ارتحالا، وخِلنا موتَه كان ارتجالاً.

وقد جرى بيني وبينه في ميدان الصحبة، بِدُهْمِ الليالي وشهبِ الأيام طِرادُ خيل ولهو في حلبة المحبة، فحزت القصب [والإِقدام](٤)، وقد حفيتْ أقدام الأقلام، حيث الربيع مريع، والزمان كلُّه ربيع، والنسيم عليل، والوقت سَحَرٌ

---

(١) لم أقف على ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٥.

(٢) في (س): «خمائله».

(٣) السَجْسَج: لا حرٌّ ولا قَرّ، أي المعتدل بين الحر والبرد.

(٤) في (ظ): «فحزنا القصب» وما بين معقوفين لإتمام السجع.

وأصيل، وسيف العزم حديد، وطراز اسمه جديد.

فممّا كتبتُه إليه رقعةً في أمرٍ اشتكاه، منها: انتظرْ عقبَ الزمان عليك، وعلى مَنْ أساء إليك، فالدَّهرُ دول، ولله جنودٌ منها العسل[١]، وكم أغنتِ الوحوشُ عن صدمات الجيوش، وما سُمِّيتِ الحالُ بالحال، إلَّا لسرعة التحوّل والانتقال، فأيامه يوم بيوم وحربه سجال، فما عَبَسَ مساءٌ بوجه أفقه، إلّا وبعده صباحٌ يبسم من فم شرقه، وكم صبرٍ يشمُّ الرجاء من طيب الأرج، ولذا قيل: من العامود إلى العامود فرج[٢]، فإن جفتْ قريشٌ فللّه أنصار، وإن نبتْ بك دارٌ فللّه ديار، وإذا كان انتظار الفرج عبادة، فأوقات الضيق كلُّها سعادة، والسلام.

وممّا أهداه إليَّ، وأملاه في بعض الأيام عليَّ، قصيدةٌ؛ منها قوله[٣]: [الطويل]

أَثَغْــرٌ بَــدَا يَفْــتَرُّ أَمْ شَــنَبُ الزَّهْــرِ ... زَهَى أَمْ سَقِيطُ الطَّلِّ أَمْ لُؤْلُؤُ الزُّهْرِ
وَمُـيَّسُ غِيـدٍ[٤] أَمْ رَواقِـصُ أَغْـصُنٍ ... لَهـا نَقَّطَـتْ أَيْـدِي الغَمائِـمِ بِـالْقَطْرِ
فَـأَرْخَيْنَ مِـنْ تِلْـكَ الكِـمامِ مُعَـصْفَراً ... وَمِـسْنَ كَغِيـدٍ فِي مَطارِفِهـا الخُـضْرِ
وَدَبَّجَ[٥] وَشْيُ الـرَّوْضِ مِنْهـا مَلاحِفـاً ... مُطَـرَّزَةً مِنْهـا الكَمائِـمَ بِـالزَّهْرِ
وَوَلَّى هَزِيـعُ اللَّيْـلِ مُـذْ سَـلَّ صـارِماً ... عَلَيْهِ ضِياءُ الـصُّبْحِ مِـنْ مَغْمَـدِ الفَجْرِ

(١) في (ظ): «العمل». وهذا ما قاله عمرو بن العاص في الأشتر، عندما مات من شربة عسل. (ج).

(٢) بعد حُكم الإعدام على رجلٍ، وقُيِّد بعامود، قيل: تمنّ. فقال: اشنقوني على ذلك العمود. مشيراً إلى عمود أبعد، فاستجابوا له، وبينما كانوا ينقلونه جاء الأمر بالعفو عنه، فقيل: من عامود إلى عامود، بيفرجها الربُّ المعبود. (ج).

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٦-١٧.

(٤) في (ظ): «قوام». وفي الريحانة: أم القُضب في خضر البرود رواقص. (ج).

(٥) في (ظ): «ذبج».

وَبــاتَ يُعــاطِينِي الغَــزالُ مُــشَنِّفاً مِنَ الطّاسِ راحاً قَدْ أُذِيبَتْ مِنَ التِّبْرِ
رَخِـيمٌ مِـنَ الأَعْـرابِ هِنْـدِيُّ لَحْظِـهِ يَـصُولُ بِقَـسْرٍ وَهْـوَ فِي غايَـةِ الكَـسْرِ
[١٣٣/ب] إذا رُمْـتُ ضَـمًّا مِنْـهُ يَنْـصِبُ عـامِلاً غَـدا ماضِـياً فِينـا وَيَجْـزِمُ بِـالْهَجْرِ
وَيَبْعَــثُ خَلْفــاً مِنْــهُ شَــعْراً مُنَــشَّراً فَيَحْيَـا بِحُسْنٍ جاءَ بِالْبَعْـثِ وَالنَّشْرِ
وَيَحْــسُدُ رَيّــانُ الــسِّوارِ وِشــاحَهُ وَمِنْ قَلَقٍ قَدْ باتَ يَشْكُو ظَمـأَ الخَـصْرِ
يُراضِـعُنِي ثَـدْيَ اللَّمَـى مِـنْ مُدامَـةٍ بِــراحٍ لَنــا مِنْــهُ مُعَطَّــرَةِ النَّــشْرِ
نَعِمْنـا بِهـا كَأْسـاً إذا مـا تَشَعْـشَعَتْ وَلاحَتْ رَأَيْتَ الشَّمْسَ فِي راحَةِ البَـدْرِ
كَــأَنَّ نِثــارَ الــدُّرِّ فَــوْقَ كُؤُوسِــها رَسـائِلُ ذِي فَـضْلٍ تَمَـنْطَقْنَ بِالـشِّعْرِ

وذهب في يوم نام فيه الحدثان، وغفل عن صفوه رقيب الزمان إلى روضةٍ طرّزها الربيع ووشّاها، وصحيفةٍ نقَّطها السحابُ لما رأى النبات حشاها، وقد أوقد الزنبقُ في حافاتها شموعه، والطيرُ يُسبِّحُ وقد أطال الغصن ركوعه، والرياض شاكرة للدِّيَم، مُحدِّثةٌ بلسان النسيم عن عرف النِّعم، ومِطْرَف المزن ممسَّكٌ معنبر، والماءُ فِضِّيُّ القميص وطَيْلسان الروض أخضر، وقد غنَّتْ بلابلُها وصفّقت[1] بأكفِّ الموج جداولها، وتضرَّجتْ خدودُ وردها الجنِيَّة، وتَلفَّعتْ لبرد نسيمها الروابي برودَها السندسية، وتعذّرت أنهارها بعوارض ريحانها، وتلجلج خريرُ الماء لتحيُّرِهِ في وصف بيانها، فكتبَ إليّ يدعوني للتمتُّعِ بعاطر شميمها، وأن نعودَ في فراشِ الربيع عليلَ نسيمها، كقوله[2]: [الرجز]

مَوْلايَ إنَّ الرَّوْضَ مِنْ وَشْيِ السُّحُبْ يَخْتـالُ فِي زَهْـوِ الحُـلا عَـلَى الكُتُـبْ
مُعَنْـــبَراً مُمَـــسَّكَ الأَذْيَـــالِ مُعَطَّـــــرَ الأَرْدَانِ بِالآصَـــــالِ

(١) في (س): «وصفت».
(٢) في (ظ): «بقوله».

مُفَوَّفـــــاً آذانَــــــهُ بِالــــــدُّرِّ مُـــــدَبَّجاً أَكْمامَــــهُ بِــــالزَّهْرِ
قَــدْ صــافَحَتْ أَزْهارَهــا الغَمائِــمُ فَــضاحَكَتْها بِــالرُّبَى الكَمائِــمُ
وَفَــرَّكَ الــرِّيحُ عَــلَى مَــتْنِ النَّهَــرْ حُبُوبَـــهُ[1] وَفَــكَّ أَزْرارَ الزَّهَــرْ
وَأَظْهَــرَتْ حُــلا الرُّبَــى الأَمْطَــارُ وَطارَحَــتْ أَشْــجانَها الأَطْيَــارُ
وَقــامَ يَعْلُــو مِنْــبَرَ الأَشْــجَارِ خَطِيبُهـــا مُحَـــرِّكَ الأَوْتَـــارِ
[١٣٤/أ] مُنَمَّـــقَ الـــدِّيباجِ قَــدْ تَتَوَّجَـــا مُطَوَّقـــاً مُقَرطَقـــاً مُـــدَمْلَجَا
مُطَــــرِّزاً أَكْمامَـــهُ بِالْعَـــسْجَدِ مُتَوِّجــــاً مَعــــادِنَ الزَّبَرْجَــــدِ
يَــدْعُوكَ شَــوْقاً مُعْرِبــاً بِــشَجْوِهِ فَكُــنْ أَمــامِي مُــسْرِعاً لِنَحْــوِهِ
فَهٰـــــذِهِ الأَوْراقُ بِالرِّيَـــــاحِ لِـــــدَعْوَةٍ مُــــشِيرَةً بِــــالرَّاحِ
فَــانْفِ الهُمُــومَ وَالْغُمُــومَ وَالــتَّرَحْ وَاسْتَجْلِبِ الأُنْسَ خَلِيلِي وَالْفَرَحْ
فَهــاكَ أَوْقــاتُ الــسُّرُورِ قَــدْ دَنَــتْ مُبَـــشِّرَاتٍ بِالْهَنـــا وَأَعْلَنَـــتْ
وَدَعْ مَقــالَ كُــلِّ صَــبٍّ يَعْــذِلُ فَالْعُــذْرُ حَقًّــا لَــيْسَ فِي ذا يُقْبَــلُ
وَدُمْ تُكاتِـــبْ بِرَقِيـــقِ الفِكْـــرِ عَبْــداً عَــلَى حُكْــمِ النَّــوَى فِي أَسْرِ
قَـــدْ قَيَّدَتْـــهُ غُرْبَـــةُ الأَوْطَـــانِ عَـــنِ الـــدُّمَى وَخُـــرَّدِ الغِـــزْلانِ
لا زالَ مَوْلانــا الــشِّهابُ الثَّاقِــبُ لِعَبْـــدِهِ وَقِنِّـــهِ يُكَاتِـــبُ
مـــا دَبَّجَـــتْ بِوَشْـــيِها الأَقْــلامُ مُحَـــــبَّرَ الأَوْراقِ، وَالـــــسَّلامُ

تذييل

قوله «فهذه الأوراق بالرياح»، البيت فيه من بديع المحاسن، ومحاسن البديع تنْزيل حركات للأجسام غير ذوات الروح منزلة ذوات الأرواح، وجعل أحدهما

(١) في (ظ): «جيوبه».

كفاية عمّا يقصد بالآخر كما في الأوراق، فإنها لما شابهت الأكفَّ وكانت الأكف يشار بها للدعوة، جعلت هذه كذلك وهو إغرابٌ لطيف قلَّ من نظمه، وإذا وقع قلَّ من فهمه، ألا ترى إلى قول ابن رشيق[١]: [السريع]

قَبَّلَنــــي مُحْتَـــشِماً شـــادِنٌ أَحْــوَجُ مــا كُنْــتُ لِتَقْبِيلــهِ

أَوْمَـــأَ[٢] إِذْ حَيَّـــا بِأُتْرُجَّـــةٍ عَرَفْــتُ فيهــا كُنْــهَ تأْويلِــهِ

لَمَّـــا تَطَـــيَّرْتُ بِمَعْكوسِـــها ضَـمَّتْ بَنانـاً نَحْـوَ تَقْليلِـهِ[٣]

فمعكوسها هجرت والتطيُّر به ظاهر. وهيئتها كالأصابع المضمومة، وهي يُشار بها عند الكلام إلى التقليل والقصر[٤]. وقد قلتُ في معناه أيضا: [الطويل]

وَأَزْرارِ وَرْدٍ لَمْ تَفَـــتَّحْ كَأَنَّهـــا لِمَعْنًــى بَــدِيعٍ لِلأَنــامِ تُــشِيرُ

[١٣٤/ب] أَلا إِنَّ أَيّـــامَ اللِّقـــاءِ قَـــصِيرَةٌ كَأَيّامِ هٰذا الـوَرْدِ حِيْنَ يَـزُورُ[٥]

ومثله كثير لمن كان له فكر نقاد.

(١) ديوانه، ص. ١٢٢.

(٢) في الديوان: «أمات».

(٣) في الديوان: «تعليله».

(٤) ساقط من (ظ).

(٥) تقدم ذكر هذه الفقرة صفحة (٢٧٣). (ج).

[٩١]

عبد المنعم بن الطربني المحلي[1]

ناظم مبتسم العقد بثنايا دُرّه لمحاكاة نظامه، وتحيا النفوس بماء الحياة الذي في مداد أقلامه، والدرُّ مجتلبٌ في الظلمات فليس لنسيم الروض خلقُ كماله، ولا لبدر السماء وإن تكلّف إذ حاكى كماله.

وقد صحبته في شبابه وقد درس آيات الفضل وتلاها، وهو بالجدِّ في اقتناص أوابده ما تلاهى، والشبابُ لفَّ شمله بشمله، والمنى أطوعُ له من ظلِّه، حتى اقتنصه في ليلِ شبيبته صيادُ المنية، وضرب سورَ الفناء بينه وبين كلِّ أُمنيَّة.

فمن زهرات أشجاره، ونسمات أسحاره، قوله من قصيدة أنشدنيها بمصر:

[الطويل]

أَمَــوْلًى بِــهِ رَوْضُ الفَـضائِلِ مُزْهِـرُ ... وَيــانِعُ أَغْــصانِ المــآثِرِ مُثْمِــرُ

لَـكَ اللهُ مِـنْ مَـوْلًى بِـهِ تَفْخَـرُ العُـلا ... وَتُـشْرِقُ شَـمْسُ الفَـضْلِ مِنْـهُ وَتَظْهَـرُ

بِـشاطِئِ بَحْـرِ الطِّـرْسِ مِنْـكَ جَـواهِرٌ ... وَلا غَــرْوَ فِي هٰــذا فَفِكْــرُكَ أَبْحُــرُ

وَهَتَّانُ سُحْبِ الفِكْرِ كَمْ أَنْتَ مُنْبِتٌ ... بِــهِ أَيَّ مَعْنًــى مِــنْ مَبانِيــهِ يَــسْبِرُ[2]

نَظَمْــتَ فَخِلْنــاهُ الــدَّرارِي تَنَظَّمَــتْ ... نَثَـرْتَ فَقُلْنــا الــنَّجْمُ فِي الأُفْـقِ يُنْثَـرُ

رَفَعْـتُ إِلَيْـكَ الحـالَ يـا خَـيْرَ فاضِـلٍ ... وَإِنْ كــانَ رَفْــعُ الحــالِ لا يُتَــصَوَّرُ

---

(١) لم أقف على ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ٢١. وفيه: الطريني.

(٢) في (ظ): «يبهر».

عَلِقْتُ بِظَبْيٍ بابِلُ السِّحْرِ لَفْظُهُ وَأَجْفانُهُ كَالبِيضِ وَالْقَدُّ أَسْمَرُ
لَئِنْ لاحَ يَوْماً وَجْهُهُ مُتَهَلِّلاً لَهَلَّلَ كُلُّ النّاسِ مِنْ ذَا وَكَبَّرُواْ
إذا ماسَ قالَ الغُصْنُ ما أَنَا قَدُّهُ وَيُكْسَفُ بَدْرُ التِّمِّ إذْ هُوَ يُسْفِرُ
وَيُزْرِي لَعَمْرِي بِالْغَزالَةِ فِي الضُّحَى إذا ما رَنا شَزْراً فَلا كانَ جُؤْذَرُ
تَجَمَّعَ كُلُّ الحُسْنِ طُرًّا بِوَجْهِهِ أَلَمْ تَرَ خَتْمَ الخالِ عَنْ ذاكَ يُخْبِرُ
فَإنْ لِصُّ لَحْظِي رامَ يَسْرِقُ نَظْرَةً فَفِي جَنَباتِ الخَدِّ[1] يَبْدُو وَيَظْهَرُ
[١٣٥/أ] عَلِقْتُ بِهِ لا عَنْ مُرادٍ وَإِنَّما مَحاسِنُهُ نادَتْ فَلَبَّيْتُ أَعْثُرُ
سُحِرْتُ بِلَحْظٍ بابِلِيٍّ وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بِأَنْ اللَّحْظَ لِلنّاسِ يَسْحَرُ
تَعَدَّتْ مَواضِي مُقْلَتَيْهِ بِمُهْجَتِي بعامِلِ قَدٍّ كَسْرُهُ لَيْسَ يُجْبَرُ
تَنازَعَ فِيهِ عامِلَا البَيْنِ وَالْقِلى كَأَمْسٍ وَكُلٌّ فِي الضَّمِيرِ مُؤَثِّرُ
أَلِينُ لَهُ دَهْرِي فَيَزْدادُ قَسْوَةً أَذِلُّ لَهُ جُهْدِي يَعِزُّ وَيَكْبُرُ
إذا قُلْتُ صِلْنِي راحَ بِالْهَجْرِ جازِماً وَيَنْصِبُ ماضِي القَدِّ وَالجَفْنَ يَكْسِرُ
بَذَلْتُ لَهُ رُوحِي ابْتِغاءَ وِصالِهِ فَلَمْ يَرْضَها بَلْ راحَ مِنِّيَ يَسْخَرُ
فَهَلْ تَعْلَمَنْ وُقِّيتَ كُلَّ كَرِيهَةٍ سَبِيلاً إلَى ما أَبْتَغِيهِ يُسَيَّرُ[2]
فَإنْ قُلْتَ لِي صَبْراً فَلَسْتُ بِقادِرٍ وَكَيْفَ وَنارُ الشَّوْقِ تَذْكُو وَتَسْعُرُ
وَإنْ قُلْتَ بِالسَّلْوَى فَلَيْسَ بِمُمْكِنٍ غَرامٌ وَسُلْوانٌ مَعاً يَتَعَذَّرُ
وَما ثَمَّ بَعْدَ الحالَتَيْنِ سِوى الفَنَى أَيُحْمَدُ فِي شَرْعِ الغَرامِ وَيُشْكَرُ

(١) في (س): «الختم».
(٢) في ريحانة الألبا ٢/ ٢٢: أبتغيه يُيَسَّرُ. (ج).

وَهَـلْ يـا قُـضاةَ الحُـبِّ يُؤْخَـذُ قـاتِلِي بِثَــأْرِي وَإلاّ عنــده الــدَّمُ[١] يُهْــدَرُ
أَمِطْ بِجَوابٍ ما عَلى القَلْبِ مِنْ قَذًى وَكُــنْ عــاذِراً لُطْفــاً فَمِــثْلِي يُعْــذَرُ
وَلا تَحْـــسَبَنِّي شـــاعِراً بَـــلْ مُتَـــيَّماً فَلَـيْسَ أَخُـو حُـبٍّ كَمَـنْ راحَ يُـشْعِرُ
فَـلا بَرِحَـتْ هـامُ العُـلا لَـكَ مَوْطِنـاً وَفَـوْقَ سَـماءِ المَجْـدِ لا زِلْـتَ تَخْطِـرُ
مَـدَى الـدَّهْرِ مـا حَـنَّ المَشُوقُ لأَهْلِـهِ وَزَمْجَـرَ رَعْـدُ الـشَّوْقِ وَالجَفْـنُ مُمْطِـرُ

تتمة

نذكر لتكثير الفائدة قوله «ولا غرو في هذا وفكرك أبحر» معنى على الطرق، وفي معناه ما أنشده في «ذيل مرآة الزمان» لسعد الدين بن عربي[٢]، وقد طلب من بعض الرؤساء كتاب «الصحاح»: [الكامل]

مـا كـانَ مِـنْ كُتُبِـي النَّفِيـسَةِ بِعْتُـهُ[٣] إذْ كُنْـتَ أَنْـتَ مِـنَ النُّجُـومِ المُـشْتَرِي
وَالْبَحْـرُ أَنْـتَ وَقَـدْ أَتَيْتُـكَ قاصِـداً أَطْلِقْ بِفَضْلِكَ لِي صِحاحَ الجَوْهَرِي

ومما يُتعجَّبُ منه ههنا أن البدر الدماميني قال في «شرح المغني» وقد ذكر أن «الصحاح» إما بفتح الصاد مفرد بمعنى صحيح، أو بكسرها جمع، [١٣٥/ب] والمعروف الثاني، ثم ذكر أنه كتب يطلب «صِحاح» الجوهري من بعض أهل

(١) في (س): «وإلّا آخذٌ والدم».

(٢) هو محمد بن محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي، سعد الدين بن الشيخ محيي الدين بن العربي (٦١٨-٦٥٦ / ١٢٢١-١٢٥٨): شاعر، ولد بملطية، وسمع الحديث، ودرس وناب في دمشق، وتوفي بها، ودفن بقرب أبيه بتربة بني الزكي بجبل قاسيون. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٧/ ٤٨٨؛ فوات الوفيات، ٣/ ٢٦٧؛ نفح الطيب، ٢/ ١٧٠؛ الأعلام، ٧/ ٢٩؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٦٦١.

(٣) في (ظ): «بعتها».

عصره: [الكامل]

مَــوْلايَ إنْ وافَيْــتُ بابَــكَ طالِبــاً مِنْـكَ الـصِّحاحَ فَلَـيْسَ ذاكَ بِمُنْكَـرِ
اَلْبَحْـرُ أَنْـتَ وَهَـلْ يُـلامُ فَتًـى سَـعَى لِلْبَحْـرِ كَـيْ يَلْقَـى صِـحاحَ الجَـوْهَرِي

فإنْ سرقه فهو غريب منه، وإن كان توارد فليس ذاك بمنكرٍ إلّا أني طالعت «ديوانه» فرأيت فيه كثيراً من هذا كقوله في مدح «المغني»: [الطويل]

أَلَا إنَّــما مُغْنِــي اللَّبِيــبِ مُــصَنَّفٌ جَلِيـلٌ بِـهِ النَّحْـوِيُّ يَحْـوِي أَمانِيَـهْ
وَمـا هُــوَ إلَّا جَنَّــةٌ قَــدْ تَزَخْرَفَــتْ أَلَمْ تَنْظُــرِ الأَبْــوابَ فِيــهِ ثَمانِيَــهْ

فإنه أخذه من [الحسين بن] علي بن مصدق الواسطي[1] في صفة دمشق مع أنه أحق به حيث قال: [مجزوء الرجز]

دِمَــشْقُ فِي أَوْصــافِها جَنَّــةُ خُلْــدٍ راضِــيَهْ
أَمــا تَــرَى أَبْوابَهــا قَــدْ جُعِلَــتْ ثَمانِيَــهْ

وعلى ذكر قوله: «نثرْتَ فقلنا[2] النجمُ في الأفْقِ يُنْثَرُ» فانظر قولي في[3] تقريظٍ: [الطويل]

وَفَـصْلٍ مِــنَ النَّثْـرِ البَـدِيعِ بَعَثْتُــهُ فَقُلْــتُ حَبــابٌ كَأْسُــهُ لِيَ مُــسْكِرُ
وَعُـدْتُ وَقَـدْ عايَنْـتُ مُـسْوَدَّ نِقْـسِهِ أَقُــولُ وَلِي فِكْــرٌ يَغِيــبُ وَيَحْــضُرُ
أَنَثْـرُكَ فَـوْقَ الطِّـرْسِ زَهْـرٌ مُفَـتَّحٌ بَـلَى هُـوَ عِقْـدُ الزَّهْـرِ فِي الـصُّبْحِ يُنْثَرُ

---

(١) الحسين بن علي بن مصدق الواسطي شرف الدين الصوفي كان ذا ذوق وأبهة وجلالة، سمع، وروى، ونظم. الدرر الكامنة ٢/ ١٧٩، والازدهار للسيوطي. (ج).

(٢) في (ظ): «فقلت».

(٣) وردت هذه العبارة في (ظ) هكذا: «فانظره مع قولي مع».

وقوله: «رفعت إليك الحال[1]» إلخ كقول صفي الدين الحلي[2]: [البسيط]

رفَعْـتُ حـالي ورَفْـعُ الحـالِ مُمْتَنِـعٌ إلَـيْكُمْ وَهْـوَ للتَّمْييـزِ مُحْتَمِـلُ[3]

وأحسن من هذا كلِّه قولي: [الوافر]

أَأَرْفَـعُ حـالَتِي لِفَتًـى وَرَبِّي بِهـا أَدْرَى وَأَغْنَـى عَـنْ سُـؤَالِي

وَإِنِّي مُخْطِـئٌ إنْ عُـدْتُ يَوْمـاً لِنَحْـوِ شِـكايَةٍ وَرَفَعْـتُ حَـالِي

وقوله:

«فلا كان جؤذر» من التَّلميحِ المليحِ

كقول ابن مطروح[4]: [الكامل]

وَأَقُـولُ يـا أُخْـتَ الغَـزالِ مَلاحَـةً فَتَقُـولُ لا عـاشَ الغَـزالُ وَلا بَقِـي



(١) وردت هذه العبارة في (ظ) هكذا: «رفعت حالي إليك».

(٢) ديوانه، ص. ٣٥٠.

(٣) في الديوان: «يحتمل».

(٤) ديوانه، ص. ١٩٩.

[٩٢]
محمد الخياط المحلي(١)

شابٌ أديب نبغ بالمحلَّة، فلم يحلَّ أحدٌ في خياطة حُلل اللُّطف محَلَّه، [١٣٦/ أ].

وأخبرني صديقي عبد الوهاب المحلي أنه كان بها كعبةَ ظرفائها وعكاظَ ندمائها، مَن سابقه في سوق الرِّقَّة، بعُدَتْ عليه الشُّقْة، وأنشدني له قوله: [الطويل]

لَنـا صـاحِبٌ مـا زالَ يُتْبِـعُ بِـرَّهُ ... بِمَـنٍّ وَذاكَ الـبِرُّ بِـالْمَنِّ لا يَـسْوَى

سَـلَوْناهُ لا بُغْـضاً وَلا عَـنْ مَلالَـةٍ ... وَلٰكِنْ لأَجْلِ المَنِّ يُسْتَعْمَلُ السَّلْوَى(٢)

وهو حسن في معناه كقول عفيف الدين التلمساني: [الطويل]

هَـواكُمْ هُـوَ المَنُّ الَّذِي ما لَـهُ سَلْوَى ... وَحُبُّكُمُ عِنْدِي هُـوَ الغايَـةُ القُصْوَى

وللإربلي(٣) في مليح(٤) إسرائيلي: [السريع]

مِـنْ آلِ إِسْرائِيـلَ عُلِّقْتُـهُ ... أَوْقَعَنِـي(٥) بِالـصَّدِّ فِي التِّيـهِ

قَـدْ أُنْـزِلَ الـسَّلْوَى عَـلَى قَلْبِـهِ ... وَأُنْـزِلَ المَـنُّ عَـلَى فِيـهِ

ومما اتفق لي في معناه: [السريع]

صِرْنـا عَـلَى سُـلْوانِهِ نَقْـوَى ... بِالْـمَنِّ لا يُـوزَنُ إِحْـسانُ مَـنْ

---

(١) لم أقف على ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٥، وهو فيه: «محمد بن الخياط المحلي».

(٢) سقط هذا البيت من (ظ).

(٣) كذا في الأصلين، وفي الريحانة ٢/ ٢٥: الأردبيلي. والبيتان لابن النبيه المصري، الديوان ٧١. (ج).

(٤) في (ظ): «غلام».

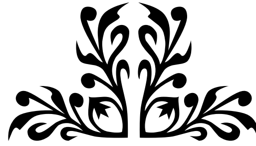
(٥) في ديوان ابن النبيه: عذبني بالصد والتيه. (ج).

أَمــا تَــرَى الــرَّزَّاقَ جَــلَّ اسْــمُهُ　　قَــدْ قَــرَنَ المَــنَّ مَــعَ الــسَّلْوَى

ولكمال الدين بن الشهاب محمود[1]: [الطويل]

سَـأَتْرُكُ فَـضْلَ الخِـلِّ مِـنْ أَجْـلِ مَنِّـهِ　　وَلَوْ بَلَغَتْ في حـاجَتِي أَعْظَـمُ البَلْـوَى

فَمَـنْ مَـنَّ يَوْمـاً بِالْعَطـاءِ عَـلَى امْـرِئٍ　　أَتـاهُ بِـذاكَ المَـنِّ مـا يُوجِـبُ السَّلْوَى



(١) هو ابن الشهاب محمود الذي تقدمت ترجمته صفحة (١٥٤).

[٩٣]
القاضي تقي الدين التميمي(١)

بحرٌ تدفّق أدبه الجاري، وتضوّع في طيِّ فضائله نشرُه الداري، فسقته الأيام من أسلته فُولاذَها(٢)، وأطعمته المعالي من كبدها أفلاذها.

ولما آل إليه كتابُ وقفِ جدِّه تميم، انتظم في جِيده من الفخار عِقْدٌ نظيم، ثم اختلسته منه يدُ الدهر، فذاق بما جناه مرارة الفقر والقهر، |حتّى أضرمَ البينُ في فؤاده غليلاً، بعدما ورد من ماء الحياة على ظَمَاءٍ سلسبيلاً|(٣).

وقد صنّف مصنفاتٍ منها: «طبقات الحنفية»، التي جمع فيها من شقائق النعمان كلَّ زهرة جنِيَّة، وضمَّ [١٣٦/ب] إليها من الشوك ما شوكته قوية، وربما جادَ طبعُه بما يفضح لآلئ الثغور اتساقاً وائْتلافا، من بدائع إذا انتسبن عددن الدُّر أسلافاً.

فمن جمانه، وعذب بيانه، قوله: وقد ألبسه القضاء برود المذلّة، وحاكتْ له الأطماع من نَصَبِ المناصب حلّة(٤): [الكامل]

---

(١) تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي الحنفي (ت: ١٠٠٥/١٥٩٧ وقيل ١٠١٠/١٦٠١): من علماء مصر، وأدبائها. تجول في البلاد، ودخل الروم، وأخذ عنه علماء كثيرون، اشتغل بالتأليف، ومن أحسن مؤلفاته: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية». ريحانة الألبا، ٢/ ٢٧؛ خلاصة الأثر، ١/ ٤٧٩؛ هدية العارفين، ١/ ٥٩٩؛ كشف الظنون، ١/ ١٦٦، ٢/ ١٠٩٨، ١٠٩٩؛ معجم المؤلفين، ٢/ ١٨٦. والتميمي: نسبة إلى تميم الداري رضي الله عنه.

(٢) كذا، وفي ريحانة الألبا: فسنَّتِ الأيامُ من أسنَّةٍ لسانه فولاذها. (ج).

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٨؛ خلاصة الأثر، ١/ ٤٧٩.

أَحْبابَنا نُوَبُ الزَّمانِ كَثِيرَةٌ وَأَمَرُّ مِنْها رِفْعَةُ السُّفَهاءِ
فَمَتَى يُفِيقُ الدَّهْرُ مِنْ سَكَراتِهِ وَأَرَى اليَهُودَ بِذِلَّةِ الفُقَهاءِ

وقوله مضمناً في المجون[1]: [البسيط]

لَنا صَدِيقٌ لَهُ فِي الغانِياتِ هَوًى وَأَيْرُهُ لا يَزالُ الدَّهْرَ طَرَّاقَا
كَأَنَّما هُوَ حِرْباءُ الهَجِيرِ ضُحًى (لا يُرْسِلُ السّاقَ إِلَّا مُمْسِكاً سَاقَا)[2]

وهو من قول ابن نُباتة [المصري][3]: [البسيط]

لا يُشْغِلَنَّكَ شَيْءٌ فِي زَمانِكَ عَنْ وَصْلِ المِلاحِ وَحاذِرْ كُلَّ ما عَاقَا
وَكُنْ كَما قِيلَ فِي الحِرْباءِ مِنْ فِطَنٍ لا يُرْسِلُ السّاقَ إِلَّا مُمْسِكاً سَاقَا

والحرباء ذكر دُوَيْبَّة[4] تسمّى أم حُبَيْن تتلوَّنُ ألواناً بمقابلة شعاع الشمس وحرِّها، وهي في الظلِّ خضراء وتكنى أبا قُرَّة، ويقال: حرباء تنضب، كما يقال: ذئب

(١) في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٩؛ خلاصة الأثر، ١/ ٤٨٠.

(٢) عجز البيت لقيس بن الحُدادية، صدره: «أَنّى أُتيحَ لَها حِرباءُ تَنضُبَةٍ». وهو قيس بن منقذ بن عمرو، من بني سلول بن كعب من خزاعة (...): شاعر جاهلي، كان شجاعاً فاتكاً كثير الغارات، تبرّأت منه خُزاعة في سوق عكاظ، وأشهدت على أنفسها أنها لا تحتمل جريرةً لَهُ، ولا تطالب بجريرة عليه، فَنُسِبَ إلى أُمه، وهي من بني حُداد من محارب. شعرهُ من الطبقة الثانية في عصرهِ. قتله بعض بني مزينة في غارة لهم. انظر ترجمته: الأعلام، ٥/ ٢٠٩.

(٣) لم يرد البيتان في ديوانه. وقد نسبهما المحبي في خلاصة الأثر إلى ابن الأنباري المصري، ١/ ٤٨٠، وهو الأثير محمد بن محمد بن أبي الطاهر بن محمد بن بنان الأنباري المصري (٥٠٧- ٥٩٦ / ١١١٣-١١٩٩): كاتب، شاعر من أهل مصر، وأصله من الأنبار، ولد بمصر وتوفي بها. قرأ الأدب، وسمع الحديث، وكان شيخاً جليلاً مهيباً عالماً أديباً كاملاً. انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٣/ ٢٥٩؛ شذرات الذهب، ٦/ ٥٣٤.

(٤) ساقط من (ظ).

غضا، والتنضب شجر يتَّخد منه السهام واحدته تنضبة، ويقال: «أحْزَمُ من حِرْبَاء»؛ لأنه مع مداومته لمقابلة الشمس في الشجر لا يُرسل غصناً حتى يمسك غيره، ولا يزال يقابل الشمس ويدور معها حيثُ دارت، كما قال ذو الرُّمة[1]: [الطويل]

يُصَلِّي بِها الحِرباءُ لِلشَّمْسِ مائلاً[2] ... على الجِزْلِ[3] إلا أَنَّهُ لا يُكَبِّرُ
إِذا حَوَّلَ الظِلَّ العَشِيُّ رَأَيْتَهُ ... حَنِيفاً وَفي ظلِّ[4] الضُّحى يَتَنَصَّرُ

قال أبو هلال: ولذا سميت حِرْباء؛ لأنه معرّب خوربا، ومعناه بالفارسية حافظ الشمس الدائر معها. وكما يُوصف بالفطنة لما مرَّ يُوصف بالتلوّن والقبح وقال ابن الرومي[5]: [الكامل]

ما بالُها وَهِيَ الغَزالَةُ بَهْجَةً ... سَمُجَتْ رَقِيباً قُبِّحَ الرُّقَباءُ[6]
ما ذاكَ إِلَّا أَنَّها شَمْسُ الضُّحَى ... أَبَداً يَكُونُ رَقِيبَها الحِرْبَاءُ

[١٣٧/ أ] وللبحتري في صفة مصلوب[7]: [الكامل]

مُستَشْرِفاً لِلشَّمْسِ مُنْتَصِباً لَها ... فِي أُخْرَياتِ الجِذْعِ كَالحِرْبَاءِ

وهو من قول ذي الرُّمة في الحرباء[8]: [الطويل]

---

(١) ديوانه، ص. ٢٢٤.

(٢) في الديوان: «يظل بها الحرباء للشمس ماثلا».

(٣) في الديوان: «على الجِذْل».

(٤) في الديوان: «وفي قرن».

(٥) ديوانه، ١/ ٧٤.

(٦) في الديوان: «ما بالُها قد حُسِّنتْ ورقيبُها ... أبداً قبيحٌ قُبِّح الرقباءُ».

(٧) ديوانه، ٢/ ٣٨٣.

(٨) ديوانه، ص. ٢٩٦.

وَيَسْبَحُ بِالكَفَّيْنِ حتى[1] كَأَنَّهُ أَخو فَجْرةٍ عالى بِهِ الجِذْعَ صالِبُهْ

وأنشدني لنفسه قوله[2]: [مجزوء الكامل]

ما أَبْصَرَتْ عَيْنُ امْرِئٍ فِي الدَّهْرِ يَوْماً مِثْلَنا
عِشْقٌ وَحِرْمانٌ بِهِ أَبَداً تَرانا فِي عَنا
الدُّونُ لا نَرْضَى بِهِ وَالعالُ لا يَرْضَى بِنا

العالُ: بمعنى العالي كقولهم: «لم نبل» إلّا أنها لغة عامِّيَّةٌ.

وهذا كقول ابن المقفع وقد قيل له: لِمَ لا تقول الشعر؟ فقال: ما يجيء لا نرضاه، وما نرضاه لا يجيء.

ومما أنشدنيه لنفسه قوله[3]: [الطويل]

إذا أَكْثَرَ العَبْدُ الذُّنُوبَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شافِعٌ مِنْ حُسْنِهِ يُوجِبُ العُذْرَا
وَأَبْصَرْتَ مَوْلاهُ مَعَ الذَّنْبِ مُهْمِلاً عَلَيْهِ فَحَقِّقْ أَنْ بَيْنَهُما أَمْرَا

وقوله في عبد الرحيم القَسَّام[4]: [الكامل]

فِي مِصْرَ قَسَّامانِ كُلٌّ يَدَّعِي فِي العِلْمِ تَوْسِعَةً لَهُ وَيُحاوِلُ
فَسُئِلْتُ أَيُّهُما أجَلُّ فَضِيلَةً فَأَجَبْتُهُمْ عَبْدُ الرَّحِيمِ الفَاضِلُ[5]

وقوله[6]: [الكامل]

---

(١) في الديوان: «ويشبح بالكفين شبحا».
(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٨؛ وخلاصة الأثر، ١/ ٤٧٩.
(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٩؛ وخلاصة الأثر، ١/ ٤٨٠.
(٤) لم أقف على ترجمته.
(٥) التورية بالقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني. (ج).
(٦) في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٩؛ وخلاصة الأثر، ١/ ٤٨٠.

وَإذا أَسـاءَ إلَيْـكَ خـادِمُ سَـيِّدٍ[١] وَأَقَـرَّهُ فَارْحَـلْ وَلا تَتَوَقَّـفِ
وَاعْلَـمْ بِأَنَّـكَ قَـدْ ثَقُلْـتَ وَأَنَّـهُ أَعْطـاكَ إِذْنـاً بِالرَّحِيـلِ فَخَفِّـفِ

وقريب منه قول الآخر[٢]: [مجزوء البسيط]

إِذَا تَخَلَّفْتَ عَـنْ صَـدِيقٍ ولَمْ يُعاتِبْـكَ فِي التَّخَلُّفْ
فَـلَا تَعُـدْ بَعْـدَهَا إِلَيْـهِ فَـإِنَّمَا وُدُّهُ تَكَلُّـفْ

ومما كتبته إليه في رقعة أرسلتها له: [البسيط]

يـا رَوْضَ مَجْدٍ بِـماءِ المَكْرُماتِ سُقِي وَجـامِعٌ شَـمْلَ فَـضْلٍ غَـيْرِ مُفْـتَرِقِ
لا أَتَّقِـي زَمَنـاً أَصْـبَحْتَ أَوْحَـدَهُ فَأَنْـتَ حِـصْنٌ لِـرَبِّ الحادِثـاتِ تَقِـي

ونقلتُ من خطٍّ له: [الكامل] [١٣٧/ ب]

مَـنْ أَمَّ أَرْضَ الـرُّومِ يَلْـتَمِسُ الغِنَـى وَيُؤَمِّـلُ المَعْـرُوفَ فِي ابـنِ[٣] اليَـاسِ
فَأَنَـا الكَفِيـلُ لَـهُ بِفَقْـرٍ عاجِـلٍ وَبِخَيْبَـةٍ مَقْرُونَـةٍ بِالْيَـاسِ

---

(١) في (ظ): «امرئ».

(٢) البيتان لمنصور بن إسماعيل الفقيه (ت: ٣٠٦/ ٩١٨) في معجم الأدباء، ٦/ ٢٧٢٥؛ وهو شاعر وفقيه شافعي، ضرير، أصله من رأس العين بالجزيرة، سافر إلى بغداد في شبابه، ومدح بها الخليفة المعتز، ثم سكن مصر وتوفي بها. وكان خبيث اللسان في الهجو، ونقل عنه كلام في الدين، وشهد عليه بذلك شاهد، فقال القاضي أبو عبيد: إن شهد عليه ثان ضربت عنقه. فاستولى عليه الخوف ومات. من مؤلفاته: «الواجب»، و«المستعمل»، و«الهداية» في الفقه. انظر مصادر ترجمته: معجم الأدباء، ٦/ ٢٧٢٣؛ وفيات الأعيان، ٥/ ٢٨٩؛ شذرات الذهب، ٤/ ٣٣؛ الأعلام، ٧/ ٢٩٧.

(٣) ساقط من (ظ).

[٩٤]

محمد بن بدر الدين الزيات[1]

كان في عنفوان شبابه، قبل تمام نصابه، محترفاً بيع الزيت والأسمان، مكتسباً بها القيم والأثمان، من قومٍ سمنُهم في أديمهم، وجِفانُهم مملوءة لداخل حريمهم، ثم نزعت به همَّتُهُ عن ميزان السعر، إلى أوزان الشعر، والدهر كالميزان يخفض ويرفع، ويُعطي ويمنع، فراقَتْ آدابُه، وإِنْ تكدَّرَتْ أحسابُه، وقد قيل: «كُلِ العَسلَ ولا تسَلْ»: [المتقارب]

فَكُـلْ مـا حَـلا حِـيَن تُـؤْتَى بِـهِ وَلا تَـسْأَلِ الـشَّهْدَ عَـنْ نَحْلِـهِ[2]

وله شعر منحط وسط، وأخو[3] الدون الوسط، كقوله في العزي: [الطويل]

إِلَى العـالِمِ العِـزِّيِّ صَـيَّرْتُ مَطْلَبِـي لأَظْفَـرَ مِنْـهُ بِالـذَّخِيرَةِ وَالْكَنْـزِ
وَقـالُواْ تَـذَلَّلْ تَبْلُـغِ المَجْـدَ وَالْعُـلَى[4] فَقُلْـتُ لَهُـمْ: قَـدْ نِلْـتُ ذٰلِـكَ بِـالْعِزِّي

---

(١) لم أقف على ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ٩٧.

(٢) ذكره الحريري في مقاماته (المقامة التفليسية). (ج).

(٣) في (س): «أحق».

(٤) في (ظ): «العز والمنى».

[٩٥]
محمد الأبياري القَبَّاني[١]

لبيبٌ كاتب، وأديب حاسب، إن ذُكِر الحساب سَجد له البنان، أو الشعرُ تلا: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٩]، وسيُغْنِيك العِيان، عن منَّةِ البيان.

وكان ظرفاً مُلِئَ بالظرف، وبَوارِق فكره أسرع من لمحات الطرف، فما نسيم الصَّبا، وما عتابُ فصيحٍ صَبا؟! ومع ذلك فكَوْكبُ سَعْدِه لم يَزلْ ساقطاً، وعاثِرُ جَدِّهِ في ظلمة الخمول هابطاً[٢]: [الكامل]

وَالـدَّهْرُ كَـالميزانِ يَرْفَـعُ ناقِـصاً ... أَبَـداً وَيَخْفِـضُ كامِـلَ المِقْـدَارِ
فَـإذا انْتَحَى الإنْـصافُ عـادَلَ عِدْلَـهُ ... فِي الـوَزْنِ بَـيْنَ حَدِيـدِةٍ وَنُـضَارِ[٣]

إِنْ أنشد الشعرَ أقام أوزانَه، وأهْدَى دُرَّه المنظومَ من فكرِه أَوْ زَانَهُ.

فمن درِّه المكنون وتبره الموزون قوله: [الطويل]

وهيفـاءَ تَهْـوَى الـرَّاحَ قالَـتْ لِـصَبِّها ... بِمَجْلِسِ أُنْسٍ وَهْوَ يَخْشَى مَلاَهَا[٤]
[١٣٨/أ] إذا لَمْ تُـدِرْ لِي الكـاسَ مَـلأى فـإِنَّنِي ... أُبِيتُـكَ مَهْجُـوراً فَخـافَ مَـلا لَهَـا

وهو كقول الدَّمامِينِي: [الطويل]

---

(١) ريحانة الألبا، ٢/ ١٢٨، الخطط التوفيقية ٨/ ٣.

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٢٨.

(٣) سقط هذا البيت من (ظ).

(٤) في (ظ): «مطالها».

يَقُــولُ لهَــا هَــلَّا حَكَيْــتِ لِنــاظِرِي مَهــاةً سَــبَتْنِي إِذْ سَــمِعْتُ كَلامَهَــا
وَأَعْــرَضَ عَنِّــي ثُــمَّ وَجَّــهَ عَتْبَــهُ لَهَــا عَــيْنُ لَمْ تُــشْبِهْ غَــزالاً وَلا مَهَــا

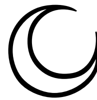
ومن شعره قوله مقتبساً[(١)]: [الخفيف]

رَوْنَــقُ البَــدْرِ فِي صَــفا المــاءِ لَمّــا جَعَّدَتْــهُ أَيْــدِي الــصَّبا كَالأَســارِيرْ
شِــبْهُ جــامٍ مِــنْ فِــضَّةٍ يَــتَلالا فَــوْقَ صَرْحٍ مُمَــرَّدٍ مِــنْ قَــوَارِيرْ[(٢)]

ومن قصيدة له[(٣)]: [الطويل]

لَقَـدْ حَـلَّ فِي مِـصْرَ بَـلاءٌ مِـنَ الـبَرْشِ بِهِ غَدَتِ الأَرْواحُ وَالجِسْمُ فِي أَرْشِ[(٤)]
وَكــانَ بِهــا حَــرْثٌ وَنَــسْلٌ فَمُزِّقُــوا وَأُهْلِكَ ذاكَ الحَرْثُ وَالنَّسْلُ بِالبَرْشِ

والبرشُ: معجون معروف، وهو مخفَّف بَرْشَعْثا، وهو يونانيٌّ[(٥)] معناه: بُرْؤ ساعة، وهو أيضاً نوعٌ من الحِراثةِ عند أهل مصر، وبه يَتِمُّ التَّلفيق.



(١) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٢٩.

(٢) مقتبس من قوله تعالى في سورة النمل ٤٤: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ (ج).

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٢٩.

(٤) في (ظ): «هرش».

(٥) كلمة (يوناني) ليست في الريحانة، وكأني بها كلمة سامية، لا يونانية. (ج).

[٩٦]
يحيى بن الخطيب القبّاني[1]

تلميذُ هذا الأديب المقدَّم، وبه طراز عمره وأدبه مُعْلَّمٌ، وبنسيمه تَفَتَّحَ زهرُ شمائله، وسقي بهاطل[2] طَلِّه ووابِلِه، والصحبة صيقل الألباب، كما أن السماحة صيقل الأحساب.

وكان بمصر كثيراً ما يُتحفني بفاكهةِ مفاكَهَتِهِ، ويَبْسُطُ في نادي الآداب خبر محاورته.

فممّا كتبه إليّ قوله، يدعوني إلى منزله على الخليج: [الوافر]

نُحِيطُ عُلُومَ مَوْلانا بِأَنَّا ... عَلَى النَّهْرِ المُسَمَّى بِالخَلِيجِ
فَإِنْ شِئْتُمْ تَفَضَّلْتُمْ وَجِئْتُمْ ... إِلَى سَكَنٍ يَقُولُ إِلَى الخَلِي جِ

وأرسل إليه بعض الأدباء يسأله مطايبةً بما صورته: [البسيط]

ما قَوْلُكُمْ سادَتِي فِي أَهْيَفٍ خَطَرَا ... غَصَبْتُهُ قُبْلَةً قَدْ صِرْتُ فِي خَطَرِ
فَرامَ قَتْلِي بلحظٍ للورى[3] سَحَرَا ... وَبِتُّ مِنْهُ أُراعِي النَّجْمَ لِلسَّحَرِ
[١٣٨/ب] هَلْ جائِزٌ قِتْلَتِي أَفْتُوا لِمَنْ حَضَرَا ... لِبابِ مَوْلًى رَئِيسِ البَدْوِ وَالحَضَرِ

فأجابه بقوله: [البسيط]

---

(١) لم أقف ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٠.

(٢) في (س): «ونوء نازل» بدلاً من «وسقي بهاطل».

(٣) في (ظ): «باللحظ الدري». وفي ريحانة الألبا: بلحظٍ للنُّهى. (ج).

يا سائِلاً عَنْ كَئِيبٍ(١) بَدْرُهُ سَفَرَا   عَنْ بَرْقِ ثَغْرٍ هَدَى الرُّكْبانَ فِي السَّفَرِ
فَراحَ يَغْصِبُ لَثْماً مِنْهُ ما نَظَرَا   في عاقِباتِ مَرامِي ذٰلِكَ النَّظَرِ
وَغايَةُ الغاصِبِ اسْتِرْجاعُ ما صَدَرَا   مِنْهُ بِعَذْبِ اللَّمَى فِي الوِرْدِ وَالصَّدَرِ
وَفِي القِصاصِ حَياةٌ لِلَّذِي ظَفِرَا   بِلَثْمِهِ وَمَآبُ الصَّبْرِ لِلظَّفَرِ
وَاللهُ يَغْفِرُ لِلْجانِي الَّذِي شَجَرَا   بِمَنْ إِلَيْهِ سَعَى جِذْعٌ مِنَ الشَّجَرِ

قلت في «الذخيرة» لابن بسام(٢) روَى: أن رجلاً قبَّلَ امرأةً، فشكته للنبي ﷺ، فقال له: «ما تقول؟» قال: صدقَتْ يا رسول الله، فاقْتَصَّها منِّي. فتَبَسَّمَ رسول الله ﷺ، وقال له: «لا تَعُدْ». فقال: لا أعود. قال وإليه نظر ابن نباته(٣) في قوله(٤): [المجتث]

أإنْ(٥) لثَمْتُكَ يوماً   وللسُّرورِ اقْتِنَاصُ
هَجَرْتَنِي وأَتَتْنِي   مَسبَّةٌ وانْتِقاصُ
فَهاكَ فاقْتَصَّ مِنِّي   إنَّ الجُرُوحَ قِصَاصُ

وفي معناه للقاضي أبي عامر الجرجاني(٦): [الطويل]

---

(١) في (ظ): «كتيب». وفي الريحانة: عن حبيب.
(٢) هو علي بن بسام الشنتريني الأندلسي، أبو الحسن (٤٧٧-٥٤٢ / ١٠٤٨-١١٤٧): أديب، شاعر، مؤرخ. من مؤلفاته: «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة». انظر مصادر ترجمته: معجم الأدباء، ٤/ ١٦٦٧؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٤١٠.
(٣) في (ظ): «سباية».
(٤) الأبيات لابن نباتة السعدي في ديوانه، ٢/ ٦١٩. تم تخريجها من ريحانة الألبا، ٢/ ١٣١، إلا أن البيت الثاني لم يرد.
(٥) في الديوان: «لئن».
(٦) هو الفضل بن إسماعيل التميمي أبو عامر الجرجاني (كان حياً ٤٥٨/ ١٠٦٦): أديب، ناظم، =

ومُنْتَقِبٍ بالوَرْدِ قَبَّلْتُ خَدَّه   وما لِفؤادِي في هَواهُ خَلاصُ
فأَعْرَضَ عَنِّي مُغْضَباً قُلْتُ لا تَجُرْ   وقَبِّلْ فَمِي إنَّ الجُرُوحَ قِصاصُ

وللقاضي عبد الوهاب البغدادي[(١)]: [الطويل]

ونائِمَةٍ قبَّلْتُها فتنبَّهَتْ   وقالَتْ: تَعالَوْا فَاطْلُبُوا اللِّصَّ بالحَدِّ
فقُلْتُ لَها: إنِّي وَحَقِّكِ غاصِبٌ   وما حَكَمُوا في غاصِبٍ بسِوَى[(٢)] الرَّدِّ

ولابن تميم[(٣)]: [الكامل]

أَوْدِعْ فَمِي قبلَ التَّفَرُّقِ[(٤)] قُبْلَةً   وأنا الكَفِيلُ إذا رَجَعْتَ بَرَدِّهَا

وله نظائر كثيرة.

وأنشدني يوماً وقد ذكر تقصير بعضهم في أمر إخوانه: [الطويل][١٣٩/أ]

إذا كُنْتَ لا تُرْجَى لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ   عَمِلْنَا مِثالاً مِثْلَ شخْصِكَ مِنْ طِينِ

فقلت له: لقد تعنّى، وكأنه كان بنَّاءً يبني بيوت دارٍ لا بيوت أشعارٍ. فقال: غيره من قال: [الطويل]

= ناثر، نحوي، مشارك في بعض العلوم. صحب عبد القاهر الجرجاني. من مؤلفاته: «البيان في علم القرآن»، و«سلوة الغرباء». انظر مصادر ترجمته: معجم الأدباء، ٥/ ٢١٦٦؛ بغية الوعاة، ٢/ ٢٣٧؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٦٢١.

(١) هو القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي المالكي فقيه أديب شاعر، صنف في مذهبه كتاب «التلقين»، ولد سنة ٣٦٢ ببغداد، وتوفي بالقاهرة سنة ٤٢٢، ودفن بالقرافة. وفيات الأعيان ٣/ ٢١٩، والبيتان فيه. (ج).

(٢) في (س): «سوى».

(٣) في شذرات الذهب، ٧/ ٦٨٠.

(٤) في شذرات الذهب: «قبل التودع».

إذا كُنْــتَ لا ترجــى لِــدَفْعِ مُلِمَّــةٍ   عَمِلْنَا مِثالاً مِثْلَ شخْصِكَ مِنْ خَرَا

فقلت: لا يُعدُّ هذا من الشعراء، بل من المجانين الذين يلعبون بالخراء؛ واللائق بالأدب ما قلته: [الطويل]

إذا لم تَكُــنْ في خلَّــةِ الخِــلِّ[1] تُرْتَجِـى   ولم تُسْعِفِ الإِخْوَانَ في العُسْرِ واليُسْرِ

نَهَيْــتُ لِـساني إن يَكُــنْ لــكَ ذاكِــراً   وأَمْحُـو مِثـالاً مِنْـكَ في صَـفْحَةِ الفِكْـرِ

فنثر له نثار التحسين والإعجاب، وقال: كم يُهتدى بأنوار الشهاب!



(١) في (ظ): «المرء».

[٩٧]
عبد الله الدَّنُوشَرِيّ(١)

جامع التقرير والتحرير، الراقي إلى ربوة المجد الخطير.

وله عقائل تأليف أصبح الدهر من خطَّابها، وآثارُ أقلام تتلمَّظ أفواه المسامع إلى ثمار آدابها، وطالما جلاها عليّ، وأهدى باكورتها إليّ.

وكان يعدُّ الشعرَ سهلاً، فيمزج بكأس الجدِّ منه هزلاً، وهو في سماء الفضائل والعلوم، تحسدُ علاه الكواكبُ والنجوم: [الخفيف]

فَهْـيَ تَخْفَـى عنـدَ الـصَّباحِ وهـذا ... ظـاهِرٌ في صَـباحِه والمـساءِ

فهو جوهر نفيس في خزائن القبول، وسِرٌّ مكتومٌ في ضمائر الخمول.

وكتب إليّ قصيدةً أرسلها لقسطنطينة، منها(٢): [الوافر]

نَوالُـكَ يـا شِـهابَ الـدِّينِ زائِـدْ ... وبَحْـرُ نَـداكَ لي عَـذْبُ المَـوَارِدْ(٣)

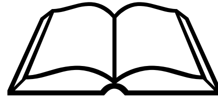
---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن حمد الدنوشري الشافعي (ت: ١٠٢٥/ ١٦١٦): عالم مشارك في بعض العلوم، ولد بمصر ونشأ بها، وتلقى علومه عن الشمس الرملي، والشمس محمد العلقمي، وغيرهما من العلماء. تصدر للإقراء بالجامع الأزهر، ودرس عليه الناس العربية، وغيرها من العلوم. رحل إلى الروم، وأقام بها زمنا، ثم عاد إلى القاهرة، ورأس بها واشتهر. توفي بمصر. من مؤلفاته: «حاشية على شرح التوضيح» للشيخ خالد، و«جوهر النفس» في معرفة التاريخ المستعمل. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٨٥؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٥٣؛ هدية العارفين، ١/ ٤٧٤؛ إيضاح المنكون، ١/ ٣٨٦؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٢٥١.

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ٨٦.

(٣) كذا في الأصلين، وفي الريحانة: وبحر نداك يا مولاي زابد. (ج).

تَرَكْـــتَ العَبْـــدَ لم تَنْظُـــرْ إليـــهِ وقَـــدْ عَوَّدْتَـــهُ أسْـــنَى العَوَائِـــدْ
متـــى يَأْتِيـــهِ منـــكَ جَـــوَابُ كُتْـــبٍ وتَأْتِيـــهِ الـــصِّلاتُ مـــعَ العَوَائِـــدْ
ويكْحَـــلُ جَفْنَـــه مِيـــلُ التَّلاقِـــي ويُغْمِـدُ سَـيْفَ هَجْـرِكَ فيـه غامِـدْ(١)



(١) في الريحانة: عنه غامد. (ج).

[٩٨]
محمد بن الدمياطي(١)

مفتي السادة الحنفية بمصر.

مقدَّمٌ في نتائج الفضل وغيره التالي، ومشيد مباني المكارم بجنس(٢) طبعه العالي، ذو وقار تزِلُّ له الراسيات الشوامخ، بمحكم(٣) فضل [١٣٩/ب] لا يَرِد على بيِّنات آياته ناسِخٌ. إن خَطَّ فما خَطُّ(٤) الرَّبيعِ والعِذار، أو ترَنَّم فما مُطرِبات الأطيار والأوتار(٥): [الخفيف]

كُلُّ مَعْنًى كأَنَّهُ نَظَرُ(٦) المَعْـ ... ـشُوقِ في وَجْهِ عاشِقٍ بِابْتِسامِ

وورد إلى الرُّوم وأنا بها راءُ واصل، أو حرفُ علّةٍ أو همزةُ واصل(٧)؛ وشوقي إلى الكرام كما قال أبو تمام(٨): [الخفيف]

---

(١) محمد بن يوسف بن عبد القادر الدمياطي المصري الحنفي (ت: ١٠١٤/ ١٦٠٥): المفتي الإمام، لازم شيوخ الحنفية من المصريين، كالشيخ زين الدين بن نجيم، وأخيه عمر، وعلي بن غانم المقدسي. فتصدر للتدريس، وألف وأفاد، توفي بمصر. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٥٦؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٢٧٠؛ معجم المؤلفين، ٤/ ٢٧٠.

(٢) في (ظ): «بعزم».

(٣) في (س): «بحكم».

(٤) في (ظ): «خطا».

(٥) البيت لأبي نواس في ديوانه، ص. ٤٦٠.

(٦) في الديوان: «مِن شَرابٍ أَلَذَّ مِن نَظَرِ».

(٧) كان واصل بن عطاء ألثغاً يتجنب حرف الراء. وهمزة الوصل تسقط في اللفظ. (ج).

(٨) ديوانه، ١/ ١٢٠.

واجِـدٌ بالخليـلِ مِـنْ بُرَحـاءِ الـشْـ ـــشَوْقِ وِجْـدانَ غَـيْرِه بالحَبِيـبِ

فأَنْعَمَ برقيق المكاتبة، وشفَى البُرَحاءَ بنسيم المخاطبة، فتمَّ لي به أَوفى نصيب، وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ[١]

فممَّا كتبته إليه لإجلاء أنواره، واقتطافِ جَنِيِّ أنواره، قولي: [الطويل]

أيـا رَوْضَ مَجْـدٍ مُنْبِتـاً زهَـرَ الحَمْـدِ ومَـنْ ذِكْـرُهُ أزْكَـى مِـنَ العَنْـبَرِ الـوَرْدِ

ومَعْـدِنَ فَـضْلٍ منـه تَبْـدُو جَـواهِرٌ نَفـائِسُ عَـزَّتْ أنْ تُقابَـلَ بالنَّقْـدِ

بَدَا شرَفٌ في الرُّومِ مِنْ شَمْسِ ذاتِـه بأَوْجِ العُلَا قَدْ بَدَّلَ النَّحْسَ بالسَّعدِ

أُحِبُّـكَ حُبًّـا لـو تَقَـسَّمَ في الـوَرَى غَـدَوْا في أَمَـانٍ مِـنْ عَـدُوٍّ وَمِـنْ ضِـدِّ

وفي القَلْـبِ جَمْـرٌ مِـنْ بِعـادِكَ فَوْقَـه يَفُـوحُ ثَنـاءُ الرَّطْـبِ كـالعُودِ والنَّـدِّ[٢]

ومَـنْ كـانَ في القَلْـبِ المُتَيَّمِ حـاضِراً يُجَـاوِرُ فيـه خـالِصَ الحُـبِّ والـوُدِّ

فَسِيَّانِ منـه القُـرْبُ عِنْـدِيَ والنَّـوَى على أنَّ قُـرْبَ الـدَّارِ خَيْرٌ مِـنَ البُعْـدِ[٣]

فـلا زِلْـتَ ذا فَـضْلٍ يُخَلَّـدُ ذِكْـرُه ويَظْهَـرُ في جِيـدِ المَحامِـدِ كالعِقْـدِ

فكتب إليَّ رحمه الله تعالى[٤]: [الطويل]

أفـائِقَ أهـلِ العَـصْرِ في كُـلِّ مـا يُبْـدِي وواحِـدُ هـذا الـدَّهْرِ في الحَـلِّ والعَقْـدِ

---

(١) عجز بيت لامرئ القيس، صدره: أجارتنا إنا غريبان ههنا. الديوان ٣٥٧. (ج).

(٢) في الريحانة ٢/ ٥٧: يفوح ثنائي فيك كالعود والرند.

(٣) أقول (ج): صدر بيت مضمن من قصيدة لابن الدمينة، الحماسة ١/ ١٢٩٩:

وقـد زعمـوا أن المحـب إذا دنـا يمـلّ وأن النـأي يـشفي مـن الوجـد

بكـلٍّ تـداوينا فلـم يـشف مـا بنـا عـلى أن قـرب الـدار خـير مـن البعـد

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ٥٧-٥٨؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٢٧٠-٢٧١.

ومَـنْ فـاقَ[١] سَـحْباناً وقُـسًّا فَـصاحَةً ... ومَـن نَظْمُـهُ المَعْـرُوفُ بِـالجَوْهَرِ الفَـرْدِ

نظَمْــتَ قَرِيــضاً في حَــلاوَةِ لَفْظِــهِ ... وفي اللُّطْفِ أَزْرَى بالنُّبَاتِي وبـالوَرْدِي

مَلَكْــتَ أَســالِيبَ الكَــلامِ بأسْرِهــا ... فأنــتَ بإرْشَــادٍ إلى طُرْقِهــا تَهْـدِي

وقد كنْتَ في مِصْرٍ خَلاصاً لأهْلِها[٢] ... وفي الرُّومِ قد أصبَحْتَ جَوْهرَةَ العِقْدِ

وحَقُّ شِهَابٍ أَصْلُهُ الشَّمْسُ أن يُرَى ... حَرِيًّـا بـأَنْ يَرْقَـى إلى غايَـةِ الـسَّعْدِ

[١٤٠/أ] فمَعْــذِرَةً منِّــي إليــكَ ومــا يُــرَى ... مِـنَ العَجْـزِ والتَّقْـصِيرِ قابِلْـهُ بالـسَّدِّ

فــلا زِلْــتَ في أَوْجِ العُــلا مُتَــنَقِّلاً ... وشانِئُكَ المَمْقُوتُ في العَكْسِ والطَّرْدِ

ودُمْــتَ فَرِيــداً للمَكــارِمِ راقِيــاً ... إلى رُتَـبِ العَلْيَـاءِ مُسْتَعْذَبَ الـوِرْدِ[٣]

* * *

(١) في الأصلين: من ترى. والمثبت من نفحة الريحانة. (ج).

(٢) في الريحانة: خلاصة أهلها (ج).

(٣) أقول (ج): في ريحانة الألبا ٢/ ٥٨:

ودمــتَ فريــداً للفرائــدِ رائقــاً ... مناهــلَ فـضلٍ مـنهلاً طيِّـبَ الـورد

[٩٨]
حسن الشامي[1]

حسن، المعروف في مصر بالشامي.

ماجدٌ صيغ من جوهر السماح، وامتزج لرقَّةِ طبعه بالأرواح، وابتسمتْ من مطلعِ بشره غرَّةُ الصباح، فاللُّطف حَشْوُ إهابه، والفضل ملءُ جلبابِه: [المجتث]

لـو مُثِّـلَ اللُّطْفُ جِسْماً   لَكَـانَ لِلُّطْـفِ رُوحـا

إذا حلَّ بنادٍ ارتحلتْ عنه الهموم، وارتضعَ من أخلافه أَخلاقَ ما يُسكر بنت الكروم.

وشعره كاسمه حسن، إلَّا أني لم يحضرني منه[2] لتقادمِ العهدِ والزمن، سوى قوله: [الكامل]

مِـصْرٌ تَفُـوقُ عـلى الـبِلادِ بِحُـسْنِها   وبِنِيلِهَـا الزَّاهِـي[3] ورِقَّـةِ ناسِـهَا
مَـنْ كـانَ يُنْكِـرُ فالتَّحـاكُمُ بَيْنَنَـا   في رَوْضَـةٍ والجَمْـعُ في مِقْياسِـهَا

---

(١) حسن بن زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح العاملي المعروف بالشامي (٩٥٩-١٠١١ / ١٥٥٢-١٦٠٢): فقيه، أصولي، محدث، أديب، شاعر. قام مقام والده بالتدريس والتصنيف. من مؤلفاته: «معالم الدين وملاذ المجتهدين»، و«مشكاة القول السديد في الاجتهاد والتقليد». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٥١؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٢١؛ هدية العارفين، ١/ ٢٩٠؛ سلافة العصر، ص. ٣٠٤؛ معجم المؤلفين، ١/ ٥٥٢.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في (ظ): «العالي».

[١٠٠]
معين الدين بن البَكَّاء[(١)]

نديمٌ دَمِثُ الأخلاق، نضِرُ الفروع والأوراق، متوشِّحٌ برود اللطف بحواشيها الرقاق، فهو للندِّ ما صدر، وناديه لهم بالإكرام وسيع الصدر، وروضه زاهٍ في ربوةِ الحسب، يجتنى منه فواكه البراعة والأدب، مع ما له من طيب الأنفاس، المسكر للكأس، فما بالك بالأكياس.

نشأ في مصر في ربوة ذات قرار ومعين، ثم ارتحل إلى أم القرى وأقام بها في المقام الأمين، مؤتلفاً ببني الحسن، ائتلاف المقلة بالوسن، يُسقى بمزن كرمهم، ويخصب جدب أمله بهطال ديمهم، وهو عند الشريف مسعود، مورقُ العود، مثمر السعود، فلمّا دعاه الكريم إلى جواره وأمانيه كانت نازلةً عليه، ادَّرَع الليلَ ليتجدد بالترحال ديباجتيه، متسنِّماً مطايا العزيمة، يعد الإياب أجل غنيمة، وربما ثنى القِرْنُ من غير حين عِطْفَه، ولأمرٍ ما جدعَ [١٤٠/ب] قصيرٌ أَنْفَه، فجفَّت أُوَيْقاته وكانت غضَّةً نضرة، لو عصرت تقاطرت منها مياه المسرَّة.

---

(١) معين الدين بن أحمد البلخي المصري المعروف بابن البكاء (ت: ١٠٤٠/ ١٦٣١): نزيل مكة المكرمة، الفاضل الأديب الشاعر الناثر. قدم من مصر إلى مكة، وأقام بها في ظلال بني حسن، وكانت له خصوصية بالشريف مسعود. توفي بالمدينة المنورة. له «رسالة المعمى». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٤٤٢؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٤٠٦؛ هدية العارفين، ٢/ ٤٦٧؛ إيضاح المكنون، ١/ ٥٦٩؛ ديوان الإسلام، ١/ ٣٤٧؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٩٠٢.

أقول: ترجم له الخفاجي في الريحانة ضمن أعلام المكيين، وهنا مع المصريين. (ج).

فمن عذب كلماته، ورشح قطراته قوله[١]: [الرمل]

يا شَقِيقَ الرُّوحِ والجِسْمِ ويا دَوْحَةً بالوُدِّ[٢] فَضْلاً أثْمَرَتْ
كُنْتُ لا أَخْشَى حَسُوداً لَا وَلَا عَيْنَ وَاشٍ إِنْ بِسُوءٍ نظَرَتْ
وأرَى الوُدَّ وَهَى بُنْيانُهُ ما كَأَنَّ العَيْنَ إلاَّ أَثَّرَتْ
فبِحَقِّ الوُدِّ إلَّا صُنْتَهُ لحِقِيرٍ رُوحُهُ قَدْ سُعِّرَتْ[٣]

ومن استدعائه ما كتبه لبعض أحبابه[٤]: [البسيط]

الدَّهْرُ أَرْبَعةٌ أَيَّامُهُ انْحَصَرتْ صَحْوٌ وغَيْمٌ ورِيحٌ ثم أَمْطَارُ
فَالصَّحْوُ وَقْتٌ لإصْلاحِ المَآرِبِ إذْ تُقْضَى مِنَ الصَّيْدِ يَوْمَ الغَيْمِ أَوْطَارُ
ويَوْمُ رِيحٍ لِنَوْمٍ لَا حَرَاكَ بِهِ ويَوْمُ هَطْلِ النَّدَا للكَأْسِ مدرارُ[٥]
واليَوْمَ قد نُثِرَتْ دُرًّا سَحَائِبُهُ على بِسَاطِ رُبًى تَكْسُوهُ أَزْهَارُ
فبَادِرِ الكَاسَ يا بَدْرَ الزَّمانِ فَفِي ضِيَاءِ وَجْهِكَ لَا في الأُفْقِ أَقْمَارُ[٦]

ومن شعره قوله مذيِّلاً لبيت الفاضل[٧]: [الطويل]

تَراءَتْ ومِرْآةُ السَّماءِ صَقِيلَةٌ فأَثَّرَ فيها وَجْهُهَا صُورَةَ البَدْرِ
ولاحَتْ[٨] عليها حَلْيُها وعُقُودُها فأَثَّرَ فيها صُورَةَ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ٤٤٣؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٤٠٦.
(٢) في (ظ): «بالفضل».
(٣) في النفحة: بحياة الود... لمحبٍّ روحه. (ج).
(٤) في ريحانة الألبا، ١/ ٤٤٤؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٤٠٧.
(٥) في (س): «أسرار».
(٦) في الأصل: الأفق أقتار. والمثبت من الريحانة. (ج).
(٧) هو القاضي الفاضل. والبيتان في الريحانة ١/ ٤٤٤.
(٨) في (ظ): «ولاح».

وقوله أيضاً[(١)]: [الكامل]

حَـــاذِرْ زُوَيْلَـــةَ أنْ تَمُـــرَّ بِبَابِهـــا وطَعَامَهـا كُـنْ آيِـساً مِـنْ خَـيْرِهِ

فمُوَسِّطُ القتلى يقول بها انْظُـرُوا مَن لم يَمُتْ بالسيف ماتَ بغَيْرِهِ[(٢)]

وهو كقول الآخر[(٣)]: [الكامل]

لَـمَّا سَلِمْتُ مِنَ الرَّدَى مِنْ طَرْفِهِ مَـعَ أَنَّـهُ الهِنْـدِيُّ في تَـأْثِيرِهِ

جاءَ العذارُ فأيْقَنَتْ نَفْسِي الردا مَـنْ لم يَمُتْ بالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ

وزُويلة معجمة مصغرة محلة بمصر كباب زويلة، ووجه تسميتها يعرف من الخطط وتواريخ مصر[(٤)].

والمصراع الأخير من إرسال المثل، [١٤١/أ] وهو مضمن من قصيدة لابن نُباته السعدي منها قوله[(٥)]: [الطويل]

أَرى المـرءَ فيما يَبْتَغِيهِ كأَنَّما مُداوَلَـةُ الأيَّـامِ فيهِ مَبَـارِدُ

ويَصْطَدِمُ الجَمْعَانِ والنَّقْعُ ثائرٌ فيَسْلَمُ مِقْدَامٌ ويَهْلَكُ حائدُ

ومَنْ لم يَمُتْ بالسَّيْفِ ماتَ بغَيْرِهِ تعدَّدَتِ الأسبابُ والدَّاءُ وَاحِدُ

فصَبْراً[(٦)] على رَيْبِ الزَّمانِ فإنَّمَا لَكُمْ خُلِقَتْ أَهْوَالُهُ والشَّدَائِدُ

---

(١) ساقط من (ظ). والبيتان في ريحانة الألبا، ١/ ٤٤٤؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٤٠٧.

(٢) صدر بيت، انظر أبيات ابن نباتة الآتية.

(٣) في خلاصة الأثر، ٤/ ٤٠٧.

(٤) باب زُويلة: هو المشهور على الألسنة بالضبط، ولكن ضبطه المقريزي في الخطط، وياقوت الحموي في معجم البلدان كسَفينة. سميت بذلك لأن جوهراً غلام المعزّ لمّا اختط القاهرة أنزل أهل زويلة (وهم قبيلة من البربر) بهذا المكان، فَسُمّي بهم. المقريزي ٢/ ٢٦٧، و٣/ ١٠، وتاج العروس (زول). (ج).

(٥) ديوانه، ٢/ ٥٦٧/ -٥٦٨؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٤٠٧.

(٦) في الديوان: «وصبرا».

وهذا هو السحر وما سواه كلام.

وقوله «فيسلم...» الخ كالمثل: الشجاع مُوَقّى، والجبان مُلَقّى.

الشيء بالشيء يذكر: مما يناسب هذا الشعر ما وقع لي في بعض الرسائل، وهو: يا أخي فتح اللهُ عين بصيرتك، وأنارَ نبراسَ سريرتك، إن شربتَ العمرَ سائغاً، ولبستَ الدهر سابغاً، وقدحتَ زند اللهو فتطاير شررُ الكأس، وانتهبتَ منه خدودَ الأكياس، وعلوتَ حصون[1] الجياد، ولحظَكَ الدهرُ بعين إسعاف وإسعاد، فكن منه على حذر، واعرفْ قبل الورد الصدر، واحفظْ قول أبي هلال [العسكري][2]: [الرمل]

إن تَكُنْ تُفسِدُ[3] ما تُصلِحُهُ[4]   فكَذا الدَّهْرُ إذا دَرَّ رَمَحْ[5]

عادَةَ الأيّامِ لا أُنْكِرُها   فَرَحٌ يَقْرِنُهُ[6] لي بِتَرَحْ

فإذا ربّاكَ لا تَفرَحْ[7] بِهِ   فَهْوَ كالجازِرِ رَبّى فَذَبَحْ

واتَّقِ من أهله من اتَّقى، ولا تمسَّ العقاربَ لحفظ الرُّقى، فربَّ مسبِّحٍ ذابحٌ، في بحار الضلال سابحٌ، كما قيل[8]: [مجزوء الرمل]

قَدْ بُلِينَا بِأمِيرٍ[9]   ظلَمَ النَّاسَ وسَبَّحْ

فَهْوَ كالجَزَّارِ فِيهِمْ   يَذْكُرُ اللهَ ويَذْبَحْ

---

(١) في (ظ): «حصن».

(٢) ديوانه، ص. ٨٧.

(٣) في (ظ): «يفسد».

(٤) في (ظ): «يصلحه».

(٥) في (ظ): «منح».

(٦) في الديوان: «تقرنه».

(٧) في الديوان: «ويربيك فلا تفرح».

(٨) البيتان لابن الوردي في ديوانه، ص. ٣٥٣.

(٩) في الديوان: «قد عجبنا لأمير».

[١٠١]

أحمد بن عبد السلام[1]

رأيت والده وقد أحالتْ كيمياءُ الأيام سَبَجَه فضَّة، وقد جفَّتْ زهرة حياته بإعصار الهرم بعد ما كانت غَضَّة، ووسم بميسم الصَّلاح، ولبس حلل الخلاعة[2] واستراح.

وولده كان في ريعان عمره، يتَّجِرُ ببضائع شعره.

ثم ارتحل إلى الروم [١٤١/ب] فاخضرَّتْ دوحة أمله اليابسة، وابتسمت في وجه أمله ثغور أيامه العابسة، إلَّا أنه مكثار، مُتَفَيْقِهٌ ثرثار، وشعرُهُ لعدم تهذيبه، لا تزال فكرته تَهْذِي به، وربَّما عزَّتْ عليه مطالبه، حتى نظَّمَ الجِزْعَ ثاقِبُه.

ولم يزل على حاله حتى شرق بماء الشباب، وجنتْ يدُ المنية منه ثمرة الغراب.

ومن شعره قوله من قصيدة: [الكامل]

فِي كُــلِّ حِــينٍ يَطْلُعُــونَ عــلى ذُرَى ... فَلَــكِ المَعَــالِي طالِعــاً مَــسْعُودَا

لم يَمْـضِ وَقْـتٌ دُونَ أَنْ مَلَكُـوا بِـهِ[3] ... مُلْكــاً عــلى مَــرِّ الجَدِيــدِ جَدِيــدَا

تُجْنَــى لَهُــمْ ثَمَــراتُ هــذا المُلْــكِ إذْ ... غَرَسُــوا بــه لَــدْنَ القَنَــا أُمْلُــودَا

وقوله أيضاً: [الخفيف]

قِيــلَ شَــبِّهْ لنــا الــشَّقِيقَ وقدكُنْــ ... ــنَا نَــشَاوَى جَمِيعُنَــا بــالرَّحِيقِ

(١) لم أقف على ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ٩٣.

(٢) هذا غير مناسب لما قبله، فالمناسب: وخلع حلل الخلاعة. (ج).

(٣) في ريحانة الألبا: لم يمض دون الملك أن ملكوا. (ج).

قُلْتُ أيدٍ مِنَ الزَّبَرْجَدِ قد مُدْ دَتْ إلينا بِأُكْؤُسٍ مِنْ عَقِيقِ(١)

وهذا كقول الصَّنَوْبَرِيّ(٢): [مجزوء الكامل]

|وكأنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيـ ـقِ إذا تَصوَّبَ أو تَصَعَّدْ|(٣)

أَعْلَامُ ياقُوتٍ نُشِرْ نَ على رِماحٍ مِنْ زَبَرْجَدْ

وللقاضي عياض(٤): [السريع]

انظُرْ إلى الزَّرْعِ وخاماتِهِ تَحْكِي وقد ماسَتْ أمامَ الرِّياحْ

كَتِيبَةً(٥) خَضْرَاءَ مَهْزُومَةً شَقائِقُ النُّعْمانِ فيها جِرَاحْ

وعلى نمطه قول ابن الزَّقَّاق الأندلسي(٦): [الخفيف]

نُثِرَ الوَرْدُ في الغَدِيرِ وقد دَرَّ (م) جَهُ بِالْهُبُوبِ نَشْرُ الرِّياحِ

مِثْلَ دِرْعِ الكَمِيِّ مزَّقهُ الطَّعْـ ـنُ فَسالَتْ به دِماءُ الجِراحِ

ومما قلته فيه: [مجزوء الرجز]

كَأْسُ العَقيقِ امْتَلأَتْ خَمْرَ نَدًى لم يُعْصَرِ

كمِحْجَمٍ مِنْ ذَهَبٍ فيه بَقَايا عَنْبَرِ

---

(١) أقول: في ريحانة الألبا: قلت قضب من الزبرجد يَحملْ ـن على الهام أكؤساً من عقيق.

(٢) البيتان في ديوانه، ص. ٤١٦.

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) قلائد العقيان، ٣/ ٦٨٨.

(٥) في قلائد العقيان: «كتائبا».

(٦) هو علي بن عطية بن مُطَرِّف، أبو الحسن اللخمي البلنسي، الشهير بابن الزقاق البلنسي (ت:٥٢٨/ ١١٣٤): شاعر، له غزل رقيق، ومدائح اشتهر بها. عاش أقل من أربعين عاماً. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٣/ ٤٧؛ الأعلام، ٤/ ٣١٢؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٤٧٧.

أو مِــشْعَلٍ يُهْــدَى بــه لِلَهْــوِ مَــنْ لم يبــصرِ

[١٤٢/أ] ومن شعره أيضاً ما نقلته من خطِّه في دولاب الماء: [السريع]

وروضــةٍ دُولابُهــا دائــرٌ مُوَلَّهٌ مِـنْ فَـرْطِ أشْـجانِهِ

فكلُّـهُ مِـنْ وَجْـدِهِ أعْـيُنٌ تَبْكِي على فُرْقَةِ أغْـصانِهِ

وهو معنى بديع إلا أنه أخذه من قول ابن تميم في الدولاب أيضاً: [الطويل]

ودُولابِ رَوْضٍ كانَ مِنْ قَبْلُ أَغْصُناً تَمِـيسُ فلَـمَّا غيَّرَتْهـا(١) يَــدُ الــدَّهْرِ

تَـــذَكَّر عَهْـــداً بالرِّيـــاضِ فكلُّـــهُ عُيُـونٌ عـلى أيَّـامِ عَهْـدِ الـصِّبا تَجْـرِي

وقرأت في إنشاء الوزير أبي منصور الدمياطي فصلاً لطيفاً فيه، منه قوله:

مررنا في بعضِ العشايا ببستان، فيه دولابان مُتحاذيان، وقد دارتْ أفلاكهما الحاملة لنجوم القواديس، فلعبتْ بقلوبِ الناظرين لعبَ الأماني بالمفاليس، وهما يَئِنَّانِ أنينَ صبٍّ مشتاق، ويَفيضان دمعاً أغزرَ من دموع العشاق، والروضُ قد رصع زبرجده، والأَصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجدَه، والزهر قد نظم جواهرَه في أجياد الغصون، والصَّبا قد أزالت من سلاسلها كلّ مصون، والنبتُ قد اخضرَّ شاربه وعارضه [عارضا](٢)، وطرفُ النسيم قد ركض في ميادين الزهور ركضا، ورُضاب الماء علاه من الطَّلِّ لَمَى، وحياة القنى حائرة تخاف أن يُدركها من زمرّدِ النبات العمى، والبحرُ قد صَقَلَ بصيقل النسيم درعه، وطاب بعرفه أصله وفرعه، وآب بجود(٣) السرور علينا استحواذا، وملأ أبصارنا حسناً وقلوبنا التذاذاً.

(١) في (ظ): «فرقتها».

(٢) ما بين معقوفين لاتساق السجع. (ج).

(٣) في (ظ): «واستحوذ» بدلا من «وآب بجود».

[١٠٢]
بدر الدين بن الأزهري[(١)]

شاعرٌ طلَع في هالة الكمال[(٢)] بَدْراً، وجوادٌ سَبَقَ في حَلْبَة الأدب نظماً ونثراً، فصحَّتْ معانيه، وقوِيَتْ مَبانيه، ولَذّ على أفواه القائلين، وساغ بأسماع السامعين، فحلاوتها على اللِّسان، وموقعُها في الآذان:

مواقع ماء المزن في البلد القفر[(٣)]

وأنا كما [١٤٢/ب] قال الربيع[(٤)] في البحر: إنْ لم أره فقد سمعتُ خبَره؛ فإن بعض أهل العصر ذكره في جريدته، وأورد له شعراً، واخترتُ منه قوله: [الرجز]

شَكا إليَّ مَن أُحِبُّ دُمَّلاً ... في رِدْفِهِ وقالَ قَوْلَ جازِعِ
يَطْلُعُ في كُلِّ مَكانٍ ضَيِّقٍ ... فقُلْتُ ذا في أَوْسَعِ المَواضِعِ

يشير إلى قول العامة في أمثالها لمن يجيء في غير وقته: هو دُمّل يطلع في أضيق المواضع. وله أيضاً: [مجزوء الرجز]

مُماطِلٌ رِجْلِي شَكتْ ... تَرَدُّدِي إليهِ
وكانَ لي سَرْمُوزَةٌ ... قَطَعْتُها عليهِ

(١) لم أقف على ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٢٥. وفيه: بدر الدين الأزهري.

(٢) في (س): «الكمالة».

(٣) عجز بيت لأبي أسد نباتة بن عبد الله، من شعراء الدولة العباسية. وصدره: مواقع جود الفيض في كل بلدة. الشعر والشعراء ٧٢. (ج).

(٤) ساقط من (ظ).

سرموز، اسم نعل معروف، وهي لفظة فارسية، والعامة تقول: «سرموجة».

ومن شعره أيضاً قوله: [الوافر]

لقد عَثرَتْ بِجُنْحِ الليلِ رِجْلِي   على شخصٍ ولم يَكُ في حِسابِي
فقَالَ مُجاوِباً لي أنتَ أعْمَى   فقُلْتُ نَعَمْ ودَوَّاسُ الكِلَابِ

يقال أعمى دوّاس الكلاب، إذا بُولغ في الوصف بالعمى، وفيه لطف هنا.

وله أيضاً: [مجزوء الرجز]

هذا حَشِيشٌ أخْضَرُ   مُخَدِّرٌ لِلْجَسَدِ
يَقُولُ مَنْ يَبْلَعُهُ   يا راحِلاً خُذْ بِيَدِي

وله أيضاً في الأطباء: [الخفيف]

لا تُرَجِّي الشِّفاءَ إلَّا مِنَ اللَّـ   ـهِ فإنَّ الحَكِيمَ رَبُّ الوُجُودِ
فعَجِيبٌ في ذا الزَّمانِ غَرِيبٌ   مُسْلِمٌ يَرْتَجِي الشِّفا مِنْ يَهُودِي

وهذا إشارة إلى ما ورد في الحديث: «ما خلا يهودي بمسلم إلا همَّ بقتله»(١).

ومن هذا النمط قولي: [الخفيف]

وَيْحَ نَاسٍ قَوْماً يَهُودًا تَوَلَّوْا   وتَوَلَّوْا عَنْ قَوْلِ رَبٍّ تَعالَى
حَسِبوا الطِّبَّ والأمانَةَ فِيهِمْ   فَاسْتَبَاحُوا الأَرْوَاحَ وَالأَمْوَالَا(٢)
يَقْتُلُونَ البُغَاةَ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ   وكَفَى الله المُؤمِنِينَ القِتالَا

وله في المجون: [مجزوء الكامل]

العَبْدُ مِنْ عَادَتِهِ   قِدماً يَنِيك سَيِّدَهْ

(١) ابن حبان، المجروحين، ٣/ ١٢٢. وفيه: يحيى بن عبيد الله، يروي عن أبيه ما لا أصل له.
(٢) سقط هذا البيت من (ظ).

وله أيضاً: [الرجز]

أَهْــوَاهُ سُــلْطَانَ المِـلَاحِ كُلِّهَـا عليــه مِنِّــي كــلُّ عُــضْوٍ ثَــانِي
أَمِنْـتُ مـن خَـوْفِ العِـدَى وشَرِّهِـمْ مُــذْ جــاءَنِي بِخَــاتَمِ الأَمَــانِ

[١٤٣/أ] و«خاتم الأمان» كمنديل الأمان، يستعمل في أمارة الإنجاز؛ لأن الرؤساء اعتادوا إرسال ذلك إذا أرادوه.

ومما قلته في ذلك: [الدوبيت]

مُـذْ أَطْنَـبَ بالمِطَـالِ ذُو الإنْجـازِ في مَوْعِــدِهِ ظَنَنْتُــهُ بِي هــازِي
حتـى أَولى عَقِيــق فيــه قُــبَلاً والخَــاتَمُ مِــنْ أَمــارَةِ الإنْجَــازِ

وله أيضاً: [الكامل]

يــا حُــسْنَها شــبَّابةً لم يَنْقَطِــعْ مَوْصُــولُها عنــدي وذاك تَــرَنُّمُ[1]
بـالرَّمْزِ تُفْهِمُنِـي إشـاراتِ الهـوَى[2] أَوَ مَــا تَراهــا بــالعُيُونِ تَكلَّــمُ

ومثله ما قلته أيضاً[3]: [الطويل]

لَنَـا مَجْلِـسٌ فيـه مِـنَ اللَّهْـوِ مُطْـرِبٌ وآدابُنَــا مــا بَيْنَنَــا تَــتَرَنَّمُ
ونَــايٌ يُناجِينَــا بــأَسْرَارِ رَبِّــهِ فـنَحْنُ سُـكُوتٌ والهَـوَى يَـتكلَّمُ[4]

* * *

(١) في الريحانة ٢/ ١٦٢: موصولُها لمّا غدت تترنّم. (ج).
(٢) في (س): «الورى».
(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٢٧.
(٤) عجز البيت تضمين لعجز بيت قاله محمد بن أمية، وصدره:
تُترجم عنّا في الوجوه عيوننا
الورقة لابن الجراح ٥١. (ج).

[١٠٣]
شيخ الإسلام علي بن غانم المقدسي[١]

إمام اقتدت به علماء الأمصار، وتنَزَّهت من فضائله في حدائقَ ذاتِ بهجةٍ وأنوار، فأَثمرت أغصان الأقلام في حدائق فضائله. وسالتْ في بِطاحِ المعالي بحار فَواضِله: [الكامل]

فالنَّـــاسُ كلُّهُـــمُ لِـــسانٌ واحِـــدٌ يَتْلُـــو الثَّنـــاءَ عليـــه والـــدُّنْيَا فَـــمُ

وإذا كان العلم مدينة فعَلِيٌّ بابُها[٢]، وكعبة تحجُّ لها الناس وألبابها، وقد أحيا الله به معالم العلوم والدارسات، فملكها وإنّما الملك لمحيي الموات، وعلي هذا كان بعيد مسافة العزم، رابط الجأش شديد الحزم، ينظر إلى الدهر شزراً، ولا يقبل له عذراً، وهو كما قال دُريد بن الصمة[٣]: [الطويل]

كمَـيْشُ الإزَارِ خـارِجٌ[٤] نِـصْفُ سـاقِهِ بَعِيـدٌ مِـنَ الآفـاتِ[٥] طَـلَّاعُ أَنْجُـدِ

---

(١) شيخ الإسلام علي بن محمد بن علي بن خليل المعروف بابن غانم المقدسي الحنفي نور الدين (٩٢٠-١٥١٤ / ١٠٠٤-١٥٩٥): نزيل القاهرة، فقيه، لغوي، محدث. أحد أكابر الحنفية في عصره، ولد بمصر ونشأ بها. من مؤلفاته: «الرمز في شرح نظم الكنز»، و«نور الشمعة في أحكام الجمعة»، و«بغية المرتاد في تصحيح الضاد». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٥٢؛ خلاصة الأثر، ٣/ ١٨٠؛ البدر الطالع، ص. ٤٩٢؛ هدية العارفين، ١/ ٧٥٠؛ الأعلام، ٥/ ١٢؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥٠٢.

(٢) إشارة إلى حديث المصطفى ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها» وقد تكلم في الحديث. انظر كشف الخفا ١/ ٢٣٥. (ج).

(٣) ديوانه، ص٦٦، شرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ٨١٨، الاختيارين ٤١٣.

(٤) في الأصلين: كجيش الإزار خادم نصف. والمثبت من شرح الحماسة. (ج).

(٥) في الديوان: «صبور على الغرّاء».

قَلِيـلُ التَّـشَكِّي للمُـصِيبَاتِ حـافِظٌ[١] مِنَ[٢] اليَوْمِ أعْقَابَ الأحَادِيثِ فِي غَـدِ

لو شاهدته عيون النجوم جرت في التربيع سعداً، أو صافحته راحة الغمام أمطرت كرماً ومجداً، ولو رآه النعمان قال: هذا شقيقي، [١٤٣/ب] أو الصاحب |ابن عباد|[٣] قال: ليته خليلي ورفيقي، وأحاديث المكارم عنه تروى، وتشتفي بها المروءة على ظمئها[٤] وتروى. وله في كلِّ فنٍ قدمٌ عليٌّ، وثاقبُ فكرٍ بنقد جواهره مليٌّ، مع نباهة ذكرٍ[٥] طار بأجنحة الثناء في الأقطار، وحلاوة طبع يحلو بمزجها بحور الأشعار، كقوله من قصيدة له[٦]: [البسيط]

للهِ دَرُّكَ يـــا مَـــنْ نَظْمُـــهُ دُرَرُ قَلائِـــدٌ لِنُحُـــورِ الغِيـــدِ تُـــدَّخَرُ

أو رَوْضُ فَـضْلٍ نَـضِيرٌ لا نَظِـيرَ لَـه في دَوْحِـــهِ ثَمَـــرٌ مـــا مِثْلُـــهُ ثَمَـــرُ

مِـسْكُ الفَـصَاحَةِ مِـنْ فَحْـواهُ مُنْتَـشَقٌ واللُّؤْلُـؤُ الرَّطْـبُ مِـنْ مَعْنَـاُه يُنْتَشَـرُ

وقد كنت قد دخلت ناديه والكون متعطّر بنشره، مبتسم لأيامه بثغور إقباله وبشره، وقرأتُ عليه طرفاً من حديث الرسول، فأجازني وأمدَّني بدعاء على أكف[٧] الإجابة محمول، وكان ينّوه باسمي، ويثبتُ في دفتر طلبته رسمي.

ومما أهديته له في زمن التحصيل، قولي مهنِّئاً بوفاء النيل[٨]: [الخفيف]

---

(١) في الاختيارين: «قليلا تشكيه المهم وحافظ».

(٢) في الاختيارين: «مع».

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) في (ظ): «ظمأ».

(٥) في (ظ): «فكر».

(٦) في ريحانة الألبا، ٢/ ٥٣؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ١٨٢.

(٧) في (ظ): «كف».

(٨) في ريحانة الألبا، ٢/ ٥٤؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ١٨٢. وانظر الحاشية (٤) صفحة (٦٠٨).

قَــسَماً لَــيْسَ نَيْــلُ كَفِّــكَ كالنِّيــــــلِ إذا رايَـــةُ المَكَـــارِمِ تُنْـــشَرْ
أنــتَ عِنْــدَ الوَفَــاءِ طَلْــقُ المُحَيَّــا وأَرَى النِّيــــلَ في الوَفَـــا يَتَكَـــدَّرْ

فأثبتها في «ديوانه»، ونثر عليها نثار استحسانه وإحسانه.

وله شعر يجود به لرياضة الخاطر، لا ليلصق باسمه سمة شاعر، لاشتغاله بوظائف التقوى، ونشر برود الإفادة والفتوى.

وتآليفه مفيدة، وآثاره فريدة، كـ«الرمز[1] في شرح نظم الكنز»، و«الشمعة في أحكام الجمعة»، وفيها يقول المولى علي الحِنَّائِيّ[2][3]: [الطويل]

لقــد آنــسَتْ عَيْنَــايَ لُمَعَــةَ شَــمْعِةٍ[4] تُوَقَّــدُ مِــنْ مِــشْكاةِ عِلْــمٍ وإتقــانِ[5]
جَــلَا نُورُهــا الوَضَّــاحُ أُفْــق كَمَالِــهِ غَيَاهِــبَ شَــكٍّ كــانَ في لَيْــلِ نُقْـصَانِ

ولم أورد له شعراً لقول ابن بسّام[6]: أشعار العلماء، على قديم الدهر وحديثه، بيّنة التكليف [وشعرهم الذي روي لهم ضعيف] حاشا [طائفةً، منهم:] خلف الأحمر.

* * *

(١) في (س): «كالزمرد».

(٢) هو علي بن عبد الله الحِنّائِي الحميدي. ستأتي ترجمته تحت الرقم [١٥٤].

(٣) في خلاصة الأثر، ٣/ ١٨٢.

(٤) في (ظ): «شمعة».

(٥) في (ظ): «إتقان».

(٦) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١/ ٦٢٥ (ط دار الغرب الإسلامي) وما بين معقوفين مستدرك منه. (ح).

[١٠٤]

السيد عبد الرحيم العَبَّاسي(١)

[١٤٤/أ] حبيبٌ طرَّز كمَّ المجد، وأعار رقّة شمائله نسمات نجد، فله رايات فضل عليه، تعمَّمت الأقلامُ من سواد نقشه بعمامة عباسية، حتّى طفحَ سُكْراً بشمولها فمُ الكاس، وابتسمَ فرحاً بها كلُّ زمانٍ(٢) عبَّاس، فكأنما قدَّ من برد الشمالِ شماله، وارتضعت أخلاف المزنِ مع طَفَلِ النَّوْء خلاله(٣)، ففضحت عَنْبَرَ الشِّحْرِ(٤)، وسحرت نفثات السحر، بما يقطرُ من ماء البراعة، ويثمر من قصب اليراعة، وفي بحار طِرسه عامتِ النواظر وسبحت، وبسيح سطوره إذا رأتها كبَّرتْ وسبَّحت، وناهيك به في النسب، وصعوده شامخ الحسب، على رقّةٍ فيه

---

(١) عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي، أبو الفتح (٨٦٧-٩٦٣/ ١٤٦٢-١٥٥٥): عالم بالأدب، من المشتغلين بالحديث. ولد بمصر ونشأ بها، وذهب إلى القسطنطينية مع رسول من قبل السلطان الغوري إلى السلطان بايزيد، فعرض عليه بايزيد تدريس الحديث في عاصمته، فاعتذر، وعاد إلى مصر. فلما انقرضت دولة الغوري انتقل إلى القسطنطينية وأقام إلى أن توفي بها. من مؤلفاته: «معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص»، و«فيض الباري بشرح غريب صحيح البخاري»، و«نظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٦٠؛ ديوان الإسلام، ٣/ ٣١١؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٤٨٦؛ الكواكب السائرة، ٢/ ١٦١؛ الشقائق النعمانية، ص. ٢٤٦؛ هدية العارفين، ١/ ٥٦٣؛ الأعلام، ٣/ ٣٤٥؛ معجم المؤلفين، ٢/ ١٣١.

(٢) في (ظ): «زمن».

(٣) في ريحانة الألبا ٢/ ٦١: طفل النور خلاله. (ج).

(٤) في (ظ): «الشجرة».

تنادي أصبح الورد عجب(١): [الكامل]

وإذا أَرَدْتَ مَـــدِيحَ قَـــوْمٍ لم تَمِـــنْ   في مَـــدْحِهِمْ فَامْـــدَحْ بَنِـــي العَبَّـــاسِ

ومن نتفه(٢) قوله(٣): [المتقارب]

أَرَى الـــدَّهْرَ يُكْـــرِمُ جُهَّالَـــهُ   فَـــأُعْظِمَ قَـــدْراً بِـــهِ الجَاهِـــلُ
وأَنْظُـــرُ حَظِّـــي بِـــهِ نَاقِـــصاً   أَيَحْـــسَبُنِي أَنَّنِـــي فاضِـــلُ

ولما وقف على هذا البدر الغزي(٤) أجابه بقوله(٥): [المتقارب]

أَعَبْـــدَ الـــرَّحِيمِ سَـــلِيلَ العُـــلَا   ويَـــا فاضِـــلاً دُونَـــهُ الفاضِـــلُ
أَتَعْتِـــبُ دَهْـــراً غَـــدَا مُوقِنـــاً   بأَنَّـــكَ في أهلِـــهِ الفاضِـــلُ

وهذا معنى تداوله الشعراء قديماً وحديثاً كقوله: [الطويل]

ومـــالي إلى دَهْـــرِي ذُنُـــوبٌ أَعُـــدُّها   سِـــوَى تُهْمَـــةِ الأعـــداءِ لي بالفَـــضائلِ
وإنِّيَ مِنْـــهُ تُبْـــتُ توبـــةَ نـــادِمٍ   مُقِـــرًّا بـــأَنِّي اليـــومَ أَجْهَـــلُ جاهِـــلِ

وقول المَنْجَنِيقِي(٦): [السريع]

(١) البيت لأبي نواس في ديوانه، ص. ٣٠٣.

(٢) في (ظ): «درره».

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ٦٤؛ والكواكب السائرة، ٢/ ١٦٥.

(٤) هو محمد بن محمد بن عبد الله، أبو البركات، بدر الدين بن القاضي رضي الدين الغزي العامري القرشي (٩٠٤-٩٨٤ / ١٤٩٨-١٥٧٦): فقيه، مفسر، محدث، نحوي. أخذ عن مشايخ عصره، ثم رحل مع والده إلى القاهرة، ثم عاد فتصدر للتدريس والإفادة، واشتغل بالتصنيف والعبادة. انظر مصادر ترجمته: في ريحانة الألبا، ١/ ١٣٨؛ والكواكب السائرة، ٣/ ٣؛ تراجم الأعيان، ٢/ ٩٣؛ سلافة العصر، ص. ٣٨٨.

(٥) في ريحانة الألبا، ٢/ ٦٤؛ والكواكب السائرة، ٢/ ١٦٥.

(٦) يعقوب بن صابر بن بركات، أبو يوسف، نجم الدين، المنجنيقي (٥٥٤-٦٢٦/ ١١٥٩-١٢٢٩):=

إن كـــان ذَنْبِـــي أَنَّنـــي شـــاعرٌ فاصفَحْ فقد تُبْتُ عن الشِّعْرِ

وقول الباخرزي(١): [الرمل]

كيفَ لا يُمْسِكُ عنِّي بَرْقَهُ بعدما أمسكَ عنِّي وَبْلَهُ

ساءَنِي الدَّهْرُ لأني عاقلٌ ليتَ أنِّي مِثْلُ غَيْرِي أَبْلَهُ

[١٤٤/ ب] وقال الدَّبَّاس(٢): [السريع]

إني رَأَيْتُ الدَّهْرَ في صَرْفِه يَمْنَحُ حَظَّ العاقِلِ الجاهِلَا

فما أَراني نائلاً ثَرْوَةً(٣) أظنُّهُ يَحْسبُنِي عاقِلَا

وتلطف القائل فيه(٤): [الكامل]

الدَّهْرُ عندي لا محالةَ أحْوَلُ فَاسْأَلْ به مَنْ كانَ طَبًّا عاقِلَا

يَرْنُو لِيَلْحَظَ فاضِلاً فيَردُّهُ حَوَلٌ بعَيْنِيهِ فَيَلْحَظُ جاهِلَا

= شاعر، كان متفوقاً في صناعة المنجنيق، مغرى بالسلاح وصناعته. ولد ببغداد وتوفي بها. من مؤلفاته: «عمدة السالك في سياسة الممالك» ولم يتمه، وديوان شعر سماه «مغاني المعاني». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٧/ ٣٥؛ شذرات الذهب، ٧/ ٢١١؛ معجم المؤلفين، ٤/ ١٢٩.

(١) لم يرد البيتان في ديوانه.

(٢) هو الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الحارثي، البكري الدباس المعروف بالبارع البغدادي، أبو عبد الله (٤٤٣-٥٢٤ / ١٠٥١-١١٣٠): أديب، من علماء اللغة والنحو، وهو من بيت وزارة، ولي بعض جدوده وزارة المعتضد والمكتفي العباسيين. مولده ووفاته ببغداد، عمي في آخر عمره. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٢/ ١٨١؛ شذرات الذهب، ٦/ ١١٤؛ معجم المؤلفين، ١/ ٦٣٩.

(٣) في ريحانة الألبا ٢/ ٦٤: فما رآني. (ج).

(٤) البيتان لمجير الدين بن تميم في ديوانه ١١٤، وريحانة الألبا ٢/ ٦٥.

ومن شعره أيضاً قوله: [الكامل]

مـا لِي أرَى أحْبابَنَـا في النَّـاسِ ... صارُوا كَمِثْلِ حَبابِنَا في الكَاسِ
بَيْنـا يَرُوقُـكَ عنـد أوَّلِ نَظْـرَةٍ ... كـاللُّؤلُؤِ المُتَناسِـقِ الأجْنَـاسِ
فإذا أعَدْتَ الطَّرْفَ فِيهِمْ لم تَجِدْ ... شيئاً فَصارَ رَجَاؤُهُمْ كاليَاسِ

وقوله أيضاً[1]: [مخلَّع البسيط]

أرْعَشَنِي الـدَّهْرُ أيَّ رَعْشٍ ... وكُنْـتُ ذا قُـوَّةٍ وبَطْـشِ
وكُنْتُ أمْشِي ولَسْتُ أعْيَا ... فَصِرْتُ أعْيَا ولَسْتُ أمْشِي

وقوله أيضاً[2]: [الوافر]

رَأَيْـتُ لَئِـيمَ قَـوْمٍ في مَمَـرٍّ ... وبَـيْنَ يَدَيْـهِ أشْـخَاصٌ لِئـامُ
فَـسَلَّمَ مِـنْ جَهَالَتِـه ابْتِـدَاءً ... فقُلْتُ له متى كَسَدَ السَّلامُ

وله أيضاً[3]: [مجزوء الرجز]

حـالُ المُقِـلِّ نَـاطِقٌ ... بـما خَفِـي مِـنْ عَيْبِـهِ
فَـإِنْ رَأيْـتَ عارِيـاً ... فَـلا تَـسَلْ عـن ثَوْبِـهِ

وله أيضاً: [الوافر]

إذا مـا كُنْـتَ في قَـوْمٍ غَرِيبـاً ... فَقَـابِلْهُمْ بِفِعْـلٍ يُـسْتَطَابُ
ولا تَحْزَنْ إذا فَاهُوا[4] بِفُحْشٍ ... غَرِيـبُ الـدَّارِ تَنْبَحُـهُ الكِـلابُ

---

(١) ساقط من (ظ). والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٦١؛ والكواكب السائرة، ٢/ ١٦٥؛ وشذرات الذهب، ١٠/ ٤٨٧-٤٨٨.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) ساقط من (ظ).

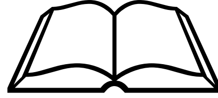
(٤) في (س): «هاشوا».

وهذا كما جرت العادة تنبح الكلاب على الفقراء.

في «حكم الزَّنْدُويستي»(١): الكلاب [١٤٥/أ] تنبح على الفقير(٢) دون الغنيّ؛ لأنّه من جنسها، ولأنها ترجو مواساته. وقال الشاعر(٣): [الكامل]

حَتَّـــى الكِـــلَابُ إذا رَأتْ ذا بِـــزَّةٍ ذَلَّـــتْ لدَيْـــهِ وحَرَّكَـــتْ أَذْنابَهَـــا

وإذا رَأتْ يَوْمـــاً فَقِـــيراً عارِيـــاً(٤) هَـــرَّتْ عليـــه وكَـــشَّرَتْ أَنْيابَهَـــا



(١) في (ظ): «للزندوي». وفي (س): «الزندوشي». وهو علي بن يحيى بن محمد الزندويستي البخاري، فقيه، أديب توفي سنة ٣٨٢. الأعلام. وكتابه الحكم في القصص. وانظر فهرس آل البيت ٥٨/ ٣٨. (ج).

(٢) في (ظ): «الفقراء».

(٣) البيتان للأحنف بن قيس. الديوان ٦٣. (ج).

(٤) في الديوان: فقيراً عابراً. (ج).

[١٠٥]
عمر بن محمد بن أبي بكر الفارسْكُوري(١)

فاضلٌ قلّدت فضائله جيدَ عصره حُلِيَّها، وزيّنتْ عقود محاسنه السنين بآدابه نَدِيَّها، وقدمُهُ راسخة في أكثر الفنون، وآثارُ أقلامه على منصّة التأليف بين أبكار وعُون، لاسيما في العلوم الرياضية، فإنه اجتنى من ثمراتها كلَّ غضَّةٍ جنية، وهي لم تبرزْ أنوارها من الأكمام، ولم تزلْ حُوراً مقصورات في الخيام، وقد حمى من فنه حدائقه ورياضه، وراضَ في مضماره جواد فكره أحسن رياضة.

وكنت كثيراً ما استنشق عَرْف خبره، واستهدى من الشقَّة الفارسكورية رقيق حِبَرِه، فيهبُّ منه ما ثنى الإعجابَ وَعَطَفُه، ورجح بميزان العدل أنَّ عُمَرَ علم في المعرفة.

ومما أنشدته له قوله(٢): [الرجز]

شَكْلُ اشْتياقِي ما لـه مِنْ حَدِّ ... ونُقْطةُ الصَّبْرِ مَحَاها وَجْدِي
وَامْتَدَّ خَيْطُ الدَّمْعِ مِنْ مَحَاجِرِي ... بِلَا تَنَاهٍ فَوْقَ سَطْحِ الخَدِّ

---

(١) عمر بن محمد بن أبي بكر الفارسكوري، سراج الدين، المصري الشافعي (ت: ١٠١٨/ ١٦٠٩): عالم، أديب، مشارك في بعض العلوم، وتوفي بدمياط من أعمال مصر، وحمل إلى فارسكور (من مراكز الدقهلية قرب دمياط) ودفن بها. من مؤلفاته: «جوامع الإعراب وهوامع الآداب» نظم فيه جمع الجوامع في النحو وشرحه همع الهوامع للسيوطي، و«البهجة الجديدة»، و«الفوائد البهية». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٦٧؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٢٢١؛ هدية العارفين، ١/ ٧٩٦؛ إيضاح المكنون، ١/ ٣٧٣؛ الأعلام، ٥/ ٦٤؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥٧٢.

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ٦٨؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٢٢١.

وهَيْئَةُ الجِسْمِ اضْمَحَلَّتْ مُذْ نَأَى وَانْحَصَرَتْ حَبَّاتُها بِالبُعْدِ
وضَاقَ صَبْرِي حَرَجاً لما اسْتَدَا رَتْ حَرَكاتِي حَوْلَ قُطْبِ الصَّدِّ
وأصبحَتْ كُرَات حَظِّي مَرْكَزًا مُسَكَّناً في وَسْطِ جُرْمِ الجَهْدِ
ومِنْ قسِيِّ الهجْرِ كَمْ مِنْ أسْهُمٍ نَحْوِيَ ما شقَّتْ جُيوبَ وَجْدِي
والزَّمنُ القطَّاعُ قد أَلَّفَ ما بين مَحَاجِرِي وبين السُّهْدِ

وقوله أيضاً[1]: [الطويل]

إذا كانَتِ الأفْلَاكُ وَهْيَ مُحِيطَةٌ علينا قِسِيًّا والسِّهامُ المَصَائِبُ
[١٤٥/ب] ورَامِيَهَا البَارِي فأيْنَ فِرَارُنَا وسَهْمٌ رَمَاهُ الله لا شَكَّ صَائِبُ

وكتب لابنه لما ارتحل عنه إلى الروم قصيدةً، منها[2]: [الكامل]

الدَّارُ بَعْدَكَ لا تَرُوقُ لِناظِرِي والرَّبْعُ دُونَكَ لا يَشُوقُ لِخَاطِرِي
قد كانَ لي مِنْ سَاكِنِيه أَحِبَّةٌ كجَآذرٍ بَيْنَ العَقِيقِ وحَاجِرِ
فتفَرَّقُوا كَنَظِيمِ عِقْدِ جَواهِرٍ عَبَثَتْ به يَدُ الانْفِصامِ النَّاثِرِ
فهَجَرْتُ مُذْ هَجَرَ الحَبِيبُ مَعَاهِدًا وَوَجَدْتَنِي عَنْهُنَّ أنْفَرَ نافِرِ
فطَفِقْنَ يَذْرِفْنَ الدُّمُوعَ سَوَاجِماً لِمُهَاجِرٍ فارَقْتُهُ ومُهَاجِرِي

ومنها[3]:

وَازْوَرَّ عَنْهُنَّ الحَبِيبُ ولم يَعُجْ في يَقْظَةٍ أو طَيْفِ نَوْمٍ زَائِرِي
بل غادرَ الأجفان يَرْقُبْنَ السُّهَى وجَفا لَذِيذُ الغَمْضِ مُقْلَةَ ساهِرِ

---

(١) في خلاصة الأثر، ٣/ ٢٢٣.
(٢) في خلاصة الأثر، ٣/ ٢٢٢.
(٣) في خلاصة الأثر، ٣/ ٢٢٢-٢٢٣.

مـــا هكـــذا الـــبَرُّ التَّقِـــيُّ أَرَاغِـــبٌ ... في أنْ يُبَـــدَّلَ بالـــشَّقِيِّ الفـــاجرِ
أو أن يُقـالَ شَرَى الـضَّلالة بالهـدَى ... رَوْمـاً لـرِبْحٍ وهْـيَ صَـفْقَةُ خـاسرِ
أو أن يقـــال قَـــضَى الـــشَّبيبة عِفَّـــةً ... وصَـــبَتْ كُهُولَتُـــهُ لِنَفْثِـــةِ ســـاحرِ
أيـن البـصيرةُ والعمَـى يَغْشَى الهـدى ... حتـى يُـرى الأعمـى بـصورةِ بـاصرِ
لكـــنْ أحـــذِّرُكَ الزمـــانَ وأهلَـــهُ ... مِـــنْ كابِـــدٍ أو مـــاكِرٍ أو غـــادرِ[1]
أو مُظْهِـــرٍ بالخَتْـــلِ سِـــنَّ تَبـــسُّمٍ ... وإذا اختَـبَرْتَ فنَـابُ ذِئْـبٍ كـاسرِ[2]
والـدهرُ مُغْـنٍ عـن نَـصِيحةِ واعِـظٍ ... يَـرْوِي الغَرائـبَ جـابراً عـن جـابرِ
واللهُ مُلْهِمُـكَ الـصوابَ لِتَرْعَـوِي ... وتَـؤُوبَ أَوْبَـةَ صـابرٍ أو شـاكرِ[3]
إن كــانَ ذاك فحبَّـــذا ولـــربَّما ... كـان النُّهَـى للـنفسِ أنهـى زاجـرِ
أو كانـتِ الأُخْـرَى فِرِفْعَـةُ يوسُـفٍ ... وبكـاءُ يعقـوبِ الكئيـبِ الـصابرِ
والـصبرُ داعـي الـصبرِ مـا مِـنْ صـابرٍ ... لكريهـــةٍ إلَّا يُغـــاثُ بنـــاصرِ
والقهـرُ للنَّاسُـوتِ ضَرْبَـةَ لازِبٍ ... والحكـــمُ لله العَـــلِيِّ القـــاهرِ

وهذا طلٌّ من وابل، وقطرةٌ من غدير.

* * *

---

(١) سقط هذا البيت من (ظ).

(٢) في (ظ): «كاشر».

(٣) سقط هذا البيت من (ظ).

[١٠٦]

ولده تقي الدين[1]

كوكبُ رَصَدِهِ، وفَلِذَةُ كَبِده، [١٤٦/أ] وفرع دوحته، وثمرة روضته، والزهرة تدلُّ على رياضها، والقطرةُ تُخبر عن حياضها، فهو فاضل أديب، وحبيب ابن حبيب، وإذا طابَ الأصل زكتِ الفروع، وإذا صحَّ الجو أشرق بدره في الطلوع.

وقد ضمّني وإيّاه عقدُ الاجتماع، بعد ما كانت درر مآثره مِلْءَ صدف الأسماع، فرأيتُ الناسَ في رجُلٍ والدهرَ في ساعة، وجلا عليَّ[2] في سوق العروس أنفس بضاعة، وشاهدتُ في مرآة سماته، وجوهَ محاسن صفاته، ممّا تقرُّ به عيون المدائح، وتنشرحُ له صدور المجالس، وتطيب نفوس المكارم النفائس[3]، فطفتُ بكعبة فضائله، ونَزَّهْتُ عيون المنى في رياض شمائله، وانتشيت من صهبائه، وتنقَّلْتُ بإنشاده وإنشائه، وما كلُّ قولٍ حسن، ولا كلُّ خضرٍ أَخضرُ الدِّمن، وشكرت دهراً أَلَّف شملي بشمله، وعرّفني فضاله الفضل في رحله، ولم

---

(١) تقي الدين بن عمر بن محمد بن أبي بكر الفارسكوري، المصري (ت: ١٠٥٧/ ١٦٤٧):قاضي القضاة، عالم، أديب، مشارك في بعض العلوم. اتصل وهو بمصر بخدمة قاضيها شيخ الإسلام يحيى بن زكريا، وتوجه بخدمته إلى الديار الرومية، وأقام بها. اشتغل بالتدريس والقضاء، وجمع مدائح أستاذه يحيى بن زكريا، التي مدح بها في بلاد العرب أيام قضائه بحلب، ودمشق، ومصر. وتوفي بدمشق وهو مار إلى القدس، ودفن بمقبرة باب الصغير. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٧٠؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٢٢٣.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) ساقط من (ظ).

أَقُلْ إذ مدَّ لي به أيادي الامتنان: إن دهري يهم بالإحسان.

فممّا جلاه عليَّ من روائع الآداب التي تفكُّ لها جيوب الأقداح أزرار الجباب، قوله مضمناً(١): [الطويل]

تَقولُ سُلَيْمَى بعد ما تُبْتُ تُبْتَ عن ... هَـوَايَ وعن ذِي الخَالِ لَسْتَ بتائبِ

تُواصِلُ وَاوَاتٍ بِخَدٍّ معذَّرٍ ... وتَجْفُو بلا ذَنْبٍ ذَوَاتَ الذَّوائِبِ

إليكِ فإنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إذا اتَّقَى ... عِضاضَ الأفاعِي نامَ فَوْقَ العَقارِبِ(٢)

وقوله من قصيدة أولها(٣): [البسيط]

يا مَنْ محيَّاهُ يُسْتَسْقَى به المطرُ ... وعَدْلُه كادَ يُنْسَى عنده عُمَرُ

منها:

إن كنتَ تَبْغِي بنارِ الهَجْرِ تُحْرِقُنِي ... إني على الحالتَيْنِ العَنْبَرُ العَطِرُ

ومنها:

وأَهْجُرُ الماءَ لو كانتْ مُعَلَّقَةً ... به حَياتِي إذا ما شَابَهُ كَدَرُ

وسَوْفَ يُنْبِيكَ صَبْرِي مِنْ جَفَاك على ... نيرانِهِ(٤) هل أنا ياقوتُ أمْ حَجَرُ

أَرَاكَ دَهْرَكَ ما منه تُؤَمِّلُهُ ... حتى نَرَاك، ومِنْ أنصارِك القَدَرُ

[١٤٦/ب] ومن أخرى له أيضاً: [البسيط]

ما الدُّرُّ في حُقَّةِ الياقوتِ إنْ بَسَمَا ... وما نسيمُ الصَّبا والنَّدِّ إنْ نَسَمَا

منها:

(١) في ريحانة الألبا، ٢/ ٧٣؛ وخلاصة الأثر، ٤/ ٨٧.

(٢) البيت للمتنبي، الديوان ١/ ٢٧٨ (شرح البرقوقي). (ج).

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ٧٢؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٨٧.

(٤) في (س): «لظاه».

مـا شـقَّ سَرْحُ عِـذارٍ روْضَ وَجْنَتِـه حاشـا شَـقائقَها أن لا يكـون حِمَـا

منها:

ولـو سِـواكَ غَـزانِي كنـتَ تمنعُـهُ عن ساحتِي لو يكونُ الشيبَ والْهَرَمَا

وأنشدني له أيضاً[1]: [الخفيف]

إنَّ قُـسْطَنْطِينِيَّةً طَرْفَـةُ الدنـ ـيا وبِيمارِسْـتانُ هـذا الوُجـودِ

سـاكِنُوها مَـرْضى وزَمْنَـى وأَهْلُـو هَـا المجـانين والطبيـبُ اليهـودِي

وله من قصيدة: [الوافر]

ومـا في البَـدْرِ معنـىً منـه إلّا قلامَـةُ ظُفْـرِه مثـلُ الهِـلالِ

قلت أصل هذا التشبيه قول بعض العرب: [المتقارب]

كـأنَّ ابْـنَ مُزْنَتِهـا جَانِحـاً فَـسِيطٌ لـدَى الأُفْـقِ مِـنْ خِنْـصِرِ[2]

ومنه أخذ ابن المعتز قوله من قصيدة له[3]: [البسيط]

وجـاءني في قَمِـيصِ الليـلِ مـستَتِراً يَسْتَعْجِلُ الخَطْوَ من خوفٍ ومِنْ حَذَرِ

وَلاحَ ضَـوْءُ هِـلالٍ كـادَ يَفْـضَحُنا[4] مِثْلُ القُلامَـةِ قَد قُـدَّتْ[5] مِـنَ الظُّفُـرِ

وتصرف فيه سعد الدين بن عربي وأجاد فيه[6]: [الكامل]

---

(١) ساقط من (ظ).

(٢) البيت في اللسان (فسط) ونسبته فيه إلى عمرو بن قميئة، وفي ثمار القلوب ١/ ٤١٧ من غير عزو، وفي التذكرة الحمدونية ٥/ ٣٢٣ منسوب لجميل. الفسيط: قلامة الظفر. (ج).

(٣) ديوانه، ٢/ ١٩٦.

(٤) في الديوان: «يفضحه».

(٥) في الديوان: «قصت».

(٦) في (ظ): «في قوله».

نادَيْـتَ مَـنْ أَهْـوَاهُ وَهْـوَ مُقَلِّـمٌ أظْفـارهُ يـا نُزْهَـةَ المتأمِّـلِ
أبعَدْتَ ظُفْرَكَ وهْوَ بَعْضُكَ فالذي يَهْـواكَ أَجْـدَر بالبِعـادِ الأطْـوَلِ
فأجـابَنِي أتظُنُّنِـي قَلَّمْتَهـا عـن حاجَـةٍ لا بـل لِمَعْنًـى عَـنَّ لِي
لأريـك يـا مـن بـالهلال يَقِيـسُنِي إنَّ الهـلالَ قلامَـةٌ مـن أنْمُـلِي

وأنشدني من قصيدة له: [الطويل]

وَأَدْتُ العَذارَى من بناتِ خَواطِرِي بقَلْبِـي، وأمُّ الـشِّعرِ طلَّقها فكـرِي

فقلت له هذا كقولي: [مجزوء الرجز]

بنـاتُ أَفْكـارِي التـي وَأَدْتُهـا إذْ كَـسَدَتْ
مَـوْؤُودَةٌ مـا سُـئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[1]

[١٤٧/أ]

* * *

(١) تضمين للآية الكريمة التاسعة من سورة التكوير.

[١٠٧]
محمد بن بدر الدين القُوصُوني[١] |الطبيب|[٢]

سماءُ مجدٍ أشرق بدرها، ودرَّتْ أخلافُ سحائبها فلله دَرُّها، فيا له من بدرٍ في سماء الكمال وحيد، صبٍّ بمخدّرات المحاميد عميد، قَليبُ كَرَمِهِ لا يردُّ رِشا ماتِحٍ، فهو لعمري عُقْلَةُ المستوفِزِ وعَقْلَةُ لسانُ المادحِ.

وهو في الطبِّ رئيس لم يخرجْ عن قانونه، وفارسٌ في حلبته لا يدركه فكر بسوابق ظنونه، فلو[٣] راجعه الهلالُ أبرأه من المحاق والدَّنف، أو البدر خلّصة من وصمة الكلَف.

ولمّا ارتحل من القاهرة إلى سدَّة آل عثمان، اعتكفَ بها في حرمِ الكرم والإحسان، وفاض عليه ماءُ جودها المعين، حتّى مضى سُليمان وانحلّت الشياطين، وكان يداوي سقامه، إذ قَبَّل النِّقْرِسُ أقدامه.

وله مآثرُ لها الدهر مُستزيد، والفضل سامع مستفيد، كقوله للرئيس فضل الله[٤]،

---

(١) محمد بن بدر الدين القوصوني (ت: ٩٣١/ ١٥٢٥): طبيب. توفي بمصر. من مؤلفاته: «دستور البيمارستان». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٢٠؛ الكواكب السائرة، ١/ ٨٢؛ إيضاح المكنون، ١/ ٦٠٧؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٦٦٨.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) في (ظ): «فلو رآه».

(٤) هو فضل الله بن محمد الرومي البركلي (ت: ١٠٣٠/ ١٦٢٠): عالم، فصيح اللسان، حسن البيان، أخذ العلوم عن والده، وقدم إلى القسطنطينية، وأقام بها، واشتهر صيت علمه، واشتغل بالوعظ والتذكير في جامع السلطان سليم، والسلطان بايزيد. انظر ترجمته: خلاصة الأثر، ٣/ ٢٨٦.

وقد أهدى له «شرح النفيس»[(١)]، مع قطعة من شعره، فأجابه: [الوافر]

سُطورٌ أودِعَتْ بطنَ الطُّروس ... أم السِّحرُ المؤثِّرُ في النُّفوسِ
ومكتوبٌ بديعُ اللفظ وافى ... أم الصَّهْباءُ تُجْلى في الكؤوسِ
قرأنا فَانْتَشَأْناهُ كأنَّا[(٢)] ... طربْنا باحتساء الخَنْدَريسِ
وقبَّلْناه تعظيماً وشوقا ... لِمُنْشِئِه الرئيسِ بْنِ الرئيسِ
تفضَّلَ ثم كاتبَ عبدَ رقٍّ ... فأعْتَقَ رقَّه من كُلِّ بوسِ
ولم تُقْنِعْهُ إهداءُ القَوافي ... تحَلَّتْ بالجواهر كالعروسِ
فزاد هديَّةً أُخرى فأهلاً ... وسهلاً بالنفيس من النفيسِ
أبا الفضل ابن إدريسٍ فأَكْرِمْ ... بِهِ نسَباً يتيه على الشموسِ
قبول العذر مأْمُولٌ فإنِّي ... أجبْتُكَ عن جليلك بالخسيسِ
وهل أبكارُ فكر لا عوان[(٣)] ... تُقابَل بالعجوز الدَّرْدَبِيسِ
بقيتَ الدهرَ مسروراً مُهَنَّا ... وشانِيك المُعَنَّى في عُبُوسِ

[١٤٧/ب] وله من فصلٍ ذمَّ فيه من تولّع بالاحتجاب: الرأيُ الصواب،

(١) هو «موجز القانون» في الطب للعلامة علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس المتوفى سنة ٦٨٧/ ١٢٨٨، رتبه على أربعة فنون، الأول في قواعد جزئي الطب علمية عملية بقول كلي، والثاني في الأدوية، والأغذية المفردة والمركبة، والثالث في الأمراض المختصة بعضو عضو، والرابع في الأمراض التي لا تختص بعضو دون عضو وأسبابها، وعلاماتها، ومعالجاتها. شرحه الشيخ الإمام النفيس بن عوض الكرماني المعروف بالنفيسي في سنة ٨٤١/ ١٤٣٧. وهو يعتبر من أجود الشروح. انظر: كشف الظنون، ٢/ ١٨٩٩-١٩٠٠.

(٢) في ريحانة الألبا ٢/ ١٢١: قرأناه فأنشانا كأنَّا. (ج).

(٣) في (س): «لأتوان». في الريحانة: وهل أبكار فكرك لائق أن.

فيمن تَوارى بالحجاب، رَأْيُ ابنِ عبدوس[١]، وما سواه رأيٌ منحوس، بل عذاب وبوس، انتهى.

يعني برأي ابن عبدوس، قوله[٢]: [مجزوء الوافر]

لنــا قــاضٍ لــه خلُــقُ　　أَقَــلُّ ذَمِيمــهِ النَّــزَقُ
إذا جِئْنــاهُ يحجبنــا　　فنَلْعَنُــه ونَفْــتَرِقُ

وقال ابن [أبي] الخصال[٣] ملمِّحاً لهذا، وقد استأذَنَ فحُجِب[٤]: [البسيط]

جئنــاكَ للحاجـةِ المطـولِ صـاحِبُها　　وأنــتَ تَــنْعَمُ والإخــوانُ في بُــوسِ
وقــد وقَفْنــا طــويلاً عنــد بــابِكمُ　　ثــم انـصَرَفْنا عـلى رأيِ ابْـنِ عَبْـدُوسِ



(١) هو الوزير أبو عامر ابن عبدوس، انظر: نفح الطيب، ٣/ ٢٦٨.
(٢) البيتان في نفح الطيب، ٣/ ٢٦٩.
(٣) هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي (٤٦٥-٥٤٠ / ١٠٧٣-١١٤٦): وزير أندلسي، شاعر، أديب، يلقب بذي الوزارتين، ولد بقرية فرغليط من قرى شقورة، وسكن قرطبة وغرناطة. وأقام مدة بفاس، وتفقه وتأدب حتى قيل: لم ينطلق اسم كاتب بالأندلس على مثل ابن أبي الخصال. توفي مقتولا في فتنة المصامدة بقرطبة. من مؤلفاته: «مجموعة ترسُّله وشعره» في خمس مجلدات، و«ظل الغمامة» في مناقب بعض الصحابة. انظر مصادر ترجمته: قلائد العقيان، ٢/ ٥١٨؛ نفح الطيب، ٣/ ٢٦٨؛ الأعلام، ٧/ ٩٥.
(٤) البيتان في نفح الطيب، ٣/ ٢٦٨.

[١٠٨]
شهاب الدين أحمد السَّنَفِيّ المعروف بقَعُود[١]

بليغٌ سحب ذيلَ بلاغته على سحبان، وروضٌ في كلِّ ورقةٍ من خطِّه بستان، ألفاظه أرقُّ من دمع السحاب، وألطفُ من كأسٍ يضحك بثغر الحباب، فسطوره رياضٌ عليها من القوافي حمام، وعصره وإن تأخّر فيه للأدب مسك ختام، إن ورَّى فالكلماتُ النباتية لحيائها ذاتُ تَواري، أو زَفَّ أبكار أفكاره فَكُنَّسُ النجوم له جواري.

وهو من أعيان مصر فضلاً وأدباً إلَّا أنه جعل الشعر لكسبه سبباً، واتَّخذ سبيله في البحر عجباً.

وله مكارمُ أخلاق، تجدد مآثر الجود وهي أَخلاق، كما قال فيه الأصيليّ[٢]:

[البسيط]

لله دَرُّ شـــهاب الـــدين مرتقِيـــا   في الجود والنسب السامي على السَّلَفِ
مَــنْ رامَ يبغــي وفــاً أو مُنْتَقَــى نَــسبٍ   قالـــتْ فـــضائلُه في ذا وذا سَـــنَفِي

وقد أدركته حُرفةُ الأدب فحلَّ وارتحل، وإذا سمع بالغنى قال: لا ناقة لي في

(١) شهاب الدين أحمد بن أبي بكر السنفي الخزرجي المالكي المعروف بقَعود (ت: ١٠٠٧/ ١٥٩٨): عالم، أديب برع في كثير من العلوم، كان أحد العلماء المشاهير بمصر. من مؤلفاته: «منظومة في النحو»، و«منظومة في الزحافات والعلل العروضية». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٣؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٥٩.

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٤؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٦٠.

هذا ولا جمل.

ومما رويته له قوله[١]: [مخلع البسيط]

يـا صـاحِبيَّ اتْرُكـا مُعَنًّـى أو فاعْـذُلاه وعارِضـاهُ
فـما تُطِيقـان رُشْـدَ غـاوٍ بـما يُلاقِـي وَعَـى رِضـاهُ
سـبا حـشاه والعقـلَ منـه عينـا غَـزالٍ وَعارِضـاهُ
يـا جمْـعَ مَـن صـيَّرُوا التَّـصابي في الحسن عـاراً بالعـارِ ضـاهُوا

[١٤٨/ أ] وقوله أيضاً[٢]: [الخفيف]

لي حبيـبٌ مِـنْ هَجْـرِهِ زادَ كَـرْبِي[٣] وسُـلُوِّي هَـوَاه أَقْـبَحُ ذَنْـبِ
جـاءني داعيـاً وقـال ائْـتِ إنِّي أولِمُ[٤] اليـومَ، قلـتُ: قلـبَ المُحِـبِّ

ومثله قول ابن مكانس[٥]: [الخفيف]

قـال خِـلِّي لحبيبِـي صِـلْ فَتًـى فيـك قـد أضْـحَى مُعَنًّـى مُغْرَمـا
قـال هـل يُـولِمِ إن واصَـلْتُه قـال إن فـازَ بثَغْـرٍ أوْ لَمَـى[٦]

وله أيضاً[٧]: [الطويل]

وحَقِّـكَ لـو أتلَفْـتُ مـالي جميعَـه لمـا رَضِيَ الواشـونَ فيـك مَكـارِمِي

(١) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٤؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٦٠.
(٢) في (ظ): «وله». والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٤؛ خلاصة الأثر، ١/ ١٦٠.
(٣) في (ظ): «كسري».
(٤) أولم: من الألم، ومن الوليمة. (ج).
(٥) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٤-١٣٥.
(٦) أولما: من الوليمة، ومؤلف من (أو) العاطفة، واللمى. (ج).
(٧) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٥.

ولـو أنَّنـي أَوْلَـمْتُ ألـفَ وَلِيمَـةٍ لأجلـك لم يـشكرْ عَـذُولي ولائمِـي

ونحوه قول الصَّلاح|الصفدي|[1]: [المجتث]

يـا مَـنْ إذا مـا أتـاهُ أهـلُ المحبـةِ أَوْلَمْ

أنـا محبُّـكَ حقًّـا إن كُنْـتَ في القـومِ أو لَمْ

* * *

عوداً على بدء، ومن قصيدة له[2]: [الوافر]

تَفُـتُّ فـؤادَك الأيـامُ فتًّـا وتَنْحَـتُ جـسمَك الـساعاتُ نَحْتَـا

وتـدعوك المَنـونُ دعـاءَ صِـدْقٍ أَلا يـا صـاحِ أنـتَ أريـدُ أنْتَـا

ومنها في العلم[3]:

وكَنْـزٍ لا يخـافُ عليـه لِـصًّا خفيـفِ الحمـلِ يوجـدُ حيـثُ كُنْتَـا

سـتَجْنِي مـن ثـمارِ العجـزِ جَهْـلاً وتَـصْغُرُ في العُيـونِ إذا كَبُرْتَـا

ومن شعره قوله مضمناً[4]: [السريع]

هِـمْ بِابْنَـةِ الـبُنِّ فقـد وَدَّهـا لِلُطْفِهـا رَبُّ الحِجَـى والـدَّهَا

---

(١) زيادة من (ظ). هو صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٦٩٦-٧٦٤ / ١٢٩٧-١٢٦٣): مؤرخ، أديب، ناثر، ناظم. ولد بصفد وتوفي بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية. مؤلفاته كثيرة، أَلَّفَ نحو خمسين مصنفاً، منها: «الوافي بالوفيات». انظر: شذرات الذهب، ٨/ ٣٤٣؛ معجم المؤلفين، ١/ ٦٨٠. البيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٥.

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٥؛ وخلاصة الأثر، ١/ ١٦٠.

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٥؛ وخلاصة الأثر، ١/ ١٦٠.

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٦؛ وخلاصة الأثر، ١/ ١٦٠.

مُـذْ سـادَتِ العَنْـبَرَ عِطـراً[١] شَـدَا (لا تَـدْعُنِي إلا بِيـا عَبْـدَها[٢])

وقد ضمَّنه القيراطي أيضاً فقال[٣]: [السريع]

في خـدِّ مَـنْ أحبَبْتُـهُ شـامَةٌ مـا النَّـدُّ في نَكْهَتِـهِ نَـدَّها

والعَنْـبرُ الرَّطْـبُ غـدا قـائلاً (لا تَـدْعُنِي إلا بِيـا عَبْـدَها)[٤]

[١٤٨/ب] وهو تضمين لقول الشاعر[٥]: [السريع]

(لا تَـدْعُنِي إلا بِيَـا عَبْـدَها) فإنـه أشرفُ أَسْـمَائِي

يشير إلى مقام العبودية الذي هو أشرف المقامات، ولذا قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، دون نبيه ورسوله ﷺ.

وقال القاضي عياض[٦]: [الوافر]

ومِمَّـا زادَني شرَفـاً وتِيهـاً وكِـدْتُ بأخْمُـصِي أَطَـأُ الثُّرَيَّـا

دُخـولي تحـتَ قولـكَ يـا عِبـادي وجعلُـكَ خـيرَ خلقِـكَ لي نَبِيَّـا

(١) في (ظ): «عطر».
(٢) عجز البيت لبهاء الدين زهير، صدره: «إن ملوكاً ملكت مهجتي»، ديوانه، ص. ٩٨.
(٣) سقطت هذه الجملة من (ظ). والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٦؛ وخلاصة الأثر، ١/ ١٦٠.
(٤) سقط هذان البيتان أيضا من (ظ).
(٥) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٦؛ وخلاصة الأثر، ١/ ١٦١.
(٦) خلاصة الأثر، ١/ ١٦١.

[١٠٩]
أحمد بن عواد[1]

أديب اسْتَمْرَى أخلافَ الصناعة، وجلَب إلى مدائن العلم متاعَه، فجعل الشعر له سلاحاً وسطا[2]، لكنّي رأيتُ شعرَه في الأشعار أَمَّةً وسطاً، كقوله: [الكامل]

حبـــــشيَّة حَـــــسَنيَّة أبـــــصرتُها تهتـــزُّ كالغُـــصْنِ الرطيـــب المثمـــرِ

فـسألتُها عـن جنسِها مـع مـا خَفـي قالَــتْ فـما تَبْغِيــه جنــسي أم حــرِي

وهو[3] كقول الآخر: [الكامل]

بي أمْحَـــــرِيٌّ نـــــاعمُ الخـــــدَّيْنِ ذو شرطَـيْنِ فعلُهــما كفعــلِ الــسَّمْهرِي

لم أدْرِ إذْ صـــافَحْتُ صـــفحةَ خـــدِّه وَرْدٌ زهِـــيٌّ أم خُدَيْـــدٌ أم حَـــرِي-ر

ومثله في الاكتفاء قوله[4]: [البسيط]

رُمْـــتُ التَّغـــزُّلَ في أجفانِـــه فبَـــدَا عِـذارُه فـوقَ وَرْدِ الـوَجْنتَيْنِ طَـرِي-ر

وقـــال قَلْبِـــيَ: لا تَحْفَـــلْ بغَـــزْلِها وخُصَّ عارِضَه بالمدحِ فَهْوَ حَـرِي-ر

تنبيه

هذا نوع من الاكتفاء، لم يذكره المتقدّمون من أهل البديع، وهو الاكتفاء ببعض الكلمة حرفاً أو أكثر، وزاد المتأخّرون من أدباء مصر والشام، ولهم فيه

---

(١) لم أقف على ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٠٧.

(٢) وسطا: (و) حرف عطف. (سطا) فعل. (ج).

(٣) في (ظ): «وهذا».

(٤) البيتان لمحمد بن حسن النواجي. نظم العقيان للسيوطي ١٤٦. (ج).

أشعار كثيرة جمع النَّوَاجِيّ(١) فيها(٢) كتاباً سماه: «الشفا في بديع الاكتفا». والتزموا في أكثره التورية، وقالوا: إن النبي ﷺ تكلم به مرة حيث قال: «كفى بالسيف شا»(٣) يعني شاهد.

لكن يُردُّ عليه: إنه من الترخيم، وهو في كلام العرب مخصوص [١٤٩/أ] بالمنادى، ولم يسمعْ من العرب في غيره إلّا شذوذاً.

والنحاة متفقون أنّه على ندرته مخالفٌ للقياس، وحينئذ يخلُّ بالفصاحة؛ لأنها مشروطة لعدم مخالفته، فلا يصح عدّهُ من المحسنات البديعية التابعة للفصاحة، فإنْ كان لإيهامه فلا يكون نوعاً مستقلًّا. نعم قد يُستأنس له بما في أوائل السُّوَر من الحروف المقطّعة، وإن لم يكن ممّا نحن فيه، فتدبّر.



(١) هو محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي ثم القاهري الشهير بالنَّواجي - نسبة لنواج بالغربية، بالقرب من المحلة - (٧٨٨-٨٥٩ / ١٣٨٦-١٤٥٥): أديب، شاعر، ولد بالقاهرة، ورحل إلى الحجاز حاجا، وطاف البلدان، وتوفي بالقاهرة. مؤلفاته كثيرة، منها: «روضة المجالسة في بديع المجانسة»، و«ديوان شعر»، و«الشفا في بديع الاكتفا». انظر مصادر ترجمته: نظم العقيان للسيوطي ١٤٤، شذرات الذهب، ٩/ ٤٣٣؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٢٢٦.

(٢) في (ظ): «فيه». وردت هذه الكلمة بعد كلمة «جمع».

(٣) حديث رواه عبد الرزاق في المصنف ٩/ ٤٣٤ عن الحسن. (ج).

[١١٠]
عبد الرحمن بن محمد الحُمَيْدِيّ(١)

المتطبّب، شيخُ سوق الورّاقين.

كان أديباً تفتحتْ بصَبا اللُّطف أنوار شمائله، ورقَّتْ على دوح أدبه خُطَبَاءُ بلابله، فإذا صدحتْ بلابل معانيه، وتبرّجت حدائق مبانيه.

جلبنَ الهوى من حيث أدري ولا أدرى(٢)

وله شعر مصنوع، ربّما اتفق فيه ما هو مطبوع، كقوله: [السريع]

أعْدَاؤكَ الحسَّادُ قد زانَهُمْ ... ذا القَيْدُ غَيْظاً بِمَعالِيكَا

كانوا أضاحيك فيا ليتَهُمْ ... عادُوا بذا القَيْدِ أضاحِيكَا

و«ديوانه» بمصر مشهور، إلا أني لم يحضرني منه ما تقرُّ به المسامع والعيون.

ونظم بديعية شرحها في سفر لطيف، وكنت رأيتُ فيها في أوائل زمان الطلب أغلاطاً كثيرة، فلما نبَّهْتُه عليها حنقَ حنقاً شديداً، وزعم أنَّه هجاني، فكتبت إليه متهكِّماً رسالة منها:

مولاي أسرفت في الامتنان، وأسأتَ لنا قبل الإحسان، وعاقبتَ من غير جنايةٍ سابقة، وحرمتَ من ليس له فيك آمال رائقة، فحالي معك كما قيل: إنّه

---

(١) عبد الرحمن بن محمد الحميدي المصري (ت: ١٠٠٥/ ١٥٩٦):أديب، شاعر. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١١٤؛ وخلاصة الأثر، ٢/ ٢٧٦.

(٢) أقول (ج): عجز بيت لعلي بن الجهم، الديوان ١٤١، وصدره:

عيون المها بين الرصافة والجسر.

هبَّت ريحٌ شديدة، فصاح الناسُ القيامة القيامة، فقال بعض أهلِ الخلاعة والمجون: ما هذه القيامة على الرِّيق، أين أَشراطها؟ أين الدَّجالُ والمهدي؟ وفي ذلك أقول(١): [السريع]

أسرفتَ في الصَّدِّ فخَفْ خالِقاً لا يرْتَضِي إسرافَ مَخْلُوقِ

يا هاجراً مَنْ لم يَذُقْ وَصْلَه جرَّعْتَهُ الصبرَ على الرِّيقِ

[١٤٩/ب] وقد قلت لمبلغ الرسالة لما ذكر الخطأ الفاضح في تشابه الأطراف البديعي: [الكامل]

بِكُما عَلِمْتُ تَشابُهَ الأطرافِ مِنْ فَنِّ البديعِ ببَحْثِهِ وجِدالِهِ

ونحن نقول بالموجب(٢)، والسلام.

---

(١) في ريحانة الألبا، ٢/ ١١٦؛ وخلاصة الأثر، ٢/ ٢٧٧.

(٢) وذلك أن الشهاب مما اعترضه عليه: تشابه الأطراف، فإنه أخطأ في حدِّه ومثاله. ريحانة الألبا ١/ ١١٥. (ج).

[١١١]
بدر الدين بن يوسف المنهاجي(١)

أديبٌ متأخِّر الزمان، متقدِّم في حلبة الرهان.

وأنا وإن لم أره، فقد رآى الرَّوضُ مَن رأى ثَمَرَهُ، ولا أقول: البعرةُ تدلُّ على البعير، فإنّه ليس في العير، ولا في النفير(٢).

وممّا رأيتُهُ من آثاره، ما قرأتُهُ في دفترٍ كسرَهُ لأشعاره، قوله: [الكامل]

ولقد ذكَرْتُكِ والدِّماءُ جَداوِلٌ ... وجِراحَتِي في الجِسْمِ لا أُحْصِيهَا
بِمَواقِفٍ تَسْلُو النُّفُوسَ حَيَاتُهَا ... جَزَعاً ويُنسي العالَمِين بنيهَا

وقال: إنَّه أحسنُ من قول ابن مطروح(٣): [البسيط]

أرسلتها(٤) والعَوالي في الطِّلا تردُ ... في مَوْقِفٍ فيه يَنْسَى الوَالِدَ الوَلَدُ
وما نَسِيتُكَ والأرواحُ سائلةٌ ... على السُّيوفِ ونارُ الحَرْبِ تَتَّقِدُ

لأنَّه لا مبالغة في نسيان الولد لوالده؛ بل في عكسُه.

وقد سبقَ لهذا الانتقاد غيره، وهو اعتراضٌ مشهور، إلّا أنّه قد ردَّ بأن المراد أنّه ينسى ناصره بقرينة المقام وليس للولد ناصرٌ أعظم من أبيه، فإذا نسيه لم يكن له

---

(١) الشيخ بدر الدين بن محمود بن يوسف المنهاجي المصري (...): أديب مصري. له «تذكرة في الأدب». انظر: كشف الظنون، ١/ ٣٩١.

(٢) في (ظ): «النفير».

(٣) ديوانه، ص. ١٩٦.

(٤) في الديوان: «أصدرتها».

ناصرٌ قطُّ، وليس هذا مقام شفقة ومحبة حتى يتوهّم ما ذكر.

وأول من ذكر هذا عنترة بنُ شداد في قوله(١): [الكامل]

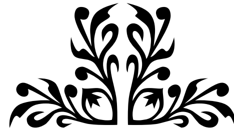
ولقد ذكَرْتُكِ والرِّماحُ نَوَاهِلٌ مِنِّي وبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

فوَدِدْتُ تقْبِيلَ السُّيوفِ لأنها بَرَقَتْ(٢) كبارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ

وتابعه كثيرٌ كمحمد بن ساري(٣) في قوله: [الكامل]

ولقد ذكَرْتُكِ والسيوفُ جَداولُ والسمرُ قضبٌ والسِّنانُ زهورُ

فغدوتُ أنْهَلُ من خمورِ دمٍ جرَتْ وأقولُ هذي رَوْضَةٌ وغديرُ



(١) معلقته في ديوانه، ص. ١٦.

(٢) في الديوان: «لمعت».

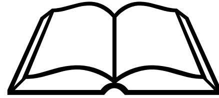
(٣) لم أقف على ترجمته.

[١١٢]
راجِح بن الرِّفاعي(١)

شاعر من شعراء العصر، [١٥٠/أ]

أورد له المنهاجي في «تذكرته» قوله لمن أهدى له حلوى: [السريع]

|ذكَرْتُ مَحْبُوبِي وقد أُهدِيَتْ حَلْواءُ لَذَّتْ منه في آنِيَهْ
فقُلْتُ دَعْهَا إنَّنِي في غِنًى عنه بذِكْرِي حالِه الحالِيَهْ|(٢)



(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) زيادة من (ظ).

[١١٣]
رَمضان الهُوِّيّ(١)

شيخ مُهْوي، أحمق من الشيخ المهوي(٢).

طال عمرُه على الليالي حتَّى أغلقها(٣)، ولبس حُلَل الجدِيدَيْنِ حتى أخلقها: [الخفيف]

وَسِـخُ الثَّـوْبِ والعمامـةِ والـبِرْ ... ذَوْنِ والوَجْـهِ والقَفَـا والغُـلامِ(٤)

وكان كثيراً ما يتعنّى بغريب الكلام، والتصرّف في أنواع الالتزام حتى عارض «المقامات الحريرية»، وأتى بكلمات حوشية وحشية.

وكان لسانه مقراض الأعراض، وله في الأهاجي قصائد فاسدة الأغراض.

و«هوّ» بلدة بالصعيد، لم يأت منها نجيب ولا سعيد، ولا يسوء الفؤاد إلا هو.



(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ٩١.

أقول: هوّ: بلدة في الصعيد الأعلى، بالجانب الغربي دون قوص. معجم البلدان، والخطط التوفيقية ١٧/ ٢٥. (ج).

(٢) في ريحانة الألبا ٢/ ٩١: أقبح وأحمق من الشيح [بالمهملة] المهوي. (ج).

(٣) كذا في الأصلين، وفي ريحانة الألبا ٢/ ٩١: حتى أقلقها. (ج).

(٤) البيت في محاضرات الأدباء ١/ ٦٣٧ لابن الحجاج. (ج).

[١١٤]
زين الدين بن الجزري[١]

هو ممّن ورد القاهرة، وتنَزّه طرفُه في رياضها الزاهية الزاهرة.

ولم أر من بزَّ حِبَرَه، ولم يعلقْ في عَيْبَةِ حِفْظي من خُبْرِهِ وخَبَرِهِ، إلَّا مقامةٌ أنشأها لما ورد مصر وحِماها، فلم تُمتّعْه بنفحةٍ من ريّاها، اخترت منها قوله:

حكى الناقد بن سيار، وقد وضعَ عصا التسيار، قال: كنتُ أَسمع في باكورة الشباب، وريعانِه العذب المُستطاب، أنّ بمصر من يعوَّلُ عليه في الملمّة، ويُسفرُ جودُه عن صبح حنادسها المدلهمّة: [البسيط]

مـن تلْـقَ مـنهمْ تقُـلْ لاقيـتُ سَـيِّدَهُمْ ... مثلَ النُّجومِ التي يَسْرِي بها السَّارِي[٢]

وكنت مُصاحِباً فُقَرَاء وبُوسا، وقلب كسا[٣] أفرغ من قلب أم موسى، ولما لم أر طائلاً، وَلَّيْتُ عنها قائلاً: [المنسرح]

ضـاقتْ ولـو لم تـضقْ لمـا انفرجَـتْ ... والعُـسْرُ مفتـاحُ كـلِّ مَيْـسُورِ[٤]

ثم ثنَّيت بهذا البيت: [الطويل]

وكـم فاقـةٍ بـاب الغِنَـى مـن خِلالهـا ... يلـوح وكَـمْ عُسْرٍ تَكـشَّفَ عـن يُسْرِ

---

(١) في (ظ): «الجزيري». لم أقف على ترجمته.

(٢) البيت لعُبيد الله بن العَرَنْدَس، الكامل للمبرد ١/ ١٠٦. ونُسب للعرندس في شرح الحماسة للمرزوقي ١٥٩٣. (ج).

(٣) في (ظ): «كيس».

(٤) البيت في الكشكول للعاملي ١/ ٢٦٤ من غير عزو، وهو في المستطرف ١/ ١١٦.

ومنها: قد كان شراب الأصول يُداوى به العليل، والآن [١٥٠/ب] ليس في غير الدِّيناري شفاءٌ للغليل، ألم تسمع أن الدراهم لجروح العدم مراهم، وقد استردَّتِ الأيام، ودائع الكرام والمكارم.

وممّا يناسب هذا فصلٌ قلته، وهو: القلبُ يجزع، والعين تَدمع، وحسن التجلّد أنفع، على أنَّها الأيام، إن قالت في الملام: [الطويل]

ومَا المالُ والأَهْلُونَ إلا وَدائِعٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الوَدائِعُ[١]

فما الولعُ بالجزع والهلع؟ فها أنا أقول كما قال الآخر: [الطويل]

لَحَا الله دَهْراً شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ تَقَاضَى فلم يحسن إلينا التَّقَاضِيَا[٢]

فالدهرُ إن طالب بردِّ ما منح ماضيه، فإنَّه لم يحسن في تقاضيه، لاستعجاله في الردِّ، واعتسافه في الأخذ، والعواري ترتجع والمنائح تسترد، على وجه لا يخلّ بالإجمال، ولا يُفسد ما تقدّم من الإِفضال.

* * *

(١) البيت للبيد بن ربيعة، الشعر والشعراء ١/ ٢٧٩. (ج).

(٢) البيت في شرح الحماسة للمرزوقي ١٠٧٦ لأعرابي. (ج).

[١١٥]

منصور البِلبِيسي[1]

ندبٌ اتَّجر في بضائع الأدب، وأخذ ثماره[2] الجنيَّة من كثب[3]، ثم أعوزته البيضاء والصَّفراء، حتى غلبتْ عليه المِرَّةُ السَّوداء.

وكان له فنون جنون، انعكستْ عليه فإذا الجنون فنون، فجعل دساكر[4] القهوة رحلة صيفه وشتائه، وهوى الأحبة منه في سويدائه.

ومن شعره قوله في تاج الدين بن الجَيِّعان يرميه بمرضِ أكابرِ الزمان:

[السريع]

قلتُ لتاجِ الدِّينِ في خَلْوةٍ ... وقد عَلاهُ عَبْدُه الأَكْبَرُ

التَّاجُ يَعْلُو فوقَهُ غَيْرُه ... قال نَعْمَ يا قوتُ أو جَوْهَرُ

* * *

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٤٤.

أقول: وبلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. (ج).

(٢) في (ظ): «ثمارة».

(٣) في (ظ): «من كتب».

(٤) الدسكرة: قصر ومحل الخمر. شفاء الغليل، ص. ١٤٧.

[١١٦]
عبد القادر محيي الدين بن الغَزِّي[1]

نزيل مصر.

بدر سماء الكمال، وكوكب غرة الإقبال، فاحت من أخلاقه روائحُ الجنان، وفضحتْ كلماته عقودَ الدرّ والمرجان.

رأيته بمصر ومورد عيشه صافي، وبردُ نعيمه على معاطف نعمته ضافي، وهو مدرِّسٌ بإحدى مدارسها، ومُحْيٍ لعاطلِ رسمها ودارسها.

وله شعر نازل، [١٥١/أ] كقوله في تقريظ شعر لبعض الأفاضل: [البسيط]

سِحْرٌ حَلالٌ به قد حارَتِ الفِكَرُ ... أم عقدُ دُرٍّ على اللبَّات ينتثرُ

أم الثُّريا بدا عنقودُ روضتها ... أم أشرقَ الكوكبان الشمسُ والقَمَرُ

نعم تجلَّتْ بآفاقِ النُّهى صُوَرٌ ... يُتْلَى على الدَّهْرِ من أخبارِها سُوَرُ

في فَتْحِ تَبْرِيز آياتٌ مُبَيّنَةٌ ... من بَعْدِها المُنْذِرانِ الخَوْفُ والحَذَرُ

أتاهمُ مِنْ بني عثمان قاصِمَةٌ ... شُبَّانُهَا الغرُّ بالشَّيْخَيْنِ[2] قد نُصِرُوا[3]

صَواعِقُ النارِ جاءَتْهُم على عَجَلٍ ... فَصَيَّرَتْهُمْ قُبورًا قَبْلَ[4] ما قُبِرُوا

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٥٣. وهو فيه محيي الدين الغزي.

(٢) الشيخان: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأرضاهما. (ج).

(٣) في (ظ): «انتصروا» بدلا من «قد نصروا».

(٤) في (ظ): «بعد».

سَطا عليهِمْ مُرادُ الله حينَ سَطَوْا ... على الصَّحابَةِ فاشْتَاقَتْ لهم سَقرُ

وهي طويلة.

وله يداعب الخصوصيّ: [مخلع البسيط]

يا راكِبَ البغلةِ الشَّمُوسِ ... وقائدَ المُهْرِ والقَلُوصِ

بساحِلِ المَرْجِ لا تُعَرِّجْ ... وانزِلْ على ساحلِ الخُصُوصِ[1]

وقوله أيضاً |فيه|[2]: [مخلع البسيط]

أُحِبُّ مِصْرَ التي تَسامَتْ ... ففَضْلُها جاءَ بالنُّصُوصِ

لأنَّ مَقْتَ الإلهِ ربِّي ... قد حَلَّ في الرومِ بالخصُوصِ



(١) في (ظ): «الخصوصي».

(٢) زيادة من (ظ).

[١١٧]
أحمد الغزي(١)

أحمد بن محيي الدين الغزي المذكور: شهاب طلع في أفق الكمال غرّة، وجرّ(٢) أذيال همّته بساحل نهر المجرة. فنثر ونظم. [الرجز]

«ومَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ(٣)»

لكنه احتُضر قبل حصاده، وغصَّ قبل ريِّه في إصداره وإيراده.

فمن لمعات ذلك الشهاب، وقطراته العِذاب. قوله من قصيدة: [البسيط]

الجَوْهَرُ الفَرْدُ من مَعْناك مُنْتَشِرٌ ... والمَنْدَلُ الرَّطْبُ مِنْ رَيَّاك مُنْتَشِرُ
بَراعَةُ المجدِ قد صاغَتْ يَراعَتَه(٤) ... فكلُّ ما صِيَغ مِنْ ألفاظِهِ غُرَرُ
لولا نداه لذابَتْ مِنْ بَلاغَتِهِ ... خوفاً ولولا سطاهُ أَورقَ الحجَرُ
ذُو العزمةِ البكر لا يفتضُّ معركةً ... إِلَّا يحيضُ لديها الصَّارم الذكرُ
[١٥١/ب] المتلفُ المال يُحْيِي(٥) المَكْرُماتِ به ... والقابلُ القول مقتول به الحصرُ

(١) ابن عبد القادر محيي الدين بن الغزي. ريحانة الألبا، ٢/ ١٥٤.

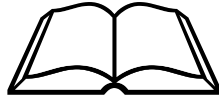
(٢) في (ظ): «جرر».

(٣) هذا عجز بيت لرؤبة بن العجاج، صدره: «بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَمْ». شرح ابن عقيل، ١/ ٥٠.

(٤) في (ظ): «براعته».

(٥) في (ظ): «محيي».

جادَ يـدُهْ ومياه[١] السُّحْبِ جامدةٌ[٢] مقـدَّمٌ وضرامُ[٣] الحـرْبِ تَـسْتَعِرُ
كـلُّ الـشُّهورِ ربيـعٌ عنـد مَقْدَمـهِ وكـلُّ شـهرٍ سـوى أيامـه صـفَرُ
يـا مَـنْ أياديـه أبكـارٌ أَفـوزُ بهـا ومَـنْ زمـاني لديـه كلُّـه بُكَـرُ



(١) في (س): «فجاء يد ومياه».
(٢) كذا في الأصلين، ولعلّها: جادت يداه وماء السحب جامدة. (ج).
(٣) في (س): «ومقدم وضرام».

[١١٨]

عبد المنعم الماطي[١]

أديب، أسكرنا بلفظه العذب الانسجام، وجلى علينا من مدام فكره في نادي الأنسِ جام، وكان في شرخ الشباب، وطليعةِ إقبالِهِ العجاب[٢]: [الطويل]

زَمــانِي بــه كــالوَرْدِ طيبــاً وبَهْجَــةً (فيا ليتَ ذاكَ الـورد كـان نَـصِيبِي)[٣]

وفي بحر طبعه لنا رِيٌّ، وإن توقّد نار ذكائه لنارِيّ، ورقصةُ على مقدار إيقاع زمانه، وشعره أكثره سخفٌ يُقَعْقَعُ بشنانه[٤]، كقوله[٥]: [الطويل]

إذا رامَ محفــوظٌ يُرِينِــي للــشِّرا مــن الـدَّفْنِ قطـراً لا نَظِـيرَ لحُـسْنهِ

فَقُولُــوا لـــه إني وحَــقِّ حَياتِــه مُــرادِي أرَى تَعْلِيقَــه قبــل دَفْنِــهِ

وقوله أيضاً[٦]: [الوافر]

وعــن كــبَشْ الـذَّبِيحِ سـألتُ يومـاً خَبِــيراً بــالعُلومِ أتــى إليَّــا

---

(١) عبد المنعم الماطي المصري (ت: ١٠٠٥/١٥٩٦): شاعر مصري، توفي بمصر. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٤٦؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٩٠.

(٢) في (ظ): «الإعجاب».

(٣) عجز البيت لابن نباتة المصري، وصدره: « تفتَّحَ في وجناتِه الوردُ أحمراً ». ديوانه، ص. ٦٣.

(٤) جاء في مجمع الأمثال للميداني (١٦١٠): لا يقعقع له بالشنان. القعقعة صوت الشيء الصلب على مثله، والشنان جمع شن، القربة اليابسة، معناه: ليس هو مما تفزعه القعقعة. (ج).

(٥) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٤٦-١٤٧؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٩٠.

(٦) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٤٧؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٩٠.

أيَحْيَـا الكَـبْشُ بعـد البَعْـثِ أيـضاً فـأَخْبَرِنِي[1] بـأَنَّ الكـبشَ يَحْيَـا

تكميل

الماطي: عند عامة مصر: الذي يصنع حشو الألحفة والفرش، وهو غلط من الأنماطي.

والدفن والتعليق: نوعان من حل السكر. ورَّى بهما عن الصلب والوضع في القبر، فاعرفه.



(١) في (ظ): «فقال: نعم».

[١١٩]

صفي الدين بن محمد العِزِّي(١)

ماجد إذا تُلِيتْ آياتُه ركع لها القلم وسجد، سندُه في الحديث لعلوِّه ينزلُ بين العلياء والسند، وحديث فضله مرفوع، وحاسده ضعيف مقطوع.

وهو من أشياخي الذين رويت عنهم «السنن»، وتشرّفتُ بملقاه الحسن.

ومن شعره قوله في مليح نحاس: [البسيط] [١٥٢/أ]

عَـلِيُّ رِفْقـاً بمَـنْ ذابـتْ حَـشاهُ ضَـنىً ... صَبٌّ أزالَ الكَرَى من مُقْلتَيْـهِ وصَـبْ

حَدِيــدُ قَلْبِــكَ يــا نَحَّــاسُ يَمْنَعُــهُ ... لُجَيْنُ جِسْمِكَ والنَّوْمُ المَصُونُ ذَهَـبْ

وله في نديمه المعروف بالصِّحافي(٢): [المجتث]

يــا عــاذِلِي في هَــوَاهُ ... تَــلافَ قَبْــلَ تَــلافِي

وهَـاتِ لي الـدَّنَّ واجْمَـعْ ... بَيْنِـي وبـينَ الـصِّحافِي(٣)

* * *

---

(١) صفي الدين بن محمد العزي (...): ريحانة الألبا، ٢/ ٩٨.

ورد اسمه في (س، ظ): «الغزي»، وهو تصحيف من الناسخ.

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) البيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٩٨.

[١٢٠]
أحمد بن علي العِزِّي(١)

شابٌّ رقيق الجِلباب، يقطُرُ من اللطافة والشباب، تأدّب وبرع، ووعى ما جمع، مُعتكفاً في زوايا الخمول، مُلتقطاً لجواهر الفضائل من أفواه الفحول.

وكان في زمن الطلب خِدْني، يجنِي من خمائله كما أجني.

حتى(٢) اقتطفتْ يد المنية زهرة حياته، وشربت بقايا لذاته، فنأى غيرَ مرجوٍّ لارتجاعه، وطلوع بدره من ثنيات وداعه، وانصباب سيل تلعته، وجريان صفو مائه حيث كان من روضته.

ووالده من شيوخ العربية، وصدور أنديتها الندية.

ومن شعره قوله(٣): [الكامل]

لا زالَ هــذا الجَمْــعُ جمــعَ سَــلامَةٍ ... لا نَقْـــصَ يَعْـــرُوهُ ولا تَغْيِـــيرُ
والجمْــعُ مـــن أعــدائكُمْ في قِلَّــةٍ ... ونَظـــيرُ تلـــك القِلَّـــةِ التَّكْثِـــيرُ

* * *

(١) أحمد بن عثمان بن علي بن محمد بن علي بن محمد العزي المصري المالكي (ت: ١٠٠٩/ ١٦٠٠): شاعر، أديب. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٩٩؛ وخلاصة الأثر، ١/ ٢٤١.
ورد اسمه في (ظ، س): «الغزي»، وهو تصحيف من الناسخ.

(٢) في (س): «حين».

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ٩٩؛ وخلاصة الأثر، ١/ ٢٤٢.

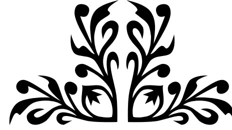
[١٢١]
عمر العمري[1]

أديب نظمٍ ونثر، وشعَر بعدما شعر، وحاله أضيق من فمِ الحبيب، وصدرِ الرقيب الكئيب، كمصحفٍ في بيت زنديق، أو سِرٍّ في صدر غير صديق.

وله شعر منه قوله[2]: [مخلع البسيط]

رُبَّ ثَقِيــلٍ إمـــامِ قـــومٍ ... يــؤُمُّ بالنَّــاسِ ثــم يُجْحِـفْ

خـالَفَ في الفعـلِ قـولَ طَـهَ ... مَنْ أَمَّ بالنـاسِ فَلْيُخَفِّفْ[3]



(١) في (ظ) و في ريحانة الألبا: «العزي». ٢/ ١٠٠.

(٢) في (ظ): «ومن شعره قوله» بدلا من هذه الجملة.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلَّى أحدكم للناس فليخفف؛ فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلّى أحدكم لنفسه فليطوّل ما شاء».

رواه البخاري (٧٠٣)، ومسلم (٤٦٧)، والموطأ ١/ ١٣٤ (٣٠٣)، وأبو داود (٧٩٤، ٧٩٥)، والترمذي (٢٣٦). (ج).

[١٢٢]
رجب الشَّنَوَانِيّ[1]

ناظم قلائد المِدَح، وخاطبُ خرائد المُلَحِ.

ومولده شَنَوان، وهي بلدة قرب منف صوِّرَتْ بها الجنان، كانت مخيم لذَّاته ومعاهد أترابه وَلِداتِهِ، ثم ارتحل إلى الجامع الأزهر، فأثمر به روض [١٥٢/ب] طبعه وأزهر، ولم يزل معانقاً للخمول، وروضه بِطلّ أدبه مطلول.

وكنتُ كثيرا ما أَجْتَلي به وجه وِداده، وأُوقِدُ نار الفكر بقدح وارِي زناده، وأَسْتظلُّ بدوحه المَرِيع، وأَستمدُّ من بحر فكره السريع، وأُسامره بما يعيد عهود الرَّقْمتين[2]، وأَنْتَزهُ من صفات رجب وذاته في الربيعين، إلّا أن مُفاكهة أسماره، ألذُّ عندي من فواكه أشعاره.

وله أخلاقٌ غضّة، ونقودُ أدبٍ نضَّة، أَطْوَعُ من الكأس للنديم، ومن قدود القضيب لراحة النسيم، فمن رأى رجباً فقد رأى عجباً لا زال ضجيع الغفران، جليس ملائكة الرضوان.

فمن حباب مدامه، الرائق في انتظامه، قوله فيما كتبه إلي: [الطويل]

أُقبِّــلُ بالأَجْفــانِ يــا ســادَتي أرضــا ... وبالقُرْبِ لا بالبُعْدِ مِنْ حيِّكُمْ أرضَى

---

(١) ريحانة الألبا، ٢/ ١٠١.

أقول: وشنوان: قرية من مديرية المنوفية، قبلي ناحية شبين الكوم، انظر الخطط التوفيقية ١٢/ ١٣٨. (ج).

(٢) الرقمتان: قريتان بين البصرة والنباج، على شفير الوادي. معجم البلدان. (ج).

وإن سـارَ نجـمٌ في المـساءِ ذكـرتُكُمْ وحنَّتْ لكم من بُعْدِكُمْ سائرُ الأعـضَا
وإن جعَــل النــاسُ المحبَّــةَ سُــنَّةً جعلتُ على طولِ المدَى حُبَّكُم فرضَـا
ووالله إنَّ العــينَ مــن بَعْــدِ بُعْــدِكُمْ جَفاها الكَرَى عَمْداً فليستْ ترَى غَمْضَا
وإن لم تَفُـزْ مـنكمْ برؤيـةِ وَجْهِكُـمْ فأرْواحُنـا حتـى تُـواجِهُكُمْ مَـرْضَى

وقوله أيضا: [مجزوء الرجز]

لا تجعلـنَّ عـلى اللِّحـى وغيرِهـــا مأْسَـــفَتَكْ
واعـشَقْ مَلِيحـاً أَهْيَفـاً كـالرُّمْحِ إِنْ مـاسَ فَتَـكْ

وله من قصيدة طويلة: [الطويل]

تهلَّـلَ وجْـهُ الـدهرِ بـالنُّور والهـدى وأشرقَ روضُ النَّـورِ بـالقطرِ والنَّـدَى

ومنها: [الطويل]

وفــتَّحَ أحــداقَ الحــدائقِ هاطــلٌ مـن الطـلِّ خـدُّ الـوردِ منـه تـورَّدَا
ومـن لطـفِ خُلْـقِ النِّيـلِ جـاءَ مخَلَّقـاً ومِنْ عُظْمِ غَيْظِ البحـرِ أَرْغـى وأَزْبَـدَا
ومـا يَـسْتَوِي البحـرانِ هـذاك مـالِحٌ أُجـاجٌ وهـذا طـابَ للنَّـدِّ[1] مَـوْرِدَا[2]



(١) في (ظ): «ريحا».

(٢) هو من قوله تعالى في سورة فاطر (١٢): ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾. (ج).

[١٢٣]
شمس الدين البصير[١]

نزيل الخانقاه السرياقوسية.

ضريرٌ كأنَّ الله أراد ألَّا ينظر إلّا إلى جنانه، فأغمدَ صارم طرفه في غمدِ أجفانه[٢]: [مخلع البسيط] [١٥٣/أ]

واللهِ مـــا في الزَّمـــانِ[٣] شيءٌ   تأســى عــلى فَقْــدِه العُيــونُ

وهو ذكي لَوْذَعِيٌّ، فَطِنٌ أريب ألمعيٌّ، عُجِنَتْ طِينتُه بماءِ المعارف، وتآختْ طبيعتُه مع العوارف.

وكان في غِرَّة العمر رفيقي، وفي روض التحصيل شقيقي، إلى أن اخْتَرَمَتْ شبابه يدُ الأجل، فقطعتْ شمسُ حياته منطقةَ العمر والأمل، بعدما آذنَتْ بالزوال، وغَرُبَتْ بعدما طلعتْ من مشرق الإقبال.

فمن شموسِ معانيه، المشرقة في حالة مبانيه، قوله: [المنسرح]

مــا بــين حــربِ العيــونِ والُمهَــجِ   جَـرَى دَمِـي عَنْـدَماً مـن الـوَهَجِ[٤]

لا حُلْـــتُ واللهِ أو أُقْطَـــعَ عـــن   ريـــمٍ مِـــنَ الـــتُّرْكِ كَـــيِّسٍ غَـــنِجِ

مُكَحَّـــلِ النـــاظرَيْنِ ذي حـــوَرٍ   مُـــضَرَّجِ الـــوَجْنتَيْنِ ذِي بَلَـــجِ

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ٨٢.

(٢) البيت لبشار بن برد في ديوانه، ص. ٤١٤.

(٣) في الديوان: «تَالله ما في البِلادِ».

(٤) أقول (ج): كذا، وفي ريحانة الألبا ٢/ ٨٢:

بين حروب العيون والمهج   دمعي جرى عَنْدَماً من الوهج

لا تَنْهَنِــي عــن تَهتُّــكِي أبــداً[١] لــيس عــلى المــسْتَهامِ مِــنْ حَــرَجِ

قلت: ولا على الأعمى حرج[٢].

وقوله: [الخفيف]

قلــتُ لَــمَّا أراد مِــسْكاً وخمــراً ذو دَلالٍ وأعــــيُنٍ ســــحَّارَهْ
لـــكَ واللهِ نَكْهَـــةٌ في رُضـــابٍ تلـــك عَطَّـــارَةٌ وذي خَمَّـــارَهْ

وهذا كقول ابن نُباتة المصري[٣]: [الخفيف]

لا تخــفْ عَيْلَــةً ولا تخْــشَ فقــراً يـــا كثـــيرَ المحاســـنِ المختالـــهْ
لــك عـــينٌ وقامـــةٌ في البَرايـــا[٤] تلـــك غَزَّالـــةٌ وذي قتَّالَـــهْ

وله في مليح معروف ملمِّحاً لأمرٍ معهود: [البسيط]

أَحْبِــبْ بِــه قارئــاً أمــسى لــه نغــمٌ أحْلَى وأملـحُ مـن ضربِ النـواقيسِ
يـا حُـسْنَهُ مـن مليـحٍ راقَ مبـسمُه لكِنَّـهُ قـارئٌ يَـرْوِي عـن الـسُّوسِي[٥]

وهو في الإيهام كقول الفَيُّومي[٦]: [البسيط]

نـسيمٌ مـن ديـارِ الخـلِّ[٧] هـبَّ عـلى مَوْتَى الفراقِ يحاكي النَّفْخَ في الصُّورِ
يــروِي أَطايِــبَ نــشرٍ مــن ديــارِكمُ ما أحسنَ النشرَ إذْ يُرْوَى عن الدُّورِي[٨]

(١) في ريحانة الألبا: لا أنتهي عن تهتكي. (ج).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور (٦١): ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾. (ج).

(٣) ديوانه، ص.٤٢١.

(٤) في الديوان: «وقامة كل يوم».

(٥) هو أبو شعيب صالح بن زياد السوسي المقرئ، توفي سنة (٢٦١هـ). (ج).

(٦) هو شهاب الدين أحمد الفيومي الذي تقدمت ترجمته تحت الرقم [٥١].

(٧) في (ظ): «الحب».

(٨) هو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري الضرير المقرئ توفي سنة (٢٤٦هـ). (ج).

[١٢٤]
محمد البُلَيْنِي[١]

[١٥٣/ب] فاضل شافعيُّ المذهب، ولبيبٌ طرازُ فضله بالآداب مُذْهَب.

من القوم |الذين|[٢] في طرق الخيرات ساعون، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨].

وقد أفسد شعره كثرة غريبه، ونفى بتعقيده[٣] نسب نسيبه.

فمنه قوله من قصيدة طويلة مطلعها[٤]: [البسيط]

أهـــلاً بـــه ملَكـــاً في زيِّ إنـــسانِ ... أهــلاً بــه قادمــاً في شــهر نيــسانِ

ومنها[٥]: [البسيط]

أبكي على حَيْنِ مَرْغُوسٍ عليَّ جنى ... ومِــنْ تــلافيَ فيــه قــد تلافــانِي[٦]

---

(١) هو محمد بن ناصر الدين بن علي البليني المصري (ت: ١٠١٩/ ١٦١٠): الشاعر الأديب، علت له شهرة في عصره، نسبته إلى بُلينة في الصعيد، توفي بمصر. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٧؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٢٣٦؛ ديوان الإسلام، ١/ ٣٠١؛ الأعلام، ٧/ ١٢١. وفي (س): «البلقيني» وهو خطأ من الناسخ.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) في (س): «بتعقيد».

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٧؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٢٣٦.

(٥) في خلاصة الأثر، ٤/ ٢٣٦.

(٦) في (س): «ومِنْ تلافي تلافي مذ تلافاني».

الحَين بفتح الحاء: الهلاك، والرغس: النعمة، ومنها[1]:

وانْتاشـنِي باليـدِ البيـضاءِ سـؤْدَدُهُ ... مـن أسـودِ الخَطْـبِ لَمَّـا أن تَخَطَّـانِي

|منها|[2]:

قد كنتُ غصَّانَ بالماءِ الزُّلالِ وهَلْ ... يَجْرِي سوى الماءِ في حلقوم غصَّانِ

صَدْيانَ[3] أَشْكُو فلا أُشْكى كأَنْ خَرَسَ الصْـ ... ـصَدَى وَصُمَّ فلا يَجْرِي بِمَيدَانِ

يا جامعاً شمل أشتاتِ الفضائل في ... جثمانه عزَّ من جَمْعٍ وجثمانِ

ومن تفرَّدِ في هَضْبات عزْمَتِه ... أليَّة ما لِفَرْدٍ مِنْكَ مِنْ ثانِي

حجَبْتَ غيرك عما ظلْتَ تملكُه ... إرثاً من الفضل حجْباً حجْبَ حِرْمانِ

وقوله: (قد كنت غصان) معنًى مطروقٌ، كقوله[4]: [البسيط]

من غُصَّ دَاوَى بِشُرْبِ الماءِ غُصَّتَه ... فكيف يصْنَعُ مَن قد غُصَّ بالماءِ[5]

وفي معناه قوله: [الخفيف]

كنتُ في مِحْنَتِي أَفِرُّ إليهمْ ... وهُمُ مِحْنَتِي فأين المفرُّ[6]

ولأبي فراس [الحمداني][7]: [الكامل]

قَد كُنْتَ عُدَّتِيَ التي أَسْطو بِها ... وَيَدِي إِذا اشْتَدَّ الزَّمانُ وَساعِدِي

(١) في خلاصة الأثر، ٤/ ٢٣٦.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) صديان: عطشان.

(٤) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٣٩؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٢٣٦.

(٥) البيت ورد من غير عزوٍ في كل من التمثيل والمحاضرة ٢٥٧، والعقد الفريد ٣/ ١٠٤. (ج).

(٦) كذا في (س، ظ) وفي العقد الفريد ٣/ ١٠٣: من منحتي....... فأين الفِرار. (ج).

(٧) ديوانه، ١/ ٧٣.

فَرُمِيــتُ مِنــكَ بِغَــيرِ مــا أَمَّلتُــهُ وَالْمَــرْءُ يَــشْرَقُ بِــالزُّلالِ البــارِدِ

وممّا ضمّنته أنا قولي: [البسيط]

قـد كنـتُ أرجـوك للجُـلَّى إذا طرقـتْ فـصرتَ عونـاً لحـسَّادي وأَعـدائِي[1]

مـن غُـصَّ دَاوَى بِـشُرْبِ المـاءِ غُـصَّتَه (فكيف يصْنَعُ مَن قد غُـصَّ بالماءِ)[2]

ومن نثر ابن المعتز: ربما شرق شارق الماء قبل رِيّهِ. [١٥٤/أ]



(١) قال الطغرائي في لامية العجم:

فقلــت: أدعــوك للجُــلّى لتنــصرني وأنــت تخــذلني في الحــادث الجلــل

وفيات الأعيان ٢/ ١٨٦. (ج).

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة حاشية رقم (٥).

[١٢٥]
محمود الأسيوطي(١)

تاجر ربحتْ بالأدب منه التجارة، فبدت وجوه كماله وعليها من رونقها نضاره، فنُشرتْ بين يديه بضائع الأدب الزاهر، وقال لطبعه النقاد: على عينيك يا تاجر.

وكانت بينه وبين والدي عهود مودّة، وعروةُ ميثاق أحكمت يدُ الأيام(٢) عقده.

وكان ينشدني شعره في زمن الطفوليَّة، فلم يعلق بعيبة(٣) حفظي وهي من مثله خليَّة، غير قوله في الهزل: [البسيط]

لنا صديقٌ له في الصَّلْج معرفةٌ ... تُفْضِي إلى أنَّه يُمْنِي بغيرِ سَبَبْ
إذا رأى أَمْرَداً كالوَرْدِ وَجْنَتُهُ ... تَذَكَّرَ الشامَ مما قد رأى وحَلَبْ(٤)

و«الصَّلْجُ»(٥) بصاد مهملةٍ، ولام ساكنة بعدها جيم: النظر بشهوة ينزل فيها، وهي لغة عامّية ساسانية.

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٤٠. وهو فيها محمد الأسيوطي.

(٢) في (س): «الأم».

(٣) في (س): «بعينه».

(٤) في البيت تورية: الشام هي البلدة، وهي الشامة. وحلب: هي البلدة، وحلب: جلد عميرة، والاستمناء، ومازالت هذه اللفظة مستعملة حتى الآن. (ج).

(٥) الصَّلْج: دَلكُ الذَّكَر، جلد عميرة. والكلمة عربية، وليست ساسانية. انظر القاموس. (ج).

وله في حلِّ قول ابن الرومي من قصيدة له وهي من معانيه الغريبة[١]:

[الطويل]

فيا لك بحراً لم أجد فيه مشرباً ... وإن كان غيري واجداً فيه مَسْبَحا

مديحي عَصا موسى وذلك أنني ... ضربْتُ به بحرَ الندى فتَضَحْضَحَا

فيا ليتَ شِعْري إن ضربتُ بها الصفا ... أيبعثُ لي منه جَداولَ سُيَّحَا[٢]

كتلك[٣] التي أبدَتْ ثرى البحر يابساً ... وشَقَّتْ[٤] عيونا في الحجارة سُبَّحَا[٥]

سأمْدَحُ بعضَ الباخلين لعلَّه[٦] ... إذا[٧] اطَّردَ المقياسُ أن يَتَسَمَّحَا

وهو قوله: مولاي، إنَّ قلمي مزهر مورق مثمر، ولا أقول أدركته حُرفة الأدب، ولا جرتْ ذيول إعصار الخيبة على رسمه فأجدب، ولكن في سوق الحطب لا يُباع الجوهر، وجامع السّرجين من مراقد البقر لا يعرفُ قيمة العنبر، وما هو إلّا عصا موسى تلقّفتْ كلَّ ما صنعوا، وفيها مآرب؛ بها ذوو البصائر تمتّعوا، فلو ضرب بها صُمّ الصخور، للبَّاهُ ماؤها العذب يفور، أو الجبال تفجّر ماؤها مُتبجِّساً، وإذا ضربت بها البحر عاد يبساً، فيحوز الموالي وأنا وآمالي والسلام. [١٥٤/ب]

(١) ديوانه، ١/ ٥٧٤.

(٢) في (ظ): «سححا».

(٣) في الأصل: «لتلك». والمثبت من الديوان.

(٤) في (ظ): «وسقت».

(٥) في (ظ) و في الديوان: «سفحا».

(٦) في الديوان: «لعله».

(٧) في الديوان: «إن».

[١٢٦]

أحمد بن المحلي المالكي(١)

فاضل فضائله مدوّنة، ومآثره بأنوار فواضله ملوّنة، لم يزلْ فيما مضى، مرفوعاً بنصْبِ القضا، يُفْني أوقاته إفادةً وتدريساً، مُعرِّساً في مناهلها تعريساً.

وقد جمعني وإياه نطاق الزمان، في هالةٍ طلع فيها أهلّةٌ من الأعيان، فرأيته يظنُّ النملةَ جملاً، ويحسب واضحات المسائل مشكلاً، حتى

إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنَّه رجلاً(٢)

فسألني عن سبب منع صرف (أشياء)، مع صرف (أسماء)، فقلت له مُلاطفا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ﴾ [المائدة: ١٠١].

ثم إني كتبت له في جملة أقوالهم مُضَمِّناً، فقلتُ: [البسيط]

أشــياء لَفْعَــاءُ في وَزْنٍ وقــد قلبــوا   لامـاً(٣) لهـا وهْـيَ قبـل القلـبِ شَـيْآءُ

وقِيـلَ أفعـالُ لم تُـصْرَفُ بـلا سـبَبٍ   مـنهمْ وهـذا لوجـه الـضعف إيـماءُ

أو أشـيئاء وحـذفُ الـلامِ عـن ثقـلٍ   وشَــيْئِىءٌ أصــلُ شيءٍ وهْــيَ آراءُ

---

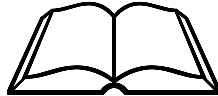
(١) ريحانة الألبا، ٢/ ١٤١.

(٢) أقول (ج): عجز بيت للمتنبي، الديوان ٣/ ٢٨٧، وصدره:

وضاقتِ الأرضُ حتى صار هاربهم

(٣) في (س): «لما».

وأصـــل أســـماء أســـماو كبـــاب كـــسا فاصْرِفْــهُ حَــتْماً ولا تَغْــرُرْكَ أســـماءُ
ومنْــعُ صَرْف إذا مــا كـــان ذا علـــماً لأجــلِ تأنيثــهِ والأصـــل[1] وَسْـــماءُ
فَقُــلْ لِمَــنْ يَــدَّعي في العلــمِ تَوْسِــعَةً[2] حفِظْتَ شيئاً وغابَتْ عنك أشياءُ[3]



(١) في (س): «والوصل».

(٢) في الديوان: «معرفة».

(٣) البيت لأبي نواس في ديوانه، ص. ١٢.

[١٢٧]
سرِيٌّ الدين بن الصائغ الحنفي[١]

سرِيٌّ طابق اسمُه مُسَمَّاه، وكاد أن ينطقَ لفظُه بمعناه.

تدفقت جداول علمه، ونَبَتَتْ في شاطئها حدائق نثره ونظمه، فبدَّلَ صناعة الصياغة، بسبك جواهر البلاغة، فأصبحَتْ ذاته للمعالي إلفا، ولبس جديدَ حلل المجد فأين منه السَّرِيّ الرَّفَّا[٢]، وأبرز في الطب نفائس لم يدركها ابن النفيس، جرى على قانون الشفاء حتى لُقِّب بالرئيس، مع معالٍ[٣] لو رآها ابن جلا، غطّى رأسه ووجه خجلا، فكأنَّما الصُّبح تنفّس عن محياه، [١٥٥/أ] والعنبرُ الرطبُ فاح منه رياه، فصاغ بفضله حليّ المكارم، فلها في ساعده أساور وفي راحته خواتم[٤]: [الكامل]

سَمْحُ البديهةِ [ناطقُ] بِمَقالِه[٥] فكأنما ألفاظُهُ مِنْ مَالِهِ

وجرَتْ بينه وبين ابن النُّجَيْم[٦] مكاتبة مُدَنَّسَةُ المعاني، وأكثرها من رسالة ابن

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٤٢، وخلاصة الأثر ١/ ٢٠٣ في ترجمة والده أحمد.

(٢) هو السرّي بن أحمد بن السرّي الكندي أبو الحسن المعروف بالسري الرَّفّاء (ت: ٣١٢/ ٩٧٣): شاعر أديب من أهل الموصل، وكان عذب الألفاظ، مفتناً في التشبيهات، توفي ببغداد. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٧٦٩؛ وفيات الأعيان، ٢/ ٣٥٩؛ معجم المؤلفين، ١/ ٧٥٤.

(٣) في (س): «معالم».

(٤) البيت للأرَّجاني، في ديوانه، ٣/ ١٢١٧.

(٥) في الديوان: «سَمْحُ البديهةِ ليس يُمسكُ لَفْظَه».

(٦) في (ظ): «نجيم». وهو سراج الدين عمر بن إبراهيم بن محمد المصري الحنفي، المعروف بابن=

زيدون منحولة المباني.

وممّا صاغه من تبره، وصبّهُ في قالب شعره، قوله[١]: [المجتث]

مـا النـاسُ إلا حَبـابٌ[٢] والـــدَّهْرُ لُجَّـــةُ مـــاءِ

فَعــــالمٌ في طُفُــــوٍّ وعــــالمٌ في انْطِفــــاءِ

وهذا كقولي: [مجزوء الرمل]

إنـــما الـــدُّنْيَا ظـــلالٌ في أُوَيْقـــاتٍ قَلِيلَـــهْ

أو رَذاذٌ مُتَـــــــــوَالٍ فـــوقَ كُثْبـــانٍ مَهِيلَـــهْ

وقد مضى[٣] في ترجمة العباسي قوله: [الكامل]

مـــا لي أرى أحْبابَنَـــا في النـــاسِ صـــارُوا كمِثْـــلِ حَبابِنـــا في الكـــاسِ

وعلى هذا قول الأرَّجاني[٤]: [البسيط]

هـذا الزمـانُ[٥] عـلى مـا فيـه مِـن كـدَرٍ حكـــى[٦] انقـــلابَ لياليـــه بأهْلِيـــهِ

= نجيم (ت: ١٠٠٥/ ١٥٩٦): فقيه، مشارك في بعض العلوم. انظر مصادر ترجمته: خلاصة الأثر، ٣/ ٢٠٦؛ هدية العارفين، ١/ ٧٩٦؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٥٥١.

(١) البيتان لخلف بن فرج أبو القاسم المعروف بالسُّمَيْسِر المتوفى سنة ٤٨٠/ ١٠٨٧، في نفح الطيب، ٣/ ٢٩٣.

(٢) في نفح الطيب: «الناس مثل حباب».

(٣) انظر صفحة ٥٣٦.

(٤) ديوانه، ٣/ ١٥١٢.

(٥) في الديوان: «زمان».

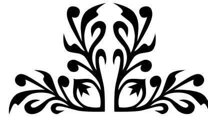
(٦) في الديوان: «يحكي».

غَـديرَ مـاءٍ تـراءَتْ[١] في أسـافِله ... أشـخاصُ[٢] قـومٍ قيـامٍ في أعاليـهِ

وممّا يحسنُ إيرادُه هنا قول أحمد المعري[٣] وإن لم يكن ممّا نحن فيه: [الكامل]

مِـنْ حَـوْلِ بِرْكَتِـك البَهِيَّـةِ سـادَةُ الـ ... ـفُـضلاءِ والعلـماءِ والـشعراءِ

لـو أَنْـصَفُوكَ وهـمْ قيـامٌ أشْـبَهَتْ ... أشخاصُـهُمْ أشـكالَها في المـاءِ



(١) في الديوان: «تراءى».

(٢) في الديوان: «خيال».

(٣) هو أبو الحسين أحمد بن محمد المعري، من معرة النعمان من بلاد الشام (شمال غرب سورية) وكان يلقب بالقنوع؛ لأنه قال يوماً في كلامه: قد قنعت والله من الدنيا بكسرة وكسوة. (ج).

[١٢٨-١٢٩]

السيد محمد الطَّبْلاوي[1] وأخوه السيد عبد الله[2]

روضا فضل وبيان، ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٠]، وبحرا مجدهما مَرِجان، ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢]، فهما زهرتان من شجرة النبوة، ونبعتان من وشيج[3] الفتوة، سُقيا بماء المكارم، وسحَّتْ على رياضِ طبعهما غرُّ الغمائم، حتى تدفَّقت جنباتُهما، واخضرَّت عذَباتُهما، وكُسِيا من سندس الجنّات، وبُشِّرا بخَصْب أودية الحسنات، فأعشب وادي الهدى، وتهدَّلتْ عليه قصبة[4] الندى[5]:

[الطويل] [١٥٥/ ب]

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ٢١٦.

(٢) عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني، المغربي الأصل، القاهري الشافعي المعروف بالطبلاوي (ت: ١٠١٧/ ١٦٠٨): أخو محمد الطبلاوي، ولد بقرية أبي الريش، بالقرب من دمنهور الوحش بالبحيرة. اشتغل بالعلم فقهاً وأصولاً، وبالأدب نثراً ونظماً، وكانت له عناية باللغة. توفي بمصر، ودفن بالقرب من العارف بالله سيدي عمر بن الفارض. من مؤلفاته: «شرح الشاطبية» للجعبري، و«شرح على تأنيس المروض في علم العروض»، و«شرح على عقود الجمان في المعاني والبيان» للسيوطي. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٢١٦؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٦٦.

(٣) في (س): «وشيح».

(٤) في (ظ): «قضب».

(٥) البيت لقيس بن الملوح بن مزاحم العامري المعروف بمجنون ليلى المتوفى سنة ٦٨/ ٦٨٧، في ديوانه، ص. ٩٤.

تكـادُ يـدي تَنْـدَى إذا مـا لَمَـسْتُهُ[1] ... ويَنْبُـتُ في أطرافِهـا الـوَرَقُ الخـضْرُ

فمصابيح فكرهما مشارق الأنوار، وأحاديث كمالهما صحيحة الآثار، ومطارف ناديهما موشيّة الحبور، ورياض ساحتهما مُتَبَسِّمة الثغور، وطرف همتهما إلى العلياء سابق، ومخيم علاهما له على الأثير سرادق، ولسان قلمهما بالبلاغة ناطق، وجعفر[2] فضلهما إذا وعد سقى العلا فيا له من جعفرٍ صادق!

وقصيدة السيد عبد الله التي في قافيتها لفظة الخال التي مطلعها[3]:

يا سلسلةَ الصُّدْغِ من لواكِ على الخالْ

مشهورة، فلا حاجة لإيرادها.

ومن شعر السيد محمد قوله[4]: [المنسرح]

لم أنـسَ يـا روضـةَ المحاسـنِ إذ ... خَـلا بـكِ الـصَّبُّ والخَـلِي جُمِعَـا

ونحـن في روضـةٍ مُمَنَّعَـةٍ ... يروقنـا البحـرُ والخلـيجُ معَـا

وقوله أيضاً |عفا الله عنه|[5]: [البسيط]

لم أدْرِ أيَّهـما أَحْـرَى بمَرْحَمَـةٍ ... قلبي وعيني على الإحراق والسَّهَرِ

حتـى أنـارَ فـؤادي صُـبْحُ حُجَّتِـه ... وقـال إنّي عـلى طـولِ الزَّمـانِ حَـرِي

وقوله أيضاً[6]: [المجتث]

---

(١) في الديوان: «لمستها».

(٢) الجعفر: النهر الصغير. (ج).

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ٢١٧؛ وخلاصة الأثر، ٣/ ٦٧.

(٤) في (ظ): «طاب ثراه». والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٢١٧.

(٥) زيادة من (ظ). والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٢١٧-٢١٨.

(٦) في (ظ): «وله». والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٢١٨.

يــا ربَّــةَ الخَــالِ كُفِّــي عَبْــدَيْكِ عــما أمَــرْتِ
فقــد سَــلَبْتِ البَرايــا بـــأَمْحَري وسَـــحَرْتِ

|وقوله رحمه الله: [الكامل]

يـــا ربِّ أَطْلُبُهـــا وتَنْفِـــرُ دائـــماً لَمَّـــا تَـــرَى مِنِّـــي تَمَلُّـــق صـــائدِ
إنْ رُمْــتُ أنظُرُهــا تَقــولُ: عَــواذِلِي أو رُمْــتُ أمــدَحُها تَمَــلُّ قَــصائِدي|[1]

وقوله أيضاً[2]: [مخلع البسيط]

سرَقْــتَ نَــوْمِي بالبُعْــدِ عنّــي ففَــرَّ صَــبْرِي وقــد تعــسَّرْ
وسُرَّ ضِــدِّي بطــولِ صَــدِّي فكنـــتَ في ذاك رأسَ مِنْـــسَرْ

وهذا كقول الأصيلي وقد مرّ[3]: [مجزوء الرمل]

قِيـــلَ لي إنَّ فُلانـــاً قَـــدْ تَعَـــالى وتكـــبَّرْ
ولِمَـــنْ قـــد ســـاءَ رأسٌ قلتُ لا بَلْ رأسُ مِنْسَرْ

[١٥٦/أ]



(١) هذان البيتان زيادة من (ظ).
(٢) في (ظ): «وله». والبيتان في ريحانة الألبا، ٢/ ٢١٨.
(٣) انظر صفحة ٤٣٨، وشرح كلمة (منسر) والتعليق عليه. (ج).

[١٣٠]
عبد الواحد الرَّشِيدِي[1]

حسنةٌ بها ذنبُ الزمان غُفر، وأصبح به قطرُهُ على سائر الأقطار تفتخر، فهو ريحانةُ الأدب النَّضر[2]، السَّاعي به على قدم الخَضِر، بمحاورات تُطَرَّزُ بها حُلَلُ الوشائع، وسقيطِ حديثٍ كأنه جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع.

فمن لؤلؤه الرطب، ورشح قلمِه العذب، قوله في نائبٍ بثغر[3] رشيد، ليس بحليم ولا رشيد: [مجزوء الخفيف]

قلــتُ للنائــبِ الــذي　　　قـــد رَأَيْنَـــا مَعائبَـــهْ
لــستَ عنــدي بنائــبٍ　　　إنـــما أنـــتَ نائِبَـــهْ

وهذا كقول الأخر: [المتقارب]

وقـاضٍ لنـا حُكْمُـهُ باطـلٌ　　　وأحكـامُ زَوْجَتِـهِ ماضِـيَهْ
فيـا ليتَـهُ لم يكـنْ قاضـياً　　　ويـا لَيْتَهَـا كانَـتِ القاضِـيَهْ

---

(١) عبد الواحد الرَّشِيدِي البرجي الشافعي (ت: ١٠٢٣/ ١٦١٤): كان شيخاً فاضلاً، إماماً ورعاً، زاهداً، عارفاً بعلوم شتى. كان يستحضر أشياء كثيرة من النوادر. توفي بمصر، ودفن بتربة الجلال السيوطي. من مؤلفاته: «نزهة السامرة في أخبار مصر والقاهرة» ذكر فيه الوزراء الذين تولوا مصر إلى الوزير الأعظم محمد باشا. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٨٨؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٩٩، الخطط التوفيقية ١٢/ ٧٥.

(٢) في (س): «النظر».

(٣) ساقط من (ظ).

وللقاضي الأَرَّجاني[١]: [مجزوء الكامل]

ومِـــنَ النَّوائـــبِ أَنَّنِـــي   في مثلِ هـذا الأمرِ[٢] نائِبْ

ومن شعره أيضاً قوله: [البسيط]

لا تحـسَبَنْ أنَّ هَجْـوِي فيـك مكرمـةٌ   شـعري بِهَجْـوِ لئيـمٍ قـطُّ مـا سـمَحَا

لكِـنْ أجـرِّبُ طبعـي فيـك فهْـو كـما   جرَّبْتَ في الكلـبِ سيفاً عنـدما نَبَحَـا

وهو كقول غيره: [الوافر]

هجَوْتُـــكَ لا لأنـــكَ أهـــلُ هَجْـــوٍ   ولكـــنْ كـــي أجـــرِّبَ فيـــك سَـــبِّي

ولـــيس يـــضُرُّ شَـــفْرَةَ لَهْـــذَمِيٍّ   إذا مـــا جُرِّبـــتْ في جِلْـــدِ كلـــبِ

وله[٣] وقد سمع بموت بعض قضاة مصر: [السريع]

قــالوا قَــضَى القــاضي فَــوَا حَــسْرَتِي   إذْ لم يَكُـــنْ قـــد مـــاتَ مِـــنْ جُمْعَـــهْ

مُـــــــــصِيبَةٌ لا غَفـــــــــرَ اللهُ لي   إن كنـــتُ أجريـــتُ لهـــا دَمْعَـــهْ

* * *

(١) ديوانه، ١/ ٣٣٣.

(٢) في الديوان: «الشغل».

(٣) في (ظ): «وقوله».

[١٣١]
أحمد بن الجيعان[١]

شقيق النسيم، ربيبُ النعيم، ريحانة الأدب، شُمامة الطرب، [١٥٦/ب] طراز كُمِّ المكارم، خليفةُ هَطَّالِ الغمائم، جوادٌ طليق، وغصنٌ في ساحة المجد عريق، مَلكيُّ الصِّفات، فلكيُّ السِّمات، راحتهُ مزنةٌ روّى نداها الأقطار، وبرقت بوارقها[٢] بلامع النُّضار، إذا قدمت وفود الحاجات كان رحيب النادي، وإذا ضاقَ صدر الدهر فنديُّه واسعُ الصدر للحاضر والبادي، غضُّ الأدب، مورق روض الحسب، لم يزل يجني زهرةَ الحياة من حدائق الأيام، ويحسو صفوها من مناهل اللذَّة الرائقة للأنام، حتى تكَّدرَ بالموت وِرْدُهُ، وبُدِّدَ بيد الدهر عِقْدُهُ.

وكانت لي معه أوقات هي لعينِ الدَّهر قرَّة، وعلى نسخة العمر عنوان المسرَّة، والدهرُ يهم بالإحسان، ويلفُّ بُرد الشَّمل على أعطافه الحسان، وهو لا يحسِب من عمره غير أوقات الصَّفو، ولا يسطِّر في صحف فكره غير اللَّهو.

كما قلت له مخاطباً، وأنشدته مداعباً[٣]: [البسيط]

لا تبــكِ هنــداً ولا تَعْبَــثْ بأســماءِ ... واصرف زمانــك في لهــوٍ وأهــواءِ

يومــاً بِـبَرْشٍ ويومــاً بالحـشيشِ وبالـــ ... ـــأَفْيُونِ يومــاً ويومــاً كـأس صَـهْباءِ

وسألني يوماً أن أصف الشمعة، وأذكر على لسانها من السمات لمعة، فقلتُ:

---

(١) القاضي أحمد بن الجيعان (...): من القضاة. انظر: ريحانة الألبا، ٢/ ١٨٢.

(٢) في (ظ): «لوامها».

(٣) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٨٣.

لم يترك الأَرَّجاني في قوس الوصف مَنْزَعاً، ولا لأملٍ[١] في البيان مطمعاً، ثم بدا لي أن أُجيبَ دعوته، فقلتُ[٢]: [الوافر]

فصل

لعسَّالِ الشموعِ سِنانُ نارٍ إذا ما لاحَ يَنْهزِمُ الظلامُ
أقولُ له وقد وافَى بِبِشْرٍ كأنكَ في فَمِ الدنيا ابْتسامُ

لما لاحتِ الشمعةُ وهي صاحبٌ مستقيم، ولطُفتْ حتى ضرَّها مرور النسيم، مُسامرٌ أينما طلبتَ كان معك، وجليسٌ يضرُّ نفسَه لينفعك، يقف في خدمة الأصحاب، ويُؤتمن على الخلوة مع الأحباب، كما قيل: [الكامل]

يا رَبِّ إِنْ قَدَّرْتَه لُمَقَبِّلٍ غيري فللمِسْوَاكِ أو للأَكْؤُسِ
[١٥٧/أ] ولئن قضيت لنا بصُحْبَةِ ثالثٍ يا رَبِّ فَلْتَكُ شَمْعَةٌ في المجلسِ[٣]

أحببت أن أمتّعَ السمع، بوصف محاسن الشمع. فأقول: هي غصن فضةٍ مثمر بالنُّضار، أو هندَيّةٌ تحرق نفسَها بالنّار، بأنفاسِ النَّسيم يدنو مماتها، ويُقطعُ رأسُها فتزداد حياتها، تدبُّ النار فيها كما يدبُّ للعمر الأجل، وتبكي فلا تدري أذلك لحرقةِ النار، أم لفرقة العسل[٤]. فيقول لسانها للحوادث لما آذَنَتْ بينه، وفرقت بيد الدهر بينها وبينه[٥]: [الكامل]

---

(١) في الريحانة ٢/ ١٨٣: ولا لأهل البيان لمعانيها مطمعاً. (ج).

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٨٣.

(٣) البيت للنجيب بن الدباغ، خزانة الأدب للحموي ٣/ ٥٠، ١٠١. (ج).

(٤) أقول (ج): قال الغزي في الوافي بالوفيات ١/ ١٣٥:

كالشمعِ يبكي ولا يَدري أَعبرتُهُ من صُحبةِ أم من فرقةِ العسلِ

(٥) البيت للأرجاني، ١/ ٣٢٢.

بالنـــارِ فرَّقَـــتِ الحـــوادثُ بيننـــا   وبهـا نـذَرْتُ أعـودُ أقْتُـلُ روحِـي

تساقط على معصمها من الدمع، سلاسلُ فضّةٍ أو شماريخ طلع، كأنَّها عاشقٌ ناحل، ملتهبُ الأحشاء ذو دَمعٍ[1] سائل، إذا جَنّ الظلام زادتْ أشواقها، وظهر اشتعالها واحتراقها، وكيف تحاكيه وهي تنعم بالنهار وتعذّب بالليل، وهو في كلِّ حينٍ حريقٌ بشَجَنٍ كالنار غريق بدمع كالسيل: [البسيط]

هيهـاتَ مـا أنـتَ مـثلي، أنـتَ في دَعَـةٍ   طُـولَ النهـارِ، ويـومِي كلُّـه حُـرَقُ

لا يرجع عن معشوقه ولو بِقَطْعِ رأسه، فهو ينشد إذا وقع في صدر أمله[2] براحة يأسه: [الطويل]

علِقْتُ بـه كالنَّـارِ في الـشَّمْعِ فَهْيَ لا   تَفُـكُّ يـداً عنـه ولـو جُـزَّ رأسُـهَا

وأنَّى يستوي مَنْ عَذابه في عذباته، بمن نار أحشائه محيطةٌ بسائر جهاته، غصنٌ أنواره تَجني على من يجنيها، تميتها الليالي وهي تبيت تحييها.

طُرَّة صُبحٍ تحت أذيال الدُّجى[3]

غرَّةٌ في وجه أدهم الليل إذا دجا، سحَّارةٌ إذا أخذ منها المقصُّ وردةً ردَّها عنبراً، وإذا بدت في محلِّ مُظلمٍ جعلته في الحال مقمراً: [المتقارب]

ويُقْطَـفُ مـن رأسِـها الجُلَّنَـارُ   فيَرْجِـعُ إِهْلِيلَجـاً[4] أسْـوَدَا

[١٥٧/ ب] أظهرت من قبسها ناراً على علَم، ونضَّدَتْ من دمعها درًّا ما ثقب فكيف انتظم؟ فتاة اشتعل بالشَّيب رأسُها، وحميت من حرارة القلب أنفاسها[5]: [البسيط]

---

(١) في (ظ): «بدمع».

(٢) في الريحانة ٢/ ١٨٥: ولو بقطع رأسه... إذا رفع صدرَ. (ج).

(٣) عجز بيت من مقصورة ابن دريد، صدره: إمّا ترى رأسي حاكى لونه. (ج).

(٤) الإهليلج: ثمر، منه أصفر، ومنه أسود، وهو البالغ الناضج. القاموس.

(٥) البيت للأرجاني في ديوانه، ٣/ ١٥٢٦.

أو ضَرَّةٌ خُلِقَتْ للشمسِ حاسِدَةً فكلَّما حُجِبَتْ قامَتْ تُحاكِيهَا

أُمٌّ يتولَّد منها سنا لطف، فإيَّاك أن تقول لها أفٍّ، فهي على ما تُريد من طلب واقتراح، في وقت عبادةٍ أو وقت راح، تارةً في مجلس شرابِ، وطوراً في صدر محراب: [الطويل]

فللهِ منها جانِبٌ لا تُضِيعُهُ وللَّهْوِ منها والخلاعَةِ جانِبُ[(١)]

تبكي في حالة التَّداني، قائلةً: [الكامل]

مِنْ عُظمِ ما قد سَرَّنِي أبكانِي[(٢)]

[الطويل]

وَقَد تَدْمَعُ العَيْنانِ مِنْ شِدَّةِ الضِّحْكِ[(٣)]

ومن غريبِ أمورها، حرارةٌ مع سرورها، ألفٌ[(٤)] عليها همزة من نُضار، همزةُ قطعٍ لا تزال تستفهم عمّا خفي من الأسرار، شجرةٌ تُسقى أسافلها من أعاليها، وأطلعتْ وردةً لا شوك لها وهي تَجْنِي على يد جانيها، كقامةِ هيفاء لو لمحتْ، صِبْغَ الدُّجَى لمحَتْ، ولولا خوفُ نارِها غنَّتْ عليها الوُرْقُ وصَدحَتْ[(٥)]: [البسيط]

كالوَجْنَةِ الوردُ[(٦)] إلا في تَناوُلِها والقامَةِ الغُصْنُ إلا في تثَنِّيهَا

ظلَّتْ على مشابَهَةِ الخدودِ تَجْتِرِي، فقُطِع رأسُها وهذا جزاءُ المفتَرِي، إذا أشارتْ إلى الظلام بلسان أفعى شَمَّرَ ذيلَهُ وهرَبَ، وإذا وافتِ النارَ حاسرةً قبَّلتْ

---

(١) البيت في العقد الفريد ٣/ ١٢ من غير عزو. (ج).

(٢) هذا عجز بيت لصفي الدين الحلي، وصدره: «طَفَحَ السُّرورُ عَلَيَّ حَتّى إِنَّهُ» ديوانه، ص. ٩٩.

(٣) هذا عجز بيت لصفي الدين الحلي، وصدره: «فَقالَ هَمَت عَيني وَسِنّي ضاحِكٌ» ديوانه، ص. ٤٣٠.

(٤) في (س): «تلف».

(٥) البيت للأرجاني في ديوانه، ٣/ ١٤٢٦. معناه: الورد كالوجنة، والغصن كالقامة.

(٦) في الديوان: «فالوجنة الوردُ».

رأسَها وأعادَتْها بتاج من ذهبٍ، وإذا أرخَتِ الليالي أستارَها السود أمسَتْ بنورها مُطرَّزة، ولو رام المتنبيُّ وصفها بكافورياته كانت له معجزة، صدَّقَتْ رأْيَ المانَوِيَّة المشهور، في القول بأنَّ الخيرَ مخلوق من النور: [الكامل]

وأظُنُّها لَمَّا تَلَهَّبَ قَلْبُها ... حَسَداً[١] أسالَتْ دَمْعَها مِدْرَارَا

وغدَتْ لِفَرْطِ الغَيْظِ تُعْطِي كلَّ مَنْ ... وافَى ليَقْطَعَ رَأْسَها دِينارَا

[١٥٨/أ] سرقتْ من الخدود الإشراق، وما في قلب الكئيب من اللوعة والاحتراق، فلزمها بحكم الهوى جنايةُ السُّرّاق، فانتدب المقصُّ ونشط، وقام لقطع رأسها فقطَّ، فوا عجباً والسارقُ يُقطع منه اليد والبنان، لمَ قطعوا منها الرأس واللسان؟! فكأن ذلك الجَلَمَ[٢] |رأسُ|[٣] غرابٍ أسحم أو فراشٌ رفرف على اللَّظى، أو نعامٌ يلتذُّ بقطف شقيق السنا، وما قصّها عند ظهور لهيبها، إلّا لظنِّه أنّها ذوائب اشتعلت بمشيبها، فزاد ذلك القطع في الأنوار، كما تنمو بالتقليم الغصون ذوات الأنوار، فمُحَياها مبتسم مسرور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] كما قلت: [الرمل]

وتـرى الشَّمْعَ إذا زادَ السَّنَا ... ضـاحِكاً مُبْتَسِماً مِنْ بِشْرِهِ

كـالفَتَى قـد سرَّهُ أوقاتُـهُ ... وهْوَ نَقْصٌ ظاهرٌ مِنْ عُمْرِهِ

طَرْفُها مع اللَّهَبِ، قطعةُ سَبَجٍ مُلبَّسَةٌ بذَهَبٍ، أو بنفسجٌ تحت ورد، أو كافور على جَنِيِّ[٤] النَّدِّ[٥]، أو إصْبَعٌ يشير إلى الصباح، أو لسانُ أَخْرَسٍ يَتحَرَّكُ ولا يقدر على

(١) في (ظ): «حسدت».
(٢) الجلم: المِقَصّ.
(٣) زيادة من (ظ).
(٤) ساقط من (ظ).
(٥) في (ظ): «ند».

الصِّياح، أو صبٌّ أظهر ما في سُوَيْدائه وأفناه ما تقطَّرَ من دموع بكائه: [الطويل]

يقـولُ لـسانُ الـشَّمْعِ للنـارِ عنـدما بَكَـى بـدُموع عِقْـدِها ظَـلَّ يُنْثَـرُ
ترفَّـقْ فـما هَـذي دُمـوعي التـي تَـرى (ولكنَّهـا نفـسٌ تـذُوبُ فتقْطُـرُ)[١]

في أوّل عمرها فَرْقُها شاب، ثم إذا طَفئت يرجعُ إليها سوادُ الشباب، وإذا أَسبلَ الليل أذياله، تراها واقفةً كأنها تريد صيد الغزالة، لكنّها إذا دنت تهرب، كأنها[٢] خافت من الصباح إذا خرج خائفاً يترقب، وإذا أُوقدتْ بحافة الغُدران، تخالها بانعكاسها فيها أَنبتت المرجان[٣]: [الكامل]

فالمـاءُ دِرعٌ والـشُّموعُ أَسِـنَّةٌ ولهـا إذا خَفَـق النَّـسِيمُ طِعـانُ

تارةً تبدو سافرةً كالعروس، وطوراً تحتجب في خدرِ الفانوس، فتراه حانياً ضلوعه على النيران، متنفِّساً من حرارة الأشجان، متصبِّراً على الأَوصاب، تعدُّ ضلوعه من تحت الثياب، في حالة لا تنكر، لكنه غيرةً منه يتستَّر: [الكامل] [١٥٨/ ب]

أُنْظُـرْ إلى الفـانوسِ تَلْـقَ متـيَّماً ذُرِفَـتْ عـلى فَقْـدِ الحبيـبِ دموعُـهُ
يَبْـدُو تَلَهُّـبُ قَلْبِـه لِنُحُولِـه وتُعـدُّ مـن تحـت القمـيصِ ضُـلوعُهُ

فهو رُواقُ النور، ونديم السرور، والشمعةُ منه في حجاب، كنجمٍ خلف رقيق من السحاب، كليمٌ لا يخاف الردى، وقد وجدَ على النار الهدى، يستر نور الشمع بكمائمه، ويُفني قلبَه فيجد قلباً آخر من منادمه، إذا جُنَّتِ القَنادِيلُ لغيرتها منه فهي مُسلْسَلة، وصارت بنار الهوى مشتغلة مشتعلة، فأشعلت النار على رأسها معلنةً بالشكوى، متظلِّمة إلى عالم السرِّ والنجوى، وقال لسانُها وهي

(١) عجز البيت للمجنون، الديوان ١٢٣، وصدره: وليس الذي يجري من العين ماؤها. (ج).
(٢) في (ظ): «فكأنها».
(٣) كذا، وفي ريحانة الألبا ٢/ ١٨٩: تخالها بانعكاسها خياماً على عمد من المرجان. (ج).

بخضابِ السَّنا مخلَّقة: وَلَا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ[(١)].

وكيف لا، وهي قد أفنَتْ نَفْسَها في خدمةِ مَنْ أشرقَتْ ببهجة ذاته، واشتعل رأسُ الشمس وحاجب الهلال شيباً، وما أبصر نظير سنا صفاته؛ وإنّي لأعجبُ من شمع قام في مجلسه منتصباً، لم لا ينثني من سروره برؤياه طرباً: [المتقارب]

كـأنَّ الشُّموعَ وقد أظهَرَتْ ... مـن النـارِ في كـلِّ رأسٍ سِـنانَا
أصـابعُ أعـدائِكَ الخـائِفِينَ ... تَـضَرَّعُ تَطْلُـبُ منـكَ الأمانَـا[(٢)]

كما أَعْجَبُ من قلمٍ مسَّه بأنامله، كيف لا يُورِقُ وقد سقَتْه بحورُ فضائله، وأظنُّ الشموعَ ما أَذْرَتْ دُموعَها، وأطالتْ لهبَها ووُلوعَها، إلّا لأنها علِمَتْ فِراقَ رؤياه، وبُعدها عن وجهٍ تَسْتمدُّ من سَناه، ويُعوِّض الليلَ عن الشمس محياه، لابن الرومي[(٣)]: [الطويل]

كـريمٌ يظـلُّ الأمـسُ يُعْمـلُ نحـوَهُ ... تَلفُّـتَ ملْهـوفٍ ويَـشْتاقُهُ الغَـدُ
يـودُّ زَمـانٌ ينْقَـضِي عَنْـه أنـه ... مقـيمٌ[(٤)] إلى أن يَنْفَـدَ الـدهرُ سَرْمَـدُ

فهل ناديه سماء طلعت فيها الدَّراري، أمِ النجومُ هوت ترجو سعد إقباله الساري، مهيار[(٥)]: [البسيط]

أم ذاك[(٦)] يوسفُ موعوداً وقد سَجَدَتْ ... لـه[(٧)] النجـومُ وهـذا كلُّـهُ حُلُـمُ

---

(١) آية: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩].

(٢) البيتان في خاطر الخاص ٢٠٠ وقراضة الذهب ١٧ للحسن بن أحمد بن المغلس. وفي ابن خلكان ٥/ ١٢٢، والحراني ١/ ١٠٢، ونكت الهيان ٢٧٣ لمحمد بن عمر بن يعقوب الأنباري. (ج).

(٣) ديوانه، ٢/ ٥٩.

(٤) في الديوان: «عليه».

(٥) ديوانه، ٣/ ٣٧٢.

(٦) في الديوان: «أم أنت».

(٧) في الديوان: «لك».

ولو أنَّ الشمعَ به استجار، ما قدرت تسطو عليه النار، [١٥٩/أ] فإن حماه فردوس الجنان، فكيف يُعذّب فيه بالنيران؟ كما أنّي دخلت حماه، وكحّلتُ[١] الأجفان بإثمد ثراه، يعتذر إلى الزمان عمّا جنى، ولم أعرف من أحواله إلّا الغنى، فخلَّصَ[٢] روحي من يد الأجل، وتركني أصحب الدنيا بلا أمل: [الطويل]

ولـــولا نَـــداهُ خِفْـــتُ نـــارَ ذَكائِـــهِ عليــه ولكــنَّ النَّــدَى مــانِعُ الوَقْــدِ

لا زال حماه روضاً يقطف منه زهرات الأماني، فلا تصل إلى سياج حمايته يد جاني، ما تلا لسان الشمع[٣] سورة النور، ونسخ سورةَ الليل من صحائف الدَّيْجور، وجنى كفُّ الصباح نورَ النجوم، وانحلَّ من جيد الدُّجى عقدُها المنظوم، والسلام.

* * *

وهذه قصيدة الأَرَّجاني[٤] التي مدح بها ابن طاهر[٥] بفارس: [البسيط]

نَمَّــتْ بــأسرارِ لَيْــلٍ كــادَ[٦] يُخْفيهــا وأَطْلَعــتْ قَلْبَهــا للنّــاسِ مِــنْ فِيهَــا

قلــبٌ لهــا لم يَرُعْنَــا وهْــوَ مُكْــتَمِنٌ إلّا تَرَقِّيـــهِ[٧] نـــاراً مِـــنْ تَرَاقِيهَـــا

سَــفِيهةٌ لم يَــزَلْ طُــولُ اللِّــسانِ لهــا في الحَــيِّ يَجْنِــي عليهــا ضَرْبَ هَادِيهَـا

غَرِيقَــةٌ في بُحــورٍ[٨] وهْــيَ تُحْرِقُهــا أنفاسُـــها بـــدَوامٍ مِـــنْ تَلَظِّيهَـــا

(١) في (ظ): «وأكحلت».

(٢) في (ظ): «مخلص».

(٣) في (س): «السمع».

(٤) ديوانه، ٣/ ١٥٢٤-١٥٣١.

(٥) هو قاضي القضاة عماد الدين طاهر بن محمد، انظر: ديوان الأرجاني، ٣/ ١٥٢٤.

(٦) في الديوان: «كان».

(٧) في الديوان: «ألا ترى فيه».

(٨) في الديوان: «دموع».

تنفَّسَتْ نَفَسَ المَهْجُورِ إذْ ذَكَرَتْ[(١)] عَهْدَ الخَلِيطِ فباتَ الوَجْدُ يُبْكِيهَا
يُخْشَى عليها الرَّدَى مَهْما ألَمَّ بها نَسيمُ ريحٍ إذا وافَى يُحَيِّيهَا
بدَتْ كنَجْمٍ هَوَى في إثْرِ عِفْرِيَةٍ[(٢)] في الأرضِ فاشْتَعَلَتْ منه نَواصِيهَا
نَجْمٌ رأى الأرضَ أولَى أنْ يُنَوِّرَها[(٣)] مِنَ السّماءِ فأمْسَى طَوْعَ أهلِيهَا[(٤)]
كأنّها غُرّةٌ قد سالَ شادِخُها في وَجْهِ دَهْماءَ يُزْهِيها[(٥)] تَجَلِّيهَا
أو ضَرَّةٌ خُلِقَتْ للشَّمْسِ حاسدةً فكلَّما حُجِبَتْ قامَتْ تُحاكِيهَا
|وَحيدةٌ بسِنانِ[(٦)] الرُّمْحِ هازمةٌ عساكرَ اللَّيْلِ إن[(٧)] حَلَّتْ بِواديهَا|[(٨)]
ما طَنَّبَتْ قَطُّ في أرضٍ مُخَيِّمَةً إلاّ وأَقمَرَ للأبصارِ داجِيهَا
لها غَرائبُ تَبْدُو مِنْ مَحاسِنها إذا تَفكَّرْتُ يوماً في مَعانِيهَا
فالوَجْنةُ الوَرْدُ إلاّ في تَناوُلِها والقامَةُ الغُصْنُ إلاّ في تَثَنِّيهَا
[١٥٩/ب] قد أثمرَتْ وَرْدةً حَمْراءَ طالِعةً تَجْني على الكَفِّ إن أهويتَ تَجْنيهَا
وَرْدٌ تُشاكُ[(٩)] بها الأيدي إذا قُطِفَتْ وما على غُصْنِها شَوكٌ يُوقِّيهَا
صُفْرٌ غَلائلُها حُمْرٌ عَمائمُها سُودٌ ذَوائبُها بِيضٌ لَياليهَا

(١) في الديوان: «المَهْجورةِ ادَّكَرَتْ».
(٢) العفرية: الخبيث المنكر. وفي (ظ): «عفرته».
(٣) في الديوان: «أنْ يُبوَّأَها».
(٤) هذا البيت ساقط من (ظ).
(٥) في الديوان: «يزهاها».
(٦) في الديوان: «بشباة».
(٧) في الديوان: «إذ».
(٨) هذا البيت زيادة من (ظ).
(٩) في الأصول: «يشاك».

كــصَعْدَةٍ في حَــشا الظَّلْــمَاءِ طاعِنــةٍ يَــسْقِي أســافِلَها غَيْثــاً أعالِيَهَــا[١]
كَلــوءةُ اللَّيْــلِ مهــما[٢] أقبلَــتْ ظُلَــمٌ أمسَتْ لها لحظـةٌ للـصُّبْحِ[٣] تُـذْكِيهَا
وَصــيفةٌ لــستَ منهــا قاضــياً وَطَــراً إنْ أنـــت لم تَكْــسُها تاجــاً يُحَلِّيهَــا
صَــفْراءُ هِنديــةٌ في اللَّــوْنِ إن نُعِتَــتْ والقَــدِّ واللــينِ[٤] إنْ أَتْمَمْــتَ تَــشْبِيهَا
فالهِنْـــدُ تَقْتُـــلُ بـــالنِّيرانِ أنْفُـــسَها وعنــدها أن ذلــك القتــل يُحْيِيهَــا[٥]
مـــا إن تـــزال ببيـــت الله لاهيـــةً[٦] ومــا بِهــا غُلّــةً في الــصَّدْرِ تُلْهِيهَــا[٧]
تُحْيِـــي اللّيــالِيَ نُـــوراً وهْـــيَ تَقْتُلُهــا بِـــئْسَ الجَـــزاءُ لعمْـــرُ الله تَجْزِيهَـــا
قُــدَّتْ عــلى قَــدِّ ثَــوْبٍ قــد تَبَطَّنَهــا ولم يَقُـــدَّ عليهـــا الثّـــوبَ كاسِـــيهَا
غَـــرّاءُ فَرْعـــاءُ مـــا تَنْفَـــكُّ فاليـــةً يَقُـــصُّ[٨] لِمَّتهـــا طَـــوراً وتَفْلِيهَـــا
شَــيْباءُ شَــعْثاءُ لا تُكْــسَى غَــدائرُها لَيْـــلَ[٩] الـــشَّبِيبةِ إلّا حِـــينَ تُبْلِيهَـــا
[قنـــاةُ ظَلْـــماءَ مـــا تَنْفَـــكُّ يأكُلهـــا سِـنانُها طُـولَ طَعْـنٍ أو تُـشَظّيهَا][١٠]

(١) الصعدة: القناة المستوية المستقيمة. وفي (ظ): «غيث». وفي الديوان: «تَسْقى أسافِلَها رِيًّا أعاليها».
(٢) في الديوان: «إما». وفي ريحانة الألبا ٢/ ١٩٣: كلوّة الليل.
(٣) في الديوان: «أَمسَتْ لها طَلْعةٌ للصَّحْبِ».
(٤) في الديوان: «والدين».
(٥) في الديوان: «وعندَها أنَّها إذْ ذاكَ تُحْييها».
(٦) في الديوان: «ما إن تَزالُ تَبيتُ اللَّيلَ لاهِبةً».
(٧) في الديوان: «تُظميها».
(٨) في الديوان: «تقص».
(٩) في الديوان: «لون».
(١٠) هذا البيت زيادة من (ظ). في الديوان: «يشظيها». وفي الريحانة: إذ يشظيها.

مَفْتوحَـةُ العَـيْنِ تُحْيـي[1] لَيْلَهَـا سَـهَرًا ... نعَـــمْ وإحياؤُهَـــا[2] إيَّـــاه يُفْنِيهَـــا
ورُبَّـــمَا نـــالَ مِـــنْ أطْرافِهـــا مَــرَضٌ ... لم يُـشْفِ منـه بغَـيْرِ القَطْـعِ شـافِيهَا[3]
|أهـلاً بِهـا في سَـوادِ[4] اللَّيـلِ مُـسعِدةً ... إذا الهُمُـــومُ دَعَـــتْ قَلْبِـــي دَواعِيهَـــا
لــولا اخْــتِلَافُ طَبائِعِنَــا[5] بواحِــدَةٍ ... وللطِّبَـــاعِ اخْـــتلافٌ في مَبانِيهَـــا
بأنّهـــا في سَـــوادِ اللَّيْـــلِ مُظْهِـــرةٌ ... تلـك الَّتـي في سَـوادِ القَلْـبِ أُخْفِيهَـا
وَبَيْنَنـــا عَـــبَراتٌ إنْ هُـــمُ نَظَـــروا ... غَيّـضْتُهَا خَـوْفَ واشٍ وَهْـيَ تُجْرِيهَـا
أبــدَتْ إلَيَّ ابْتِــساماً في خــلالِ بُكــاً ... وغَـرَّنِي أن[6] مَحْـضَ الحُـزْنِ يُمْرِيهَـا
فقُلْـتُ في جُـنْحِ ليـلٍ وَهْـيَ واقِفَـةٌ ... ونَحـــنُ في حَـــضْرَةٍ جَلَّـــتْ أَيادِيهَـــا
لـو أنّها عَلِمَـتْ في قُـرْبِ مَـنْ نُـصِبَتْ ... مِـــنَ الـــورَى لَثَنَـــتْ أعْطَافَهـــا تِيهَـــا
تَـرى المصابِيحَ زُهْـراً مِـنْ[7] جَوَانِبهـا ... وقــد جَــلا صَــفْحَةَ الغَــبْراءِ ذاكِيهَـا
كـــأنّهنَّ نُجـــومُ الأُفْـــقِ نازِلـــةً ... جـاءَتْ تُقبِّـلُ أرْضـاً أنـتَ وَاطِيهَـا|[8]

|وللصابي فيها: [البسيط]

غُـصْنٌ مِـنَ الـذَّهَبِ الإِبْرِيـزِ أثمَـر في ... أَعْـــلاهُ ياقُوتَـــةً حَمْـــراءَ تَـــسْتَعِرُ

(١) في الديوان: «تُفني».
(٢) في الديوان: «إفناؤها».
(٣) في الديوان: «مُشْفيها».
(٤) في الديوان: «ويل امها في ظلام».
(٥) في الديوان: «طِباعَيْنا».
(٦) في الديوان: «وعبرتي أنا».
(٧) في الديوان: «في».
(٨) هذه الأبيات التسعة زيادة من (ظ).

تَرْنُــو بِعَــيْنٍ لهــا نــورٌ تُقَلِّبُــهُ لَــيْلاً وتُغْمِــضُهُ والــصُّبْحُ يَنْفَجِــرُ
حتــى إذا قَــذِيَتْ كــان الجِــلاءُ لهــا قلــعَ الــسَّوادِ فعــاد النــورُ يَنْتَــشِرُ
تأْتِيكَ ليلاً كما يأْتِي الـمُرِيبُ [فإن][1] لاحَ الصَّباحُ طَواها دُونك الحَذَرُ][2]

وكنّا معه نتجاذب أهداب المذاكرة، ونُدير كؤوس المحاورة، فذكر لي يوماً السؤال المشهور في قول الشابِّ الظريف[3]: [مخلع البسيط]

يَـا سَـاكِناً قَلْبِـي المُعَنَّـى وَلَـيْسَ فيـه سِـوَاه ثـانِي
لأَيِّ مَعْنَى كَسَرْتَ قَلْبي وَمـا التَقَـى فيـهِ سَـاكِنَانِ

فإنه إذا التقى ساكنان كُسر أحدُهما لا محالة[4]، وكون المراد بالمحلِّ الكلمة التي التقى فيها ساكنان وإذا كسر أحدهما وكان آخر الكلمة كانت مبنية على الكسرِ كأمس، تكلّف لا تتحمّله البلاغة، فقلت له: هذا ممّا[5] لا مزية[6] فيه، وأحسن منه قولي في معناه: [مجزوء الخفيف][١٦٠/أ]

إنَّ ذا الــدَّهْرِ لا يــزالُ يَــرى جَمْــعَ شَــمْلِ الكِــرَامِ مُمْتَنِعَــا
فهْــوَ حَــتْماً مُحَرِّكــاً أبــدَا أَحَــدَ الــسَّاكِنَيْنِ مــا اجْتَمَعَــا

فاستحسن مقالي، ونثر على ما قلته من الإعجاب فرائد اللآلي.

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من الريحانة ٢/ ١٩٦. (ج).
(٢) الأبيات الأربعة زيادة من (ظ).
(٣) ديوانه، ص. ٣٣١.
(٤) في (ظ): «محلهما».
(٥) ساقط من (ظ).
(٦) في (ظ): «مرية».

[١٣٢]
أحمد بن علي العلقمي[١]

شمسٌ تنجلي بها الأبصارُ والبصائر، وإنْ كان وجه الشمس يُغْشي سَناه ناظرَ الناظر، وروضٌ نضير، ما له في سَعة الحفظِ نظير، وله طبعٌ مع الصَّلاح زاهٍ زاهد، ونقدُ فكرٍ لم يصرف نضاره نقد ناقد، وشعرُهُ ألطفُ من مدام الطلِّ في كأس الزهر، وحلل الربيع المنسوجة بأنامل المطر: [الطويل]

يمــدُّ عــلى الآفــاقِ بِــيضَ خُيوطِــه فيَنْسِجُ منهـا للثَّـرَى حُلَّـةً خَـضْرَا[٢]

وكان في إقبال عُمْره، وعنفوان شبيبة دهره، جعل الخانقاه السَّرْياقَوْسِيَّة[٣] مألف سكنه، ومراتعَ غزلانه ومَرابع وطره ووطنه.

ثم انتقل إلى مصر فدرس بها وأفاد، وترنَّمتْ ورق فصاحته بدَوْحها الميال المياد.

ثم اختار جوار بيت الله المعظم.

وظفر من كيمياء السعادة بالحجرِ المكرّم، وقد طُفْتُ بكعبة فضله في ذلك المقام، ووردت صفاء موارده بالصفا والمقام: [الرمل]

ومــــلأتُ الـــسَّمْعَ منـــه كَلِـــماً يحـــسُدُ القلـــبُ عليـــه الأُذُنَـــا

وعُقَيب ذلك الاجتماع، طافَتْ به المنيَّةُ طواف الوداع، فانتقل إلى جوار الرحمن، واستوطن قصور الجنان، فجرَّعَنا غُصَصهُ العَلْقَمِيَّة، وما نِيطَتْ عنه ثيابه حتى تردَّى

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ٧٩.

(٢) البيت لابن نباتة المصري في ديوانه، ص. ٢٥١.

(٣) سَرْياقَوْس: بليدة من نواحي القاهرة بمصر. معجم البلدان، ٣/ ٢١٨.

حلل المغفرة السُّنْدسِيَّة، لا زال[1] يسقي مَرْبَعه ويزور مَضْجَعه: [الطويل]

سَحابٌ حَكَتْ[2] ثَكْلى أُصِيبَتْ بِواحِدٍ فَعاجَتْ لَهُ نَحْوَ الرِّياضِ على قَبْرِ[3]

ومن شعره قوله من قصيدة: [المتقارب]

بأبصارِنَا وَجْهُكَ المُذْهَبُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ
وأشواقُنا فيكَ لا تَنْقَضي وشمسُ جمالِكَ لا تَغْرُبُ
وحُبُّكَ في الماء مُسْتَوْدَعٌ وأُشْرِبَهُ كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ [١٦٠/ب]
وفي كُلِّ قلبٍ وعينٍ[4] بِهِ مُشيراً لك المَنْزِلُ الأرْحَبُ
وذاتُكَ جنَّةُ أهلِ المنى[5] ومِنْ غيرِ ذاتِك لا نَطْرَبُ
وكَمْ لك مِنْ رُتَبٍ في العُلا تَعالى العُلا إذْ لها يُنْسَبُ

وقوله من أخرى |مدح بها السيد أبا طالب بن السيد حسن أمير مكة|[6]: [الخفيف]

أنسيمُ الصَّبا[7] على الرَّنْدِ هَبَّا سَحَرًا نَبَّهَ الفؤادَ ونَبَّا
هزَّ غصنَ الغَرامِ فاهتزَّ حتى مالَ شوقاً إليه شرقاً وغربَا
ورَوَى عن عُريبِ نجدٍ حديثاً فدَعا قلْبَ مَنْ يُحِبُّ فلَبَّى
|وهَفَا بارِقٌ وأرْعَدَ خَوْفاً قلبُ صبٍّ فأرسلَ الدَّمْعَ صَبَّا
وتغَنَّتْ مُغَرِّداتٌ سُحَيْرًا أيقظَتْ نائمَ الغَرامِ فهَبَّا

---

(١) في (ظ): «لا يزال».

(٢) في (ظ): «حكى».

(٣) البيت لابن رشيق القيرواني في ديوانه، ص. ٧٨.

(٤) في الأصول: «وأعني». والمثبت من الريحانة ٢/ ٨١.

(٥) في (ظ): «النهى».

(٦) سقطت هذه الجملة من (ظ). والأبيات في ريحانة الألبا، ٢/ ٨١.

(٧) في الريحانة ٢/ ٨١: مذ نسيمُ الصبا.

رجعَتْ بالحَنِينِ حتى أمالَتْ ... كلَّ غصنٍ فصارَ يَرْقُصُ عُجْبَا
ودَعَتْنَا إلى تذَكُّرِ ماضٍ ... عَيْشُنا بالعُذَيْبِ إذ كان عَذْبا
حيث كُنَّا نَجُرُّ ذَيْلَ التَّصَابِي ... وشبابُ الزَّمانِ يَهْتَزُّ رَطْبَا
فالوُجُوهُ الحسانُ تَبْدُو شُمُوساً ... والقُدودُ الرماحُ تَخْتالُ قُضْبَا[(١)]

منها:

ورَكِبْنَا سفينةَ الصَّبرِ لَمَّا ... حالَ وَجْهٌ دونَ السفينةِ غَصْبا
وقتَلْنَا غُلامَ من عاقنَا[(٢)] عن ... سَيْرِنا نحوَهُمْ فأورثَ قُرْبَا
وأقَمْنَا جِدارَ وَجْدٍ قديمٍ ... بعد ما انْقَضَّ أو أرادَ فأَرْبَى[(٣)]
ونزَلْنَا جِيرانَ قَوْمٍ كِرامٍ ... يُوَسِعونَ النَّزِيلَ طَولاً ورَحْبَا
يَسْبِقُ القَوْلَ فِعْلُهُمْ وإذا ما ... صَنعُوا الجودَ أتبعوا الجودَ حُبَّا

منها:

يا بْنَ طه خَيْرُ مَنْ يَكْشِفُ الهَوْ ... لَ ويَحْمِي الحِمَى ويُفْرِجُ كَرْبَا
قد كفَيْتَ العِبادَ والطَّيْرَ في الجوِّ ... وَوَحْشَ القِفارِ أكلاً وشُرْبَا

منها:

وسقَيْتَ الرِّماحَ حتى تَرَوَّتْ ... مِنْ دِماءِ العِدا أو ناداكَ حَسْبَا
وملأتَ العُيونَ في السَّرْجِ حُسْناً ... وملأت القلوب في الحرب رُعْبَا
وملأتَ السَّماعَ وَصْفاً جَمِيلاً ... وملأت الوجود جودا وكَسْبَا[(٤)]

---

(١) هذه الأبيات الستة زيادة من (ظ).

(٢) في ريحانة الألبا: «غلام من عاقنا».

(٣) البيت وما قبله يشير إلى قصة اصطحاب الخضر لموسى عليه السلام، المذكورة في سورة الكهف. (ج).

(٤) هذه الأبيات السبعة زيادة من (ظ).

[١٣٣-١٣٤]

إبراهيم العلقمي[١] وأخوه شمس الدين[٢]

أما الشمس العلقمي صاحب «الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير»، فشيخُ الحديث، في القديم والحديث، وسحبُ أفضاله في رياض الفضل ذوارف، وكونه في العلمِ عَلَماً من أعرف المعارف، فهو هضبةُ مجد، في جبال العلم علمٌ فَرد، وقد تحلّى من خدمة الجلال السيوطي كمالاً، ورَقَى إلى سماءِ المعالي فازداد جلالاً.

وأما إبراهيم فللفضل خليل، وطبعه يحاكيه النسيم لطفاً لولا أنّه عليل.

---

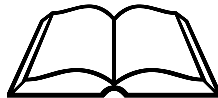
(١) برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي القاهري الشافعي (٩٠٣-٩٩٤ / ١٥١٧-١٥٨٥): عارف بالفقه والأصول. ولد ببلدة علاقمة، وهي قرية من كورة بلبيس، ونشأ بها. فأخذ عن علمائها. وتصدر بمصر للإقراء، وقرأ عليه جماعة، منهم: الخفاجي، ومنصور الطبلاوي. من مؤلفاته: «تهذيب الروضة» للنووي. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٧٧ ؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦٣٦؛ الكواكب السائرة، ٣/ ٨٧؛ معجم المؤلفين، ١/ ٣٥.

(٢) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي القاهري الشافعي (٨٩٧-٩٦٣ / ١٤٩١-١٥٥٥): فقيه، محدث. كان متضلّعا من العلوم العقلية والنقلية. أخذ عن علماء عصره، منهم: عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩-٩١١ / ١٤٥٥-١٥٠٥)، والبدر الغزي، والشهاب الرملي، وغيرهم. وكان أحد المدرسين بجامع الأزهر. من مؤلفاته: «حاشية على الجامع الصغير» للحافظ السيوطي، و«ملتقى البحرين في الجمع بين كلام الشيخين». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٧٧؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٤٩٠؛ الكواكب السائرة، ٢/ ٤١؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٤٤؛ الأعلام، ٦/ ١٩٥؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٣٩٥.

وهو من جملة أشياخي في إبان الطلب، وممّنِ اقتطفتُ منه ثمراتِ العلم الجنيَّةِ من كَثَبٍ، فتبرَّجَتْ لي عرائسُ معانيه، وتجلَّتْ على منصةٍ معاليه، ولعمري إنَّه[1] روحُ فضلٍ حلَّتْ في جثمان علاه، وسماءُ مجدٍ مزيّنة ببُدور كماله وحُلاه، لا زالت تَهْمِي على جَدَثِه عيونُ الغَمائم، كلّما حَيَّتْه حسانُ الحور مُفْتَرَّة المباسم.

وكنت في إقبال طليعة الجدّ، وبروز كمين الحظّ من خلف هضاب السعد، أتيتُ بابه [١٦١/أ] فرأيتُ الفتاوى بناديه، تنثر أوراقها على سائليه، فقلتُ له مادحاً[2]: [الوافر]

أَنَــــادِرَةَ الزَّمـــــانِ الفَـــرْدِ أَنْعِـــمْ بإِصْـــغاءٍ عـــلى العبـــدِ الـــضعيفِ
زمانُـــــكَ كلُّـــــه أمـــسى رَبيعـــاً خَـصِيبَ الفَـضْلِ ذا ظِـلٍّ وَرِيـفِ
فـــما بـــالُ الفَتـــاوَى في انْتِشـــارٍ ببابِـــكَ نَثْـــرَ أوراقِ الخَرِيـــفِ



(١) في (ظ): «إن».

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ٧٨.

[١٣٥]
محمد الفارضي[١]

فاضلٌ جرَتْ في مضمار الأدب سَوابقُه، وتألَّق في سماء الفضل من خلال سحائبها بوارقه، حتى ترنَّمَتْ بمآثر وُرْقِ الحمائم، فمُزِّقَتْ طرباً بها جيوبُ الغمائم.

وله قدمُ سبقٍ في النحو[٢] والفرائض، وبدائع بدائه يعجز عن أدناها ألف رائض، فإن خطب اهتزَّتْ له أعواد المنابر، ونسيت لسكرها بسلافة كلامه روضها الناضر، أو ارتجزَ لم يَشُقّ رُؤْبَةُ غُبارَه العَجَّاج[٣]، أو هزل ذهب مجَّاناً طُرَفُ ابن حجّاج، إلا أنه مال إلى جعل مقراض الأعراض منهجاً، سالكاً بحروف الهجاء طريق من هجا.

وشعره في ديارنا نثار كلِّ نادي، وتحفة كلِّ قادمٍ من حاضر وبادي، كقوله من قصيدةٍ في وفاء النيل[٤]: [الطويل]

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٦٩.

(٢) في (ظ): «النجوم».

(٣) هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء المعروف بالعجاج (ت: ٩٠/ ٧٠٨): راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام، وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، ففلج وأقعد، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان بعيداً عن الهجاء. وهو والد رؤبة الراجز المشهور. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: الشعر والشعراء، ص. ٣٩٤؛ الأعلام، ٤/ ٨٦.

(٤) وفاء النيل: هو ارتفاع منسوب مياه النيل في شهر آب إلى ستة عشر ذراعاً، وبه يتم الخير، ويؤمن الجدب. صبح الأعشى ٨/ ٣٢٨، ولأجل النيل ١٢. (ج).

أنـاسٌ بهـذا البحـرِ قاسـوا نَـوالَكُمْ وبيـــنهما فـــرقٌ يُحَقِّقُــهُ الخُــبْرُ
ففـي العـامِ جَـبْرُ النِّيـلِ يَحْصُلُ مـرَّةً وفي كـل يـومٍ مـن نَـداكُمْ لنـا جَـبْرُ

المراد بالجبر قطع النيل في مصر، كما هو في لسان أهلها الآن.

وقوله مضمِّناً: [الكامل]

لي جُوخَــةٌ مَجْــرُودَةٌ يـــا طالمـــا قــد كنــتُ ألبــسُها بغــيرِ تَكلُّــفِ
كــم رُمْــتُ أَقْلِبُهــا فقالــت جَهْـرَةً (قَلْبِــي يُحَــدِّثُنِي بأَنَّــكَ مُتْلِفِــي)[1]

وهذه الجوخة لو رُكِّب عليها فَرْوَةُ ابن سارة[2] كانت أفخر لباس، تُهدى للملوك الإفلاس، وهي التي قال فيها[3]: [الكامل]

أَوْدَتْ بِـذَاتِ يَـدي فُرَيَّـةُ أَرْنَـبٍ[4] كَفُـؤَادِ عُـرْوَةَ في الـضَّنَى والرِّقَّـةِ
لَـوْ أَنَّ مَـا أَنْفَقْـتُ في إِصْـلَاحِهَا[5] يُحْـصَى لَـزَادَ عـلى رِمـالِ الرَّقَّـةِ
[١٦١/ب] إنْ قُلْـتُ بِـسْمِ اللهِ عِنْـدَ لِبَاسِـهَا قَــرَأَتْ عَـلَيَّ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[6]

وله في بعض المناهل الحجازية |بطريق مصر|[7]: [مجزوء الرمل]

---

(١) صدر بيت ابن الفارض شرح الديوان ١/ ٢٨٠، عجزه: «روحي فِداكَ عرَفْتَ أمَ لم تَعْرِفِ»

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة (صارة) البكري الشنتريني (ت: ٥١٧/ ١١٢٣): شاعر، ولد في شنترين، وتجول في بلاد الأندلس شرقاً وغرباً، ومدح الولاة والرؤساء. وتوفي في مدينة المرية. وله «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: قلائد العقيان، ٤/ ٨٠٩؛ المغرب، ١/ ٤١٩؛ شذرات الذهب، ٦/ ٨٩؛ وفيات الأعيان، ٣/ ٩٥؛ تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص. ١٣٩؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٢٨٢.

(٣) الأبيات في نفح الطيب، ٣/ ٤٣٨؛ وقلائد العقيان، ٤/ ٨٢٤.

(٤) في ريحانة الألبا ٢/ ١٧٠: فروة أرنب.

(٥) في نفح الطيب، وقلائد العقيان: «في ترقيعها».

(٦) تضمين للآية الكريمة الأولى من سورة الانشقاق.

(٧) زيادة من (ظ).

رَوِّني مِـــنْ مـــاءِ نـــبطٍ لـو يكـنْ في العمـر مَـرَّهْ
ودَعِ الحـــــورَا فـــــإني أبغـضُ الحـورَ وأَكْــرَهْ

قلت: (نبط الحوراء) و(أكره) أسماء لمنازلَ في طريق حجّاج مصر، وأكره ماؤها مالح جداً، وسمَّاها أكره بالهاء، وجعله بعضهم أكرى مقصوراً، كما في قول ابن حجر العسقلاني: [الطويل]

أحِبَّتَنَـا لا تَنْـسَوا العَهْـدَ مِـنْ فَتـى غَريـبٍ أليـفِ الحُـزْنِ مُقْلَتُـهُ عَـبْرَى
تــذَكَّرَ في دَرْبِ الحجــازِ عُهُـــودَكُمْ فلـم يَتَوسَّــنْ في العيـونِ ولا أكْـرَى

والمراد بالعيون عيون القصب، وهو اسم موضع أيضاً.

ومن شعره: [الوافر]

ألا يــــا أيُّهـــا القـــاضي تَـــيَقَّظْ لأمــركَ واحْــتَرِسْ مِــنْ تَرْجُمانِــكْ
ألمْ تَنْظُـــرْ يـــداهُ كـــلَّ حـــين بِمَكْــــرُوهٍ وسُــــوء تَرْجُمانِـــكْ

وهو كقول الميكالي: [الخفيف]

صِــلْ مُحِبًّــا أعيــاهُ وَصْــفُ هَــواهُ وضَـــناهُ يَنُـــوبُ عـــن تَرْجُمانِـــهْ
كُلَّـــما راقَــهُ سِـــواكَ تَـــصَدَّتْ مُقْلَتـــاهُ بدَمْعِــــه تَرْجُمانِــــهْ

وله أيضاً(١): [الدوبيت]

في مِـصْرَ مـن القُـضاةِ قـاضٍ ولـه في أكـلِ مَواريـثِ اليَتـامَى ولـه
إن رُمْـتَ عدالـةً فقُـمْ عُـدَّ لـه مـن عـدَّ لـه دراهمـاً عدَّلـه

وله أيضاً: [السريع]

كونــوا عــلى الحــقِّ لكَــيْ تَـسْلَمُوا مِــنْ مُغْــرَمٍ يَـــذْهَبُ بالمـــالِ

(١) سقط هذان البيتان من (ظ).

لــو سَــلَكَ النــاسُ سَــبِيلَ التُّقَــى مــا اســتفتح القــاضي ولا الــوالِي

وله أيضاً: [مجزوء الوافر]

تَـــزوَّدْ حكمـــةً مِنِّـــي وخَـــلِّ القِيـــلَ والقـــالَا
فَـــسادُ الـــدينِ والـــدُّنْيا قَبـــولُ الحـــاكمِ المـــالَا

وله[1]: [السريع]

يــصْلُحُ للحُكَّــامِ في عَــصْرِنا وذاك للحكّــامِ ممّــا يَجِــبْ
الــصَّلْبُ للــوالي عــلى شُــعْبَةٍ والــضَّرْبُ بالــدِّرَّةِ للمُحْتَسِبْ

[١٦٢/ أ] ومن هزله[2]: [الطويل]

إذا قــامَ في سُــوقٍ مُنــادٍ لحــاكم[3] معاشرَ جمع الناس يُنْصِتُ مَن حَضَرْ
فغايَــةُ مــا يــأتي بــه أن يقــول مــا مُقَــدَّمُ بــابِ اللُّــوقِ إلا أبــو عكــرْ

وله أيضاً: [الوافر]

تُــــوُفِّي التُّونُـــسِيُّ فقلـــتُ بيتـــاً يُــؤَرِّقُ كــلَّ ذي شَــجَنٍ ويُــونِسْ[4]
أتُوحِـــشُنا وتُـــونِسُ بَطْـــنَ لَحْـــدٍ ولكـــن مِـــثْلَما أوْحَـــشْتَ، تُـــونِسْ

وهذا كقول المنصوري: [السريع]

لستُ لأغصانِ النَّقَا مادِحاً لأنَّ حُبِّــي قَــدُّهُ أمْــيَسُ
ولــستُ بــالأقمارِ مُسْتَأْنِساً لأنَّ عنــدي قَمَــرِي يُــونِسُ

---

(١) سقط هذان البيتان من (ظ).

(٢) في (ظ): «سخفه».

(٣) في (س): «للحاكم».

(٤) في (ظ): «ويوئس».

قلتُ: أراد بالتونسي محمد المعروف بمغوش[١]؛ وهو العلامة الذي لم يسمح الدهر بنظيره فإنه يقال إنه كان يحفظ كتباً عظيمة «كالكشاف»، و«الجوهري».

وقدم الروم فعظَّمه علماؤها، ورتَّبَ له السلطان سليمان في كلِّ يومٍ ديناراً ذهباً[٢] يأخذه في كلِّ بلدةٍ أراد الإقامة بها.

وقدم مصر ولم يدخلْها؛ بل[٣] أقام[٤] مدة في بولاق، فذهب له فضلاؤها، وقرؤوا عليه، كشيخنا علامة الدهر أحمد بن قاسم العَبَّادي[٥].



(١) هو شمس الدين محمد بن محمد الكرمي التونسي المالكي الملقب بمَغُوش (ت: ٩٤٧/ ١٥٤٠): شيخ الإسلام، من القضاة. تولى قضاء الجند بتونس، ورحل إلى القسطنطينية، وأقام مدة قصيرة في حلب، وطرابلس، ودمشق. وقرأ عليه بعض علمائها، وتوفي بالقاهرة. من مؤلفاته: «أمالي على شرح الشاطبية للجعبري». انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ١٠/ ٣٨٦؛ الشقائق النعمانية، ص. ٢٦٩؛ در الحبب، ٢/ ٢١٢؛ الأعلام، ٧/ ٥٧.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) في (ظ): «وأقام».

(٥) هو شهاب الدين أحمد بن قاسم العَبَّادي القاهري الشافعي (ت: ٩٩٤/ ١٥٨٥): عالم، فقيه، توفي بالمدينة. من مؤلفاته: «فتح الغفار بكشف مخبأه غاية الاختصار» في فروع الفقه الشافعي. انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ١٠/ ٦٣٦؛ الكواكب السائرة، ٣/ ١٢٤؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٣٠.

أقول (ج): انظر صفحة (٦٣٥) حاشية (٢)

[١٣٦-١٣٧]

أبو الإسعاد[1] وأبو الإكرام[2] ابنا السيد علي الوفائي

سادات مصر؛ بل الدنيا بأسرها قديماً وحديثاً، نفعنا الله بسرِّهم، فهم سادات السادات، لهم الزهد والمجد عادات، ولهم أَنفسٌ قدسيَّة، أُفيضت عليهم العلوم اللَّدُنِّيَّة، ولم يخالفْ أحدٌ منهم جدَّه المختار، إلَّا بنظمِ جواهر الأشعار، فلهم شوارد مقال، لها السمعُ مناخ والعقل عقال، تخالُها تربَّت في سرار البطاح وآباط الجبال، فهم بحارٌ عَلَوَا ربا المعالي والقُلل، فتوارتِ البحار في بطون الوهاد من الخجل، وبيتُهم إلى الآن معمور، ولواء [١٦٢/ب] مجدهم بهذين الحبرين على عاتق الدهر مشهور.

ولهم مساعٍ ومآثر، ورثوها كابراً عن كابر، لم تزل تُضرب لهم آباطُ الركائب حتّى تسيل بأعناق المطيِّ الأباطح[3]، وتورى بهم زناد المطلب ولم يقدح فيه قدح

---

(١) أبو الإسعاد يوسف بن عبد الرزاق بن أبي العطاء بن علي وفا المالكي المصري (ت: ١٠٥١/ ١٦٤١): كان علامة زمانه، أخذ العلوم عن أبي النجاء السنهوري، وأبي بكر الشنواني، والدنوشري، وغيرهم من العلماء. ولبس الخرقة، وتلقى طريقتهم الوفائية الشاذلية عن عمه الأستاذ محمد. وله الشعر الحسن والنثر الجيد. توفي في عودته من الحج، ودفن في زاوية سلفه السادات بني الوفاء. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٢١٣؛ خلاصة الأثر، ٤/ ٥٠٤؛ معجم المؤلفين، ٤/ ١٦٦.

(٢) من أبناء السيد علي الوفا، ورد اسمه «أبا المكارم» في ريحانة الألبا، ٢/ ٢١٣.

(٣) أقول (ج): هو من قول كثير عزّة، وقد مرَّ:

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا   وسالت بأعناق المطيّ الأباطحُ

قادح، تتوقَّد من مشكاة الحقيقة مصابيحهم ذات اللألاء، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥]، وما منهم إلَّا صاحب ديوان، نافذٌ بطرق[١] البلاغة بسلطان، مع أيادٍ روائح غوادي، كنسيم الرِّياض غبّ الغوادي، وأنفاسٍ كتنفُّس النسيم عن فم الزهر، المتعطّر به جيوب الدهر.

فمن «ديوان السيد علي» قوله[٢]: [الطويل]

تغَيَّبْتَ عن عيني فعَيْنُكَ شاهِدِي ... ووَجْهُكَ مَشْهُودِي وما عنك عائِقُ

فإن غِبْتَ فالأشباحُ منّي مَغارِبٌ ... وإن لُحْتَ فالأرواحُ مني مَشارِقُ

ولأبي اليقظان الوفائي[٣]: [البسيط]

كأنَّ وَجْهَكَ مِغْناطِيسُ أنْفُسِنا ... فحيثما دُرْتَ دارَتْ نَحْوَكَ الصُّوَرُ[٤]

ولأبي التَّداني الوفائي[٥]: [الخفيف]

كلُّ ما في الوجودِ منكَ مَلِيحُ ... ليسَ فيه يا نورَ عَيْنِي قَبِيحُ

مَذْهَبِي فيكَ يا وجودِي[٦] و عَيْنِي ... مَذْهَبٌ صادقٌ قَويمٌ صَحيحُ

لم تَزَلْ قائلا لكُلِّ مُحِبٍّ ... (كلُّ ما يفعلُ المَلِيحُ مليحُ)[٧]

---

(١) في (ظ): «في طريق».

(٢) ريحانة الألبا، ٢/ ٢٠٩.

(٣) من أبناء السيد علي الوفاء. البيت في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٠٩.

(٤) في (ظ) ورد هذا البيت مع الجملة التي سبقته بعد البيت الذي ينتهي بـ «مليح».

(٥) هو من أبناء السيد علي الوفاء. الأبيات في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٠٩-٢١٠.

(٦) في (ظ): «وجدي».

(٧) أقول (ج): هو عجز بيت لتاج الملوك الأيوبي (٥٧٩هـ) وصدره: حاشا لله أن تعاب بفعل.
وهو كذلك لحسام الدين الحاجري (٦٣٢هـ): وحبيب مرّ التجني ولكن.

ولأبي الفضل الوفائي[١]، «ديوان» لطيف، وله فيه مقاصد حسنة كقوله[٢]:

[الكامل]

سُـدْتَ الأنـامَ غَـداةَ خَـدُّكَ أبـيضُ ... واليـومَ خـدُّكَ بالعِـذارِ مُـسَوَّدُ

نـسخَ العِـذارُ مَلاحـةً بملاحَـةٍ ... قلَـمٌ بـسَعْدِكَ لا يـزالُ يُجَـوِّدُ

فعَـلى مُحَيَّـاكَ الـسلامُ فَديْتُـهُ ... بـالنَّفْسِ بـل والعـينِ فَهْـوَ مُؤَكَّـدُ

وقوله من قصيدة: [الطويل]

ألا صـاحِبٌ كالـسَّيْفِ حُلْـوٌ شـمائِلُهْ ... يُـسائلني عـن فِتْنَتـي وأسـائلُهْ

يـدورُ غـرامٌ بيننـا كلّـما انقـضَتْ ... أواخـرُه عـادَتْ إلينـا أوائِلُـهْ

[١٦٣/أ] وقد نسجَها على منوال قصيدة لمهيار الدَّيلمي منها قوله[٣]: [الطويل]

ألا صـاحِبٌ كالـسَّيْفِ حُلْـوٌ شـمائِلُهْ ... رِداءُ الهوَى مثلي على الـشَّيْبِ شامِلُهْ

أخـو عَزْمَـةٍ أو صـبوةٍ عَربيَّـةٍ ... أحامِسُه شَكْوَى الهوى[٤] وأغازِلُـهْ

مَعِي أين[٥] مالَتْ بي من الأرضِ حاجةٌ ... أُعَطِّفُـهُ حتـى كـأني مَفاصِـلُهْ

أضـنُّ بـه مـا ضـنَّ جَفْنِـي بِمُقْلَتِـي ... فـلا أنـا مُهْدِيـه ولا أنـا باذِلُـهْ

أسـاهِرُ لـيلاً بالغَـضا كلَّـما انقـضَتْ ... أواخِـرُه كـرَّتْ علينـا[٦] أوائِلُـهْ

كريمٌ جَرى والبحرَ شوطاً إلى النَّدَى ... فعـاد بفـضلِ الـسَّبْقِ والبحـرُ ساحِلُهْ

وأفـضلُ مـا مُلِّكْتُـه صَـفْوُ خـاطِرِي ... وهـا أنـا مُهْدِيـهِ فهـل أنـتَ قابِلُـهْ

---

(١) من أبناء السيد علي الوفاء، وقد تقدمت ترجمته صفحة (٤٢٧) الحاشية (٢).

(٢) ريحانة الألبا، ٢/ ٢١١.

(٣) ديوانه، ٣/ ١٤١-١٤٤.

(٤) في الديوان: «الجوى». أقول (ج): ولعلّه: أُخالِسُهُ شكوى الهوى.

(٥) في (ظ): «أين ما».

(٦) في الديوان: «عليّ».

[١٣٨]

زين العابدين بن محمد الأنصاري الجزري الحنبلي(١)

زين زمانه، وعينُ أعيانه، ودرَّةُ تاجه، وعقيلة نتاجه، فاضل سهلُ الورد عذبُ المنهل، وفقيهٌ شيَّد قواعدَ مذهب ابن حنبل، وأهله في كل عصر قليل، وهكذا الكرام، كما قيل(٢): [الطويل]

يقولـون لي قـد قَـلَّ مـذهَبُ أحمـدٍ ... وكـلُّ قليـلٍ في الأنـامِ ضَـئِيلُ
فقلـتُ لهـم مَهْـلاً غَلِطْـتُمْ بِـزَعْمِكُمْ ... ألم تعلمـوا أنَّ الكـرامَ قَلِيـلُ
ومـا ضرَّنـا أنَّـا قليـلٌ وجارُنـا ... عزيـزٌ وجـارُ المكثـرين ذَلِيـلُ(٣)

وكان له بالقُطْبِ المكِّيّ(٤) صحبة واجتماع، فهو نديمٌ لجَذِيمَةِ(٥) عِزِّهِ، وجارُ القَعْقَاعِ(٦)، فمما كتبه له قوله(٧): [الطويل]

يُقَبِّلُ أَرْضاً أَشْرَقَتْ شمسُ عِلْمِها ... وقـد شَرُفَـتْ أصـلاً وفرعـاً ومَحْتِـدَا

---

(١) ريحانة الألبا، ٢/ ١٦٣، وهو فيه: «زين الدين محمد الأنصاري الخزرجي الحنبلي».

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٦٣.

(٣) البيت تضمين لقول عبد الملك الحارثي، ويقال للسموءل. شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ١١١. (ج).

(٤) تقدّمت ترجمته برقم (٥٧) صفحة (٣٤١).

(٥) هو جذيمة بن مالك بن نصر من بني أسد بن خزيمة جد جاهلي. الأعلام، ٢/ ١١٤.

(٦) هو القعقاع بن شَوْر الذُّهلي: من بني بكر بن وائل، من الأجواد. كان في عصر معاوية بن أبي سفيان. يضرب به المثل في حسن المجاورة. انظر ثمار القلوب، ١/ ٢٣٤؛ الأعلام، ٥/ ٢٠١.

(٧) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٦٤.

مُحِــبٌّ يَــرى بَــذْلَ الــدُّعاءِ فَرِيــضةً ... لِمَأْوَى العُلا والشَّوْقُ قد زادَ وَاعْتَدَى
يُرَنِّحُـــهُ ذِكْـــراكُمُ كـــلَّ ســـاعَةٍ ... عـلى مـا بـه مِـنْ حَـرٍّ وَجْـدٍ تَوَقَّـدَا
يَهِـــيمُ إلى مَغْنـــاكُمُ وفُـــؤادُهُ ... أقـامَ بـه وَالبُعْـدُ قـد زادَ في المَـدَى
فيـا آلَ[1] لَـيْلَى هـل أبِيـتُ بِحَـيِّكُمْ ... وطـائرُ رَوْضِ الوَصْـلِ بـاليُمْنِ غَـرَّدَا
فهـل تَـسْمَحُ الأقـدارُ يومـاً بِعَـوْدَةٍ ... فــأطرب في تلــك المعــالِمِ مُنْــشِدَا
[١٦٣/ب] أعَيْنَــيَّ نامــا طالمــا قــد سَــهِرْتُما ... فهـذا زمـانُ الوصـلِ أصـبحَ مُـسْعِدَا
لكــم مــن مِحِــبٍّ ألــفُ ألــفِ تَحِيَّــةٍ ... لهـا المـسكُ يَعْنُـو بالخُـضُوعِ تَعَبُّـدَا

فأجابه على غير الروي بقوله[2]: [الطويل]

إذا كتبَــتْ كفِّــي كتابــاً إلــيْكُمُ ... مَحَتْهُ دُمـوعي[3] طـولَ أوقاتِها تَجْـرِي
وإنْ ســطَّرَتْ ســطراً تمنَّيْــتُ أنَّنــي ... أكـونُ مـن الأشـواقِ في ذلـك السَّطْرِ
علــيكم ســلامُ الله مــا لاح بــارِقٌ ... ومـا سـارَتِ الركبـانُ في الـبَرِّ والبَحْرِ
وإني مُحِــبٌّ مُــسْتَمِرٌّ عــلى الــدُّعَا ... لِحَضْرَتِكُمْ في الصُّبْحِ والليلِ إذ يَسْرِي
فجــودوا بــردٍّ للجــوابِ لعلَّــهُ ... يُفَـرِّجُ ممـا قـد تَمَكَّـنَ في صَـدْرِي
فـأوراقُكُمْ عنـدي أجَـلُّ مِـنَ الرِّضَـا ... وأحْلَى مِنَ الإيسارِ عند ذَوِي العُسْرِ

* * *

---

(١) في (ظ): «أهل».

(٢) في ريحانة الألبا، ٢/ ١٦٤-١٦٥.

(٣) في (ظ): «دموع».

[١٣٩]

نور الدين بن الجزار(١)

فاضلٌ أشرقت من أفق الكمال أنوارُهُ، وخطَّت في صحائف الحسنات آثاره، فليستِ الآراءُ في تفضيله تختلف، فإن ابن الجزار يعرف من أين(٢) تؤكل الكتف، فإذا طبَّق المفصل أصاب محزَّ الاختيار، وأنسى محاسن الشوَّاء والجزَّار، فلكم دعاه الندى فأجاب، ورمى حدقَ المعاني فقرطس وأصاب.

فمن محاسنه قوله في الوجه، وهو اسمُ منهلٍ من مناهل الحجاز |بطريق مصر|(٣): [الطويل]

ولمَّا رأيتُ الوجهَ سال مِن الحَيا ... وقد طابَ فيه للحَجِيجِ مَقامُ
وعايَنْتُ رَكْبَ الحجِّ حلَّ بسَفْحِه ... وقد ضُرِبت في جانِبَيْهِ خِيامُ
ومدُّوا إلى الغَيْثِ الهَطُولِ أكُفَّهُمْ ... فجادَ عليهم بالعَطاءِ غَمامُ
فقلتُ على الوجهِ المليحِ تحيَّةٌ ... مِن الله ما سَحَّ الحيا وسَلامُ

ومثله(٤) لابن أبي حَجَلة(٥): [الطويل]

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٦٦، وهو فيه: «نور الدين بن الجزار الشافعي».

(٢) في (س): «أن».

(٣) زيادة من (ظ). والأبيات في ريحانة الألبا، ٢/ ١٦٦-١٦٧.

(٤) ساقط من (ظ).

(٥) هو أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني المعروف بابن أبي حجلة (٧٢٥-٧٧٦ / ١٣٢٥-١٣٧٥): شاعر من أهل تلمسان. سكن دمشق، وولي مشيخة الصوفية بصهريج منجك بظاهر =

أيــا ســادَةً في الوجــهِ فُــزْتُ بقُــرْبِهِمْ ... ولم أدرِ أنَّ القــربَ يــؤذِنُ بالبُعْـــدِ
سَريـتُمْ إلى أكـرى[1] فـشَرَّدْتُمُ الكَـرَى ... وخلَّفْتُمُ في الوَجْـهِ دمعـي عـلى خَـدِّي

وللقطب المكي: [الطويل] [١٦٤/أ]

أقـول ووادي الوجـهِ سـالَ مـن الحيا ... وقــد طــابَ فيــه للحجــيجِ مقــامُ
عـــلى ذلـــك الوجـــهِ الملـــيحِ تحيَّـــةٌ ... مُبارَكـــةٌ مِـــنْ رَبِّنـــا وسَـــلامُ

وللقِيْراطي أيضاً[2]: [الوافر]

أتيـــتُ إلى الحجـــازِ فقلـــتُ لَـــمَّا ... تبـــدَّى وجْهُـــهُ لي وَارْتَوَيْـــتُ
وكـــم في الأرضِ مـــن وجـــهٍ مَلـــيحٍ ... ولكِـــنْ مثـــلُ وجهِـــكَ مـــا رأيـــتُ

وقوله فيه أيضاً: [الطويل]

أقـــول وقـــد وافى إلى الوجـــهِ جمعنـــا ... عطاشـــاً وكـــلٌّ خـــابَ فيـــه رَجـــاؤهُ
(إذا قـــلَّ مـــاءُ الوجـــهِ قـــلَّ حيـــاؤُه ... ولا خـــيرَ في وجـــهٍ إذا قـــلَّ مـــاؤهُ)[3]

* * *

= القاهرة، ومات فيها بالطاعون. من مؤلفاته: «مقامات»، و«ديوان الصبابة»، و«منطق الطير». انظر مصادر ترجمته: شذرات الذهب، ٨/ ٤١٥؛ الأعلام، ١/ ٢٦٨؛ معجم المؤلفين، ١/ ٣٢٢.

(١) انظر التعريف بها صفحة ٦١٠.

(٢) في (ظ): «فيه».

(٣) البيت لصالح بن عبد القدوس، الديوان ١١٩. (ج).

[١٤٠]

إسماعيل بن الحسين[١]

المعروف بكاتب السر الخزرجي المصري

تاج مَفرق عصره، وعقدُ ترائب نحره، اشتعلتْ فحمة الليل بأسماره، وسال نهرُ الصبح في حدائق آثاره.

وقد رأيت له «ديواناً» طالعته فلم أر فيه ما تقرُّ به عيون الأدب، وينشرح له صدر الطلب، ولم يرقَ في ناظري بعض محاسنه، ولم أر جلبَ الدرِّ من معادنه، فمنه ما كتبه على سَطْلِ سبيلٍ مضمناً: [المتقارب]

ضُرِبْتُ[٢] وأُدْخِلْتُ نارَ الجحيمِ فنِلْتُ بصَبْرِي نعيماً مُقِيمَا

وصُيِّرْتُ بينكُمُ عِبْرَةً لمن شاءَ منكم بأن يستقي ما[٣]

وهذه تورية باردةٌ على عادة المتأخرين من شعرائهم[٤].

وقريب من قولي في بعض الأغراض مضمِّناً: [الوافر]

يقول مُؤاجَرٌ غَضَباً لماذا أُيُورُ الناسِ أمسَتْ لن تَقُوما

(وَكُنْتُ إِذا غَمَزْتُ قَناةَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كُعُوبَها أو تَسْتَقِيمَا)[٥]

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٥٢.

(٢) في (ظ): «صبرت».

(٣) هو تضمين لقوله تعالى في سورة التكوير (٢٨). (ج).

(٤) في (ظ): «شعراء مصر».

(٥) البيت لزياد الأعجم في مغني اللبيب، ص. ٩٣؛ وشرح ابن عقيل، ٢/ ٣٤٧.

القســم الرابع

في نُبَذٍ[1] من محاسن أهل المغرب

(١) ساقط من (ظ).

حماه الله[1]، مولاي:

[١٤١]
أحمد أبو العباس المنصور بالله[2]

ابن الخليفة بن أبي عبد الله المهدي بن عبد الله القائم بأمر الله الشريف الحسني ملك مراكش وفاس الآن، [١٦٤/ب] المطوِّق بفضائله وفواضله جِيدَ الزمان، أنامَ الأنامَ من حياطته في حَرَمٍ، فأضحوا يقيلون في رياض السعود والنِّعم، وقد أراهم مجدُه ما لم يجرِ في خاطر الكرم، فعطاياه تمائم الفقر، واسمه عُوذةُ العدم، وله شرفٌ تحسده الشمس في الشرف، وجَوْدُ[3] جُودٍ إذا وكف، قلع السحاب وكفَّ، معدنُ فضلٍ وحسب، وجوهر سيادة ونسب، جمع بين نزاره ومعَدِّه، باعٌ تمدّ به النبوةُ والخلافةُ قبل مَدِّهِ: [الخفيف]

نَسَبٌ تَحْسِبُ العُلا بِحُلاهُ   قَلَّدَتْهُ[4] نجومهَا الجَوزاءُ[5]

(١) في (س): حماه الله مولاي رب المشارق والمغارب مولاي.

(٢) أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس المنصور بن الخليفة المهدي (ت: ١٠١٢/ ١٦٠٣): العالم الأديب، اشتغل في بداية أمره بالعلم، وأظهر أنه غير طالب للملك. حتى إذا تولى ابن أخيه، وعزم على قتل من بقي من أعمامه، حاربه وهزمه، واستولى على المغرب، وحسنت العلاقة بينه وبين سلاطين آل عثمان، وحكم ثمانية وعشرين عاماً. وكان سلطاناً عادلاً، عظيم القدر، حسن التدبير، وله شعر جيد. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٢٨٩؛ خلاصة الأثر، ١/ ٢٢٢.

(٣) الجود: المطر الغزير.

(٤) في الديوان: «قلدتها».

(٥) البيت للبوصيري في ديوانه، ص. ٢.

وقد اتَّخذ بدره أُفقَ المغرب هالة، وأفاض بحره على كلِّ وارد نواله، وله كتاب آراءٍ[1] الألبابُ سَلَبُها، وبرائد هممٍ ليس [إلَّا] على الأرواح طَلَبُها، فلا زال يخاطبه، من كلِّ أمرٍ عواقبه، مع كلامٍ بين عَبيد[2]، ولَبيد[3]، وحَبيب[4] والوليد[5].

أخبرني الوزير الأديب الفِشتالي: أنه لما دعت أباه[6] شَعوب[7]، ووفد لِسُدَّتِهِ وفودُ الخطوب، جلس أخوه الأكبر من السَّلطنة على سريرها، متنَزِّهاً ما بين روضتها وغديرها، فأظهر أنه للمُلك غيرُ طالب، وأنه لا ينفق رأس مال العمر في غير ما للعلم من كنوز ومطالب.

فلمّا مات أخوه قام ولدُه في محلِّه، واستولى عليه الغرور بخيله ورَجْلِه، وضرب بيد الشباب سدًّا بينه وبين الصواب، فأشار عليه بعض خدَّامه، بقتل من بقي من أعمامه، لِيُصَفِّيَ من قذى الشُّركاء وِرْدَهُ، ولم يدر أن من شربَ وحده غصَّ وحدَه، فمَدَّ شِباكَ مَكايده، وجرَّ منصوبةَ مصايده، كالحافر بظُلْفِه، على مُدْيَة حَتْفِه.

فلمّا علم بذلك مولاي أحمد، أوجف مع أخٍ له بجيشٍ من الروم وجيش من عنده، تالياً: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ ....مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. فتمَّت على ابن أخيه الهزيمةُ، وعُلِّقتْ على جيد تدبيره من الخِذْلان تميمة، فأصبح لعنان

---

(١) في ريحانة الألبا ١/ ٢٩٠: وله كتائب آراء. (ج).

(٢) هو عبيد بن الأبرص (...-٢٥ق‌ه) شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها.

(٣) هو لبيد بن ربيعة (...-٤١ه) أحد الشعراء الفرسان الأشراف.

(٤) هو حبيب بن أوس أبو تمام (١٨٨-٢٣١ه) الشاعر الأديب.

(٥) هو الوليد بن عبيد أبو عبادة البحتري (٢٠٦-٢٨٤ه) الشاعر الكبير.

(٦) في (ظ): «أبا».

(٧) شَعوب: المنية.

عزمه ثانياً، [١٦٥/أ] وذهب إلى ملك الإفرنج فأمدَّه ورجع إلى الحرب ثانياً.

فلما التقت الكتيبة السودا، والكتيبة الخضرا، وأقلعت سحابةُ النقع بعد ما أمطرت ديمة الدِّماء الحمرا

فما أكثرَ القتلى وما أَرخصَ الأسرى(١)

فأسرع إلى البحر، وأغرق نفسه بمائه الغمر، وقال لسان حاله: بيدي لا بيد عمرو(٢)، وقد قلَّصَتْ عنه السعادةُ ظِلَّها، وعقَدَ النَّحْسُ بناصيته عُقدةً لم يذكر حلَّها، وملَّه الملَوان(٣)، وشمت به الكفران، وضحك عليه الخِذلان، فتَبَرَّجتْ لأحمدَ عروسُ تلك الممالك، وأمستْ ثغورها لنور محياه ضواحك، فما ألمَّ بتلك الثغور قَلَحٌ(٤) إلا جلاه بمساويك الرِّماح، ولا نبض عرقُ كفرٍ إلَّا فصَده بمباضع الصِّفاح.

مع دخوله بيوتَ الفضل من أبوابها، وتزيُّنه دون ملوك الزمان بسماتِ آدابها، حتّى كان يحضر دروسَها، ويحيي بمنطقه العذبِ دَروسَها.

وله شعرٌ وإنشا، بهما طراز السُّؤْدد مُوَشَّى محشّى، وطبعٌ ألطف من نغمات الغيد، وأرقُّ من الوجنات ذات التوريد، فهو ربُّ السيف والطيلسان، وصاحبُ القلم والسنان، لا زال المغرب به كامل الأهلّة، والشمس تسعى له لتخدم محلّه.

---

(١) عجز بيت لابن النبيه الديوان ٤٩، وصدره: رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا. (ج).

(٢) قالته الزباء لعمرو بن عدي اللخمي أول من ملك العراق من بني اللخم عندما أراد قتلها انتقاماً لمقتل خاله جذيمة. انظر الجمهرة للعسكري ١/ ٢٠٣. (ج).

(٣) الملوان: الليل والنهار، وهما من المثنى الذي لا يفرد واحده. جنى الجنتين ١٠٨. (ج).

(٤) القلح: صفرة تعلو الأسنان.

فمن عقده المنظوم، ورحيق أدبه المختوم. قوله: [الطويل]

حـــرامٌ عـــلى طـــرفٍ يـــراهُ مَنـــامُ وحِـــلٌّ بجـــسمٍ قـــد جَفـــاهُ سَـــقامُ
وكيـــف بقَلْـــبٍ في هـــواه مُقَلَّـــبٍ وأَنَّـــى لـــه بـــين الـــضُّلوعِ مُقـــامُ
فيـا شـادناً يَرْعَـى الحشا أنتَ بالحشا أمـــا لِمَحَـــلٍّ أنـــتَ فيـــه ذِمـــامُ

وهذا كقول الأرَّجاني في قصيدة له[1]: [الكامل]

يَرْمـــي فُـــؤاديَ وَهْـــوَ في سَـــوْدائهِ أتُـــراهُ لا يخْـــشَى عـــلى حَوبْائـــهِ
ومـــن البَلِيَّـــةِ وَهْـــوَ يَرْمِـــي نفْـــسَه أن يَطْمَـــعَ المـــشتاقُ في إبقائِـــهِ[2]

وكانت بعض حظاياه |عليه|[3] غضبى مجرَّدةً من صوارم الهجر [١٦٥/ب] عَضْباً، فأُهديَتْ إليه وردةٌ من بستانه، وحيَّاه لسانُ النسيم بنشرها قبل أوانه، فأرسلها لها مع أبياتٍ يسترضيها، ويستعطفُ غصنَ قامتها بنسيمِ العتاب ويستعفيها، وهي[4]: [الكامل]

وافى بهـــا البـــستانُ صِـــنْوُكِ وردةً يَقْـــضِي بهـــا لَمّـــا مطَلْـــتِ عُهـــودَا
أهـــدَى البهـــارَ محـــاجِرًا وأتـــى بهـــا في وقتهـــا كـــيما تكـــونَ خُـــدودَا
فبَعَثْتُهـــــا مُرْتـــــادَةً بنَـــــسِيمها تُثْنِـــي مـــن الـــرَّوْضِ النَّـــضيرِ قُـــدودَا

ومن شعره[5] أيضاً[6] قوله[7]: [الرمل]

---

(١) ديوانه، ١/ ٣.

(٢) في الديوان: «ومنَ الجهالةِ وهْوَ يَرشُقُ نفسه أنْ تَطْمعَ العشّاقُ في إبقائه».

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٩٣؛ وخلاصة الأثر، ١/ ٢٢٥.

(٥) في (س): «ومن شعر».

(٦) ساقط من (ظ).

(٧) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٩٣؛ خلاصة الأثر، ١/ ٢٢٤.

لا وطـــرفٍ علَّـــم الــسَّيْفَ فقـــدّ   في قَـــوامٍ كقَنَـــا الخـــطِّ مَيَـــدْ[١]
ووَمِـــيضٍ لاح لَـــمَّا ابْتَـــسَمتْ   مِـــنْ ثَنايـــا مثـــلِ دُرٍّ أو بَـــرَدْ
مـــا هـــلال الأفْـــقِ إلّا حاسِـــدٌ   لعُلاهـــا وبَهاهـــا والغَيَـــدْ
ولـــذا صـــارَ ضـــئيلاً نـــاحلاً   كيـف لا يَفْنَـى نُحـولاً مَـن حَـسَدْ

ومثله قول القُطْب المكِّيّ رحمه الله: [الرمل]

لا وفَـــرْعٍ كـــدُجَى الليـــلِ غـــسَقْ   وجَبِـــينٍ ضَـــوْءهُ ضـــوءُ الفَلَـــقْ
ومُحَـــيًّا كَلِـــفَ[٢] البَـــدْرُ بـــه   وخُـــدودٍ مـــن حَواليهـــا شَـــفَقْ
مـــا أرى الغـــزلان إلّا سَرقَـــتْ   منـــك جيـــداً والتفاتـــاً وحَـــدَقْ
ثـــم خافَـــتْ فتولَّـــتْ شُرَّداً   كيـــف لا يَـــشْرُدُ خوفـــاً مَـــنْ سَرَقْ

وقلتُ أنا قديماً على نمطه: [الرمل]

لا وغُـــصْنٍ راقَ للطـــرفِ ورَقّ   وعليـــه حُلـــلُ الحَـــلْي وَرَقْ
وشـــموسٍ لم تغِـــبْ عـــن نـــاظري   والـــشعورُ الليـــلُ والخـــدُّ الـــشَّفَقْ
وعيـــونٍ[٣] حرَّمَـــتْ نـــومي ومـــا   حلَّلَـــتْ لي غـــيرَ دمعـــي والأَرَقْ
مـــا احمـــرارُ الـــرَّاحِ إلّا خجـــلٌ   مـــن رُضـــابِ سَـــكِرَتْ منـــه الحَـــدَقْ
والـــذي قـــد حـــسِبُوهُ حَبَبـــاً   فـــوقَ خـــدِّ الكـــاسِ قطـــراتُ العَـــرَقْ

ومن هذا الباب قول ابن المعتز[٤]: [مجزوء الرمل] [١٦٦/أ]

لا ورُمَّـــانِ النُّهـــودِ   فـــوقَ أغـــصانِ القُـــدودِ

---

(١) في (س): «نَهَدْ».
(٢) في (ظ): «كلف كلف».
(٣) في (ظ): «وعيوني».
(٤) ديوانه، ١/ ٣٣٣.

وعَناقيــدَ مِــنَ الــصُّدْ غِ[١] وورِدٍ مــن خُــدودِ
وبــدورٍ مــن وجــوهٍ[٢] طالعــات بالــسعودِ[٣]
ورســولٍ جــاء بالميــ ـعادِ من غيرِ وعيـدِ[٤]
ونَعِــيمٍ مِــنْ وِصــالٍ في قَفَا طولِ الصُّدودِ[٥]
مـا رَأتْ عَيْنِـي كَعِيـدٍ[٦] زارَنِي في يَــوْمِ عِيــدِ

تتمة

عُدَّ كثيرُ القَسَمَ في المحسنات البديعية، وعليه صاحب «الكشاف» وغيرُه من المتقدّمين، ولم يعرفْ سرَّه كثيرٌ من الأدباء، لأنه من المعاني الوضعية، ولا وجه لجعله من المحسنات التابعة لمقتضيات الحال.

وقد أشار الإمام المرزوقي إلى وجهه في شرح قوله[٧]: [الكامل]

بَقَّيْتُ وَفْرِي وَانْحَرَفْتُ عَنِ العُلا وَلَقِيتُ أضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسِ
إنْ لم أشُنَّ على ابْنِ هِنْدٍ[٨] غارَةً لَمْ تَخْلُ يَوْماً مِنْ نِهَابِ نُفُوسِ

فقال جعل ما يُذَمُّ به من الصفات، سواء يوهم اتّصافُه بها أَو لا، بمنزلة

(١) في الديوان: «من إصداغ».
(٢) في الديوان: «وَوُجوهٍ مِن بُدورٍ».
(٣) في الديوان: «بسعودِ».
(٤) في الديوان: «من بعد الوعيد».
(٥) في الديوان: «صدود».
(٦) في الديوان: «كظبيٍ».
(٧) البيتان لمالك الأشتر النَّخَعي في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام للمرزوقي ١/ ١٤٩.
(٨) في شرح ديوان الحماسة: «ابن حربٍ».

المصائب العظيمة عنده، ثم جعله مُقْسَماً به تأكيداً لعِظم فَظاعته، ففيه كنايةٌ على كناية، أو كناية مرتَّبة على المجاز، وهو كثير كقوله: [الطويل]

لَئِنْ كانَ ما بُلِّغْتَ عَنِّي فَلامَنِي صَدِيقِيَ وشَلَّتْ مِنْ يدَيَّ الأنامِلُ(١)

وكذلك إذا أقسم على الشيء بنفسه، أو بما يساويه كقول أبي تمام: [الخفيف]

وَثَناياكِ إِنَّها إِغْرِيضُ(٢)

وهو كثيرٌ في القرآن، ومنه تعلم وجه وقوع القسم القرآني لغير الله وسرُّه الذي يندفع به السؤال المشهور.

وأنشده بعضهم قول الأبيوردي(٣): [الوافر][١٦٦/ ب]

ولو أنِّي جُعِلْتُ أميرَ جيشٍ لَمَا حارَبْتُ إلَّا بالسُّؤالِ

لأن الناسَ ينهزمون منه وإن ثبتوا لأطرافِ العَوالِي

فقال: لو كان البيت لي قلت(٤): [الوافر]

ولو أنِّي جُعِلْتُ أميرَ جيشٍ لَمَا حارَبْتُ إلا بالنَّوالِ

قلتُ: لكلِّ مقامٍ مقال، فذاك كلامُ سائلٍ ملَّ السؤال، وهذا كلامُ ملك يملك القلوبَ بالنوال.

وفي معناه قولي في فصلٍ: أعَزُّ حصونِ العباد، ظهورُ المُطَهَّمَة الجياد، وخيرُ من ذبَّ عنك العِدى، يدٌ مملوءة بالندى.

---

(١) البيت لمعدان بن جوّاس الكندي، شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ١٥١. (ج).

(٢) عجز البيت: «وَلآلٍ تُومٌ وَبَرْقٌ وَميضُ»، ديوانه، ١/ ٣٨٣.

(٣) لم يرد البيتان في ديوانه.

(٤) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٩٦؛ وخلاصة الأثر، ١/ ٢٢٥.

وقولي في قصيدة[(١)]: [المتقارب]

بَنَيْتُ حُصوناً تَصُونُ العُلا ... إذا ما بناءُ الملوكِ انْهَدَمْ
حصونٌ من العدلِ من حولها ... خنادِقُ فيها مياهُ الكَرَمْ

وقد أشار إلى هذا ابن الرومي في قصيدته التي أولها[(٢)]: [الطويل]

أَبَيْنَ ضُلوعي جَمْرةٌ تتوقَّدُ ... على ما مَضَى أَمْ حَسْرَةٌ تتجدَّدُ

ومنها[(٣)]:

وحارَبَ عَنْ نَعْمَائِهِ رَيْبَ دَهْرِه ... من البِرِّ والمعروفِ جُنْدٌ مُجَنَّدُ

وهذا ما نظر إليه مولاي أحمد رحمه الله.

ومن هذه القصيدة[(٤)]:

لِما تُؤذنُ الدُّنيا به من صُروفها ... يكون بكاءُ الطفلِ ساعةَ يُولَدُ
وإلَّا فما يبكيه منها وإنَّه ... لأوسعُ[(٥)] ممّا كانَ فيه وأرغدُ
إذا أبصرَ الدُّنيا استهَلَّ كأنَّه ... بما سوفَ يلقى من أذاها يُهَدَّدُ
وللنَّفسِ أحوالٌ تظلُّ كأنَّها ... تشاهدُهُ في كلِّ غيبٍ[(٦)] وتشهدُ

ومن الغريب فيها قوله[(٧)]:

---

(١) في ريحانة الألبا، ١/ ٢٩٦.
(٢) ديوانه، ١/ ٦٣٣.
(٣) ديوانه، ١/ ٦٤٥.
(٤) ديوانه، ١/ ٦٣٥.
(٥) في الديوان: «لأفسح».
(٦) في الأصل: «عيب».
(٧) ديوانه، ١/ ٦٣٧-٦٣٨.

لــــه سَــــوْرَةٌ مُكْتَنَّـــةٌ في سَـــكِينَةٍ كـما اكْـتَنَّ في الغمْـدِ الجُـرازُ المهنَّـدُ
بِجَهْلٍ كجهلِ السيفِ والسيفُ مُنْتَضىً وحلْمٍ كحلم السيف والـسيفُ مُغْمَـدُ

وقد انتقد عليه أنه كرر السيف أربع مرات، وثلاث[١] منها محلُّ الإضمار[٢]، ومثلُه ثقيلٌ مخلٌّ بالفصاحة، ومريق لماء رونقها، ولذا أسقطه من انتخب ديوانه، وقد ردَّ بأنَّه ليس بتكرار، وإنَّما هو كدعائمِ الخباء التي يرى فيه عصيًّا مكرَّرةً، ولو وقعَ منها واحدةٌ مالَ وانهدم، ووجهه على ما فيه من خفاءٍ ودقَّة: أن تضادَّ الصفات [١٦٧/أ] ينزلُ منزلة تضادِّ[٣] الموصوفات، وكذا تغاير أوقاتها، فكررت ههنا لتدلَّ بطريق الكناية الإيمائية على ذلك، حتى كأنَّ السيفَ في غمده غير مجرد، أو دلالة اللفظ عليه في كلِّ حالٍ بمنزلة دلالة المشترك على معانيه، وهذا نقله الشيخ في «دلائل الإعجاز» عن الصاحب [بن عباد][٤].

ومن بديع معانيه فيها قوله: [الطويل]

ولَّمـا تنـاهى مَـن يُجاريـه في العُـلا تمـادى يجـاري أمـسه اليـوم والغـدُ
جـــواد ثنـــى غُــرَّ[٥] الجيــاد بِغَرْبِــهِ فظـل يجـاري ظلَّــه[٦] وَهْــوَ أوْحَــدُ

وكتب إلى سيبويه زمانه أستاذي وخالي أبي بكر الوفائي، وقد بلغه شرحه «لأوضح المسالك» لابن هشام، ما صورته: من عبد الله المجاهد في سبيل الله،

(١) في (س): «وثلاثة».
(٢) في (ظ): «الاحتمالات».
(٣) ساقط من (ظ)
(٤) انظر دلائل الإعجاز، ص. ٥٥٤-٥٥٥.
(٥) في (ظ): «غر».
(٦) في (ظ): «طله».

المنصور بالله، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسنِيّ، أمد الله بعزيز نصره أوامرهم، وظفَّر بنصره عساكرهم.

إلى الفاضل الذي إذا نحا من العلوم نحواً رفع علمه توضيحاً، وجاز تالياً وهو المقدَّم ما تمحَّض من الخلاصة تنقيحاً، وشرح ما خفي رمزاً فاتضح إبانةً وتصريحاً، الفقيه المثيل، النبيه النبيل، المتقن المفنن، لا يزال يعمِّر من دَسْتِ المعارف مِنَصَّه، ويُعْمِل في ميدانها وَخْدَه(١) ونصَّه.

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ حمداً لله الذي ألهمَ تثقيف أَوَدِ اللسان، وفتَق منه بالبيان رتقاً، وصرَّف حكمَ الإعراب على ألسنة الأعراب، فامتدَّ شأوُها في مجال الإبانة طلقاً، وأجرى جياد مقايسه المطَّردة فلم يتخلّفْ لاحقاً عن متقدِّمٍ سبقاً.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أرصده سبباً للسعادة سفيراً، وحضَّ به قوادمَ الشِّرك فأصبح مهيضاً كسيراً، وأعاضَ جمعه من السلامة تكسيراً، والرِّضا عن آله وأسرته الغُرِّ الزُّهر الذين(٢) ينمُّ(٣) شذا ذكرهم عبيراً، وبروق طراز مجدهم حَبيراً.

وعن أصحابه الأعلام الذين [١٦٧/ب] فضُّوا حَلَقَ الضَّلالة المسرودة، ولقيَتْ من عاصف بأسهم مبيداً(٤) مُبِيراً. وصلة الدُّعاء لعَليٍّ هذا المقام الأحمدي

---

(١) الوخد: السير السريع.

(٢) في (ظ): «الذي».

(٣) في (س): «ينمو».

(٤) في (س): «مبدداً».

المنصوري الحسني بنصرٍ عزيز يقطف من الفتح زهرات كمائم، وسعدٍ جديد لا يزال قرينَ عزماته الماضية ما انقدح[١] برقٌ في مُسكة الغمائم، وكتبنا لكم من حضرة مرّاكش حاطَها اللهُ، وصَنائعُ الله تعالى لهذا الجنابِ النبوي، الكريم المَوْلَوِيّ، مُطَّرِدة اطّراد كُعوب الذابل[٢]، وإمدادُ عنايته المطيفة المُحْدِقة بهذه الإيالة العَلِيَّة واكف الغمام الوابل.

هذا، وإنه اتَّصل بنا ما تعرَّفنا به حسنَ امتنانكم وأسبابكم لعَلِيِّ هذا المقام، وأنَّــكم ممَّن ارتشفَ مُجاجَة نَشِيْعِهِ[٣] المسكية الختام، واستوضحَ إيماضَ عنايته البازغة الشارق، وشامَ حَيَاها الواكِف غيرَ خُلَّبِ البارق، ليُقَمَّص من عُصْبها المَوَشَّى أنيق النثارة[٤]، ويتنسق[٥] في ضرب ما انحلَّ منها عُلْوِيَّ داره.

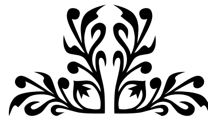
وإلى هذا فتعرَّفوا أنَّ أمثالكم من جملة المعارف، المتفيِّئين لظلِّها الوارف، متمَّم لهم في هذا الجناب قسطُ النباهة بين وِتْرٍ وشَفْعٍ، ونداء أعلامهم في هذا الباب لم يزل نداء رفع، وجَنَى الكرامة لهم داني الاهتصار، وحظُّهم[٦] منها الإسهاب الذي لا يُخُلُّ به اقتضابٌ واقتصار، وفئتهم المتحيِّز[ةُ] إلى هذا المقام لم تزل بالعناية محفوفة، تتعرَّف من تنويه المقدار مَزِيَّتة وشفوفة.

وأما الغرضُ الذي يَمَّمْتُمْ، والقصدُ الذي به ألممتم، من خدمة خزانتنا

(١) في (س): «تقدح».
(٢) الذابل: الرمح الدقيق. (ج).
(٣) النَّشيع: كلُّ ما يردُّ الروح، وفي ريحانة الألبا ١/ ٢٩٨: مجاجة لثته المسكية. (ج).
(٤) في ريحانة الألبا: يتقمّص من قمصها الموشى أنيق الشارة. (ج).
(٥) في (ظ): «ويتسق». وفي الريحانة: ويستشفَّ.
(٦) في (س): «وحضهم».

العلية بتصنيفكم المنقَّح الفصول، المحرَّر بالفروع والأصول «شرح توضيح العلامة ابن هشام»، الذي أبرزَ من مكنونه خَبا استتار واكتتام، وترَك ذكرَ خالدٍ[1] غير خالد، ونسخَ من صيته الطريف والتالد، [١٦٨/أ] فلكم التصريح في الحقيقة وانفراد بمستتر الإضمار، وسابقُ الحلبة إنَّما يُعرفُ آخر المضمار، فقد وقع من محلِّنا الكريم موقع القبول، وهبَّ له من إيثارنا صَباً وقبول، وتوفَّرت داعية رغبتنا في إتمامه، واطلاع زهراته من كمامه، لينتسق إن شاء الله في سلك خزانتنا العلية اسمه، ويثبُتَ بحمد الله في فهارسها الكريمة رسمه.

والله تعالى يسدِّد لكم في غرض التوفيق مراميا، ويجعل قسطَكم من التسديد زاكياً وناميا. وكتب في حادي عشر ربيع الآخر سنة خمسٍ وألف.



(١) هو زين الدين خالد بن عبد الله الأزهري الصعيدي، من أعلام النحاة (توفي ٩٠٥هـ). الكواكب السائرة ١/ ١٨٨. (ج).

[١٤٢]

أبو بكر بن إسماعيل الوفائي الشَّنَواني(١)

المذكور في هذا المنشور، بحرُ العربية الذي استمدَّت منه جداول الفضائل، وروض الكمال الذي قامت له الأغصان على سوقها في الخمائل، فلو رآه المُبَرِّد قال: هذا هو «الكامل» الغني عن التكميل، أو أحمدُ لقال: أفدي بـ«العين» هذا الخليل. فلكم قرَّظ وشنَّف وصنَّف وألَّف.

لم أدرِ ماءُ الحياة أعذبُ أم بحار راحاته؟ أم ما جرى في ظُلمات الحبر المكحّل به عين دواته. أما ترى القلمَ بغير روحٍ مسَّه فمشى، وطرَّز حُلل القراطيس ووشَى. ففي طرسه جداول تشعَّبتْ أنهارها، ونبتت في السطور على حافاتها رياضها وأزهارها.

فهو لعمري فاضل تشرَّفَتِ الصِّفات بذاته، وتحيَّرتِ البلاغةُ في بديع صفاته. وهو أستاذي وخالي، ومن التأم به في زمن الصِّبَا شَعَثُ حالي.

وقد تلمذَ لأبي، ثم تخرج بابن قاسم(٢)، ذلك الإمام الذي هو لعقد الكمال

---

(١) أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين عمر بن علي الوفائي الشَّنَواني (٩٥٩-١٠١٩ / ١٥٥٢-١٦١١): نحوي، تونسي الأصل. ولد في شنوان بالمنوفية بمصر، وتعلم في القاهرة، وتوفي بها. من مؤلفاته: «حاشية على أوضح المسالك لألفية ابن مالك»، و«حاشية على شرح الشذور»، و«الدرة الشنوانية» في شرح الآجرومية. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٣٠١؛ خلاصة الأثر، ١/ ٧٩؛ ديوان الإسلام، ٣/ ١٦٢؛ كشف الظنون، ٢/ ١٠٦٨؛ هدية العارفين، ١/ ٢٣٩؛ إيضاح المكنون، ٢/ ٣٨، الأعلام، ٢/ ٦٢؛ معجم المؤلفين، ١/ ٤٣٦.

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن قاسم العَبّادي القاهري الشافعي (ت: ٩٩٤/ ١٥٧٥): عالم، فقيه، =

في جيد الدهر ناظم.

وله تصانيف جمة: كـ «شرح التوضيح» الذي قرَّط به آذانَ الدهر، وتوَّج به رأس الكمال والفخر، ونظَم فيه قلائد لبات السطور التي تفضحُ حلاوتها «القطر» وبهجتها «الشذور».

وممّا كتبته إليه بعد رحلتي من مصر أقول[1]: [الكامل]

وجَد الصَّبا للعاشقين رسولا فشَفَى باهداءِ السلامِ عَلِيلَا
قل للأحِبَّة أنتمُ مذ غِبْتُمُ لم ألقَ وجهاً للسُّلُوِّ جَمِيلا [١٦٨/ب]
وخلعتُ أيامَ الوِصالِ قصيرةً ولبِسْتُ ليلاً للفِراقِ طويلا

حرسَ الله تلك الذات التي هي بدرٌ لا يُخْشَى سِرارُه، ولا تزال تُشْرِقُ في سماء الكمال أنوارُه، وكلأ منها روضَ كمالٍ المجدُ أوراقُه وثمارُه، وسقاها من وَسْمِيِّ النَّعْماءِ كلَّ هطال مغدِق، بل من وَلِيِّ سَجاياه ما يُزْهِرُ به ربيع المعالي ويُورق، وحَيَّا اللهُ ذلك المُحَيَّا، وروَّتْ مواطنَ مواطئه التي يفتخرُ بها الثَّرَى على الثُّرَيا.

ولا زالت الفضائل لا تنصرف عن ناديه فإنّه مُنتهى جموعها، ولا بَرحتِ الفضائلُ من سُحب بَنانه مُخْصِباً ربيعُ ربوعها.

كما قلتُ من قصيدةٍ تتمسَّكُ بأذيال أفضاله، وتتمسَّكُ بعبيرِ نَسمات إقباله: [الطويل]

فَرائدُ تَزْهُو في تَرائبِ مَدْحِهِ وعِنْدِيَ لولا الجِيدُ ما حَسُنَ العِقْدُ

= من كبار علماء مصر، توفي بالمدينة المنورة عائدا من الحج. من مؤلفاته: «الحاشية على شرح جمع الجوامع». انظر مصادر ترجمته: تراجم الأعيان، ١/ ٦٢؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٦٣٦؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٣٠. أقول (ج): تقدمت ترجمته صفحة (٦١٢) حاشية (٥).

(١) ساقط من (ظ).

سَقى اللهُ هاتيك الرُّبى سُحْبَ راحَةٍ لها نسَماتُ الجود من طبعه(١) تحدوُ
وإنَّ دياراً(٢) قد سقاها بنانُه لَيَنْبُتُ في أرْجائها الفخرُ والمجدُ

وأنا أسأل الله أن يُطْفِئَ من البُعد ضِرامَ صَداه، بمشاهدة ذلك الوجه الذي يقطر منه ماءُ بشرِهِ ونداه، ويُحكِّمَ في عاتق الفراق، سيوفَ التداني والتلاق، فإنَّ العبدَ ما دام في أسر البُعد، وفِكره محبوس في سجن الغرام والوجد، متعلِّقةٌ به أشراك النوى والنوائب، فهو جازم بألَّا يرفع حِجابَ هَمِّه الناصب.

وكيف لا، وإناء القلب مملوءٌ بولائك، وثوبُ الحياةِ لحمته وسَداهُ، منسوجة بيَدِ نَعْمائك، فإنك نورُ حَدَقةِ الدهور، ونَوْرُ حديقةِ الحبور، والسلام. توفي سنة ١٠٣١.

فكتب رحمه الله تعالى إليّ(٣): [الطويل]

سلامٌ شَذاهُ يَمْلأُ الأرضَ نَفْحَةً(٤) تُبَلِّغُهُ مِنِّي إليكَ يدُ الصَّبَا
وتَحْمِلُهُ هُوجُ الرِّياحِ إلى العُلا وتَنْشُرهُ في الأرض شرقاً ومَغْرِبَا
[١٦٩/أ] وسقَّى ديارَ الروض(٥) والجوُّ عابِسٌ رَذاذُ كمالٍ حلَّ فيها وطَنَّبا
ورَدَّ عليها الغَيْمُ لؤلؤَ طلِّهِ ففَضَّض هاماتِ النباتِ وذَهَّبا
لئِنْ كان عن مِصْرٍ تَوارَى شِهابُها فقد لاحَ في دارِ الخلافةِ كَوْكَبَا
وما كان تأخِيري جَوابَك عن قِلًى ولكنَّ ضَعْفِي للقَرِيحةِ شَيَّبَا
وشَرَّقَنِي دمعَ الأسَى وأهاضَنِي على أنَّ قَلْبِي من فِراقكَ غَرَّبَا

(١) في (ظ): «طبعها». وفي الريحانة ٢/ ٣٠٣: لها نسمات من عواطفه تحدو.
(٢) في (ظ): «بلادا».
(٣) ورد «إلي» في (ظ) بعد «فكتب».
(٤) في (س): «نكهة».
(٥) في (ظ): «الروم».

نَـأَتْ بـك يـا قُـسَّ الفـصاحَةِ بلـدةٌ وخلَّفْتَنِـــي بعـــد الفـــراقِ مُعَـــذَّبا
فلَيْـتَ الـذي شـقَّ القلـوبَ يَرُمُّهَـا ولَيْـتَ الـذي سـاقَ القَطِيعـةَ قَرَّبَـا

سلام كعَرْفِ الروضِ جرَّ عليه النسيمُ ذيلَه، بعد ما باتتْ كؤوسُ القطر تُدار عليه نهارَه وليلَه، فأشرقَتْ شمسُ نهاره على الرَّوابي والبِطاح، وارتشفَتْ رِيق الغَوادي من شفاه الشقيق وثنايا الأَقاح، ونثَرَ كافورُ الطَّلِّ مِسْكِيَّ الشَّذا على مجامر الجُلَّنار، ونُصِبَتْ على دِيباج النباتِ سُرادِقاتٌ من مُخَيَّمِ الأشجار.

تُهدى لمن ألقتْ إليه العلومُ مقاليدها، وملك من كنوزِ العلوم طارِفَها وتَلِيدَها، أفصحُ مَنْ وَشَّى وجوهَ الطُّروس بخطوط المعارف، وأسبلَ على خرائد السطور فواضل المطارف. لا زالتْ عَوارفُ المعارف عليه منهلّة، وذيول مجده من بحار المكارم مُبْتَلَّة.

وبعد؛ فقد ورد المشرَّف الكريم، فألقينا عليه عصا(١) التسليم، واجتنينا من قطوفه الدانية باكورةَ التسجيع، وتصَيَّدْنا من غصون همزاته حمائمَ التَّرْجِيع، ورأيناه وقد اشتمل على عَتْبٍ أرقَّ من دمعة الكئيب، وألطفَ من معاتبة الحبيب.

غيرَ أنَّ عُذْرِي مقبولٌ لا يُرَدُّ، والأسى رفيقٌ لا يودُّ، فإنَّ المرض منذ سنوات لازمني لزوم النجوم للأفلاك، ونصبَ لصيد الصحة فِخاخَه والشِّباك، لا يُفارِقُنِي إلّا مُفارقةَ الجفنِ العين، كأنّي غريمٌ له عليَّ دَيْن: [الوافر] [١٦٩/ب]

كـــأنَّ الـــسُّقْمَ محتـــاجٌ لِجِـــسْمِي فـــما يَنْفَـــكُّ عنـــه قِيْـــدَ شِـــبْرِ

إن أردتُ القيامَ فأنا عاجز لابدَّ لي من مُعين، وإنْ مشيتُ فلا أستغني عن عَصاً(٢)

(١) في (ظ): «خلع» بدلا من «عليه عصا».
(٢) في (ظ): «عضا».

وقَرين، وقد رفضتُ القلم وطالما حملته، وجفا يميني بعد ما أرضعته من جدول[١] النون وغذوته. وارتعشتْ لفراقه أسفاً وندما، وصار وجدان الطُّروس بعده عَدَماً، وأصبحتُ كأنّي من أصحاب الكهف والرَّقيم[٢]، فلا أعرف كم لبثتُ من السنين، ولكنه عندي المُقْعِد المقيم، والسلام.

والضعفُ الذي شكاه في كتابه، فالجٌ رماه الدَّهر بأوصابه، وأثقله بمصائبه، إذ عضَّه[٣] بأنياب نوائبه، فكساه ثياب البأس والضّرِّ حتى استحلى بعد عذب شرابه[٤] كأسَ المنون المرِّ، وقال[٥]:

فثَوْباً لَبِسْتُ[٦] وثَوْباً أجُرّ

فأنشد للبلا: [الكامل]

كِلتاهُما حَلَبُ العَصيرِ فَعاطِني بِزُجاجَةٍ أَرْخاهُما لِلْمِفْصَلِ[٧]

وقوله: «عاجز» من بليغ كلام العرب،، فإنّهم يقولون لمن كبر فاحتاج إذا قام أن يتّكئ على يديه وهي هيئة العاجزُ.

ولما أتاني خبر وفاته قلتُ مضمِّنا لبيت الشواهد: [الخفيف]

رَحِمَ اللهُ أوحدَ الدَّهْرِ مَنْ قَدْ كانَ من حِلْيَةِ الفَضائلِ حالِي

(١) في (ظ): «جداول». النوال وعذّته.
(٢) في (س): «لا الرقيم».
(٣) في (ظ): «عظه».
(٤) في (ظ): «مشربه».
(٥) هذا الشطر عجز بيت لامرئ القيس، صدره: «فلما دنوتُ تسَدَّيْتُها»، ديوانه، ص. ٢٣٤.
(٦) في الديوان: «فثوبا نسيتُ».
(٧) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه، ص. ١٨٥.

ذاك خــالي وسَــلْوَتِي حــين يَنْعَــى ... لــيسَ حــيٌّ عــلى المنــونِ بخــالِ[١]

وهو شاهد لترخيم خالد في غير نداء.

وقلت أيضاً إذ نُعيَ لي هو ووالدي[٢]: [الطويل]

كــأنَّ الليــالي غــالَطَتْنِي ولم أكُــنْ ... أقَـدِّرُ أن يَغْـتَرَّ مـثلي بـذي[٣] الحِيَـلْ[٤]

فقالَــتْ إذا أعطَيْتُـكَ الأمْـنَ عـاجِلاً ... مِنَ الرُّزْءِ هل تَرْضَى فقلتُ لها: أجَلْ

فجــاءَتْ بفَقْــدٍ لِلَّــذين أحِــبُّهُمْ ... وقالَـتْ لهـذا كنـتُ أعْنِـي فـلا تَـسَلْ

لأنــك لا تَخْــشَى مــصاباً بُعَيْــدَ ذا ... فللـه رَيْـبُ الحادثـاتِ ومـا فَعَـلْ[٥]



(١) انظر حاشية الصبان على الأشموني ٣/ ١٨٤.

(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ٣٠٦.

(٣) في (س): «ندى».

(٤) في ريحانة البا ١/ ٣٠٦: أقدّر أن أغترّ بالمكر والحيل. (ج).

(٥) قال في الريحانة: وهذا معنى مشهور في كلام فصحاء العرب، ولكنني تصرفت فيه، مع تسمية النوع تصرّفاً يعرف حسنة من ذاق حلاوة الأدب. ثم ضرب أمثلة لهذا المعنى. (ج).

[١٤٣]

محمد الفِشتالي(١)

وزير مولاي أحمد سقى الله ثراه.

أديب فاس، وريحانة ندمائها الأكياس، تقدَّم فيها متقلِّداً قلادة إنشائها، [١٧٠/أ] فائقاً بحسن ترسُّله على سائر أدبائها، وهو بها الآن، من أعظم وزرائها الأعيان، رافلاً في حلل الحُبور، تبسم له دولتها بثغر السرور.

وكان عاد إلى قسطنطينة رسولاً من ملك المغرب والعَوْدُ أحمد، معتقداً(٢) أن لا يصلح للرِّسالة غيره كما لا أحد أولى بالرِّسالة من محمد، لأَنَّه

أُلقت إليه مَقاليد النُّهى البشر(٣)

وسلمت إليه يد التدبير مفاتيح المكر والحذر.

وكان بها كثيراً ما يجلو على كأس أُنسه، ويسامرني بليل(٤) سمره ونِقْسه، ونحن في مضمار المحاورة نتجارى، حتى مضى لنا زمنٌ أقصر من إبهام القَطاة والحُبارى، وأقصرُ من عمر تلاقي الأحباب، بل من سالفة الذُّباب، لأنه أحكم

---

(١) أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي المغربي (٩٤٦-١٠٢١ / ١٥٣٩-١٦١٢): من الكتاب، كان يكتب للسلطان المنصور أحمد الشريف الحسني. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٣٠٩؛ هدية العارفين، ٢/ ٢٦٩؛ إيضاح المكنون، ٢/ ١٤، ٥٥٤؛ الأعلام، ٦/ ٢٩٣؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٥٧٥.

(٢) في (ظ): «منعقدا».

(٣) عجز بيت للحطيئة، صدره: أنت الإمام الذي من بعد صاحبه. طبقات فحول الشعراء ١/ ١١٧. (ج).

(٤) في (ظ): «بليلي».

عُرى المجد، وجذبَ عنان الشعر، كما قال السَّلُولي[(١)]: [الطويل]

جَهِـيرٌ وَمُمْتَـدُّ العِنـانِ مُناقَـلٌ ... بَـصيرٌ بِعَـوراتِ الكَـلامِ خَبـيرُ

ولما ورد الروم كتبت له مهنِّئا بالقدوم[(٢)]: [الطويل]

قـدومٌ لـه هـذي الثغـورُ بَواسِـمُ ... ولـيس لهـا غـيرَ الزُّهـورِ مَباسِـمُ

مـسرَّةُ إقبـالٍ وعَـزْمُ قَـوَادمٍ ... عليهـا لطَـيْرِ الـيُمْنِ زُفَّـتْ قَـوادِمُ

عـلى فـترةٍ وافَيْـتَ للـرُّوم مُرْسَـلاً ... فـضاءَتْ بنـورِ العلـمِ منهـا المعـالِمُ

فهـل أهْـدَتِ الأيـامُ أعيادَهـا لنـا ... ففـي كـلِّ وقـتٍ مُـذْ قَـدِمْتَ مَواسِـمُ

هذا هناءٌ عرائسُهُ على الألباب مجلوَّة، وآياته المحكمة بلسانِ الزمان متلوَّة، سُرَّتْ به الليالي والأيام، حتّى كأنَّه في فم الدنيا ابتسام.

ولعمري لقد أبان هذا الرسول من المرسل كماله، ولا غَرْوَ أن خُصَّ محمدٌ في هذا العصر بالرسالة. فله قُدومٌ ذهَّبَ الأُفق في البُكَر والآصال، وهبَّتْ على روض مجده نسيمات الإقبال.

وقد جرَيْتُ في هذه التهنئة من الأدب على سَننِهِ، وأردتُ أن تُحيا فرائضُ مذهبه وسُننه، فمن هذه الرياض تُجْنَى ثمرات الألباب، وتُطَرَّزُ [١٧٠/ب] حلل المعارف والآداب. فهذا زمنٌ طلعتْ فيه شمسُ الأدب من مغربها، فإن فتح مولاي كنوز فكره، فالعبدُ أحقُّ بمطلبها، والسلام.

فأجاب بقوله: [الطويل]

---

(١) هو العُجَيْر بن عبد الله بن عبيدة بن كعب السَّلُولي (ت: ٩٠/ ٧٠٨): من بني سلول. من شعراء الدولة الأموية في أيام عبد الملك بن مروان. انظر ترجمته: الأعلام، ٤/ ٢١٧.

(٢) في ريحانة الألبا، ١/ ٣١٠.

جُـذَيْلُ[١] حِكَـاكٍ قَـد رَمَـى بعَظِيمـةٍ   كَثالِثَـــةِ الأَثْفَـــى وَهُـــنَّ عَظَـــائِمُ
وذَكَّـرنِي الطَّعْـنَ[٢] الَّـذي قَـدْ نَـسِيتُهُ   فَتــىً مُبْــشِرٌ بــل مُنْــذِرٌ لَا يُقَــاوَمُ
كــأَنِّيَ بالفــضلِ الــذي هُــوَ أهلُــهُ   يُغَطِّـي عِراقـاً[٣] وهْـوَ بـالنَّقْصِ عـالِمُ

طالعتُ، أبقاكم الله السَّحاة[٤] التي لو رآها الفتح[٥] لما انفتح له للإحسان باب، ولو طالعها البديع[٦] ما ارتدى من مَمِيسِه بجلباب.

أُقسِمُ بتلك الفِقَر والقوافي، وهنَّ القَوادم في جناح الإحسان والخوافي، لقد سقيتني من الأنس بعد الصحو كأساً دهاقاً، وملأت فكري وهو المظلم بتنائي السكن إضاءة وإشراقاً.

وإنِّي لَتارِكٌ عتاب الليالي، إذْ جمعني في هذه الديار بأمثالكم، حتى اقتطفنا من

(١) الجذيل المحكك: العود الذي ينصب في العطن لتحتك به الجربى. (ج).

(٢) في (س): «الظعن».

(٣) العراق: الخرز المثني في أسفل المزادة. القاموس. (ج).

(٤) السحاة ما أخذ من القرطاس. (ج).

(٥) هو الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي المعروف بابن خاقان (ت: ٥٢٩/ ١١٣٤): أديب، شاعر، مؤرخ. كان أحد الوزراء الكتاب المصنفين في الأندلس. من أهل قرية تعرف بقلعة الواد من قرى يحصب. توفي قتيلاً بمدينة مراكش. من مؤلفاته: «قلائد العقيان ومحاسن الأعيان»، و«مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس». انظر مصادر ترجمته: نفح الطيب، ٧/ ٢٩؛ قلائد العقيان (دراسة المحقق)، ١/ ٧؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٦١١.

(٦) هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمذاني (٣٥٨-٣٩٨/ ٩٦٩-٩٩٨): صاحب «المقامات» المشهورة، والرسائل الرائقة، كان فصيحاً مفوَّهاً، وشاعراً مفلقاً. توفي مسموماً بهراة. انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ١/ ١٢٧؛ شذرات الذهب، ٤/ ٥١٢؛ معجم المؤلفين، ١/ ١٣٠.

رياض طروسكم زهرات شواهدكم وأمثالكم، لا زلتم تُقيمون رسوم المعالي، وتجمعون من المكارم بين المقدَّم والتالي، بِمَنِّه وطَوْلِه.

والسلام الأتمُّ عليكم ورحمة الله وبركاته.

وله عذبُ شعرٍ تشربه أفواهُ الأسماع، ورياضُ نثرٍ تُغرِّد حمائم قوافيه بمطرب الأسجاع.

فممّا دار بيني وبينه من كؤوس المخاطبة، وجال من جياد القوافي في مضمار المكاتبة، وما أَلْغَزْتُهُ في حبّات الأحقاف[1] المطوّقة على كنوز الأرداف، قولي: [مجزوء الوافر]

أيـا روضـاً لـه ظـلٌّ وشـمسُ معـارفٍ تعلُـو
ويـا مَـنْ قولُـهُ فـصلٌ وعُنـصرُ ذاتِـهِ فـضلُ
أَبِـنْ لي مـا مُقيَّـدَةٌ بـرِدْفٍ مـا لَهـا وصـلُ
بـلا قلـبٍ محجَّبـةٍ ومنهـا العَقْـدُ والحَـلُّ
عـلى بـابِ المـسَرَّةِ أو عـلى كَنْـزِ الهـوى قُفْـلُ
ويحـسنُ عَقْـدُها لكـن إذا حلَّيْتَهـا يَحْلُـو

[١٧١/ أ] فأجابه بقوله: [مجزوء الوافر]

وفِكْـرٍ طَلُّـهُ وَبْـلُ لِنَـدْبٍ فَـضْلُهُ أصـلُ
ونظـمٍ أرفَـعُ الـشُّهبِ لأدنـى قَـدْرِه نَعْـلُ
لَهَـذِي فَتْكَـةٌ بِكْـرٌ عَتَـا في بَـدْئِها نَـصْلُ
وحُـزْتم قـصَبَ الـسَّبْقِ فلـم يَعْـدِلْكُمُ خَـصْلُ

(١) في ريحانة الألبا ١/ ٣١٢: المكاتبة، وأنا مسجون بالروم وليس لي غيرُ القضاء والقدر سجّان، في ديارٍ ترى العربي فيها غريب الوجه واليد اللسان، قولي ملغزاً في حبات الأحقاف.. (ج).

وفُـزْتم مـن ثنـىً جَـزْلٍ بـما لـيسَ لـه مِثْـلُ
فـلا زِلْـتُمْ ولا زالَـتْ بكُـمْ سـاعاتُنَا تحْلُـو

وكتبتُ إليه أيضا: [الخفيف]

أيها المفـرَدُ الـذي صـارَ جمعـاً في المعـالي ورَقَّ لَفْظـاً وطبعَـا
أيُّ شيءٍ لدى السَّمواتِ يُلْفَـى وهْوَ في الأرضِ بالجَراءَةِ يَسْعَى
ذو ثَـلاثٍ وأربـعٍ إِنْ عَـدَدْنا وتـراهُ إذا تحقَّقْـتَ سـبعَا
فـأَجِبْنِي بجـوهَرٍ مـن نِظـامٍ كـي أُحَـلِّي بها لِساناً وسَـمْعَا

فأجاب عفا الله عنه: [الخفيف]

لُغْـزاً جـاء رافـلاً في بُـرودٍ[1] مـن معـانٍ كأنَّهـا وَشْيُ صَـنْعَا
حاكَـهُ فِكْـرُ مـاهِرٍ قـد تَنـاهَى في ضُروبِ البيـانِ أصـلاً وفَرْعَـا
خـامِسٌ مـن بـروجِ دائـرةِ الـشمـ ـسِ وفي الغابِ بالضَّراغمِ[2] تُـدْعَى
لميـادينِ فِكْـرِهِ تَتَبـارَى سُـبَّقٌ في رضـاه تَغْـدو وتَـسْعَى
شُـقْرُ ذاكَ الـيراعِ مـع دُهْـمِ نِقْـسٍ شُهْبُ طِرْسٍ تُرْضِيه حسناً ووَضْعا
يـبطِشُ الكَـفَّ سـاعِداها القوِيَّـا نِ ومـا للطِّعـانِ ضـاعَفْتُ دِرْعَـا
والقَـوافي تَميـلُ مَيْـلَ الغَـوانِي للفتَى حين يُشْبَعُ الشيخُ صَفْعَا[3]
إنَّ عَهْـدِي بـالرَّمْيِ عَهْـدٌ قَـدِيمٌ أنـتَ أقْـوَى عـلى قِسِيِّكَ نَزْعَـا

يشير إلى قول أبي حيَّةَ النُّمَيْريّ[4]: [الطويل]

---

(١) كذا الأصلين، ولعلّه: يا لَلُغْزِ جا رافلاً. وفي الريحانة ١/ ٣١٣: لي لغزاً أهديته في برودٍ. (ج).
(٢) يعني الأسد، وهو الخامس من بروج الشمس، وفي (س): «بالضُّبارم» وهو الأسد أيضاً.
(٣) في الريحانة ١/ ٣١٤: قوله: (حين يشبع الشيخ صفعاً) من مزج الجدّ بالهزل. (ج).
(٤) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، المعروف بأبي حية النميري (ت: ١٨٣/ ٨٠٠): شاعر مجيد،=

رمَتْنِـــي وسِـــتْرُ الله بينـــي وبينهـــا عَـــشِيَّةَ أحجـــارِ الكِنـــاسِ رَمِـــيمُ

[١٧١/ب] ألا رُبَّ يـــومٍ لـــو رَمَتْنِـــي رَمَيْتُهَـــا ولكـــنَّ عهـــدِي بالنِّـــضالِ قَـــدِيمُ

وأنشدني قصيدة له في تهنئة بفتح، اخترت منها قوله: [الكامل]

بُـــشْرَى تُـــزَفُّ مـــن الزمـــانِ المُقْبِـــلِ بِمِنَـــصَّةِ الجَـــذَلِ[١] الـــذي لم يَرْحَـــلِ

يـــا نَجْـــلَ فاطمـــةٍ وكـــلّ مُفـــاخِرٍ فهـــو المُـــوازِنُ دُرَّكُـــمْ بالجَنْـــدَلِ

لـــولا ضِـــياءُ المَـــشْرَفِيَّةِ والقَنَـــا ضَـــلَّتْ كَتـــائِبُهم بليـــلٍ أَلْيَـــلِ

بعـــساكِرٍ رَمِـــدَتْ بِعِثْـــيَرِ نَقْعِهَـــا عَـــيْنُ الغَزالـــةِ في الرَّعِيـــلِ الأوَّلِ

خطَبَـــتْ سُـــيوفُكَ في مَنـــابِرِ هـــامِهِمْ خُطَبـــاً تُـــذِيقُهمُ نَقِيـــعَ الحَنْظَـــلِ

حاضَـــتْ بكفِّـــكَ مـــن دمِ الأبطـــالِ إذ كلّفتهـــا طهـــراً بـــماءِ المقتـــلِ

ومن ختامها: [الكامل]

هـــاكُمْ أمـــيرَ المـــؤمنين قَوافِيـــاً فاحَـــتْ مجـــامِرُ طِيبِهـــا بالمَنْـــدَلِ

بمـــديحِ أهـــلِ البيـــتِ هـــزَّتْ مِعْطَفـــاً هُـــزْءاً بمَـــدْحِ جَريـــرِهم والأخْطَـــلِ

وقوله (بعساكر... إلخ) من قول الأرَّجاني[٢]: [الكامل]

والـــشمسُ فَـــرْطُ سَـــنَاه[٣] أرْمَـــدَ عَيْنَهـــا فَكَحَلْنَهـــا أيـــدي الجيـــادِ بإثْمِـــدِ

= فصيح راجز، وهو أحد شعراء بني نمير بن عامر بن صعصعة، من أهل البصرة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: الشعر والشعراء، ص. ٥٢٢؛ سمط اللآلي، ١/ ٩٧؛ ديوانه (دراسة المحقق)، ص. ٧؛ الأعلام، ٨/ ١٠٣. البيتان في ديوانه، ص. ١٧٢-١٧٣.

(١) في (ظ): «الجدل».

(٢) ديوانه، ١/ ٣٤٨.

(٣) في (س، ظ): فرط سناها. والمثبت من الريحانة.

وله من قصيدة أنشدها لما دعاه داعي النجاح[1]، وقد سفرت له شمس الظفر من خلف ستارة الفلاح، وأنشده لسان المسرَّة، قول شيخ المعرة[2]: [الخفيف]

اِبْـقَ في نِعْمَـةٍ بَقـاءَ الـدُّهورِ نافِـذَ الأمـرِ في جميـعِ الأمـورِ

وقد قَدِمَ من غزوةٍ صدع بها شملَ الكفر أيَّ صَدْعٍ، بعد ما خطَّ على صُحُفِ البسيط سطور جيش مُتَرَّبَةً بالنقع، غصَّ بِعِثْيَرِها الوِهاد، وسُرَّ بها الفضاءُ فتضمَّخَ من الدَّمِ بالجِساد[3]، والربيع قد نقَّط تلك الصحُفَ ووَشَّاها، وخَطَّ في جوانبها وحَشَاها[4]: [الخفيف]

وكَسا الأرضَ خِدْمَـةً لـكَ يـا مَـوْ لاي[5] دُونَ المُلُـوكِ خُـضْرَ الحريـرِ

وغـدَتْ كـلُّ رَبْـوَةٍ تَـشْتَهِي الرَّقْـ ـصَ بثَـوْبٍ مِـنَ النَّبـاتِ قَـصِيرِ

فَهْـيَ تَخْتَـالُ في زَبَرْجَـدةٍ خَـضْـ ـراءَ تُغْـذى بلُؤْلُـؤٍ مَنْثُـورِ

[١٧١/أ] فقدِم وله عن ذنوب الدهر صَفْح، والقِلاعُ تُعرب عن عزمه بعد ما بناها على الفتح، في يومٍ عُدَّهُ عيدَ السرور، فهو مِلْءُ العيونِ ملءُ[6] الصدور. فقام بين السَّماطين، وهو إذاً رئيس كُتَّابه وناظمُ عقود خِطابه، مهنِّئاً ومنشداً وفي رياض ناديه مغرِّداً: [الخفيف]

قَـسَماً بـالجُفونِ في سَـطْوَةِ المُلْـ ـكِ وقـد أُيِّـدَتْ بحُـسْنِ الفُتـورِ

(١) في (ظ): «الفلاح».

(٢) في سقط الزند، ص. ٧١.

(٣) في (ظ): «بالجياد». والجساد: الدم اليابس.

(٤) الأبيات لأبي العلاء المعري في سقط الزند، ص. ٧٢.

(٥) في سقط الزند: «مولاه».

(٦) في (ظ): «ملاء».

وظُباهـــا التـــي بهـــا يَحْتَمِـــي في حَـــوْزَةِ الــصَّوْنِ بارِقــاتُ الثُّغــورِ
وبِخَـــدٍّ يُكْنَـــى أبـــا لَهَـــبٍ يُـــذْ كِـي بـه الحـسن نـارَه في الـضميرِ[١]
وبـــروضٍ تَـــدِبُّ شـــوقاً إليـــه عَقْـرَبُ الــصُّدْغِ في ليـالي الـشُّعُورِ
لهَجَرْنـــا المنـــامَ حتَّـــى تناسَـــتْ نَحْوَنـــا للخيـــالِ طُـــرْقُ المَـــسِيرِ
يـــا ظِبـــاءً سَـــنَحْنَ مُلْتَفِتـــاتٍ مُتْلِعـــاتٍ أجيادَهـــا للنُّفُـــورِ
أمَّـــنَ اللهُ رَوْعَكُـــنَّ فـــإنِّي أرتَجِـــي وَقْفـــةً بوَقْـــتٍ يَـــسيرِ

ومنها:

نـــسمةٌ في بـــابِ الإمالـــةِ تُبْـــ ـدِي عِلَلَ اللِّينِ في القَضِيبِ النَّضيرِ
مـا عَهِـدْنا ظِبـا الفـلا وغُـضوناً يُـشْرِقُ الحـسنُ في بُـرودِ البُـدورِ
رافـضاتٍ عُهودَنـا هـل لوَصْـلٍ من رجاءٍ يُطْفِي لقلبي الحَرُوري[٢]
ذابَ شـوقاً وأنفـقَ العمـرَ سَـعْياً في رِضـاكُمْ ومـا لَـهُ مِـنْ شُـعورِ
كـان خـدِّي مجْـرَى الـسَّوابِقِ شُـهْباً باديـــاتٍ في لَوْنِهـــا المُـــسْتَنيرِ
فاسـتحالَتْ حُمْـراً وتَكْمُـنُ طـوراً مِـــنْ أخاديـــدِ جَرْيِهـــا في حَفِـــيرِ
باعتكـافٍ يَحْكِـي جِيـادَ جِهـادٍ مُـدْمِناتٍ عـلى الـسُّرَى والبُكُـورِ

ومن مدحها:

يـــا نَـسِيباً أنـــتَ المقـــدَّمُ في المـــد حِ فلَـسْنَا نـرى لكـم مـن نَظِـيرِ
كـم نظَمْـتُمْ للحَـقِّ عِقْـدَ اعْتِـزازٍ ونثَـرْتُم بالحـلِّ نظْـمَ الفُجـورِ
وبـضَرْبِ الهِنْـدِيِّ كـم قـد طَـرَحْتُم من ضروبِ العِدَى بِجَمْعِ الكُسُورِ

(١) في الريحانة ١/ ٣١٦: تُذكي يدُ الحسن نارَه في الضمير. (ج).
(٢) هنا يشير إلى المقابلة بين الرافضة والحرورية أتباع نجدة الحروري. (ج).

وأدَرْتُـــم علـــيهِمُ للمَنايـــا أُكْؤُسـاً لم تَـزَلْ بكَـفِّ المُـديرِ
دامَ في العِـزّ مُلْككُـمْ ويثنـي[(١)] عَـزْمِكُمْ للفتُوحِ سَـيْفُ الظُّهُـورِ
[١٧٢/ب] مـا جـرَتْ أَفْـرُسُ الـدَّرارِي بمـضما رِ مَيادِينُهـا بطـولِ الـدهورِ

قوله: «يا نسيباً...» البيت كقول بعضهم[(٢)] مضمِّناً في قصيده نبوية: [الطويل]

لـه النَّسَبُ العـالي فيـا مـادِحَ الـوَرَى (إِذا كـانَ مَـدحٌ فَالنَّسِيبُ المُقَـدَّمُ)[(٣)]

وقد أجاد ابن خفاجة الأندلسي في قوله[(٤)]: [المتقارب]

مَلِيـكٌ تَبَـسَّمَ بِـشْرُ[(٥)] الـمُنَى بِمَـرْآهُ وامْتَـدَّ خَطْـوُ الأمَـلْ
فلَـمْ أَدْرِ والحُـسْنُ صِـنْوٌ لَـهُ أأَبْـدَأُ بالمَـدْحِ أَمْ بِـالْغَزَلْ

فصل

دعانا مرَّةً داعي الصِّبا، فحرَّك منَّا ما حرَّكتْه من عذبات البان أنفاسُ الصَّبا، إلى روضٍ أنيق، ووادٍ تزوره السَّرَّاء من كلِّ فجٍّ عميق. نبَّهتْ عيونَ أزهاره أكفُّ نسيمِ السحر، ونِيطَتْ على قدود قُضْبِه بعد اخضرارِ عارضِ نباته تمائمُ الزَّهَر. في نادٍ سكِرَتْ فيه أباريقُ الصَّهْباء، فرجَّعتْ أصواتَها ترجيع تَمْتامٍ وفَأْفَاء.

مع زبدة خلّانٍ، وخُلَّص إخوان، كلٌّ منهم قُرَّة، في عُيون المسرَّة، ذاته طراز حُلل الليالي، وروض مجده ينبتُ أنوارَ المعالي، تتحاسدُ عليه القلوب والعيون،

(١) في الريحانة ١/ ٣١٧: ملككم وبيُمْنَى.

(٢) في (ظ): «ابن حجة».

(٣) تضمين لصدر بيت المتنبي عجزه: «أَكُلُّ فَصيحٍ قالَ شِعراً مُتَيَّمُ»، ديوانه، ٢/ ٣٣٤.

(٤) ديوانه، ص. ١٠٢.

(٥) في الديوان: «ثغر».

ويُخْتَم به صحُفُ الظَّرْف وختامه مسكٌ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

قام[١] لديهم ساقٍ كألِفٍ لدى سين، وغصنٍ عبثَتْ به الصَّبا فكاد يُعْقَد من اللِّين، لولا كثيفُ كثيب ردفه، الخارج من شمائل لطفه: [الكامل]

لـــولا سِـــهامُ جُفونِـــهِ انْتَظمَـــتْ عِقــداً عـــلى وَجَناتـــهِ القُبَـــلُ[٢]

فنادى: حيَّ على الصَّبوح، هَلُمُّوا إلى ريحانة الرُّوح، شقيقةِ نفس الإنسان، صابونِ دنسِ الأحزان، دِرْياق مَلْسُوع الغُموم، مَطِيَّةِ لَهْوٍ يسافر بها عن منازل الهموم، في نادٍ لا ثقيل فيه سوى الأرداف، ولا مضطرب سوى سمهرِيَّة مهفهف الأعطاف، لا نسمع به صارخاً لغير الأوتار، ولا بكاء إلّا للقناني ولا رقباء غير عيون الأنوار.

فلم يزل يحكِّم فيهم الكاسات، [١٧٣/أ] ويُسمعهم من لفظه العذب خُذْ وهاتِ، في يومٍ شابَتْ ذَوائبُه من قبل ما طُرَّ بالليل شاربه.

فلمّا دنا المسير، وغاب بدرُ الكأس المنير، قامَ بعض الندمان، وذهب حافياً رَجْلان، وقد نَسِي نَعْلَه، وأودعَ عند الخمار عقله، فكأنما فرَّ هارِباً لَمَّا طَرَح أحمال أحزانه ورماها، وألقى صحيفة فكره

والزَّادَ حتّى نعله ألقاها[٣]

فكتبتُ إليه أعزِّيه فيها، وأخفف مصائبَ الدَّهر وأرثيها بقولي على لسانه مُداعباً، ومُفاكها ومُطايباً: [الطويل]

---

(١) في (ظ): «فلم».

(٢) البيت لعلي بن عبد الرحمن بن أبي بشر الصقلي. الوافي بالوفيات ٢١/ ٢٣٠. (ج).

(٣) عجز بيت، صدره: ألقى الصحيفة كي يخفف رحله. انظر معاهد التنصيص ٢/ ٣١٤، خزانة الأدب ٣/ ٢٢، الشاهد ١٥٧. والبيت ينسب لمروان بن سعيد بن عباد بن حبيب. معجم الأدباء. (ج).

لقد خانَنا دهرٌ وكُنَّا به نَعْلُو … يَوَدُّ هِلالُ الأُفْقِ لو أنه نَعْلُ
وقد كان لي نعلٌ فشَتَّتَ شَمْلَها … وما الدهرُ أهلٌ أن يدومَ به شمْلُ
وكانتْ تَقِي بالنَّفْسِ رِجْلِي فأصبَحَتْ … تُفارِقُها مِنْ بعد ما آذَنَ الثُّكْلُ
وقد كنتُ ذا بِشْرٍ[1] فأصبَحْتُ حافيا … وكم حزِنَتْ من بعدها الكَعْبُ والرِّجْلُ
فكم صحبَتْنِي في سُرورٍ وشِدَّةٍ … ولم تتخَلَّفْ عن مُرادي ولم تَعْلُ
ونقَّلتِ الأقدامُ للرَّاحِ سُحْرَةً … فعُدْتُ ولا عَقْلٌ لديَّ ولا نَقْلُ
كذلك عاداتُ الشرابِ وفِعْلُه … (فما اخْتَارَه مُضْنًى به وله عَقْلُ)[2]
وأنشَدْتُ خِلِّي حين ضاعَتْ ولم يكن … لِيَنْفَعَنِي في ذلك الحادِثِ الخِلُّ
وإنَّ أخِلَّاءَ الزمانِ غَناهُمُ … قليلٌ إذا الإنسانُ زَلَّتْ به النَّعْلُ[3]
فأنشدَنِي بَيْتاً يُثَبِّتُ مُهْجَتِي … لكَيْما فُؤادي عن مَحَبَّتِها يَسْلُو
تزوَّدْ من الدنيا مَتاعاً لغَيْرِها … فقد شمَّرَتْ حذّاءَ وانْصَرمَ الحَبْلُ[3]
فلَهْفِي عليها وهْيَ أمسَتْ شَهِيدَةً … وقد جادَها بالدمعِ قَطْرٌ له هَطْلُ
وأضحَتْ على وجهِ الثَّرَى دون دافِنٍ … ولكن بكَفِّ السُّحْبِ أمسى لها غُسْلُ

فاستظرفها الفِشْتالي وكتب رحمه الله: [الطويل]

رأيتُ أديباً واضعاً كفَّ حائرٍ … على ذقَنٍ إذْ للهمومِ به شُغْلُ
فقلتُ له هل بانَ إلْفٌ لَوَتْ به … نَوًى قَذَفٌ أم لا يُرَجَّى له وَصْلُ
فقال عَلِمْتم أنَّ جارِيَتِي يَدِي … وراحِلَتِي في كلِّ بائسةٍ نَعْلُ

---

(١) يريد بشر بن الحارث الحافي. (ج).

(٢) أقول (ج): تضمين لعجز بيت ابن الفارض (الديوان ١٣٤) صدره:

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

(٣) البيت لإسحاق بن حسان أبي يعقوب الخريمي، الشعر والشعراء ٨٥٧. (ج).

[١٧٣/ب] خرجتُ مع البازِي لِحانِ مُدامةٍ ... رجاءَ سرورٍ والطريقُ بها وَحْلُ
فأُبْتُ ولي من حادثِ الدَّهْرِ لَسْعَةٌ ... بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ لا ثراءٌ ولا عَقْلُ
نَأَتْ عن أديمِ الأخْمَصَيْنِ وِقايةً ... وما لي شعورٌ إذ تخطَّفَها الوَبْلُ
كذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ في وَثَباتهِ ... بكلِّ كريمٍ لا يُفارِقُه فَضْلُ
أفي كلِّ قلبٍ للخطوبِ مَآتِمٌ ... يَحِقُّ لأربابِ القَريضِ بها شُغْلُ
فقلتُ له إنَّ العِيافَةَ تَقْتَضِي ... بتَصْحِيفِ نَعْلٍ إنَّ قدرَكُم يَغْلُ
تعوَّدَ دهري جُودَكُمْ وأتى له ... فألقَتْ إليه عند ذا نَعْلَها الرِّجْلُ

وكتب الزين الإشعافي الحلبي: [الطويل]

تَعزَّ أخي إنْ كنتَ ممّن له عقلُ ... ولا تُبْدِ أحزاناً إذا ذهبَتْ نَعْلُ
ولا تعتَبِ الدَّهرَ الخَؤُونَ فدَأْبُهُ[١] ... بعَقْدِ اجتماعِ الشَّمْلِ دون المدى حَلُّ
لَحَى اللهُ دهراً لا يزالُ مولَّعاً ... بتكديرِ صَفْوِ العيشِ ممَّن له فَضْلُ
يفرِّقُ حتَّى شَمْلَ رِجْلٍ ونَعْلِها ... أشدَّ فِراقٍ لا يُرَى بَعْدَهُ شَمْلُ
فما شِئْتَ فاصْنَعْ ما اللبيبُ بجازِعٍ ... ولا تارِكٍ صَفْواً ولو زلَّتِ النَّعْلُ
بحقِّكَ قُمْ نَسْعَى إلى الراحِ سُحْرَةً ... نُجَدِّدُ أفراحاً لكلِّ صَدًى تَجْلُو
إلى دارِ لذَّاتٍ وروضٍ مَسرَّةٍ ... لرَحْبِ فِناهُ من غُصونِ المُنَى ظِلُّ

ولابن قلاقس وقد سُرِقَتْ نعلُه[٢]: [الرمل]

قُلْ لِنَجْمِ الدِّينِ يا مَنْ نهتدي[٣] ... مِنْ مُحَيَّاهُ بأَذْكَى قَبَسِ
مَا الذي أَوْجَبَ عَوْدِي رَاجِلاً ... بَعْدَ أَنْ وافَيْتُكُمْ ذَا فَرَسِ

---

(١) في (ظ): «فإنه».
(٢) ديوانه، ص. ٤٥٤.
(٣) في (ظ) وفي الديوان: «نهتدي».

خَلَعُــــوا نَعْـــلِيَ لَـــمَّا عَلِمُـــوا　　أَنَّنِـــي مِـــنْ رَبْعِكُـــم فِي قُـــدُسِ

وممَّا دار بيني وبينه من المحاورة أنَّه ذكر لي يوماً أنَّه مشتاقٌ للقائي، مستوحشٌ من ظلمة التنائي، فقلت له: ما جوابي لك إلَّا جواب أبي العيناء(١) للمتوكّل(٢)، إذ قال له: اشتقتك يا أبا العيناء. فقال: يا سيدي، إنَّما يشتدُّ الشوق على العبد، لأنَّه لا يصلُ إلى مولاه، [١٧٤/أ] وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه.

وما أكذبَ الشوقَ بالمقال، إن لم يقمْ عليه دلائلُ الإقبال.

وقد شرح حالنا في التنائي والتداني، قول ناصح الدين الأرَّجاني(٣): [الكامل]

وإذا رأيــتَ العَبْــدَ يَهْــربُ ثُــمَّ لَمْ　　يُطلَــبْ فَمَــوْلَى العَبْــدِ منــه هــارِبُ

فاهتز عطفاً، ومال رقَّةً وعطفا(٤)، وقال: من أين أخذ هذا؟ قلت: لا أدري.

قال: من قول المتنبي: [البسيط]

إِذا تَرَحَّلْـتَ عَـنْ قَـوْمٍ وَقَـدْ قَـدَرُوا　　أَن لا تُفـارِقَهُمْ فَـالرَّاحِلُونَ هُـمُ(٥)

فأبدى وأبدع، وأَعلمَ أنه من الأدب بمرأىً ومسمعٍ.

ورأى يوماً وزراءَ الرُّوم، وما هم عليه من دارسِ الرُّسوم، من تكبُّر بلا نفعٍ

---

(١) أبو العيناء: محمد بن القاسم بن خلَّاد (١٩١-٢٨٣هـ) أديب فصيح، من ظرفاء العالم، ومن أسرع الناس جواباً. (ج).

(٢) هو جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢٠٦-٢٤٨ / ٨٢١-٨٦١): خليفة عباسي، كان جواداً ممدحاً محبًّا للعمران. نقل مقرَّ الخلافة من بغداد إلى دمشق، فأقام بهذه شهرين، فلم يطب له مناخها، فعاد وأقام في سامراء، إلى أن اغتيل فيها. الأعلام، ٢/ ١٢٧.

(٣) ديوانه، ١/ ١٩٨.

(٤) في (ظ): «ولطفا».

(٥) ديوانه، ٢/ ٣٤٨.

يُرجى، وقد تبخترتْ كلُّ دابةٍ حتّى العَرجى، وهم بدولابٍ وما يدور إلَّا بالبقر[١].

قال لي: أهؤلاء[٢] عَنَى[٣] الغَزّي[٤] بقوله[٥]: [البسيط]

من آلةِ الدَّسْتِ ما عند الوزيرِ[٦] سِوَى تَحْرِيكِ لِحْيَتِهِ في حالِ إيماءِ
فَهْوَ الوَزيرُ[٧] ولا أَزْرٌ[٨] يُشَدُّ بِهِ مِثْلُ العَرُوضِ له بَحْرٌ بِلا ماءِ؟

فقلت: نعم، وقد شابَه الرئيسُ المَرْؤوس، وقامَتْ على جربِ الأبدان قَرْعى الرؤوس، وما هذه الدولة إلَّا كسقفِ السماء، وقبةِ الخضراء، قائمةً بلا أعمدةٍ ولا أطنابٍ ولا وَتِد فهي كبُيوت الأشعار، لا تُظِلُّ في حضَرٍ ولا أسفار، كما قلت: [الوافر]

جيوشٌ ما لها في المُلْكِ نَفْعُ حكَتْ صُوَراً تُصوَّرُ في كِتابِ
رأيتُ قِتالَهُمْ من غيرِ قَتْلٍ[٩] كمثلِ الضَّرْبِ في كُتُبِ الحِسابِ

والشيءُ بالشيءِ يُذكر، وعلى ذكرِ العروضِ فما أَحسنُ قول أبي فراس هنا[١٠]:

---

(١) في (س): «بالبقرة».

(٢) في (ظ): «هؤلاء».

(٣) في (ظ): «أعنى».

(٤) هو إبراهيم بن عثمان، أبو إسحاق، كانت له الرحلة إلى العراق وخراسان، ومدح آل بويه. توفي سنة ٥٢٤. وفيات الأعيان.

(٥) البيتان في وفيات الأعيان، ١/ ٥٩.

(٦) في وفيات الأعيان: «لم يعط الوزير».

(٧) في وفيات الأعيان: «إن الوزير».

(٨) في (ظ): «وزر».

(٩) في (ظ): «حرب». وفي ريحانة الألبا ١/ ٣٣١: من غير نبلٍ.

(١٠) ديوانه، ١/ ٢٣٩.

[مجزوء البسيط]

يُسارعُ[1] الناسُ[2] للمَعالي لَـمَّا رَأَوْا نَحْوَهـا نُهـوضِي
تكَلَّفُـوا المَكْرُمـاتِ كَـدًّا تكَلُّفَ النَّظْمِ[3] بالعَرُوضِ

وقد أبدع الأرَّجاني في قوله:[4]: [الكامل] [١٧٤/ ب]

راع الفـؤادَ نَـوَى الخَلِـيطِ ولم يكُـنْ قَبْـلَ النَّـوَى مـن حـادِثٍ بِمَـرُوعِ
وأرى فُـؤادِيَ في الزَّمـانِ كأنَّـهُ بَيْـتُ العَـرُوضِ يُـرادُ للتَّقْطِيـعِ

وللحظيري[5] في نمطه: [الطويل]

وعِـرْضٍ بـلا ذَنْـبٍ يُقطَّـعُ دائـماً كبَيْـتِ عَـرُوضٍ والحـوادِثُ أطـوارُ

وفي معناه قولي في فناء الدنيا: [الطويل]

دَوائـرُ أفـلاكٍ تَلُـوحُ بُحورُهـا بأصـفارِ نجـمٍ قابَلَتْهـا بتَـصْرِيعِ
كـما خُـطَّ في رَسْـمِ العـروضِ دَوائـرٌ جَمِيـعُ الـذي فيهـا مُعَـدٌّ لتَقْطِيـعِ

* * *

(١) في (ظ): «تسارع».
(٢) في الديوان: «تناهض القوم».
(٣) في الديوان: «الشعر».
(٤) ديوانه، ٣/ ٩١٥.
(٥) الحظيري: تقدّمت ترجمته صفحة (١٢٦) الحاشية (٣).

[١٤٤]

محمد بن إبراهيم الفاسي الممتع(١)

شمس فصاحة طلعَتْ في آخر الزمان من المغرب، لو رآه ابن سعيد(٢) لنَسِي بفاكهة مفاكهته ذكر «المُرقِص والمُطرِب». وما كنت أظن الدهر يأتي له بمثيل فـ:

إنَّ الزَّمانَ بمثله لبخيل(٣)

ارتحل إلى مصر واختلط بناسها وميَّزَ حالَ فصولها وأجناسها.

ولمّا قدمَ كتبتُ إليه خاطباً لعقائل وداده، وجالياً كؤوس المؤانسة على فؤاده:

[الطويل]

أيا شمسَ أهلِ الغربِ شرَّفْتَ شَرْقَنَا ... وقلَّدْتَهُ عِقْداً نفيساً من الأُنْسِ

فصارَ ربيعاً باعتدالِ زمانِه ... ولا بِدْعَ فيما قلتُ في شَرَفِ الشمسِ

(١) هو محمد بن إبراهيم الشهير ببديع الزمان الفاسي الممتع (ت: ١٠٠٦/ ١٥٩٧): كان فاضلاً، لسناً، فصيحاً، شاعراً. له نظم رائق، ونثر فائق، حسن الإيراد، مقبول الإنشاد، جمع بين رقة الحضارة، ودقة البداوة. رحل من المغرب إلى المشرق، وجال في البلاد، ودخل قسطنطينية، واجتمع بعلمائها، وانتهى به المطاف إلى مصر، وتوفي بها. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٣٣٣؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٣١١.

(٢) هو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك المعروف بابن سعيد المغربي (٦١٠-٦٨٥ / ١٢١٤-١٢٨٦): مؤرخ أندلسي، من الشعراء، والعلماء بالأدب. ولد بقلعة يحصب، ونشأ واشتهر بغرناطة. وقام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام. وتوفي بتونس، وقيل بدمشق. من مؤلفاته: «المشرق في حلى المشرق»، و«المغرب في حلى المغرب». انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٣/ ١٠٣؛ بغية الوعاة، ٢/ ٢٠٠؛ الأعلام، ٥/ ٢٦.

(٣) عجز بيت لأبي تمام الديوان ٤/ ١٠٢ صدره: هيهات لا يأتي الزمان بمثله. (ج).

وكانت حالي معه حالية، وموارد أُنسي به من قذى الكدرِ صافية[١]، أراضعه ثدي الآداب، ومودَّتُهُ تدخلُ بيتَ القلب بلا حجاب.

إلى أن ارتحلَ إلى المحلَّة، وجعل كرمَ قاضيها مقرَّ أمله ومحلَّه. وفارق صحبَهُ، مكابد الأَمَرَّيْنِ الفقرِ والغُربةِ، فانعطفَتْ عليه أغصانُ المسرَّة والهنا، وأقام[٢] من رياض الإحسان تحت ظلال المنى.

إلى أن حالتِ الحال، وأذِنَتْ شمسُهُ بالزوال، فجادَ بنفسه، وعاد إلى مغرب رَمْسِه.

وكان رحمه الله إذا أغارَ على معنًى أغار، ولا يلتفتْ إلى ما يُرى إذا انجلى الغبار، تبعاً للقائل: [الوافر] [١٧٥/ أ]

فـإنَّ الـدِّرْهَمَ المـضْرُوبَ باسْـمِي ... أحَـبُّ إليَّ مـن دينـارِ غَـيْرِي[٣]

كقوله: [الكامل]

إيـا تارِكـاً شُرْبـاً لِقَهْوتِنـا التـي ... تَجْلُـو صَدا قَلْبِ الكَئِيب العانِي[٤]

في تَـرْكِ مِثْلِـكَ شُرْبَهـا لي راحَـةٌ ... تَوْفِيرُهـا وطَهـارَةُ الفِنْجـانِ

وهو مسخٌ لقول ابن الرومي[٥]: [الكامل]

يـا لائمـي في الـرَّاحِ غَـيْرَ مُقَـصِّرٍ ... مـا زال ظنُّـكَ[٦] سَـيِّئاً في الـرَّاحِ

فأقَـلُّ مـا في تَـرْكِ مِثْلِـكَ شُرْبَهَـا ... تَوْفِيرُهـا وطَهـارَةُ الأقـداحِ

---

(١) في (س): «معه حاليا... الكدر صافيا».

(٢) في (ظ): «وأقال».

(٣) البيت لابن الوردي في ديوانه، ص. ٢٦٤.

(٤) هذا البيت زيادة من (ظ).

(٥) ديوانه، ١/ ٥٨٦.

(٦) في الديوان: «لا زال رأيك».

ولم يزل باللهو معروفاً، وبحبِّ الملاح مشغولاً مشغوفاً، لاسيما إذا بدا ورد الخدود في أكمام العِذار، وشاهدَ صنعَ الله الذي يُولجُ اللَّيل في النَّهار، فبدت[1] حلةُ الحسن مطرَّزةً بالشعر، موشّية الحواشي معلمة الطرز: [الطويل]

وَقَـالوُا أتَـتْ كُتْـبُ العِـذارِ بعَزْلِـهِ ... فَقُلْـتُ لَهُـمْ لا تَعْجَلُـوا فَبِهَـا وَلِي[2]

فتراه إذْ ذاك هائماً على أثره، واهباً نظرَهُ بل حياته لذَكَره.

ويقال: إنَّ هذا هو الذي أذهب خُبْرَه وخَبَره، ومحا بيد الفناءِ عينه وأثره، إذ عصفَتْ أرواحُ المنية بروضه الخصيب، وهصرت يدُ الرَّدى منه يانِعَ غُصْنِه الرَّطيب[3].

لا زال جدَثُه روضةً من رياض الجنان، تجري فيه جداولُ الرحمة والرضوان.

فمن عنبره الموقد[4] بمجامر فكره، المقذوف من بحور شعره، قولُه مضمِّناً: [البسيط]

قُـلْ للقَـضِيبِ وراحُ الـرِّيحِ تَعْطِفُـه[5] ... أثنـاءَ بُـرْدٍ مـن الأزهـارِ مُنْتَسِجِ

أشـبَهْتَ قامـةَ مَـنْ أهـواهُ لـو طلَعَـتْ ... أعلاك شمسٌ وَفُقْتَ المسكَ في الأرَجِ

(لـك البِشارَةُ فـاخْلَعْ مـا عليـكَ فقَـدْ ... ذُكِرْتَ ثَمَّ على مـا فيـكَ مِـنْ عِـوَجِ)[6]

وهذا كقول ابن أبي حجلة[7]: [البسيط]

---

(١) في (س): «فبدلت».

(٢) البيت لابن قلاقس في ديوانه، ص. ٤٩٦.

(٣) في (ظ): «رطيب».

(٤) في (ظ): «المتوقد».

(٥) في (ظ): «تقطفه».

(٦) البيت لابن الفارض في شرح ديوانه، ٢/ ١١٢.

(٧) سقطت هذه الجملة مع البيتين التاليين من (ظ).

قــل للهِــلالِ وغَــيْمُ الأُفْــقِ يَــسْتُرُه   حكَيْــتَ طَلْعَــةَ مَــنْ أَهْــوَاُه بــالبَلَجِ
(لـكَ البِـشارَةُ فـاخْلَعْ مـا عليـكَ فقَـدْ   ذُكِرْتَ ثَمَّ على ما فيكَ من عِوَجِ)[1]

[١٧٥/ب] وأنشدني مضمِّنا أيضاً لنفسه: [الوافر]

أأَسْــلُو في الهــوى طَعْــمَ الهــوَانِ   ورَبْــعُ الحُــسْنِ مَــأْهُولُ المَغــانِي
ومَــنْ أهــواهُ واصَــلَنِي جِهــارًا   وصِرْتُ مِــنَ الرَّقِيــبِ عــلى أَمــانِ
وقــد حَــلَّ العِــذارُ بوَجْنَتَيْــهِ   (بِمَنْزِلَــةِ الرَّبِيــعِ مِــنَ الزَّمــانِ)[2]

ومن قصيدة له أيضاً، منها[3]: [الكامل]

أتُـسِيلُ دَمْعِـي ثـم تـسألُ مـا جَـرَى   عَجبَـاً لعَمْـرُكَ مـا رأيـتُ ومـا أرَى
هــذي دِمَــا نَفْــسٍ هَــواكَ أَذابَهــا   فهَمَــتْ عــلى خَــدِّي نَجِيعــاً أحمَــرَا

ومنها:

مَـنْ كـانَ يَقْبِـضُهُ جـلالُ الحُـبِّ عـن   بَــسْطِ الجـمالِ فلــم يَــزَلْ مُتَحَــيِّرَا
فأنـــا جَمـــالِيُّ الغَـــرامِ وهكـــذا   وِرْدُ الجـــمالي لـــن تَـــراهُ مُكَـــدَّرَا

|منها|[4]:

وإِلَيْكَهــا والحُــسْنُ بَعْــضُ صِــفاتِها   بِكْــراً تُحاكِيهــا الملاحــةُ منظــراً
قــد زَفَّهــا فكــري إليــكَ ومهْرُهــا   نَقْــدُ القَبــولِ وحَقُّهــا أن تُمْهَــرَا
حاشــاكَ تُهْمِلُهــا ويَعْــرِفُ قَــدْرَها   مــن قــد تــرى بــين الثُّرَيّــا والثَّــرَى
خــتَمَ البيــانُ بهــا فكُــلُّ ســليم طَبْــ   ــعٍ ســارَ مــن عَجَــبَ بهــا مُتَحَــيِّرَا

---

(١) البيت لابن الفارض في شرح ديوانه، ٢/ ١١٢.

(٢) عجز البيت للمتنبي، وصدره: «مَغاني الشعبِ طيباً في المَغاني». ديوانه، ٢/ ٥٥٣.

(٣) ساقط من (ظ) اعتبارا من «أيضا».

(٤) زيادة من (ظ).

وله في الهجاء مضمِّنا: [الطويل]

لقد قلتُ للطُّورِيّ لَمَّا بَدا لنا (كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ)[(١)]
بوَجْهٍ كَلَيْلِ الهجْرِ أسْوَدَ طائلٍ (ألا أيُّها اللَّيلُ الطويلُ ألا انْجَلِي)[(٢)]

ومِمَّا أنشدني لنفسه قوله: [الوافر]

ولَمَّا دارَ بالخَدَّيْنِ نَبْتٌ حكَى عَصْرَ الصِّبا قَبْلَ المَشِيبِ
تَيَقَّنْتُ الوِصالَ وليسَ وَعْدٌ هناكَ ولا خلُوٌّ مِنْ رَقِيبِ
ولكِنْ دارَةُ القَمرِ اسْتَتَمَّتْ فَدَلَّتْنا على مَطَرٍ قَرِيبِ

فأنشدته قولي: [الطويل]

على خدِّهِ مذ لاحَ نَبْتُ عِذارِهِ جرَتْ أدمُعِي في الخدِّ ذاتَ صَبِيبِ
إذا ما اسْتَدارَتْ دارَةُ البَدْرِ حوله فإنَّ وُقوعَ القَطْرِ غيرُ عَجِيبِ

[١٧٦/ أ] وأنشدني له مضمِّناً: [البسيط]

يا سالِبَ الغُصْنِ حُسْنَ القَدِّ والمَيَلِ ومُلْبِسَ الشَّمسِ ثوبَ الحزنِ والخجَلِ
ما شانَ خدَّكَ نَبْتٌ بل صفا فتَرَا ءَتْ في سَناهُ ظِلالُ الهُدْبِ والمُقَلِ
فَاثْبُتْ على حُبِّه يا قلبُ تَحْظَ بِهِ (فهل سمِعْتَ بظلٍّ غيرِ مُنْتَقِلِ)[(٣)]

وأغار فيه[(٤)] على قول الأَرَّجاني[(٥)]: [الوافر]

أَعِدْ نظَراً فما في الخَدِّ نَبْتٌ حَماهُ اللهُ من رَيْبِ المَنونِ

---

(١) تضمين لعجز بيت امرئ القيس، وصدره: «مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعاً». ديوانه، ص. ٤٥.
(٢) تضمين لصدر بيت امرئ القيس، وعجزه: «بِصُبْحٍ وَما الإِصْباحُ مِنكَ بِأَمْثَلِ». ديوانه، ص. ٤٣.
(٣) عجز بيت من لامية الطغرائي، صدره: ترجو البقاء بدارٍ لا ثبات لها. (ج).
(٤) ساقط من (ظ). وفي الريحانة ١/ ٣٣٨: ومعنى البيت مما سبق إليه.
(٥) في (ظ): «القائل». والبيتان في ديوانه، ٣/ ١٥٠٦.

ولكـــنْ رقَّ مـــاءُ الخَـــدِّ حتـــى ... أَراكَ خَيـــالَ أَهْـــدابِ الجُفـــونِ

وهام بمصر بغلامٍ دبَّ ظِلُّ العذار على شمسِ خدِّه، وجعلَ بنفسج العارض حارس ورده، فعَشِقه عشقَ سعيد بن أنيس ورده، ووهبه روحاً له تزيَّنت له بمعرض المودَّة، وكان لا يسرُّ إلَّا إذا صبّح من عذاره بالآس، فلمَّا أدركه الغرق وقد قذفه الهوى بِلُجَّةِ الياس، عملَ فيه مزدوجةً لا يُدركها مُدرك، فكانَ ذلك سبباً لصدِّه المُهلك، فارتحل إلى المحلّة الكبرى، فكاتبتُه إذْ ذاك لأُجدِّدَ له الذكرى، بقصيدةٍ، منها: [الكامل]

مَـــنْ لم يُـــدِمْ ذِكْـــرَ الحبيـــبِ النَّـــاسِي ... ومَعاهِـــداً فيهـــا فلـــيس بِنـــاسِ
بِي مَنْ كَسا جسمي السَّقامَ وعلَّنِي ... بمُـدامِ دمعـي يـا لـه مـن كـاسِي
في نُقْطـةٍ مـن خالِـه يرجـو الوَفـا ... دمـــعٌ زِيادتُـــه بغـــيرِ قيـــاسِ
لَمَّا خَشِيتُ على الكَرى من مَدْمَعِي ... أودَعْتُـــه في طَرْفِـــه النَّعَّـــاسِ
يَقْـــسُو عـــليَّ فـــؤادُه يـــا لَيْتَـــه ... يَعْدِيـــه لِـــينُ قَوامِـــه المَيَّـــاسِ
تـــاللهِ مـــا حُبِّـــي لعـــارِضِ خـــدِّهِ ... كـــالوَرْدِ بـــل حُبِّـــي لـــه كـــالآسِ

ومنها:

يـــا جـــوهراً للمجـــدِ صـــار مجـــرَّداً ... مـــا أنـــتَ إلَّا الـــروحُ للأكيـــاسِ
لـــو لم تُحَـــدِّثْ عـــن شـــمائلك الـــصَّبا ... لم تَكْتَـــسِبْ ذا الطِّيـــبَ في الأنفـــاسِ

|تضمين|[1]:

يـــا راحـــلاً عَنِّـــي ومُجْـــرِي أدمُعِـــي ... (مـا في وُقوفِـكَ سـاعةً مِـنْ بـاسِ)[2]

---

(١) زيادة من (ظ).

(٢) تضمين لصدر بيت أبي تمام، وعجزه: «نَقْضي ذِمامَ الأَربُعِ الأَدْراسِ». ديوانه، ١/ ٣٦٦.

[١٧٦/ب] عِقْدٌ على جيدِ الزَّمانِ منظَّمٌ روضٌ له ظلٌّ على الجُلّاسِ
لم أستَطِعْ وَصْفِي لِهَيبَ صَبابَتي مَنْ يُودِعُ النِّيرانَ بالقِرْطاسِ

ومنها:

فاسْتَجْلِها بِكْراً نَتيجةَ ليلَةٍ صَهْباءَ سالِبَةً عُقولَ الناسِ
لا زِلْتَ يا إنسانَ عينِ العصرِ مِنْ ذِكْري لسالِفِ عَهْدِكَ اسْتِئْناسِي

وبعده من فصل؛ أمّا الشوقُ فقد اشتعلَ ضِراماً، وكاد عذابُهُ أن يكون غراماً، حتى قال فَمُ الجفنِ بلسان الدمع: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩].

فـ﴿إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]، فاحَ منه شميمُ عَرار نجدٍ وما بعد العشية من شميم، فمُتِّعتُ بما هو أحلى من الوصل بعد الهجر، ومن الأَمنِ بعد الخوف، ومن البُرءِ بعد السقم، ولم أدرِ أطيفُ منام، وزائرُ أحلام؟ أم قربُ نوى بعد البعاد، أم حبيب يأتي[1] بلا ميعاد؟ من أديبٍ أشرقَ بدرُ مجده ساطعاً، وألبسني بردَ العيشِ أخضرَ يانعاً: [الوافر]

أَهُمُّ بِبَسْطِ حِجْري لالتقاطٍ إذا حاضَرْتَ بالدُّرِّ النَّسِيقِ[2]

فحداني أن أحُثَّ مَطِيَّ الهِمم، إلى نحو كعبة الفضل والكرم، فحرَّكْتُ مِجْمَرَ الطبع حتَّى عبَق عنبراً وندًّا، وهززتُ قُضُبَ اليَراعِ على غدير الطِّرس فانتثر أقاحاً ووَرْداً.

وكنتُ ممّن زجرَ عن هذه الصناعة طبعَه، فإنَّها كما قيل كالياسمين لا يساوي جَمْعَه، ولسانُ التَّقصير، كما قالوا قصير، لا سيما

(١) في (ظ): «أتى».

(٢) البيت لمحمد بن تمام أبي سعد. دمية القصر ٢/ ١٢٨٣. (ج).

والجـودُ عبـدٌ أنـت سـيِّده والفـضلُ عِقْـدٌ أنـت مقلِّـده

والبلاغةُ سِوارٌ ليس لغيرك عليها يدُ، ورداء المعارف مستعارٌ منك لا يُردُّ، وأما الفصاحة لا تجيء[1] في غير ناديك، وينابيعُهُ لا تَتَدَفَّقُ إلَّا من أياديك: [الوافر]

فلَـوْ صَـوَّرْتَ نَفْـسَكَ لَمْ تَزِدْهـا عَـلى مـا فيـكَ مِـنْ كَـرَمِ الطِّبـاعِ[2]

وزمان الأنس غابتْ أسرارُه، وأظلم دوني ليلُه ونهارُه، [١٧٧/أ] وانطوى عنّي سراه وغابَ دُجاه وضحاه، فسامَرْتُ نَسْرَه ونعائمَه، ونفَضْتُ نجودَه وتهائمه، وعودُ الهوى، قد يبس وذَوَى، وعهدي بالنضالِ قديم، وأنّى لي السبقُ وقيدُ الكَلال عندي مقيم، ولا تنكر من القرائح جمودها، ولا من نيران الذكاء خمودها، وقد غاضَ[3] الكرامُ، وفاضَ اللئام، والحرُّ لا يُستعبدُ بغير الوداد، ولسانُ المرء من خدمِ الفؤاد، ولولا ابتسامُ ثغر المنى، وامتدادُ خطو الأمل لنا، لمَلَّ كلُّ قلبٍ عاني، يقتات السَّوْفَ والأماني.

فقد صرَفْتُ عن كلِّ شيءٍ وجه مَيْلي، لَمَّا عادانِي كلُّ شيء حتى صبحُ لَيْلِي، واستوحشتُ حتَّى من ظلِّي، ومللتُ حتَّى الملَل، وقولي[4]: من لي ومن لي: [الخفيف]

إِنَّ دَهْـراً يَلُـفُّ شَـملي بِـسُعْدَى لَزَمـانٌ يَهُـمُّ بِالإِحْـسانِ[5]

وفي المثل: «أَعطِ العبدَ كُراعاً، فطلبَ ذِراعا[6]»، فعسى أن تَـمُنُّوا بسطورٍ،

(١) في (ظ): «لا تجري».

(٢) البيت لأبي تمام في ديوانه، ١/ ٤٠٦.

(٣) في (ظ): «فاض».

(٤) في (ظ): «وقول». وفي ريحانة الألبا ١/ ٣٤١: فقلت لليلي: ومن لي؟

(٥) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه، ص. ٤١٧.

(٦) في (س): «فاطلب دراعا». ولعلّه: يطلب.

هي سلالم يُرْتَقى بها إلى السُّرور، لا زالتْ ترفُلُ في ثوبِ بقايا الصِّحَّةِ مُعَلَّم، وتَقيلُ في روض مسرَّةٍ حِماه عن الأكدار مُحَرَّم، أَلْـمَى الظلالِ عَذْبِ المشارب، تُسَطَّرُ محامدُه بين دَفَّتَي المشارقِ والمغارب،ما حنَّ صديقٌ إلى صديق، وصُرِفَتْ دراهمُ النجوم بدينار الشمسِ الأنيق، والسلام.

تكميل وتذييل

قولي في الاعتذار عن ترك المكاتبة: [الكامل]

لم أستَطِعْ وَصْفِي لَهِيبَ صَبابَتي ... مَنْ يُودِعُ النِّيرانَ في القِرْطاسِ

ومثله قولي أيضاً في معناه: [الكامل]

لم يَتْرُكِ العَبْدُ المُكاتبُ كُتْبَهُ ... والشَّوْقُ ما بين الجَوانِحِ يُقْلِقُهْ
إلَّا لأن الدَّمْعَ يَمْحُو كُلَّ مَا ... سَطَّرْتهُ ولهيبُ شَوْقِي يُحْرِقُهْ

وقولي أيضاً: [الكامل]

ما كانَ تَرْكِي الكُتْبَ عَنْ مَلَلٍ طرا ... وحياةِ مَنْ أَشقى المحبَّ وأسعدَهْ
إلَّا افْتِقارًا لي وتَعْظِيماً لكُمْ ... والعَبْدُ حَقًّا لا يُكاتِبُ سَيِّدَهْ

[١٧٧/ ب] وقولي أيضاً: [المتقارب]

أخافُ إذا أنا كاتَبْتُكُم ... يقولون مَلَّ الهوى أو غدَرْ
فإنَّ مَقَامَكُمُ بالحشا ... وكيف يُكَاتِبُ مَنْ قد حَضَرْ

وقولي أيضاً: [مخلع البسيط]

لم أتْرُكِ الكُتْبَ لاشْتِغالٍ ... عَنْكَ وأَن أستطيعَ صبرَا
كَلَّا ولكن لديكَ قَلْبِي ... وَهْوَ بحالِ الغَرَامِ أدْرَى
وحالُهُ عبرَةٌ فسَلْه ... يا مُنْيَةَ القلبِ عنه سرَّا

ويعجبني هنا قول سعد الدين بن عربي: [المنسرح]

مــا أخَّــر العبــدُ كُتْبَــهُ مَلــلاً   بُعــداً لقلــبٍ عــن وُدِّكَ انْقَلبَــا[1]

بــل كــانَ يَــدْعُو الإلــهَ مُبْـتَهِلاً   أنْ يُــصْبِحَ الــشَّملُ منــك مقتربَــا

مَبْـــسُوطةٌ للـــدُّعاء راحتُـــهُ   فــما اســتَطاعَتْ أن تَكْتُــبَ الكُتُبَــا

وقول الأرَّجاني[2]: [الطويل] [١٧٨/ أ]

وَمــا كــانَ تَرْكــي لِلْمُكاتَبَــةِ التــي   بِهـا تَـشْتَفي قِـدْماً نُفـوسُ عَزائِمِـي[3]

سِـوى غَـيْرَةٍ بي مِـنْ رَسُـولِيَ أَنْ يُـرَى   لـه الـسَّبْقُ قَـبْلِي نَحْـوَ تلـك[4] المَعـالِمِ

وللقاضي جمال الدين بن شيث القرشي[5]: [الكامل]

كُتُبِـي إليـكَ خَـواطري فَهْـيَ التـي   أبـــداً تُـــسَيِّرُها لـــك الأفكـــارُ

مـا أنــتَ عنّـي غائـبٌ بـل أنـتَ في   قلبـــي وإنْ بَعُـــدْتَ وشـــطَّ مـــزارُ

فـإذا طلَبْتُـكَ كنـتَ أَقـربَ لي مـن الْـ   ــوَهْمِ الــذي تَـسْرِي بــه الأسرارُ

فاعْــذُرْ إذا أخَّــرْتُ دونــكَ واثقــاً   كتبـــي فكيـــف تَكاتَـــبُ الحُـــضَّارُ

ولآخر فيه: [الطويل]

ومــا كــانَ تَرْكِــي للرســائلِ أنَّنِــي   سَـلَوْتُ عـنِ الوَجْـدِ المُـبَرِّحِ والحُـبِّ

ولكنَّنـــي لمـــا رأيتُـــكَ بـــاخلاً   عـــليَّ بـــما عوَّدْتَنِيـــهِ مـــن الكتْـــبِ

(١) ديوان سعد الدين (الظاهرية) ٩/ ب. (ج).

(٢) ديوانه، ٣/ ١٢٥٤-١٢٥٥.

(٣) في الديوان: «الأقاوم».

(٤) في الديوان: «هذي».

(٥) هو عبد الرحيم بن علي بن الحسين ابن شيث الأموي الإسنائي القوصي، أبو القاسم جمال الدين (٥٥٠-٦٢٥هـ)، صاحب ديوان الإنشاء للملك المعظم عيسى، كاتب شاعر. (ج).

توهَّمْتُ أنني قد جنَيْتُ جِنايةً فخِفْتُ بكتبي أن أُذَكِّرَ بالذنبِ[١]

ولآخر: [الطويل]

وما كانَ تَرْكِي الكَتْبَ إلا لغِبْطَةٍ من العينِ قالتْ للكِتابِ الذي أُمْلِي

كِلانا سَوادٌ في بَياضٍ فما الذي خُصِصْتَ به حتى تُشاهِدَهُمْ قَبْلِي

وقولي: «عادَانِي كُلُّ شَيْءٍ حتى صُبْحُ لَيْلِي»، مما اتفق فيه من المعاني البديعية قول القاضي سراج الدين الأرميني[٢]: [مخلع البسيط]

وشادِنٍ زارَ بعد يأسٍ كالغَيْثِ وافَى على قنوطِ

فقلتُ والليلُ في شَبابٍ عاجَلَهُ الصُّبْحُ بالوُخوطِ

مُشَمِّرٌ ذَيْلَهُ لِسَيْرِي[٣] تشمير ذي الرِّحْلةِ النَّشِيطِ

باللهِ يا صبحُ لا تَزُرْنا فأنتَ حربٌ لقومِ لوطِ

فأجاب رحمه الله تعالى[٤] بقوله: [الكامل]

أسَقِيطُ طَلٍّ في حديقة آسِ أم ذا حبابٌ دارَ فوقَ الكاسِ

أم دُرُّ ثَغْرِ الأقحوانَةِ باسْمٍ أم دمعُ طَرْفِ النَّرْجسِ النَّعَّاسِ

أم جنَّةٌ جُنَّ النسيمُ بحُسْنِها أغصانُها من ذاك في وَسْواسِ

أم هذه زُهْرُ النُّجومِ تزَيَّنتْ منها السماءُ هدايةً للناسِ

أم ذا هو السِّحْرُ الحلالُ حَلَا أم الـ ـعَذْبُ الزُّلالُ وكلُّ عُضْوٍ حاسِ[٥]

---

(١) في (س): «الذنب».

(٢) في (س): «الأزميني». لم أقف على ترجمته.

(٣) في (ظ): «لسير».

(٤) ريحانة الألبا ١/ ٣٤٢.

(٥) في (ظ): «حاسي».

أم رُقْعَــةٌ رُفِعَــتْ لِــواءُ بَيانِهـا فــأتى البــديعُ لهــا دليــلَ الــرّاسِ
نطَقَتْ بكــلِّ فَـضيلةٍ ظَلَّـتْ لهـا الــ ــأحداقُ بــين مُحَقِّــقٍ أو خــاسِي
الــشِّعْرُ فــاخَرَ أَنْجُـمَ الــشِّعْرَى بهـا والجــوُّ قــالَ الفَــضْلُ للقرطــاسِ
مَــنْ ذا يُطاوِلُهــا ومَطْلــعُ نورِهــا أُفُــقُ الــشهابِ وظلمــةُ الأنقــاسِ
وافَـتْ فـما وافَيْتُ[1] بعضَ حُقوقِها إلا ببَـــذْلِ الـــنفسِ والأنفـــاسِ
طــارَ الفــؤادُ لهــا وقــالَ وَقارُهــا (مـا في وُقوفـكَ سـاعةً مـن بـاسِ)[2]
جـاءَتْ تحـدِّثُ عـن شَـمائلكَ التـي شُـــدَّتْ إلى حُـسْنِ الثَّنــا بِمِــراسِ
أمَّــا الفــصاحةُ صَــحَّ أَنَّــكَ قُــسُّها بــالرَّغْمِ مــن غِمْــرٍ حَـسُودٍ قــاسِي
[١٧٨/ب] للهِ دَرُّ عقيلـــــــةٍ أبرَزْتَهَـــــــا عقَلَــتْ ببهجَتِهــا عُقــولَ النــاسِ
مــن كــلِّ بيــتٍ كــادَ يُــشْبِهُ لفظُــهُ معنــاهُ كُــلُّ دَقَّ عــن إحــساسِ
شرحَــتْ لِيَ الــوُدَّ القــديمَ وذكَّــرَتْ قلبــاً فَــدَيْتُكَ لم يكُــنْ بالنــاسِي[3]
مـا أخطـأَتْ رشَـداً وإن تـكُ أبطـأَتْ خَــيْرُ اللِّقـا[4] مـا كـان بعْـدَ اليـاسِ
فالحُــبُّ أن أرْضَى بــما يَــرْضَى وهَــا حُبِّــي وحَقِّــكَ راسِــخٌ بأســاسِ
كنْ كيفَ شِئْتَ فشِيَمتِي حِفْظُ العُهو دِ وإنَّنِــي طَــوْدُ الوَفــاءِ الــرّاسِي
يا من زهَـا حُسْنُ القَريضِ[5] بنَظْمِه وغَنِــي بــه الإنــشاءُ مــن إفــلاسِ

---

(١) في الريحانة: فما وفَّيت.

(٢) تضمين لصدر بيت أبي تمام، وعجزه: «نَقْضي ذِمامَ الأَربُعِ الأَدْراسِ». ديوانه، ١/ ٣٦٦.

(٣) في (ظ): «بالناس».

(٤) في الأصلين: خير المقام. والمثبت من الريحانة ١/ ٣٤٣. (ج).

(٥) في الأصلين: القريظ. والمثبت من الريحانة ١/ ٣٤٣.

ومَـنِ اسْـتَنارَتْ منـه مِـصْرُ وأُفْقُهَـا لَمَّـا كَـسَاها الفـضلُ خـيْرَ لبـاسِ
ومَـنِ انْمَحَـى ذَنْـبُ الزَّمـانِ لأجْلِـهِ وغـدَتْ بـه الأيـامُ كـالأعراسِ[1]
دُمْـتَ المقَـدَّمَ في المجـادَةِ والإجـا دَةِ والإفـادَةِ والنَّـدَى والبـاسِ
وإليكَهَـا وهْـيَ الملاحَـةُ نَفْـسُهَا والحـسنُ بـالأنواعِ والأجنـاسِ
فـإذا أصـاخَ لهـا الحـسودُ حَـسِبْتَهُ مـا بـين كـأسٍ أو ظبـاءِ كِنَّـاسِ[2]
عَـذْراءُ تَبْسُطُ عُـذْرَ تَقْـصِيرِي ومِـنْ داءِ التَّطـاوُلِ فَهْـيَ نِعْـمَ الآسِي
أنَّـى لِمِـثْلِي أن يجـيءَ بمثـلِ مـا تـأتِي وأيـنَ الـشمسُ مِـنْ نِـبْراسِ
لكنَّهـا رَدُّ الـسلامِ سـلَكْتُ فيـ ـه الطـولَ قَـصْدَ زِيـادَةِ[3] اسْـتِئْنَاسِ
فعليـكَ مِـنْ أوْفَى الـسَّلامِ أبَـرُّه ممّـن يُكابِـدُ بُعْـدَهُ ويقـاسِي
حـلَّ المحَلَّـةَ جِـسْمُهُ والقلـبُ في مِـصْرٍ لـديكَ وأهلُـهُ في فـاسِ

بعد تقبيل ثريًّا ذلك الثَّرى، الذي صارَ في المَشَامِّ عنبراً، ولتحليةِ جيد الزمان دُرَرا، لا زال منبعَ البيان، ومنتجعَ الأعيان، ولا برِحَ وجوهرُ حصبائه يفضّله العيان، على قلائد العقيان.

هذا؛ وقد وصل إليّ، وصل الله لك أسبابَ العلا، وألبسك رائق الحُلَى، كتابك الخطير |بل الروض المطير|[4] في خلعةٍ من محاسن لفظك الرائق الجلباب، المزري برونق رَيِّقِ الشباب، وبهجة من بدائع خطك المستوقف [١٧٩/أ] للناظر، المخجل

(١) في (ظ): لها كالأعراس.
(٢) في (س): «كناسي».
(٣) الريحانة: قدر زيادة.
(٤) ساقط من (ظ).

بحسنه الوَشْيَ الفاخر، والروض الناضر، فأجْنَانِي ثمر البِرِّ يانِعاً، وجَلَّى عليَّ وجهَ الودادِ أبيضَ ناصعاً، وأراني كيف انقياد القول في زمام البيان سامعاً[1] طائعاً، وفتح للمخاطبة باباً طالما كنتُ له هيَّاباً، ورفع حِجاباً، تركَ القلبَ وَجَّاباً. ما زلتُ أغازِلُها أملاً، فلا أطيق لها عملاً، وألاحظها أمداً، أذوب دونه كمداً: [الطويل]

وفي تَعَبٍ مَن يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَها ... ويَــزْعُمُ أَن يَــأتي لَهــا بِــضَرِيبِ[2]

ولا جرم أنه اقتضاني الجواب خالصَ ودّ، وصحيح ميثاقٍ أكيدٍ وعهد، لم يلتفت منّي إلى معذرة، ولم يكلأْني إلى ما في الوسع من المقدرة، وقد يعود على علمك بحرُ القريحة ثَمَداً[3]، وحسام الذهن المرهف معضداً، فتكلَّفْتُها بحكم هذا الغرام تحت حَصَرٍ، ونازح بَصيرةٍ وبَصَرٍ، فإنْ سمحتَ بالإغضاء، وسامحتَ في الاقتضاء، سلمت لك اليد البيضاء، وظهرتْ لشكرك بالقضاء.

وأمّا العذر الذي توخَّيْتَ، ولا عَدِمت شرحَه، وحميت بقوة الكلام سرحه، فأنتَ غنيٌّ عن تكلُّفات إيضاحه، ومدِّ غرره وأوضاحه، فالذي يثبت في النفوس، من الودِّ المصون المحروس، لا يُخشى عليه من تسلّط الطموس والدُّروس، ولا أقولُ إنَّ ودّي لك كالتبر، إذ لا يصفو ما لم يشبَّ لهيبُ الجمر، ولا كالرَّاح حيث يفتقرُ في الرَّقدِ إلى مَرِّ المساء والصباح.

بل أقول: إن ودّي لك أبيتَ اللعن كالفراتِ العذب، يَشفي غليل القلب،

(١) أقول (ج): في ريحانة الألبا ١/ ٣٤٤:

وأراني كيف انقياد القوافي ... في زمام البيان سمعاً وطوعا

(٢) البيت للمتنبي في ديوانه، ١/ ١٥١. وفيه: ويجهد أن.

(٣) الثمد: الماء القليل، أو الحفرة يجتمع فيها ماء المطر. (ج).

ويُطفيءُ لهيبَ الصبِّ، يحُلُّ بالأرض الميتة فيُحييها، ويمرُّ بالروضة الذابلة فيتوّجها بالأزهار ويحَلّيها[١].

وأنت أعزَّكَ الله لا تثريبَ عليك، إذ كلٌّ يعملُ على شاكلته، ويجري [١٧٩/ب] في أُموره على مقتضى[٢] مرتبته، فإنَّ حنُوَّ السَّيِّدُ - وأنت ذاك - يُستكثر قليله، وإخلاصُ العبد - وهو أنا - يُستحقرُ - كما علمتَ - جليله، والحقُّ أغلب، ومعرفة المرء نفسه أصوب.

وإن تفضَّلْتَ بالاستفسار عن أحوالِ العبد، فالحالُ في خيرٍ والمآل يعلمه الله تعالى[٣]. وبالجملة، فسهمُ المُصيبة، إن سدَّده الدهرُ فعلى مثلي وقع، والتألُّمُ بمثل هذه الحالة قد ارتفع: [الطويل]

ولم أرَ مثـــلَ الـــصَّبْرِ أَمَّـــا مَذَاقُـــهُ فَحُلْـــوٌ وَأَمَّـــا وَجْهُـــهُ فَجَمِيـــلُ[٤]

وكذلك من دعا الصبر لما شاء أجاب، وأَراه من بشره[٥] الأفق المنجاب، وأقامه بين مبرّات[٦] وألطاف، بين جَنِيٍّ لما أحبَّ وقطاف، ولله در القائل: [الوافر]

يَعـــيشُ المَـــرْءُ مـــا اســـتَغْنَى بخَـــيْرٍ وَيَبْقَـــى العـــودُ مـــا بَقِـــيَ اللِّحـــاءُ[٧]

وهو الدهر لا يُردُّ عن مراده، ولا يُصادر في إصداره وإيراده: [المتقارب]

(١) في (ظ): «يحليها».

(٢) في (ظ) ورد بعد «في».

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) البيت لأبي العيناء في معجم الأدباء، ٦/ ٢٦١٤. وفيه: «ولم أَرَ كَالْمَعْروفِ».

(٥) في ريحانة الألبا ١/ ٣٤٥: من نشره.

(٦) في (ظ): «مبراث».

(٧) ورد البيت في ديواني بشار بن برد، ص. ٤٣٣؛ وأبي تمام، ٢/ ١٩٧. وفيها: «ما استحيا».

فَيَــــوْمٌ عَلَينـــا وَيَـــوْمٌ لَنـــا وَيَـــوْمٌ نُـــساءُ وَيَـــوْمٌ نُـــسَرّ[١]

على أنَّ طول الغيبة ليس لشيءٍ، علم الله آثَرْتُه على لُقْياكم، أو استبدلته طوعاً[٢] برؤياكم، لكنِ ارتكاباً للأخفِّ من الضررَيْنِ، واختياراً لأهونِ الشرَّين: [الطويل]

عــسى غلطــاً يُثْنِــي الزمــانُ عِنانَــه بِــدَوْرِ أمــورٍ والأمــورُ تــدورُ
فتُــدْرَكُ آمــالٌ وتُقْــضَى مَــآرِبٌ وتحــدثُ مــن بعــدِ الأُمــورِ أمــورُ

فلذلك قنعتُ من البحر بالوَشَل[٣]، وسرحتُ في روضِ عسى ولعل، فإنه كان يقال: إذا دار الفلك، فعليك أو فلك، ولله في خلقه أمورٌ لا تدركُ العقول حكمته، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨].

وما اجْتَلَيْتُهُ من كتابك الخطير، وروضِ خطابك المطير، استدعى شيئاً من نظمِ العبدِ ونثره، وقصدك [١٨٠/أ] التنويه بذلك من خامل ذكره.

فلا عَدِمْتُ منك مولًى على الإحسان مثابراً، وحكيماً لكسرِ إكسير الخاطر جابراً[٤]. وكيف مع[٥] تشتت البال لبعد مزارك، ونأي داري عن دارك، تطالبني للتقفِّي[٦] لبديع آثارك.

وأُقسِمُ إِنِّي صمَّمْتُ على التغافل عن [ردِّ][٧] الجواب، وهو أَولى بالصواب،

(١) البيت للنَّمِر بن تَوْلَب في كتاب سيبويه، ١/ ٤٤.
(٢) في ريحانة الألبا: إذ استبدله.
(٣) الوشل: الماء القليل، يتحلب من صخر أو جبل.
(٤) سقطت هذه الجملة من بداية الفقرة من (ظ).
(٥) في (س): «من».
(٦) في (ظ): «لثقفي».
(٧) زيادة من (ظ).

إذ ليس بلبيبٍ من يقيسُ الشِّبْرَ بالباع، والجبانَ بالشجاع، وكيف |لا|[١]، وكلُّ مَن تكلَّف فوق طاقته، افتضحَ بساعته[٢]، لكنْ عدمُ الامتثال محذور[٣]، والملجأ إلى ما لا يُطاق معذور. فتكلَّفْتُ ما يُعرضُ عليك من المسمَّطات[٤]، سوى القصيدة المشار إليها بذكر بعضها، فإنّها متقدّمة على ورود مشرِّفتكم، فمثلك مَن سدَّ الخلل، وتجاوز عن الزَّلل، والله يُبقيك، ومن كلِّ سوءٍ يَقيك، والسلام.

* * *

وقوله في القصيدة[٥]: «حل المحلة...» إلخ، مثلُهُ كثير، كقول ابن الخازن[٦]: [البسيط]

يوما بِحُـزْوَى ويوما بـالعقيقِ وبِالْـ ـعُذَيب يومـاً ويومـاً بالخُلَيْـصاءِ[٧]

(١) زيادة من (ظ).

(٢) في (ظ): «لساعته».

(٣) في (ظ): «محدور».

(٤) المسمطات جمع المسمط وهو أن يبتدىء الشاعر ببيت مصرَّع، ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته، ثم يعيد قسيما «شطرا» من جنس ما ابتدأ به وهكذا إلى آخر القصيدة. معجم البلاغة العربية، ص. ٢٨٠.

(٥) صفحة: ٦٦٦. (آخر بيت).

(٦) هو أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق المعروف بابن الخازن الدينوري (٤٧١-٥١٨ / ١٠٧٨-١١٢٤): كاتب شاعر. ولد ببغداد وتوفي بها. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ١/ ١٤٩؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٨٩. نسب ياقوت الحموي هذا البيت إلى عبد الله بن أحمد بن الحارث شاعر بني عباد في معجم البلدان، ٢/ ٣٨٦.

(٧) في معجم البلدان: «يوم بحزوى ويوم بالعقيق ويو م بالعذيب ويوم بالخليصاء».

ولأبي تمام[(١)]: [البسيط]

بِالـشَّامِ أَهْـلِي وَبَغْـدادُ الْهَـوَى وأنـا   بـالرَّقْمَتَيْنِ[(٢)] وبالفُـسْطاطِ إخـوانِي

ولأبي فراس |الحمداني|[(٣)]: [السريع]

يـا مَـنْ لِـصَبٍّ بـكَ[(٤)] قـد زِدْتَـهُ   عـلى بَلايـا أسْرِهِ أسْرَا

قـد عَـدِمَ الـدُّنيا ولـذَّاتِها   لكنَّـهُ مـا عَـدِمَ الـصَّبْرَا

فَهْـوَ أَسِـيرُ الجِـسْمِ في بَلْـدَةٍ   وَهْـوَ أَسِـيرُ القَلْـبِ في أُخْـرَى

ولابن عبد ربه[(٥)]: [البسيط]

الـروحُ في بَلَـدٍ والجِـسْمُ في بلَـدٍ   يـا وَحْشَةَ الـدارِ بـل يـا غُرْبَـةَ الجَسَدِ

إِنْ تَبْـكِ عَيْنَـاكَ لي يَـا مَـنْ كلِفْـتُ بِـهِ   مِـنْ رَحْمَـةٍ فهُـمَا سَـهْماك في كَبِـدِي

ولابن الفارض[(٦)]: [الخفيف][١٨٠/ب]

كيـف يَلْتَـذُّ بالحيـاةِ مُعَنًّـى   بـين أَحـشائهِ كَـوَرْيِ الزِّنـادِ

في قُـرَى مِـصْرَ جِـسْمُهُ والأُصَـيْحا   بُ شَـآماً والقلـبُ في بَغْـدَادِ[(٧)]

ومِمَّا قلته في زمن الصِّبا: [الخفيف]

شُـتِّتَ النـومُ والأحبَّـةُ عنّـي   مـع تـآليفِ أدمعـي ووُلـوعِي

أنـا في بلـدةٍ وأهـلي بـأُخرى   وحَبِيبِـي بغـيرِ تلـك الرُّبـوعِ

---

(١) ديوانه، ٢/ ١٦١.

(٢) في الديوان: «الرَّقَّتين».

(٣) زيادة من (ظ). والأبيات في ديوانه، ١/ ٢٠٧-٢٠٨.

(٤) في الديوان: «إِرْثِ لِصَبٍّ فيكَ».

(٥) ديوانه ١٢٠. (ج).

(٦) شرح ديوان ابن الفارض، ٢/ ١٢٧.

(٧) في شرح ديوان ابن الفارض: «أجياد».

فكـأنَّ الزَّمـانَ مني اشـتَرَى الـصَّفْـ ـوَ بعقـدٍ أسـالَهُ مـن دُمـوعِي[١]

وقوله في نثره: «ودي لك...» إلى آخره، كقولِ أبي محمد بن سفيان[٢] مراجعاً للوزير محمد بنِ القاسم[٣] عن قوله: كتبت وما عندي أصفى من الراح، وأضوأ من سقط الزند عند الاقتداح.

فراجعَهُ بقولِهِ: كتبتُ عن ودٍّ لا أَقول كصفو الراح، فإنَّ فيه جُناحاً، ولا كسقطِ الزند فربَّما كان شحاحا، ولكنْ أَصفى من ماء الغمام، وأضوأ من قمر التَّمام.

فراجعه بقوله: كتبتُ عن ودٍّ كالورد نَفْحُه، وعهدٍ كصفائه صَفْحُه، ولا أقول: أصفى من ماء الغمام، فقد يكون معه[٤] الشَّرَقُ، ولا أضوأُ من قمر التمام، فقد يدركه النقص والمحق[٥]. وليس ما وقع فيه الاعتراض مختصًّا بصفو الراح، ولا بسقط الزند عند الاقتداح، فإن أمور العالم هذا سبيلُها، وجياد الكلام تجري كما يشاء مُجِيلُها[٦].



(١) في ريحانة الألبا ١/ ٣٤٨: بنقدٍ أساله. (ج).

(٢) هو أبو محمد بن سفيان (...): الوزير الكاتب. انظر ترجمته: قلائد العقيان، ١/ ٣٩١؛ نفح الطيب، ٤/ ١٣٤.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن يمن الدولة محمد بن عبد الله بن قاسم (...):الوزير الكاتب، من بني قاسم، أمراء إقليم البونت. انظر ترجمته: قلائد العقيان، ١/ ٣٧٧.

(٤) في (س): «مع».

(٥) في (س): «وينمحق».

(٦) النص في قلائد العقيان، ١/ ٣٩٥-٣٩٦.

[١٤٥]
حسام الدين بن أبي القاسم الدَّرْعِيّ المغربيّ(١)

أخبرني [محمد بن](٢) إبراهيم الممتع وقال لي: إنَّه أديبٌ، حسامُ طبعه مرهَفٌ، ومشرفيٌّ همته بالعلوم محلّى ومشرَّف، وروضٌ تُقبِّلُ الأرضَ فيه ثغورُ الزهور، مطرَّزاً ببدائع المنظوم والمنثور.

وأنشدني من شعره ما أنشده هو له، وهو قوله(٣): [الطويل]

ولي صاحب قد هذَّبَتْ لي يَدُ الصّفا ... مودَّتَـــه في غَيبَـــةٍ وعِيـــانِ

[١٨١/أ] ولكـنْ هـوائي مـع هَـواه مخـالفٌ(٤) ... تَخـالُفَ رؤيـا الـسِّجنِ للفَتَيـانِ(٥)

فيَهْـوَى بنـي نَجْـدٍ ولـينَ خُـصورِهِمْ ... وأَهـوى بنـات الغَـوْر طـولَ زمـانِي

يـــذَكِّرُني حـــالي وإيّـــاه قولَـــه ... (رَفيقُـك قَيْـسِيٌّ وأنـتَ يَـماني)(٦)

---

(١) حسين بن قاسم بن أحمد بن محمد الملقب حسام الدين المغربي الجويزي المالكي العتيقي الدرعي (٩٧٨-١٠١١ / ١٥٧٠-١٦٠٢): الأديب الشاعر المفلق. ولد بوادي درا. قدم دمشق بعد أن زار بلاد الروم، ثم خرج منها حاجاً، وقطن بمدينة العلا، في طريق المدينة من الشام. وأحبه أهلها، فجعلوه لهم إماماً، وخطيباً، ومعلماً للأطفال، ومفتياً لهم على مذهب مالك. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٣٦٣؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٠٢؛ لطف السمر، ٢/ ٤٠٩؛ تراجم الأعيان، ٢/ ١٧٦.

ودرعة: مدينة صغيرة بالمغرب، ومن جنوبي الغرب، بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ. معجم البلدان. خلاصة الأثر ٢/ ١٠٤.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من ريحانة الألبا ١/ ٣٦٣، وانظر ترجمته بكتابنا (٦٥٢). (ج).

(٣) في ريحانة الألبا، ١/ ٣٦٤؛ خلاصة الأثر، ٢/ ١٠٣.

(٤) في (ظ): «تخالفا».

(٥) انظر قصة الفتيان واختلافهما بالسجن في سورة يوسف رقم (٣٦). (ج).

(٦) عجز بيت للمتنبي (الديوان شرح العكبري ٢/ ٤٨٣، والمثل السائر ٣/ ٧٦)، صدره: كأن رقاب الناس قالت لسيفه. (ج).

[١٤٦]

عبد العزيز الفِشتالي(١)

أديبٌ عذب البيان، ماضي شَبا(٢) القلم واللسان، وله دَمَثُ أخلاقٍ وشمائل، تجرُّ خجلاً لها ذيول الصَّبا والشمائل، يَطْرَبُ السمعُ لما زيَّنه ووشَّاه، ويرقص القلبُ لبديع معناه.

وهو كما حدّثوني عنه ممّن جرَّ ذيول إقباله، وقَدَّمَتْهُ الدولة الأحمدية على أقرانه وأمثاله.

فممَّا ارتشفه فمُ السمع من مورده العذب البيان، وتشنَّف به من فرائده التي أصدافُها القلوبُ والآذان، قوله(٣): [الخفيف]

حين أزمعتُ عند خوفِ البعادِ وَعَدَتْنِي من الفراقِ العَوادِي

قال صَحْبِي وقد أطَلْتُ التِفاتِي أيُّ شيءٍ تركتَ قلتُ مُرادِي

---

(١) أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن إبراهيم الفشتالي، (٩٥٦-١٠٣١ / ١٥٤٩-١٦٢١): وزير السلطان الملقب بمولاي أحمد المنصور سلطان المغرب، نسبته إلى فشتالة، قبيلة بالشمال الغربي لفاس، من صنهاجة، قرأ بفاس ومراكش. وكان كثير الإحسان، كسا الروضة النبوية بالحرير الأحمر بخيط الذهب، وكان يتقشّف في ملبسه. كان على يده غزوة عظيمة ظفر بها المسلمون، وله أفاعيل في الغزو كثيرة. ووردت عليه هديةٌ من ملك الصين، فيها أمردان يلعبان بالشطرنج. له مؤلفات كثيرة، منها: «مناهل الصفاء في أخبار الشرفاء»، و«مدد الجيش» جعله ذيلاً لجيش التوشيح من تأليف لسان الدين بن الخطيب، و«مقدمة» في ترتيب ديوان المتنبي على حروف المعجم. ريحانة الألبا، ١/ ٣٦٥؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٤٢٥؛ سلافة العصر، ص. ٥٨٢؛ ديوان الإسلام، ٣/ ٤٢٦؛ هدية العارفين، ١/ ٥٨٤؛ إيضاح المكنون، ٢/ ٤٥٥؛ الأعلام، ٤/ ٢٦؛ معجم المؤلفين، ٢/ ١٦٨.

(٢) كل شيء حدّ طرفه.

(٣) في ريحانة الألبا، ١/ ٣٦٦؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٤٢٥.

[١٤٧]
السيد الشريف[١] يحيى القُرْطُبِي[٢]

هو نعم الربيع، والرَّوض الزاهر المريع، من فرع الدَّوحة العلوية، وثمرات الشجرةِ النبوية.

سماءُ معاليه مكلَّلة بزواهر النجوم[٣]، وصدرُ دهره مُحلّى منه بأبهى عقدٍ منظوم، وفيه مزنٌ هامع النَّدى، وبدرٌ ساطعٌ من أفق الهدى.

وهو من أولادِ من أُسِر بوقعة الأندلس التي أَسَرَتْ أفراحَ القلوب، وحق لها أن تشق القلوب لا الجيوب.

وإذا أحاطتِ الفتنةُ أعلامَ المروءة والكرم، عَثَرت بذوي النِّعمِ عواثر النقم، وأدَّتْ إلى حالٍ تَعُدُّ المنايا أمانياً، وترى الموت طيِّباً شافياً[٤].

---

(١) ساقط من (ظ).

(٢) من فروع الدولة العلوية، رأى ما حلّ بالإسلام وأهله فأرسل للسُّلطان سليمان بن سليم العثماني (توفي سنة ٩٧٤) قصيدة أبي البقاء الرندي (٦٠١-٦٨٤) وزاد فيها أبيات.

فالقصيدة في نفح الطيب ٤/ ٤٨٦ تبلغ (٤٢) بيتاً وهي هنا (٦١) بيتاً. قال المقري في النفح: ومن له أدنى ذوقٍ علم أن ما يزيدون فيها من الأبيات ليست تقاربها في البلاغة، وغالب ظنّي أن تلك الزيادات لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الأندلس، إذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب. فكأن بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف أبي البقاء زاد فيها تلك الزيادات. ولعلَّ هذا هو ما فعله يحيى القرطبي. نفح الطيب ٤/ ٤٨٦، ريحانة الألبا ١/ ٣٧٠، ٢/ ٨١٣. (ج).

(٣) في (ظ): «بالنجوم» بدلا من «بزواهر النجوم».

(٤) في ريحانة الألبا ١/ ٣٧٠: طبيباً شافياً.

وقصيدته التي نعى بها الإسلام، ونادى فلم يُسْمِعْ حيًّا من الأنام، مسطَّرةٌ في صحف الليالي والأيام، وهي هذه[(١)]: [البسيط] [١٨١/ب]

لكــلِّ شيءٍ إذا مــا تَــمَّ نُقْــصانُ ... فــلا يُغَــرُّ بطيــبِ العــيش إنــسانُ
هــي الأمــورُ التــي شـاهَدْتُها دُوَلٌ[(٢)] ... مَــنْ سرَّهُ زمــنٌ ســاءَتْهُ أزمــانُ
وعــالَمُ الكــونِ لا تَبْقَــى محاسِــنُه[(٣)] ... ولا يــدومُ عــلى حــالٍ لــه شَــانُ
يُمَــزِّقُ الــدَّهرُ مِنَّــا كــلَّ ســابِغَةٍ ... إذا نَبَــتْ مَــشْرفيَّاتٌ وخُرْصــانُ
ويَنْتَـضِي كــلَّ ســيفٍ للفنــاءِ ولــو ... كــان ابــنُ ذي يَـزِنٍ والغِمْـدُ غُمْـدانُ
أيـن الملـوكُ ذَوو التِّيجـانِ مِـنْ يَمـنٍ ... وأيــنَ مــنهم أكاليــلٌ وتِيجــانُ
وأيــن مــا شــادَهُ شَــدَّادُ مِــنْ إرَمٍ ... وأيـن مـا ساسَـهُ في الفُـرْسِ ساسـانُ
[وأيـن مـا حـازه قـارون مـن ذهـبٍ ... وأيــن عــادٌ وشــداد وقحطــانُ][(٤)]
أتَــى عــلى الكــلِّ أمــرٌ لا مَــرَدَّ لــه ... حتـى قَـضَوْا فكـأنَّ القـومَ مـا كـانُوا
وصارَ ما كـانَ من مُلْـكٍ ومن مَلِـكٍ ... كما حَكَى عـن خيـالِ الطيـفِ وَسْنانُ
دارَ الزَّمــانُ عــلى دَارَا و قاتِلِــه ... وأمَّ كِــسْرَى فــما آوَاهُ إِيــوَانُ
كـأنما الـصَّعْبُ لم يَـسْهُلْ لـه سـبَبٌ ... يومــاً ولا مَلَــكَ[(٥)] الــدُّنيا سُــليمانُ
فجــائعُ الــدَّهْرِ أنــواعٌ مُنوَّعــةٌ ... وللزَّمــانِ مَــسرَّاتٌ وأحــزانُ
وللمَــصائبِ سُــلْوانٌ يُهوِّنُهــا[(٦)] ... ومــا لِمَــا حــلَّ بالإســلامِ سُــلْوانُ

---

(١) القصيدة في نفح الطيب، ٤/ ٤٨٧-٤٨٨. والريحانة ١/ ٣٧٠.
(٢) في الريحانة: كما شاهدتَها دول. (ج).
(٣) في نفح الطيب: «وهذه الدار لا تُبقي على أحد».
(٤) مستدرك من ريحانة الألبا ١/ ٣٧١. (ج).
(٥) في الأصلين: «يوماً ولم يملك». والمثبت من نفح الطيب.
(٦) في نفح الطيب: «وللحوادث سلوان يسهلها».

دَهَى الجزيرةَ خَطْبٌ لا عَزاءَ له   هَوَى له أُحُدٌ وانْهَدَّ ثَهْلانُ
أصابَها العينُ في الإسلام فامتُحِنَتْ   حتى خلَتْ منه أقطارٌ وبُلْدانُ
فَسَلْ[1] بَلَنْسِيَةً ما شأنُ مُرْسِيَةٍ   وأين قُرْطُبَةٌ[2] أم أين جَيَّانُ
وأين حِمْصٌ[3] وما تحويه من نُزَهٍ   ونَهْرُها العَذْبُ فيَّاضٌ ومَلآنُ
كذا طُلَيْطُلَةٌ[4] دارُ العلومِ فكَمْ   من فاضلٍ[5] قد سَما فيها له شانُ
وأين غَرْنَاطَةٌ دارُ الجهادِ وكَمْ   أُسْدٍ بها وَهُمُ في الحربِ عُقبانُ
وأين حَمْراؤُها العَلْيا وزُخْرُفُها   كأنَّها من جِنانِ الخُلْدِ عَدْنانُ
والماءُ يجري بساحاتِ القصور وقد   حَفَّتْ بِجَدْوَلِها زَهْرٌ ورَيْحانُ[6]
ونَهْرُها العَذْبُ يَحْكِي في تَسَلْسُلِه   سُيوفَ هِنْدٍ لها في الجوِّ لُمعانُ
وأين جامِعُها المشهورُ كَمْ تُلِيَتْ   في كلِّ وقتٍ به آيٌ وفُرْقانُ
[١٨٢/أ] وعالِمٌ كان فيه للجَهولِ هدًى   مُدَرِّسٌ وله في العلمِ تِبْيانُ
وعابِدٌ خاشِعٌ لله مُبْتَهِلٌ   والدَّمعُ منه على الخدَّيْنِ طوفانُ
وأين مَالِقَةٌ مَرْسَى المَراكِبِ كَمْ   أمسَتْ بساحَتِها فُلْكٌ وغِرْبانُ
وكَمْ بداخِلها من شاعرٍ فَطِنٍ   وذو فُنونٍ له في الحذْقِ أفنانُ[7]

(١) في نفح الطيب: «فاسأل».
(٢) في نفح الطيب: «شاطبة».
(٣) حمص هي: إشبيلية على اسم حمص الشام حماها الله تعالى ونصرها. (ج).
(٤) في نفح الطيب: «وأين قرطبة».
(٥) في نفح الطيب: «من عالم».
(٦) سقط هذا البيت وما يليه من الأبيات الأربعة من (ظ).
(٧) سقط هذالبيت وما يليه من (ظ).

وكَـمْ بِخارجِهـا مـن مَنْـزَهٍ فـرِجٍ ... وجنَّـةٍ حولَهـا نهـرٌ وبُـستانُ
وأيـن جارَتُهـا الزَّهْـرا وقُبَّتُهـا ... وأيـن يـا قـومُ أبطـالٌ وفُرْسـانُ
وأيـن بَـسْطَةُ دار الزَّعْفَـرانِ فهَـلْ ... رأى شَـبيهاً لهـا في الحُـسْنِ إنـسانُ
وكَـمْ شُـجاعٍ زعـيمٍ في الـوَغَى بطَـلٍ ... بَـدَا لـه في العِـدى فَتْـكٌ وإمعـانُ[١]
كَـمْ جَنْـدَلَتْ يَـدُه مـن كـافِرٍ فغَـدا ... تَبْكِيـه مـن أرضـهِ أهـلٌ ووِلْـدانُ
ووادي آش غـدَتْ بـالكُفْرِ عـامِرةً ... ورُدَّ توحيـدُها شِرْكٌ وطُغْيـانُ
كـذا المُرِيَّـةُ دارُ الـصَّالحين فكَـمْ ... قُطْـبٍ بهـا عَلَـمٍ أضْـحَى لـه شـانُ
قواعـدٌ كُـنَّ أركـانَ الـبلادِ فـما ... عـسى البقـاء إذا لم تَبْـقَ أركـانُ
تَبْكـي الحَنِيفِيَّـةُ البيـضاءُ مـن أسَـفٍ ... كـما بَكـى لبكـاءِ الإلْـفِ هَـيْمانُ
حتى المُحارِيـبُ تبكـي وهْـيَ جامِـدَةٌ ... حتـى المَنـابِرُ تبكـي وهْـيَ عِيـدانُ
عـلى ديـارٍ مِـنَ الإسـلامِ خاليَـةٍ ... قـد أقفَـرَتْ ولهـا بـالكُفْرِ عُمْـرانُ
حيث المساجِدُ قد أمسَتْ كنائسَ ما ... بِهِـنَّ إلا نَـواقِيسٌ وصُـلْبَانُ
يـا غـافِلاً ولـه في الـدهرِ موعظـةٌ ... إن كنـتَ في سِـنَةٍ فالـدهرُ يَقْظـانُ
وماشِـياً مَرِحـاً يُلْهِيـهِ مَوْطِنُـهُ ... أبَعْـدَ حِمْـصٍ تَغُـرُّ المـرْءَ أوطـانُ
تلـك المـصيبةُ أمـسَتْ مـا تَقَـدَّمَها ... ومـا لهـا مَـعْ طويـلِ الـدهرِ نِـسْيانُ[٢]
يـا راكبـينَ عِتـاقَ[٣] الخَيْـلِ ضـامِرَةً ... كأنهـا في مجـالِ الـسَّبْقِ عِقْبـانُ
وحـامِلينَ سـيوفَ الهنـدِ مُرْهَفَـةً ... كأنهـا في ظـلامِ الليـلِ نِـيرانُ

---

(١) سقط هذالبيت وما يليه من (ظ).

(٢) سقط هذالبيت (ظ).

(٣) في (ظ): «عناق».

ورائِعِينَ وراءَ النهرِ مِن[١] دَعَةٍ لهم بأوطانِهِمْ عِزٌّ وسُلْطانُ
أعندكُمْ نَبأٌ مِنْ أمْرِ أنْدَلُسٍ فقد سَرَى بِحديثِ القَوْمِ رُكْبانُ
[١٨٢/ب] كَمْ يَسْتَغِيثُ صَنادِيدُ الرِّجالِ وهُمْ أَسْرَى وقَتْلَى فلا يَهْتَزُّ إنسانُ
ماذا التَّقاطُعُ والإسلام بينَكُمُ وأنتُمُ يا عِبادَ الله إخوانُ
أَلَا نُفوسٌ أَبِيَّاتٌ لها هِمَمٌ أمَا على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ
يا مَنْ لِنُصْرَةِ قومٍ قُسِّمُوا فِرَقاً سَطا عليهم بها كُفْرٌ وطُغْيانُ
بالأمسِ كانوا مُلوكاً في منازِلِهِمْ واليومَ هم في قُيودِ الكُفْرِ عُبْدانُ[٢]
فلو تَرَاهُمْ حَيارَى لا دَلِيلَ لَهُمْ علَيْهِمُ مِنْ ثِيابِ الذُّلِّ ألوَانُ
فلو رأيْتَ بُكاهُمْ عند بَيْعِهِمُ لهالَكَ الأمرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أحزانُ
يا رُبَّ طفلٍ وأُمٍّ حِيلَ بينهما كما تُفَرَّقُ أرواحٌ وأبدانُ
وغادَةٍ ما رَأَتْها الشَّمْسُ بارِزَةً كأنَّما هي ياقوتٌ ومَرْجانُ
يَقُودُها العِلْجُ عند السَّبْيِ صاغِرَةً والعينُ باكِيَةٌ والقلبُ حَرَّانُ[٣]
لِمِثْلِ هذا يذُوبُ القلبُ مِنْ كَمَدٍ إن كانَ في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ
هلْ للجهادِ بها من طالِبٍ فلَقَدْ تزَخْرَفَتْ جنَّةُ المأْوَى لها شانُ
وأشْرَفَ الحُورُ والوِلْدَانُ من غُرَفٍ فازَتْ لعَمْرِي بهذا الخيرِ شُجْعَانُ
[ثُمَّ الصَّلاةُ على المُخْتارِ مِنْ مُضَرٍ مَا هَبَّ رِيحُ صَباً وَاهْتَزَّ أَغْصَانُ][٤]

قلت: هذه قصةٌ فيها طول، ولم يحدثْ في الإسلام مثلُها، فللّه الأمرُ من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

(١) في (ظ): «في».
(٢) سقط هذا البيت وما يليه من الأبيات الأربعة من (ظ).
(٣) سقط هذا البيت من (ظ).
(٤) زيادة من (ظ).

[١٤٨]
عبد العزيز بن محمد الثَّعالبي[(١)]

ساحرٌ تَخْلِبُ نفَثاتُه العقول، وفاضلٌ لجياد الأيام من فضله غُرَرٌ وحُجول. إن ذُكِرَتْ رقَّته[(٢)] فما الشمول والشمال، أو شعرُه فما بيوت غيره إلَّا دارسات أطلال.

فهو [١٥٦/ب] طرازُكُمِّ المجدِ، إذا لاحَ سلسال طبعه فهل جاورت تهامة ونجد، فكأنما قُدَّتْ من أديم المجد خلاله، ففضحت الروض[(٣)] أنفاسُه وسحرت العقول[(٤)] أقواله، فهو ديمةُ مجدٍ أمطرت سحائبه، وسماءُ شرف كواكبها مناقبه، فصفاته معطّرة النشر، مبتسمة البشر: [الطويل]

شَمائِلُ لا جَيْبُ الزمانِ معَطَّراً حكاها ولا خَدُّ الشَّمُولِ مُوَرَّدَا

[١٨٣/أ] وقد لقيتُهُ فلقيت منه روضاً مُطْلِعاً وَرْدَهُ وسَوْسَنَهُ، وأصبح للفقه مالكاً وفضائله في صحف الدهر «مُدَوَّنة». بمثله الليالي عقيمة، فلو رآه الثعالبي عدَّه «تتمَّة اليتيمة». إذا جَلَى كواعبَ كلماته فضحتِ الكواكبَ نوراً، وإذا أنشأ عُدَّ نثرُ سواه هباءً منثوراً.

فممَّا أنشدنيه لنفسه من قصيدة له[(٥)]: [البسيط]

---

(١) عبد العزيز بن محمد الثعالبي (...): الوزير الأديب. فقيه مالكي. انظر ترجمته: ريحانة الألبا، ١/ ٣٥١.

(٢) في (س): «غرته».

(٣) في (س): «الروح».

(٤) في (ظ): «وسحر السحر».

(٥) ريحانة الألبا ١/ ٣٥٥.

زُجاجَـةُ الفَجْـرِ أبـدَتْ خَمْـرَةَ الـشَّفقِ ولُـجَّةُ الـصُّبحِ أَخْفَـتْ نَـرْجِسَ الأُفُـقِ
فَبَـاتَ في أفُـقِ الأقـداحِ زَهْـرُ طِـلاً ولـيسَ غـيْرُ دُخـانِ النَّـدِّ مِـنْ غَـسَقِ
والليـلُ قـد قَلَّـدَ الإصْبَاحَ حـينَ بَـدَا كأسْـوَدٍ لابـساً طَوْقـاً مِـنَ الـوَرَقِ
وما محا الصُّبحُ نقشَ الليل[١] واستترتْ سوسـانةُ الفجـر يومـاً وردة الـشَّفَقِ
لكِـنْ دَمُ اللَّيْـلِ لَمَّـا سـالَ عَنْدَمُـهُ أتَـتْ لِتَقْطَعَـهُ كـافُورَةُ الفَلَـقِ
في روضةٍ أودَعَتْهَا الـسُّحْبُ سِرَّ شَـذًا فَـنَمَّ وَفْـدُ الـصَّبَا عـن نَـشْرِهِ العَبِـقِ
فيهـا لكُمْـتِ كـؤوسِ الـرَّاحِ مُعْـتَرَكٌ ولـيسَ غـيرُ احْمِـرارِ الـوَرْدِ مِـنْ عَلَـقِ
حيـثُ الأَسِـنَّةُ زُرْقٌ مِـنْ بَنَفْـسَجِهِ وخُـضْرُ أوراقِـهِ فـيهنَّ كالـدَّرَقِ
ولِلـشَّقِيقِ احْمِـرارٌ في جَوانِبِـهِ كـأنَّهُنَّ جِراحـاتٌ عـلى نَـسَقِ[٢]
والـرِّيحُ فـوق مُتُـونِ النَّهْـرِ طالِعَـةٌ بيـضاً عـلى زَرَدٍ مَفْكُوكَـةُ الحَلَـقِ
والـروضُ مثـلُ أبي حَفْـصٍ وبهجَتُـه كخلقـه[٣] وشَـذَا رَيَّـاهُ كـالخُلَقِ
نَجْلُ السَّرِيِّ أبي العباسِ مـن ظهَـرَتْ آيـاتُ سُـؤْدَدِهِ في وَجْهِـهِ الطَّلْـقِ

وهي طويلة نسجها على منوال قصيدة الحِلِّي التي أولها[٤]: [البسيط]

فَـيْرُوزَجُ[٥] الـصُّبْحِ أَم ياقوتَـةُ الـشَّفَقِ بَـدَتْ فَهَيَّجَـتِ الوَرْقـاءَ في الـوَرَقِ

وبيت الشقيق من قول القاضي عياض[٦]: [السريع]

(١) في ريحانة الألبا: نقس الليل.
(٢) سقط هذا البيت من (ظ).
(٣) في (س): «وخلقه».
(٤) ديوانه، ص. ٨٥.
(٥) الفيروزج: من الحجارة الكريمة.
(٦) البيتان في وفيات الأعيان، ٣/ ٤٨٤.

انظـــــر إلى الــــزَّرِعِ وخاماتـــــه يحكــي وقــد ماسَــتْ أمــامَ الرِّيــاحْ
كَتِيبَــــةً خَـــــضْراءَ مهزومــــة شَـــقائقُ الـــنُّعْمانِ فيهـــا جِـــراحْ

وما أحسن قول ابن الزقّاق[1]: [الخفيف]

نُثِــرَ الــوَرْدُ في الغَــديرِ وقــد دَرْ رَجَــهُ بــالهُبُوبِ نَــشْرُ الرِّيــاحْ
مثــل دِرْعِ الكَمِــيِّ مزَّقــهُ الطَّعْـــ ـــنُ فــسالَتْ بــه دِمــاءُ الجِــراحْ [١٨٣/ ب]

وممَّا مدحته به قصيدتي القافية وهي[2]: [الرجز]

وافَتْ وطَرْفُ النَّجْمِ مَكْحُولُ الحَدَقْ وعــارِضُ الظَّلْــماءِ في خَــدِّ الــشَّفَقْ
سَــكْرَانَةُ الألحــاظِ مــن خمــرِ الــصِّبا تَعْثُـــرُ في ذيـــلِ ظَـــلامٍ وفَـــرَقْ
واســتعجلَتْ في خَطْوِهــا تكــادُ أن تَــسْبِقَ طَيْــفَ آمِــلٍ لهــا طَــرَقْ
مائــسةٌ تَفْــضَحُ أغــصانَ النَّقَــا لهــا مِــنَ الحَــلْيِ ثِــمارٌ وورَقْ
فأبْـــصَرَتْني للـــسَّقامِ لابِـــساً ملابــساً مــن وَشْيِ أفكــاري أدَقْ
فابْتَــسَمتْ فكــادَ مِــنْ بارِقِهــا فَحْــمُ الــدُّجَى يَحْرِقُــهُ ضــوءُ الفَلَــقْ
مــا اهتــزَّ قَــدُّ الغــصنِ إلَّا فَرَقــاً لأنَّـــــهُ لِهَيَـــــفِ القَـــــدِّ سَرَقْ
ناعمــةُ الأعطــافِ يُــودي قــدُّها أيــدي الــشِّمالِ عابثــات بالــسَّرَقْ[3]
يَبِيـــتُ للتَّقْبِيـــلِ في مَبْـــسَمِها وصُـــدْغِها مُـــصْطَبَحٌ ومُغْتَبَـــقْ
ريقتُهـــا راحٌ عليهـــا حَبَـــبٌ مــن ثغرِهــا الــدُّرِّيِّ فوقَــهُ اتــسَقْ
تَهْـــزَأُ بالغُـــصنِ إذا مَيَّلَـــهُ سُــحَيْرَةً كــفُّ النَّــسِيمِ واعْتَنَــقْ
أســكَرَنِي رُضــابُها وهْــوَ الــذي بغــيرِ ثغــرِ الــوَهْمِ يومــاً لم يُــذَقْ

(١) ابن الزقاق الأندلسي عطيةُ بن مطرف شاعر غزل توفي ٥٢٨هـ. البيتان في الديوان ١٣١. (ج).
(٢) ريحانة الألبا ١/ ٣٥١: وفيه ١٧ بيتاً فقط. (ج).
(٣) سقط هذا البيت من (ظ).

لــولا اعْــتِلاقُ الخَــصْرِ في زنَّارِهــا أدْرَكَــهُ مــن مَــوْجِ رِدْفِهــا الغَــرَقْ
ســاحِرَةٌ مــن غــيرِ أوتــارٍ رَمَــتْ بقــوسِ حاجــبٍ لهــا سَــهْماً مَــرَقْ
في خــدِّها وَرْدٌ جَنــاهُ نــاظِري فاسْــتَقْطَرَتْ منــه بنــارِهِ العَــرَقْ
لم يحــتَرِقْ عَنْــبَرُ صُــدْغِها الــذي ثَــوَى عــلى النَّــارِ وقلبــيَ احــتَرَقْ
مــا قِــسْتُ وَجْهَهــا ببَــدْرٍ طــالِعٍ مُــشْتَمِلاً ثوبــا ضِــياءٍ وغَــسَقْ
وهْــيَ التــي الحُــسْنُ أسـيرٌ عنـدها قــد عَــمَّ قَــدَّها وعَمَّــهُ البَهَــقْ
كــأنَّما بَــدْرُ الــتَّمامِ عاشِــقٌ لهــا مــن التَّــبْرِيحِ والوَجْــدِ انمحَــقْ
مــاءُ الجَــمالِ في ريــاضِ خَــدِّها راقَ لِنـــــــــــاظِري وُرُودِهِ وَرَقْ
مــا ذُقْتُــهُ ومــاءُ صَــفْوِي كــدِرٌ بِهَجْرِهــا فكيــفَ لي منــه شَرَقْ
وِرْدٌ بــأفْواهِ المُنَــى مُــسْتَعْذَبٌ كَــوِرْدِ بَحْــرٍ قــد نَفَــى قَــذَى المَلَــقْ
عبْــدُ العَزيــزِ مَــنْ يَعِــزُّ مَجْــدُهُ أحْيَــا زمانــاً فيــه للفــضلِ رَمَــقْ
روضُ سَــحابُ الجــودِ جــادَ نَــوْرُهُ حتَّــى زَهــا مُقْتَطَفــاً ومُنْتَــشَقْ
لــه أيــادٍ ملكَــتْ رِقَّ النَّــدَى بهــا الأديــبُ مــن يَــدِ الفَقْــرِ انْعتَــقْ
في جِيــدِ جُــودِهِ قِــلادَةُ الثَّنَــا منظومــةٌ جــاءَتْ عــلى أبْهَــى نَــسَقْ
في كَفِّــهِ تَجْــرِي جَــداوِلُ النَّــدَى أو جــدولُ العَــضْبِ الحُسامِ المْتَــشَقْ
إذا تــوَلَّى حَــزْمَ أمْــرٍ حاســماً قــال لــسانُ اللَّهْــذَمِيّ قــد صــدَقْ
صــبّ لحُــسْنِهَا المعــالي عاشِــقٌ لــذَّ لَــهُ فيهــا الــسُّهادُ والأرَقْ
للفِقْــهِ مالــكٌ وفي مِــضْمارِهِ مــن أشْــهَبٍ بقَــصَبِ الــسَّبْقِ أحَــقّ
كتابــةُ الــرِّقِّ إذا حررَّهــا اسْــتَلبَ الألبــابَ منهــا واســتَرَقّ
تفتّحَــتْ أزهــارُ بــشْرِهِ لنــا بلطـفِ طَبْـعٍ مـن صَبَا الـرَّوضِ أرَقْ
خــدُّ الــشَّقيقِ احْمَــرَّ منــه خَجِــلاً وأطبــقَ النَّــوْرُ الجفــونَ والحَــدَقْ

[١٨٤/أ]

إذا طَفَـــا سَـــيْلُ نَـــداهُ ســـائلاً إطفــاءَ مــا للفَقْــرِ مــن نــارِ الحَــرَقْ
تِــرْبُ النَّــدَى فيــاضُ بحــرٍ كفُّــهُ وهْـــوَ وتِرْبُـــهُ دوامـــاً مـــا افـــتَرَقْ
بجــوهَرِ الجــودِ اشْــتَرَى مَــدائحِي وسِـــعْرُ شِـــعْرِي سُـــوقُهُ بـــه نفَـــقْ
في حُلَّـــةِ الفـــضلِ طـــرازٌ مُـــذْهَبٌ بـــها وشَـــتْ أقلامُـــهُ ومـــا نطَـــقْ
خُـــذْهَا عَرُوســـاً لبِسَتْ ثَـــوْبَ البَهَـــا ســـعَتْ إليـــكَ بـــين خَـــبٍّ وعَنَـــقْ
لـــــو صَرَّ دُرٍّ طرَقَـــــتْ أســـــماعَهُ أهْـــدَى لهـــا دُرَّ النِّثـــارِ في طَبَـــقْ
قـد وصَـفَ الـسِّحْرَ لِسانُ طِرْسِـها بعـــارِضٍ خُـــطَّ عـــلى خَـــدِّ الـــوَرَقْ
حتَّـــى غَـــدا العَنْـــبَرُ يُلْقِـــي نَفْـــسَهُ في النَّـــارِ مـــن غَـــيْظٍ لديـــه وحَنَـــقْ
مـــن الـــشِّهاب أنجـــمٌ ســـاطعةٌ تـــرجمُ شـــيطاناً لهـــا الـــسَّمعَ اســـتَرَقْ
لا زلـــتَ تلـــبسَ الـــدُّهورَ رافـــلا في روضِ مجـــدٍ بنَـــدَى الجُـــودِ بـــسَقْ

ومدحه أبو المعالي الطالوي بقصيدة سمعتها منه، فمنها قوله[1]: [الطويل][١٨٤/ ب]

لِعَبْـــدِ العزيـــزِ الأوحَـــدِيِّ الثَّعـــالبي بـــدائعُ فاقَـــتْ مُبْـــدَعاتِ الثَّعـــالبي
فـــما بَعْـــدَها في الـــدَّهرِ يُلْفَـــى يَتيمَـــةٌ ولا قَبْلَهـــا وشَّـــتْهُ أقـــلامُ كاتـــبِ
سَـــوادُ سُـــطورٍ في بَيـــاضِ مَهـــارِقٍ وشَـــامٌ عـــلى خَـــدٍّ لحَـــسْناءَ كاعِـــبِ
وإلَّا لَـــمًى وَسْـــطَ الـــشِّفاهِ يُعَـــلُّ مِـــنْ جَنَـى النَّحْـلِ ممزوجـاً بـماءِ المَذَائِبِ[2]
وإلّا رِيـــاضٌ قـــد كَـــسَتْهَا يَـــدُ الـــصَّبَا طَرائِـفَ وَشْيٍ مـن نَـسِيجِ الـسَّحائبِ
كـــأنَّ عليهـــا عَبْقَـــرِيُّ مَطَـــارِفٍ ومـــن حُلَـــلِ الـــدِّيباجِ وَشْيُ عَـــصَائِبِ
فكيـــف تَـــرى عـــينٌ يَتِيمَـــةَ دَهْرِنـــا وأُمُّ سَـــــجاياهُ وَلُـــــودُ الغَرائِـــــبِ

(١) ريحانة الألبا ١/ ٣٥٣. (ج).

(٢) المذنب: سيل الماء، والجدول إذا لم يكن واسعاً. (ج).

فَلِلَّـهِ مَـوْلًى قـد شَـهِدْنَا بِـهَا وَشَـى ... مُكاتَبَةَ الصَّادَيْنِ صابٍ وصاحِبِ[1]

وحكَّـمَ في نَظْـمِ القَـرِيضِ خَـواطِراً ... أَبَـتْ غـيرَ نَظْـمِ النَّـيِّرَاتِ الثَّوَاقِـبِ

فـما يَـشْكُرِيُّ القَـوْمِ يومـاً وإِنْ شَـدَا ... بِـنَظْمِ القَـوافِي عنـده غـيرَ ناعِـبِ

قال لي رحمه الله: اليَشْكُرِي[2] اسمه الأسود، ففيه هنا شبهُ مراعاة النظير:

فكَـمْ بنـت فكـرٍ قـد جَلاهـا بَنانُـهُ ... علينـا ومـا غـيرُ الأديـبِ بخاطِـبِ

كـأنَّ صَـبَا دَارِيــنَ فَـضَّتْ عَـشِيَّةً ... عـلى عِطْفِهـا المَيَّـاسِ مِسْكَ الحقائِـبِ

ومرَّتْ بـوادي الـشِّحْرِ مُجْتازةَ اللِّوى ... لِوَى الرَّمْلِ فيه البانُ مُرْخَى الـذَّوائبِ

تُجـاذِبُ مـن نَجْـدٍ شَـمِيمَ عَـرارِهِ ... فتَرْنُـو لها الحُوذَانُ مـن لحظ غاضـبِ

ووافَتْ حِمَى الزَّوْراءِ لـيلاً فساجَلَتْ ... عـلى الكَـرْخِ دارًا بالـدُّموعِ الـسَّواكبِ

وللمَغْـرِبِ الأقـصى ثَنَـتْ من عِنانِها ... تَـؤُمُّ حِمَـى البيـضاءِ عَـزَّتْ لِطالِـبِ

بِحَيْـثُ تَـرَى البَيْـتَ الإمـامِيَّ معـتَلًى ... تَطُـوفُ بـه الأمـلاكُ مـن كـلِّ جانـبِ

مَجَــرُّ العَــوَالِي الــسَّمْهَرِيَّةِ والقَنــا[3] ... ومَجْـرَى الجِيـادِ المُقْرِبـاتِ الـسَّلاهِبِ

عليهـا أُسَـــودٌ أُنَــسٌ يـومَ سِـلْمِها ... وفي الحـربِ تُلفـى دامِيـاتِ المخالـبِ

توشَّـحَتِ الغُـدرانُ تحـت جـداوِلٍ ... إذا انْتُـضِيَتْ فالهـامُ غِمْـدٌ لـضاربِ

بهـــا يَكْـــلأُ اللهُ الخلافَـــةَ في حِمَـــى ... مليـكٍ قـصِيِّ العَـزْمِ دانِي المواهـبِ

حِمَـى الملـكِ المنـصورِ مـولايَ أحمـدٍ ... إمـامِ الهُـدى رامـي العِـدى بالمقانـبِ

---

(١) الصابي: إبراهيم بن هلال، والصاحب: إسماعيل بن عباد. (ج).

(٢) هو المُنَخَّل بن مسعود بن عامر اليشكري (ت: ٢٠ ق هـ/ ٦٠٣): من بني يشكر، شاعر جاهلي، كان ينادم النعمان بن المنذر. انظر: الشعر والشعراء، ص. ٢٥٥؛ الأعلام، ٧/ ٢٩١.

(٣) في (ظ): «والظبا».

[١٨٥/أ] أُسُـودٌ عـلى مَـتْنِ الـسَّراحيب غابُـها ... مـن الأَسَـلِ الخَطِّـيِّ دامـي الثَّعالـبِ(١)
تَلَـوَّى بأيــدي الـدَّارِعِينَ كأَنَّهـا ... صِــلالُ نَقـاً مَـذْعُورَةٌ في مَـسَارِبِ
تـرَى الـسَّرْدَ نَهْيـاً والقَتِـيرَ حَبابَـهُ(٢) ... فتكـرعُ في حـوضٍ مـن الـدَّم راغـبِ
مؤيِّــدُ شَرْعِ اللهِ مُــشْتَجِرُ القَنَــا ... ومُعْـتَرِكُ الهَيْجَـا بـماضي المـضاربِ
سَـلِيلُ القَـضا إن يُنتـضى يـومَ مَعْـرَكٍ ... وفيــه المنايــا مُزِّقَــتْ في الكتائــبِ

ومنها:

فيـا بْـنَ الأُولَى هـذي مَناقبُ فَخْـرِهِمْ ... وهـل بعـد هـذا الفخـرِ شـأوٌ لطالـبِ
لَعنــدي عــلى بُعْــدِ الـدِّيارِ ونَأْيِهـا ... قلائــدُ نظــمٍ كــالنُّجومِ الثَّواقــبِ
ولكـن قـوافي الـشِّعْرِ كيـف أُجيـدُها ... وفـيكُمْ أَتَـى التَّنْزِيـلُ يـا آلَ طالـبِ
وإنِّي لأهْـوَى أن أكـونَ مـع الـصَّبا ... رســولاً إلى البيــضاءِ تُقْـضَى مَـآرِبي
لــدى مَلِــكٍ داني النَّــوالِ وكفُّــهُ ... لراجيـهِ أَنْـدَى مـن غيـوثٍ سَـواكبِ
عــلى كــلِّ خــطٍّ مــن أسِرَّةِ وجْهِــه ... دليــلٌ عــلى أنَّ الرَّجـا غـيرُ كـاذبِ
لِــسُدَّتِهِ(٣) مَــأْوَى العُفــاةِ بَعَثْتُهــا ... قــوافي عَـسَى عنِّـي تَقُـومُ بواجـبِ
عليهـا مـن المـدْحِ الإمـاميِّ جـوْهَرٌ ... تَرَقْــرَقَ مــاءً في مُتــونِ القَواضــبِ

* * *

(١) الثعالب: الثعلب طرف الرمح. (ج).
(٢) السرد: الدرع. النهى بالفتح والكسر: الغدير. (ج).
(٣) في (س): «وسدته».

[١٤٩]
عبد السلام بن سنوس المغربي(١)

أديب فاس، وريحانة ندمائها الأكياس، سحابُ طبعه هتّان، ومعدنُ فضله يفضح قلائد العقيان، وديباجةُ الحسن في آثار أقلامه، وكتاب الفضل معنونٌ بكلامه، وهو في عين الفخر قرَّة، وفي وجه دهم الليالي غرّة.

وله ألفاظٌ تضحك على مباسم الأنوار، الضاحكة لبكاء الأمطار، كقوله وقد أنشده لي من سمعه منه من أدباءِ المغرب الذين لقيتهم: [الوافر]

وبَـدْرٍ لاحَ مـن تحـتِ السَّلاهمْ ... يقـول لكـلِّ قلـبٍ قـد سَـلا: هِـمْ
لـئن خَـشُنتْ ملابسُـه عليـه ... فقـد خـشنَتْ عـلى الـوردِ الكمائِـمْ

والسلاهم: جمع سلهامة، وهي بلغة أهل المغرب برنس أبيض [١٨٥/ ب] خشن.

وأنشدني له الثعالبي شعراً وصف فيه القمر، منه قوله: [السريع]

دَعْ ذا وقُـلْ للنَّـاسِ مـا طـارِقٌ ... يطـرُقُكمْ جهـراً ولا يتَّقِـي
لـيس لـه روحٌ عـلى أنَّـهُ ... يركَـبُ ظَهْـرَ الأدْهَـمِ الأبْلَـقِ
شـيخٌ رأى آدمَ في عَـصْرِهِ ... وهْـوَ إلى الآن بخَـدٍّ نَقِـي
فتـارَةً يُبْـصَرُ في مَغْـرِبٍ ... وتـارَةً يُبْـصَرُ في مَـشْرِقِ

وقد عُزي هذا لغيره(٢)، والأمرُ كذلك فإنّه في غالب كتب الأدب(٣). |نعم لغيره والثعالبي وهم في إنشاده له|(٤).

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ١/ ٣٦٧.

(٢) في بداية كتاب غرائب التنبيهات لابن ظافر ص٢٢ الأبيات ضمن قصيدة لإبراهيم بن محمد المرادي القيرواني. (ج).

(٣) سقطت هذه الجملة من (ظ).

(٤) زيادة من (ظ).

[١٥٠]

السيد عبد الخالق الفاسي[١]

أديبٌ تجتني منه الألبابُ يانعَ ثمراتها، وسماءٌ لم تخرج بدورُ كماله عن هالاتها، فرعُ شجرةِ النبوة، الريّان من ماء الفتوة، وقد نبغَ منها وسما، شجرةً طيبة أصلها ثابت وفرعها في السَّما.

فهو طِرازٌ مذهب على كُمِّ المجد، وفرعٌ من ذؤابة يعرب الباسقة، بين تهامة ونجد، فريدُ عقدٍ على صدر المعالي العليّة، وتاجٌ على رأس العصابة العلوية، ولم تزل السيّارة تلتقطُ أخباره، والرُّكبان تمتار آثاره.

فممّا أنشدني له محمد بن إبراهيم الفاسي: [الوافر]

إذا مــا رُمــتَ نُــصْحَ النــاس طُــرًّا　　تحــــرَّ المُقبلـــينَ ذوي الإيـــابِ

فــلا تُــسْمِعْ ســوى مَــنْ كــان حَيًّــا　　وإلَّا لا خَـــرَاجَ عـــلى خَـــرابِ

* * *

(١) في (ظ): «سيد فاس». ولم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ١/ ٣٦٩.

[١٥١]
الأستاذ محمد ركروك(١)
قدس الله سره

عابدٌ زاهد، متعلّقٌ قلبه بالمساجد، تفجَّرت منه بحار الكمال، ورتعتْ في حماه سوارحُ الآمال، تعبقُ أرواحُ العلا من غلائله، ويفوحُ من أذيال النسيم شمائلُ شمائله، مع طبعٍ كالروض الأنيق، وخُلق بكلِّ خلقٍ [رفيق](٢) خَليق، لا يُدركُ مكارمَهُ أحدٌ خلفها جرى، هيهات هيهات فات ذا أثرا.

وكنتُ وأَدْهَمُ الشبيبة طَرِب العِنان، وورَقُها الأخضرُ مائسُ الأفنان، أتتبَّعُ مساقطَ الندى، [١٨٦/أ] حتّى علقَ به حبلُ الرَّجا والجدا، وأنا في إبَّان الطلب، أَتَّجِر في بضائعِ الأدب، فنزلتُ بساحتِهِ، وحططتُ رَحْلي على منهل سماحته كما قال الكِنديُّ: [الكامل]

وحططـــتُ رَحْـــلي في بنـــي ثُعَـــلٍ إنَّ الكـــرامَ إلى الكـــريم مَحَـــلُّ(٣)

فوردتُ منهلَ إفادته الصافي، وأخذتُ عنه علم العروض والقوافي، وهو شفاءُ الغليل في علمِ الخليل، تخرَّج به طلابُهُ، وضربت بمصر أوتاده وامتدَّت أسبابه، حتى تبلّجتْ منه الأدلّة، وكادَ أن يَصحَّ من كلِّ علة، وجرتْ في بحاره مياهُ الفضائل، حتَّى كاد أن يكذبَ قول القائل: [البسيط]

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ١/ ٣٥٧. وهو فيها: «محمد دكروك المغربي».

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) البيت لامرئ القيس الكندي، الديوان ١٩٩، وفيه: أحللت رحلي. وفي (ظ): «للكريم». (ج).

مِثْلَ العَرُوضِ له بَحْرٌ بلا ماءِ[١]

ومع ذلك فلكم وشَّى رداءَ الآداب ووشَّع، وردَّ شمسَها بعد الغروب كما رُدّتْ ليُوشع[٢]، فقَرَى الآمالَ إحساناً، وقرّط الآذان بياناً.

وله في المعالي أرومةٌ، وفي مغارس الفخر جرثومة، غُذِيَ بلِبانِ الفضل مذ كان وليداً، وكاد لبيد إذا نُسب إليه من العيِّ يكون بليداً، تروقُ في جيد مجده قلائدُ الأوصاف، وقد تحلَّت بعذبِ مدائحه أفواه الرُّواة من سائر الأطراف، حتَّى تهادته الدولُ كتهادي الكَرَى للمقل، فهو أندى على الأكباد من قطر الندى، وألذُّ في الأجفان من سِنَةِ الكرى: [الكامل]

عجباً لمشغوفٍ يَفوهُ بحبِّه ... ماذا يقول وما عساه يمدحُ

والكونُ إمّا صامتٌ فمعظِّمٌ ... حُرماته أو ناطقٌ فمُسَبِّحُ

ثم إن الدَّهر اقتطف ثمرة فؤاده، وقطع فِلْذَةَ كَبِدِه من أولاده، فهاجر إلى طَيْبَة، وأقامَ بها، في ظلِّ النعيم، إلى أن دعاه إلى جواره المولى الكريم.

وكان أملى عليَّ من أشعاره، وبدائع فوائده وآثاره، ما حسدني عليه الدهر فمزّقه بأيدي سَبَا، وهجم عليه الضَّياع [١٨٦/ ب] فنهَبَ وسَبَى: [الطويل]

وسَهْمُ الرَّزايا بالنَّفائس مولَعُ[٣]

---

(١) عجز بيت لإبراهيم الغزي، وصدره: «إنَّ الوزيرَ ولا أزرٌ يشدُّ به»، وفيات الأعيان، ١/ ٥٩.

(٢) ردت الشمس على يوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلمّا أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحلُّ قتالهم. فدعا الله فردَّها عليه. كشف الخفا (١٣٧٩). (ج).

(٣) هذا عجز بيت للخُرَيميّ، وصدره: «وأعْدَدْتُه ذخراً لكلِّ مُلِمَّةٍ»، معاهد التنصيص، ١/ ٢٤٦؛ وفيه: «بالذخائر مولع». وفي (ظ): «سهم المنايا».

[١٥٢]

علي بن الجزري[١]

نزيلُ مصرَ الأعمى، المعروف بشيخ السيوفية.

فاضل معروف، وأديب مكفوف، له شعر وسط، عن رتبة العلو منحط. كقوله في من ذمَّه بالعمى: [السريع]

لـــيس العَمـــى داءً ولكنَّـــه شَـطْفَةُ تـشريفٍ عـلى أجـرهِ[٢]

مـا الهـمُّ والـدَّاءُ وكـلُّ الـبَلا إلا ابـــتلاء المـــرء في قعـــرهِ

فالحمـــد لله الـــذي صـــانَنا ممـــا يَحـــارُ الطـــبُّ في أمـــرهِ

وقد ذَكَر في مقالةٍ[٣] نَقَل فيها: «من ابتُلِيَ بمرض الأُبنة، وولدُ الزِّنى لا يدخلان الجنّة، ويُسلبان الإيمان عند الموت»[٤]، ونقلَ فيه أثراً، والعياذ بالله. والحمد لله.

* * *

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ١٥٩ورد في القسم الثالث (في مصر). وهو فيها: «علي بن الخزرجي».

(٢) في ريحانة الألبا: تشريف على ضرّه. (ج).

(٣) للمترجَم كتاب سمّاه: «نيل المُنى في الكلام على أولاد الزنى » ريحانة الألبا ٢/ ١٥٩. (ج).

(٤) جاء في حديث موضوع: لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده. اللآلئ المصنوعة للسيوطي ٢/ ١٩٣. ويكفينا قوله تعالى في سورة فاطر (١٨): ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (ج).

[١٥٣]

العلامة أحمد بن محمد المَقَّرِي المالكي[1]

خاتمة الفضلاء، نزيل مصر المغربي

مولًى رأيه رفيقُ السداد، وبيتُ مجده رفيعُ العماد، إذا دُعي أجابت دعوته البراعة، ولبَّته وجوه المعاني بالسمع والطاعة، فيه دماثةٌ من غير حصر، ولينُ جانبٍ من غير خَوَر، ذو رأي يكادُ يردُّ النار في زنده، وآثارٌ أثنت عليه ثناء النسيم على رنده، وأَدَبُهُ[2] امتزجَ باللُّطف امتزاجَ الماء بالخمر، وحسامُ حسمِهِ فصلَ به ما نحاه باب التنازع بين زيد وعمرو.

وهو لِفِقه مالك، أعزُّ مالك.

وقد تبوَّأَ في علمِ الحديث منزلةً بين العلياء والسند، وجدَّ في وراثة المجدِ عن أبٍ وجد.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن المقري المالكي الأشعري التلمساني (٩٩٢-١٠٤١ / ١٥٨٤-١٦٣١): مؤرخ أديب. ولد في تلمسان، ونشأ بها. ثم رحل إلى فاس، وكانت له الفتوى أيام حكم مولاي أحمد المنصور. وتوفي بالقاهرة، ودفن بمقبرة المجاورين. من مؤلفاته: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، و«أزهار الرياض في أخبار عياض»، و«روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس». انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ١٧٤؛ خلاصة الأثر، ١/ ٣٠٢؛ سلافة العصر، ص. ٥٨٩؛ ديوان الإسلام، ٤/ ٢٢٨؛ نفح الطيب (دراسة المحقق)، ١/ ٥؛ الأعلام، ١/ ٢٣٧؛ معجم المؤلفين، ١/ ٢٤٨.

(٢) في (س، ظ): وإذا به. والمثبت من الريحانة ٢/ ١٧٤. (ج).

أما الشعر فهو أصمعيٌّ باديته، وسلمان[١] بيته، فما وصفته الأقلامُ إلّا سجدتْ شكراً، إذ رأته قبْلَةَ الآمال، وأقسمتْ أنَّ من البيان لسحراً؛ لكنَّه السحر الحلال.

وهو من قوم تَعاويذُهم الصَّوارم، وآثارُهم في جيد الدهر تمائم.

أنفق عمره في كسب الخيرِ الرابح، والمال كما عرفت غادٍ ورائح، [١٨٧/أ] فكم حلَّ عرى النوم بيدِ الهمَّة في يد المعالي، وألقى عصى التسيار بكفِّ العزيمة في ربعها الخالي.

وقد كنتُ أستقطرُ خبره وأسْتَوْدِقُهُ، وأنتظر ربيعَ الأمل حتّى يخضرَّ ورقُهُ، فمن يستنَزِل العصمَ إلى الوهاد[٢]، وتُصغي له الأوابد حتى تصاد، وعصرُ اللئيم لئيم، |وزمانُ الكريم كريم|[٣].

والوردُ في زمن الربيع طلوعه والعقدُ ليس يزينُ غيرَ الجيد

فبينما الشوقُ يُنازعني للقياه، ومحادثة الرُّكبان في اليقظة طيف رؤياه، وأنا أنزّه طرفي في رياض آثاره، وأَمْلُو حقائبَ المسامع بما عندي من جَنَى أخباره، قدمَ[٤] من كنتُ أظنُّه البشيرَ ناعياً، وصرَّح الدَّهر برزئه وكان عدوًّا مداجياً[٥]. فاحتضنَتْ بنات الدهر أمّ المنون، وقلتُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. [الطويل]

كذا فليجل الخطبُ وليفدحِ الأمرُ وليسَ لعينٍ لم يفضْ ماؤها عذرُ[٦]

(١) هو سلمان الفارسي رضي الله عنه. (ج).

(٢) في (ظ): «للوهاد».

(٣) زيادة من (ظ).

(٤) في (س): «قام».

(٥) في (ظ): «مناجيا».

(٦) البيت لأبي تمام، الديوان ٤/ ٧٩. (ج).

وله نظمٌ ونثر، كما انتظمتِ الأنوار غب نثارِ القطار، وتآليف كـ:«أزهار الرياض في أخبار عياض»، و«فتح المتعال في وصف النِّعال» |وغير ذلك|[1].

فمن آثاره قولُه وقد كتبَ إليه محمد بن يوسف التَّاولي المغربي[2] يستدعي إجازته له بشعرٍ منه، قوله: [الطويل]

أَمُوقِظَ جَفْنِ العلمِ من بعدِ ما أغْفَى ... وباسِطَ كَفِّ البذلِ من بعد ما أكْفَى[3]

ومحيي رسوم الأكرمين التي عفَتْ[4] ... ومُجري مَعينِ الفضلِ من بعد ما أجْفَى

فأجابه رحمه الله بقوله[5]: [الطويل]

أيا ماجداً أعيتْ محاسنُه الوَصْفا ... وإنسانَ عينِ الودِّ والمنهلَ الأصفَى

ومِشْكاةَ أنوارِ القراءاتِ والأدا ... وساحِبَ أذيالِ الكمال على الأَكْفَا

وحائزَ أشتاتِ الفضائل إذ غدَتْ ... معلّقةً في أذْنِ مَغْرِبنا شَنْفَا

بعثتم بطِرسٍ بل بروضٍ بلاغةٍ ... تعطَّرتِ الأرجاءُ من نشرهِ عَرْفا

وأمَّلْتم أَعْلَى الإلهُ مقامَكم ... وألبَسكُمْ من عِزِّه المِطْرَفَ الأضْفَا

[١٨٧/ب] من القاصرِ الباعِ الضَّعيفِ إجازةً ... ألم تعلموا أن الصَّوابَ هو الإعْفَا

ولستُ بأهلٍ أن أُجازَ فكيف أن ... أُجيزَ على أن الحقائقَ قد[6] تخفَى

فأضواءُ فكرِي أظلمَتْها حوادثٌ ... فآونةً تبدو وآونةً تُطْفَا

---

(١) زيادة من (ظ).

(٢) ساقط من (ظ). وهو محمد بن يوسف المراكشي التاولي المالكي (...): أحد فقهاء المغاربة وأدبائها. انظر ترجمته: خلاصة الأثر، ٤/ ٢٧١.

(٣) في ريحانة الألبا ٢/ ١٧٦: من بعد ما كفًّا. (ج).

(٤) في (ظ): «عقت».

(٥) ريحانة الألبا ٢/ ١٧٧، خلاصة الأثر ٤/ ٢٧٢. (ج).

(٦) في (ظ): «لا».

ولـولا رَجـائي مـنكمُ صـالِحَ الـدُّعا لمـا سـطَّرتْ يُمْنـايَ في مثـلِ ذا حَرْفَـا

وقد رأيت مصنَّفَهُ في «التمثال وصِفات نعلِ النبيِّ ﷺ» وهو مصنف حسن أنشد في وصفه أشعاراً كثيرة لأدباءِ المغرب، فقلتُ فيه تبرُّكاً مُضمِّنا لبيتَي أبي العلاء المعري[1]: [الوافر]

حكـى المحـرابَ تمثـالٌ ففيـهِ لنـا سَـجْداتُ تقبيـلٍ تَـوَالَى
مثـالُ نِعـالِ خـيرِ الخلـقِ طُـرًّا لقــد حــازَ المهابـةَ والجـلالَا
وعـزَّ بـه الـتُّرابُ فكـلُّ مـسكٍ لرَيَّــاه لقــد هجَــرَ الغَــزالَا
(لِيَهْنِـكَ في المكـارمِ والمعـالي كـمالٌ علَّـمَ القمـرَ الكَـمالَا)
(وأنَّــكَ لــو تَعلَّقَــتِ الثُّريــا بشِسْعِكَ ما قَطَعْنَ لـه قِبالَا)[2]

وممَّا مُدِحَ به قولُ عبدِ العزيز الفشتالي: [الكامل]

يـا نـسمةً عطَـسَتْ بهـا ريـحُ الـصَّبا فتــضمَّختْ بعبيرهــا حُلــلُ الرُّبَــا
هُبِّــي إلى ســاحاتِ أحمــدَ واشرحــي شــوقي إلى رُؤيــاه شرحــاً مُطْنِبَــا
وصِـفِي لــه بـالمُنْحَنَى مـن أضْـلُعِي قلبــاً عــلى جمــرِ الغَــضا مُتَقلِّبَــا
بــانَ الأحِبَّــةُ عنــه حتَّــى قــد ثَـوَى مــنهم وآخــرُ قــد نــأى وتغيَّبَــا
فعَــساكَ تُــسْعِدُ يــا زمــانُ بقُــرْبِهِمْ فــأقولُ أهــلاً باللقــاءِ ومرحبَــا

ولا يخفى ما في استعارة العطاس للنسيم، والمعروفُ عن فصحاءِ العرب؛ عَطَس الصبحُ

قال المرزوقي في «شرحه للفصيح» يُقال: عَطَسَ إذا فاجأته صيحةٌ من غير إرادة، ومصدرُهُ العَطَسُ، والعُطاس: الاسم، جُعل كالأدواء. ويقال: أرغم اللهُ

(١) البيتان الأخيران في سقط الزند، ص. ٥٤.
(٢) في سقط الزند: «وأنْكَ لوْ تَعَلّقَتِ الرّزايا بنَعْلِكَ ما قَطَعْنَ لها قِبالا».

مَعْطِسه(١)، أي أنفه، وعطَس الصبح: انفجر، على التشبيه كما قال أبو إسحاق الغزي في قصيدته التائية(٢): [البسيط] [١٨٨/ أ]

كـم مـن(٣) بكـورٍ إلى إحـرازِ مَنْقبـةٍ ... جعَلْتَـهُ لِعُطـاسِ الفجـرِ تَـشْمِيتَا

ومن لطائف البدرِ الدَّماميني: [مخلع البسيط]

قلـتُ لـه والـدُّجى مُـوَلٍّ ... ونحن في الأُنس والتَّلاقِي

قد عَطَسَ الصُّبحُ يا حبيبِي ... فـلا تُـشَمِّتْه بـالفراقِ

وكتب محمد بن أحمد المكلاتي(٤) على كتابه «زهر الرياض في أخبار عياض» مقرِّظاً له: [السريع]

أهـذه أزهـارُ هـذي الرِّيـاضْ ... أم هـذه غُـدْرانُها والحِيـاضْ

|منها|(٥):

يَبِيـتُ مُعْتَـلُّ الـصَّبا عنـدها ... يـروي أحاديـثَ الـشِّفَا عـن عِيـاضْ

أيـا إمامـاً جامِعـاً للعُـلا ... وبحـرَ عِلْـمٍ وِرْدُهُ العَـذْبُ فَـاضْ(٦)

أبكـارُ فكـرِي بـين أبـوابكُمْ ... تُنَـزِّهُ الأحـداقَ بـين الرِّيـاضْ

إلـيكُمُ قـد رفَعَـتْ أمْرَهـا ... فـاقضِ على الأحـرارِ ما أنـتَ قـاضْ

قـد بايعَـتْ بـالحقِّ سـلطانَكُمْ ... توفيـةً بالعهـدِ دُون انْتِقـاضْ

(١) في (س): «عطسه».

(٢) ديوان الغزي ٤٥٣. (ج).

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المكلاتي (ت: ١٠٤١/ ١٦٣١): فقيه، أديب، ناظم، ناثر. انظر ترجمته: معجم المؤلفين، ٣/ ٩٨.

(٥) زيادة من (ظ).

(٦) في ريحانة الألبا ٢/ ١٨١: فيا إماماً..... ومن غدا بحراً على الناس فاض. (ج).

[١٥٤]

أبو الحكم مالك بن المُرَحَّل السَّبْتِي[١]

حاملُ عَلَم العلم وناشرُه، وجالبُ متاع الفضل وتاجرُه، شَدَّتْ إليه الفضائلُ رحالها، وورثَ من سماء المعالي بدرها وهلالها، فحوى طارفها وتليدَها، وأرضع من ذرى البلاغة وليدها، حتى وضع الهناءَ مواضع النقب، وخطّت عوارضُ أشعاره على خدود الكتب، ورياضُ مكارمه عطّر نفحاتها، عليل من فرط الدلال نسماتها.

فممّا هبتْ به نسماتُ أسحاره، وحَدَتَ به حداةُ أخباره، قوله في التمثال الشريف: [الطويل]

أدَمْعُكَ أم سِمطٌ وقَلْبُك أم قُرْطٌ ... وشوقُكَ أم سَقْطٌ وجِسْمكَ أم خَطٌّ

أحائِزُه بعد النُّزوع عن الصِّبا ... وللشَّيْبِ شهبٌ في عِذاركَ أو وَخْطُ[٢]

أجَلْ لا ولكِنْ نَفْحَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ ... أشُمُّ بها تُرْبَ الحنانِ فانْحَطُّ

رأيتُ مِثالَ النَّعْلِ نَعْلِ محمدٍ ... فمِلْتُ ومالي غيرَ ذلك إسْفَنْطُ

---

(١) أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن فرج بن أزرق المعروف بابن المرحل (٦٠٤-٦٩٩ / ١٢٠٧-١٣٠٠): أديب، من الشعراء. من أهل مالقة ولد بها وسكن سبتة. ولي القضاء بجهات غرناطة وغيرها. وكان من الكتاب، وغلب عليه الشعر حتى نعت بشاعر المغرب. انظر مصادر ترجمته: بغية الوعاة، ٢/ ٢٦٢؛ الأعلام، ٥/ ٢٦٣؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٩.

أقول: لم أجد له ترجمة بين يدي، والذي ذُكر ليس من شرط المؤلف في كتابه هذا. (ج).

(٢) في (ظ): «خط».

كشفْتُ حِجابَ السَّبْعِ عن حُسْنِ وَجْهِهِ فأبْـصَرْتُهُ في سِـدْرَةِ المُنْتَهَـى يَخْطُـو

[١٨٨/ ب] رأيـتُ مثـالاً لـو رأتْـهُ كَرُؤْيَتِـي نجومُ الـدُّجَى والليلُ أسودُ مُشْمَطُّ

لـسرَّ الثُّريـا أنَّهـا قـدَمٌ ولم يَـسُرَّ الثُّرَيّـا أنَّهـا أبـداً قُـرْطُ

ألا بِـأبِي ذاك المثـالُ فإنَّـه أخُوهَا اعْتِدالاً مثلُ ما اعتدلَ المشطُ

ومـا هـي إلَّا لَوْعَـةٌ وصَـبابَةٌ بقَلْبِي لها سقطٌ ومن مَدْمَعِي سقطُ

أرى لَثْمَـهُ مثـلَ التَّـيمُّمِ مُجْزِيـاً فألْثُمَـهُ حتَّـى يقـولَ[١] سـينعطُّ

فذُقْتُ الكَرَى في الدمعِ والصَّبْرَ في الأسى فـأعرِفُ ذا نَقْـطٍ وأَحْـرُفٍ ذا نَقْـطُ

فلا تقلعي يا عـيْنُ أو يَطْفُـوَ الأسَى وهيهـاتَ أن يُطْفـا ومَوْقِـدُهُ الـشطُّ

سَـيَظْفَرُ يـومَ الحَـشْرِ عنـد لقائِـهِ على الحَوْضِ بالكأسِ الرَّويةِ إذ أَعْطُوا[٢]

تَبَـسَّطَ عَبْـدٌ مُـذْنِبٌ غـيْرَ أنَّـهُ بِحُـبِّ رَسـولِ الله صَـحَّ لـه البسطُ

عليـه سـلامُ الله مـا لاحَ عـارِضٌ أضـاءَ لـه بَـرْقٌ وسَـحَّ لـه نقـطُ

وقد نحا نحو طائية المعرّي المشهورة، وأشار إليه بقوله: «لسرَّ الثريا» إلى قول المعري[٣]: [الطويل]

قُرَيْطِيَّـةُ الأخـوالِ أَمُّـعَ قُرْطُهـا لـسَرَّ[٤] الثُّرَيّـا أنَّهـا أبـداً قُـرْطُ

قال ابن السِّيِّد في «شرح سقط الزند[٥]» شبَّه[٦] قرطَها بالثُّريا في شكله

(١) في (ظ): «أقول».

(٢) في (ظ): «أعط».

(٣) في سقط الزند، ص. ١٧٨.

(٤) في سقط الزند: «فسر».

(٥) في (س): شرح السقط شبّه.

(٦) في (ظ): «بمثله».

وامتناعه من الوصول إليه. وفي قوله: «أبداً» نكتة، وذلك أن ابن المعتز قال في تشبيه الثُّريا(١): [المنسرح]

كأنَّهـــا إذْ بَـــدَا لهـــا شَـــبَهٌ دَقِيــقُ فِكْــرٍ أو بــارِعٌ فهــمُ
في الـشَّرْقِ كـأسٌ وفي مَغارِبِهـا قـرْطٌ وفي أوْسَـطِ الـسما قـدمُ(٢)

فشبَّهها وقتَ طلوعها بكأسٍ، ووقت غروبها بقرط، ووقت توسّطها السماء بقدم، فولَّد منه أبو العلاء معنًى آخر، فقال: إنَّ الثُّريا لما رأتْ قرطَ هذه المرأة سرَّها ألَّا تشبّه في جميع أحوالها إلَّا بالقرط دون غيره ممّا شبهت به، وفيه نكتة ثانيةٌ؛ وذلك أن طلوع النجم كأنَّه أشرفُ أحواله، وسقوطَه كأنَّه أدونُ أحواله فيقول: لمّا رأتِ الثريا قرطَ هذه المرأة(٣) سرَّها أن تكون كالقرط، وإن كان ذلك إنَّما هو في [١٨٩/أ] وقت غروبها، وهذا مبنيٌّ على قول ابن المعتز، لأنّه جعلها وقت الطلوع كأساً، ووقت الغروب قرطاً. انتهى.

وقد أجاد هذا الفاضل هنا في إتباعه كما سمعته.

وفي قوله: (ما اعتدل المشط) مسامحة لا تخفى، لأن المشط لا يوصف بالاعتدال، وإنّما تُوصف أسنانه بالمساواة ويُضرب بها المثل، في ذلك فيقال: هم سواء كأسنان المشط، وهو الذي قصده الشاعر؛ لكنّه لم يساعدْه النظمُ عليه، فعدل عنه لما ذكر(٤).

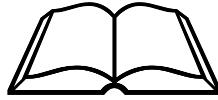
(١) لم يرد البيتان في ديوانه.

(٢) أقول: البيت هذا في ديوان ابن المعتز ٣/ ٣٤٤، وينسب أيضاً للصنوبري، الديوان ٤٣٧ (تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر ١٩٩٨). (ج).

(٣) في (ظ): «المليحة».

(٤) في (ظ): «عن ذلك» بدلا من «عنه لما ذكر».

وقوله: (صح له البسط) أرادَ بالبسط السرور، وقد وردَ في الحديث الشريف: «فاطمة منّي يَبسطني ما يبسطها»[1]. ومنه قول العامة في المثل: البسط صدف.



(١) الطبراني، المعجم الكبير، (٣٠) ٢٠/ ٢٥؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (٤٧٣٤) ٣/ ١٦٨؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/ ٢٠٦.

القسم الخامس

فيمن أدركناه أو رأينا من رآه بديار الروم

[١٥٥]
علي بن عبد الله الحِنّائِي الحُمَيْدِي(١)

كاملٌ أخلاقه تَوْأم نسيم السحر، وعيون آثاره تغازلها عيون النَّوَّار غِبَّ المطر، فهي ألذُّ من الأمل، وأعظمُ من حياةٍ مغتصبة من مخالب أجل.

وأشعاره في وجوه الطروس لمى وحور، تجذب بيد لطفها(٢) عنان الفؤاد والبصر، تشابهت معانيه الدقيقة بكاسات كلماته الرقيقة، فأدار بالروم من كأسِ الأدب حميَّاه، ونشرَ في أرجائها أرجَ أنفاسه حتّى تعطر بريّاه.

وألفاظه(٣) تصف نفثات السِّحَرِ، وصنائعه تجلبُ بضائع الشِّحْرِ.

وله تصانيفُ جليلة، وآثار جميلة، هي في اللِّسانين، شفاءُ صدورٍ وقرَّة عينٍ.

وقد تشرّف قضاء العسكرين بأحكامه، ونشرتْ على أعلام تلك الأقطار خافقات أعلامه.

وله رحلةٌ إلى مصر ألبس بها أعطاف مجده بروداً، ونظم بها من شعره العربي في جيد الدهر عقوداً.

فممّا صدحت به حمائمُ فصاحته على قضب اليراع، وتلت ألسنة بلاغته فثنت إليه أعنة الأبصار والأسماع، قوله ومن خطِّه نقلت: [الطويل] [١٨٩/ب]

وقفتُ برَبْعِ الدَّارِ قلتُ سلامُ أريد جواباً هل تجيب سلامُ

---

(١) لم ترد ترجمته إلا في ريحانة الألبا، ٢/ ٢٤٩، وهو فيه: «علي بن الحنائي بن أمر الله الحميدي».

(٢) في (ظ): «تجذب بلطفها».

(٣) في (س): «وألفاظ».

تبـدَّل وحـشاً مـن أنـامٍ فكيـفَ لي أقـصِّرُ عـن وجـدٍ بـه وأنـامُ
لقـد كـانَ قَـبْلاً مَرْتَعـاً بـل ومربعـاً لا خلـت[1] لهـا قلـبُ المحـبِّ مقـامُ
فـأقْوَى وأقـوى مِحْنَتِـي فيـه أن أرَى ولـيسَ لـسَلْمَى في فنـاهُ خيـامُ
لقـد كـانَ فيـه جِـيرةٌ فترَحَّـلـوا فلـم يَبْـقَ إلَّا حِـيرةٌ وهيـامُ
سَـقى الله عَيْـشاً لي خَـلا في رُبوعِـه حَـلا ذكرُهـا[2] في الـذوقِ وَهْـوَ مـدامُ
ليـالٍ لنـا في ليـلِ[3] مِـصْرٍ كأنَّهـا عـلى وَجْنَـةِ العُمْـرِ المُمَتَّـعِ شـامُ
يَحِـنُّ حِمـامي مـن حَنِينـي ولَـوْعَتِي إذا نـاحَ فـوقَ الأَيْكَتَـيْنِ حمـامُ
خُدود[4] خُدودِي عن دمٍ مثل عَنْدَمٍ دوامٌ ومـا لِلْوَالِـدَيَّ دوامُ
إذا كان فيضُ الشانِ شأنَ أخي الهوى أُلَامُ عـلى سَـكْبِ[5] الـدُّموعِ ألامُ

وكتب إلى بعض أحبابه بمكّة المشرّفة: [البسيط]

مَـنْ يُـبْلِغَنَّ حَمامـاتٍ بِبَطحـاءِ مُمَتَّعـاتٍ بسلـسالٍ وخَـضْراءِ
كُـلٌّ مَـعَ الإلْـفِ في غنَّـاءَ شـامخةٍ كُـلٌّ مـعَ الـروحِ في ضَحْـضاح غنّـاءِ
سـلامُ فاخِتـةٍ في فَخِّـه كَـسَرَتْ جناحَهـا العَبْـثُ في جُـنْحٍ الظلـماءِ[6]

ومثله قولي في رباعية: [الدوبيت]

مَـن مُبلـغُ ورْقٍ روضُـهُ غنـاءُ طـارت بجنـاحِ إلفـه سرَّاءُ

---

(١) في (ظ): «لظى».
(٢) في (ظ): «ذكره».
(٣) في (ظ): «أرض».
(٤) في (ظ): «خدود».
(٥) في (س): «سلب».
(٦) في (س، ظ): جنح ظلماء، وأثبت ما يناسب الوزن. (ج).

تَسْليمُ حَمامةٍ نعَتْ صادِحةً ... حَلَّتْ قَفَصاً وإن وَفَى الأسواءُ

وله أيضاً: [الوافر]

أرى في صُدْغِك المعوَجِّ دالاً ... عليه[1] نُقْطَةٌ من مِسْكِ خالِكْ

فصارَتْ دالُه بالنَّقْطِ ذالاً ... وها أنا هائمٌ من أجلِ ذلِكْ

وفي معناه قول أبي بكر الخوارزمي[2]: [الكامل]

وأراك خدَّيْهِ ولاحَ عليهما ... صُدْغان ذو خالٍ وآخر خالِي

فكأنَّ ذا دالٌ خلَتْ من نُقْطةٍ ... وكأنَّ ذا دالٌ ونقطة ذالِ

[١٩٠/أ] وأنشد في كتاب «الخال» لأبي بكر الزوزني[3]: [المجتث]

نقَّطْتَ صُدْغَك ذالاً ... فالوَيْلُ من شكل ذلكْ

لَو أَنَّ ذَلِكَ ذالي ... سجَدْتُ شكراً لذلكْ

ومن شعره قوله: [الكامل]

أَسَرُوه من ثَغْرِ العَدُوِّ فأصبحوا ... أسرى بِمَبْسَمِه الشَّهِيِّ وثغرِهِ

أَسَرُوه كي يُضْحِي أسير جماله[4] ... وهو الذي ملك الفؤاد بأسرِهِ

وقوله: [الكامل]

قالوا تَبدَّى وَجْهُ مَنْ أَحْبَبْتَهُ ... في عارضٍ لخيالِ وجهكِ فارضِ

شمسُ الجمالِ تسَتَّرَتْ في عارضٍ ... دَعْ عنك دمعاً مثل مُزْنٍ فائضِ

فأَجَبْتُهمْ يا قومُ إنَّ محبَّتي ... ذاتِيَّةٌ ليسَتْ تَزولُ بعارضِ

---

(١) في (س): «ولكن نقطة».

(٢) الديوان ٣٧٢، وروح الروح ١/ ٢١٠. (ج).

(٣) كشف الحال في وصف الخال ٢٧٩، وروح الروح ١/ ٢١٠. (ج).

(٤) كذا في الأصلين، ولعلّه: يضحوا. وفي ريحانة الألبا ٢/ ٢٥١: أسروه كي يُمسي أمير جماله. (ج).

وهذا كقول أبي حيَّان(١): [السريع]

راضَ حَبِيبِـي عـارِضٌ قـد بـدا   يـا حُـسْنَهُ مِـنْ عـارضٍ رائـضِ
فظـنَّ قـومٌ أَنَّ قلبـي سَـلا   والأصـلُ لا يَعْتَـدُّ بالعـارِضِ

ومن شعره قوله أيضاً: [البسيط]

ولائـمٍ لامَ في حُبِّـي لـذِي غَـنَجٍ   لَمَّـا رأى في حَـواشي خـدِّه لامـا
فقلـتُ ذي لامُ تعليـلٍ بوَجْنَتِـه   تُبـين عِلَّـةَ مَـنْ في حُبِّـه هامـا

ولابن نُباتة(٢): [البسيط]

لامُ العِـذارِ أطالَـتْ فيـه تَـسْهِيدِي   كأنهـا لغَرامـي لامُ توكيـدِ

ولابن رشيق(٣): [البسيط]

يـا رُبَّ أحْـوَرَ أحـوى في مَراشِـفِه   لـو جـادَ لي بارتـشافٍ بُـرْءُ أَسْقَامِي
خـطُّ العِـذارُ لـه لامٌ بوَجْنَتِـه(٤)   مِـنْ أَجْلِهـا يَـسْتَغِيثُ النَّـاسُ بـاللَّامِ

ومما قلته فيها: [المتقارب]

غَـزالٌ نَقَـدْتُ لـه طـاعتِي   وعَجَّلْتُ للوَصْـلِ ذاك الـسَّلَمْ

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين المعروف بأبي حيان الجياني الأندلسي النحوي (٦٥٤-٧٤٥ / ١٢٥٦-١٣٤٥): أديب، نحوي، لغوي، مفسر، محدث، مقرئ، مؤرخ. ولد بمطخشارش من أعمال غرناطة، وتوفي بالقاهرة. له مؤلفات كثيرة، منها: «شرح تسهيل الفوائد» و«منهج السالك» في النحو، و«مختصر المنهاج» للنووي. انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٤/ ٧١؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٧٨٤. البيتان في فوات الوفيات، ٤/ ٧٣.

(٢) ديوانه، ص. ١٢٦.

(٣) ديوانه، ص. ١٣٣.

(٤) في الديوان: «له لاما بصفحته».

[١٩٠/ب] وأقْسَمْتُ لا بُدَّ مِنْ وَصْلِهِ ... وبالْهَجْرِ والوَصْلِ يَأْتِي القَسَمْ
ولامُ العِذَارِ على خَدِّهِ ... لَعَمْرِي مُوَطِّئَةٌ لِلْقَسَمْ

وله أيضا: [مجزوء الرمل]

لك تدريسٌ ولكنْ ... عينُ تَدْرِيسكَ لامُ
إنما تُمْلِي على النا ... سِ كَلامٍ لا كَلامُ

وقوله أيضا[1]: [الطويل]

وافى وأنفاسي تصعَّدُ من جوًى ... فقال أَمِنْ كأسِ الصَّبابةِ تغتبِقْ
وهل تحتَ رِقِّ الحِبِّ قَلْبُكَ في لظًى ... فقلتُ أجَلْ إنَّ القلوبَ لتَحْتَ رِقْ[2]

وهو[3] كقول الشهاب المنصوري: [مجزوء الكامل]

قَلْبِي بِحُبِّكَ قد عَلِقْ ... فَامْنُنْ له وَصْلاً ورِقّْ
يا مَنْ يُحَمِّلُ مُهْجَتِي ... في حُبِّه ما لم تُطِقْ
ها قد ملكتَ جَوانِحي ... فانْظُرْ تَجِدْها تحتَ رِقّْ[4]
عيناكَ تسترق الحَشَا ... ولكُلِّ حُرٍّ تَسْتَرِقْ

وكتب على «شرح الكشاف» للتفتازاني: [الطويل]

لقد قلتُ لَمَّا أن تملَّكْتُ نُسْخَةً ... لفاضلِ تَفْتَازَانَ مِنْ شَرْحِ كَشَّافِ
عليكَ سَلامُ اللهِ يا سَعْدُ إنَّنا ... نُدَاوِي عَلِيلَ الجَهْلِ مِنْ شَرْحِهِ الكافِي[5]

---

(١) ساقط من (ظ).

(٢) في (ظ) وريحانة الألبا ٢/ ٢٥٢: «لتحرق».

(٣) في (ظ): «وهذا».

(٤) في (ظ): «تحت رق وتحترق».

(٥) في (ظ): «من شرحك الشافي».

ولمّا أقام بمصر جلا على الألباب(١)، ما روّقت شمول شمائله من الآداب، حتّى تغذّى(٢) بنسيمها، وتعطّر صبا لطفه بشميمها، ففاحت بأردان طبعه منها نفحة، وجادتْ بها للراجين قريحته السمحة، في ليالٍ يروق الطرف منها الظلام، كأنَّها عارضٌ في وجنات الأيام، أو لمى الحسان، أو مسك الغزلان والخيلان، كما قلتُ أنا: [الطويل]

يَزِيدُ اشْتِياقي نحوَ مصر وأهلِها ... كما زادَ مدُّ النيلِ حتى تفجَّرَا
أذابَ النَّوَى صَبْرِي وأفْنَى مَدامعي ... فقالوا سَلا عن حُبِّنا وتسَتَّرَا
ولم يبقَ لي إلّا تفَكُّرُ نِيلها ... فلو شئتُ أن أبْكِي بكيتُ تفكُّرَا

[١٩١/أ] وقلت أيضا: [الخفيف]

إنَّ وجدِي بمصر وجدٌ قديمٌ ... وحَنِيني كما تَرَوْنَ حَنينِي
لم يزَلْ في خَيالِيَ النِّيلُ حتّى ... زادَ عن فِكْرَتِي ففاضَتْ عُيونِي

وقلت على منوال الزمخشري: [الطويل]

وقائلةٍ ما هذِهِ الأَبْحُرُ التي ... جرَتْ من مَآقِيهِ ولم تَكُ غائِضَهْ
فقالوا لها أنهارُ مصر التي ثَوَتْ ... بِخاطِرِهِ أمسَتْ من العَيْنِ فائِضَهْ

* * *

وله رسالة قلَمِيَّة مشهورة، منها قوله: [الطويل]

لك الحمدُ يا من أكرم(٣) الناسَ بعدما ... هداهُمْ إلى التقوى وعلَّم بالقلمْ

---

(١) في (س): «الأكباب».

(٢) في (س): «تغدى».

(٣) في (ظ): «علم».

يؤلِّــفُ بــين الكــافِ والنــونِ آمــراً ... وينقُشُ لوحَ الفكرِ من ذلك الرَّقمْ
وسُحْبٌ من التسليمِ تسكبُ وَبْلَها ... على مَضْجَعٍ(١) فيه المُروءَةُ والكرَمْ
تَجافَى عن الأقلامِ طَرْفُ بَنانِه ... وقد نُسِختْ من دِينه كتبُ الأُمَمْ

صِلاتُ الصلاة والسلام، عليه وعلى آله الكرام، وصحبه العظام، ما لاحت علائمُ الأعلام، في وجوه الأماثل، وناحت حمائم الأقلام، في غصون الأنامل.

وبعد؛ فإنَّ بعض الموصوفين بالبراعة، اعتنى بوصف محاسن اليراعة، وأحرز قصبات السبق في مضماره، وحرَّم على مُصلّيه أن يؤم شقَّ غباره، ورسم بديعَ المعاني على لوح البيان، فصارَ ما سطَّرته أنامله يُشار إليه بالبنان، وهذا نسخٌ على مثاله، ونسجٌ على منواله. وشتان بين من إذا رَكِب القلم أنامله، خضعتْ رقابُ الأنام له، وبين من يكتبُ فيُلغى، ويقولُ فلا يُصغى. واللهُ المستعان، وعليه التُّكْلان.

يا سائلي عن القلم؛ إنه في العلمِ عَلَم، عَلَمٌ يتراءى في بيداء النور ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١-٣].

يعجز عن عزيز وصفه بَيانُ الأفهام، ولو أنَّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلام، [١٩١/ب] ذو اللِّسانين واللسَن، والبيان الحسن، فقيه فائقٌ سرَّح في رياض الفقه، فاقتطف شقائق النعمان، حكيم حاذق، حبس على خُوان(٢) الحكمة، فالتقم حقائق لقمان.

ودرس العلوم الرسمية فهو المعلّم الأول، وجدَّد ما درس منها.

وهل على رسم دارسٍ من معوّل؟(٣)

---

(١) في (ظ): «مرقد».

(٢) في الريحانة ٢/ ٢٥٤: في رياض الهمَّة فاقتطف... حكيم حاذق جلس على خوان. (ج).

(٣) عجز بيت لامرئ القيس (الديوان ٩) صدره: وإن شفائي عبرة إنْ سفحتها. (ج).

مدَّ باعه في العلوم، وقدُّه قيدُ شِبْر، حبرٌ[1] ماهر إذا رأيت أثره فتقول: ما أحسن هذا الحبر!

قادرٌ على تحرير العلوم وتحبيره، يتكلّم ويذُرّ على الكافور عنبراً فيا حسنَ تعبيره! إذا أنشأ أغرب، وإذا أنشدَ أطرب، وإذا أعجمَ أَعرب، وإذا أشكلَ رفع الإشكال، وإذا قيّدَ أطلق العقول من العقال، يترجمُ عن الوحي والإلهام، وإذا رفعه الإبهام رفع الإيهام، مزن منه شآبيب العلوم واكفة، غصنٌ عليه طيور النُّهى عاكفة.

طالما جال وجاب، وسأل وأجاب، وأبدى العجبَ العجاب، طوراً يشربُ من كؤوس المحابر، فيتمايل كشاربٍ ثمل، وطوراً يخطب على رؤوس المنابر، فتراه كشيخٍ عبراتُهُ تنهمل، وطوراً يحبسُ في الدّست[2] مثل الكرام الصِّيد، وطوراً يبيت على كهف المحبرة باسطاً ذراعيه بالوصيد، متجرّدٌ خلّى نفسَه للتزهّد، متعبِّدٌ رافع إصبعه للتشهّد، يحدّث أحداث الليالي للأنام، ويظهر[3] ما جرى على لسانه في صفحات الأيام، كأنَّه يتنزَّهُ في مراتع الطرب، ويتبختر في ملابس القصب، إذا شطَّ دارُه فشطَّ عنه مزاره، فهو يبكي كالغمامة، وينوح كالحمامة، يذكر لداته وأترابه، ويحنُّ إلى أوّل أرضٍ مس جلدُه تُرابَه: [الوافر]

يَنُـــوحُ عـــلى رُســـومٍ دارِســـاتٍ كنَـــوْحِ حَمامَـــةٍ بـــالرَّقْمَتَيْنِ
وقـــد يَنْعَـــى إلى أهـــلِ التَّـــصابِي نـــوَى الأحْبَـابِ مثـلَ غُـرَابِ بَـيْنِ

ضربوا عنقه فطال عناؤه، وشجُّوا رأسه فسال دماؤه، وأولج نفسَه في المهالك، وأدلج في الظلام الحالك، فارتعد من خوف ذلك، [١٩٢/أ] صبٌّ ناحل

(١) في (س): «جوهر».
(٢) في ريحانة الألبا ٢/ ٢٥٥: وطوراً يجلس على الدست.
(٣) في (ظ): «ويطهر».

مُنِي بليل الفراق فترنح ولهاً، وكريم اجتداه مُعْدَم ما حِلٌ للجدوى فهو على منابر الأنامل يهتزُّ لها.

خطيبٌ مِصْقَع، وأَلِفٌ تراه تارة في الدَّواة وأخرى على الإصبَع.

بثَّ مصوناتِ السرائر فأشير إليه بالسيف والنِّطْع، وسرق مخزونات الضمائر فحُكم عليه بالقطع. يصبر مثل أيوب على البوسى[1]، ويصيرُ كليماً إذا مرَّ على رأسه موسى.

غريبٌ هجَر هِندَه وواسِطَه، وصار بين الروم والهند واسِطة. يقوم في خدمة الناس، فإذا قلتَ له: اجْرِ، يقولُ: على الراس. يتعيَّش بكسبِ يَمينه، ويقتاتُ من عرَقِ جَبِينه: [السريع]

أرْضَعهُ الجدْوَلُ مِنْ بعد ما ... رَبَّاه في مَنْزِله شَطُّهُ

ما ظهَرَ الشَّعْرُ على وَجْهِه ... فاعْجَبْ له كيف بَدا خَطُّهُ[2]

يُوسعُ كالأحرار جوداً وطَولاً، ورقبتُهُ كالعبيد في يد المولى. فهو على ما يقاسيه من الحزن والكآبة، لا يطلُب من مولاه إلَّا الكتابة. مدَّاحٌ لكن لا يفارق الهجا، يسترُ طُرَّةَ الصبح تحت أذيال الدُّجى. معدَّلٌ معروفٌ بالاستقامة أمين، مجرَّد فهو لا يميلُ إلى اليسار فهو من أصحاب اليمين. بطلٌ يطأ في الطِّعان على الرؤوس، علمٌ يأتيه الفتحُ والظفر وهو منكوس. رمحٌ من رماح الخطِّ، فارسُ الطعن وما انفك عنه قطّ. طِرفٌ يجري في الميدان وهو مَعْقود، إذا قصدتَه لا يحصلُ |المقصود|[3]. وسهمٌ

(١) في (س): «على الموسى».

(٢) في ريحانة الألبا ٢/ ٢٥٦: كيف بدا وخطُهُ. (ج).

(٣) زيادة من (ظ).

في الأغراض مُصيب، وليس له منها سهمٌ ولا نصيب. ثعبانٌ لا [يزال][١] يحرقُ ما مرَّ عليه بأنفاسه، تمشي الثعابِينُ على بطونها وهذا يمشي على راسه. أرقمُ يبلع الأَساود، أدهم تقيَّدُ به الأوابد. حيَّةٌ تنغمس في بحر رَنْق[٢] الماء، وتخرجُ منه وفي فمها درَّةٌ سوداء[٣]. يلدغُ الأكباد كأنَّه عسَّال ذابل، ويشفي الفؤاد كأن في فيه أرياً اشتارَتْه أيدٍ عَواسل. [١٩٢/ب] أكملَ أمرَه في السباحة، وأفنى عمره في السياحة. يقطعُ الفَيافي، وهو رَجْلان حافي. تارةً يخرج الفرائد من البحور، ويجعلها قلائد بيض النحور. عليه من السوادِ عمامةٌ كأنَّه عبّاسيٌّ طالبٌ للإمامة، سفاحٌ ذو خلاعة ومجون، رشيدٌ أمين إلّا أن طغيانه غيرُ مأمون، يجرُّ من الهنود جحفلاً كالبحر ماجت راياته، ولا ينقطع عن ممالك الروم دقائقه ومجرياته، يرتِّب الكتائب في المصاف، ويصدرُ عنه بالرمح الرَّعّاف. شادٍ إذا غَنّى شفى المفؤود[٤]، كأنَّه أُوتي مزماراً من مزامير آل داود. أشقرُ يحبُّ أن يَخُبَّ في المرج، إِلفُ قطعٍ إلَّا أنها تثبت في الدَّرْج. أَلِفٌ إذا فارق النون فهو صاد، حرفٌ نَفَى كلَّ دالٍ عن عينه الرُّقاد. مطلَقٌ لا يعتريه الأَسْر، مرفوعٌ إلَّا أنه يدخل عليه الكسر. يُسْتَعْمَلُ مفرداً ويُجْمَعُ ويكسرُ على قِلَّة، أجوفُ ويُعَدُّ ناقصاً إذا كان في حرفه عِلَّة، ثُلاثِيٌّ عَيْنُه لام، صحيحٌ إلا أنَّ عينَه فاءُ السَّقام. مشتَقٌّ تصدُر من حرفه الأفعال، عاملٌ إذا كُسر يبطل عن العمل في الحال. لسانه ذَلِقٌ، وقلبه مَلِقٌ، لفظوا باسمه فصيحاً وهو محرَّف، وأرادوا أن يصحِّفوه فلم يصحَّفْ، مِيزابُ عين الحكمة منه نابع، مقياسٌ مبصر العلم عليه الأصابع. أخرس

(١) ما بين معقوفين مستدرك من الريحانة. (ج).

(٢) في (س): «ريق».

(٣) كذا، وفي ريحانة الألبا ٢/ ٢٥٧: دودة سوداء. (ج).

(٤) المفؤود: موجوع الفؤاد.

لكن لسانه قاري، يتكلّم بعد ما حُزَّ رأسه وهذه حكمة الباري[(١)]: [الطويل]

ثلاثَــةُ أَحْيــاءٍ يــشيعون مَيِّتــاً ثلاثَــتُهُمْ بُكْــمٌ ومَيِّــتُهُمْ يُفْتِــي

تتعجب من أمره العقول، ويسأل عنه المُلْغِز[(٢)] ويقول: [الكامل]

مــا أمْــرَدٌ منــه القَــوامُ مُقَــوَّمٌ والــرأسُ مُنْــتكِسٌ كــشَيْخٍ فــانِي

أبــصَرْتُهُ فرأيــتَ منــه عَجائبــاً[(٣)] حَــدَث ترعــرع ســنُّه إثنــانِ

كفاه من رُتبه أن الله أقسمَ به[(٤)]، أجل؛ لو لم يكن قدره أجلّ لَمَا قبَّل يدي[(٥)] المولى الهمام، ولما طوَّقت أياديه رقبة[(٦)] الحمام. مولًى عيون [١٩٣/أ] ذوي الأنظار إلى مِرْوَد قلمه ميل،|وذَرورُ تُربةِ قدمه يجلو جفون أولي الأبصار من رأس مِيل|[(٧)]. إذا سحَّ[(٨)] سحابُ كماله، بدا سحبانُ في روض الفصاحة باقِلاً[(٩)]، وإذا فاضَ معينُ أفضاله، يلفى معنىً لحوضِ السماحة مادِراً[(١٠)] باخلاً. إذا نثَر نثر الدرر، وإذا نظَم نظم الغُرر. حرفٌ من ذلك البنان، وطرفٌ من سحر البيان، سطر من تلك الأنامل، وشطر[(١١)] من حقائق المسائل: [البسيط]

(١) سقط هذا البيت من (ظ).

(٢) في (ظ): «عن اللغز».

(٣) في (ظ): فإذا أبصرته رأيت. والمثبت من الريحانة ٢/ ٢٥٩. (ج).

(٤) في الريحانة: كفى من رتبه أن الله أقسم به جلّ. (ج).

(٥) في (ب): «يد».

(٦) في (ظ): «رقبته».

(٧) زيادة من (ظ).

(٨) في (س): «سبّح».

(٩) انظر الحاشية (٣) صفحة (١٨٧). والحاشية (١) صفحة (٢٠٧). (ج).

(١٠) انظر الحاشية ( ) صفحة ( ). (ج).

(١١) في (ظ): «شطر من تلك الأنامل، وسطر من...».

في طرفه أدهمٌ يجري على سَنَنٍ   من رأسِ إصبعِهِ الغَراء غُرَّتُهُ
أبو العلاء إذا أضحى يُعارضهُ   يَبِينُ عنه وقد بانَتْ مَعَرَّتُهُ

إذا ألقى الدروس، يُحيي رِباع العلم بعد الدُّروس، وإذا تعب براحته قلمُ الفُتيا، تصل إلى كلِّ راحة الدنيا، وتعلو كلمةُ الله العليا، قلمه في بنانه المِدرار، كأنه قصَبٌ نبتَ[1] في الأنهار، يسعى قلمُ العلم في مَدار محاسنه وهو كسير، وينقلِبُ بصرُ البصيرة عن سما مناقبه خاسئاً وهو حسير.

وإنّي وإنْ أُعلي صوارم[2] اليراعة ومداها، وأُبلغَ من مسالك البراعة مداها، وأُلمَحَ من غرف الإبداع غواني المعاني، وأُصْمِي بظُبَى الأقلام ظِبا المعاني؛ لو رمتُ تعديد نجوم بروج فضائله، وتحديد تخوم مروج فواضله التي تتنافس بها الأماثل وتتباهى، وتتناهى الأيام وهي لا تتناهى. لعرفتُ بأنّي محصورٌ غير محصور، ولاعترفتُ بأني من جنانِ مدائحه في قصور. لقد غدا سابقاً في حلبة العلياء أمثالَهُ، إذا تناولتِ الأقلام راحته تقول: ما قصباتُ السَّبق إلا له.

لا زالت خمائلُ الفضائل برشحات أقلامه مُخْضَلَّةً، ونسائم الأصائل بنسمات أنفاسه معتلَّةً، ولا برح يُضحك ببكاء أقلامه الطروس، ويُري في صورة خطوطه حظوظ النفوس، ما تغنَّت الأقلام بصَريرها، والأنهار بخَريرها، وضحكت الأسحار بشروقه، [١٩٣/ب] والأمطار ببروقه. بحرمة مَن لولاه لم يُخْلَق اللوحُ والقلمُ، ولم يُعَلَّمِ الإنسان ما لم يَعْلَمْ، صلى الله تعالى عليه وسلم.

* * *

(١) في ريحانة الألبا ٢/ ٢٥٩: كأنه قضيبٌ نبت. (ج).

(٢) في ريحانة الألبا ٢/ ٢٦٠: وإني وإن أعمل صوارم. (ج).

ومن رسالته السيفية قوله:

وبعد؛ فإن السيف في حَنادس الوقائع شهابٌ ساطعٌ، وإلى ممالك المعالي صراطٌ واسع، وعلى مسائل العزائم بيانٌ قاطع، وإن كان في أوساط الناس بالتقليد مشهوراً، فأردتُ أن أرصِّعه بجواهر الترصيف، وأحلّيه بعلائق التعريف.

ومنها: يعرف ضروباً من فنون الحرب، وهو مجدٌّ في كلِّ ضرب، إذا شُهِر يُشرق النور من غَرْبِه فهو المشهور بالشرق والغرب، ذو علائق لكن إذا كان مجرَّداً يكون من أصحاب اليمين، وقد يعتكف في خلوة القِراب فيكون من المقرّبين.

جدول[1] ماء يشقُّ من الدرع بحراً موَّاجاً، ويفتحُ باب النصر فترى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، ذو وجهين له طبعٌ حديد، وبأسٌ شديد. جدولٌ ما هبَّ عليه نسيمُ النصر، وشعلةُ نارٍ ترمي بشَرَرٍ كالقصر، نارٌ يؤجِّجُه ضاربه. ماء يغصُّ به شاربه، نهرُ ماءٍ[2] ملآن، يُسقى به حِمى الأبدان، فيجعلها حدائق، ذات وردٍ وشقائق.

عالِمٌ لا ينظُر إلى متنٍ إلَّا ويشرِّحُهُ، حاكمٌ لا يحضره شاهدٌ إلَّا ويجرِّحه، شارحٌ له متن متين، يُملي في صحائف سورة الفتح المبين، حدُّه ذاتِيٌّ وقوله قول شارح، يُبَيِّن بدقائق فَرْقِه وجَلِيِّ شرحه مُشكلات المطارح، عالِمٌ في الضرب والتفريق، ماهرٌ في العلوم القطعية على التحقيق، إذا طُلب منه شرحُ الخفايا ينشرحُ لها ويهتزّ، طالما طبَّقَ المفصل في الإبانة وأصاب المِحَزَّ، مرآة ينطبع عليه صورة الحتف.

---

(١) في (ظ): «جدو». أقول (ج): وفي ريحانة الألبا ١/ ٢٦١: جدول ربّما يشق.

(٢) ساقط من (ظ).

ومنها: شروقُ غربه يُسفر عن [١٩٤/أ] فجر يوم الحرب، كأنّه جدول ماء جرى في ساحة روضٍ فظهر منه رؤوس نباته، أو لمعةُ ضياء دخلتْ في كوَّة بيتٍ فبدت عليه صورة ذاته. النَّبلُ له كالخدم، والرمحُ يقومُ في خدمته على القدم، بل هو من حُبِّه ذابل، فهو الملك الجليل والرمحُ له عامل، إذا رآه القوس يقول: ما لي من جنس بسالتك سهم، وإذا لاقاه الدرعُ يُدخل حلقها بعضها في بعض من الوهم، نهرٌ من بحر الحرب يُسقى به قصباتُ الرماح، لم تبدُ على غديرِ الدرع أمواجه، حتى هبَّت من شطوطه للنصر رياح.

ذَكَرٌ له حيضةٌ، طائرٌ يقع على البيضة، أغراق أطلال وجود العلا بسيف أقطار السهام[١]، وأنهار الصِّفاح، ونزح حَمْأة أرواحهم من بئرِ أشباحهم بدِلاء المغافر وأرشاء الرماح، يجري بحاراً من العساكر، فمنها أمواج الدروع وفواقع المغافر.

ومنها: لا زال أَلفُ سهمه مع نون قوسه المشدَّدة[٢]، لجملة خبر مسألته وإيالته مؤكدة[٣]، ولا برح شكل دبُّوسه همزةً لقطع الآجال، وسينُ سيفه مقرِّبةً عمر العدوِّ من الاستقبال إلى الحال.

ومنها: جواهر ترصَّع بها هذه السيفية، وحمائل تُشدُّ في جيد الحميَّة الأدبيَّة.

قوله: (يدخل بعضها في بعض)، أي لشدّةِ الخوف تتصاغرُ وتتضائل حتى تكادُ يتوارى بعضها في بعض، وعلى نهجه قولُ |الصَّلاح|[٤] الصفدي في كرسيِّ المصحف: [الطويل]

---

(١) في (ظ): «العدا بسيف». وفي ريحانة الألبا ٢/ ٢٦٣: وجود العدا بسيل أقطار... (ج).

(٢) في (ظ): «المسددة».

(٣) في (س): «مؤكداً». في الريحانة: خبر بسالته وإيالته.

(٤) زيادة من (ظ).

حملتُ على ضعفي الذي كلماتُه لِهَيْبَتِها يصَّدَّع الجبلُ الرَّاسِي
تداخَلَ منّي البعضُ في البعضِ هيبةً لأنَّ كتابَ الله أَضحى على راسِي

ولظافر الحدّاد[(١)] فيه أيضاً: [الكامل]

أُنْظُرْ بعَيْنِكَ في بَدِيعِ صَنائعِي وعَجِيبِ تَرْكِيبِي وحِكْمَةِ صانِعِي
فكأنَّها[(٢)] كفَّا مُحِبٍّ شبَّكَتْ يومَ الفِراقِ أصابِعاً بأصابعِ

وفي معناه قولُ ابن رشيق في الدِّرْع[(٣)]: [الرمل] [١٩٤/ ب]

كُلَّما دارَتْ بها أبصارُنا صوَّرت فيها مثالَ الحدَقِ
أوجَستْ في الحربِ من وَخْزِ القَنا فَتوارَتْ حلَقاً في حلَقِ

وعكسه قول المُناوي في سُبحة: [المتقارب]

ومنظومة الشَّمْلِ يخلو بها اللْـ ـلَبِيبُ فتجمع من هِمَّتِهْ
إذا ذكرَ الله جلَّ اسمُه عليها تفرَّق من هَيْبَتِهْ

ولابن عبد الظاهر[(٤)] فيها[(٥)] وإن لم يكنْ ممّا نحن فيه: [مجزوء الرجز]

---

(١) هو ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني أبو المنصور الجذامي الإسكندري المعروف بالحداد (ت: ٥٢٩/ ١١٣٤): شاعر، ولد بالإسكندرية، وتوفي بالقاهرة. له «ديوان شعر». انظر مصادر ترجمته: وفيات الأعيان، ٢/ ٥٤٠؛ معجم الأدباء، ٤/ ١٤٦٢؛ شذرات الذهب، ٦/ ١٤٩؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٢٠.
والبيتان في ديوانه ١٩٥، وفيات الأعيان، ٢/ ٥٤٢؛ ومعجم الأدباء، ٤/ ١٤٦٤.

(٢) في وفيات الأعيان، ومعجم الأدباء: «فكأنني». وفي الريحانة ٢/ ٢٦٨: فكأنّما كفّا.

(٣) لم يرد البيتان في ديوانه.

(٤) هو محيي الدين بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة الجذامي المصري (٦٢٠-٦٩٢ / ١٢٢٣-١٢٩٣): أديب، مؤرخ، ناظم، ناثر. ولي القضاء، وتوفي بمصر. من مؤلفاته: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر». انظر مصادر ترجمته: فوات الوفيات، ٢/ ١٧٩؛ معجم المؤلفين، ٢/ ٢٥٣.

(٥) ساقط من (ظ).

وسُبْحَةٍ أنامِلِي قد شُغِفَتْ بِحُبِّهَا
مثل مَنَاقِيرٍ غَدتْ مُلْتَقِطات حبِّهَا

[وأمَّا ذكر الحيض مع الذكورة فمعنى مشهور قديم كقوله](١): [الطويل]

ومن عجَبِي أنَّ القَنا بأكُفِّهمْ تُؤَجِّجُ ناراً والأَكُفُّ بُحورُ
وأعجب من ذا أنَّ بِيضَ سُيُوفِهمْ تحيضُ دماءً والسُّيوفُ ذكورُ

ولآخر: [الكامل]

ومِنَ العجائِبِ أنَّ بِيضَ سُيُوفِهمْ تَلِدُ المَنَايا السُّودَ وَهْيَ ذُكورُ

* * *

وممّا يُناسب ما نحن فيه **رسالة السكين**، وهي(٢):

يُقبّل الأرضَ التي أَقامت حدود مكارمها، وقطعتْ عنّا مكروه الفقر بمسنون عزائمها، ويُنهي وصول السكين التي قطع المملوك بها أوصالَ الجفا، وأضافها إلى الأدوية فحصل بها البرء والشفا، زرقاءُ(٣) كَمْ شاهدتِ البيض منها ألوان، خرساء ومن العجائب أنَّها لسانُ كلِّ عنوان، ما شاهدها موسى إلَّا سجد في محرابِ النصاب، وذلَّ بعد ما خضعتْ له الرؤوس والرقاب، كم أيقظتْ طرف القلم بعد ما خطَّ، وعلى الحقيقة ما رؤي مثلها قط، وكم وجدَ بها الصاحبُ في المضايق نفعاً، وحكم بحسن صحبتها قطعاً، ماضيةُ العزم، قاطعةُ السن، فيها حدَّة الشباب في وجهين، لأنَّها بالناب والنصاب مُعلمة الطرفين، أَنملة [١٩٥/أ] صبحٍ تقنَّعت بسواد الدُّجى،

(١) ما بين معقوفين مستدرك من ريحانة الألبا ٢/ ٢٦٩. (ج).
(٢) الرسالة من تأليف ابن حجة الحموي، وقد أوردها في ثمرات الأوراق ٣٩٩. وهي في ريحانة الألبا ٢/ ٢٦٣. (ج).
(٣) في (س): «ذرقاء».

فعوّذتها بالضَّحى والليل إذا سجى، ولسانُ برقٍ امتدَّ في لهوات الليل، فتنكّرت أشعة الأنجم حتّى ما عُرف منها سهيل، هذا وتقطيعُها موزونٌ إذا لم يتجاوز في عروض ضربها الحدّ، ومعلومٌ أنّ السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد: [الرجز]

مـــن أَجْلِنـــا تَـــدْخلُ في مَـــضايقٍ لــيس لــسَيْفٍ قَــطُّ فيهــا مَــدْخَلُ
وكــــلُّ مــــا تَفْعَلُــــه تُــــوجِزُه والــــرُّمْحُ في تَعْقِيــــدِهِ يُطَــــوِّلُ

إن هجعتْ بجفنها كانت أَمضى من الطيف، وكم لها من خاصَّةٍ جازت بها الحدَّ على السيف، تُنسي حلاوة العسَّال، فلا يظهرُ لطوله طائل، وتُغني عن آلة الحربِ بإيقاع ضربها الداخل، إن مرّت بشكلها المُحلَّى(١) تركتِ المعادن عاطلة، ولم يُسمع للحديد في هذه الواقعة مجادلة، شهد الرُّمحُ بعدالته أنَّها أقرب منه إلى الصواب، وحكم بصحّة ذلك قبل أن يتكمَّل(٢) لها النصاب، ما طالَ في رأس القلمِ شعرةٌ إلَّا سرَّحتها بإحسان، ولا طالعت كتاباً إلَّا أزالت غلطَهُ من رأس(٣) اللسان، يُعقد عليها الخناصر لأنّها عدةٌ وعدّة، وتاللهِ ما وقعت في قبضةٍ إلَّا أطالت لسانها وكلّمته بحدِّه، إن دخلتْ إلى القِراب، كانت قد سُبكت على الدخول، أو أبرزت من عتمةٍ كانت على طلعتها الهلالية قبول، تطرِف بأشعَّتها الباهرة عينَ الشمس، وبإقامتها الحدَّ حافظتِ الأقلام على الخمس، وكم لها من عجائب تركتْ جدولَ السيف في بحر الغِمد وهو(٤) غريق، ولو سمع بها من

(١) في (س): «المحل».
(٢) في (ظ): «يكمل».
(٣) ساقط من (ظ).
(٤) ساقط من (ظ).

قبلِ ضربه ما حُمِّل التَّطريق، فلو عاصرها الكمالُ لعرك من قوسه الأُذنين، وقال له: جحدت رسالتك يا ذا القرنين، فإن جذبت إلى مقاومتها وكان لك يدٌ تمتدُّ، وصلتِ [١٩٥/ب] السكّين إلى العظم، وصار عليك قطع وانتهى أمرُك إلى هذا الحد، وهل تُعاند السكين صورةٌ ليس لها من تركيب النظم، إلَّا ما حملت ظهورُها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، ولو لمحها الفاضلُ لحقَّق قوله: إن خاطر سكينته كلَّ، أو أدركها ابن نُباتة أقرَّ برسالة السيف وفلّ، وقال لقلم رسالته: أطلق لسانك بشكر مواليك، وأخلص الطاعة لباريك.

ولم يقصدِ المملوك الإيجاز في رسالة السكين ونظمها، إلَّا لتكون مختصرة بحجمها.

لا زالت صدقاتُ مهديها تُتحف بما يَذبح نحرَ فقري، ويأتي في كلِّ حينٍ بما يشفي داء الفقر ويَبري، بمنِّه وكرمه إن شاء الله تعالى.

* * *

ولهذا الحَبْر نجلان قد جمعا الحسن والإحسان، وبرعا في الفضل بما لم يجر في خاطرِ الإمكان، وسبقا إلى غايةٍ لم ير مثلَها طرفُ الزمان، فضلاً عن طرف الرهان، وهما حسن ومحمد، وكلٌّ منهما له نجح أمجد، إلَّا أن الدهر لم يمتِّعْهما بفاكهة العمر، وهذا دأبُهُ يهادي كلَّ شهم ويصافي كلَّ غمر.

* * *

شاعر الروم وحسَّانها[1]:

[١٥٦]
القاضي عبد الباقي رحمه الله[2]

ربيع مجدٍ هطلتْ سحائب فضله، وبحرُ جودٍ تدفَّقت جداول ذكائه ونبله، مشحوذُ أسَلة العزمات، مصقولُ حدِّ عزمٍ يَكِلُّ عنده ألسنة المرهَفات، يقصر عن جيد معاليه عقودُ التفاصيل والجمل، ويلفى من ظمأ[3] للقياه عذباً نميراً لا يمل منه العلل والنَّهَل.

وهو في الحقيقة معجزةٌ تحدّى بها آل يافث، وساحرٌ في عقد البيان نافث.

وله خلقٌ كتنفّس الصَّبا في الصباح، أو ثغور الكؤوس المدهقة برضاب الراح، وهمَّةٌ لم تغمد صوارمها إلَّا في أجياد المطالب، ومجدٌ لم تطأ همته إلّا على هامة المناصب[4]: [الخفيف]

قد حَكَى الصارِمَ المُحَلَّى سِوَى أنْ ... نَ حُلاهُ جَواهِرُ الآدابِ

[١٩٦/أ] وكان في صباه يتعاطى صناعة السُّروج رَخِيّ اللَّبَب، طَلْق العَنان فيها لا يمسُّه نَصَبٌ ولا لَغَب[5] حتى رمَقَه ناظرُ المجد، وابتسمت له مباسمُ

---

(١) في (ظ): «وحافظها».

(٢) القاضي عبد الباقي المعروف بباقي (ت: ١٠٠٨/ ١٥٩٩): شاعر الروم. لازم شيخ الإسلام أبا السعود العمادي، وأخذ عنه. ترقى في درجات التدريس، ثم اشتغل بالقضاء في مكة، والمدينة، ودار السلطنة، ثم تولى قضاء العسكرين. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٢٧٠؛ خلاصة الأثر، ٢/ ٢٨٧.

(٣) في ريحانة الألبا ٢/ ٢٧٠: ويلقى ظامئ المسامع منه ورداً عذباً لا يسأمه العلل والنهل. (ج).

(٤) البيت لأبي تمام في ديوانه، ٢/ ٢٨٣.

(٥) في (ظ): «لغوب ولا نصب».

السعد، فتشرَّف بخدمة المولى أبي السعود، فرمقته عينُ الرضا، وعيون الخطب رقود، وطرفُ سعده من نومةِ الخمول تيقَّظ، فانظر إلى البختِ والحظ.

في قصةٍ يطولُ شرحها على السامع، وإن تفكّهت بفواكهها أفواه المسامع[(١)]، فأظهرتْ له ضمائر الأيام ما كانت تنويه، وصرَّحت له ألسنة المجد بكلِّ رفعةٍ وتنويه، حتى تولّى قضاء العساكر، وراقت مشاربُهُ في الموارد والمصادر.

ولمّا ألقيت بدار الملك عصا التسيار. ونفضتُ عن وجهِ الهم غبارَ الأسفار، رأيتُه وقد تبدّل بَنفسجُه ياسميناً، وقد بدَّل[(٢)] سَبَجَهُ[(٣)] الدَّهرُ لُجيناً، وأنا بالرُّوم أسير، وفي قيودِ الغربة أسير، كما قال أبو الطيب[(٤)]: [الوافر]

مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سارَ فيها سُلَيْمانٌ لَسارَ بِتَرْجُمانِ
وَلَكِنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فيها غَريبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللِّسانِ

وكان في محاورته مشحوذَ سنان اللسان، بألفاظٍ مُستعذبة مصقولة يسجدُ لها اليراع ويركعُ البنان.

وإنّما ذكرته وإنْ لم يدخل تحت شرط الكتاب؛ لأنّه تحفةُ عطارد، التي جلا عروس محاسنه سافرة النقاب، وديوانه أَشهرُ من الأمثال السائرة، ورياضُ بلاغته عيونُ أنوارها إلى ربِّها ناظرة.

ولم يزل كذلك حتى بلغت روحه التراقي، وانتقل من العالم الفاني إلى العالم الباقي[(٥)].[١٩٦/ب]

(١) في (س): «السامع».
(٢) في (س): «بدلت».
(٣) السبَج: الخرز الأسود.
(٤) ديوانه، ٢/ ٥٥٣-٥٥٤.
(٥) انظر الحاشية (٢) صفحة (٧٢٧).

[١٥٧]

سعد الدين بن حسن[١]

سعدُ الدين بن حسن، ومَنْ حديثُ مجده متواتر حسن، فقد كانت أيامه ربيعَ الأفاضل، وسُدَّته محطَّ رحال الأماثل والمسائل، تُلْقَى عنده عصا التسيار، وساح بحرم سعادته قوافلُ الأسفار والأسفار[٢]، فهي قرارةٌ لماءٍ سالت به الأباطح، وملتقى كلِّ سانحٍ وبارح.

وقد جمع الله فيه من الكمال، ما يضرب به أوابد الأمثال، إنْ خطَّ فابنُ مُقْلة[٣] بعينه وإن تكلّم بأصنافِ اللُّغات فابن دُرَيْد «بجمهرته» والخليل «بعينه».

---

(١) محمد بن حسن جان المعروف بسعد الدين حسن جان (ت: ١٠٠٨/ ١٥٩٩): تبريزي الأصل، ولد بالروم، وقرأ، ودأب، ولزم درس شيخ الإسلام أبي السعود العمادي، وأخذ عنه، وانتفع به. واشتغل بالتدريس، ثم اختاره السلطان مراد معلماً لنفسه، وأقبلت عليه الدنيا، ولما توفي السلطان مراد، أبقاه السلطان محمد معلماً لنفسه ولولده أيضا، ثم ولاه الإفتاء. توفي بالقسطنطينية، ودفن بالقرب من أبي أيوب الأنصاري. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٢٧٣؛ خلاصة الأثر، ٣/ ٤١٨.

(٢) الأسفار الثانية جمع السفر؛ وهو الكتاب.

(٣) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة (٢٧٢-٣٢٨/ ٨٦٦-٩٤٠): أديب شاعر حسن الخط، (يضرب بحسن خطه المثل) من الوزراء. ولد في بغداد، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس، ثم استوزره القاهر بالله. واتهمه القاهر بالمؤامرة على قتله، فنقم عليه وسجنه مدة، وأخلي سبيله، ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، ثم قطع لسانه وسجنه، وتوفي في سجنه. انظر مصادر ترجمته: معجم الأدباء، ٦/ ٢٥٧٤؛ ثمار القلوب، ١/ ٣٤٥؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٥٠٥.

فلو رآه قُسُّ بن ساعِدَة، ألقى له يد التسليم وساعِدَه.

وبالجملة هو مجموعة عُطارِد، ودفترُهُ المكسور على غرر[1] الأوابد.

جمع من زينة الدنيا وهي المال والبنون ما ملأ الملا، ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ [الكهف: ٤٦].

ولعمري إنه ابن عباد في العباد، وأيامه كلُّها جمعٌ وأعياد، فعصرُه ختام مسك العلوم والآداب:

رُبَّ خيرٍ يجيء في الخاتمات[2]

وكماله نتيجة العقول والألباب.

فهو مثلُ السَّلام في الصلوات، فحبا الله تلك الدهور، ما جرت دموعُ الندى فوق خدود الزهور، فقد أصابتها عين الكمال، ونزلت شمسُها بعد الارتفاع حضيض الزوال، وقُوِّض من الفضل بنيانه، وأُنقضت عمدُهُ وأركانه، حتى ظهرتِ الآن أشراطُ القيامة، ولُبِسَ لباسُ الجهل من النَّعلِ إلى العِمامة.

ومن أجَلِّ شيوخه:

* * *

---

(١) في (س): «غرره».

(٢) أقول (ج): عجز بيت للبهاء زهير (الديوان ٢٩) صدره:

خُتم الحب من حديثي بمسكٍ

خاتمة المفسرين، زبدة المتقدّمين المحمود الجدود، الممدوح[1] الآباء والجدود أبو السعود رحمه الله تعالى عليه.

وهو أستاذ أستاذي، وعمدتي بالروم وملاذي، وهو[2]:

[١٥٨]

المولى أبو السعود بن محمد بن مصطفى العمادي الإسكلبي[3]

ولد بقرية قرب قسطنطينيَّة سنة ثمان وتسعين وثمانمئة، وتوفي في أوائل شعبان سنة خمس وثمانين وتسعمئة، ودفن خارج السور في جوار أبي أيوب الأنصاري.

وكان طويلَ القامة خفيف العارضين لا يتكلّفُ في ملبسه ومطعمه. وتربى في حجر والده يرضعه دُرَّ فضله، ويسقيه من منهله، [١٩٧/أ] ما زادت به نضارة فرعه على أصله، ولم يزل يرقى في درج المراتب منقطع القرين، حتى تولى قضاء

---

(١) في (ظ): «الممدح».

(٢) هذه الجملة أتت عقب ترجمة القاضي عبد الباقي، فآثرت نقلها لهنا. (ج).

(٣) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الإسكلبي الحنفي المعروف بأبي السعود (٨٩٨-٩٨٥ / ١٤٩٣-١٥٧٤): فقيه، أصولي، مفسر، شاعر، عارف باللغات العربية، والفارسية، والتركية. من موالي الروم. ولد بقرية بالقرب من القسطنطينية، وقرأ على والده كثيراً، ولازم المولى سعدي جلبي، وتنقل في المدارس، ثم قلد قضاء بورصة، ثم قضاء قسطنطينية، ثم قضاء العسكر في ولاية الروم إلي، ودام عليه مدة ثمان سنين. توفي بالقسطنطينية، ودفن بالقرب من أبي أيوب الأنصاري. من مؤلفاته: تفسيره المسمى بـ «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» أهداه للسلطان سليمان خان. انظر مصادر ترجمته: ريحانة الألبا، ٢/ ٢٧٥؛ شذرات الذهب، ١٠/ ٥٨٤؛ الكواكب السائرة، ٣/ ٣٥؛ تاريخ النور السافر، ص. ٢٣٩؛ البدر الطالع، ص. ٢٧٣؛ الأعلام، ٧/ ٥٩؛ معجم المؤلفين، ٣/ ٦٩٣.

العسكرين، وتصدّر للإفتاء عدة سنين.

ورشحاتُ أقلامه وسوالف أرقامه، ممّا تزيّنت به وجنات الدهر، وبهتت له حيرة عيون الزهر، ورياض آماله ناضرة، وعيون السعد إليه ناظرة.

وإذا كان مَنْ هزَّ نخلةَ بستان تساقطت عليه رطباً جنيًّا، فكيف بمَنْ هزَّ شجرةَ كرم نضر ألَّا يتناثر عليه نضاراً مليًّا.

إلَّا أنّه كان يفرطُ في حبِّ ذوي المال والجاه، ويتبع ظلَّ سلطانه ليقيلَ في بارد هواه، حتى جعل تقديم أطفاله سنَّةً، وبقيت تلك السُّنةُ السيئة كما سنَّه، فصارت سبباً لانطفاءِ نبراس العلم ودروسه، وتعطّل أطلال رسومه ودروسه، مع افتتانه بآثارِهِ من روائع تآليفه وأشعاره: [الكامل]

والمــــرءُ يُفْـــتَنُ بابْنِـــه وبـــشِعْرِه لكـــــنَّ ذلـــك فِتْنَـــةُ العُقَـــلاءِ[1]

على أنه لو قيل: هو أشعرُ أهل جِلْدته، لم يكذبِ الرائدُ أهله وهو أدرى بشِعاب حِلَّته، فمن جَزْرِ مدِّه، الذي رواه طالع سعده، قصيدتُهُ المشهورة التي عارض بها ميمية المعري[2]:

«وأين الثُّريا من يد المتناول»[3]

وهيهات هيهات العقيق من صُمِّ الجنادل، وهي[4]: [الطويل]

أَبَعْـــدَ سُـــلَيْمَى مَطْلَـــبٌ ومَـــرامُ وغـــيرُ هَواهـــا لَوْعَـــةٌ وغَـــرامُ

(١) البيت لكشاجم، الديوان ٢٦. (ج).

(٢) أي قصيدته الميمية التي مطلعها: «لقد آنَ أنْ يَثْني الجَموحَ لِجامُ وأنْ يَمْلِكَ الصّعْبَ الأبيَّ زِمامُ»، سقط الزند، ص. ١٠٨.

(٣) عجز بيت لابن نباته المصري، صدره: ومشمش بستانٍ ثريَّاه أشرقت. (ج).

(٤) في ريحانة الألبا ٢/ ٣١٩.

وفـــوقَ جِماهـــا مَلْجَـــأٌ ومَثابَـــةٌ ودون ذرَاهـــا مَوْقِـــفٌ ومَقـــامُ
وهيهـــاتَ أن يُثْنَـــى إلى غـــيرِ بابِهـــا عِنـــانُ المَطايـــا أو يُـــشَدَّ حـــزامُ

ومنها:

وقد أخلقَ الأيامُ جِلْبابَ[1] حُسْنِها فأضْـحَتْ ودِيبـاجُ البَهـاءِ رِمـامُ
عـلى حـين شـيب قـد ألمَّ بِمَفْرِقـي وعـاد دهـامُ الـشَّعْرِ وَهْـوَ ثَغـامُ[2]
طَلائعُ ضعفٍ قد أغارَتْ على القُوَى فثـــارَ عـــلى رأسي لـــذاك قَتـــامُ

ومنها:

وعـادَتْ قَلُـوصُ العَـزْمِ عنهـا كَلِيلـةً وقــد جُــبَّ منهــا غــاربٌ وسَــنامُ
أروحُ وأغـــدُو في دمـــوعٍ وغُـــصَّةٍ ولـــيس ســـواها مَـــشْرَبٌ وطَعـــامُ

ومنها: [١٩٧/ ب]

لقـد تـمَّ أزمـانُ المـسرّاتِ وانْقَـضَى لكـــلِّ زمـــانٍ غايـــةٌ وتَمـــامُ
فـما كـلُّ قيـلٍ قيـلُ علـمٍ وحكمـةٍ ومــا كــل مُمْتَــدٍّ الحديــدِ حُــسامُ
ولِلــدَّهرِ تــارَاتٌ تمــرُّ عــلى الــورى نَعـــيمٌ وبـــؤسٌ صِـــحَّةٌ وسَـــقامُ
ومــن يَــكُ في الــدنيا فــلا يَعْتِبَنَّهــا فلـــيسَ عليهـــا مَعْتَـــبٌ ومَـــلامُ

ومن قصيدة له أخرى أولها: [الكامل]

طـــالَ الثَّـــواءُ بـــدارَةِ الْهِجْـــرانِ مَثْـوَى الكُـروبِ قَـرارة الأشـجانِ

ومنها:

مَطْمُـــورَةُ الأدواءِ مُعْـــتَرِكُ الـــرَّدَى مَــأْوَى الخُطــوبِ غَيابَــةُ الأحــزانِ

(١) في ريحانة الألبا ٢/ ٣٢٠: وقد أخلقِ الأيام خِلعة. (ج).

(٢) دهام الأسود، والثغام نبت أبيض.

قـد آنَ مـن شـمسِ الحيـاةِ طُلوعُهـا مِـنْ مَغْـربِ الأشـباحِ والأبـدانِ

ومن أخرى له(١): [المنسرح]

مَقالـةُ الحـقِّ عَـزَّ قائلُهَـا مَرْكـوزةٌ في النُّهَـى دَلائلُهَـا
قَويمـةٌ لا تـرى بهـا عِوَجـاً لا قـدَّس الله مَـنْ يجادِلُهَـا
آياتُـهُ سُـطِّرَتْ عـلى صُـحْفٍ الـ ـعالَمُ ممتـازَةٌ فَواصِـلُهَا
تُخْـبِرُ عـن كـلِّ نُكْتـةٍ سُـئِلَتْ بغـيرِ خلْـفٍ فـأينَ سـائلُهَا
تَـرْوِي أحاديـثَ أمَّـةٍ سَـلَفَتْ روايـةً لايـرَدُّ ناقلُهَـا

ومن قصيدة له أخرى(٢): [الكامل]

لِمَـنِ الـدِّيارُ تَضَعْـضَعَتْ أركانُهـا وانقـضَّ فـوقَ عُروشـها جُـدْرَانُهَا

وهي مشهورة.

وقد رُثي بعد موته بمراثي(٣) من اللِّسانين، كقول السيد مصطفى في قصيدة، منها قوله: [الكامل]

مُـذْ خـاضَ في بَحْـرِ الفَنـاءِ توَقَّـدتْ نـارُ الجَـوَى في مُهْجَـةِ الأحْبـابِ
بكَـتِ الـصُّخورُ لِمَوْتِـهِ فَلأَجْـلِ ذا تَجْـرِي عُيـونُ مَهَامـهٍ وشِـعابِ

ومن قصيدته التي رثى بها السلطان سليمان وأولها: [البسيط]

أصَـوْتُ صـاعِقَةٍ أم نَفْخَـةُ الـصُّورِ فـالأرضُ قـد مُلِئَـتْ مـن نَقْـرِ نَـاقُورِ

والمصراع الثاني ممّا لا ينبغي أن يصدر عن مثله. ومنها في التوحيد: [البسيط] [١٩٨/أ]

(١) في (ظ): «وله من أخرى».

(٢) في (ظ): «وله من قصيدة».

(٣) في (س): «بعده مراثي» بدلاً من «بعد موته بمراثي».

سُبْحانَهُ مَلِكٌ جَلَّتْ مَفاخِرُهُ عن البيانِ بمنظومٍ ومنثورِ
كأنَّها ويَراعُ الواصِفين لها بَحْرٌ مَقِيسٌ[1] إلى مِنْقارِ عصفورِ

وهو معنى لطيف لولا قصورُ لباسه، وضعفٌ في تأليفه.

وقد قلتُ في معناه نثراً من رسالة: ليس |لسان|[2] اليراع بنعته محيط، حتى ينْزحَ بمنقارِ عصفورٍ ماءَ البحر المحيط.

ففيه مع الإغراق تشبيه ضمني، وهو تشبيه أسنان القلم بمنقار الطائرِ، وكتابته في الطِّرس بغبِّه من الماء، وتشبيه الطِّرس بالبحر. وكلُّها بدائع ونكت لطيفة |روائع|[3].



(١) في (ظ): «مقبس».
(٢) زيادة من (ظ).
(٣) زيادة من (ظ).

خاتمة الكتاب وزبدة الأحقاب

فإذا انتهت النوبة بنا لذكر من رأيته في رحلتي من الأحباب فلنذكر حالي وما أنا عليه، وممَّا قاسيته من الدهر وما انتهى لي إليه.

فأقول: إنَّ الله تعالى بعد ما منَّ عليَّ بشرف الأحساب، ورفعني بخدمة العلم الشريف على أكثر اللِّدات والأتراب، لم أزل أدأبُ في الطلب، وأتأَفَّنُ في أندية أهل العلم والأدب ،حتى أخذت عمَّن لا يحصى عدداً، من كلِّ همامٍ لم أعرف قدره حتى أصابته عين الردى: [المتقارب]

مَنايــــــاهُمُ أمَّــــــرَتْ رَغْبَتِــــــي وظَنِّــــيَ في النـــــاسِ أن يَزْهَـــدَا

كبعض من ذكرناه سابقاً من الأعيان، وكثير ممن أودعناه في سرائر الكتمان، من كل بدر استتر بالسرار، وإن كان على حصن العلياء سوراً[(١)] وفي معصمها سوار، فهم تاريخ المعالي والهمم، وفهرست المكارم والنعم، وفذلكة دفتر[(٢)] محاسن الأمم، وغيرهم ممَّن لم يقدم ذكره كشيخنا يحيى البلقيني، ومحمد الميموني، وحسن الطناني، والشريف الطحيحي[(٣)]، وشيخ الإسلام محمد الرملي الذي قلت فيه: [الطويل]

فَـضائِلُهُ عَـدُّ الرِّمـالِ فَمَـنْ يُطِـقْ لِيَحْصُرَ مِعْشارَ الـذي فيه مِـنْ فَضْلِ

فَقُـــلْ لِغَبِـــيٍّ رامَ إِحْـــصاءَ مَجْـــدِهِ تَرِبْتَ اسْتَرِحْ مِـنْ جُهْـدِ عَـدِّكَ لِلرَّمْلِ

(١) في (س): «سور».

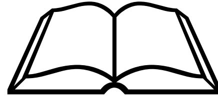
(٢) في (ظ) ورد «دفتر» قبل «فذلكة».

(٣) لم أقف على ترجماتهم.

[١٩٨/ ب] وكشيخ الإسلام نور الدين الزَّيَّادي، وفيه أقول: [الوافر]

لنــورِ الــدينِ فَـضْلٌ لـيسَ يَخْفَـى تُـــضِيءُ بـــه الَّليـــالي المُدْلَهِمَّـــهْ
يُريـــدُ الحاســـدون لِيُطْفِئُـــوهُ ويـــأْبَى الله إلا أنْ يُتِمَّـــــهْ

وبعد ما ذكرت من شيوخي وأحسابي، فلنذكر طرفاً من نثري، ونظمي مما لم يذكر في ديواني، فمن ذلك:



المقامة الرومية

[عتاب الزَّمان في سبب حرمان بني الأعيان][1]

وهي؛ أنبأنا النُّعْمانُ بن ماء السماء عن شَقِيق، وقد ضمَّني وإياه سِلْكُ المَحَجَّةِ في وادي العَقِيق. قال: خرجتُ مُخْتَبِطاً ورَق الكرم، وقد صوّح[2] بسموم الهموم ربيع الهِمم، حتى عزَّ الحطيم، ورُعي الهشِيم. فطوَّحَتْنِي الطوائحُ بأُرْجُوحَةِ الأماني، وهَزَّتْنِي الأَشْعَبِيَّةُ إلى ماجدٍ يُباري الزمنَ الجاني، سَمْحِ السجيَّة بسَّامِ العَشِيَّات، رَحْبِ النادِي إذا ضاق لَبَبُ العيش والتَقَتْ حلقتا[3] الملِمَّات، جناه ليد الآمل داني، إذا اقْتُطِف ثمرُ اللهو وريحان التَّهاني، نُزْهَة النفس وشُمامَةُ الأنس[4]، تُعصر من شمائله شمولُ الفرح، على رغْمِ أنْفِ الإبريق والقدَح، فما روضُ الجمال الرائع، وما وردُ الخدود في أكمام البراقع، وما جَآذِر الأعاريب، وشمسُ الحسن في سُحُبِ الجلابيب: [الكامل]

ولقَدْ دَعَوْتُ نَدَى الكِرامِ فلم يُجِبْ فلأَشْكُرَنَّ نَدًى أجابَ وما دُعِي[5]

فلم أزَلْ أدْأَبُ في الإِسْآدِ والإِعْناق، وأقلِّد خلافة الخضِرِ ومِساحةَ الآفاق، لا أبرح في ملاعب الفضاء، كرةً لصَوْلَجَان القدر والقضاء. حتّى خيّل لي أن الرسوم والأطلال، مسامعُ صبٍّ أنا فيها كلامُ العذّال، أقدحُ بيد الجياد زندَ عزمٍ

(١) ريحانة الألبا ٢/ ٣٤١. وما بين معقوفين مستدرك من الصفحة ٧٤٦.

(٢) في (س): «مزج».

(٣) في (ظ): «حلقنا».

(٤) في ريحانة الألبا ٢/ ٣٤١: سمامة الأنس. (ج).

(٥) البيت لابن حيوس في ديوانه، ١/ ٣١٥. وفيه: إني دعوت.

واري، وأذرع[1] شقّة النوى بأذرع المهاري. أتلفَّع برود الأسحار والأصائل، وأشمِّر عن ساق الجدِّ لخوض بحر دُجًى ما له الفجر من ساحل. [١٩٩/أ] علَّ أن يفتح عيبته عما تُثني عليه الحقائب، ويبسم لي في فم الأفق عن صبحِ وعدٍ صادق أو كاذب: [الرمل]

قيل لي ترضى بوعدٍ كاذبٍ قلتُ إن لم يَكُ شَحْمٌ فمَرَقْ[2]

ولما بعُدَتْ شقة الالتماس، وعميت عيونُ الأخبار تابعتُ جواسيس الحواس، نقفو أثر بريد الأنظار، فأتى جُهَيْنة خبرها بعد حين، من سبأٍ بنبأٍ يقين. رافعاً عقيرة نذيرٍ عريان، ساحباً ذيلَ خجلةٍ وحرمان. صائحاً: ارتحلت الأظعان، وأقفرتِ الديارُ من السُّكّان والجيران. والكرم أفَلَ نجمُه، وركدتْ ريحُه وفلّ غربه، وتضعضع ركنه. فما ثَمَّ أنيس، ولا اليعافير ولا العِيس، ولم يبق من أثافيها، إلا ثلاث نقطٍ لا يشكُّ[3] الشكّ فيها، والرائدُ إن كذبَ أهله أضاع نفسه ورحله: [الكامل]

خَلَتِ الديارُ فلا كريمٌ يُرْتَجى منه النَّوالُ ولا مليحٌ يُعْشَقُ[4]

فكما[5] درستْ معالم السيادة، خربت[6] منازل الدياثة والقيادة، فحللنا عقدة العزم بأضراس الندمِ وأيدي الجياد، وامتطينا غوارب الليل[7] وما لنا غيرُ المنى

---

(١) في (ظ): «وأدرع».

(٢) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد، ونسبه إلى الحسن بن هانئ ١/ ٢٨٥، وفيه: يك شحم فنفش. النفش الصوف، وهذا مثل، أي إن لم يكن فعل فرياء. (ج)

(٣) في (س): « يشك».

(٤) البيت لإبراهيم بن عثمان الغزي (٤٤١-٥٢٤هـ) في ديوانه ٤٢٣، والوافي بالوفيات ٦/ ٥٢ (ج).

(٥) في (ظ): «فلما».

(٦) في (ظ): «عمرت».

(٧) في (س): «السبيل».

ماءٌ وزاد، ما بين ثَمِلٍ من خمر السُّرى، وراكعٍ وساجد في[1] تهجّد الكَرى. يختبر بِمِسْبار عصا التسيار غَوْر الأطلال والرسوم، حتى حططْتُ رحالَ الترحال بقسطنطينية الروم، لقولهم: جاور ملكاً أو بحراً، وهماماً خبراً وخُبْراً، والبحر قد مدَّ لعناقها ساعديه، والأمواجُ تقبِّلُ الأرض بين يديه، فأَسَمْتُ في رياضها سوامَّ النظر، وأجلت في رماية[2] الذهن قِداح الفكر، فإذا هي جنّةٌ مُلئت بالحور والولدان، محفوفةٌ بالشهوات وقد حفت بالمكاره الجنان، من كلِّ شادن سرق التفاتة الغزال، ولطفه سيارة الصبا والشمال. لولا خوف الوشاة والعدى، تساقطتِ القبلُ على ورد خدِّه سقوط الندى، جرى فيه ماء النعيم والهيف، وحار فيه كلُّ راءٍ فلو رآه سيلُ [١٩٩/ب] تَلْعَةٍ لوقف، وفاق ذُكاءً سنىً وسناء، فلو حاكته حازتِ الشرف صيفاً وشتاء، إذا جاده صيِّبُ الحيا والخجل، أنبتَ ورداً يُجْتَنى بأنامل أهداب المُقل، في كتيبة حُسْنٍ إن غزا القلبَ[3] كَمِينُها[4]: [الكامل]

هَزُّوا القُدودَ وأرْهَفُوا الأجْفَانا[4]

وإن هجمتْ على الصبر عيونها؛

فاطلب لنفسك إن قدِرْتَ أمانا[4]

يوسف حسنٍ ما التقطت حبّه سيارة القلوب، إلَّا وأصبح له في كل منزل[5]

---

(١) في (ظ): «من».

(٢) في (ظ): «مرناته».

(٣) في (ظ): «القلوب».

(٤) هزوا القدود وأرهفوا الأجفانا فاطلب لنفسك إن قدرت أمانا.

البيت ذكره النويري في نهاية الأرب ٢/ ٢٣٥ من غير عزو. (ج).

(٥) في (ظ): «منزلة».

يعقوب: [المنسرح]

مـا قُـدَّ فيـه القميـصُ مـن دُبُـرٍ بـل قُـدَّ فيـه الفـؤادُ مـن قُبُـلِ
إن قطَّـعَ النِّـسْوَةُ الأكُـفَّ فقـد قطَّـعَ قلبـي بطَرْفِـهِ الكَحِـلِ[١]

يستعير الروض منه خدًّا استعارة موشَّحةً بالندى، والبيض[٢] من لحظه فتكاً استعارةً مجرّدة للرّدى، ووراء تلك الظباء العِين كرامٌ[٣] كاتبون، غالِيَتهم المداد، وعنبرُ عبيرهم يفوح على جمر الذكاء الوقَّاد. إذا راشوا بالبيان سهام اليراعة، أصابت قلبَ البلاغة والبراعة. وإذا افتخرتِ الرماح السمهرية، انتسبت[٤] لأقلامهم فكانت خطِّيَّة.

وفرسانٌ هم أحلاس الجياد، وغصون رباها إذا حَمِيَ الوطيس الجلاد، كم وَلَجُوا لجج الغمرات على زوارق سروجِ السوابح، التي هي قيد الأوابد ما بين سانح[٥] وبارح، سيلٌ منحطٌّ من صبب، سفيه العِنان وقور اللبب، إن صعد فمستجاب دعاء، أو هبط فَمُبْرَم قضاء، يسبق لمح البصر ويكلُّ دونه حديدُ النظر: [الكامل]

ويكـادُ يَخْـرُجُ سرعـةً مـن ظِلِّـهِ لـو كـان يَرْغَـبُ في فِـراقِ رَفِيـقِ[٦]

أسودُ غابِ الرِّماح، شموسٌ بين غمام القتام وبروق الصِّفاح، ما ترفَّعَ بطلٌ

(١) البيتان لأبي الحسن علي بن فضّال المجاشعي. معجم الأدباء ٤/ ١٨٣٦ (ج).

(٢) في (ظ): «والسيف».

(٣) في (س): «كراماً».

(٤) في (س): «انتسب».

(٥) في (ظ): «سالح».

(٦) البيت لعبد الجبار بن حمديس الصقلي. الوافي بالوفيات ١٨/ ٤٢. (ج).

عن لَثْمِ أَعْتَابِهِمْ، إلّا بادَرَ رأسُهُ لتَقْبِيل تُرابِهم، نَبْلُهُمْ رُسُلُ المَنُون، وبِيضُهُمْ وسُمْرهم مفاتيحُ الحصون.

وسادةٌ متصوفة، عن غير الحرام متعفِّفة، حِرْفَتُهم الزهادة، وحانوتهم السجادة، [٢٠٠/أ] من كلِّ متكبِّر كأنَّ يد الثريا له تشير، فيه شرٌّ طويل تحت ذيل قصير، يحرّمُ الأكلَ في أواني الفضة والذهب، وإذا ظفر بها أكلَها أكلَ مَنْ لا يخاف وإذا خلا فهو كالبراغيث له أكل ورقص ودب: [السريع]

مَشَوْا على الخُبْزِ ومن عادةِ الـزْ ـزُهَّادِ أن يَمْشُوا على الماءِ[١]

ومن أوراد العجائز: اللهم إني أعوذ بك من الفار، ومن الصوفي أن يعرف باب الدار.

ثم عُجْتُ إلى معاهد ذلك الحمى، فإذا دَساكر وقصورٌ هي سُلَّم السَّما. وقِبابٌ قناديلها الزهر الدراري، فقلت: لعل هنا بدور يهتدى بها في ظلم الخطوب الساري؟ هي من الكرام بقايا؛ فكم في الزوايا خبايا! فإذا في تلك المعالم برودٌ وعمائم، وأذيالٌ تقبّل التراب، بين لِدَاتِ جهلٍ وأتراب، فقلت: ماء ولا كصدَّاء[٢]، مَرْعًى ولا كالسعدان[٣]، وبرابي[٤] تصيح: لا قرية وراء عبَّادان. فالشاشةُ قبةُ قبرِ مآثم، والحُلة غطاءُ نعشِ ميتٍ جهلٍ خلفه مآتم، ما بين سَفِلةٍ لو بات حِلْسَ داره أقفر منه المنزل والجوف، وأذاقه الله لباس الجوع والخوف، لا

(١) البيت ليعقوب بن صابر المنجنيقي، وفيات الأعيان ٧/ ٣٩. (ج).

(٢) صداء: ركية لم يكن عند العرب ماء أعذب من مائها. مجمع الأمثال ٢/ ١٥٣. (ج).

(٣) السعدان: أخثر العشب لبناً، وأحسنها منبتاً ومرعى. مجمع الأمثال ٢/ ١٥٢. (ج).

(٤) قال ياقوت في معجم البلدان: البرابي كلمة قبطية، وأظنه اسماً لموضع العبادة أو البناء المحكم، أو موضع السحر. (ج).

يخشى لومة نصيحٍ ولائم، ضحكة أعراس وقطرب ولائم، كأمر الله يدخل كلَّ دار، حتّى يصيرَ قتيلَ أضراسه، شهيد قصعته وكاسه، يسرُّنا منه البعاد، سرورَ رؤيةِ[1] حبيبٍ بلا ميعاد، إذ هو أمرٌّ من البين، وفي الثقل ثاني اثنين: [الوافر]

يَهُـــودِيٌّ بـــلا مــــالٍ وأعْمَـى مالُـهُ صَـوْتُ[2]

غضَبُ اللهِ على المشاهد والمجالس، لا شخص[3] له غيرُ جنسِ البُرود وفضلُ القَلانِس، وحمار على فرس، له من تَقْعِير المخارج جَرس، كأنما[4] كلامُه دعوةُ الكواكب، أو رُقْيَة العَقارب[5]: [المنسرح]

بِرْذَوْنُـهُ[6] صـائمٌ حكـى فـرَسَ الـشْـ ـــشِطْرَنْجِ والـصِّدْقُ غـيرُ مُلْتَـبِسِ

فكــلُّ يــومٍ عليــه يَــدْرُسُ[7] مَنْــ ـــصُوبَة عَـــدّ البُيـــوتِ بـــالفَرَسِ

[٢٠٠/ ب] وأطفال كأنما زُيِّنوا للخِتان[8]، أو لاستقبال دِهْقان سَدُوم، إذ كان له من[9] الملائكة ما كان. من كلِّ مولودٍ تقول قوابله: هذا مفعول ما لم يُسَمّ فاعله. فإنْ قلتَ: كيف هذا وفعله غير مجهول، ورفعه مع وجود فاعله مخالف لما

(١) في (ظ): «زورة».

(٢) في (ظ): «حنين» بدلا من «ثاني اثنين». البيت لمنصور الفقيه في ريحانة الألبا، ٢/ ٣٤٦.

(٣) في (ظ): «مشخص».

(٤) في (ظ): «كأن».

(٥) البيتان للأرجاني في ديوانه، ٢/ ٧٩٧-٧٩٨.

(٦) في الديوان: «لي فرس».

(٧) في الديوان: «أدرس».

(٨) في ريحانة الألبا ٢/ ٣٤٦: زينوا للجنان. (ج).

(٩) في (ظ): «مع».

تعاهدت عليه النقول؟ قلتُ: ليس هذا بأوّلِ لحنٍ للزمان، ونقضٍ لما أَسَّسَ من قواعد البنيان: [الوافر]

كَــأنَّ زَمانَنــا مــن قَــومِ لــوطٍ لــه وَلَــعٌ بتقــديمِ الــصِّغارِ[1]

فلو درى الحكماء أن ماهيتهم على هذا مجبولة، لما وقع بينهم اختلاف في أن الماهيّات مجعولة. وقالوا: إن الهَيُولى والصورة يتبادلان، والعناصر متناكحة قبل خلق الأبدان، وإن الكيفيات بين فاعل ومفعول، ولولاه كان تركيب الأمزجة غيرَ معقول، ولذا كان ميزان الخليل، بين فاعل ومفاعيل، ولو لم تقل به أهل النحو والصرف، لم يقبل منهم عدلٌ ولا صرف، وشبان وكُهول، فيهم بلا فضلٍ فُضول، جُفاةُ أجلاف، بَنو علَّات وأخياف[2]، كأنما ورثوا علوم السَّلف والخلف، وأوصى لهم بتراث العربية سيبويه، وخَلَف[3]: [الخفيف]

خــاطرٌ يَــصْفَعُ الفَــرَزْدقَ في الــشِّعْـ ـــرِ ونَحْــوٌ ينِيــكُ أُمَّ الكِــسائِي[4]

ومشايخ من الطِّراز الآخِر من السَّفَل، كم فيهم من نادرةٍ لزُحَل، لو قارنه السَّعْد الأكبر في عِلِّيِّين، حملَتْه بَناتُ نَعْشٍ إلى أسفل سافلين، أعمى البصيرةِ والبصر، عارٍ على آدم أبي البشر، داحسٌ والبسوس إن نُسبت لشؤمه، بُراقٌ يُتَبَرَّكُ

(١) البيت لعبد الرحمن بن كثير الذي تقدمت ترجمته رقم (٦٣).

(٢) بنو علات: أبوهم واحد وأمهاتهم شتى، وأخياف: أمهم واحدة، وآباؤهم شتى. (ج).

(٣) هو أبو محرز خلف بن حيان بن محرز البصري المعروف بالأحمر (ت: ١٨٠): أحد رواة الغريب واللغة والشعر ونقاده. أخذ عن حماد الراوية، وأكثر الأخذ عنه. من مؤلفاته: «جبال العرب وما قيل فيها من الشعر»، و«ديوان شعر». انظر بغية الوعاة، ١/ ٥٣٤؛ معجم المؤلفين، ١/ ٦٧٣.

(٤) البيت لابن حجّاج انظر ثمار القلوب ٢/ ٩١٩، ومعاهد التنصيص، ٣/ ١٨٩.

بسعادة قدمه وقدومه، والبوم وابن دَأية الأعور، يُتيَمَّن بهما ولا يُتطير، والزقوم عنده يهزأ بالسكر المكرر، كما قال ابن الرومي[١]: [الخفيف]

ذاك شؤمٌ لو جاور البحرَ يوميـ ـن لأمسى وليس فيه بلالُ

ذاك شؤمٌ لو كان في جنَّة الخلـ ـدِ لحالَتْ بأهلها الأحوالُ

[٢٠١/أ] ذاك شؤمٌ شؤمُ البَسوسِ وغَبْرا ء وشؤم الورى عليه عِيالُ

فريثما مضى لمح بصر، إذا بدارٍ قَوْراء يسافر فيها النظر، يَردُها النَّاسُ أفواجاً أفواجاً، |هو|[٢] برج ثورٍ لا ترضى الشمس والقمر سراجاً، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٢-٢٣]، جرى فيها سلسال[٣] المعين، كدموع اليتامى في عهده والمساكين، وتفتَّحت عيونُ أنوارها فهي إلى ربِّها ناظرة، وارتفعت أكفُّ أشجارها داعية على من أعاد به صفقة الدين خاسرة، كأنّما أوحى الله إليه وإلى ذويه تمتَّعوا بأيامكم، فإنها إنما خُلِقَتْ ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، فاجتثَّ[٤] عرق النسب مبدأ ومنتهى، فالطُّحْلُبُ عنده في العراقة سِدْرة المنتهى، فرفعته بلا طائل، كما قال القائل: [الوافر]

لقد خَرِئَ الزمانُ عليك حتى علوتَ وكنتَ أسفلَ سافِلِينَا

كرَقْمٍ كان في الأعدادِ فرداً بذَرْقِ ذُبابةٍ أضحى مِئِينَا

ولما لم أر فيها ما يسرُّ العيون، قلت: الحديث شجون، وربّما كان من الشأن

(١) ديوانه، ٣/ ٨٣.

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) في (س): «سلسل».

(٤) في (ظ): «مجتث».

شؤون، فدار بدار، ولكلِّ يومٍ صالحٌ وقدار[١]، فأتيت أُخرى وجدتُ فيها من باب إلى باب، حتى أتيت قبَّةً مرخيَّة الستائر كثيرةَ الحجاب، فيها شيخٌ مقعد، أعدى زمانه بالزمانة، وفاق سَطيحاً في السحر والكهانة، مشؤومٌ منحوس، إذا افتخر انتسب للمجوس، قبلةُ بيت نار، يحشر فيه[٢] الكفار والفجار، لو درى الكافر إذ حلَّت به الندامة، لما سُيِّرَتِ الجِْبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً[٣]، إن خلقه من تراب استحى أن يقول لأهل القيامة. لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً[٤]، فما أحسنه في زوال النعم، وأقبحه إذا قضى له الدهر بدولة وحكم، فلو رأيتَهُ تحت الدجى مشمرَ الذيل، لقلت لغلمانه: أحَشفاً[٥] وسوء كيل، أهذا صدر الصدور، أم جعبة الأيور: [الطويل] [٢٠١/ب]

لنــا عـــالم يُـــؤْتى فيـــأتي بحجَّـــةٍ ... عـلى ذاك مـن أخبـارِ علـمٍ وآيـاتِ
فقلنــا لــه الإســلامُ يعلــو ولم يكــنْ ... لـيُعْلى فقـال العلـم يـؤتى ولا يـاتِي[٦]

فلا يزال هواه في سفل الناس وشرُّ الأمور سافلها، فكأنها لديه كعوب قصب السكر مختارُها أسافلها، وكأن الله أمره بتقديم الأجهل فالأجهل، إذ قال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] وكأن الرسول وكَّله إذ جعل الدين ملعبه بنسخ الشريعة من أصلها: [السريع]

قـــال لي أمـــا ترهـــبُ ربِّي العـــلي ... ولـــستَ تَـــسْتَحْيِ مِـــنَ الْمُــصْطَفى

---

(١) قدار: عاقر ناقة صالح عليه السلام. (ج).

(٢) في (ظ): «فيها».

(٣) إشارت لقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠].

(٤) إشارت لقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

(٥) في (ظ): «أحسفا».

(٦) البيتان لأبي بكر علي بن الحسن القهستاني، دمية القصر ٢/ ٧٨٨ (ج).

«إذا لم تستح فاصنع ما شئت[١]». فقد سئمت عتاب الدهر والشكوى، ونفضتُ جِراب الطمع عما جفَّ من زاد المنِّ والسلوى، وقنعت من الإدام بعَضِّ السُّلامَى والسلام.

فلا تلمْ مَنْ أودعَ كيسَه عند الشُّطَّار، وسأل عن البُراقِ الحمار، وأنصحه بغشه، وأجعله درَّاجا في عشه، وقل: بمنزله الأمانة هبطت، وعلى جهينة الأخبار سقطت، وإذا لم تنفع الشكوى، لغير عالم السرِّ والنجوى، فحتى متى أنا من سكرةِ الحيرة لا أفيق[٢]؟! كأنّي مصحفٌ في بيت زنديق، أو جُرَذ في سِني يوسف ثوى بدارٍ ذي مَتْربة، يأكل بالقرض لازماً ربَضَه، فإذا تمَّ القرضُ وسدَّ الناس مذهبه.

أكلتُ كتبي كأنني أرَضَه[٣]

وقد أخرسني العجز فما أفتح فماً، أفغير الله أبتغي حكماً: [الكامل]

لـو بـالَ هـذا الـدَّهْرُ في قـارُورَةٍ   بَـانَ الـذي يَـشْكُوهُ للمُتَطَبِّـبِ

وقد رضيت من الغنيمة بالإياب، وعدتُ إلى طلب تمائمي حيث أصلها الشباب، بين العذيب وبارق، مَجَرِّ العوالي ومجرى السوابق[٤]، وقلتُ تعلُّلاً إذا سئمت السأم، وترفعتُ عن حضيض الذلِّ إلى أوج السَّنم[٥]: [الرمل]

إنَّ جيـداً سـقطتْ مـن عِقْـدِه   دُرَّةٌ مـثلي حقيـقٌ بالعَطَـلْ

---

(١) حديث في صحيح البخاري، وفيه: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت». ص. ٧٣٨.

(٢) في (ظ): «أستفيق».

(٣) عجز بيت لمعين الدين عثمان بن تولوا فوات الوفيات ٢/ ٤٤١، صدره: عدمت الغذاء عندكم. (ج).

(٤) أقول (ج): هو من بيت المتنبي، الديوان:

تذكرتُ ما بين العذيب وبارق   مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

(٥) في (ظ): «الشمم». والبيت لمهيار الديلمي في ديوانه، ٣/ ١٣٤.

وحين عقدتُ أهدابَ النِّيةِ بأهداف الظَّعَن، هتفَ بي شقُّ الكَهانة:

أصمٌّ أم يسمعُ غِطْرِيفُ اليَمنْ(١)

لِمَ قنعتَ بأخسِّ الراحتين، وعُدْتَ بِخُفَّيْ حُنَيْن؛ بل بحرب حنين: [السريع] [٢٠٢/أ]

وإنَّ مِـــنْ أعظـــمِ مـــا مَـــرَّ بِي   شَـــماتَةَ الحاسِـــدِ والجاهـــلِ

فدَعْ لو ولولا وعَسى وليتَ، وتمسَّكْ بأذيال ذي همّة الزوّار بأستار البيت. ولا تكن كمن أراق عذبَ الشراب، لمّا رأى له لمعَ السراب، فقلتُ: شَكر الله مسعاك، وجعل أبي وأمي فداك.

الكريم يَغفل ويُخدع، ولستُ بأول ذي حلم له العصا تُقرع، فكم كربة نزلت بي سئمها القلب وملّها، وقلت: [مجزوء الكامل]

إن الـــذي عَقَـــد المكـــا   ره وهـــو يُحْـــسِنُ حلَّهَـــا
ولعلَّهـــا أنْ تـــنجلي   ولعلَّهـــا ولعلَّهَـــا

[الكامل]

مـا قـد قُـضي سـيكون فاصـطَبِرَنْ لـه   ولـك الأمـان مـن الـذي لم يُقْـدَرِ(٢)

وهذا ذنب عقابه فيه، فكم عبدٍ آبق من مواليه. ثم عاد ملتفتاً بمستتر ضميره، عائداً من غيبته إلى حضوره. فيا هذا اغتنم الأجر، فما هو إلّا البحر والفخر، وذو النجح لا يستبعد المسير، فإلى من أنت تلوح وتشير؟ فقال(٣): لا أثر بعد عين، وقد وضح الصبحُ لذي عينين.

---

(١) بيت من الرجز قاله عبد المسيح لسطيح. العقد الفريد ٢/ ٢٩. (ج).

(٢) ذُكر في نفح الطيب ٥/ ٢٩٥ من غير عزو. (ج).

(٣) في (ظ): «فقلت».

فهاهو ذا ملك سطعت أنوار عزّه[1] في رفعة، والشمسُ تُغنيك عن الشمعة، سلطان البرين والبحرين حامي حمى الحرمين الشريفين، الخافق رايات عدله على كاهل الخافقين، وفي اسمه ما يغني عن السؤال من رزق السعادة، فقد نال به كلُّ أحدٍ مناه ومرادَه: [البسيط]

وقَلَّما أبصَرَتْ عَيْناكَ ذا لقبٍ إلا ومَعْناهُ إن حقَّقْتَ في لقَبِهْ

فمَوْرِدُه عذب نَمِيرٌ، وبِشْره ونَداه روضٌ وغدير. بَشاشة الروض الأنيق، ورَفِيفُ الغُصْنِ الوَريق. وكرَمُ سَجِيَّة وهِزَّةٌ أرْيَحِيَّة. وثيابُ وقارٍ خَيَّمَ فيه الحِلْمُ والسَّدادُ، حتى ودَّتِ الراسياتُ أنها لِخِيامه أوتاد. وسادات أحساب وأنساب، تتحيّر فيها المعاني لتساوي الإيجاز والإطناب. وطيبُ أصولٍ وفروعٍ زكا طِيبُها ونَشْرُها، وفُطِمَتْ عن النقائص بعد رَضاع المعالي فلله دَرُّها. [٢٠٢/ب] رَقيقُ الحواشي نسيجُ وَحْدِه، من الطراز الأول مُعْلَمُ بُرْدِه. كتاب مجد مقابل الأصول، منمنمُ[2] الطرز بنتائج العُقول[3]: [مجزوء الرجز]

فالحمدُ لله الذي أذْهَبَ عَنَّا الحزَنَا
بالمَلِكِ الفَرْدِ الذي أقَرَّ منا الأعْيُنَا
تاجُ المُلُوكِ خَيْرِ مَنْ هَزَّ المواضِيَ والقَنَا
مَنْ أمْرُهُ ونَهْيُهُ بَيْنَ المَنَايَا والمُنَى

وها أنا ذا أحمد في صباح الظفر السُّرى، وأُنبِّه عيونَ حظِّي من سنة الخمول

(١) في (س): «أنواره غره».
(٢) في (س): «متسنم».
(٣) الأبيات لعمارة اليمني، الديوان ٢٥٠. (ج).

والكرى، بعدما وقفت على حبّة[١] فؤادي، ورتَّبت فيه وظائف ودادي، ولستُ لنَدًى مستميحاً، ولا لنوالٍ أهدي مديحاً، فسكّاب طبعي لا يباع ولا يعار، ولو نقدتَ له دراهم النجوم بكفِّ الثريا فهو خسرٌ[٢] وبوار، على مذهب أبي الطيب في قوله[٣]: [الطويل]

وَمـا رَغْبَتِـي فِي عَـسْجَدٍ أَسْـتَفِيدُهُ ... وَلَكِنَّهَـا فِي مَفْخَـرٍ أَسْـتَجِدُّهُ

ومذهب الطائي، حيث قال[٤]: [الطويل]

وَمَـنْ خَـدَمَ الأَقْـوامَ يَرْجـو نَـوالَهُمْ ... فـإِنِّيَ لم أخـدِمْكَ إلا لأُخْـدَمَا

فالحمد لله الذي أخذ ثأرنا من النُّوَبِ، إذ أقرَّ بك عيونَ الأماني والطلب والسلام.

تمت المقامة المسَمَّاة بعِتابِ الزمان، في سبَبِ حِرْمانِ بني الأعيان، حَجْبَ نقصان وحِرمان، واستفتاء الكِرام، في مشكل الليالي والأيام. انتهى[٥].

* * *

(١) في (ظ): «حبة».

(٢) في (س): «حسر».

(٣) ديوانه، ١/ ٣٨٦.

(٤) البيت لأبي تمام في ديوانه، ٢/ ١٢٧.

(٥) ساقط من (ظ).

ومن إنشائي[1]:

الفصول القصار

وهي[2] ممَّا أتيتُ به على منوال ابن المعتز، وقد عارضَه كثيرٌ من البُلغاء، وها أنا أوردُ لك[3] نبذاً ممّا صنعتُه[4] على قالبه، ونسجتُه على مِنْواله، ممّا سمحَتْ به قَريحتي القريحة، وهو:

إذا كان شُكْرُنا لإحسانِكَ بأقدارِك، فهو من جملة عطاياكَ وامتنانِك، فلك الحمدُ على توالي آلائِكَ، والصَّلاة والسَّلام على خاتم أنبيائك، وعلى آله وصحبه، |وأحبابه وحزبه|[5].

إنَّ ساعِداً زيَّنْتَه بسوار المَنائح، يَمْرِي لك ضُروع [٢٠٣/ أ] الثناء والمدائح.

ولك وارِف ظلال، تَقِيلُ فيه الآمالُ، بها الألسنُ تُقِرّ، والأعينُ والقلوبُ تَقَرّ.

كم مُوقدِ نارٍ بها يحترق، ومحسن سبح اللُّجج فيها غَرِق.

خَلُّكَ أحلى[6] من عسَلِ غيرِك.

وقد قال لي[7]: خليع قبيح [السرائر]، أحسن من مليح |تحت|[8] الستائر.

---

(١) في (س): «ومن منشآتي».

(٢) في (ظ): «وهو».

(٣) في (ظ): «من ذلك».

(٤) في (ظ): «صغته».

(٥) زيادة من (ظ).

(٦) في (س): «أحسن».

(٧) ساقط من (ظ).

(٨) زيادة من (ظ).

وشتان بين درهم النقد، ودينار الوعد.

لعب الطرف دون تلك الهضاب، إذ بلغتِ السماء وارتدى بحلل السحاب، وقد ألبسها القتام برداء مزرد بالجياد، مشدود العرى بيد السداد[١].

مليح طلع البدر من أزراره، ولم يعلق وزر بإزاره.

كيف ينجو من ظلمة الجهل المدلهمَّة، ويتَّقي سيل الفضل والحكمة، من كان مقعد العزم، عقيم الطلب عِنِّين الهمَّة.

كم من فتى أخلق الدهر قشيب ديباجته، |وشرب البأس من ماء بشاشته|[٢].

شجاعة الملوك صبرٌ وثبات، وشجاعة الجند إقدام مع وثبات.

أخلاق الخلطاء سارية، والعادة طبيعة ثانية.

الكَيْس يفتح الكِيس، والدَّيْن يكسر الدِّين.

إغماض العين وإغماد اللسان عقاب العقلاء، وبلسان السوط والسيف عتاب السفهاء.

سلوة الأحزان[٣] في تسليم مقاليد الأمور. وقد جاء في حديث حسن: «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن»[٤].

الشروع مُلْزِم، ومن تطوَّع لربِّه عليه أن يتمّم[٥].

المعالي تملي المعاني بأفصح لسان، والندى ينبت الشكر في حدائق الأذهان.

---

(١) سقطت هذه الجمل من (ظ) اعتبارا من «مشدود».

(٢) زيادة من (ظ).

(٣) في (س): «الإحسان».

(٤) القضاعي، مسند الشهاب،(٢٧٧) ١٨٧/١. (ج).

(٥) في (ظ): «يتم».

ذنبُ الحرِّ[١] لدى الليالي مدت إليه يدها وساعدها، ذنب صدار الثكلى إذا فقدت واحدها.

كيف لا يشق مطر في سفر، والسفر بنقْطِةٍ سَقَر.

ما أنا في الأعمال السلطانية الدارس رسمها، وهي كالخمر نُسخت منافعها وبقي خُمارها وإثمها، إلَّا كحالم بأنه خَري لثقل ما حمل من العَيْنِ[٢]، فلمَّا انتبه وجد الروث ولم يجد لسواه أثراً ولا عين.

ما الربيع إلَّا غادة في حلة خضراء فتحت بيد الصَّبا أزرار زهورها، لتشاهد عيون الأنوار من الغدران بياض [٢٠٣/ب] تراقيها وصدورها.

الصديق والسكن، من تأنس به العين أنس العين بالوسَن.

شتان بين مَنْ عنوان أخلاقه بصدقٍ مخايلُهُ، وصحيفة أخلاقه الصحيحة مُقابلُهُ.

في مُغَنٍّ بارد[٣]: لو تغنَّى لأهل الجحيم، صارت عليهم نارَ إبراهيم.

إذا اضطربتْ أمواج المقادير، لا تنفع سباحةُ رأيٍ وتدبير، فمن عارض تيار هاتيك السباحة، لا يصل إلى ساحل سلامة، ولا قرار راحة.

في مأبون ذمَّامٍ في الأثر: مداومة اللحوم عشية وغدوة، يُورث القلوبَ غلظةً وقسوة، ومولانا قد داومها فيأكلها ليلاً من أيور الغلمان، ونهاراً بغيبة الإخوان.

أنفاس البرايا جاسوس المنايا.

احذر أيدي الدعاء، إذا قرعت أبواب السماء.

---

(١) في (س): ذنب الحر الذي لدى الليالي.

(٢) العين: الذهب. (ج).

(٣) في (ظ): «فلان».

فلان[1] مع بخله شقيق إبليس اللعين، مع ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

فلان احتُضر فاختصر، وأمسى له مع الملائكة شأن مستمر، أسلمته ملائكة الموت إلى منكرٍ ونكير، وهما أدَّيا أمانتهما إلى مالكٍ خازنِ السعير.

كتابك تنفّس خطُّه عن بنفسج البطاح، ولفظُه عن رياحين الأرواح، ومعناه عن سرِّ المدام في ضمير الأقداح، فلولا عدمُ ذبوله بيد الدهر، وحلاوته في الذوق خلتني نشوان بين روض ونهر[2].

إن دعتِ الضرورة إلى مدحِ غير ذي شرف، فللشعر بحرٌ لا تكدِّره الجِيَف.

إذا خلَتْ قلوب الأكياس، خلَتْ من السرور قلوب الأكياس.

كم أخليتُ فؤاد القناني، فأخليتُ فؤادي من أحزاني.

زمان أعارت الأسحار والآصال، هَواجره برء النسيم وبرد الشمال.

إذا جُرَّ ذيل الفناء على القباب العالية والبيوت، ساوت قباب الحباب وبيوت العنكبوت.

أنا في مفارقة من أريد وصحبة مَن لم أرد، كواجد ما لا يشتهي ومُشْتَهٍ ما لا يجد: [المنسرح] [٢٠٤/أ]

يا ساتراً للمَشِيبِ إذْ خَضَبَهْ هلا خَضبْتَ الذُّبُولَ والحدَبَهْ[3]

المحجوب حاجبه إذا لم يؤذن لمن يريده، ويصرف من لا يريده، فهو سجَّانُهُ

(١) في (س): «فلات».

(٢) في (ظ): «زهر».

(٣) سقط هذا البيت من (ظ).

وهو مسجون، وذنبُهُ وجوده.

أنعم ببارق[١] وعود، يتلوه وابلُ جود، وما لمع وأشرق، حتى اخضر الأمل وأورق.

جعل الله طول عمره، كعُمْرِ ذِكره وشكره. وعمر أعاديه، كعمر مواعيد أياديه.

من جاء إلى الباب، علم أن عنوان الحرمان كثرةُ الحجاب.

لو طويتَ الدهر بما[٢] له من الآثار، كادت تجري الصخور والأحجار.

لو همَّ الفلك الدوار، برفعة ماجد في الأبد، ما قُدّم الثور في منازله على الأسد.

من باع الجزع بالاصطبار، فله على الزمان الخيار.

نصحُ البليد عناءٌ لا يفيد: [المتقارب]

وصَقْلٌ لسَيْفٍ بلا جوهَرٍ ... يُبَيِّنُ من عَيْبِه ما خَفِي

لا بُدَّ للمرء من صديق، وسالكُ باديةِ العمر لا يستغني عن الرفيق.

الصديق شريك عنان، في حال السرور والأحزان: [المتقارب]

بقَدْرِ المَثُوبَةِ عند الرِّضا ... تكونُ العُقوبَةُ عند السَّخَطْ

من لم يعرف زمانه، عدَّ القعود زمانةً.

كم فرخٍ من بيضه يلد، ورماد خلَّف الجمر وقد وَقَد.

ما أنصف الشيب من غطى عواره، فسوّد وجهه وأطفأ أنواره.

---

(١) في (س): «سارق».

(٢) في (س): «لما».

الدهر خصم ألدّ، وبلوغ الأشدّ البلاء الأشَد.

أتبني بالأساس علوَّ الدار، وترقع الجيبَ بأذيال الإزار.

الشهم لا يجود للتَّقية، ورفع سهم المؤلّفَةِ سيرةٌ عُمَرية[١].

من سلَّم عنان رأيه للقدير، انقاد له الدهر بأزمّة التقدير.

أنا في شرط الوفاء للندمان، وهم في جزائه بالهوان، كالواو والنون حَمَتا الاسم عن التكسير، فخصَّهما من بين حروفه بالنقص والتغيير.

هدايا اللئام تجارة، وقبولها عين الخسارة.

المعروف والصنيعة، عند الحرِّ وديعة، [٢٠٤/ ب]

لا يحل عُقَدَ الأضغان، غير أيادي الإحسان.

من الشتم نصحُ غير الأصدقاء، وربما كان الدواء أمرَّ من الداء، كروائح[٢] العقاقير وشرب الدواء، وطول جلوس العُوَّاد الثُّقلاء.

وسَّع اللهُ على الأيام حتى تقضي للحرِّ دين المكارم، وينجز[٣] به عِدات[٤] تكفَّل بها الدهرُ والكفيلُ غارم.

المطلُ طليعةُ جيش الحرمان، وسوء التدبير كمين الخسران.

الحرُّ إذا نال جميلاً قضاه، والسَّهم طار بريش النسور فأطعمها قتلاه.

ليس الصديق من إذا رآك قام، بل من إذا أقعدَ الجدُّ بك أقام.

---

(١) إشارة إلى رفض عمر بن الخطاب رضي الله عنه إعطاء المؤلّفة قلوبهم سهمهم من الزكاة.

(٢) في (س): «لروائح».

(٣) في (ظ): «وتنجز».

(٤) في (س): «عداة».

من كان كريم الشيم، بليغ الكرم، أوجز مقاله، وأطنب أفعاله.

طرفا البحر بَرّ، وهو كاسمه بَرّ.

أنا من قوارض اللوم سليم، ولولا الصبر نغل الأديم.

إذا فرَّتِ الغزالة إلى كِناس المغارب، ألقت في سرر البطاح مسك الغياهب.

ربَّ أناس بلا روحٍ في الصور والملابس، كأنها صورٌ منقوشة في الكنائس، تَسُرُّ الفُجَّار، وتسوء العقلاءَ الأبرار.

ليس باتفاق الأسماء يتوافق المسمّى، فحمرةُ الخدِّ جمال، وحمرة العين اعتلال.

قد يحتجب الحرُّ لقلة اليسار، كما احتجب البدرُ ليلة السرار: [المتقارب]

وقد يُكره الضيف لا ضِنَّة ولكنْ مخافةَ سوء القِرَى

اعتَبِرْ باسمِ البشر، فإنَّ أكثره شر.

الحرُّ يُغنيه عن تنجيم وتقويم، نَسْجَةُ خَلَقٍ وخُلُقٍ له في أحسن تقويم.

في دعوة لئيم: لو طحنت لي حبوب النجوم الزاهرة، برحى الأفلاك الدائرة، وخبزتَ منها قرصَ الشمس السائرة، لم أجبْ مثل دعوتك مع مشقة رؤيتك.

ما أتحفك به فلان تحفة ابن جُرْمُوز[1]، وبئست التحفة، أهون من ضَرْطَةِ عنز بالجُحْفَة.

الاغترار بفاكهة الحياة ضلالة، وهكذا الفواكه سريعة [٢٠٥/ أ] الاستحالة.

إذا تمشيخ الصبيُّ ضاع، واستعجل الفِطام قبل الرَّضاع.

لا يقيم مقعدَ الأيام، إلَّا أيادي الكرام.

---

(١) أقول (ج): لما قتل عمرو بن جُرموز الزبير بن العوّام، بشّره علي بن أبي طالب ﷺ بالنار، فقال:

فسيان عندي قتل الزبير وضرطة عنز بذي جحفه.

عنوان اللئيم خادمه وصاحبه، والعقرب بواب الضب وحاجبه، وقد قيل: [السريع]

اِعْتَـــــبِرِ الأرضَ بأســــــمائها واخْتَــبِرِ الــصَّاحِبَ بالــصَّاحِبِ[1]

تعريف[2]

البخل عين اللئيم الراضع، لأنه الجامع المانع.

من لي بكبير هِمَّةٍ أتركُ له كلَّ جليل وحقير، وأَصرفُ النَّاسَ منه[3] صرفَ الفلوس بالدنانير.

مضى السابقون إلى منازل العدم، فظنَّ المتخلّفون السبق في مضمار الكرم.

من جرى وحده مغرور، وكلُّ مجر بالخلاء مسرور.

نسمات اللطف تفتح نور الأماني بإحسانها، كما تنفتح[4] عيون الأزهار بلطيف النسيم قبل أوانها.

الإلحاح في الأمور، تجارة لن تبور.

ترك الجماعة عقوق للمؤمنين، وقطعُ لأرحام الدين.

إذا رفَّتْ أهداب النبات، واختلجت عيون الزهر، بشَّرتنا بقادمٍ من نسيم السحر، وإذا طنَّت آذان الأوراق فابشرْ بطيب الخبر: [الطويل]

إذا اخْتَلَجَــتْ عَــيْنُ الغَــدِيرِ لِقــادِمٍ فلَــيْسَ سِــوَى أنَّ النَّــسِيمَ رَسُــولُ

(١) البيت للأقيشر الأسدي، الأغاني ١١/ ٢٥٨.

(٢) ساقط من (ظ).

(٣) في (ظ): «به».

(٤) في (ظ): «تتفتح».

إذا نزلت وادياً فلا تُطْرِ زهرَه، حتّى تشمَّ نشره وعطره.

أنا في زماني يتيم على مائدة دنيء لئيم.

قيل: الحركة بركة، وهذا إذا رافقها السعد، وأهداها الجد، وإلَّا فهي حركة السواني، وقتال[1] الجبال، وبني إسرائيل في التيه.

إذا كان أعدى عدوك بين جنبيك، فصبرك عليها إحدى شجاعتيك.

شتان بين كسوفِ حالِ الإقبال وحال الإدبار، وهل يستوي هزالُ الهلال في الغرر والسرار.

ليس النفي جلاء عن الأوطان؛ بل بُعْدُ من يُسرُّ به الجَنَان.

اللبيب أدبه، فضَّته وذهبه، [٢٠٥/ب] فإذا لم يَحفظ لم يُحفظ.

والكتب بضائع، ما لم يحفظ منها فهو ضائع.

والصنيع الصانع متّبعُ المصنوع، وإنَّما يتحرَّك التابع بحركة المتبوع، فإن خالفه انقطع، ولم يك مما اتَّبع.

فلان إذا رعد وبرق بتهديده[2]، قامت مخايل عفوه، وهطلت سحائب كرمه وجوده.

يدُ الضرر يفتحُ باب الحيلة، وللضرورات أحكام مستحيلة.

القلب سلطان، ووزيره اللسان.

لا تفرح للبلاء نزل بأخيك، فإنَّما أتاه ليأتيك، وهو مصابحك ومماسيك: [السريع]

---

(١) في (ظ): «فتال».

(٢) سقطت هذه الجمل من (ظ) اعتبارا من «فإن خالفه».

مـن حُلِقَـتْ لحيـة جـارٍ لـه فليسكُبِ المـاءَ عـلى لحيتـه[١]

الإنسان من تحمَّلتْ نفسه بعفّتها، فارتفع عن فراش نيران المطامع وذلّتها، ولم يثافنْ كلابَ جيفتها، وذباب عذرتها.

فصل

في رسالة لصديق لي، وهو: كان الرجل في الجاهلية يعاقدُ الرجل، فيقول: دمي دمك، وهَدْمي هدمك، ولَدمي لَدمك[٢]، وثأري ثأرك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، وتُطلبُ بي وأُطلب بك، وتعقلُ عنّي، وأعقل عنك، فيكون للحليف السُّدس، وأنا مُعاقدك، ومواليك ومعاهدك على أنَّ داري دارك، وبستاني قرارك، وغلماني غلمانك، وندماني ندمانك، وبردي بردك، ودنِّي[٣] وِردك، وقدحي وَردك، ومطربي عبدك، وكيسي عندك، وسُكْري بعدك، وإذا نضجت فواكه الفكاهة تعقل عنّي وأعقل عنك، ولا هدمَ ولا لدم، ولا ثأر لمن صفا ودُّه، وأحكم بيد الودّ عقده، وأنت الحليفُ ليس لك السدس كلالة، بل كلُّ الكل بلا سآمة ولا كلالة. والسلام.



الأحمق من لم يدرِ سبب [الرغبة][٤] فيه عند ارتفاعه، ومن أحبَّك لشيءٍ، ملَّكَ عند انقطاعه.

من ظنَّ أن لا بد منه، فإنَّ عنه ألفَ بد. [٢٠٦/أ]

---

(١) البيت للوزير أبي الوليد لإسماعيل بن حبيب، في المعتمد بعد خلعه. نفح الطيب ٣/ ٤٢٩. (ج).

(٢) أي حرمتي حرمتك. القاموس. (ج).

(٣) في (ظ): «ووردي».

(٤) زيادة من (ظ).

لا يخدعك غير ثناء الأحباء، فقدمًا قيل: لا يغرنّك الدبَّاء، ولو كان في الماء[١]

شتان بين صراخٍ في طلق حبلى، وصياحٍ في حنين ثكلى.

كثيرٌ فَقْدُ من تصطفيه، وكفى اليتيم فقد أبيه.

إذا كانت الأراجيف ملاقيح الفتن، فانطلاق الألسن نتاج المحن.

من تواضعتْ قامته، وتكبَّرت هامته، فليُخش عرامته.

رُبَّ غرسٍ لا ينمو في غير تربته، ويزهو على دمنته، كالحر ما نسي ترابه وسلاطينه، وإن تأفن في غربته سلاطينه.

لو كان هذا الوجود أصيلاً ما ولد العدم: [الرجز]

«ومَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ[٢]»

إن كان لكلِّ يومٍ غد، فربَّ يومٍ بلا غد.

يعد نشر المروءة طيب المَجالس، ودليل الكرام سرور[٣] المُجالس.

من كان بعزِّ القناعة خُصَّ، فقصاراه كِسْرةٌ وقصرُه خصّ.

الحرُّ لا يجازي كلَّ من أساء، والأسد لا يفترسُ النساء.

حرٌّ يتنفس بأنفاس الحتوف، فيودُّ المرء لو قالَ[٤] تحت ظلال السيوف.

بالتَّسآل صباحاً ومساء عن حال الأحبة، تُنسج برود المودة والمحبّة: [الخفيف]

---

(١) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٦٤: إن أعرابياً تناول قرعاً مطبوخاً، وكان حارًّا، فأحرق فمه، فقال.... (ج).

(٢) هذا عجز بيت لرؤبة بن العجاج، صدره: «بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَمْ». شرح ابن عقيل، ١/ ٥٠.

(٣) في (س): «مسرور».

(٤) قال: نام القيلولة.

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟ مِمَّا يَـزْرَعُ الحُـبَّ في قُلـوبِ الرِّجـالِ[١]

ليس ورقُ الدنيا يدوم غضًّا، ولا شدّةُ البلوى تأكله وإنّما تعضه عضًّا.

الدنيا بإقبالها، والدولة بأقيالها، كما أن عِزَّ العبد بمولاه، وثمرة نعيمه من جناه.

ما كلُّ وقت يسعف بما تحبُّ، فإذا أدرَّتْ[٢] لبون فاحتلب.

إنَّما يسعى القدم لمنزل فيه الفؤاد، وتثمر المحبَّةُ إذا سقيت بماء الوداد.

السعدُ إذا أبطا، لا تقل إنّه أخطا.

لله ألطاف مقدّرة، وربَّ ساكنٍ له حركات مقدرة.

من ناصح التجار شاركهم.

اللص لا يسرقُ نسيئة[٣].

وعد الأحرار رقيةُ ألم الافتقار.

كيف لا تنحلُّ عقدة رأي، محلولة مربوطة بالهوى.

البواب [٢٠٦/ ب] عنوان ما في الدار، وفهرست ما خلف الأستار.

العلم أجمل لباسك، والعقل دراعٌ لبأسك.

بين القواد والرقباء لاح بعض الحسان، فعرفتُ أنَّ الشمسَ تطلع بين قرني الشيطان.

من أبطأ رجاؤه، أسرع عناؤه، ومن كان الخلف داؤه، فالتركُ دواؤه، وقد

---

(١) البيت في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤/ ١٤٠١، أنشده أبو علي الفارسي. وفيه: في فؤاد الكريم. (ج).

(٢) في (ظ): «أذرت».

(٣) سقطت هذه الجملة من (ظ).

قالوا: ما غلا سعرُهُ، وشقّ مُلكُه هوّنُه رفضُه، وأرخصه تركه، ولا تبك أخت حياتك، وعزلك توأم مماتك، فإذا ولّيت فكلٌّ طالبٌ لمرافقتك، وإذا عُزلتَ رغبَ القريب والبعيد في مفارقتك.

وفي نعت للنبيِّ ﷺ: ليست أطرافُ اليراع ببعضِ نعوته تُحيط، حتّى يُنزحَ بمناقير العصافير البحر المحيط.

من لم يرهب العواقب، كلّما رام[1] تكلّم، ومن خاف السَّموم تلثم.

المتزوّج بغيرِ صَداق أَحدُ الزانيين، والمقترضُ بغير نية الوفاء أحد السارقين والغاصبين.

من أرخى عنان الإكثار، لم يأمن من العثار.

راحته تنبت[2] عليها القبل، وأبوابُ سدّته محاريبُ الأمل.

ما ينفع برق يلمع، وهو أكذبُ من سراب يلمع.

من اقتصدَ استغنى، ومن استغنى اقتصد، وإذا زادت سعة السوار سقط من اليد.

لا تكن حلوَ اللِّسان لكلِّ خيِّرٍ وشرير، فإن من اطّلى بالعسل لسعته الزنابير.

الخاطر يسمح بما لديه، والحرُّ يجود بما في يديه.

وقد قيل لجائع: صف المليح في حلله الرقاق. فقال: حلوى سكرية، ملفوفة[3] في رقاق.

(١) ساقط من (ظ).

(٢) في (س): «تبت».

(٣) ساقط من (ظ).

الحرُّ مَن حمى نفسَه الضعيفة عن[١] غليظ المآكل، وفطمها عن رضاع ثدي اللؤم والرذائل.

ترك رجاء الناس أَسلم، والمُكَاتَبُ عبدٌ ما دام عليه درهم.

هذا ما حضرني من الفصول القصار، وقد تركت بقيَّتها خوفاً من ملل[٢] الإكثار.



(١) ساقط من (ظ).

(٢) ساقط من (ظ).

ولنذكر طرفاً مما نظمته من الحكم في أرجوزتي المسماة بـ:

ذات الأمثال

وهي هذه[1]: [٢٠٧/أ]

باسمه سبحانه

الـــشُّكْرُ رَوْضٌ قــد زَهــا أنــوارا ... مــا كُـــلُّ نَــوْرٍ يَعقِــدُ الــثِّمارَا
فَالـــشُّكْرُ لله عـــلى الإِنْعـــامِ ... يَخْتــالُ في مَلابِـــسِ الـــدَّوامِ
ثُـــمَّ الـــصَّلاةُ لِنَبِـــيِّ الرَّحْمَـــةِ ... وآلِـــهِ أَهْـــلِ الهُـــدَى وَالحِكْمَـــةِ
بِحُـــبِّهِمْ نَجـــاةُ كُـــلِّ عـــانِي ... كـــــأَنَّهُمْ دارُ أبي سُـــــفْيَانِ
فـــإِنَّ كُـــلاًّ مِـــنْهُمُ عُبَـــابُ ... وَمـــا سِـــوَاهُمْ عِنْـــدَهُمْ سَرَابُ
لأَجْـــلِ هـــذا قَـــدْ دَعَـــوْهُ آلا ... لا زالَ صَـــوْبُ خَـــيْرِهِمْ هَطَّـــالَا
مـــا عَلِقَـــتْ بِراحَـــةِ الزَّمـــانِ ... جَـــواهِرُ الحِكْمَـــةِ في الآذانِ
وهـــذه جَـــوْهرَةٌ مِـــنَ الحِكَـــمْ ... عَلَّقْتُهَـــا في أُذُنِ الـــدَّهْرِ الأَصَـــمّ
عَقِيلَـــةٌ مـــا شِـــطُّهَا كَـــفُّ الطَّـــرَبْ ... ومـا لهـا مِـنْ خاطِـبٍ سِـوَى الأدَبْ
أَلْفَاظُهـــا حَقائِـــبُ المَعـــانِي ... تَطْـــوِي اخْتِـــصاراً شُـــقَّةَ البَيـــانِ
ولا تَمَـــلُّ[2] وِرْدَهـــا الأَذْهَـــانُ[3] ... ولا تَمُـــجُّ[4] ماءَهـــا الآذانُ
سَـــمَّيْتُهَا رَيْحانَـــةَ النَّـــدْمَانِ ... شَـــمَّامَةَ الأكيـــاسِ والخِـــلَّانِ

(١) ساقط من (ظ).
(٢) في (ظ): «لا يمل».
(٣) في (ظ): «الأدهان».
(٤) في (ظ): «يمج».

بَدِيعـــةٌ لـــيسَ لهـــا مِثـــالُ وكُلُّهَـــا إذا بَـــدَتْ أمثـــالُ
فَـــسائرُ الأمثـــالِ منهـــا تَعْجَـــبُ مـــا لَحِقَتْهَـــا فَلِهـــذا تُـــضْرَبُ
قالَـتْ لهـا الأصـدافُ حُـزْتِ فَخْـرا لـــذا حَـــشَا الـــدَّهْرُ بِفِيهَـــا الـــدُّرَّا
مِــرْآةُ عَقْــلِ المَـرْءِ في كَـفِّ الأدَبْ تُـدْنِي لـه مـا غـابَ عنـه وغَـرَبْ
أهـــلُ الزمـــانِ جُلُّهُـــمْ جُهَّـــالُ والعَقْـــلُ فِـــيهِمْ للفَتَـــى عِقـــالُ
والحُـــرُّ فـــيما بَيْـــنهُمْ غَرِيـــبُ وكـــلُّ إحـــسانٍ لـــه ذُنُـــوبُ
لكِـــنْ لـــه مِـــنْ ذاتِـــهِ جُنـــودُ تُـــسعِفُهُ في كُـــلِّ مـــا يُرِيـــدُ
وقَلْبُـــــهُ في جِـــــسْمِهِ أمِـــــيرُ وفِكْـــــرُهُ فـــــيما يَـــــرى وَزيـــــرُ
وحُـــسْنُهُ في كُـــلِّ بـــابٍ حَاجِبُـــهْ ومِـــنْ خَيالِـــهِ اللَّطِيـــفِ كَاتِبُـــهْ
ومِـــنْ قُـــوَى الـــوَهْمِ لـــه خُـــزّانُ ومِـــنْ لِـــسانِ الفَهْـــمِ تَرْجُمَـــانُ
[٢٠٧/ب] أطرافُـــهُ فـــيما ابْتَغَـــى أعْـــوَانُ وصَـــــدْرُهُ لأمْـــــرِهِ دِيـــــوانُ
إنْ رُمْـتَ مِـنْ كَيْـدِ الـوَرَى أنْ تَـسْلَمَا دَعْهُـمْ وعُـدَّ كُـلَّ غُـنْمٍ مغْرَمَـا[1]
سَـــلِّمْ زِمَـــامَ الاخْتِيـــارِ بِـــالرِّضَى لِحُكْـــمِ رَبٍّ لـــك يَـــأْتِي مـــا قَـــضَى
ولا تُفَكِّـــرْ أبـــداً في أمْـــرِ غَـــدْ أنَغَـــصٌ يَجِـــيءُ فيـــه أم رَغَـــدْ
كيـــفَ يُـــسَرُّ بِمَـــماتِ النـــاسِ مَـــنْ مَوْتُـــهُ مُـــصابِحٌ مُمَـــاسِي
إنْ كـــانَ قَطْـــعَ العُمْـــرِ مَـــوْتٌ آتِ فأنْـــتَ مُـــذْ تُولَـــد في المَـــمَاتِ
في كُـلِّ وَقْـتٍ مِنْـكَ عُمْـرٌ يُهْـدَمُ وكُـــلِّ حـــينٍ للفَنَـــاءِ سُـــلَّمُ
فَــاغْتَنِمِ الــصَّفْوَ وكَــسْبَ الأَجْــرِ وَاعْمَـلْ بِنُـصْحٍ قـد أتَـى مِـنْ حُـرِّ
مـا العُمْـرُ مـا طالَـتْ بـه الـدُّهُورُ العُمْـــرُ مـــا تَـــمَّ بـــه الـــسُّرورُ

---

(١) في (ظ): «كل عزم مغنما».

فــلا تُــرَجِّ قَــطُّ خَــيْرَ النــاسِ وَاشْــتَرِ كُــلَّ رَاحَــةٍ باليَــاسِ
فَــالتَّيْسُ مَــنْ يَحْلِــبُ خُــصْيَتَيْهِ يَــدُرُّ[1] مِــنْ بَــوْلٍ لــه علَيْــهِ
فَقِــفْ بِبــابِ الــرَّبِّ ذي الجــلالِ تَفُــزْ بــما تَرْجُــو بِــلا مطــالِ
مَــنْ يَنْتَــسِبْ إلى العَظِــيمِ عُظِّــمَا فَالْجَــأْ إلى الله تَكُــنْ مُكَرَّمَــا
تُــصَانُ عــن كَــسْرٍ وعــن إمالَــهْ مُجــاوِرُ اسْــتِعْلاءِ حَــرْفٍ نَالَــهْ
ورُبَّــما يُكْــسَرُ للْجِــوَارِ ويُؤْخَــذُ الجــارُ بِظُلْــمِ الجــارِ
في زمَــنٍ فيــه الفُحُــولُ صَرْعَــى اِسْــتَنَّتِ الفِــصالُ حتــى القَرْعَــى
خُــذْ عِظَــةً مِــنَ الزَّمــانِ كَــمْ وَعَــظْ إنَّ الــسَّعيدَ مَــنْ بغَــيْرِهِ اتَّعَــظْ
فَــصاحَةُ الْمُهَــذَّبِ الخِــلالِ يكــونُ في الأفعــالِ كــالأقْوَالِ
فَيَحْــذَرَنْ مُخــالِفَ القِيــاسِ وصُــحْبَةَ الوَحْــشِيِّ في الأَنَــاسِي[2]
فقَاصِــدٌ تَنــافُرَ الأشــخاصِ مُــضَبِّبُ اليــاقُوتِ بالرَّصــاصِ
لــيسَ الغِنَــى إلّا إذا صَــفَا الكــدَرْ هــل يَنْظُــرُ الغَرِيــقُ في البحــرِ الــدُّرَرْ
فامْــدُدْ عــلى قــدَرِ الكِــساءِ رِجْلَكَــا واقْطَــعْ عــلى طُــولِ القَــوامِ ثَوْبَكَــا
بُــرْدُ الزَّمــانِ خَلَــقٌ في كُــلِّ عَــيْنْ ولــيسَ يَبْقَــى عَــرَضٌ في زَمَنَــيْنْ
[٢٠٨/أ] فــأَيُّ ذي عَقْــلٍ عليــه يَحْــرِصُ وعُمْــرُهُ في كُــلِّ حــينٍ يَــنْقُصُ
قــد مَــاتَ أَمْــسِ وتَقَــضَّى أمَــدُهُ واليــومُ في النَّــزْعِ ولم يُولَــدْ غَــدُهُ
فــإنْ بَعَثْــتَ لِتَمِــيرٍ بَــرًّا فــلا تُــزَوِّدْ طالِبيــهِ تَمْــرَا
فيَحْمِلــونَ الــزَّادَ في العُبــابِ وتَحْمِلَــنَّ ثِقَــلَ العِتــابِ

(١) في (ظ): «يذر».
(٢) في (ظ): «الإناسي».

لم يُخْلَــقِ الحاسِـــدُ إلّا للغَـــضَبْ ... كيــفَ يَــزُولُ غَــضَبٌ بــلا سَــبَبْ

القلـــبُ بَيْـــتٌ وكُـــواهُ خَمْـــسُ ... فَفَتْحُهَـــا يُــضِيءُ فيـــه الحَـــدْسُ

لا خَـــيْرَ في عِلْـــمٍ بغَـــيْرِ عَمَـــلِ ... فـــلا تكُـــونَنَّ شَـــبِيهَ المِغْـــزَلِ

يَكْـــسُو الأنـــامَ وَاسْـــتُهُ عُرْيـــانُ ... تَكْرَهُـــــهُ الإنـــاثُ والـــذُّكْرَانُ

أُتْـــرُكْ فَتًـــى أخْلاقُـــهُ أَخْـــلاقُ ... دَواءُ مـــا لا يُـــشْتَهَى الفِـــرَاقُ

كَـــمْ(١) آلِــفٍ مَـــنْ لم يَكُـــنْ قَرِينَـــهُ ... ضَرُورةً كَـــــصُحْبَةِ الـــــسَّفِينَهْ

قــد يَــأْنَسُ المَــرْءُ بِعَــيْشٍ ضَــنْكِ ... مِثْــلَ اِلْتِــذَاذِ أَجْــرَبٍ(٢) بِالحَــكِّ

لا تَــأْمَنَنْ دَهْــراً مُنـــاهُ في يَـــدِكْ ... إِنْ سَرَّكَ اليـــومَ فَخِفْـــهُ في غَـــدِكْ

مَـــنْ لم يُفِـــدْ نَفْعـــاً فبعـــدُهُ نَفَـــعْ ... إِنْ حَـضَرَ اليأسُ فقَـدْ غـابَ الطَّمَعْ

كَـــمْ جاهِـــلٍ بالكُتْـــبِ صَـــبٌّ مُغْـــرَمُ ... مـــا تَنْفَـــعُ الكُتْـــبُ لِمَـــنْ لا يَفْهَـــمُ

مـــا القَـــصَبُ المَيِّـــتُ شَيْءٌ يُطْلَـــبُ ... لـــولا صِـــناعَةٌ لِـــشادٍ يُطْـــرِبُ

لا تَرْكَـــبِ الـــشَّادِخَةَ المُحَجَّلَـــهْ ... أَمَّ النَّـــداماتِ العَقِـــيمَ العَجَلَـــهْ(٣)

مـا مـاتَ مَـنْ أَحْيَـا وأَبْقَـى عِلْمَـهُ(٤) ... ولم يُحَقَّـــرْ مَـــنْ يجُـــلُّ فَهْمَـــهُ(٥)

خاطِـــبْ إذا مـــا سُـــمِعَ الـــذَّكَاءُ ... يَفِـــيضُ مـــا لم يَـــسَعِ الإِنـــاءُ

جَهْـــدُ المُقِـــلِّ في زمـــانِ الجَـــدْبِ ... أحـسَنُ مِـنْ عُـذْرِ المُجِـلِّ(٦) العَـذْبِ

(١) في (ظ): «لم».

(٢) في (ظ): «جرب».

(٣) سقط هذا البيت من (ظ).

(٤) في (ظ): «علما».

(٥) في (ظ): «فهما».

(٦) في (ظ): «المخل».

هــل حاجِــبٌ والمَــوْتُ بــابُ الآخِــرَهْ　　يَـــصِدُ عـــن دارِ البَقـــاءِ العَـــامِرَهْ
مَـــنْ خَطَـــبَ الـــشَّرَّ تَـــزَوَّجَ النَّـــدَمْ　　ويَـــسْتوِي الوُجُـــودُ منـــه والعَـــدَمْ
في كَـرَمِ العِـرْقِ بِمَنْبِـتِ الحَـسَبْ　　عَـوْنٌ عـلى تَثْمِـيرِ قَـدْرٍ ونَـسَبْ[1]
فَــاتْرُكْ لجَاجــاً يُــضْعِفُ الآرَاءَ　　وخِفَّـــــةً تَـــــسْلُبُكَ البَهـــــاءَ
[٢٠٨/ب] مَـنْ يَـزْرَعِ العِتـابَ يَحْـصُدِ الفِـرَاقْ　　وغِـيرَةُ الحَمْقـاءِ مِفْتـاحُ الطَّـلَاقْ
لَــيسَ يُفِيــدُ غَــضبُ الأقــوالِ　　وغــضَبُ العاقِــلِ في الأفعــالِ
وخَلْــفَ قَلْبِــهِ لِــسانُ العاقِــلِ　　وعَكْــسُهُ لِــسانُ غُــرٍّ جاهِــلِ
إنَّ الــذي يُرْخِــي عِنــانَ أَمَلِــهْ　　يَعْثُــــرُ في غُرْبَتِــــهِ بأَجَلِــــهْ
كَــمْ طــائِرٍ يَطــيرُ للحَبائــلِ　　عنـه رَقِيـبُ المَـوْتِ غـيرُ غَافِـلِ[2]
كَـمْ شـارِقٍ يَغَـصُّ قَبْـلَ الـرِّيِّ　　ومُـــسْتَرِيحٍ بِغِنًـــى شَـــقِيِّ
فــما ازْدِحــامُ وارِدٍ لَــدَى العَطَــنْ　　وأوَّلُ الـــسَّقْيِ لِمـــائِحٍ كَـــدَنْ
كَــمْ زارعٍ لِراقِــدٍ قــد أكَــلَا　　ومُوْقِــدٍ نــاراً وغَــيْرُهُ اصْــطَلَى
ثَــراءُ كُــلِّ ماجِــدٍ مــا أجْمَلَــهْ　　ونِعْمَــةُ الأحْمَــقِ رَوْضُ مَزْبَلَــهْ
كَـمْ عمَـلٍ والكَـفُّ عنـه أفْـضَلُ　　وكَـمْ كَـلامٍ والـسُّكوتُ أجْمَـلُ
وكَــمْ خِــصامٍ تَرْكُــهُ عِقــابُ　　وكَــمْ سُــؤالٍ مــا لَــهُ جَــوابُ
اِرْضَ الكَفَــافَ وتَجَنَّــبْ نَهَــمَا　　يَكْفِـي مِـنَ البِحـارِ مـا يَـشْفِي الظَّـمَا
ومَــنْ أحَــبَّ أن يَطُــولَ عُمْــرا　　فَلْيَــدَّرِعْ للحادِثــاتِ صَــبْرَا
آخِــرُ مِيعــادِ الــسُّرورِ الــشَّيْبُ　　ولــيسَ في هــذا الخَــبْرِ رَيْــبُ

(١) سقط هذا البيت من (ظ).
(٢) في (س): ليس بغافل. وأثبت ما يناسب الوزن. (ج). وسقط هذا البيت من (ظ).

حَــبْسُ الحَيَــاةِ فِي الجُــسومِ الــسَّقْمُ كــذاكَ حَــبْسُ الــرُّوحِ فيهــا الهَــمُّ
والحُكَــماءُ عِنْــدَهُمُ فَــضْلُ الغِنَــى في راحَــةِ الــنَّفْسِ وفي مُلْــكِ الهَــوَى
ســالِمْ فَفِــي الــسِّلْمِ تَــرَى الــسَّلَامَهْ وأَطْفِــئِ الأَحْقَــادَ بالكَرَامَــهْ
الفَقْــرُ فِي الأَمْــنِ جَمِيــلُ المَخْــبَرِ والخَــوْفُ فِي الغِنَــى كَرِيــهُ المَنْظَــرِ
لا يَنْفَــعُ الطَّعَــامُ ذا الأَسْــقامِ ولا الجَهُــولَ الــوَعْظُ بِــالمَلَامِ
اِشْــفَعْ تَنَــلْ كُــلَّ ثَنــاءٍ عــازِبِ إنَّ الــشَّفِيعَ لَجَنَــاحُ الطَّالِــبِ
مَــنْ مَوْتُــهُ عِتْــقٌ مِــنَ الآفــاتِ فَلْيُــؤْثِرِ المَــوْتَ عَــلى الحيــاةِ
والحُــرُّ مَــنْ يَحْتَمِــلُ المَــصائِبَا وَيَمْــلأَنْ بِــصَبْرِهِ الحَقائِبَــا
مَــا الخَطْــبُ إلَّا لِجَلِيــلٍ طــارِقْ عــلى الأعــالِي تَنْــزِلُ الــصَّواعِقْ
[٢٠٩/أ] الــضِّحْكُ فِي النــاسِ بــلا سَرَّاءِ هُــوَ ابْــنُ عَــمِّ الغَــمِّ والبُكــاءِ
شــاوِرْ شُــجاعاً قِرْنُــهُ الزَّمــانُ رَأْيُ الجَبَــانِ يــا فَتَــى جَبَــانُ
شــاوِرْ سَــلِيماً قَــدْرُهُ جَلِيــلُ رَأْيُ العَلِيــلِ مِثْلُــهُ عَلِيــلُ
إذا سَــقَطْتَ مِــنْ ذُرَى المَعــالِي يَطْمَــعُ فِيــكَ ســافِلٌ وعــالِي
وهكَــذا إذ تَــسْقُطُ الأشْــجارُ تَحْتَطِــبُ الــصِّغَارُ والكِبــارُ
اِنْطِــقْ إذا ســاعَدَكَ الزَّمــانُ مَــنْ لازَمَ الــسُّكوتَ يُــسْتَهانُ
قَــد يُنْبِــئُ الوَجْــهُ عَــن الــضَّمِيرِ واللَّحْــظُ عَــن لَفْــظٍ بِــلا تَعْبِــيرِ
كَــمْ مِــنْ غَرِيــقٍ بَحْــرُهُ مَعَايِبُــهْ أخلاقُــهُ تُعْــدِي الــذي يُــصَاحِبُهْ
بِغَــيْرِ عِلْــمٍ مَــنْ يَكُــنْ مُجْتَهِــدا حِمــارُ طــاحُونٍ يَــدُورُ أبَــدَا
ولَــيْسَ يَــدْرِي جُهْــدَهُ وفِعْلَــهُ ولا يَــزالُ بارِحــاً مَحَلَّــهُ
كَــمْ جاهِــدٍ بِجُهْــدِهِ لا يَنْتَفِــعْ سَــيْرُ الــسَّوانِي سَــفَرٌ لا يَنْقَطِــعْ

وأصــعَبُ الأشــياءِ عنــد الحُــرِّ مَعْرِفَــةُ الــنَّفْسِ وكَــتْمُ الــسِّرِّ
فــإنَّهُمْ قــالوا قُلــوبُ الأخْيــارْ كَنْــزُ العُلــومِ وحُــصونُ الأسَرَارْ
والعَــالِمُ الحِــبْرُ طَبِيــبُ الــدِّينِ إنْ يَحْــتَرِزْ مِــنْ دائِــهِ الكَمِــينِ
ومُــسْرِفٌ في الــشَّرِّ فَهْــوَ الــسِّفْلَهْ والمَــوْتُ بَــذْلُ الوَجْــهِ في المَذَلَّــهْ
مَــنْ نَفْــسُهُ لِذُلِّــهِ تُــسْلِمُهُ لا أَكْــرَمَ الــرَّحْمَنُ مَــنْ يُكْرِمُــهُ
ومَــنْ يُهْنِــهُ بعْــدَ ذا لا جُــرْمَ لَــهْ مَــنْ يُهِــنِ اللهُ فَــلَا مُكْــرِمَ لَــهْ
والحُــسْنُ قــد يَقْــبُحُ بالجِنايَــهْ مــا أقْــبَحَ الــصِّدْقَ لَــدَى الــسِّعايَهْ
ويَحْــسُنُ الكِــذْبُ لِــصُلْحِ البَــيْنِ كَــمْ مِــنْ قَبِــيحٍ حَــسَنٍ في العَــيْنِ
مـا أنـصَفَ المَوْتَ يُـسَوِّي في الـوَرَى بــينَ الفَقــيرِ والغَنِــيِّ في الثَّــرَى
وأَجْــوَرَ الحيــاةَ في القَــضاءِ ولا تُمَــلُّ هِــي كالحَــسْنَاءِ
عَــذابُهَا يَعْــذُبُ دُونَ سَــلْوَهْ كــالخَمْرِ مــا مَــرَّتْ تَزِيــدُ نَــشْوَهْ
مَـنْ يَفْقـدِ الحِـرْصَ فـلا مُغْنِـيَ لَـهْ مَــنْ يُــضْلِلِ اللهُ فَــلَا هــادِيَ لَــهْ
[٢٠٩/ب] يُمَيَّــزُ الــصَّدِيقُ بِالــصَّدِيقِ وَيُعْــرَفُ الرَّفِيــقُ بِــالرَّفِيقِ
إنَّ المُرِيــبَ يَتْبَــعُ المُرِيبَــا كَــما رَأَيْــتَ الــذِّيبَ يَتْلُــو الــذِّيبَا
كِتْمانُــكَ الــسِّرَّ وَصَــبْرٌ أَيْــسَرُ مِــنْ أَنْ تَكُــونَ نَادِمــاً إِذْ يَظْهَــرُ
لا تُنْكِــرَنَّ عَــضَّ أَسْــنانِ النَّــدَمْ مُقَبِّــلٌ ثُغُــورَ لَــذَّاتٍ بِفَــمْ
وَالــدَّهْرُ نَجّــارٌ لَــهُ حــانُوتُ يُنْحَــتُ فِيــهِ التَّخْــتَ وَالتّــابُوتُ
لا شَيْءَ كَالْقَلْــبِ انْقِــساحاً وَسَــعَهْ فَكُــلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُــودِ وَسِــعَهْ
فَــلا تُــضَيِّقْهُ بِهَــمٍّ [قــد] نَــزَلْ وَمــا لِغَــيْرِ اللهِ فِيــهِ مِــنْ مَحَــلْ
فَاشْرَحْـهُ بِـالنُّورِ اللَّطِيـفِ الْقُـدْسِي وَصَــيِّرِ الْبَــسْطَ أَنِــيسَ الــنَّفْسِ(١)

---

(١) وردت هذه الأبيات الثمانية في (ظ) اعتباراً من «يميز الصديق» في نهاية الأرجوزة.

[1]مَنْ عَرَفَ الدَّهْرَ أعدَّ عُدَّهْ ... مَنْ زَرعَ العَتْبَ جَنَى المَوَدَّهْ[2]

مَنْ كَنَزَ الظُّلْمَ فذاكَ المُفْلِسُ ... وَجَدُّهُ مِنْ كُلِّ جَدٍّ أَتْعَسُ

تَأْنِيبُ خِلٍّ ناصِحٍ شَنِيعُ ... والنُّصْحُ ما بين الوَرَى تَقْرِيعُ

وفيه للقَلْبِ السَّلِيمِ رُوحُ ... إن كانَ يَهْدِيهِ أَخٌ نَصِيحُ[3]

وإنما يَسْلُكُ سُبْلَ الضَّيْرِ ... مَنْ ليسَ يَهْتَدي لِفِعْلِ الخَيْرِ

وليسَ يَنْجُو مِنْ سُيُولٍ لِلْفِتَنْ ... غَيْرُ امْرِئٍ يَسْبَحُ في بَحْرِ الفِطَنْ

مَنْ لا تَعِيبُكَ[4] غائِباً أُذْنَاهُ ... ليسَ تَرَاكَ شاهِداً عَينَاهُ

فازَ المُقِرُّ بِصُدُورِ العِصْيانْ ... إنَّ جُحُودَ الذَّنْبِ قالوا ذَنْبَانْ

ومِنْ تَمامِ العَفْوِ ألّا تَذْكُرَا ... ذَنْبَ الصَّدِيقِ إنْ هَفَا أو هَجَرَا

على العَدُوِّ إنْ قَهَرْتَ قَهْرَا ... فَلْتَجْعَلِ العَفْوَ لِذاكَ شُكْرَا

إنَّ السُّلُوَّ عِوَضٌ مِمَّنْ غَدَرْ ... وَالْعَفْوُ عَنْ جَانٍ زَكَاةٌ لِلظَّفَرْ

وَسِّعْ عليكَ كُلَّ ضِيقٍ يَتَّسِعْ ... فَإنَّهُ مَنْ صارَعَ الدُّنْيَا صُرِعْ

وهكَذَا مَنْ سابَقَ الدَّهْرَ عَثَرْ ... فهَلْ رَأَيْتَ غالِباً صَرْفَ القَدَرْ

فدَرِّجِ الأيامَ صَبْرًا تَنْدَرِجْ ... ولِبُيُوتِ الهَمِّ قَطُّ لا تَلِجْ

رِضَا الأنامِ غايَةٌ لا تُدْرَكُ ... أَرْضِ الإلَهَ للسَّدَادِ تَمْلِكُ

إنَّ اقْتِنَاءَ المَجْدِ والمَنَاقِبِ ... يَكونُ في الصَّبْرِ على المَتَاعِبِ

---

(١) الأبيات كلها اعتبارا من هنا حتى النهاية من (ظ).

(٢) كذا. ولعلّها: فنا المودّة. انظر بيت: من يزرع...ص٧٦٥. (ج).

(٣) كذا. ولعلّها: أخ نصوح. (ج).

(٤) كذا، ولعلّها: من لا يُعرك. (ج).

والـشَّمْسُ قـد تَغِيـبُ ثـم تُـشْرِقُ والـرَّوْضُ قـد يَـذْبُلُ ثـم يُـورِقُ
مَـنْ ظَـنَّ أَنَّـهُ خِيـارُ النـاسِ فـذاكَ شَرُّهُـمْ بِـلا التِبَـاسِ
مَنْ قَبِلَ العَطاءَ مِنْ مُسْدِي النِّعَمْ أعَانَـهُ عـلى الـسَّخاءِ والكَـرَمْ
لـولا الـذي يَقْبَـلُ منَّـا الجُـودَا مـا كـانَ جـودٌ في الـوَرَى مَوْجُـودَا
هـل تَكْسِبُ الآمـالُ شـيئاً والأَجَـلْ حَـصادُهُ تَزْرَعُـهُ يَـدُ الأَمَـلْ
لا يَكْسِبُ الحَمْـدَ امْـرُؤٌ لم يُعْـنَ بِـهْ كيـفَ يَـرَى الأَحْـلَامَ طَـرْفٌ مُنْتَبِـهْ
مَـنْ حَـلَّ في مَحَـلِّ رَيْـبٍ مُـشْتَبِهْ فـلا يَلُـومَنْ مَـنْ أسـاءَ الظَّـنَّ بِـهْ
مَـنْ جـاوَزَ الكفـافَ والقَنَاعَـهْ لم يُغْنِـهِ الإكْثَـارُ في البِـضَاعَهْ
عِـزَّ المُنَـى فَكُـلُّ حُـرٍّ عـانِي والنـاسُ حَقًّـا في الأنـامِ اثْنـانِ
فَواحِـدٌ لا يَكْتَفِـي وطالِـبُ لا يَجِـدُ المـأمولَ فَهْـوَ ناصِـبُ
الجُـودُ قـالوا هُـوَ بَـذْلُ المـالِ مَـعْ صَـوْنِكَ الـنَّفْسَ عـنِ الـسُّؤالِ
آدابُـكَ الغُـرُّ تُـزَيِّنُ الحَـسَبْ وصُـورَةُ العَقْـلِ الـسَّخاءُ والأَدَبْ
بَـاقِي الـوَرَى أَشْـجعُ مـن بـرِيِّ مُنَـزَّهٌ عـن رِيْبَـةٍ وَغِـيِّ
بـاقِيهِمُ أَجْـبَنُ مِـنْ مُرِيـبِ أجْـدَبُ مِـنْ رَبِيعِـهِ الخَـصِيبِ
يُـصْدِئُ مِـرْآةَ العُقُـولِ الغَـضَبُ فـلا تَـرَى قُبْحـاً وحُـسْناً يَقْـرُبُ
لَـوْ انَّـهُ يَـسْكُتُ مَـنْ لا يَعْلَـمُ لَـسَقَطَ الخِـلَافُ فِـيما يَلْـزَمُ
والعـالِمُ الحِـبْرُ امْـرُؤٌ تَوَاضَـعا وصـارَ للعـالَمِ طُـرًّا خاضِـعَا
يَنْمُـو بِـذاكَ قَـدْرُهُ وَهْـوَ الغَـرَضْ وأَكْثَـرُ البقـاعِ مـاءً مـا انْخَفَـضْ
فَـاحْرِصْ عـلى النَّجـاةِ في كُـلِّ زَمَـنْ مـا كُـلُّ رِيـحٍ فيـه تُرْسـلُ الـسَّفَنْ
لا تـأمَنَنَّ مادِحـاً إذا كَـذَبْ فإنَّـهُ يَـصْدُقُ إنْ ذاقَ الغَـضَبْ

عند المَضِيقِ تُعْرَفُ الخِلَّانُ ... وفي الرَّخاءِ يَكْثُرُ الإخْوَانُ
في المَوْتِ والغَيْبَةِ والنَّوائِبِ ... إذا عرتْ يُعْرَفُ كُلُّ صاحِبِ
إنْ ذَمَّكَ امْرُؤٌ بِما لَدَيْكَا ... لا تَغْضَبَنْ عليه بَلْ عَلَيْكَا
إنَّ قَبِيحاً لا يُخَافُ مَسُّهُ ... أفْعَالُهُ تَشْتُمُ عنه نَفْسُهُ
تَزَوَّجِ المَرْأَةَ لا جِهَازُهَا ... تَسْتُرُكَ الحُلَّةُ لا طِرَازُهَا
عُمْرٌ على عمرِ سِواكَ كَلُّ ... ليسَ بِعُمْرٍ فيه عَيْشٌ يَحْلُو
النَّوْمُ مَوْتٌ عُمْرُهُ قَلِيلُ ... والقَبْرُ مَهْدٌ[1] نَوْمُهُ طَوِيلُ
كُلٌّ لصَيْدِ رِزْقِهِ يُحَاوِلُ[2] ... وإنَّما تَخْتَلِفُ الحَبَائِلُ
ما عند نَفْسٍ مِنْ قَلِيلِ الخَيْرِ ... خَيْرٌ مِنَ الكَثِيرِ عند الغَيْرِ
فَالحَيُّ رِجْلاهُ هُما ثِنْتَانِ ... أَقْوَى لَهُ مِنْ أَرْجُلٍ ثَمانِ
تَحْمِلُهُ مَيْتاً عَلَى الأَعْوَادِ ... وَمَا تُفِيدُ كَثْرَةُ الْعُوَّادِ
عَنْ نَفْسِهِ مَنْ يَرْضَ وَهْوَ لاهِ ... فَذَاكَ مَقْرُونٌ بِسَخْطِ اللهِ
إنَّ المُزَاحَ مُلْقِحُ الأَضْغَانِ ... وَكَاشِفٌ مَهَابَةَ الإِنْسَانِ
يَصْغُرُ في عَيْنِ الْكَبِيرِ الجَاهِلُ ... وَيَكْبُرُ الطِّفْلُ الأَدِيبُ الْعَاقِلُ
إِعادَةُ الأَعْذَارِ تَذْكِيرُ الذُّنُوبْ ... وَكَثْرَةُ الْعِتَابِ تَعْذِيبُ الْقُلُوبْ
وَعُصْبَةُ السُّوءِ كَأَضْغَاثِ الحَطَبْ ... يَحْرِقُ بَعْضٌ بَعْضَهُمْ إذا التَهَبْ
حِفْظُكَ مَالاً في يَدَيْكَ سَرَّكَا ... أَوْلى مِنَ الْتِماسِ مَا لَيْسَ لَكَا
أَبْدِ إلَى الصَّدِيقِ مَا تُخْفِيهِ ... مِنْ كُلِّ أَمْرٍ لَكَ شُورَى فِيهِ

---

(١) في الأصل: والتبر مهدٌ. (ج).

(٢) في الأصل: كل الصيد رزقه. (ج).

مَـــنْ كَـــذَبَ الطَّبِيـــبَ دَاءَهُ جَنَـــى عَـــلَى فُـــؤادِهِ تَبَـــارِيحَ الْعَنَـــا
وَطَالِـــبُ الْمُحـــالِ مُغْـــرىً بِالأَسَـــى عُثَيْثَـــةُ تَقْـــضَمُ[1] جِلْـــداً أَمْلَـــسَا
أَمْـــسِكْ عَلَيْـــكَ كَثْـــرَةَ التَّجـــارِبِ فَإِنَّهَـــــا الْمِـــــرْآةُ لِلْعَوَاقِـــــبِ
وَمَنْـــــزِلُ الْمَـــــرْءِ لَـــــهُ لِبَـــــاسُ طِـــــرَازُهُ الإِكْـــــرَامُ وَالإِينَـــــاسُ
إِنَّ الْعَمَـــى الأَصْـــغَرَ دَارٌ ضَـــيِّقَهْ أَبْوَابُهَـــا بِقُفْـــلِ لَـــوْمٍ مُغْلَقَـــهْ
فَـضْلُ الأَيَـادِي فِي النَّـدَى قُـرُوضُ وَرَدُّهَـــا فِي شَرْعِـــهِ فُـــرُوضُ
بِـالْجُودِ حَـازَ الْمَـدْحَ حُـرٌّ فَاضِـلُ وَفِي الرِّيَـــاضِ تَـــصْدَحُ الْبَلابِـــلُ
لا تَلُـــمِ الْمَـــرْءَ إِذا ضَـــاقَ يَـــدَا فِي بُخْلِـهِ إِنَّ الْغِنَـى أَخُـو النَّـدَى
وَالبُخْـلُ قَـدْ يُعْـذَرُ فِيـهِ الْكَـيِّسُ وَالعُـذْرُ فِي بَعْـضِ الـشُّؤُونِ أَكْـيَسُ
بِـشِدَّةِ الْحِـرْصِ الْفَتَـى لَـنْ يُرْزَقَـا مَـا كُـلُّ مَـنْ شـامَ بُرَيْقـاً اتَّقَـى
لا يَعْـــدَمُ الْكَـــرِيمُ أَنْ لا يَجِـــدَا وَالْمَـــالُ مَكْـــذُوبٌ عَلِيـــهِ أَبَـــدَا
مِـنْ بَعْـدِ تَفْرِيطِـكَ مَـا يُغْنِـي النَّـدَمْ إِنَّ مَـنِ اسْـتَرْعَى الـذِّئَابَ قَـدْ ظَلَـمْ
مَـــنْ لَمْ يُـــشِدْ بُنْيانَـــهُ لَمْ يُهْـــدَمِ وَمَـــنْ أَهـــانَ قَوْمَـــهُ لَمْ يُكْـــرَمِ
لا تَعْتَمِـــدْ فِي خَوْفِـــكَ الرَّبِيئَـــهْ وَلا تُـــضَيِّعْ نَقْـــدَكَ لِلنَّـــسِيئَهْ
وَلا تُـــرِقْ مَـــاءَكَ لِلـــسَّرَابِ وَتَـــتْرُكِ الظُّلَّـــةَ لِلـــسَّحَابِ
مَنْطِقَـــةُ الأَرِيـــبِ عِنْـــدِي الْعَـــزْمُ وَصَـــدْمُكَ الـــشَّرَّ بِـــشَرٍّ حَـــزْمُ
مـــا يَنْفَـــعُ الاِسْـــمُ مُـــسَمًّى عَـــادِمْ جَـــوَادَ طَـــيٍّ وَغُـــرَابَ حَـــاتِمْ
كُـــلُّ امْـــرِئٍ رَهْـــنٌ لَـــدَى مَقَالِـــهِ يُظْهِـــرُ مَـــا يُخْفِـــي لِـــسَانُ حَالِـــهِ
إِنْ يُفْـــتَحِ الْحَـــانُوتُ فِي النَّهَـــارِ يَبِـــينُ عَطَّـــارٌ مِـــنَ الْبَيطَـــارِ

(١) عُثَيثَة: تصغير عُثة: حشرة تلحس بيرقاناتها الجلود والألبسة. (ج).

يَـــا لَعْنَـــةَ اللهِ عَـــلَى رِزْقٍ أَتَـــى مِـنْ غَـيْرِ دَقِّ الْبَـابِ سَـاحَةَ الْفَتَـى
فَاطْلُـبْ بِرِفْـقٍ وَتَجَنَّـبِ النَّـصَبْ مَـا كُـلَّ يَـومٍ نَـاَلَ حُـرٌّ مـا طَلَـبْ
دَعْ كُـلَّ وَعْـرٍ جَانِحَـاً لِلسَّهْلِ قَـدْ يُقْطَـعُ الْحَبْـلُ شَـدِيدُ الْفَتْـلِ
تَسْلُو عَنِ الأَمْرِ إذَا الأَمْرُ حَصَلْ وَالمَـرْءُ تَـوَّاقٌ إِلَى مَـا لَمْ يَنَـلْ
وَكَثْـرَةُ الْفِكْـرَةِ فِي الْعَوَاقِـبِ تَحُـولُ بَـيْنَ المَـرْءِ وَالمَطَالِـبِ
الْـبِسْ مِـنَ الـصَّبْرِ لِخَطْـبٍ لامَـهْ فَـإِنَّ رَأْسَ المَـالِ فِي الـسَّلامَهْ
وَاللَّيْـلُ دَاجٍ وَالْكِبَـاشُ تَنْـتَطِحْ وَمَـنْ نَجَـا بِرَأْسِـهِ فَقَـدْ رَبِـحْ
كَـمْ كَثْـرَةٍ فِي الْحَـالِ حَالَـتْ قِـلَّا إِنْ تَعْقِـدِ الرُّمَـاتِ عَـادَتْ حَـبْلَا
وَقَـبْرُ عَيْـبِ المَـرْءِ فِي احْتِمَالِـهِ وَسَـتْرُهُ العُيُـوبَ مِـنْ كَمَالِـهِ
بُـرْدُ الْعُـلا طِـرازُهُ الثَّنَـاءُ يَرْتَـاحُ مَـنْ لَـذَّ لَـهُ الْغِنَـاءُ
كَالـشَّمْعِ كُلَّـما بَـدا صَـعْبَ الْخُلُـقْ فَلَـيْسَ يَـشْفِيهِ سِـوَى ضَرْبِ الْعُنُـقْ
وَعْـدُ الْكَـرِيمِ النَّقْـدُ وَالتَّعْجِيـلُ نَقْـدُ اللَّئِـيمِ المَطْـلُ وَالتَّعْلِيـلُ
كُـلٌّ يَـوَدُّ أَنْ يُـرَى مُعَمَّـرَا وَذَاكَ رَأْيٌ يَتَمَنَّـاهُ الْـوَرَى
ثِـقْ بِـاللَّطِيفِ عِنْـدَ خَـوْفِ الْخَلْـقِ مِـنَ التَّـوَقِّي تَرْكُـكَ التَّـوَقِّي
لا تَـشْتَكِي مِـنْ وَطْـأَةِ الزَّمَـانِ لِأَحَـدٍ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَـٰنِ
فِي مثـلٍ: زاحـمْ يعـود أو دعِ[1] وَاصْـحَبْ لبيبـاً ذَا دَهَـاءٍ لَـوْذَعِي
قَـدْ وَلَدَتْـهُ البِيـدُ وَالـسَّباسِبُ وَحَنَّكَتْـهُ الـسِّنُ وَالتَّجَـارِبُ
إِنْ ظَفِـرْتَ بِمِثْلِـهِ كَفَّاكَـا فَـامْحَضْ لَـهُ الْـوُدَّ وَلَـوْ قَلاكَـا
مَحَـبَّةُ الْجَبَـانِ لِلْحَيَـاةِ وَطَلَـبُ الْغَرِيـقِ لِلْنَجَـاةِ

---

(١) العود: الجمل المسن. (ج).

في مَوْقِـــعِ الـــبُرْءِ مِـــنَ الـــسَّقِيمِ وَالمَـــالِ عِنْـــدَ مُعْـــدَمٍ لَئِـــيمِ
إِنَّ الجَهُـــولَ عِنْـــدَهُ ادِّعَـــاءُ كَجَـــائِعٍ أَمْـــسَى لَـــهُ جُـــشَاءُ
مُكَـــبِّرٍ وَلَـــيْسَ بِـــالْكَبِيرِ كَأَنَّـــهُ حَـــادٍ بِغَـــيْرِ عِـــيرِ
جعـدٍ فـلا ينـدى لِفـرْطِ البُخْـلِ وَلَـوْ أَتَـى فِي زَمَـنِ القِطَحْـلِ
كَـــمْ وَلَـــدٍ لِأَصْـــلِهِ يُفَـــارِقُ فَـــسَابِقٌ وَلاحِـــقٌ وَمَـــاحِقُ
لا تَـصْبِرَنْ لِلـذُّلِّ وَاجْعَـلِ القِـرَا لِـضَيْفِ خَطْـبٍ نَـازِلٍ تَحْـتَ الثَّـرَى
سَـــفَائِنُ الـــبَرِّ لَهَـــا نَـــشَاطُ إِنْ سَـــبَحَتْ مَجْـــدافُهَا الـــسِّيَاطُ
كَـــمْ مِـــنْ عَـــدُوٍّ خِلْتَـــهُ صَـــدِيقَا بِلَحْظَـــةٍ إِنْ قَطَـــعَ الحُقُوقَـــا
يَـــأْتِي الـــسُّرُورُ بِـــانْفِرادٍ مَهَـــلاَ وَالحُـــزْنُ إِنْ أَتَـــاكَ يَـــأْتِي جُمَـــلاَ
يُبْطِـــئُ رَاقٍ لِلأعَـــالِي يَقْـــرَعُ وَهْـــوَ إِذَا رَامَ الهُبُـــوطَ يُـــسْرِعُ
يَتْعَـبُ مَـنْ يُجَـاوِرُ الأَعْـلَى المَحَـلْ أَمَـا تَـرَى الخَـصرَ النَّحِيـلَ وَالْكَفَـلْ
إِنْ جَمَحَـــتْ مَطِيَّـــةُ اللَّجَـــاجِ فَلَـــسْتَ مِـــنْ شَرِّ الأَنَـــامِ نَـــاجِ
وَالـدَّهْرُ بَحْـرٌ مَوْجُـهُ الْعَجَائِـبُ بِـــالمَوْتِ فِيـــهِ تُـــؤْمَنُ المَـــصَائبُ
وَلـيسَ يَـدْرِي وَارِدٌ كَيْـفَ صَـدَرْ وَلَـيْسَ يُغْنِـي حَـذَرٌ مِـنَ الْقَـدَرْ
رُبَّ سُـكُوتٍ مِـنْ كَـلامٍ أَفْـصَحُ وَرُبَّ حَـالٍ مِـنْ مَقَـالٍ أَوْضَـحُ
بـاحَ بَنَـشْرِ الـرَّوْضِ خَفَّـاقُ الْـصَّبَا وَشَـكَرَ الغَيْـثَ النّبَـاتُ و الرُّبَـى
أَمَـــا تَـــرَى فِي رَوْضِـــهِ الأَوْرَاقَـــا رَطْـبَ اللِّـسَانِ يَـشْكُرُ الخَلَّاقَـا
وَتِلْـــكَ لِلتَّوْحِيـــدِ كَالـــدَّفاتِرِ تقْرَؤُهَـــا الطُّيُـــورُ فِي المَنَـــابِرِ
وَقَـــدْ يَـــضُرُّ المَـــالُ رَبَّ المَـــالِ إِنَّ هَـــلاكَ الـــصَّدَفِ الْـــلآلِي
مَـــا تَنْفَـــعُ الآدابُ مَـــنْ لا يَقْبَـــلُ مـا قِيمَـةُ الـسَّيْفِ الَّـذِي لا يَقْتُـلُ

وَجاهِلٍ بِجَمْعِ كُتْبٍ مُغْرَى ... أَعْمَى تَمَشَّى بِسِراجٍ ظُهْرَا
أَسْوَأُ حَالِ الزَّمَنِ الْعَقِيمِ ... كَرِيمٌ احْتَاجَ إِلَى لَئِيمِ
لِكُلِّ وَادٍ بَعْدَ جَدْبٍ مُنْتَجَعْ ... كَلُّ الحذاء يحتذي الحاذي الوقع
لا تَكُ هَشًّا خَضِراً فَتُعْصَرُ ... لا تَكُ صَلْباً يابِساً فَتُكْسَرُ
وَرَأْسُ مالِ المَرْءِ عُمْرٌ رائِحُ ... مَنِ اتَّقَى اللهَ فَذَاكَ الرَّابِحُ
وَقَدْ يَضُرُّ المَرْءَ بَعْضُ الحَرَكَهْ ... كَطَائِرٍ مُضْطَرِبٍ في شَبَكَهْ
ما كُلُّ وَقْتٍ تَنْجَحُ الأَسْفَارُ ... مَا كُلُّ وَقْتٍ تُسْعِدُ الأَقْدَارُ
يَحْتَجُّ مَنْ عَابَ الْكَرِيمَ بِالسَّرَفْ ... وَسَرَفُ الْكَرِيمِ عُنْوَانُ الشَّرَفْ
أَيُرْفَعُ التُّرَابُ فِيهِ كَنْزُ ... عَنْ وَطْئِهِ الأَقْدَامَ أَوْ يُعَزُّ
جانِبْ فُحُولاً[1] بلباس العار ... قَدْ يُؤْخَذُ الجَارُ بِظُلْمِ الجَارِ
وَيُقْرَعُ السِّنُّ إذا جرَّ النَّدَمْ ... لِسانُهُ وَما بِجُرْمٍ قَدْ أَلَمْ
وَمَنْظَرُ الرِّجَالِ بَعْدَ المَخْبَرِ ... وَمَخْبَرُ النِّساءِ بَعْدَ المَنْظَرِ
وَجْهُ الْكَرِيمِ مُخْصِبٌ لِمَنْ عرا ... إِنَّ الحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقِرَى
لا تَكْرَهِ النُّصْحَ لِخِلٍّ قَدْ جَفَا ... فَكُلُّ مُرٍّ فِيهِ لِلْمَرْءِ شِفَا
اِغْرِفْ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ نَهْرِهِ ... وَأَعْطِهِ مُناسِباً لِقَدْرِهِ
إِنَّ الطَّبِيبَ وَاضِعُ الدَّوَاءِ ... في مَوْضِعٍ مُصادِفٍ لِلدَّاءِ
فَاسْتَقْبِلِ الرِّفْدَ بِشُكْرٍ إِنْ نَزَلْ ... وَشَيِّعَنْهُ بِاصْطِبَارٍ إِنْ رَحَلْ
وَصَائِمٍ يُفْطِرُ بِالحَرَامِ ... جَاعَ وَلَمْ يُؤْجَرْ عَلَى الصِّيَامِ
وَالحُرُّ مَنْ سُلَّ مِنَ التَّهْجِينِ ... كَسَلِّكَ الشَّعْرَ مِنَ الْعَجِينِ

---

(١) كذا، ولعلّها: جانب فخوراً. (ج).

فَكُلُّ نَفْسٍ بِالْعُلا مَعْرُوفَهْ … تَهْوَى النَّدى مَا بَلَّ بَحْرٌ صُوفَهْ
يُبْصِرُ في الظَّلْمَاءِ كُلُّ رَاءِ … مَا لا يَرَاهُ حَامِلُ الضِّيَاءِ
يَسْتَعْجِلُ البَخِيلُ فَقْراً قَدْ هَرَبْ … مِنْهُ وَما نَالَ الْغِنَى الَّذِي طَلَبْ
وَكُلُّ عَقْلٍ دَلَّ للتَّقْدِيرِ … حَتَّى يَكُونَ الْخَسْفُ في التَّدْبِيرِ
إِنْ غَيَّرَ الصِّدْقُ عَلَيْكَ الأَصْدِقَا … فَحَسْبُكَ الصِّدْقُ خَلِيلاً مُشْفِقَا
مَا أَلَمٌ عِنْدَ الْمُصَابِ قَلَّا … وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَ سِوَاهُ سَهْلَا
كُلُّ قَذًى في مُقْلَةٍ كَثِيرُ … وَهْوَ بِعَيْنِ مَنْ يَرَى يَسِيرُ
إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمٌ لِلصِّدْقِ … وَلا أَمَرَّ مِنْ مَذاقِ الْحَقِّ
تَزُورُ ذا الْقَدْرِ صُرُوفُ الزَّمَنِ … وَلَمْ يُعَرِّجْ خَطْبُهُ عَلَى دَنِي
إِنْ لَمْ يَصِحَّ آخِرُ الْإِسْمِ فَلَا … يُؤَثِّرُ الْعَامِلُ في مَا عَمِلَا
مَنْ طَارَ سَعْدُهُ لِقربَاهُ رَحِمْ … وَرَفْرَفَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى الرَّحِمْ
لِكُلِّ مَظْلُومٍ نَصِيرٌ مَوْلاهْ … وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهْ
أَجَلُّ شُكْرِ النِّعَمِ الإِحْسَانُ … وَكَتْمُهُ عَنِ الْوَرَى امْتِنَانُ
وَلَيْسَ في البَخِيلِ شَيْءٌ مُرْضِ … في سِمَنِ الْكِيْسِ هُزَالُ الْعِرْضِ
طُولُ اللّسانِ قِصَرٌ في الْعَقْلِ … وَكَثْرَةُ السُّكُوتِ سَتْرُ الْجَهْلِ
مَا كُلُّ حُرٍّ بِالْحُقُوقِ رَاضِي … لَوْ أَنْصَفَ النّاسُ اسْتَرَاحَ الْقَاضِي
لَوْ سَقَطَتْ شَاشِيَّةٌ مِنَ السَّمَا … لَسَقَطَتْ عَلَى جَهُولٍ ذِي عَمَى
إِنْ قِيلَ مَا يَخْفَى فَقُلْ مَا لَمْ يَكُنْ … وَكُلُّ صَعْبٍ إِنْ تُهَوِّنْهُ يَهُنْ
إِنَّ الْغِنَى لَوَطَنٌ في الاِغْتراب … لا غُرْبَةٌ كَمِثْلِ فَقْدِ الأَحْبَاب
وَالفَقْرُ في الأَوْطانِ بِئْسَ الغُرْبَهْ … يُبْعِدُ عَنْكَ مَنْ تُرِيدُ قُرْبَهْ

وَالنّـــاسُ أَعْــداءٌ لِمـا قَــدْ جَهِلُــوا فَــلا يُــوالِي جَــاهلاً مَــنْ يَكْمُــلُ

كَــمْ مِــنْ ثَقِيــلٍ مُوجَــبُ التَّفْرِيــقِ كَــالمرجفَيْنِ الطِّــسْتِ وَالإِبْرِيــقِ

لا تَحْــسَبَنْ شَــكْوَايَ دَهْــرِي عَبَثَــا لا بُــدَّ لِلْمَــصْدُورِ مِــنْ أَنْ يَنْفِثَــا

فِي الْبُخْــلِ سُــوءُ الظَّــنِّ بِــالْخَلَّاقِ وَالْجُــودُ حُــسْنُ الظَّــنِّ بِــالرَّزَّاقِ

إِنَّ الْكَــرِيمَ مَــنْ إذا مــا غَرَسَــا يَــسْقِي غِرَاسَــهُ لِكَــيْلا يَيْبَــسَا

أَحْـسِنْ فَـإِنَّ الْعُـرْفَ مَـرْأًى مُوْنِـقُ وَالْعُمْــرُ غَــضٌّ وَالزَّمــانُ مُــورِقُ

وَاصْــحَبْ لَبِيبــاً حُمِــدْتَ آثــارُهُ دَلَّ عَــلَى عَقْــلِ الْفَتَــى اخْتِيــارُهُ

سَــوْفَ تَــرَى إذا انْجَــلَى الْغُبَــارُ كَــمْ سَــكْرَةٍ يَعْقُبُهــا خُمَــارُ

وَحاجَــةُ المَــرْءِ تُعَلِّــمُ الْحِيَــلْ يَــدُورُ فِي الــذُّرْوَةِ صَــاعِدُ الْجَبَــلْ

إِنْ أَدْبَــرَ الــدَّهْرُ عَــنِ الرِّجَــالِ كَفَــاهُمْ مَؤُونَــةَ الْقِتَــالِ

لله مَــا أَلْطَــفَ بَعْــضَ النَّــاسِ فِي مَثَــلٍ رَاقَ لِــذي الأَكْيَــاسِ

سَــعادَةُ المَــرْءِ وَيُمْــنُ طَــيْرِهِ قَتْــلُ عَــدُوِّهِ بِــسَيْفِ غَــيْرِهِ

مَــنِ اشْــتَرَى مَــا لا إِلَيْــهِ حَاجَــهْ يَبِيــعُ مَــا اشْــتَدَّتْ إِلَيْــهِ الْحَاجَــهْ

وَرُبَّ شِرِّيــرٍ لِقَــومٍ يُــصْلِحُ إِنَّ الْحَدِيــدَ بِالْحَدِيــدِ يَفْلَــحُ

مَنْظَــرُ كُــلِّ ماجِــدٍ مِعْيــارُهُ إِنَّ الْجَــوَادَ عَيْنُــهُ فِــرَارُهُ

إِنَّ الْجَبَــانَ حَتْفُــهُ مِــنْ فَوْقِــهِ وَالثَّــوْرُ يَحْمِــي أَنْفَــهُ بِرُوقِــهِ

أَقْلِــلْ لِتَــسْتَغْنِي مِــنَ الْعِيَــالِ فَــإِنَّما الْعِيــالُ سُــوسُ المَــالِ

إِذَا الــصَّدِيقُ صَــادَقَ الأَعْــدَاءَ فَإِنَّــهُ بِكُــلِّ شَرٍّ بَــاءَ

وَإِنَّ صُــلْحَ الْهِــرِّ وَالفِئْــرَانِ هَــلاكُ مَــا يُحْفَــظُ فِي الــدُّكَّانِ

مَــا كُــلُّ جــانٍ حِــينَ يَجْنِــي يُعْــذَرُ مَــا كُــلُّ ذَنْــبٍ لِلْمُــسِيءِ يُغْفَــرُ

تَزْكِيَــــةٌ لِلــــنّفْسِ حُمْـــقٌ بَـــيِّنُ ... مَــا الــصِّدْقُ في كُــلِّ مَقــامٍ يَحْــسُنُ
وَمـــــادِحٍ لِنَفْـــــسِهِ بِحَقِّــــهِ ... قَـــالُوا مُـــؤَدٍّ لِزَكَـــاةِ حُمْقِـــهِ
لا تَهْــجُ نَــذْلاً سِــفْلَةً لا يُحْمَــدُ ... فَمَـنْ سَـها في السَّهْوِ لَـيْسَ يَـسْجُدُ
اَلْخُلْـفُ في الْوَعْـدِ أَشَـدُّ في الْمَضَضْ ... وَرُبَّ نِكْـسٍ هُـوَ شَرٌّ مِـنْ مَـرَضْ
مِـــنْ مِـــنَنِ اللهِ عَـــلَى الْكِـــرَامِ ... حِرْمـــانُهُمْ مِـــنْ مِـــنَنِ اللِّئَـــامِ
وَأَدَبُ الْمَــرْءِ صَــدِيْقُ الْفَــضْلِ ... وَتُرْجُمـــانُ عَقْلِـــهِ وَالنُّبْـــلِ
أَقْلِــلْ مِــنَ الــصُّحْبَةِ وَالإِخْــوَانِ ... فَـــإِنَّما الأَنـــامُ كَـــالنِّيْرَانِ
قَلِيلُهـــا نُـــورٌ سَـــنِيٌّ مُـــشْرِقُ ... كَـــما الْكَثِـــيرُ مُهْلِـــكٌ وَمُحْـــرِقُ
لا يَــتْرُكُ الْحَــزْمَ اللَّبِيــبُ الْكَــيِّسُ ... أَنْ تَــرِدَ الْمَــاءَ بِــماءٍ أَكْــيَسُ
فِعْــلُ الْفَتَــى مُــشارِكٌ لِــخِيْمِهِ ... إِنَّ الــشِّراكَ قُــدَّ مِــنْ أَدِيمِــهِ
إِذَا ظَلَمْــتَ فَاحْــذَرَنْ مِــنَ الْعَطَــبْ ... إِنَّــكَ لا تَجْنِــي مِـنَ الـشَّوْكِ الْعنَـبْ
بــادِرْ لِنَفْـعٍ وَاجْتَنِـبْ عَجْـزَ الْكَسَلْ ... فَــإِنَّهُمْ قَــالُوا قَــدِيماً فِي الْمَثَــلْ
إِذا أَرَدْتَ عَمَــــلاً فَجُـــدَّ فِيـــهْ ... فَــــإِنَّما خَيَّــــسَهُ تَوَفِّيــــهْ
وَعاقِــدُ الْحَــزْمِ بِأَسْــبابِ التُّقَــى ... إِذا تَــــوَلَّى عَقْــــدَ شَيْءٍ أَوْثَقَـــا
يُنْجِـي الْفَتَـى مِـنَ الـرَّدَى إِقْـرَارُهُ ... وَتَوْبَــــةُ الْجَــــانِي هِــــيَ اعْتِــــذَارُهُ
خَــيْرُ خِــلالِ ذِي دَهَــاءٍ صَــبْرُ ... فَــإِنّما مِــنْ بَعْــدِ عُــسْرٍ يُــسْرُ
فَاصْـبِرْ إِذا الـدَّهْرُ بَنَـى عَـلَى الْغِـيَرْ ... فَالــصَّبْرُ مُــرٌّ مُثْمِــرٌ حُلْــوُ الظَّفَــرْ
وَارْضَ مِــنَ الــدَّهْرِ بِكُــلِّ حَــالِ ... وَاسْــمَعْ لِمـا قَـدْ قِيـلَ فِي الأَمْثَـالِ
اِلْــبِسْ لِكُـــلِّ حالَـــةٍ لَبُوسَـــهَا ... إِمَّـــا نَعِيمَهـــا وَإِمَّـــا بُوسَـــهَا
تَـــاجُ مُـــرُوءَةِ الْفَتَـــى التَّوَاضُــعُ ... وَكِـــــبْرُهُ لِكُـــــلِّ شَرٍّ جَـــــامِعُ

دَعِ الـــسِّبابَ سَـــاعَةَ الْخِـــصَامِ وَاسْـــمَعْ مَقَـــالاً قِيـــلَ لِلإِعْـــلامِ
مــا اسْــتَبَّ قَــطُّ اثْنــانِ إِلَّا غَلَبَــا شَرُّهُـــمْ نَفْـــساً وَأُمَّـــا وَأَبَـــا
وَالنَّـــذْلُ للنَّـــذْلِ مِـــنَ الإِخْـــوَانِ إِنَّ الْحُبَـــارَى خَالَـــةُ الْكِـــرْوَانِ
خَـــيْرُ سِـــلاحِ المَـــرْءِ مـــا وَقـــاهُ وَخَـــيْرُ نَـــسْلِ المَـــرْءِ مـــا كَفـــاهُ
وَلَـــــذَّةُ الْحَيَـــــاةِ فِي التَّـــــنَعُّمِ لَحْـــمٌ سَـــمِينٌ بَـــيْنَ شِـــدْقَيْ ضَـــيْغَمِ
كَـذا الـدُّخُولُ فِي الْخِـصامِ وَاللَّـدَدْ مِثْـلُ اعْـتِراضٍ بَـيْنَ أَنْيـابِ الأَسَـدْ
لا تَـــشْبَعَنْ بِغُـــصَصِ الأَمَـــانِي فَـــالْحِرْصُ أَمْـــسَى قَائِـــدَ الْحِرْمَـــانِ
دَرِّجْ لِيَنْـــدَرِجْ زَمَانُـــكَ الْمُـــسِي إِنَّ التَّمَنِّـــي رَأْسُ مـــالِ الْمُفْلِـــسِ
تَغَـــيَّرَ الإِخْـــوانُ وَاخْتَـــلَّ الـــزَّمَنْ وَلا حَبِيـــبَ غَـــيْرُ صِـــحَّةِ الْبَـــدَنْ
مَـــنْ قـــالَ إِنَّ الْخَلْـــقَ كُلَّهُـــمْ عِـــدَى مُغْـــرًى بِـــذَمِّي وَانْتِقَـــاصِي أَبَـــدَا
وَلَمْ يُؤَمِّـــلْ مِـــنْهُمُ انتِفَاعَـــهْ مُرْتَقِبـــاً لِلـــشَّرِّ كُـــلَّ سَـــاعَهْ
فَـــذاكَ عَاقِـــلٌ قَـــدِ اسْـــتَرَاحَا وَصـــاحَبَ الـــسَّرَّاءَ وَالنَّجَاحَـــا
فَلَـــمْ يُكابِـــدْ حُزْنَـــهُ وَحِقْـــدَهُ وَيَـــدَّخِرْ شَـــيْئاً يَخَـــافُ فَقْـــدَهُ
قَلْبُـكَ بَعْـضٌ مِنْـكَ قَـدْ عَـصَاكَا سَـــاقَ إِلَيْـــكَ فِي الْهَـــوَى بَلْوَاكَـــا
وَالعَـــيْنُ قَـــدْ جَـــرَّتْ لَـــكَ الهُيَامَـــا حَتَّـــى غَـــدَا عَـــذَابُها غَرَامَـــا
وَسَـــتَرَى إِنْ قَامَـــتِ الْقِيَامَـــهْ خُـــصُومَةَ الأَعْـــداءِ وَالنَّدَامَـــهْ
إِنْ كُنْـتَ لَـسْتَ سَـالِماً مِـن نفـسٍ مِـنَ الْجُنُـونِ رَوْمُ ذَا مِـنْ جـنسِ
أَوَّلُ مـــا قَـــدْ خَلَـــقَ اللهُ الْحَـــسَدْ فَايْأَسْ مِنَ النّاسِ تَعِشْ عَيْشاً رَغَدْ
إِلَى النَّبِـيِّ الْمُجْتَبَـى سَـعَى الـشَّجَرْ وَسَـبَّحَ الْحَـصَا وَسَـلَّمَ الْحَجَـرْ
وَعُقَـــلاءُ قَومِـــهِ قَـــدْ أَنْكَـــرُوا مقَامَـــهُ وَعَيْـــشَهُ قَـــدْ كَـــدَّرُوا

فَـــإِنْ كَرِهْـــتَ صَـــاحِباً فَاسْـــتَبْدِلا وَإِنْ جَفـــاكَ مَنـــزِلٌ تَحَـــوَّلا
قـــالَ ابْـــنُ إِدْرِيـــسٍ قَرِيـــعُ دَهْـــرِهِ مَـــا حَـــكَّ جِـــسْماً لِلْفَتَـــى كَظُفْـــرِهِ
وَلا صَـــدِيقَ صَـــادِقٌ كَالـــدِّرْهَمِ وَصِـــحَّةُ الْجِـــسْمِ أَلَـــذُّ مَغْـــنَمِ
فهـــاكَ دُسْـــتُورَ النّجـــاةِ وَالْعَمَـــلْ تَفُـــزْ بِـــما تَرْجُـــو وَيُـــسْعِدْكَ الأَمَـــلْ
كَـــمْ قَـــدْ رَحَلْـــتُ وَادَّرَعْـــتُ اللَّـــيْلَا مُـــشَمِّراً عَـــنْ ثَـــوبِ عَزْمِـــي ذَيْـــلَا
كَـــمْ قَـــدْ قَطَعْـــتُ شُـــقَّةَ الآفَـــاقِ مُـــسْتَمْطِراً مِـــنْ دِيَـــمِ الأَرْزَاقِ
فَـــما ظَفِـــرْتُ فِي الْـــوَرَى بِماجِـــدِ وَلَمْ أَجِـــدْ فِي الْخَـــيْرِ غَـــيْرَ حاسِـــدِ
وَلَمْ أَجِـــدْ فِي الـــشَّرِّ غَـــيْرَ لائِـــمِ مُـــساعِدٍ لِكُـــلِّ خَطْـــبٍ قَـــادِمِ
إذا عَثَـــــرْتُ قَـــــامَ لِي دَلِيـــــلُ وَوُصِـــــفَ الطَّرِيـــــقُ وَالـــــسَّبِيلُ
مَـــا يَنْفَـــعُ الزَّلِيـــلَ زَلَّـــةُ الْقَـــدَمْ بَعْـــدَ الْوُقُـــوعِ غَـــيْرُ تَـــبْرِيحِ النَّـــدَمْ
كَـــمْ نَـــافِعٍ لِلْمَـــرْءِ فِيـــهِ الـــضُّرُّ لِغَـــيْرِهِ قَـــضَى بِهٰـــذا الـــدَّهْرُ
غَنِيمَـــةُ الـــزُّرَّاعِ غَـــيْمٌ مَـــاطِرُ لا يَبْتَغِيـــهِ ابْـــنُ الـــسَّبِيلِ الـــسَّائِرُ
لَـــيْسَ لِجـــانِي الْجُـــرْمِ مِـــنْ خَـــلاصِ مَـــا أَسْرَعَ الـــدَّهْرَ إِلَى الْقِـــصَاصِ
حَتَّـــى ذَلِيـــلِ الـــتُّرْبِ يَعْلُـــو مِـــنْ عَـــلَا عَلَيْـــهِ بَعْـــدَ مَوْتِـــهِ مُجَـــدَّلَا
إِنَّ الْكَـــلامَ كَالـــدَّوَاءِ يُقْبَـــلُ مَـــا قَـــلَّ وَهْـــوَ كَثْـــرَةٌ قَـــدْ يَقْتُـــلُ
لا يُمْنَـــعُ الْجَـــاهُ لِفَـــرْطِ الـــصَّلَفِ فَـــإِنَّما الْجَـــاهُ زَكَـــاةُ الـــشَّرَفِ
يُعْـــرَفُ طِيـــبُ الأَصْـــلِ بِـــالثِّمارِ وَهِمَّـــةُ الْهُـــمامِ بِالآثَـــارِ
بِـــالْبَحْرِ أَنْـــتَ عَـــارِفٌ إِنْ لَمْ تَـــرَهْ فَقَـــدْ سَـــمِعْتَ مُسْتَفِيـــضاً خَـــبَرَهْ
قُـــلِ الثَّنـــاءَ تـــارِكَ الْعُيُـــوبِ تَجْـــنِ وِداداً ثَمَـــرَ الْقُلُـــوبِ
إِنَّ خِـــضابَ الْبَطَـــلِ الـــدِّمَاءُ وَزِيْنَـــةُ الْغَانِيَـــةِ الْحِنَّـــاءُ

ذُلُّ الــرَّئِيسِ فِيــهِ لِلْقَــوْمِ عَطَــبْ لِــذاكَ قَطْــعُ الــرَّأْسِ يَبْــتُرُ الــذَّنَبْ
لا تَــسْأَلَنْ مِــنْ قبــلِ عَجْــزٍ وَوَلَــهْ آخِــرُ كَــسْبِ رَجُــلٍ فِي المَــسْأَلَهْ
فَــإِنَّ مــاءَ الْوَجْــهِ مَــنْ أَراقَــهْ لَمْ يَلْــقَ مِــنْ غُــصَّتِهِ إِفَاقَــهْ
لِــصُّ الْــوِدادِ عِــشْرَةُ الــنَّمَّامِ مِــنَ الــشَّرَارِ مُحْــرِقُ الــضِّرَامِ
أَلَــذُّ مِــنْ صَــفْوِ رَحِيــقٍ دَائِــرِ رَشْــفُ فَــمِ الــسَّمْعِ زُلالَ الــشَّاكِرِ
ذُو الحِــرْصِ فِي كُــلِّ زَمــانٍ عَــانِي وَالْحِــرْصُ وَالْحِرْمــانُ تَوْأَمَــانِ
يُلِــحُّ فِي تَحْــصِيلِ مَــا لا يَمْلِــكُ يَبْكِــي عَلَيْــهِ وَالْقَــضاءُ يَــضْحَكُ
لا يَمْــدَحُ الْعاقِــلَ مِثْــلُ فَــضْلِهِ وَمــا لَــهُ هَــاجٍ كَــسُوءِ فِعْلِــهِ
تُكْــسِدُكَ الْبَذْلَــةُ وَالتَّحَبُّــبُ إِنَّ مُغَنِّــي الحَــيِّ لَــيْسَ يُطْــرِبُ
اِسْــمَعْ مَقــالاً لِأَبِي بَكْــرٍ وَقَــدْ أَهْــدَى لَنــا خَــزَّ النُّــضارِ وَانْتَقَــدْ
مَــنْ أَسْــخَطَ الــدِّرْهَمَ أَرْضَى اللهَ ومَــنْ أَذَلَّ المــالَ صــانَ الجَاهَــا
قــالَ الرَّفِيــعُ الْقَــدْرِ فَــوْقَ الْمُــشْتَرِي إذا وَجَــدْتَ الْحُــرَّ عَبْــداً فَاشْــتَرِ
كَــمْ فَاسِــقٍ يُظْهِــر بــارد الْــوَرَعْ كَالْكَلْــبِ إِذْ بــالَ لِرِجْلَيْــهِ رَفَــعْ
يَحْــذَرُ مِــنْ إِصــابَةِ النَّجاسَــهْ وَيَأْكُــلُ المِيتَــةَ فِي الْكُناسَــهْ
كَــمْ ســانِحٍ وَبــارِحٍ مِــنَ الْغِــيَرْ لِغافِــلٍ يَطِــيرُ مِــنْ وَكْــرِ الْقَــدَرْ
لا يَــبْرَأُ الْجُــرْحُ لِعِــرْضِ الْحُــرَّهْ كُــلُّ قَتِيــلٍ لِكُلَيْــبٍ غُــرَّهْ
مــا طَهَّــرَ الأَعْــراضَ بَعْــدَ الْحَــدَثِ غَــيْرُ تَــيَمُّمٍ بِــتُرْبِ الجَــدَثِ
شَــيْبُ الــشُّعُورِ زَهْــرةُ الْهُمُــومِ تُنْبِتُــهُ غَمائِــمُ الْغُمُــومِ
أَكْثَــرُ مــا يَــشِيعُ فِي النَّــاسِ الْكَــذِبْ وَالْحَــزْمُ سُــوءُ الظَّــنِّ فَالْزَمْــهُ تُــصِبْ
أَوَّلُ عِــيِّ الْخَــصْمِ الِاخْــتِلاطُ وَالْعَقْــلُ وَالــدِّينُ هُــوَ المَنَــاطُ

لَـــيْسَ المَقـــالُ حَلّـــةَ اخْتِـــصَارِ زَيْـــنٌ لَـــهُ فَاحْـــذَرْ مِـــنَ الإِكْثَـــارِ
فَـاطْوِ المَعـانِي بيـدِ اللَّفْـظ الْـوَجِيزْ وَطَبِّـقِ المِفْـصلَ قَبْـلَ التَّحْرِيـزْ
وَأَنْعَـمُ النَّاسِ امْـرُؤٌ يَـرْضَى الْكَفَـافْ مَخافَـةَ الْخَـوْفِ إِلَى مـا لا يَخَـافْ
وَضِـدُّهُ مَـنْ حَـسَدَ النَّـاسَ الْـنِّعَمْ وَسَـــخِطَ الْمُقَـــدَّراتِ وَالْقِـــسَمْ
يُـــشَيِّعُ الْفائِـــتَ مِنْـــهُ حَـــسْرَهْ وَأَنَّـــــةً يُتْبِعُهَـــــا بِزَفْـــــرَهْ
لا حُجْـبَ لِلـرَّئِيسِ مِثْـلُ الْبُخْـلِ مَـــنْ ذَا يَـــرُودُ مَنْـــزِلاً ذَا مَحْـــلِ
لِمِثْلِـــــهِ حِراسَـــــةُ الْحُجَّـــــابِ كَالْقُفْـلِ مَوْضُـوعٌ عَـلَى الْخَـرَابِ
كَـمْ [مـن] سُـؤَالٍ لازمٍ بِالْقَـسْرِ إِنَّ الـــسُّعالَ عِلَّـــةٌ فِي الـــصَّدْرِ
كَـــمْ قِلَّـــةٍ تَـــدْفَعُها بِقِلَّـــهْ كَعِلَّـــةٍ قَـــدْ تُـــشْتَفَى بِعِلَّـــهْ
كَـــبُرْءِ الاِسْتِـــسْقاءِ وَالْجُنُـــونِ بِمَـــرَضِ الْباسُـــورِ ذِي الْعُيُـــونِ
تَـــزاوَجَ الْعَجْـــزُ مَـــعَ التَّـــوَانِي فَأَنْتَجـــا الْفَقْـــرَ أَبَـــا الْهَـــوَانِ
كَـمْ جَـائِعِ القـدور والخـوان مـن لُؤْمِـهِ و شُـؤْمِهِ شـبعان
يَـسْعَى لِمُعْـدَمٍ غَنِـيِّ الْقَلْـبِ سَـفيهِ نـارٍ وَحَلِـيْمِ الْكَلْـبِ
مَــا تَجْزِيــة عُذُوبَــة اللِّــسَانِ مَقْرُونَـــةٌ بِعَلْقَـــمِ الْحِرْمـــانِ
إِنْ بَخِـلَ الـدَّهْرُ عَلَيْـكَ رَاسَـا فَـلا تنـافِسْ فِي اللِّقـا الرُّؤُوسَـا
إِنْ لَمْ يَجُـدْ بِوَصْـلِهِ الْحَبِيـبُ اِصْـطَلَحَ الْعَاشِـقُ والرَّقيـبُ
لا تَخْـشَ مَـنْ عـاداكَ وَهْـوَ مُعْلِـنُ وَاتَّـقِ شَرَّ مَـنْ إِلَيْـهِ تُحْـسِنُ
يـا حَاسِـداً وَمـا دَرَى مَـنْ يَحْـسُدُ حَتَّـى مَتَـى تَجْلِـدُ مَـنْ لا يَجلِـدُ
كَـمْ قاعِـدٍ وَغَـيْرُهُ لَـهُ سَـعَى كَمُنْـسِياتٍ قَرَّبَـتْ مَـنْ شَـسَّعَا
كَـمْ مُـسْرِفٍ بِـمالِ مَـنْ قَـدْ بَخِـلَا وَشـارِبٍ وَغَـيْرُهُ الْكَـأْسَ مَـلَا

وَإِنَّـــمَا الأَيـــامُ كَالأَكْيَـــاسِ تَحْفَـــظُ مَـــا صَـــانَتْهُ لِلأَكْيَـــاسِ

لا يَـأْمَنُ المَكْـرُوهَ مِـنْ صَرْفِ الـزَّمَنْ إِلَّا الَّـذِي اسْـتَعْذَبَ عَلْقَـمَ المِحَـنْ

إِنَّ المُقِـــلَّ لَغَرِيـــبٌ فِي الْـــوَطَنْ وَالمـالُ نِعْـمَ الخِـلُّ إِنْ خَـانَ الـزَّمَنْ

لا فَــرْقَ بَــيْنَ الْبِئْــرِ وَالرِّمَـــالِ إِلَّا إِذَا نَجَّـــىٰ مِـــنَ ابْتِـــذَالِ

لَــيْسَ يُفِيــدُ عِظَــةٌ وَنُــصْحُ بِجَاهِــلٍ مــن سُــكْرِهِ لا يَــصْحُو

فَــشَرُّهُ يَـــأْتِي عَـــلَى إِطْـــلاقِ وَخَـــيْرُهُ زَحْـــفُ كَـسِيرِ الـــسَّاقِ

وَالْـــبُرْءُ تَمْـــشاهُ دَبِيـــبُ وانِي وَالــسُّقْمُ يَـــأْتِي بَغْتَـــةً لِلْعَـــانِي

لا تُهْلِكَـــنْ نَفْـــسَكَ بِـــالأَهْوَاءِ إِنَّ الْغِنـــاءَ رُقْيَـــةُ الزِّنـــاءِ

كَـمْ ناصِـحٍ لِجاهِــلٍ وَقَــدْ غَـوَى يُبْغِــضُهُ بُغْــضَ المَــرِيضِ لِلــدَّوَا

كَـمْ مِـنْ رَئِـيسٍ ظَهَـرَتْ أَقْوَالُــه مَعْكُوسَــــةً لِأَنَّـــهُ دَجَّالُـــــه

عَذابُـــهُ بِقَوْلِـــهِ نَعِـــيمُ نَعِيمُـــهُ بِوَعْـــدِهِ جَحِـــيمُ

لَمْ أَلْـقَ لِي مِـنْ راحَـةٍ فِي النَّـاسِ تُـشْفِي غَلِـيلِي غَـيْرَ بَـرْدِ الْيَـاسِ

إِنْ طَرَقَـتْ سـاحَتَكَ الْخُطُـوبُ أَبْـشِرْ بِعَـيْشٍ بَعْـدَها يَطِيـبُ

إِنَّ الْقَـضاءَ عُقَـدُ الزَّمَـانِ تَحُلُّهَـا بِالـسِّنِّ وَالْبَنَـانِ

كَـمْ نَـائِحٍ وَنَوْحُـهُ غِنَـاءُ وَضَـاحِكٍ وَضِـحْكُهُ بُكَـاءُ

دارَتْ عَـلَى هٰـذا الزَّمـانِ الـدّائِرَهْ مَـا دامَـتِ الأَفْـلاكُ فِيـهِ دائِـرَهْ

وَكُـلُّ عَـالٍ مِنْـهُ فَهْـوَ نَـازِلُ كَـمَا عَلَـتْ بُـدُوْرَهُ الأَسَـافِلُ

قُـلْ لِلَّـذِي لَمْ يَحْفَـظِ اللِّـسَانَا وَلَمْ يَـزَلْ مُكـابِراً طَعَّانَـا

إذا غَـلا الْقِـدْرُ قَرِيـبٌ أَكْلُـهُ أَوْ عَقَـرَ الْكَلْـبُ سَرِيـعٌ قَتْلُـهُ

وَآمِـنٌ حَظِـيرَةَ الْفُحُـولِ كَنـائِمٍ بِمُلْتَقَـى الـسُّيُولِ

مَــنْ كــانَ أَعْمَــى عِنْــدَهُ سَــوَاءُ اَلْبُـــومُ إِذْ يَـــسْمَعُ وَالْوَرْقَـــاءُ
مَــنْ لَمْ يُؤَسِّــسْ مُلْكَــهُ بِالْعَــدْلِ يَهْدِمُـــهُ وَمالُـــهُ كَالرَّمْـــلِ
اَلْقَيْــدُ قَيْــدٌ لِلأَسِــيرِ وَنَــصَبْ مــاذا يُفِيــدُ لَــوْ يَكُــونُ مِــنْ ذَهَــبْ
قِيْــلَ الــسُّكُونُ عَــاقِرٌ وَالْحَرَكَــهْ أُمٌّ وَلُـــودٌ لِلْعُـــلَى وَالْبَرَكَـــهْ
مَــنْ لَــبِسَ النَّــاسَ عَــلَى أَخْلاقِهِــمْ يَــسْتَبْدِلُ الْجَدِيــدَ مِــنْ أَخْلاقِهِــمْ
كَــمْ سِــفْلَةٍ أَسْــفَلُ مِــنْ دُرْزِيِّ مُكَـــدِّرٍ لِلْمَـــشْرَبِ الْهَنِـــيِّ
إِنْ لَمْ أَجِــدْ صَــدْراً لِحِفْــظِ سِرِّي فَلَــيْسَ هٰــذا مِــنْ أَثــافِي قَــدْرِي
فَالْبَــذْرُ لِلــسِّرِّ عَــلَى الــتُّرَابِ يُنْبِــتُ وَرْدَ الــصَّفْعِ فِي الرِّقَــابِ
وَرُبَّـــما يُحْـــصَدُ بِالـــصَّوارِمِ فَيَهْلَــكُ الْحَــرْثُ بَجَــوْرِ صَــارِمِ
أَعْــطِ أَخــاكَ إِنْ قَــدِرْتَ تَــمْرَهْ فَــإِنْ أَبَــى قَبُولَهــا فَجَمْــرَهْ
كَمْ مِنْ سَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولِ الْهِمَمْ لا يَرْتَقِــي هَــضْبَةَ مَجْــدٍ وَكَــرَمْ
وَالْجُــودُ صَــعْبُ الْمُرْتَقَــى لِمَــنْ وَقَــفْ عَــنِ الْعُــلا وَالْمَجْــدُ مَرْقَــاةُ الــشَّرَفْ
أَفْلَــحَ مَــنْ أَغْنــاهُ حُــسْنُ خِيْمِــهِ وَسَـــمْنُهُ أُرِيـــقَ فِي أَدِيمِـــهِ
عُمْــرُكَ قَــرْضٌ لِحُلُــولِ أَجَلِــهْ وَإِنَّــما الإِنْــسانُ رَهْــنُ عَمَلِــهْ
وَإِنَّـــما الـــدُّنْيا كَظِـــلِّ سَرْحَـــهْ مَرْبُوطَـــةٌ فَرْحَتُهـــا بِتَرْحَـــهْ
أَنْدِيَـــةُ الْكِـــرامِ مُـــزْنُ الْفَـــضْلِ ذَاتُ سَـــقِيطٍ وَنَـــدًى مُخْـــضَلِّ
ثِـــقْ بِالإِلٰـــهِ وَدَعِ الْخَلِيقَـــهْ فَلُـــؤْمُهُمْ وَشُـــحُّهُمْ خَلِيقَـــهْ
وَفَــيْضُ جُــودِهِ عَلَيْنَــا مِــدْرَارْ وَكُـــلُّ شَيْءٍ عِنْـــدَهُ بِمِقْـــدَارْ
وَرُبَّـــما تَخْتَلِـــفُ الْمَبَـــانِي لَفْظـــاً وَلا تَخْتَلِـــفُ الْمَعَـــانِي
كـــالمروزي نِـــسْبَةُ الأُنَـــاسِ وَالثَّــوْبُ مَــرْوِيٌّ عَــلَى الْقِيَــاسِ

مَـــنْ أَمِـــنَ المَكْـــرُوهَ فِي الـــدَّهْرِ نَـــدِمْ   مَـنْ أَكْثَـرَ الْخَـوْفَ مِـنَ النَّـاسِ سَـلِمْ
مَـــنْ جَـــرَحَ الْكَـــلامَ فَهْـــوَ مَجْـــرُوحْ   وَالنَّـــاسُ لا تَمْـــدَحُ غَـــيْرَ مَمْـــدُوحْ
لِـــسَانُهُمْ مُـــتَرْجِمُ الْغُيُـــوبِ   كَلامُهُـــمْ دَفَـــاتِرُ الْعُيُـــوبِ
تُـــؤَدَّبُ الأَشْرافُ بِـــالْهِجْرَانِ   وَلَمْ تُـــؤَدَّبْ قَـــطُّ بِالْحِرْمَـــانِ
وَأَخْـــسَرُ الأَنَـــامِ بَعْـــدَ خَـــيْرِهِ   مَـــنْ بَـــاعَ أُخْـــراهُ بِـــدُنْيا غَـــيْرِهِ
أَثْقَـــلُ مِـــنْ دَيْـــنٍ عَـــلَى إِقْتَـــارِ   وَسُـــقْمِ الاَبْـــدانِ عَـــلَى الأَسْـــفَارِ
ثَقِيـــلُ قَـــوْمٍ بِـــتُّ مَحْـــشُوراً مَعَـــهْ   وَلَـــيْسَ فِي صُـــحْبَتِهِ مِـــنْ مَنْفَعَـــهْ
لِحْيَتُـــــهُ مَدَبَّـــــةُ الـــــشَّيْطَانِ   تَـــدُبُّ عَـــنْ مَوائِـــدِ الْعِـــصْيانِ
لَـــوْ لَمْ تَكُـــنْ مَحَبَّـــةُ الأَوْطَـــانِ   مـــا عُمِّـــرَ الـــسُّوءُ مِـــنَ الْبُلْـــدَانِ
وَإِنَّـــما دَلِيـــلُ طِيـــبِ الأَصْـــلِ   حَنِينُـــــهُ لِـــــسَكَنٍ وَأَهْـــــلِ
إِنَّ الْكِـــرامَ كَالعَبِيـــدِ فِي الـــسَّفَرْ   تَواضُـــعاً لُطْفـــاً وَســـاداتُ الْحَـــضَرْ
فِي سَـــفَرٍ يَظْهَـــرُ عَـــيْنٌ مِـــن أَثَـــرْ   فَإِنَّـــهُ مِيـــزانُ أَخْـــلاقِ الْبَـــشَرْ
اِصْـــبِرْ عَـــلَى كَيْـــدِ زَمـــانٍ أَنْـــتَ فِيـــهْ   فَمَـــنْ يُعـــادِي دَهْـــرَهُ يُعادِيـــهْ
لَمْ يَبْـــقَ فِي الْعَـــالَمِ أَرْيَحِيَّـــهْ   زَمـــانُ فَـــتْرَةٍ وَجاهِلِيَّـــهْ
أُعْقِـــمَ بُغْـــضاً أُمَّهـــاتُ الأَخْبَـــارْ   وَوُئِـــدَتْ فِيـــهِ بَنـــاتُ الأَفْكَـــارْ
إِنْ يَعْـــلُ مِـــنْ قَبْـــلِ الْعُلُـــوِّ قَـــدْرُكَا   وَيَعْـــدُ مِـــنْ قَبْـــلِ الرُّكُـــوبِ مُهْرُكَـــا
تُمْـــسِ مُـــصارِعاً لِـــصَرْفِ التَّقْـــدِيرْ   وَمُنْبِـــضاً لِلْقَـــوْسِ قَبْـــلَ التَّـــوْتِيرْ
وَمـــا يُزِيـــلُ عَـــنْ مُـــسافِرٍ عَنَـــى   حَتَّـــى يَـــؤُوبَ غَـــرْب نَيْلِـــهِ الْمُنَـــى
لا النَّـــوْمُ وَالتَّمْـــرِيخُ وَالْحَـــمَّامُ   كَـــما يُقـــالُ أَيُّهـــا الْهُـــمَامُ
كَـــمْ آمِـــلٍ نَفْعـــاً يَنالُـــهُ الـــضَّرَرْ   إِنْ كُنْـــتَ لا تَـــدْرِي بِـــذَا سَـــلِ الْقَـــدَرْ

مــا أَقْــبَحَ الْكــاذِبَ فِــيما سَرَّهُ ... فَكَيْــفَ بِالْكــاذِبِ فِــيما ضَرَّهُ
هَــلْ يَكْــذِبُ الرَّائِــدُ قَــطُّ أَهْلَــهْ ... أَوِ الْعَلِيــلُ فِي صِــفاتِ الْعِلَّــهْ
وَالْحُــرُّ يَرْتــضي بِكُــلِّ مـا حَــضَرْ ... وَيَكِــلُ الأَمْــرَ إِلَى رَبِّ الْقَــدَرْ
وَإِنَّ عِنْــدِي دِرْهَمــاً تَعَجَّــلَا ... خَــيْرٌ مِــنَ الــدِّينارِ إِنْ تَــأَجَّلَا
لا تَـصْحَبِ المَحْـدُودَ[1] بَعْـدَ الْيَـاسِ ... فَــرُبما أَعْــداكَ بِــالإِفْلَاسِ
وَرُبَّ دَاءٍ لِلْجِــوَارِ سَــارِي ... أَمَــا تَــرَى الْجَــرَّ عَــلَى الْجِــوَارِ
وَالْحُــرُّ مَــنْ يَعْــرِفُ قَــدْرَ الزَّائِــرِ ... وَيَــسْتَقِي لِــوارِدٍ وَصــادِرِ
فَــما يُجِيــبُ مَــنْ أَتَــى لِــساحَتِهْ ... إِذا رَآهُ مَوْضِــعاً لِحاجَتِــهْ
كَــمْ مِــنْ أَسِــيرٍ فِي يَــدِ الأَيــامِ ... لا يُفْتَــدَى بِكَــرَمِ الْكِــرَامِ
وَإِنــما الــدُّنيا عَــرُوسٌ تُرْتَقَــى ... حَــسْناءُ تَــشْتَاقُ لِرَتْــقٍ فُتِقَــا
وَالْبَخْــتُ شَــيْخٌ هَــرِمٌ عِنِّــينُ ... فُــؤادُهُ بِحُبِّهــا رَهِــينُ
وَمَــنْ يَقِــفْ مِعْدَتَــهُ عَــلَى الطَّعَــامْ ... سَــحَلَهُ الــذُّلُّ وأنــضاهُ الــسَّقَامْ
إِنَّ الــذُّنوبَ دَنَــسٌ لا يُغْــسَلُ ... بِغَــيْرِ إِقْــرارٍ وَعُــذْرٍ يُقْبَــلُ
مَــنْ قَلَّــلَ الحاجــاتِ زادَ بَــلَّا ... لا يَقْتُــلُ الــسُّمُّ إذا مــا قَــلَّا
قَــدْ هَلَــكَ الْعَــدْلُ وَعــاشَ الْظُلْــمُ ... وَنَفَــقَ الْجَهْــلُ وَبــارَ الْعِلْــمُ
وَلِلْبَــساتِينِ يُبــاعُ الزِّبــلُ ... فِي أَرْضِــنا وَلا يُبــاعُ الْفَــضْلُ
كُــلُّ امْــرِئٍ فِي بَيْتِــهِ أَمِــيرُ ... كُــلُّ امْــرِئٍ بِــشَأْنِهِ خَبِــيرُ
كَــمْ نَــاظِرٍ أَفْــصَحُ مِــنْ لِــسَانِ ... وَالْــبُغْضُ تُبْدِيــهِ لَــكَ الْعَيْنــانِ
مَــنِ اسْــتَبَدَّ فِي الأمُــورِ زَلَّا ... مَــنِ اسْــتَخَفَّ بِــالأَمِيرِ ذَلَّا

(١) المحدود: محدود الرزق، أو المحروم. (ج).

لا تَكْتُبَنَّ غَيْرَ لَفْظٍ سَرَّكَا إذا بَدا وَدَعْ مَقالاً ضَرَّكَا
كَمْ مِنْ كِتابٍ لاحَ لِلْعُيُونِ أَقْبَحُ مِنْ وَثِيقَةِ الدُّيونِ
أَجْمِلْ إذَا ساعَدَكَ الزَّمَانُ وَأَسْعَفَ المَكانُ وَالإمْكَانُ
وَمَانِعُ الْغَمِّ اتِّبَاعُ الأَقْدَارْ وَحاجِبُ الشَّهْوَةِ غَضُّ الأَبْصَارْ
إنَّ الحُصُونَ الخَيْلُ وَالسِّلاحُ لا خَيْرَ فِي حِصْنٍ لَهُ مِفْتَاحُ
مَنْ يَفْتَحِ الدُّكَّانَ بَعْدَ الْعَصْرِ لَمْ يَكْتَسِبْ غَيْرَ مَزِيدِ الْخُسْرِ
قَدْ ذَهَبَتْ مَكارِمُ الأَخْلاقِ إلَّا مِنَ الأمْثالِ وَالأَوْرَاقِ
وَالحُرُّ لا يَرْضَى بِتَبْرِيحِ الأَذَى وَلا يَغُضُّ نـاظِراً عَنِ الْقَذَى
أَقْصَى الْبِلادِ مَعْدِنُ الْكِرَامِ وَمَنْبَتُ اللَّذَّاتِ وَالإِنْعَامِ
أَطْرافُها مَنازِلُ الأَشْرَافِ وَأَكْثَرُ الْحُلِيِّ فِي الأَطْرَافِ
كَمْ مِنْ غِنًى مِنْهُ افْتِقارٌ أَحْسَنُ وَالمَوْتُ مِنْ بَعْضِ الْحَيَاةِ أَهْوَنُ
وَرَابِحُ المالِ الَّذِي أَنْفَقْتَهُ وَإنَّما تَخْسَرُ ما خَلَّفْتَهُ
يُعْرَفُ حُسْنُ الْخُلْقِ فِي الإِنْسَانِ بِقِلَّةِ الآدابِ فِي الْغِلْمَانِ
فِي حِلْمِ سُلْطانٍ ضَياعُ المُلْكِ وَرُبَّ حِلْمٍ كانَ بَذْرَ الْهُلْكِ
بِرِقَّةِ السِّلْكِ يَضِيعُ الدُّرُّ وَفاضِحٌ ما رَقَّ عَنْهُ السِّتْرُ
لِلْجُودِ حُبُّ السَّادَةِ الْكِرَامِ وَالْحُسْنُ يَدْعُو النَّاسَ لِلْغَرَامِ
اَلْقَلْبُ يُحْيِيهِ ادِّكارُ المَوْتِ وَالْحِرْصُ يَمْحُوهُ يَقِينُ الْغَوْتِ
كَمْ مِنْ لَبِيبٍ لِلنَّجاةِ اجْتَهَدَا تَوَسَّدَ المَوْتَ إذا ما رَقَدَا
قَوْسُ الْهِلالِ كَمْ لَهُ سِهَامُ صَوَالِجٌ كُراتُها الأَيَّامُ
وَالْخَيْرُ فِيما اخْتَارَهُ الإِلٰهُ فَاجْعَلْ رِضاكَ تَابِعاً رِضَاهُ

كَمْ شِدَّةٍ مُؤْذِنَةٍ بِالْغَوْثِ … وَشِدَّةُ الْحَرِّ دَلِيلُ الْغَيْثِ
حَلاوَةُ الأَخْلاقِ وَاللِّسَانِ … تَزْرَعُ حَبَّ الْحُبِّ فِي الْجَنَانِ
كَمْ سَائِلٍ فِيهِ دهاءٌ ولَسَنْ … لَوْ سَأَلَ الْمَيْتَ لَأَعْطَاهُ الْكَفَنْ
كَمْ حِمْيَةٍ أَنْجَعُ مِنْ دَوَاءِ … وَطَلَبُ الْغِنَى فِي الاِسْتِغْنَاءِ
بَشاشَةُ الْوَجْهِ وَتَخْفِيفُ الْمُؤَنْ … أَحْسَنُ شَيْءٍ صَارِفٍ صَرْفَ الزَّمَنْ
وَإِنَّما الأَرْضُ جَمِيعُها وَطَنْ … لِكُلِّ شَهْمٍ فِعْلُهُ فِعْلٌ حَسَنْ
مَنْ جَعَلَ الْحِكْمَةَ عُنْوانَ الطَّلَبْ … يَنَالُ ما يَنالُهُ مِنَ الأَرَبْ
تَزَيَّنُوا بِالْعَدْلِ حَتَّى تُصْلِحُوا … ثم الْبَسَوا ثَوْبَ الْعَفَافِ تُفْلِحُوا
ما انْتَقَمَ الْعاقِلُ مِنْ عَدُوِّهِ … بِمِثْلِ فَضْلٍ زَادَ فِي عُلُوِّهِ
أَضَرُّ مَنْ عاشَرْتَهُ مُطْرِيكَا … وَمَنْ يَكُونُ دَائِماً يُغْرِيكَا
إذا انْتَهَيْتَ فِي الْعُلُوِّ تَهْبِطُ … وَالثَّمَراتُ الْيانِعاتُ تَسْقُطُ
إذا ظَفِرْتَ فَاحْذَرَنْ كُلَّ الْحَذَرْ … كَمْ نَكْبَةٍ تَأْتِي عَلَى يَدِ الظَّفَرْ
وَكَمْ مَرِيضٍ بَعْدَ بُرْءٍ نُكِسَا … وَكَمْ قَضِيبٍ بَعْدَ قَطْعٍ غُرِسَا
وَإِنَّما الْحِكْمَةُ طِبُّ الارْوَاحْ … فِي ظُلْمَةِ الطِّبَاعِ نِعْمَ الْمِصْبَاحْ
لله مِيْقاتٌ بِهِ النُّجْحُ ارْتَهَنْ … وَكُلُّ شَيْءٍ فِي مَحَلِّهِ حَسَنْ
لِذاكَ فِي الْمِقْيَاسِ قَدْرُ أُصْبُعِ … أَكْثَرُ نَفْعاً فِي الْفَلا مِنْ أَذْرُعِ
يا أُسَراءَ الدَّهْرِ حُلُّوا أَسْرَكُمْ … بِحِكْمَةٍ تَزِيدُ فَضْلاً قَدْرَكُمْ
اَلْعِلْمُ ما يُصْحَبُ فِي الْحَمَّامِ … فَاسْمَعْ كَلامَ نَاصِحِ الْكِرَامِ
لَيْسَ بِعِلْمٍ ما حَوَاهُ السَّطْرُ … ما الْعِلْمُ إِلَّا ما حَوَاهُ الصَّدْرُ
فَاكِهَتِي مِنْ ثَمَرِ التَّجَارِبِ … وَإِنَّما الأُمُورُ بِالْعَوَاقِبِ
خَيْرٌ يَسُوقُ الشَّرَّ عَيْنُ الشَّرِّ … نَفْعٌ يَجُرُّ الضَّرَّ نَفْسُ الضُّرِّ

وَمَــادِحُ الْكِــرامِ عِنْــدَ الــسَّادَةِ مُعَــــرَّضٌ لِــــذَمِّهِمْ فِي الْعَــــادَةِ
جهْــدُ اللَّئِــيمِ فِي اللِّبَــاسِ وَالْغِــذَا وَبَعْــــدَ رَيْــــنٍ[1] لا يَــــضُرُّهُ أَذَى
كَــمْ مِــنْ جَبـانٍ خَـصْمُهُ إذا غَلَـبْ يَــرْضَى مِــنَ النَّــصْرِ عَلَيــهِ بِــالْهَرَبْ
وَكَــمْ كمــيٍّ فِي الــدِّماءِ هَمُّــهُ بِــــذاكَ حَمْــــلاً عَلَّمَتْــــهُ أُمُّــــهُ
إذا انتَـسَبْتُ هـانَ كُـلُّ مـا جَـرَى فــأَينَ آبــائي إلى عِــرْقِ الثَّــرَى[2]
لا تَقْـــنَعَنْ بِـــسَقَطِ الأَفْعَـــالِ وَاسْــمَعْ لِمـا قَــدْ قِيــلَ فِي الأَمْثَـالِ
إذا سَرَقْـــــتَ فَـــــاسْرُقَنَّ دُرَّهْ وَإِنْ زَنَيْـــتَ فَـــازْنِيَنْ بِحُـــرَّهْ
إِنَّ الـــسَّخِيَّ مَـــنْ إذا تَبَرَّعَـــا يَكُــفُّ عَــنْ مــالِ الْــوَرَى تَوَرُّعَــا
وَإِنَّ خَــيْراً مِــنْ وَدُودٍ نَفَعَـــا يَحْمِــلُ كَــلَّا قارِحــاً وَجَــذَعَا
إِنَّ شَــــفِيعَ مُـــذْنِبٍ إِقْـــرَارُهُ وَتَوْبَـــةُ الْجَـــانِي هِـــيَ اعْتِـــذَارُهُ
لابُـــدَّ لِلْحَلِـــيمِ مِـــنْ سَـــفِيهِ يَنْتَفِــــعُ الْحَــــيُّ بِكَلْــــبٍ فِيــــهِ
إِنَّ الرَّفِيـــعَ بِالْوَضِـــيعِ يَتَّقِـــي كَـما يَـصُونُ الْحِـصْنَ حَفْـرُ الْخَنْـدَقِ
اَلــشُّكْرُ قَيْــدُ الــنِّعَمِ الأَوَابِــدِ وَلَــيْسَ كُــلُّ شَــارِدٍ بِعَائِــدِ
أَبْــقِ لِــصُلْحٍ فِي خِــصامٍ مَوْضِــعَا دَمِّــثْ لِجَنْـبٍ قَبْـلَ نَـوْمٍ مَـضْجَعَا
كَــمْ حِكْمَــةٍ عِنْــدَ غَبِــيٍّ مُهْمَلَــهْ وَوَرْدَةٍ مَطْرُوحَــــةٍ فِي مَزْبلَــــهْ
وَأَكْثَـــرُ الْكُنُـــوزِ فِي الْخَـــرَابِ وَتَحْــتَ مَطْــرُوحٍ مِــنَ الــتّرَابِ
اَلْحُــــرُّ بِالْمُعْتَــــادِ لا يُخِــــلُّ وَقَطْــعُ عــاداتِ الْجَمِيــلِ بُخْــلُ
تَكْــرارُكَ الْجُــودَ أَجَــلُّ الْجُــودِ مــا أَبْلَــغَ الْمُعَــادَ فِي التَّوْكِيــدِ

(١) الرين: الدنس. (ج).

(٢) أعراق الثرى: هو إسماعيل لأنه ابن إبراهيم، وإبراهيم لم تأكله النار، كما أن النار لا تأكل الثرى. البداية والنهاية ٢/ ٤٦٨. (ج).

كَـــما حَـــلا فِي فَـــمِ ذَوْقٍ سُـــكَّرُ وَهْـــوَ مُعـــادٌ جُلُّـــهُ مُكَـــرَّرُ
ذَلَّ سَـــــفِيهٌ لَمْ يَجِـــدْ مُـــسافِهَا وَلا مُجِيبـــاً إِذْ هَـــذَى مُـــشافِهَا
وَلا يَمَـــلُّ الْحُـــرُّ تَكْـــرارَ الـــنَّفَسْ فَمِنْـــهُ أَنْـــوارَ حَياتِـــهِ اقْتَـــبَسْ
يَنـــامُ رأيٍ وَالْهَـــوَى يَقْظَـــانُ فَيَلْتَقِـــي الآمـــالُ وَالْحِرْمَـــانُ
وَمَـــنْ يَطُـــلْ بَـــيْنَ الأَنـــامِ عُمْـــرُهُ يَـــرَى مِـــنَ الْعَـــدُوِّ مَـــا يَـــسُرُّهُ
وَإِنَّ مِغْنـــاطِيسَ قَلْـــبِ النَّـــاسِ بِـــيضٌ وَصُـــفْرٌ بِهِـــما تُـــوَاسِي
وَكُلُّهُـــمْ عَبِيـــدُ مَـــنْ قَـــدْ أَحْـــسَنَا وَلَـــيْسَ فِـــيهِمْ رَجُـــلٌ وَلا أَنَـــا
لِلـــشَّيْءِ وَقْـــتٌ هُـــوَ كَالْمِيقَـــاتِ لِنُجْحِـــهِ كَـــسَاعَةِ الـــصَّلَاةِ
وَاللُّطْـفُ لا يَحْـسُنُ فِي كُـلِّ مَحَـلْ وَرِقَّـةُ الإِكْـسَالِ تُبْطِـلُ الْعَمَـلْ
كَـمْ سُـلَّمٍ يُرْقَـى لَـدَى الإِحْـسَانِ بِـــهِ هُبُـــوطُ قَاعَـــةِ الْحِرْمَـــانِ
لا تَنْـصَحَنَّ جـاهِلاً لَـنْ يَقْـبَلَا وَأْمُـرْ بِـأَمْرٍ مَـنْ يَكُـنْ مُمْتَـثِلَا
كَـــمْ آمِـــرٍ بِالرُّشْـــدِ لا يُطَـــاعُ تَمُـــجُّ شَـــهْدَ نُـــصْحِهِ الأَسْـــماعُ
خَفِّـضْ عَلَيْـكَ إِنَّ مَـنْ قَـدْ خَفَّـضَا يَخْتَـــالُ فِي بُـــرْدَيْ سُرُورٍ وَرِضَـــا
مَـنْ يَنْحَـدِرْ فِي الْمَـوْجِ قَـدْ لا يَغْـرَقُ ومَـــنْ يُعارِضْـــهُ بِمَـــوْتٍ يَـــشْرَقُ
أَلَـذُّ مـا يُقْـرَى بِـهِ ضَـيْفُ الظَّفَـرْ تَغَافُـــلٌ يَـــصْحَبُهُ خَـــلُّ الْحَـــذَرْ
حُـــسْنُ الثَّنـــاءِ أَحَـــدُ الْبَقَـــاءَينْ وَمَـــنْ يَفُتْـــهُ ذا حَيَاتُـــهُ حَـــينْ
قُـــلْ لِلَّـــذِي أَسْـــعَفَهُ زَمَانُـــهُ فَـــاغْتَرَّ حَتّـــى مَلَّـــهُ إِخْوَانـــهُ
يَـا مُـدْنَفاً شِـفَاء طِـبٍّ لِلْقَـدَرْ هَـلْ عِنْـدَ بُحْرانِـكَ مِـنْ نكسٍ خَـبَرْ
مـن يحتـضر مـرَّ رقيـقِ النَّـدَمِ ومـن يُعَمَّـرْ مـات بعـد الهـرَمِ
وَالزَّهْـرُ إِنْ لَمْ يُجْـنَ غَـضَّ الـوَرَقْ يَـذْوِي وَيُرْمَـى فِي تُـرَابِ الطُّـرُقْ
لَـوْ يَحْفَـظُ الإِنْـسَانُ فَكَّـهُ لَمَـا شـاهَدَ قَـطُّ نَـدَماً وَسُـقْمَا

كَـمْ وَاهِـبٍ صِـحَّةَ جِـسْمٍ أَكْلَـهْ قَـدْ أَنْحَفَتْـهُ بِـشَدِيدِ الْعِلَّـهْ
إذا هَـزَزْتَ هُـزَّ غَـضًّا رَطْبَـا[1] وَاقْـصُدْ كَـرِيماً إِنْ خَـشِيتَ خَطْبَـا
لا يَنْتُؤُ الإِخْـلاءُ مِنْ ذو الإحسان[2] فَـالْجُودُ وَالإِفْـلاسُ تَوْأَمَـانِ
وَآفَـةُ الْجُـودِ كَـمَا قَـالُوا الـسَّرَفْ وَآفَـةُ الظَّـرْفِ وَإِنْ تَـمَّ الـصَّلَفْ
جَنـاحُ عَـزْمِ الـصَّادِقِينَ الْكُمَّـلِ مُـرَيَّشٌ بِالْـصِدْقِ وَالتَّوَكُّـلِ
كَـمْ مَـنْ يَـذُمُّ غـادَةً يَهْوَاهَـا وَمَـنْ يَـذُمُّ نَفْـسَهُ زَكَّاهَـا
قالَـتْ لِيَ الـرُّوحُ مَقـالَ ناصِـحِ زَيَّنْـتَ جِـسْماً وَهْـوَ غَـيْرُ صَـالِحِ
إذا ارْتَحَلْـتَ لِلْفَنـا وَفارَقَـكْ وَلا تَـرَاهُ سَـاعَةً قَـدْ رافَقَـكْ
رَفِيقُـكَ الأَعْـمالُ يَـوْمَ الْغُرْبَـةِ فَراعِهَـا تَنْفَعْـكَ وَقْـتَ الْكُرْبَـةِ
إذا رَأَيْـتَ اللهَ سَـابِغَ الـنِّعَمْ عَلَيْـكَ فَاحْـذَرْهُ وَخَـفْ مِـنَ الـنِّقَمْ
يـا تـارِكَ الطَّعـامِ مِـنْ مَـضَرَّتِهْ هَـلَّا احْتَمَيْـتَ الـذَّنْبَ مِـنْ مَعَرَّتِـهْ
أَكْثِـرْ مِـنَ التَّوْبَـةِ عِنْـدَ الْحَوْبَـهْ فَـرَأْسُ مـالِ الْمُـذْنِبِينَ التَّوْبَـهْ
يَفْـسُدُ بِالإِحْـسانِ مِقْـدارُ الـسَّفَلْ كَمَـوْتِ دُودِ الْخَلِّ فِي صَـفْوِ الْعَـسَلْ
مـا الْفَـرْقُ بَـيْنَ رايَـةِ الْمُكَـدِّي وَرايَـةٍ بِـلا قِتـالٍ تُجْـدِي
إذا بَـدَأْتَ بِيَـدٍ فَـتَمِّمِ لا يَنْفَـعُ الـسُّدَا إذَا لَمْ يُلْحَـمِ
جِهـادُ قَلْـبِ الْعَاقِـلِ الأَحْـزَانُ كَـمَا جِهـادُ سُـقْمِهِ الْبُحْـرَانُ
قَـالُوا أَجِـعْ كَلْبَـكَ فَهْـوَ يَتْبَعُـكْ لٰكِنَّـهُ لِكَـسْرَةٍ قَـدْ يَـدَعُكْ
كَـمْ سَـلْحَةٍ لِلْفَلَـكِ الـدَّوَّارِ قَـدَّمَتِ النَّـذْلَ عَـلَى الأَحْـرَارِ

---

(١) كذا ولعلّها: غُصناً رطباً. (ج).
(٢) كذا الشطر في الأصل.

مِثْــلَ وَنِــيمٍ(١) فَــوْقَ رُقْــمِ الْهِنْــدِ ... بِـــهِ تَرَقَّـــى رُتبَــــةً فِي الْعَــــدِّ
اَلْبِــيضُ وَالــصُّفْرُ لِــسُودِ الــدَّهْرِ ... مُعَـــــدَّةٌ أَوْ لبَيـــــاضِ الأَجْـــــرِ
قَــدْ يُؤْخَــذُ الْجَــارُ بِظُلْــمِ الْجَــارِ ... وَتُـــضْرَبُ الْحَــصِيرُ لِلْغُبَـــارِ
مــا يَأْخُــذُ الــدَّهْرُ مِــنَ الْمَسَالِبِ ... أَثْـمانَ مــا يُعْطِــي مِــنَ التَّجَــارِبِ
مــا كُــلُّ أَرْضٍ بِالنَّبــاتِ تُعْــشِبُ ... مــا كُــلُّ وادٍ فِيــهِ مَرْعًــى مُخْــصِبُ
مــا كُــلُّ مَــنْ نادَيتَــهُ فِي الــشِّدَّهْ ... يُجِيـــبُ وَهْـــوَ لِلرَّجَــاءِ عُـــدَّهْ
اَلْحَــــرْبُ خُدْعَـــةٌ وَرُبَّ خَدْعَـــهْ ... أَقْــوَى مِــنَ الْجُيُــوشِ فِيهَــا مَنَعَــهْ
وَرُبَّ شَيْءٍ لَـــكَ فِيـــهِ نَفْـــعُ ... وَهْـــوَ لِـــضُرٍّ لِـــسِواكَ يَـــدْعُو
قَمِـــيصُ عُـــثْمانَ بِـــهِ معاويــــهْ ... شَــنَّ الْحُــرُوبَ بِرغــاء الرَّاغيَــهْ
وَهْــوَ عَــلَى نَــسْلِ الْبَتُــولِ فاطِمَــهْ ... داهِيَـــةٌ عَـــنِ الـــسُّرُورِ فاطِمَـــهْ
إِنَّ الــــشَّبابَ صِـــحَّةُ الأَبْـــدَانِ ... وَالـــسُّقْمُ فِيـــهِ هَـــرَمُ الـــشُّبَّانِ
يَفُـــوزُ سُـــلْطانٌ بِخَـــيْرٍ وَهَنَــا ... بِظِـــلِّ أَمْـــنٍ وَعَفَـــافٍ يُقْتَنَـــى
كَـــمْ مُـــتْرَفٍ مُـــنَعَّمٌ لِباسُـــهُ ... قَطيفَـــةٌ تَنْـــسُجُها أَضْرَاسُـــهُ
وَرْبُ بَـــاكٍ فِي الْمُـــصابِ مَعَكَـــا ... وَقَلْبُـــهُ فِي الـــسُّرُورِ ضَـــحِكَا(٢)
تَـــدْمَعُ فِي الـــشَّطِّ عُيُـــونُ الـــشَّبَكِ ... وَلَـــيْسَ ذا مِـــنْ رَحْمَـــةٍ لِلـــسَّمَكِ
نَائِحَـــــةُ الْمَـــــأْتَمِ إِذْ تَفَجَّــــعُ ... مِــنْ جَفْــنِ غَيْرِهــا تَــسِيلُ الأَدْمُــعُ
مَــنْ يَــذْكُرِ الْمَكْــرُوهَ عِنْــدَ الْفعلَــهْ ... أَحَـــقُّ بِـــالْمَلامِ مِمَّـــنْ فَعَلَـــهْ
مُـــذَكِّرُ الْمَجْنُـــونِ بِالْحِجَـــارَهْ ... هُــوَ الَّــذِي قَــدْ رَجَــمَ الــسَّيَّارَهْ
وَبِالتَّنَـــائِي يَـــأْمَنُ الْحُـــرُّ الــضَّرَرْ ... وَفِي الـــسُّلُوِّ عِـــوَضٌ مِمَّـــنْ غَـــدَرْ

---

(١) الونيم: خُرءُ الذُّباب. (ج).

(٢) كذا، ولعلّها: في السِّرِّ زاد. (ج).

لا عَفْـــوَ إِلَّا لِلَّـــذِي قَـــدِ اقْتَـــدَرْ وَالْعَفْـــوُ عَـــنْ جَـــانٍ زَكَـــاةٌ لِلظَّفَـــرْ

اللهم أخرجنا من مطمورة الطبيعة المظلمة المباني، وخلِّصنا من سجن الغربة الموثق من به بقيود الآمال وأغلال الأماني، وأفضْ علينا من نور العقل الفعال، ما تطالع به بصائرنا توحيد الكائنات بالغدوِّ والآصال، فتنشرح به الصدور.

فنقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

تم كتاب

«خبايا الزوايا»

تأليف العالم العلامة إمام علماء الأدب، ومسك ختام البلغاء من العرب

قاضي الجماعة بالديار المصرية وأفق فقهاء الشافعية والحنفية

شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي

بلّغه الله رجاه في الجنان، وفوق ما هو راجي.

وذلك بتاريخ صبيحة نهار الاثنين المبارك لستٍّ مضين من صفر الخير سنة إحدى وثمانين وألف من الهجرة النبوية. على صاحبها أزكى صلاة وأنمى تحية وذلك في مدينة حلب الشهباء دارِ العواصم، لا برحت دار الفضائل والمكارم بمنّه وكرمه.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

فهرس الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(خ)

❊ ❊ ❊

فهرس الأمم والأقوام والشعوب والقبائل



فهرس الأماكن

❊ ❊ ❊

فهرس الكتب وأسماء القصائد والرسائل

* * *

فهرس الأيام والوقائع



فهرس الأمثال والأقوال والحكم

❊ ❊ ❊

فهرس الشعر

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		– ءَ –		
وَالْبُصَرَاءَ	مهيار الديلمي	الكامل	٢	٢٢٦
أَنْوَاءَ	ابن لؤلؤ الذهبي	الكامل	٢	٤١٧
		– ءُ –		
وَالْبَيْدَاءُ	محمد بن أبي الحسن البكري	الطويل	١	٤٠٧
رَجاؤهُ	نور الدين بن الجزار	الطويل	٢	٦١٩
شَيْآءُ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٦	٥٨١
اللِّحاءُ	بشار بن برد أو أبو تمام	الوافر	١	٦٧٠
الرُّقَبَاءُ	ابن الرومي	الكامل	٢	٥٠٤
ماءُ	ابن ظاهر	الرجز	٣	٢٨٤
إِخَاءُ	–	السريع	١	٤١٤
الجَوزاءُ	البوصيري	الخفيف	١	٦٢٣
وَرْقاءُ	السراج الوراق	الخفيف	١	٦١
وَالضِّياءُ	البوصيري	الخفيف	٣	٩٦
وَرْقاءُ	البوصيري	الخفيف	٢	٩٩
سُعَدَاءُ	–	الخفيف	١	٢١٥
		– ءِ –		
وَالخُلَفَاءِ	–	الطويل	٢	٣٧٧
السَّمَاءِ	–	البسيط	١	٤٨٩
وأعدائِي	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	٥٧٨
بالماءِ		البسيط	١	٥٧٧
وأهواءِ	أحمد بن الجيعان	البسيط	٢	٥٩١

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
إيماءِ	أبو إسحاق الغزي	البسيط	٢	٦٥٤
بالخُلَيْصاءِ	ابن الخازن	البسيط	١	٦٧٢
وخَضْراءِ	علي الجِنّائِي الحُمَيْدِي	البسيط	٣	٧٠٦
دَائِي	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	٤٧٩
الإمْسَاءِ	البوريني	الكامل	٣	٩٠
نَعْمَائِهِ	البديع الأَسْطُرْلابِي	الكامل	٢	١٣٩
حَوْبَائِهِ	الأَرَّجاني	الكامل	٢	١٧٠
رُقَبَاءِ	حسين بن أحمد الجزري	الكامل	٣	١٧١
وَالوَرْقَاءِ	–	الكامل	٢	٢٠٢
نِسائِها	–	الكامل	١	٢٤٩
نَعْمَائِهِ	البديع الأسطرلابي	الكامل	٢	٢٨٣
بَيْضَاءِ	الأَرَّجاني	الكامل	٤	٤٠٠
السُّفَهَاءِ	تقي الدين التميمي	الكامل	٢	٥٠٣
كَالحِرْبَاءِ	البحتري	الكامل	١	٥٠٤
والشعراءِ	أحمد المعري	الكامل	٢	٥٨٥
حَوْبائهِ	الأَرَّجاني	الكامل	٢	٦٢٦
العُقَلاءِ	–	الكامل	١	٧٢٨
حَمْرَاءِ	محمد الصالحي الهلالي	الكامل	٢	٧٦
الأَصْدِقَاءِ	–	الرمل	٢	٤٥٢
أَسْمَائِي	–	السريع	١	٥٥١
الماءِ	–	السريع	١	٧٣٨
الجَرْعَاءِ	محمد بن أبي الحسن البكري	الخفيف	٩	٤٠٦
بِالْماءِ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٦	٤١٦
والمساءِ	–	الخفيف	١	٥١٤
الكِسائِي	ابن حجاج	الخفيف	١	٧٤٠
ماءِ	سرِيُّ الدين بن الصائغ	المجتث	٨	٥٨٤

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
شِهَابَا	–	الوافر	١	٣٠٥
قُلْبا	أبو الطَّيِّب الغَزِّي	الكامل	٣	١٤١
ذَابَا	العَقِيلِيّ	الكامل	٢	١٩٤
الصَّبَا	شِهاب الدين أحمد الفَيُّومِيّ	الكامل	١	٣٢٣
مُخْلَبَا	شِهاب الدين أحمد الفَيُّومِيّ	الكامل	١	٣٢٣
الهِبَا	محمد بن أبي الحسن البكري	الكامل	١	٤١٠
أَذْنابَهَا	–	الكامل	٢	٥٣٧
الرُّبَا	عبد العزيز الفشتالي	الكامل	٥	٦٩٧
أَطْرَبَا	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	٤٤٠
لَهَبَا	ابن حيان المغربي	المنسرح	٢	١٩٤
انْقَلبَا	سعد الدين بن عربي	المنسرح	٣	٦٦٥
والحدَبَهْ	–	المنسرح	١	٧٥٠
قُرْبَا	رَضِيُّ الدين الغَزِّي	الخفيف	٢	١٨٠
ونَبَّا	أحمد بن علي العلقمي	الخفيف	١٩	٦٠٤
مَعائبَهْ	عبد الواحد الرَّشِيدِي	مجزوء الخفيف	٢	٥٨٩
مَرْحَبَا	محمد بن أبي الحسن البكري	المتقارب	١	٤١٢
		– بُ –		
نَاصِبُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٨٩
تَتْرِيبُ	الطُّغْرائي	الطويل	١	١٣٠
مُذْهِبُ	إبراهيم الحصكفي	الطويل	٩	١٤٥
السَّوَارِبُ	عبد الحق الحجازي	الطويل	١٨	٢٥٨
وَتُجَاذِبُ	ابن نُباتة السَّعْدِي	الطويل	٢	٢٥٩
حَوَاجِبُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	١	٢٦١
كَتَائِبُهْ	الشهاب الخفاجي	الطويل	١	٣١٥
غَياهِبُهْ	ابن الرومي	الطويل	١	٣٣٧
حَبِيبُ	–	الطويل	١	٣٥٧

- بِ -

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
رُضابِهِ	أبو العلاء المعري	الكامل	١	٣٠٩
تَحَجَّبِي	عبد الله بن الشمس مُطَهَّر	الكامل	١٧	٣٧٨
يَعْذُبِ	التِّهامي	الكامل	١	٣٨٢
بِثِيَابِي	إسماعيل حَمْدَويه	الكامل	٣	٤١٨
بِحُبِّهَا	ابن عبد الظاهر	الكامل	٤	٧٢٠
الأحْبابِ	السيد مصطفى	الكامل	١	٧٣٠
للمُتَطَيِّبِ	–	الكامل	١	٧٤٣
بتائبِ	تقي الدين بن عمر الفارسكوري	الرجز	٣	٥٤٢
مُرَاقِبِهْ	البدر الدماميني	مجزوء الرجز	٢	٤٢٧
عَيْبِهِ	السيد عبد الرحيم العَبَّاسي	مجزوء الرجز	٢	٥٣٦
وَحَاجِبِهْ	أبو المواهِب البكري	مجزوء الرمل	٢	٤٢٦
الأَحْدَبِ	أبو الفَتْح المالِكِيّ	السريع	٢	٢١٤
بِي	مهيار الديلمي	السريع	٢	٣٨٢
يُعْتَبِ	يوسف المغربي الحربي	السريع	٣	٤٤٦
بالصَّاحِبِ	الأقيشر	السريع	١	٧٥٤
الطَّرَبِ	–	المنسرح	١	٣٩٨
والأَحْبابِ	محمد بن قاسم الحلبي	الخفيف	١٣	١٢٧
بِرَقِيبِ	–	الخفيف	١	٣٣٣
لِلْغَرِيبِ	أبو الحسين الجزار	الخفيف	٦	٤٢٠
عُبَابِ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	٤٥٦
بالحَبِيبِ	أبو تمام	الخفيف	١	٥١٧
ذَنْبِ	قَعُود	الخفيف	٢	٥٤٩
الآدابِ	أبو تمام	الخفيف	١	٧٢٣
سَحَائِبُكْ	محمد بن أبي الحسن البكري	مجزوء الخفيف	٢	٤١٣
جَمَعَتْ	يوسف بن عِمْران الحلبي	البسيط	٢	١٥٤
والرِّقَّةِ	ابن سارة	الكامل	٣	٦٠٩

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		- حْ -		
وَيَنْشَرِحْ	محمد بن أبي الحسن البكري	الطويل	٢	٤١٣
الرِّياحْ	القاضي عياض	الطويل	٢	٦٨٤
يُزَاحْ	سِراجُ الدين الأشْهَل	مجزوء الكامل	٢	٣٥٨
رُوحْ	شمس الدين الحنبلي	الرمل	٢	٢٠٥
فَطَفَحْ	القِيراَطِي	الرمل	٢	٤٠٠
رَمَحْ	أبو هلال العسكري	الرمل	٣	٥٢٣
وسَبَّحْ	ابن الوردي	مجزوء الرمل	٢	٥٢٣
الرِّياحْ	القاضي عياض	السريع	٢	٥٢٥
الرِّياحْ	ابن الزقاق	الخفيف	٢	٦٨٤
		- حَ -		
مَسْبَحاً	ابن الرومي	الطويل	٥	٥٨٠
سمَحَا	عبد الواحد الرَّشِيدِي	البسيط	٢	٥٩٠
السِّلاَحَا	البوريني	الوافر	٢	٩٣
ضَرِيحَا	البَحَّاثِي	الوافر	١	٤٠٥
رُوحا	-	المجتث	١	٥١٩
		- حُ -		
صُبْحُ	البوريني	الطويل	٥	٨٨
أَبْطَحُ	حيص بيص	الطويل	٣	٣٤٥
يَمْزَحُ	قُطْبُ الدِّين النَّهْرَوَانِيّ	الطويل	٢	٣٤٤
يَمْرَحُ	مُجِيرِ الدين بنِ تميم	الطويل	١٢	٣٤٥
يُمْدَحُ	أبو الفتح كُشاجَم	الطويل	٢	٣٤٦
المَسِيحُ	حسين بن أحمد الجزري	مخلع البسيط	١	١٧٠
السَّحُّ	محمد بن الطراوة	الكامل	٣	٤١٧
يمدحُ	-	الكامل	٢	٦٩٢
مُزِيحُ	أحمد العِنَاياتِي	الخفيف	٣	٣٤٨

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
مَسْعُودَا	أحمد بن عبد السلام	الكامل	٣	٥٢٤
عُهودَا	أحمد أبو العباس المنصور بالله	الكامل	٣	٦٢٦
وأسعدَهْ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	٦٦٤
صَدَّهْ	شاعر عصري مكي	مجزوء الكامل	٤	٣٥٩
سَيِّدَهُ	بدر الدين بن الأزهري	مجزوء الكامل	١	٥٢٨
عُودَا	حسين بن أحمد الجزري	مجزوء الرمل	٢	١٦٧
ندَّها	القيراطي	السريع	٢	٥٥١
والدَّهَا	قَعُود	السريع	٢	٥٥٠
حَدِيدَا	ابن فضل الله	الخفيف	٢	١٣٢
خُدُودَهْ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	٢٧٢
قَدَّهْ	ابن خفاجة الأندلسي	المجتث	٢	٢٠٩
سَعْدَا	ابن لؤلؤ الذهبي	المجتث	٣	٣١١
حَدَّكْ	محمد بن أبي الحسن البكري	المجتث	٥	٤٠٩
أسْوَدَا	–	المتقارب	١	٥٩٣
يَزْهَدَا	–	المتقارب	١	٧٣٢
		– دُ –		
قَلائِدُ	–	الطويل	١	١٣٦
يُولَدُ	ابن الرومي	الطويل	٢	١٩٥
مُوَرَّدُ	شمس الدين الحنبلي	الطويل	٢	٢٠٣
بُرْدُ	أبو تمام	الطويل	١	٢٩٢
فَوَائِدُ	المتنبي	الطويل	١	٤٤٢
مَبَارِدُ	ابن نُباته السعدي	الطويل	٤	٥٢٢
الغَدُ	لابن الرومي	الطويل	٢	٥٩٧
تتجدَّدُ	ابن الرومي	الطويل	٨	٦٣٠
والغدُ	أحمد أبو العباس المنصور بالله	الطويل	٢	٦٣١
العِقْدُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٣	٦٣٦

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الوُجودِ	تقي الدين بن عمر الفارسكوري	الخفيف	٢	٥٤٣
الزِّنادِ	ابن الفارض	الخفيف	٢	٦٧٣
العَوادِي	عبد العزيز الفِشتالي	الخفيف	٢	٦٧٦
الخُدُودِ	محمد بن أبي الحسن البكري	المجتث	٥	٤٠٩
	- رْ -			
حَضَرْ	محمد الفارضي	الطويل	٢	٦١١
تعسَّرْ	محمد الطَّبْلاوي	مخلع البسيط	٢	٥٨٨
بِالدَّفاتِرْ	البهاء زهير	مجزوء الكامل	١	٧٦
وَتَكَبَّرْ	يحيى الأصيلي	مجزوء الرمل	٢	٤٣٨، ٥٨٨
مُنْهَمِرْ	يحيى الأصيلي	مجزوء الرمل	٢	٤٣٩
المُحَاجِرْ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	١٥٣
كَالأَسارِير	محمد الأبياري القَبَّاني	الخفيف	٢	٥٠٩
تُنْشَرْ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	٥٣٢
أمَرْتِ	محمد الطَّبْلاوي	المجتث	٢	٥٨٧
غدَرْ	الشهاب الخفاجي	المتقارب	٢	٦٦٤
نُسَرّ	النمر بن تولب	المتقارب	١	٦٧٠
الخِضِرْ	-	الطويل	٢	٢٤٣
العُقَارْ	ابن لؤلؤ الذهبي	المتقارب	٢	٣١١
	- رَ -			
خَضْرَا	-	الطويل	١	١٢٢
يَعْرَى	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	١	١٦٦
أَبْحُرَا	شمس الدين الحنبلي	الطويل	٢	٢٠٥
وَالنَّحْرَا	ابن مليك الحموي	الطويل	٢	٢١٧
شُكْرَهْ	فتح الله البَيْلُونِيّ	الطويل	٢	٢٣٣
غُبَارَهَا	عبد الرحمن بن عماد الدين	الطويل	٢٠	٢٥٤
الحَمْرَا	ابن نُباته المصري	الطويل	٣	٤٤٠

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
العُذْرَا	تقي الدين التميمي	الطويل	٢	٥٠٥
خَضْرَا	ابن نباتة المصري	الطويل	١	٦٠٣
تفجَّرَا	الشهاب الخفاجي	الطويل	٣	٧١٠
داَرَا	أبو العلاء المعري	البسيط	١	٤٧
سَحَرَا	الأرَّجاني	البسيط	١	١٠٢
مِدْرَارَا	-	البسيط	٢	٥٩٥
صبرَا	الشهاب الخفاجي	مخلع البسيط	٢	٦٦٤
احْتِقَارَا	عمر الشحري	الوافر	٥	٣٦١
غَزِيرَهْ	عبد القادر الطُّورِيّ	الوافر	٢	٤٧١
فاتِرَا	ابن نُباَتَة المصري	الكامل	٢	٦٢
أَحْمَرَا	محمد الصالحي الهلالي	الكامل	٤٥	٧٩
العِثْيَرَا	محمد القيسراني	الكامل	١	١٢٩
عَسْكَرَا	المهذَّب المُوْصِليّ	الكامل	٢	١٣٠
سَرَى	الشهاب الخفاجي	الكامل	٣	٣٢٧
أرَى	محمد بن إبراهيم الفاسي	الكامل	٨	٦٥٩
يَسِيرَا	أحمد بن النقيب الحلبي	مجزوء الكامل	٥	٢٨٢
الثِّمارَا	الشهاب الخفاجي	الرجز	٥٢٦	٧٦١
أسْرَا	أبو فراس الحمداني	السريع	٣	٦٧٣
غُبَارَا	إبراهيم الغزي	الخفيف	١	١٢٩
شَطْرَا	أبو الفَتْح المالِكِيّ	الخفيف	٣	٢١٢
وَشُكْرَا	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٤	٢٤٥
مُعَارَا	ابن سَناء الملك	الخفيف	٣	٣١٤
بَدْرَا	محمد بن أبي الحسن البكري	الخفيف	٢	٤٠٩
سحَّارَهْ	شمس الدين البصير	الخفيف	٢	٥٧٥
أُسارَى	البوريني	المتقارب	٩	٩٠
قرى	-	المتقارب	١	٤٥٨

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ذُكورُ	–	الكامل	١	٧٢٠
سُكْرُ	الأرَّجاني	مجزوء الكامل	٢	١٩٣
وَأَكْثَرُوا	أبو الفَتْح المالِكِيّ أو أبو الحسين الجزار	مجزوء الكامل	٤	٢١٣
سُوَرُ	نور الدين علي العُسَيْلِيّ	مجزوء الرجز	٢	٤٣٠
الأَكْبَرُ	ابن البلبيسي	السريع	٢	٢٩٢
أَقْدِرُ	الشهاب المنصوري	السريع	٢	٤٥٤
الأَكْبَرُ	منصور البلبيسي	السريع	٢	٥٦٢
شَعِيرُ	محمد بن أبي الحسن البكري	الخفيف	١	٤١١
المفرُّ		الخفيف	١	٥٧٧

– رِ –

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الدَّهْرِ	–	الطويل	٣	٤٥
لِلْخَنَاصِرِ	–	الطويل	١	٥١
الزُّهْرِ	محمد الصالحي الهلالي	الطويل	٢	٧٣
وَالظُّفْرِ	إبراهيم الغَزِّي	الطويل	١	١٣٣
أَخْبَارِي	مامايْ	الطويل	٣	١٩٣
مَسْرُورِ	محمد بن عمر العرضي	الطويل	٢	٢٧٢
وَالخَمْرِ	صلاح الدين الكوراني	الطويل	٢	٢٧٨
الجَمْرِ	–	الطويل	١	٣٢٧
الثَّغْرِ	–	الطويل	٢	٤٨٥
الزُّهْرِ	عبد الوهاب المحلِّي الحنفي	الطويل	١٣	٤٩١
واليُسْرِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٥١٣
البَدْرِ	معين الدين بن البَكَّاء	الطويل	٢	٥٢١
الدَّهْرِ	مجير الدين بن تميم	الطويل	٢	٥٢٦
فكرِي	تقي الدين بن عمر الفارسكوري	الطويل	١	٥٤٤
قَبْرِ	ابن رشيق القيرواني	الطويل	١	٦٠٤
تَجْرِي	القطب المكي	الطويل	٦	٦١٧

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
بِشْرِهِ	–	الرمل	٢	٥٩٥
الدُّرِّ	حسين بن أحمد الجزري	السريع	٢	١٦٨
دارِهِ	حسين بن أحمد الجزري	السريع	١	١٦٨
الدَّهْرِ	تاج الدين الفراري	السريع	٤	٢٨٢
البَدْرِ	الشريف الرَّضِيّ	السريع	٥	٣٣٤
الْيُسْرِ	محمد بن أحمد الحَتَاتِيّ	السريع	٢	٤٥٨
الشِّعْرِ	المَنْجَنِيقِي	السريع	١	٥٣٥
أجرِهِ	علي بن الجزري	السريع	٣	٦٩٣
مَيْسُورِ	–	المنسرح	٢	٥٦٠
اصْطِبَارِي	مجير الدين بن تميم	الخفيف	٢	٣١٤
النَّهَارِ	الشهاب الحجازي	الخفيف	١	٣١٥
بِالْمَنْثُورِ	يحيى الأصيلي	الخفيف	٥	٤٤٠
الأمورِ	أبو العلاء المعري	الخفيف	١	٦٤٧
الحريرِ	أبو العلاء المعري	الخفيف	٣	٦٤٧
الفُتورِ	محمد الفِشتالي	الخفيف	٢٠	٦٤٧
ثارِهَا	علي بن الجهم	المتقارب	٣	٢٨٤
خِنْصِرِ	–	المتقارب	١	٥٤٣
	– زْ –			
الخَزْ	قُطْبُ الدِّين النَّهْرَوَانِيّ	المنسرح	١٢	٣٤٣
	– زُ –			
عَزِيزُ	–	الطويل	١	٣٠٦
وحِرْزُ	أحمد العناياتي	المتقارب	٤	٥٨
	– زِ –			
جَائِزِ	شمس الدين الحنبلي	الطويل	٢	٢٠٤
وَالْكَنْزِ	محمد بن بدر الدين الزيات	الطويل	٢	٥٠٧
	– سْ –			
ويُونُسْ	محمد الفارضي	الوافر	٢	٦١١

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
بِناسِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	١٣	٦٦١
القِرْطاسِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	١	٦٦٤
الكاسِ	محمد بن إبراهيم الفاسي	الكامل	٣٠	٦٦٦
أَنَاسِي	أبو بكر الجوهري	مجزوء الكامل	٤	١٥٦
قَبَسِ	ابن قلاقس	الرمل	٣	٦٥٢
مُلْتَبِسِ	الأرَّجاني	المنسرح	٢	٧٣٩
كَاسِ	-	الخفيف	١	١٨٣
	- شِ -			
أَرْشِ	محمد الأبياري القَبَّاني	الطويل	٢	٥٠٩
أُطْرُوشِ	حسين بن أحمد الجزري	البسيط	٣	١٦٩
وبَطْشِ	السيد عبد الرحيم العَبَّاسي	البسيط	٢	٥٣٦
	- صُ -			
خَلاصُ	أبو عامر الجرجاني	الطويل	٢	٥١٢
يَرْخُصُ	ماماي أو حسن بن حبيب	الرجز	٢	١٩٦
اقْتِنَاصُ	ابن نباته	المجتث	٣	٥١١
	- صِ -			
والقَلُوصِ	عبد القادر محيي الدين بن الغَزِّي	مخلع البسيط	٤	٥٦٤
قَرْصِهَا	علي بن كثير المكي	السريع	٢	٣٦١
	- ضْ -			
والحِياضْ	محمد بن أحمد المكلاتي	السريع	٦	٦٩٨
	- ضَ -			
الأَعْضَا	-	الطويل	١	٣٦٨
الأرضا	المحسن التنوخي	الطويل	٢	٤١٧
أرضَى	رجب الشَّنَوَانِيّ	الطويل	٥	٥٧٢
وعارِضاهُ	قَعُود	مخلع البسيط	٤	٥٤٩
	- ضُ -			
مَعْضُوضُ	البُحْتُرِي	البسيط	١	٢٠٩

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
تُوصَفِ	جمال الدين العصامي	الكامل	٢	٣٤٨
الأَشْرَفِ	قُطْبُ الدِّين النَّهْرَوَانِيّ	الكامل	٢	٣٤٩
تَتَوَقَّفِ	تقي الدين التميمي	الكامل	٢	٥٠٥
تَكلُّفِ	محمد الفارضي	الكامل	٢	٦٠٩
وَفِي	الشهاب الخفاجي	مجزوء الكامل	٢	٤٧٤
خَلْفِهِ	نور الدين علي العُسَيْلِيّ	مجزوء الرجز	٢	٤٣٠
تَلافِي	صفي الدين بن محمد العِزِّي	المجتث	٢	٥٦٩
خَفِي	–	المتقارب	١	٧٥١
		- قْ -		
تغتبِقْ	علي الحِنّائِي الحُمَيْدِي	الطويل	٢	٧٠٩
ورِقّ	الشهاب المنصوري	مجزوء الكامل	٤	٧٠٩
خَلَقْ	الشهاب الخفاجي	الرجز	٢	٦٨
الشَّفَقْ	الشهاب الخفاجي	الرجز	٤٣	٦٨٤
الفَلَقْ	القُطْب المكِّي	الرمل	٤	٦٢٦
وَرَقْ	الشهاب الخفاجي	الرمل	٥	٦٢٧
فمَرَقْ	–	الرمل	١	٧٣٥
الشَّقِيقْ	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	١٥٣
تَأَلَّقْ	الشهاب الخفاجي	المجتث	٢	١٢٩
مُتَشَقْ	محمد بن عمر العرضي	الرمل	١٨	٢٧١
		- قَ -		
حَقَّا	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٣٦١
اتَّفَقَا	يوسف بن عِمْران الحلبي	البسيط	٢	١٥٢
عَلَقَا	أبو الصَّفاء العَجَمِيّ	البسيط	٢٢	١٨٥
عَبِقَا	درويش الطَّالُوي	البسيط	٢٣	١٨٧
عَاقَا	ابن نُباتة المصري	البسيط	٢	٥٠٣
طَرَّاقَا	تقي الدين التميمي	البسيط	٢	٥٠٣

- لُ -

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
فَضْلِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٧٣٢
الحُلَلِ	ابن نُباته المصري	البسيط	٢	٢١٤
مُعْتَزِلِي	ابن المُشْنُوقَة	البسيط	٢	٢٣٠
العَذَلِ	شِهاب الدين أحمد الفَيُّومِيّ	البسيط	٢	٣٢٤
خَجَلِ	الأرَّجاني	البسيط	١	٣٧٤
خَجَلِ	الأرَّجاني	البسيط	١	٤٧٦
والخَجَلِ	محمد بن إبراهيم الفاسي	البسيط	٣	٦٦٠
حَالِي	الأمير العاصمي	مخلع البسيط	٣	١٢٩
اللَّيَالِي	البوريني	الوافر	١	٩٣
الشِّمَالِ	يوسف بن فتح الله	الوافر	٢	٣٠٣
المِطَالِ	الطُّغْرائِي	الوافر	١	٣٨٣
اللَّيَالِي	–	الوافر	١	٤٢٩
الجَلِيلِ	يوسف المغربي الحربي	الوافر	٢	٤٤٨، ٤٥٠
وَبِالدَّلاَلِ	–	الوافر	٢	٤٤٨
سُؤَالِي	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	٤٩٩
الهِلالِ	تقي الدين بن عمر الفارسكوري	الوافر	١	٥٤٣
بالنَّوالِ	أحمد أبو العباس المنصور بالله	الوافر	١	٦٢٩
بالسؤالِ	الأبيوردي	الوافر	٢	٦٢٩
مُرْسَلِ	–	الكامل	١	٤٦
بِالتَّفْضِيلِ	أبو الفَتْح المالِكِيّ	الكامل	٣	٢١٤
مَحْفِلِ	أبو تمام	الكامل	١	٢٩٣
المَدْلُولِ	محمد بن يس المُنُوفي	الكامل	٤	٤٨٤
المتأمِّلِ	سعد الدين بن عربي	الكامل	٤	٥٤٤
وجِدالِهِ	عبد الرحمن بن محمد الحُمَيْدِيّ	الكامل	١	٥٥٥
مَالِهِ	الأرَّجاني	الكامل	١	٥٨٣
لِلْمِفْصَلِ	حسان بن ثابت	الكامل	١	٦٣٩

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الْحُسَيْنِ	–	مخلع البسيط	٢	١٥٢
ثانِي	الشاب الظريف	مخلع البسيط	٢	٦٠٢
الْجُفُونِ	الشاب الظريف	الوافر	٥	٩٢
وَجَانِ	ابن مطروح	الوافر	١٠	١٣٣
عَيْنِي	الشهاب المنصوري	الوافر	١	٣٢٤
عَيْنِي	شِهاب الدين أحمد الفَيُّومِيّ	الوافر	١	٣٢٤
الْيَدَيْنِ	صفي الدين الحِلِّي	الوافر	١	٣٢٤
عَانِي	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	٣٥٧
الدُّخَانِ	محمد بن يس المُنُوفي	الوافر	٢	٤٧٨
الزَّمَانِ	–	الوافر	٢	٤٨٥
تَرْجُمانِكْ	محمد الفارضي	الوافر	٢	٦١٠
الْمَغانِي	محمد بن إبراهيم الفاسي	الوافر	٣	٦٥٩
الْمَنونِ	الأرَّجاني	الوافر	٢	٦٦٠
بالرَّقْمَتَيْنِ	–	الوافر	٢	٧١٢
بِتَرْجُمانِ	المتنبي	الوافر	٢	٧٢٤
الْفَناجِينِ	محمد البكري أو مامايْ	مجزوء الوافر	٢	٣٤٨
الْمُفْتُونِ	أحمد العناياتي	الكامل	١٩	٦٣
الْعِينِ	صُرَّدُرَّ	الكامل	١٧	٦٤
أَغْصَانِهِ	البحتري	الكامل	١	٦٧
شُؤُونِي	محمد الصالحي الهلالي	الكامل	٢٠	٨٢
الْحُدْبانِ	ابن دانْيَال	الكامل	١٣	٨٥
سُكَّانِهِ	درويش الطالوي	الكامل	٢٠	١١٦
مَكَانِ	العباس بن الأحنف	الكامل	١	٢٨١
بِأَذَانِ	مروان بن أبي الجنوب	الكامل	١	٣٨١
شَأْنِهِ	عبد الحميد عفيف الدين ويس	الكامل	٣	٣٩٠
الأَجْفَانِ	ابن قلاقس	الكامل	١٠	٤٤٧

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
السَّلامَهْ	القاضي الفاضل	الوافر	١	١٥١
نَدَامَهْ	يوسف بن عِمْران الحلبي	الوافر	٣	١٥٣
الجَهَالَهْ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	١٥٤
المُدْلَهِمَّهْ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	٧٣٣
مَحالَهْ	الشهاب الخفاجي	مجزوء الكامل	٢	٢٣٢
الحَاشِيَهْ	–	مجزوء الكامل	٢	٣٠٧
النَّدامَهْ	–	مجزوء الكامل	١	٣٩٧
راضِيَهْ	علي بن مصدق الواسطي	مجزوء الرجز	٢	٤٩٨
عِبْرَهْ	محمد بن أبي الحسن البكري	مجزوء الرمل	٢	٤٠٢
الوِسادَهْ	الشهاب الخفاجي	مجزوء الرمل	٢	٤٣٦
قَلِيلَهْ	الشهاب الخفاجي	مجزوء الرمل	٢	٥٨٤
مَرَّهْ	محمد الفارضي	مجزوء الرمل	٢	٦١٠
عِلَّهْ	الشهاب الخفاجي	السريع	١	٢١٣
دَانِيَهْ	بَهَاءُ الدِّين العَامِلِيّ	السريع	٣٨	٢٣٧
رَشَاهْ	–	السريع	١	٤٨٩
التِّيهِ	أربلي	السريع	٢	٥٠٠
ابْنِهْ	راجِح بن الرِّفاعي	السريع	٢	٥٥٨
سَمَكَهْ	الشهاب الخفاجي	المنسرح	٢	١٥٤
لِلنُّخالَهْ	فتح الله البَيْلُونِيّ	الخفيف	١	٢٣٢
رَشْوَهْ	–	الخفيف	١	٣٠٥
المختالَهْ	ابن نُباتة المصري	الخفيف	٢	٥٧٥
مُشْبِهُ	محمد بن حجر الهيتمي	مجزوء الخفيف	٢	٣٦٣
العافِيَهْ	–	المتقارب	١	١٣٧
مُزَالَهْ	الشهاب محمود	المتقارب	٢	١٥٥
ماضِيَهْ	–	المتقارب	٢	٥٨٩

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
لِيَا	–	الطويل	١	٥٢
باكِيَا	المتنبي	الطويل	١	١٦٢
لَيالِيَا	الوطواط	الطويل	١	٣١١
التَّقَاضِيَا	–	الطويل	١	٥٦١
رُوِيَا	الأرَّجاني	البسيط	٢	٧٠
اجْتُلِيَا	الأرَّجاني	البسيط	٢	٧٠، ٣١٠
مُكْتَلِيَا	الأَرَّجاني	البسيط	٢	١٢٨
الثُّرَيَّا	القاضي عياض	الوافر	٢	٥٥١
إليَّا	عبد المنعم الماطي	الوافر	٢	٥٦٧
أَغانِيها	محمد الصالحي الهلالي	البسيط	١١	٨١
	– يُ –			
نَدِيُّ	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	٤٧٢
	– يِ –			
بالْحَيِّ	–	الطويل	٢	١٩٥
حَيِّ	ابن النقيب	الوافر	٢	١٠٠
الغَرِيِّ	درويش الطالوي	مجزوء الكامل	٢٧	١٠٩
	– ى –			
يُسْتَجْدَى	–	الطويل	١	٦٩
ثَنايَاهُ	مامايْ	الطويل	٢	١٩٥
تُخْطَى	شمس الدين الحنبلي	الطويل	٢	٢٠٥
تُقْرَى	–	الطويل	١	٢٩٥
الْقُصْوَى	عفيف الدين التلمساني	الطويل	١	٥٠٠
يَسْوَى	محمد الخياط المحلي	الطويل	٢	٥٠٠
البَلْوَى	كمال الدين بن الشهاب محمود	الطويل	٢	٥٠١
خَرَا	–	الطويل	١	٥١٢
عَبْرَى	ابن حجر العسقلاني	الطويل	٢	٦١٠

❊ ❊ ❊

فهرس أنصاف الأبيات
حسب أوائلها

الشطر	الشاعر	الصفحة
إذا رأى غير شيء ظنه رجلا	المتنبي	٥٨١
أصم أم يسمع غطريف اليمن	عبد المسيح	٧٤٤
أعلى المالك ما يبنى على الأسل	المتنبي	٣٢١
أكلت كتبي كأنني أرضه	معين الدين تولوا	٧٤٣
ألا حبذا إخلاقها وجديدها	العوام بن عقبة	٦٧
ألقت إليه مقاليد النهى البشر	الحطيئة	٦٤١
ألؤماً لا أبا لك واغترابا	جرير	٢٥١
إن الزمان بمثله لبخيل	أبو تمام	٦٥٦
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري	علي بن الجهم	٥٥٤
رب خير يجيء في الخاتمات	البهاء زهير	٧٢٦
رب داء أشرُّ منه الدواء	-	٢٣٢
طبيب يداوي الناس وهو عليل	-	٢٢٧
طرّة صبح تحت أذيال الدجى	ابن دريد	٥٩٣
عياء به مات المحبّون من قبل	المتنبي	٣٣٢
فاطلب لنفسك إن قدرت أمانا	-	٧٣٦
فلا كان جؤذر من التلميح المليح	-	٤٩٩
فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى	ابن النبيه	٦٢٥
فثوباً لبست وثوباً أجر	امرؤ القيس	٦٣٩
فلولا البرد يمسكه لسالا	-	٣٦٥
قميص يوسف في أجفان يعقوب	المتنبي	١٥٠، ٣٠٦
كبيت حسان في ديوان سحنون	-	٤٨٩

فهرس الدوبيتات

❊ ❊ ❊

فهرس المخمسات

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١- الاختيارين، الخفش الأصغر، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.

٢- أعلام الفكر في دمشق بين القرنين الأول والثاني عشر للهجرة، إحسان بنت سعيد خلوصي، الطبعة الأولى، دار يعرب، دمشق، ١٩٩٤.

٣- إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية، حلب، ١٩٢٣.

٤- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، الشيخ قطب الدين الحنفي النهرواني المكي، (ضمن كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، أحمد بن زيني دحلان)، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥.

٥- الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة العاشرة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١.

٦- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.

٧- البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨.

٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٥.تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، بيروت، ١٩٨٣، ٣/ ٣٠٠.

٩- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٧٩.

١٠- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الثقافة، الطبعة السابعة، بيروت، ١٩٨٥.

١١- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات مصر، شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠.

١٢- تاريخ الأدب العربي: العصر العثماني، عمر موسى باشا، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، دمشق، ١٩٨٩.

١٣- تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، عمر فروخ، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.

١٤- تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العيدروسي، بلا مكان النشر، دون تاريخ.

١٥- تراجم الأعيان من أبناء الزمان، الحسن البوريني، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٣.

١٦- ترجمان الأشواق، محيي الدين بن العربي، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣.

١٧- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٤.

١٨- الجامع الصحيح سنن الترمذي، الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩- الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، حنا الفاخوري، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦.

٢٠- الحسن البوريني أديبا ومؤرخا مع تحقيق ديوانه (٩٦٣-١٠٢٤/١٥٥٦-١٦١٥)، مشهور عبد الرحمن الحبازي، رسالة دكتورا، إشراف: أهيف سنو ولويس بوريه، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٩٨.

٢١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥.

٢٢- الحياة الأدبية في مصر: العصر المملوكي والعثماني، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٤.

٢٣- خريدة القصر وجريدة العصر: قسم الشام، العماد الأصبهاني، تحقيق: شكري فيصل، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٥.

٢٤- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

٢٥- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، أحمد بن زيني دحلان، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥.

٢٦- الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر النعيمي، تحقيق: جعفر الحسني، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٤٨.

٢٧- در الحبب في تاريخ أعيان حلب، محمد بن إبراهيم ابن الحنبلي، تحقيق: محمود حمد فاخوري - يحيى زكريا عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢.

٢٨- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، حيدر آباد، ١٩٤٥-١٩٥٠.

٢٩- درويش محمد بن أحمد الطالوي، سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر، تحقيق: موسى الخولي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

٣٠- دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي،القاهرة، ١٩٨٩.

٣١- ديوان ابن الرومي، تعليق: عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠٠.

٣٢- ديوان ابن المعتز، شرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤.

٣٣- ديوان ابن النحاس الحلبي، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، الطبعة الأولى، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٩٩١.

٣٤- ديوان ابن النقيب، تحقيق: عبد الله الجبوري، مراجعة: أحمد الجندي، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٦٣.

٣٥- ديوان ابن الوردي، تحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، ١٩٨٦.

٣٦- ديوان ابن حمديس، تصحيح وتقديم: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

٣٧- ديوان ابن حيوس، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.

٣٨- ديوان ابن خفاجة، تحقيق: سيد غازي، الطبعة الثانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، دون تاريخ.

٣٩- ديوان ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محيي الدين ديب، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٩٩٨.

٤٠- ديوان ابن زيدون، تحقيق: كرم البستاني، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧.

٤١- ديوان ابن سناء الملك، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، مراجعة: حسين محمد نصار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨.

٤٢- ديوان ابن قلاقس، تحقيق: سهام الفريح، الطبعة الأولى، مكتبة المعلا، الكويت، ١٩٨٨.

٤٣- ديوان ابن مطروح، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٨.

٤٤- ديوان ابن نُباتة السعدي، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، منشورات وزارة الأعلام، العراق، ١٩٧٧.

٤٥- ديوان ابن نُباتة المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

٤٦- ديوان أبي الحسن التُّهامي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦٤.

٤٧- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح عبد الرحمن البرقوقي، تعليق: عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، دون تاريخ.

٤٨- ديوان أبي العتاهية، شرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦.

٤٩- ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق: درية الخطيب – لطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٩.

٥٠- ديوان أبي بكر الخوارزمي مع دراسة لعصره وحياته وشعره، تحقيق: حامد صدقي، الطبعة الأولى، مكتب نشر التراث المخطوط، طهران، ١٩٩٧.

٥١- ديوان أبي تمام، تقديم وشرح: محيي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.

٥٢- ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي بدمشق، ١٩٤٤.

٥٣- ديوان أبي نواس، شرح: علي فاعور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٥٤- ديوان أبي هلال العسكري، تحقيق: جورج قنازع، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٩.

٥٥- ديوان أسامة بن منقذ، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣.

٥٦- ديوان الأَبْيَوَرْدِي، تحقيق: عمر الأسعد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.

٥٧- ديوان الأرَّجاني، تحقيق: محمد قاسم مصطفى، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٧٩.

٥٨- ديوان الإسلام، شمس الدين الغزي، تحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

٥٩- ديوان الإمام الشافعي، جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤.

٦٠- ديوان الأمير منجك، المطبعة الحنفية، دمشق، ١٣٠١.

٦١- ديوان الباخرزي، تحقيق: محمد ألتونجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

٦٢- ديوان البحتري، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

٦٣- ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥.

٦٤- ديوان الحسين بن أحمد الجزري، دراسة وتحقيق: فريال عاقل، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٩٧.

٦٥- ديوان الشاب الظريف، تقديم وشرح: صلاح الدين الهواري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤.

٦٦- ديوان الشريف الرضي، تقديم، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

٦٧- ديوان الصَّنَوبري، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨.

٦٨- ديوان الطغرائي، تحقيق: علي جواد الطاهر – يحيى الجبوري، منشورات وزارة الإعلام، العراق،١٩٧٦.

٦٩- ديوان الفرزدق، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

٧٠- ديوان المتنبي، الطبعة الخامسة عشرة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

٧١- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: كرم البستاني، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣.

٧٢- ديوان امرئ القيس، تحقيق: حنا الفاخوري، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩.

٧٣- ديوان بشار بن برد، تقديم: إحسان عباس، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦.

٧٤- ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.

٧٥- ديوان حسان بن ثابت، شرح: عبد أ. مهنا، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤.

٧٦- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

٧٧- ديوان ذي الرمة شرح الخطيب التبريزي، تقديم: مجيد الطرد، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣.

٧٨- ديوان صَرَّدُرّ،الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤.

٧٩- ديوان صفي الدين الحلي، شرح: عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧.

٨٠- ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

٨١- ديوان عرقلة الكلبي، تحقيق: أحمد الجندي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

٨٢- ديوان عروة بن أذينة، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.

٨٣- ديوان عروة بن الورد، تحقيق: عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٦.

٨٤- ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم بك، الطبعة الثانية، دار صادر بيروت، ١٩٩٦.

٨٥- ديوان عماد الدين الأصبهاني، تحقيق: ناظم رشيد، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٣.

٨٦- ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

٨٧- ديوان عنترة بن شداد، تحقيق: فوزي عطوي، الطبعة الثالثة، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠.

٨٨- ديوان كشاجم، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦.

٨٩- ديوان مجنون ليلى، شرح: عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦.

٩٠- ديوان مهيار الديلمي، شرح: أحمد نسيم، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٩.

٩١- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠.

٩٢- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، النووي، اعتناء: رضوان محمد رضوان، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

٩٣- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، شهاب الدين الخفاجي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٨.

٩٤- زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، شرح: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ١٩٢٩.

٩٥- سجع الحمام في مدح خير الأنام، محمد الصالحي الهلالي، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٨.

٩٦- سقط الزند، أبو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

٩٧- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ابن معصوم، الطبعة الأولى، مصر، ١٣٢٤.

٩٨- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق: أكرم حسن العلبي، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١.

٩٩- سمط اللآلي، أبو عبيد البكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

١٠٠- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ترتيب واعتناء: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤.

١٠١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٥.

١٠٢- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

١٠٣- شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٥.

١٠٤- شرح ديوان ابن الفارض من شرحي الحسن البوريني وعبد الغني النابلسي، جمع: رشيد بن غالب اللبناني، ضبط وتصحيح: محمد عبد الكريم النميري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

١٠٥- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الخطيب التبريزي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

١٠٦- شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق: سامي الدهان، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

١٠٧- شعر أبي حيَّةَ النُّمَيْرِيّ، تحقيق: يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٥.

١٠٨- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: مفيد قميحة، مراجعة: نعيم زرزور، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

١٠٩- شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٢.

١١٠- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، تقديم: محمد كشاش، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

١١١- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكبريزاده، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥.

١١٢- صحيح البخاري، دار الأرقم، بيروت، دون تاريخ.

١١٣- طبقات الشافعية الكبرى، ابن السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١٤- عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد مطيع الحافظ - رياض عبد الحميد مراد، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٨.

١١٥- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تقديم: خليل شرف الدين، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦.

١١٦- العقود الدرية في الدواوين الحلبية، محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ١٩٢٩.

١١٧- علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، محمد مطيع الحافظ - نزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠.

١١٨- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: فائز محمد، مراجعة: إميل يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣.

١١٩- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية قسم الأدب، رياض عبد الحميد مراد و ياسين محمد السواس، دمشق، ١٩٨٢.

١٢٠- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.

١٢١- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨.

١٢٢- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، الفتح بن خاقان، تحقيق: حسين يوسف خريوش، الطبعة الأولى، دار المنار، الأردن، ١٩٨٩.

١٢٣- كتاب سيبويه، سيبويه، (مطبعة الأمريكية الكبرى، بولاق، مصر، ١٣١٦-١٣١٧) دار صادر، بيروت.

١٢٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، كاتب الجلبي (حاجي خليفة)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.

١٢٥- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق، جبرائيل سليمان جبور، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩.

١٢٦- لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

١٢٧- لطف السمر وقطف الثمر: من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، نجم الدين الغزي، تحقيق: محمود الشيخ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١.

١٢٨- المجروحين، ابن حبان، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب.

١٢٩- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٠.

١٣٠- مسند الشهاب، القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.

١٣١- مسند، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

١٣٢- معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب، أبو الوفاء العرضي، دراسة وتحقيق: عيسى سليمان أبو سليم، منشورات مركز الوثائق والمخطوطات، عمان، ١٩٩٢.

١٣٣- معالم الأدب العربي في العصر الحديث، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥.

١٣٤- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧.

١٣٥- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.

١٣٦- معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، الطبعة الثالثة، دار المنارة، جدة، ١٩٨٨.

١٣٧- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٨٤.

١٣٨- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣.

١٣٩- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.

١٤٠- المُغرب في حُلى المَغرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨.

١٤١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢.

١٤٢- منتخبات التواريخ لدمشق، محمد أديب تقي الدين الحصني، دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٩.

١٤٣- نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، العباس المكي الحسيني الموسوي، مكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧.

١٤٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨.

١٤٥- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، المحبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحاء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٩.

١٤٦- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، بيروت، ١٩٨٢.

١٤٧- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: محمد الأرناؤوط وتركي المصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

١٤٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الرابعة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥.

١٤٩- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: مفيد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

- المراجع الأجنبية

a- A. Şakir Ergin, "Hafâcî Şehabeddin", *DİA*, İstanbul, 1997, XV, 72-73.

b- Bedrettin Aytaç, "Osmanlı Dönemi Mısır Edebiyatından Bir Yazar: Şihab al-Hafâcî", *AÜDTCFD*, XXXVII, 1-2 1995, 55-63

c- Brockelmann, C, *Geschichte Der Arabischen Litteratur*, Leiden, 1943.

d- Brockelmann, C, *Geschichte Der Arabischen Litteratur*, Supplementband, Leiden, 1937.

e- F. Krenkow, "Hafâcî", *İA*, MEB, İstanbul, 1967, V/1, 63-64.

❋ ❋ ❋

فهرس المحتوى

* * *

القسم الأول
في محاسن الشام ونواحيها

القسم الثاني
في أعيان مكة المشرفة
ومن بحماها صانها الله تعالى من عين الدهر وحماها

[أعيان الأدباء والفضلاء باليمن]

القسم الثالث
في أعيان الأدباء والفضلاء بمصر
ونواحيها والقاطنين بها والواردين عليها

القسم الرابع
في نُبَذٍ من محاسن أهل المغرب

القسم الخامس
فيمن أدركناه أو رأينا من رآه بديار الروم

فهرس الفهارس

